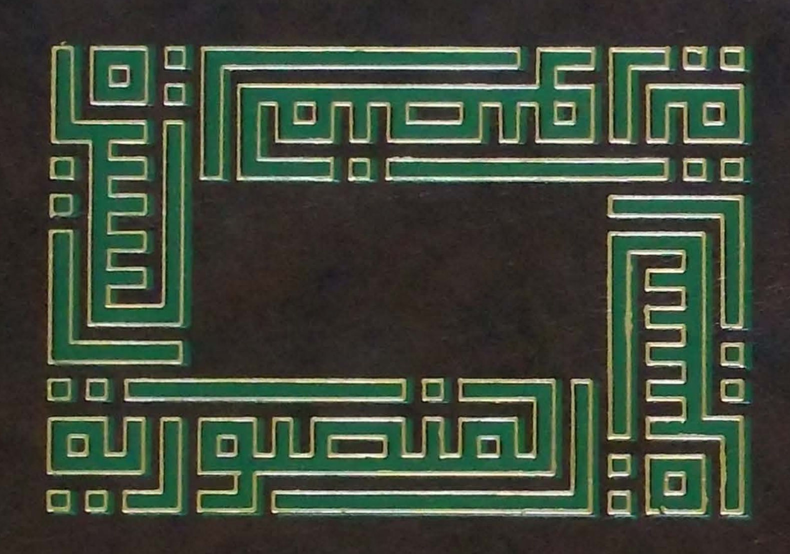
السيرة المنصورية

تأليف

أبي فِراس بن دِعثم



تحقيق

الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي

المجلد الأول

دار الفكر المعاصر

بيروت - لبنان



السيرة الشريفة المنصورية

سيرة الإمام عبدالله بن حمزة

الجزء الثاني

السيرة الشريفة المنصورية

سيرة الإمام عبد الله بن حمزة

٥٩٣ - ٦١٤ هـ

تأليف

أبي فراس بن دعثم

تحقيق

الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي

الجزء الثاني

دار الفكر المعاصر

بيروت - لبنان



الكتاب ٩٤٨
الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م

لبنان - بيروت - ساقية الجنزير ، خلف الكارلتون ، س . ت ٥١٤٩٧
ص . ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LE

المحتويات

إهـداء

إلى ابني كريم
بهجة الحاضر وأمل المستقبل

تقـديم

د. رضوان السيد

تميّز ثوار القرن الثاني الهجري، سواءٌ أكانوا من الخـوارج أو الشيعة، بإصدار برامج في صورة خطبةٍ أو رسالةٍ أو كتاب، يذكرون فيها وجهة نظرهم أو «صورتهـم التاريخية» عن ظهور الأمة والدولـة أيام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، و «المهمـة» الإلهية التي كُلِّفت بهـا الأمةُ في العالم، وكيف قامت بها في سنيّ حياتهـا الأُولى حتى كانت «الفتنة» التي خـرج منها الأمويون في النهايـة منتصرين. وبانتصار الأُمويين حدث خلـلٌ ضخمٌ مسّ «الشرعية التأسيسية» للأمـة والسلطة، وليس «شرعيـة المصالح» فقـط. ومن هنا كان واجـب المسلمين الذين لـم يندفعوا مع الانحراف أن يحملوا راية الأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكر من أجل التصحيح، وإعادة الأمر إلى نصابـه (وفي حالة الثوار الشيعـة: والحق إلى أهله). والملاحـظ أنّ هؤلاء جميعاً يسمّون برنامجهم أو رسالتهم في الدعـوة والثورة: «سيرة». ويبدو أنّ المفـرد كان يعنـي آنذاك ما عنـاه مفرد السنة، أي الطريق اللاحب أو المعهـود أو المتعارَف عليه أو المتوارَث. فكأنهـم يثورون من أجـل إزالـة البِدَع المستجدّة التـي أخرجت الدولة عن السنة والسيرة المعهودتين. والمعـروف أنّ كُتّاب «السيرة النبوية» ظهـروا

إبّان هـذا الوقت (في الثلث الأول مـن القرن الثاني الهجـري) فكتبـوا في «السيرة» و«المغازي». والمغـازي توضّح الكتابةُ فيهـا سلوك الرسول صلّى الله عليه وسلّم في الحرب ـ وقد كان ذلـك ضرورياً للدولة بسبـب الجبهة التي كانت ما تزال مفتوحةً مع البيزنطييـن، وبسبب مشكـلات ملكية الأرض، والخـراج في الأراضـي المفتوحة. لكنّ القسم الآخر من حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم الذي يتناول حياتـه الشخصية منـذ ما قبل الدعوة، وحتى المرحلـة المكيـة في الدعوة، ثم الهجرة والدولة ـ هو الـذي أطلق الكُتّاب عليه اسم «السيـرة». وقد اعتُبرت المغازي بعد فترةٍ قصيرةٍ جزءًا من «السيرة» أيضـاً أو فصلاً من فصولها. وهكـذا فإنّ المعنى المقصود مـن السيرة والسنة حتى بالنسبة للرسول صلّى الله عليه وسلّم هو معنى البرنامج أو النهـج الحقيـق بالتأسّي والاقتداء.

نعرفُ هذا النوع من السِيَر لدى الزيدية منذ أيام المؤسِّس الإمـام زيد بـن علي بن الحسن (ـ ١٢٢ هـ). لكنّ السيرة لديـه (أو ما وصلنا منهـا) تقتصـر على خُطَبٍ قصيرةٍ في الدعوة والأمـر بالمعـروف والنهـي عن المنكر، وإيضاح أسباب خروجـه واحتسابـه، وغايات ثورتـه. ويتجـاوز الأمر ذلـك عند محمّد النفس الزكيـة (ـ ١٤٥ هـ) الذي خلّف رسائـل طويلةً في الدعوة، كما خلّف كتاباً اسمـه: السِيَر أو السيرة. أما رسائلُهُ في الدعـوة فتعرض للفساد الذي أصـاب الدولة، وتأخـذ على عاتقها أمـر إصلاحـه بإعادة السلطة إلى أهلهـا مـن سُلالـة الحسن والحُسين ابني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وأمّا السيرة أو السِيَر (تختلـف المصادر في إيراد الاسم بيـن سيرة وسِيَر) فتـدرس من الناحيـة الفقهيـة طرائق التعامـل مع ثلاث فئاتٍ من الناس: الكفّـار والمشركين، والمرتديـن، والبُغاة.

وقد شهد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري تطور السيرة وأدبها لدى الزيدية إلى فرعين اثنين: **الأول**: تراجم الأئمة الزيدية بعد ظهور دولتهم بطبرستان ثم باليمن. وكُتّاب التراجم هم غالباً من الزيدية المتحمسين لإحدى الدولتين، ويريدون إثبات شرعيتهما بتجذيرهما في التاريخ؛ فتكون السلسلة غالباً بعد عليٍّ والحسن والحسين: الحسن بن الحسن بن علي، فزيد بن علي بن الحسين، فمحمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، فسائر الثوار من الزيدية حتى القاسم بن إبراهيم وابنه وحفيده يحيى بن الحسين مؤسِّس الدولة باليمن، والحسن بن زيد وأخيه فالناصر الأُطروش مؤسِّس الدولة بطبرستان وجيلان. ومن الأمثلة على هذا النوع من التأليف كتاب أبي القاسم البلخي، وكتاب الإفادة للناطق بالحقّ، وكتاب المصابيح لأبي العبّاس الحسني. **والثاني**: الترجمة المفردة لإمامٍ من أئمة الزيدية، ويُسمّى هذا النوع من الكتب عادةً: سيرة. والكاتب غالباً عاملٌ في حاشية الإمام أو قاضٍ من قُضاته، وممن تتاح لهم فرصة متابعته في سائر أعماله وتنقلاته ومراسلاته بحيث يكاد يصفُها يوماً بيوم؛ وبذلك تدنو السيرة من أدب السيرة الشخصي المعروف اليوم. كما تكون لها أهميةٌ تاريخيةٌ وجغرافية بالإضافة إلى أهميتها الأيديولوجية التي تكمن وراء كتابتها. وأقدم السِيَر من هذا النوع سيرة الهادي إلى الحقّ (- ٢٩٨ هـ) أول أئمة الزيدية باليمن لكاتبه ومساعده علي بن محمد بن عُبيد الله العلوي. وقد وصلت إلينا سيرةٌ ثانيةٌ من عهد الإمامة المبكِّر باليمن للقاسم بن علي العياني (- ٣٩٣ هـ) كتبها صاحبه الحسين بن أحمد بن يعقوب الهمداني. وإذا كانت سيرة الهادي إلى الحقّ للعلوي تنشغل بأعماله السياسية والحربية بالدرجة الأُولى؛ فإنّ سيرة الحسين بن أحمد الهمداني للإمام العياني تذكّر بسِيَر الأئمة الأوائل إذ تركّز على رسائله

في الدعوة، والمسائل الأيديولوجية التي تقع في أصل خروجه وتأسيسه للسلطة الجديدة. أمّا سيرة حفيدي القاسم بن علي العياني وهما الأمير الشريف الفاضل القاسم (ـ ٤٦٨ هـ) وذو الشرفين محمد (ـ ٤٧٧ هـ) لتابعهما الأديب مفرّج بن أحمد الرَبَعي فتنصبُّ أكثر أخبارها على صراعهما مع الصُليحيين. وهناك سيرةٌ للمتوكّل على الله أحمد بن سليمان (ـ ٥٦٦ هـ) كتبها سليمان بن يحيى.

أمّا المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ـ ٦١٤ هـ) فتذكر المصادر له أكثر من سيرة وبأقلام أتباعه وكتّابه وقُضاته. والمعروف عن المنصور بالله، أنه شأنه في ذلك شأن المتوكّل على الله سلفه، كتب كثيراً في الفقه والأُصول وعلم الكلام إثباتاً لإمامته واجتهاده من جهة، وللصراعات الأيديولوجية والسياسية التي حفل بها عصره. وكان الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد العاطي قد عُني عنايةً خاصةً بعبد الله بن حمزة فكتب عنه ثلاث دراساتٍ مبسوطة تركّزت الأُوليان حول علاقاته مع الأيوبيين، وعوامل الصراع بين الطرفين. في حين انصبّت الثالثة على إعادة اكتشاف سيرة المنصور عبد الله بن حمزة لأبي فراس ابن دعثم. وقد استقصى الأستاذ عبد العاطي كلّ ما يتصل بِسِيَر عبد الله بن حمزة، ثم أقبل على تحقيق المجلدين الباقيين من سيرته لابن دعثم. وقد قرأْتُ المخطوطة المحقّقة بناءً على طلب الأستاذ المحقّق، وقدّمت بعض اقتراحاتٍ له. والسيرة عسرةٌ، والنصُّ غامضٌ في عدة مواطن. وقد قام المحقِّق بعمله الصعب اعتماداً على نسخةٍ واحدةٍ من كلٍّ من المجلّدين. لكنه رغم ذلك كلّه، استطاع القيام بهذا العبء الضخم على خير وجه. فقد بذل جهداً بالغاً في تحقيق أسماء الأماكن وضبطها وتحديدها. وكان الأستاذ مادلونغ قد أشار إلى أهمية كتب السِيَر هذه في

التعرف على جغرافية اليمن الإسلامي. ثم إنه وُفّق في قراءة النصوص ذات البعد الأصولي والفقهي إلى حدٍّ بعيد. ولم يوفّر جهداً في ضبط الشعر ونسبته لقائله.

لذا فإنّ تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد العاطي للسيرة المنصورية يُعتبر نموذجاً للعمل العلمي الجادّ الرصين. وسيكون حين يُطبع خطوةً متقدِّمة في مجال دراسة «أدب السِيَر» في تراثنا العربي الإسلامي.

دكتور رضوان السيد
أستاذ الدراسات الإسلامية
بالجامعة اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

تعد المكتبة اليمنية من المكتبات الغنية بما تحتويه من كتب التراث في شتى مجالات العلم والمعرفة خاصة فيما يتعلق بالسِّير والتواريخ. ومعظم هذه المؤلفات لا يزال مخطوطاً، ومحفوظاً في خزائن الكتب بالجوامع والمساجد والبيوت.

هذا الكم الضخم من المخطوطات قد آن الأوان لنشره وتحقيقه ليكون عوناً للدارسين والباحثين، خاصة وأن تاريخ اليمن في العصور الوسطى ملآن بالفجوات التاريخية، ولن يستقيم أمره إلا بكتابته استناداً إلى المخطوطات والوثائق المتوافرة.

والمخطوطة التي بين أيدينا من تأليف: فاضل بن عبّاس بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن أبي عمرو، ويعرف بأبي فِراس بن دعثم. ويبدو أن دعثم لَقَبٌ لأبيه العبّاس.

أمّا عن مولد أبي فِراس، ونشأته، وأسماء المشايخ والعلماء الذين تلقى العلم عليهم، والإجازات التي حصل عليها ـ فلم يهتم أحد من كتّاب التراجم بذكرها. وكل ما نعرفه هو أنه من بيت أبي عمرو

الصنعاني، وهو بيت كبير في صنعاء، اشتهر بالعلم والفضل، وبرز منه العديد من العلماء والشعراء والكتّاب. وقد التحق أبو فراس بخدمة الإمام عبد الله بن حمزة، وعمل كاتباً في ديوان إنشائه، وهذا يؤكّد الدرجة العالية التي وصل إليها أبو فراس في ميدان العلم والأدب.

لم يكن هذا الكتاب منسوباً لأبي فراس بن دعثم إذ كان من المعتقد وجود أكثر من سيرة للإمام عبد الله بن حمزة لأكثر من مؤلف. وقد قمت في دراسة منفصلة بإثبات نسبة هذا العمل لابن دعثم[1].

واسم الكتاب ـ كما هو مدون على غلاف الجزء الثاني «السيرة الشريفة المنصورية صلوات الله على صاحبها ورضوانه وتحياته وبركاته»[2]. وقد جاء اسم الكتاب في نهاية الجزء الثاني على النحو التالي «تم الجزء الثاني من السيرة الشريفة المنصورية صلوات الله على صاحبها ورضوانه وبركاته وسلامه»[3]. أي أن هناك تَبَايُناً في الدعاء الذي يلي اسم الكتاب، وهذا يبين أن اسم الكتاب هو «السيرة الشريفة المنصورية». أما ما جاء بعد ذلك من الصلوات والتحيات والبركات فيبدو أنه إضافة من الناسخ، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن أبي الرجال من أن أبا فراس قد ذكر في آخر السيرة التي جمعها ما لفظه «وعند أن أنجز تأليف ما تضمنه هذا الجزء من السيرة الشريفة المنصورية وهو آخرها»[4].

وقد ذكر كُتّاب التراجم أن السيرة المنصورية التي صنّفها أبو فراس

---

(١) انظر، عبد الغني محمود، «أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية» مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد ١٠، السنة ١٩٨٩، ص ٢٢٤ ـ ٢٦٣.

(٢) انظر، لوحة ١.

(٣) انظر، لوحة ٣.

(٤) ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٤.

ابن دعثم للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة كانت تقع في أربعة أجزاء، انتهى أبو فراس من تصنيفها في شهر ربيع الأول من سنة ٦١٥ هـ، أي بعد وفاة الإمام بعشرة أشهر.

أما ما هو موجود من السيرة المنصورية فهو الجزء الثاني بمكتبة الأمبروزيانا تحت رقم Mss ARAB E 52. وهو مكتوب بخط نسخي جيد، وعدد السطور في الصفحة الواحدة واحد وعشرون سطراً، وعدد أوراقه (١٩٣). ينتهي الجزء الثاني من السيرة بالورقة (١٨٩)، والأوراق من (١٩٠ ـ ١٩٣) كتبت بخط مختلف، وبها بعض الرسائل الصادرة عن الإمام، وبعض الحِكَم والأقوال المأثورة المنسوبة إليه. وقد طُمس من صفحة العنوان بطريقة متعمدة اسم الناسخ الذي يبدو أنه ـ في الوقت نفسه ـ اسم مالك المخطوطة. ولا يوجد على الغلاف ما يشير إلى اسم مؤلف الكتاب.

والجزء الثالث من السيرة ضمن مقتنيات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم (١١٨) تاريخ وتراجم. وهذا الجزء مبتور أوله وآخره، ولم يكن ذلك بسبب تلف المخطوطة أو تمزقها؛ فالمخطوطة بحالة جيدة. أما السبب في ذلك فيعود إلى أن النسخة الأم التي تم النقل عنها هي التي كانت مبتورةً من أولها وآخرها؛ ولذلك فقد ترك الناسخ بعض الأوراق البيضاء في البداية والنهاية على أمل استكمالها إذا اهتدى إلى وجود نسخة أخرى. ولكن يبدو أن ما فقد من المخطوط قليلٌ جداً وربما لا يتجاوز ورقةً واحدةً خاصةً في البداية. وذلك أنني قمت بضرب عدد السطور بعدد الصفحات فاتضح لي أن عدد سطور الجزء الثالث المبتور (٧٦٥٦) سطراً؛ في حين أن عدد السطور في الجزء

الثاني المكتمل (٧٩٣٨) سطراً. وهذا يؤكد أن المفقود من الجزء الثالث ليس كثيراً.

والجزء الثالث مكتوب بخط نسخي جميل، وعدد أوراقه ١٣٢ ورقة، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة تسعة وعشرون سطراً، ومقاس المخطوط ٣٠ × ٢٠ سم.

أما الجزء الأول، وكذلك الجزء الرابع فلا وجود لهما، كما أنه لم يتوافر من المخطوط إلا نسخة واحدة من الجزء الثاني وهي نسخة الأمبروزيانا، ومن الجزء الثالث نسخة واحدة أيضاً وهي نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير. وقد بحثت في المراجع التي كتب أصحابها عن مصادر التاريخ الإسلامي في اليمن أملاً في الاستدلال على وجود نسخة أخرى من الأجزاء التي تحت يدي، أو أحد الأجزاء المفقودة، فلم أصل إلى شيء. وكان قد نقل إليّ أنه توجد نُسَخٌ من المخطوط في مكتبة الفاتيكان، وكذلك في مكتبة المتحف البريطاني، فكتبت إليهما. ولاقت رسائلي عنايةً واستجابةً من القائمين عليهما، لكن الرد كان أنه لا يوجد لديهما كتاب السيرة. كما سعيت للحصول على أي جزء من السيرة قد يكون في بعض المكتبات الخاصة بصنعاء وغيرها، لكني لم أخرج بطائل. وتفضل الدكتور حسين العمري مشكوراً بإحضار جزء من السيرة كان لديه؛ فاتضح أنه صورة عن نسخة الأمبروزيانا التي بحوزتي والتي اعتمدتها في التحقيق.

وتعود أهمية هذه المخطوطة إلى أنها تتناول تاريخ الأيوبيين في اليمن، لأن الإمام عبد الله بن حمزة هو الذي عاصر معظم ملوك الأيوبيين. ومن ثم فإن كتاب السيرة هذا يُعَدُّ المصدر الرئيسي لدراسة تاريخ الأيوبيين. وقد أشرتُ إلى هذا في دراستي عن المخطوط الآنفة

الذكر. كما تمت الإشارة إلى أهمية المعلومات التي وردت في الكتاب بالنسبة إلى المهتمين والمشتغلين بالآثار، والتاريخ، والجغرافية، ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن في العصور الوسطى.

ولما كان المخطوط نسخة وحيدة فقد تولد الكثير من المشاكل في أثناء عملية التحقيق، منها ما نشأ عن الأخطاء التي وقع فيها الناسخ أثناء النقل، ومنها سقوط بعض الكلمات أو الجمل التي يتعذر تصويب بعضها لعدم وجود نسخة ثانية لمراجعة النص عليها. كما تولدت بعض المشاكل أيضاً عن أسلوب الكتابة الذي كان سائداً آنذاك، خاصة فيما يتعلق بإهمال التنقيط، أو الإهمال الجزئي له كأن يقوم الناسخ بوضع النقط لبعض الحروف وإهمال الباقي في الكلمة الواحدة. فضلاً عن وجود العديد من الكلمات المطموسة أو التي امّحت أو امّحى بعضُ منها.

ومما زاد التحقيق صعوبةً وجودُ أعدادٍ ضخمة من القصائد الشعرية لكثير من الشعراء غير المعروفين، أو ممن لا تعرف لهم دواوين، ولم تهتم المصادر الأدبية بذكر نقول من أشعارهم. بالإضافة إلى استخدامهم ألفاظاً غير شائعة وتشبيهات غريبة.

أما أشعار الإمام عبد الله بن حمزة فقد استعنت في ضبطها بأربع نسخ مختلفة من ديوانه، ساعدت في ضبط كثير من الألفاظ؛ وإن كان من الملفت للنظر أن الأخطاء تكاد تكون متماثلة في النسخ الأربع.

وبالنسبة إلى جوانب التحقيق الأخرى، فإن المصادر التاريخية المختلفة لم تفد كثيراً في تحقيق الأحداث، هذه المصادر كانت متأخرة وملخصة لما في هذا المخطوط من أحداث ووقائع. ومن ثم فإن كتاب السيرة يكون أكثر نفعاً في تحقيق الكتب الأخرى لأنه يتناول تاريخ الفترة بإسهاب شديد، وتحديد أدق.

والجدير بالذكر أن معظم من قاموا بتحقيق المصادر التاريخية في تاريخ اليمن قد اعتمدوا على كتابات الهمداني وياقوت وبعض المصادر الأدبية في تحديدهم للمواقع الجغرافية. ومع أهمية تلك المصادر خاصة كتابات الهمداني، فإنها لم تحدد المواقع تحديداً دقيقاً. ومن ثم فقد قمت بالاستعانة بإحصائيات التعداد السكاني والتقسيمات الإدارية الصادرة عن الجهاز المركزي للتنظيم بالجمهورية العربية اليمنية في تحديد مواقع القرى وذلك بنسبتها إلى العزلة والناحية والقضاء. كما استفدت من الخرائط التي رسمت للجمهورية العربية اليمنية خاصة الخريطة مقاس ١ : ٥٠٠٠٠ في تحديد المسافة الطولية بين القرى والمدن وغيرها من المواقع الجغرافية؛ وكذا في تحديد مواقعها بالنسبة إلى خطوط الطول، وخطوط العرض.

وقد جرى تحقيق الأعلام الذين وردت أسماؤهم في هذه المخطوطة اعتماداً على كُتُب التراجم ومن أهمها: كتاب (الطبقات) ليحيى بن الحسين، وكتاب (تاريخ بني الوزير)، وكتاب (مطلع البدور). علماً بأن هذه الكتب الأخيرة إنما استقت مادتها من كتاب السيرة، فكانت توكيداً للمادة التي بين أيدينا.

وبعد فقد قضيت ما يقرب من خمس سنوات من العمل المتواصل الدؤوب في تحقيق هذا الكتاب. وأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ لإخراجه في صورة مفيدة للدارسين، وألتمسُ العُذْرَ عما يرد من هفوات لم يستقم لي وجه صواب فيها. فهذه مخطوطة وحيدة ومخاطر الاعتماد على نسخة واحدة في التحقيق يعرفها الذين عانوا هذا الفن.

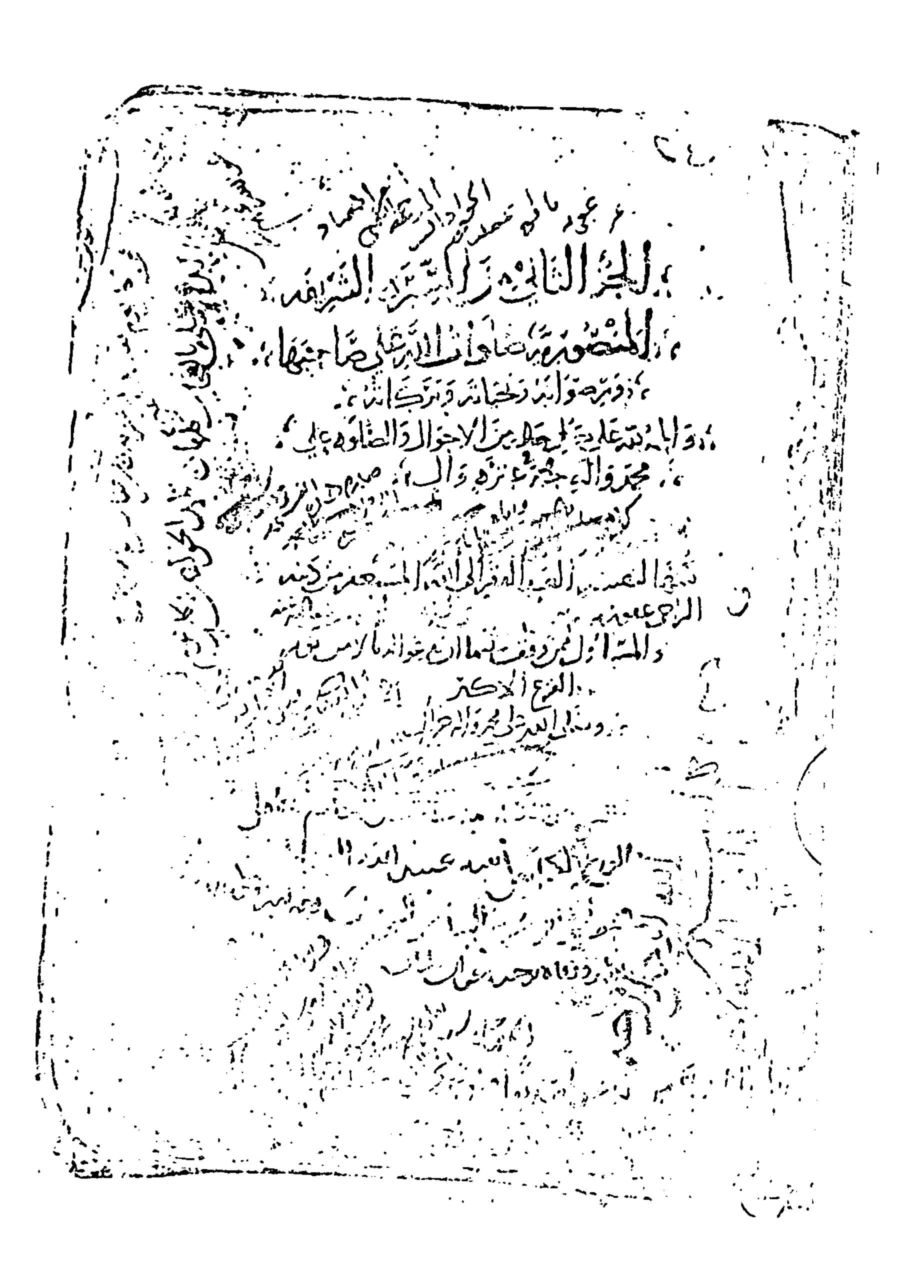
وفي هذا المقام أود أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان لكل من ساعد في إتمام هذا العمل، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور مزيد

نعيم، والأستاذ الدكتور فايز الداية، والدكتور إبراهيم عطا، والدكتور محمد عامر أحمد حسن من أعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء. والسيدين الفاضلين محمد المنصور، وعبد الرحمن علي الأمير من علماء اليمن وشعرائه. كما أخص بالشكر العميق الأستاذ محمود محمد الشويحي الموجه بالتعليم العام بمحافظة الدقهلية.

والله ولي التوفيق.

دكتور عبد الغني محمود عبد العاطي

صنعاء في ٢ مايو ١٩٩٠.



لوحة رقم (١)

غلاف الجزء الثاني

لوحة رقم (٢)

بداية الجزء الثاني

اخاذه والامير وردسار وعنايتهم في دخوله الى صنعا
وهو يومئذ المقدم على الغز في اخاذ الامام عليه السلام
وعلم وصول مكاتبات امرا الجند الذين هم باليمن وتهامة
الى الامام عليه السلام بالاستعطاف وصنوف الالطاف
مصرحين باعتقاد حقية الخلافة الشريفة والامامة المنصورة
العلوية المطهرة التمسك بالطاعة والانخراط في سلك الجماعة
وكان وردسار يومئذ [illegible] وتواترت اليه كتب الاجناد
يستدعونه ويزعجونه بالمبادرة الى صنعا ويعدونه بالتقدم
فيهم وان يكون زعيم امرهم والواسطة بينهم وبين الامام
عليه السلام ووعدوا من نفوسهم بالطاعة والخدمة والنصيحة
لامير المومنين عليه السلام فجاءت مكاتبته الحضرة متواترة
بسؤال الصفح والحيرة بما وقع للاجناد من انفسهم وان فرصة
العدو قد امكنت فعلم الامام عليه السلام انه [illegible]
وانه قد تام في نفسه امر لابد منه واظهر شدة الرغبة في
التقدم والكراهة للوقوف لما كان قد وقع على يديه من الكسر
ببيحان والجنات ونقض من امره وكسر اجنحته فراى الامام عليه
السلام مساعدته وامر له بحصان جواد واذن له والمراجعة من
[illegible] الكتاب [illegible] فرحا
عظيما وما كادوا [illegible] وكانوا قد منعوا مما [illegible]
ورتبوا عليه من الافعال القبيحة التي نشوا جميعا عليها واطردوا على
تركها وكانوا كالمفلت من العقال فلما عزموا على النهوض امر

وأما قوله هو بنفسه فلا يكلفه الله نفسه وما
نفسه بقليل فينظر في هذا الامر وصابه وزوبه نافيه
وتعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في
خبر طويل من اصلح سريرته اصلح الله علانيته ومن
عمل لاخرته كفاه الله امر دنياه هذه شهادة عالية
من صادق لا يكذب ينفعه قوله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ومن يتوكل على الله فهو حسبه فيا بقي
المطلوب بعد هذا اعلم ان من طلب الثواب قبل العمل
خالف حكم الباري عز وجل قال تعالى وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا فاذا ... الانسان ... اسبق
من الخالق الثواب ومن خون ... وما في باخر الاجزا
وقد طال الشرح وانتهى ذكر ... واشار اجابته
وحفظ صحابته والسلام

والحمد لله على كل حال ... الرحمن الرحيم
تم الجزء الثاني من السيرة الشريفة المنصورية صلوات الله
على صاحبها ورضوانه وبركاته وسلامه
وفرغ من نساختها يوم الاربعا ... من شهر رمضان
الكريم سنة ثلث واربعين وسبعماية غفر الله لكاتبها
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

... والحمد ... وصلى ... وسلم

لوحة رقم (٣)

نهاية الجزء الثاني

[illegible]

كتبه ... الى الجماعة من الهمامين ... يشكو الادلة من ... الاشراف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

من عبد الله المتوكل على الله امير المؤمنين ... الى ... من ... رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم اما بعد فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو الذي ... واياكم

حق ... واعاذنا واياكم من ... طاعته ... وبعد كتابنا هذا الى ... بن ...

... بالتوفيق في ... دار ... ان ... الانام ... في عاجل

... وارشدكم الى معالم الاسلام ... من الدين ... وسعدت ...

... بالتقوى ... ما ابرا ... الهامين ... بحاجة

لكم وزكاة يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ... عن اسنا ... خاتم

المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين ... ان الناس اليوم ...

... ان ... فاذا كان ... من ...

... العادي القائلين ان ... الدين ... واذا

... الله على ... من ... ما ...

... الآية ... في ... ولكم ... لزوم ...

... المتحننة التي ... اذا ... على البلوى

وجانب الاهوى ... اهل الدنيا ... الذي ...

[illegible]

والاثارات واستطال ... من ... المتبين في البلاد ...

الاعز ... ما ... هذه الليلة ...

في ... الله ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله المتوكل على الله امير المؤمنين الى كافة الاخوان ... سلام عليكم

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وعليه نتوكل وهو نعم الوكيل. الحمد لله على تظاهر آلائه، وحسن كلامه، وصلواته على محمد سيد أنبيائه، وعلى الأئمة الطاهرين من أبنائه، الهادين إلى[1] دينه، الدالين على منهاج رشده، وسلم عليه وعليهم تسليما كثيراً.

لما انتهى آخر الجزء الأول إلى قصة إسماعيل بن طغتكين[2] وقتله، وأسباب تعجيل نقمته من الله سبحانه - ابتدأت في هذا الجزء بذكر القصص والحوادث والحروب والمغازى وغير ذلك، وجعلت ذلك متصلا بتاريخ الجزء الأول الذي هو نصف شعبان من سنة ثمان وتسعين

(١) في الأصل (على).

(٢) الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، تولى الملك في ١٩ ذي القعدة سنة ٥٩٣ هـ / ٣ أكتوبر سنة ١١٩٧م. وكان فارسا شجاعا، ولكنه كان سيء السيرة والسياسة، فتآمر عليه جنده، وقتلوه في ١٨ رجب سنة ٥٩٨ هـ /١٣ ابريل سنة ١٢٠٢م. انظر، ابن الأثير الكامل في التاريخ، جـ ١٢، ص ١٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ ٢ ص ٥٢٤ - ٥٢٥؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، جـ ٢ ص ١٩ - ٢٠؛ العامري، غربال الزمان، ص ٤٨٥.

وخمسمائة. ومن الله أستمد الإعانة والتوفيق، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجهه؛ إنه قريب مجيب.

ذكر قصة شهاب[1] وإثبات طاعته وقدومه إلى الإمام عليه السلام:

وكان من أشد الغُزّ عداوةً له، وأظهرهم شقاقاً، وأبعدهم وفاقاً. فلما اختلف الجند باليمن بعد قتل إسماعيل أراد كل كبير منهم الأمر لنفسه، وفسدت الجند في جهته، ومال كل واحد منهم إلى من يهوى، فاضطربت عليه جنده الذين كانوا تحت يده بصنعاء. وتبين له مكرهم وما قد عزموا عليه في أمره، فخاف منهم على نفسه، وطالبوه بمال إسماعيل، وأرادوا هلاكه، فرحل بأولاده وماله من صنعاء إلى حصن عَضُدَان[2]، واحترز منهم على نفسه. وكان صاحب نظر ودهاء ومكيدة في أمر دنياه، معروفاً بذلك. وعلم أنه لا سلامة له إلا بالتزامه للإمام عليه السلام والتجائه إليه. وصحّت له مكاتبة أجناده للأمير وردسار[3] وعنايتهم في وصوله إلى

---

(١) الشهاب الجزري من كبار قادة الأيوبيين في اليمن، ولاه الملك المعز إسماعيل على صنعاء في شهر المحرم سنة ٥٩٤هـ.
وكان الشهاب الجزري من بين القلة القليلة من كبار القادة الذين ظلوا على ولائهم للمعز.

(٢) حصن في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ميل واحد. ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤ ص ١٢٩؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص ٤٥٧.

(٣) الأمير الكبير الأعز المختار ملك الأكراد مصطفى علم الدين وردسار بن بنامى الشاكاني.
هكذا جاء اسمه على المنارة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.
كان الأمير وردسار من كبار قادة الأيوبيين، وظل على ولائه للملك المعز إسماعيل إلى أن وقع الخلاف بينهما فانضم بقواته إلى صفوف الإمام عبدالله بن حمزة في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٩٨هـ. ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص ٧٨؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦؛ زبارة، أئمة اليمن، جـ ١ ص ١٢٣؛ الكبسي، اللطائف السنية، ص ٦٥؛ عبد الغني محمود، من رسائل الإمام عبدالله بن حمزة، ص ٣٣.

صنعاء، وهو يومئذ المتقدم على الغز في أجناد الإمام عليه السلام. وعلم وصول مكاتبات أمراء الجند الذين هم باليمن وتهامة إلى الإمام عليه السلام بالاستعطاف وصنوف الألطاف مُصَرِّحين باعتقاد صحة الخلافة النبوية، والإمامة المنصورية العلوية، مظهرين [1] التمسك بالطاعة والانخراط في سلك الجماعة. وكان وردسار يومئذ بقرية حوث[2]. وتواترت إليه كتب الأجناد يستدعونه ويزعجونه بالمبادرة إلى صنعاء، ويَعدونه بالتقدم فيهم، وأن يكون زعيم أمرهم، والواسطة بينهم وبين الإمام عليه السلام، ووعدوا من نفوسهم بالطاعة والخدمة والنصيحة لأمير المؤمنين عليه السلام. فجاءت مكاتبته إلى صعدة [3] متواترةً يسأل الفسح، ويخبر بما وعد الأجناد من أنفسهم، وأن فرصة العدو قد أمكنت، فعلم الإمام عليه السلام أنه غير متأخر عنهم، وأنه قد قام في نفسه أمر لا بد له منه، وأظهر شدة الرغبة في التقدم والكراهة للوقوف لما كان قد وقع

---

(١) في الأصل (المظهرين).

(٢) حوث بضم الحاء من بلاد حاشد وهي مركز ناحية حوث بقضاء خمر وتقع ما بين:

٥٥″ ١٣′ ١٦° شمالاً، ٥٤″ ٥٨′ ٤٣° شرقاً.

خريطة الجمهورية العربية اليمنية، مقاس ١ : ٥٠٠٠٠، قطعة 1643 D4 ؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ البكري، معجم ما استعجم، جـ ٢ ص ٤٧٤ ؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ٨٣.

(٣) صعدة بفتح وسكون، عاصمة لواء صعدة في شمال اليمن وتقع ما بين:

٤٥″ ٥٦′ ١٦° شمالاً،

٥٠″ ٤٥′ ٤٣° شرقاً.

The Yemen Arab Re public and Neighbouring Areas,1: 250000, Sheet 1;

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١١٦، ١٢٤؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤٦٧ ـ ٤٨٠.

على يديه من الكسرة بنجران [١] والجنات [٢] فَغَضًا من أمره وكسرا همته. فرأى الإمام عليه السلام مساعدته، وأمر له بحصان جواد. وأذن له ولمن أحب من الجند الذين معه بالتقدم إلى صنعاء، فلما وصلهم الكتاب فرحوا فرحاً عظيماً وما كادوا يصدّقون بذلك، وكانوا قد مُنعوا مما تعودوه وتربوا عليه من الأفعال القبيحة التي نشأوا جميعا عليها، واضطروا [٣] على تركها، وكانوا كالمفلت من العقال. فلما عزموا على النهوض أمر إلى أهل البلد ومن حضره من أهل المدرسة المنصورية هنالك فأثنى على الإمام عليه السلام، وبالغ في شكره، وأقسم الأيمان المؤكّدة المغلّظة ليجتهدَنَّ في خدمته ونصيحته، وتقريب الجند إلى طاعته.

وحدّثني الأمير الأَجَلّ صفيُّ الدين ذو الكفايتين محمد بن إبراهيم [٤] قال: لما وصل رسم الإمام عليه السلام بتولجهم إلى رأس

---

(١) نجران بفتح أوله وسكون ثانيه، تقع في الشمال الشرقي لمدينة صعدة، على بعد مائة كيلومتر تقريباً.

البكري، معجم ما استعجم، جـ ٤ ص ١٢٩٨؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) الجنات: قرية من عزلة عمران، قضاء عمران، محافظة صنعاء، على بعد ثلاثة كيلومترات شمال مدينة عمران، وتقع ما بين: ٥." ٤١' ١٥° شمالاً ٣٢" ٥٦' ٤٣° شرقاً.

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة، 1543 B4؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣١٨.

(٣) في الأصل (اطروا).

(٤) صفي الدين محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن محمد بن حسين بن حمزة بن أبي هاشم النفس الزكية. كان يعرف بناصر أمير المؤمنين لنصرته لابن عمه المنصور بالله عبدالله بن حمزة. وهو جد الأمراء بنى صفي الدين.

عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١٠٨؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٩٢؛ أحمد بن يحيى، الدر المنثور، ورقة ٨٧.

نقيل عجيب[1]، وكنت قد أمرت جماعة من الصاعيين[2] باللقاء إلى هنالك، فلما رآهم وردسار وأصحابه مقبلين إلينا أيقنوا بالهلاك والأخذ، وخافوا أن يكون قد أُريد بهم سوء، واضطربت أمورهم فآنسْتُهم وطيَّبْتُ نفوسهم حتى صدروا سالمين إلى صنعاء، مظهرين شكر الإمام عليه السلام. وكان وردسار أكثرهم شكرا واعترافا بصنيع الإمام فيهم. ويذكر ذلك في المشاهد الجامعة، وأفعاله للغز وإحسانه إليهم. فحُكي عنه أنه قال: آوانا لما التجأنا إليه. وحفظ أرواحنا من العرب، وركب راجلنا، وأمننا من سطوة إسماعيل. وقال: الذي صار إليَّ من إحسانه في مدة إقامتي في خدمته ما يزيد على عشرة آلاف دينار. وجاء كتابه في العشر الأواخر من شهر رمضان زاده الله شرفا من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة إلى صعده يذكر اتّفاقه بشهاب، وما وجد عنده من الرغبة في طاعة الإمام عليه السلام والدخول فيما يرضيه، وأنه يحب مواصلته ومكاتبته، وكان منقبضاً عن ذلك للإساءة المتقدمة، فجعل وردسار ذريعة إليه، وسأل وصول رجل من جهة الإمام عليه السلام ليأخذ بيعته، وتعلم طاعته، ويقع الأنس بوصوله. وتقدم وردسار إلى اليمن وحض على المبادرة بوصول من يصل، فبعث الإمام عليه السلام الشريف علي بن موسى العباسي العلوى[3]. وكان بينه وبين

---

(١) عَجِيب بفتح فكسر، بلدة شمال ريدة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ج ٦ ص١٥٨؛ زبارة، أئمة اليمن، جـ ١ ص ٧٩.
والنقيل بلغة أهل اليمن العقبة.
ياقوت معجم البلدان، جـ ٥ ص ٣٠٣.

(٢) بنو صاع، فخذ من فخوذ همدان.
عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٦٢. وبني صاع محلة في عزلة عيال منصور ناحية نهم قضاء صنعاء. التعداد السكاني التعاوني، صنعاء، جـ ١ ص ٢٢١.

(٣) سبق تكليف الشريف علي بن موسى لأخذ البيعة على الأمير حكو بن محمد الكردي سنة ٥٩٤هـ. ابن حاتم، السمط، ص ٤٦؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص =

شهاب ألفة ومعرفة متقدمة، وكتب عليه السلام إلى شهاب كتابا نسخته [1].

بسم الله الرحمن الرحيم. سلام عليك. فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولك الهداية في البداية والنهاية، والسعْي إلى أسعد غاية.

أمّا بعد! فإنّ نِعَمَ الله لا تُحصى كثرة، وقد قال الله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[2]. وإنَّ أجلَّها العقل الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار ويستخرج الغوامض، وينصب المكائد ويحترز منها. وقد خُصِصْتَ منه بالنصيب الأوفر والقِدْح المُعَلَّى، وقد صرفْتَهُ إلى أمر الدنيا ونسيتَ الدار الأخرى وما هو خير وأبقى. وقد أقالك الله العثرة مرة بعد أخرى، ونـرجو أن ذلك لخاتمة خير أرادها الله لك، ومصلحة علمها فيك. ولسنا نجعل ذلك من الاستدراج والإملاء. ولما جاءنا كتاب علم الدين وردسار بعثنا هذا الكتاب إليك ابتداءً منا [3]؛ لدعوتك فيه إلى الله سبحانه، فأَجِبْ داعيَ الله، فنحن الدعاة إليه، وعترة النبي صلّى الله عليه وآله، وورثةُ كتابه وخُزّان علمه، والوصلةُ بينه وبين خَلْقه، وبنا يفتح

= ٣٤٤. وينسب الأمراء العلويون إلى جدهم علي بن إدريس بن جعفر بن نعمة بن يوسف. . . . بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهم خمس بطون، الفليتيون والعماريون والجعافرة والمثامنة والنعميون.

عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١١٦.

(١) عن رسالتي الإمام إلى الأمير شهاب، انظر:

مجموع ٤٥، ورقة ٢٠ ـ ٢٢؛ عبد الغني محمود، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٣٤ ـ ٣٩.

(٢) سورة النحل، آية ١٦.

(٣) في الأصل (ابتدانا) والتصويب من مجموع ٤٥، ورقة ٢١؛ من رسائل الإمام عبدالله بن حمزة، ص ٣٤.

ويختم. وقد جفتنا هذه الأمة منذ قُبض النبى صلّى الله عليه إلّا القليل المُسْتَثْنى: ﴿ فريقاً منا كُذِّبوا وفريقاً قُتِلوا ﴾[١]. ﴿ وما نقموا منا إلا أن آمنا بالله العزيز الحميد ﴾[٢]. فقد أُبْئستْ نساؤنا بالثكل، وأولادنا باليتيم. ونحن مع ذلك لا نزداد لهذه الأمة إلا نصحا وبها رفقا، نخوض الغمرات؛ لتنجو من الغمرة، ونقتحم الهلكات؛ لتسلم من الهلكة. وقد أوصاهم بنا أبونا صلى الله عليه وآله، وكان ذلك ثابتاً[٣] فيما رويناه بالإسناد الموثوق به إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كنت آخذ البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على الصبر في البأساء والضراء وعند البأس، وعلى أن تستقيم ألسنتنا في الحق، لا تأخذنا في الله لومة لائم. وقال عليه السلام فلما تقوى الإسلام فيها قال: يا علي الحق فيها على أن تمنعوا رسول الله صلى الله عليه وذريته من بعده مما تمنعون[٤] منه نفوسكم وذراريكم. قال علي عليه السلام، فوضعْتُها من الله على رقاب[٥] القوم، وفى بها من وفى، وهلك من هلك. فليت أنهم لم يهلكونا فضلا عن أن يمنعونا. خلطناهم بأنفسنا تأنيساً لهم، فزادهم الأنس وحشة، وبقربنا فزادهم القرب بعدا. اقتدينا بآبائنا المرسلين الذين يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. ولسنا بجبارين ولا متكبرين، وقد جرت منك النصيحة لإسماعيل حتى كادت تؤدي إلى تلف النفس، فأنصح من نجاّك من شرّه وشرّ غيره. وهو الله الذي لا إله إلا هو ولا تزيد طاعة العباد في ملكه، ولا تنقص معصيتهم من سلطانه، فإن أطعت كان لك

---

(١) اقتباس من سورة المائدة، آية٧٠.

(٢) اقتباس من سورة البروج، آية ٨.

(٣) في الأصل (ثابت).

(٤) في الأصل (تمنعوا).

(٥) في الأصل (أرقاب).

ثواب من أطاع، وإن عصيت كان عليك عقاب من عصى. ولسنا نَعِدُكَ على الدين الدنيا إنما الجزاءُ ثوابُ الآخرة. وهو الجزاء الأوفى والدنيا تكون تبعا. ولنا عليك الطاعة لله ولنا، والصبر في البأساء والضراء بين أيدينا ما أطعنا الله، فإن عصينا فلا طاعة لنا في أعناقكم. وعلينا النصيحة والهداية والمواساة والرفق وحسن الدعاء، والحكم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾[1]. ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[2]. وقد أودعنا الشريف علي بن موسى مطالعةً أصحبناها إياه تحقيقها شفاها، وكنا على عجل فلا يتأخر عنا الجواب. وطيب نفسك بما عندنا فإنها مغارس طيبة، وحجور طاهرة، وأصول كريمة، وأحساب صميمة وأزواج. محمد جدى وعلى أبي وفاطمة أمي. لئن أقبلت إلى الله ونصرة رسول الله لنجعلنك الشعار دون الدثار. فانظر لنفسك والسلام.

ولما وصل الشريف علي بن موسى إلى صنعاء تلقّاه بالإنصاف والإكرام، وحضر عدلان بن خضر[3] وهشام الكردي[4] وهما من كبار الجند وخواص أصحاب شهاب. وقُرىء كتاب الإمام عليه السلام،

---

(١) سورة الشعراء، آية ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠. وفي الأصل (وما سألتكم عليه من أجر إن أجري على رب العالمين).

(٢) سورة هود، آية ٨٨.

(٣) كان عدلان بن خضر والياً للمعز على الجنات.
عبد الغني محمود، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٢٢، ح ١١٩ ص ٦٣.

(٤) في سنة ٥٩٤ هـ خالف الأمير هشام على الملك المعز وانضم ومعه ثلاثون فارساً إلى الإمام عبد الله بن حمزة. الشرفي، اللالى المضية، جـ ٢، ص ٢٥٦؛ ابن حاتم، السمط، ص ٤٨.

ووقعت المفاوضة بينهم، وأظهروا الطاعة وأقسموا عليها الأيمان المؤكدة، وما ناموا ليلتهم حتى أبرموا أمرهم واجتمع رأيهم على تنفيذه على إثره آخر ليلته. وأجاب شهاب جواباً شافياً بما قد عزم عليه من بذل الروح، ونفاق الأموال، والجهاد في سبيل الله بين يدي الإمام عليه السلام، ويحض على المبادرة واغتنام الفرصة. فوصل الشريف علي بن موسى مستنهضاً له عليه السلام، وموضحاً ما شاهده عندهم من الرغبة والضرورة إلى الاتصال به والالتزام بسببه. وكان الإمام عليه السلام قد كتب إلى الأميرين السيدين شيخي آل الرسول يحيى[1] ومحمد ابن أحمد[2] وانتظر وصولهما إلى صعدة للمشورة في هذا الأمر والتبرك برأيهما، فتثبطا ووقعت عوائق عن مبادرتهما، وظهر مستعيناً بالله متوجهاً إلى الظاهر[3]. ولما تأخر العلم عن الأمير الشهاب أمر

(١) يحيى بن أحمد بن يحيى بن الناصر... ابن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. ولاه الإمام على شام بلاد خولان وبني جماعة والأهنوم. توفي بهجرة قطابر سنة ٦٠٦ هـ.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤، ص ٣٣٧؛ ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٦، حميد المحلى، الحدائق الوردية، جـ ٢، ص ١٩٥؛ الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ٧٢.

(٢) الأمير بدر الدين محمد بن أحمد، تولى بلاد نجران. توفي في شهر رجب سنة ٦٢٤ هـ. ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤، ص ١٢٢؛ حميد المحلى، الحدائق الوردية، جـ ٢، ص ١٩٥؛ الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ٧٦؛ ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٧.

(٣) تطلق كلمة الظاهر على كل ما ارتفع من البلدان، والمقصود هنا هو ظاهر بلاد همدان.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣، ص ٥٦٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، جـ ١ ج ١، ص ٢٩١.

الشريف قتيب بن أحمد[1] العلوي فحلف له الأيمان المؤكدة المغلظة وأمره بالقدوم إلى الإمام عليه السلام لاستنهاضه، وحضه على المبادرة بالوصول، وكتب معه كتاباً بخطّه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. سلام الله وتحياته على البضعة النبوية الإمامية العلوية.

أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنه لما وصلني كتابك على يد الشريف علي بن موسى أجبت الأمر على يده، ورأيت تجديد المكاتبة على يد الشريف قتيب بن أحمد، أحقق لك إخلاص نيتي ومحبتي وولايتي، وأن الله تعالى ما نجاني من كبار نقماته إلا لما علم من نيتي وخصني به لنصرة عترة نبيه صلى الله عليه وآله. وإني قد اخترت ذلك لما ألهمني الله له في الليل والنهار، فلا تظن أني أريد بذلك عرضاً في الدنيا؛ وإنما أطلب بذلك الآخرة والدنيا، وأبذل روحي في رضاء الله ورسوله. فَثِقْ بما عندي. فقد حلفْتُ للشريف قتيب الأيمان المغلظة البالغة المؤكدة أني إن قمت ما[2] انثنيت عن الجهاد دونك حتى تبلغني إليه أقصى الغاية. فقد صار عليك فريضة القيام لما وجدت الأنصار، فاستخر الله وتوكل عليه. وإن عجزت عن هذا الأمر فدلنا على من نقتدي به من أهل بيت رسول الله ـ فلا عذرت من الجهاد وبذل روحي في نصرتهم ـ إلى أن يقضي الله ما أراد. وبعد الاجتماع بك أحرم الحرام، وأقيم الأحكام، وأقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن شاء الله،

---

(١) ذكره المؤلف مرة باسم قتيب بن أحمد ومرة أخرى باسم قتيب بن حميد. والصواب هو قتيب بن أحمد.

عبد الغني محمود، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٣٦.

(٢) في الأصل (ان).

والأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى. فأجاب عليه السلام بجواب نسخته.

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولك التوفيق والهدي.

أما بعد فإن كتابك وصل إلينا مصدراً من العمشية[1] على يد الشريف قتيب بن أحمد مؤكداً لما قد تقدم صحبة الشريف علي بن موسى فنظرنا فيه، وتدبرنا معانيه، فإذا هو كتاب رجل رحض الله قلبه من دنف الزيغ والردي، وعمره بأنواع الحكمة والهدى. وليس نعجب أن يهديك الله ويمسح بيده على ناصيتك، لتعضيدك[2] عترة نبيك صلوات الله عليه وعليهم أجمعين. فقد فعل ذلك بمن ألحد في أسمائه واتخذ إلهاً غيره، فكيف بك وقد وقع صحة ما جاء في كتابك. وقد بعثنا إليك رجلاً منا كأنفسنا لا كليل الحد ولا عاثر الجد، يقدم عزماً ويحجم حزماً، الأمير صفي الدين خليل أمير المؤمنين، ذو الكفايتين محمد بن إبراهيم الحمزي الحسني أيده الله ليرفع عن قلبك ريب الإشكال في أمرنا، فتحقق ما يلقيه إليك مما عندنا. فإن تكن كما وعدت من نفسك، فانظم عند وصوله إليك أنصارنا، وأظهر شعارنا، وأقم الخطبة والأذان، ﴿وأْمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[3] فنحن الشجرة الزيتونة المباركة الطيبة، والعترة الزاكية

---

(١) العمشية بفتح أوله وثانيه وكسر ثالثه وتشديد الياء، قرية وعزلة ناحية حرف سفيان. التعداد السكاني التعاوني، صنعاء جـ ٢، ص ٢٦٨؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٧٢.

ويقع وادي العمشية جنوب صعدة بمسافة ٤٠ كم تقريباً.

Yemen, 1: 250000, Sheet 1.

(٢) في الأصل (وتعضيدك).

(٣) سورة لقمان، آية ١٧.

الطاهرة، وورثة الكتاب، وأعلم الناس بالخطأ والصواب. وبنا فتح الله تعالى وختم، ونقض جلّ وعلا وأبرم. ولنا على الأمة حق ضَيَّعته، ولها علينا حق حفظناه. وشتان بين المضيع والحافظ، والعاقد والناقض. وليس يبطل حقنا بُعْد الناس عنا وقد قال تعالى: ﴿ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾[1]. وليس مع الخير وحشة، ولا في الباطل أسوة. ونحن على موعد من ربنا ولن يخلف الله وعده. ﴿ونريد أن نمن على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[2]. ولن نترك الحق وله أرباب، ولن نترك الباطل وله أصحاب. فكن كما وعدت من أرباب الحق، ولا تكن من أصحاب الباطل؛ فإن لآل محمد سلام الله عليه وعليهم كنوزاً ليست كنوز[3] ذهب ولا فضة، بل رجال شداد على جرد جياد، وأنت - إن شاء الله - قائدها وناظمها وبدؤها وتمامها. وأي ثواب تستحق، وأي رب تستعين، بأفضل مطلب وأربح مكتسب؛ الجهاد في سبيل الله بين يدي عترة رسول الله صلّى الله عليه في مواطنَ قيامُ الرجل فيها في الصف يعدل عبادة ستين سنة. يقوم الرجل فيها فلا يَفْتُر، ويصوم نهاره فلا يُفطر تحت راية ما خفقت على رأس رجل مسلم فدخل النار، ولك مع ذلك ثواب من اتبعك؛ وإنما قوة الربح على قدر قوة رأس المال، والوضيعة كذلك، ونعوذ بالله لك من ذلك. فشمر عن ساق الجد وحم حموم الغد في نصح أهل بيت نبيك صلى الله عليه وعلى آله الطيبين. في الحديث المَرْويِّ عن رسول الله صلى الله

---

(١) سورة هود، آية ٤٠.

(٢) سورة القصص، الآيتان ٥، ٦.

(٣) في الأصل (لاكنوز).

عليه وآله أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ [من قبل العرش][1] ألا لا يجوزن أحد إلا بجواز، فيقال ما ذلك الجواز؟ فيقال حب أهل البيت المستضعفين في الأرض، المغلوبين على حقهم. فمن لقيني بحبهم أسكنته جنتي، ومن لقيني ببغضهم أنزلته مع أهل النفاق. فقم بما وعدت من نفسك عند وصول صفي الدين لتُغني المشاهدة عن الخبر، ولا تطلب بعد العين أثراً في رفع المنكرات وإهراق المسكرات وتقويم المايل، وحبس المفسد والفواسد والتأذين بأذان رسول الله صلى الله عليه والخطبة له ولأهل بيته، والوصول صحبة المذكور ليقع من المراجعة ما يشفي غليل الصدور ويوضح ملتبسات الأمور، فعند ذلك لا يبقى سحر إلا بطل، ولا قرن إلا نصل. ويرجع الأمر إلى مستقره من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، وأنت سببه؛ فلك أجره. فأما الدنيا فهي تتبع تبوع الظل راغمة، والدار الآخر ةهي دار القرار فانظر في ذلك.

وأمر عليه السلام بهذا الكتاب الأمير صفي الدين وحضه على التقدم إلى صنعاء، فبادر إلى امتثال الأمر، ونهض فيمن حضره من أصحابه في اليوم السابع من شوال من سنة ثمان وتسعين. ووصل الإمام عليه السلام في اليوم الثامن إلى حوث، وحكى الأمير بعد عودته من صنعاء قال: لما وصلنا إلى القرب من المدينة بلغ إلينا الخبر باختلاف وقع بين شهاب وبين الجند ومشاجرة، وأنهم طلبوا منه مالاً، واضطربت أحواله عليهم بالمدينة، وأشار بعض من حضر من أصحابه بالرجوع على الأثر، وترك الإقدام على الخطر. قال: فلم أساعد،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة. انظر، عبد الغني محمود، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٣٧.

وقدمنا متوكلين على الله، وعلم شهاب بقدومنا فتلقانا في طائفة من الجند إلى ساحة البلد، وبالغ في إنصافنا وإكرامنا، وأظهر المسرة بقدومنا وأنزلنا في داره، وأمر بأصناف المطعومات وأنواع الكرامات. وكان الجند يأتون في الخدمة بكرة وعشية مدة الإقامة. واستأنس بوصولي إليه، واستبشر بنيل مراده، ووقعت المفاوضة في القدوم إلى الإمام عليه السلام، فعزم على ذلك، واختار ممن يختص به من الغز أربعين فارساً، وركب وركبنا، وسقنا حتى أتينا الجنات، ولم يصل إلينا علم من الإمام عليه السلام، وكان شديد الحرص على الاتفاق معه[1] والرجوع خوف اختلال الأمر بعده. فبعث في الحال عدلان في ليلة مطارة مع الأمير شجاع الدين جعفر بن الحسين الحمزي[2] لإزعاج الإمام عليه السلام واللقاء إلى حيث يجب حتى أصبحا بأثافت[3] وعلم بقدومهما وهو بحوث فأمرهما باللقاءإلى مشوط[4].

---

(١) في الأصل (به).

(٢) ينسب الحمزيون إلى حمزة بن أبي هاشم، واسمه الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ترجمان الدين... بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١٠٤؛ أحمد بن يحيى، الدر المنثور، ورقة ٨٦.

(٣) أثافت بضم الهمزة وكسر الفاء، وذكرها البعض بفتح الهمزة. بلدة بالقرب من دماج شرقي خمر.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١١٤ ـ ١١٥؛ البكري، معجم ما استعجم، جـ ١، ص ١٠٥؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ١، ص ٨٩؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٤) مشوط من بلاد بني مالك بالقرب من دماج. يقول القاضي إسماعيل الأكوع أن نجد مشوط بالقرب من بيت زود من خارف.

انظر، زبارة، أئمة اليمن، جـ ١، ص ١٣٠.

وأتـى الأمير عماد الدين[1] من ثـلا[2] واتفق الجـميع هـنالك في تـلك الليلة وأجـمع رأيهـم على اللقاء إلى بيت مساك[3] لتوسطه بين البـون[4] والظاهـر. وكـان صاحـبـه السلطان بشر بن علي بن محـمـد[5] الذعـفاني[6] حـاضراً فأحـبّ ذلك ورغب فيه. فلمـا أصبح قَدَّم الإمام

---

(١) الأميـر عمـاد الدين يحيى بن حـمزة أخـو الإمام عبد الله وقـائد معـظم حـملاته، ولاه الإمام مـا يـلي ظاهـر بني صـريم إلى الطرف. توفي سنة ٦٣٦ هـ.
حـميد المحـلي، الحـدائق الوردية، جـ٢، ص ١٩٥؛ ابن مظفر، الترجـمان، روقة ٨٦؛ يحيى بن الحسين غاية الأماني، جـ١، ص ٤٢٤.

(٢) ثلا بالضـم على ارتفـاع ٢٤٠٠ مـتر، على مسافة عشرة كيلومتـرات جنوب غرب مدينة عمـران وتقـع ما بين:
٣٢″ ٣٩′ ١٥° شمالاً،
٠٤″ ٥٤′ ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعـة 1543 B 4.
الويسي، اليمن الكبرى، ص ٦٥.

(٣) مساك هـي ساك، قريـة من عزلة خـميس أبو ذيبة، ناحـية خـارف، قـضاء خـمر على بعد ثمانية كيلومتـرات شرقي ريـدة وتقـع ما بين:
٤٠″ ٤٨′ ١٥° شمالاً،
١٠″ ٠٧′ ٥٥° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعـة 1544 A 1.
التقسيمات الإدارية لعـام ١٩٨٥؛ الهـمداني، صفـة جـزيرة العرب، ص ١٥٨.

(٤) البـون حـقل واسع، وينقسم إلى: البون الأعـلى ومن قَـراه قـاعة وقـارن، والبون الأسفل ومن قَـراه ريـدة. والبون الأسفـل هـو المقصود في هـذا النص.
الحجـري، مجـموع بـلدان اليمن، جـ١، ص ١٣٠؛ ابن الديبـع، قرة العيون، جـ١، ج ١، ص ٢٢٩.

(٥) في الأصـل (بن حـاتم) وقد صحح المؤلف الاسم بعد ذلك.

(٦) ذعـفان من قـبائل أرحـب.
الهـمداني، صـفة جزيرة العرب، ص ٣٦٥.

عليه السلام لعدلان حصاناً وخلعة، وركب فيمن حضر إلى بيت مساك.

ذكر قدومه عليه السلام إلى بيت مساك في لقاء الأمير شهاب الدين لثماني عشرة ليلة خلت من شوال من سنة ثمان وتسعين ولبوثه به عشرين يوماً:

وكانت الخيل التي[1] حضرت اللقاء وبعده مائة وخمسين، والرجل تَزيد على الألف قليلاً أو تنقص قليلاً. وكان يريد اللقاء في عسكر كثير فلم يتمكن من جمعه مع عجلة شهاب، فوصل عليه السلام إلى الحصن عشاء وقد حط شهاب في قاع البون، بحيث ترى محطته من الحصن، فأمسى بها. فلما كان وقت السحر أمر هشاماً الكردي بثياب شريفة قدمها إلى الإمام عليه السلام، وسأل الفسح له بالقدوم إليه، فقبل ذلك منه، وأذن له ولمن معه فركب ومن معه عند طلوع الشمس حتى أتى أسفل العقبة، ونزل يمشي راجلاً إجلالاً وتعظيماً للخلافة، واعترافاً بمقام الإمامة، وأظهر للناس التزامه بحبل الطاعة. وقد برز الإمام عليه السلام في لقائه، فقدم شهاب آخذاً بيد الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم فاستقام في صف المقابلة، وتقدم أصحابه واحداً بعد واحد للسلام حتى انقصى آخرهم، وتقدم فسلم وأحفى في السؤال، وحمد الله تعالى على جمع الشمل والألفة بعد المنافرة. وسأل الخلوة ورفع الحوائج كلها حتى يقضي حوائجه، فرفعت الحوائج عنهما، وأعطى الإمام سره وباطن أمره، وحلف على المصحف اليمين البالغة المغلظة على الطاعة والاجتهاد في الخدمة والنصيحة في السر والعلانية. وأمر لأصحابه فحضروا، فسأل عن مسائل كثيرة،

---

(١) في الأصل (الذي).

ومـا أفحـش في السؤال ولا قَصّر في الجـدال، وله معرفة بالأخـبار والسِيَر والآثـار. ومن جـملة ما سأل عنه، ما الحـجة في تقديم علي عليه السلام على سـائر الصحـابة؟ وفي إطـلاق السب عليهم؟ وعن فرقـة من الشيعة يعتمـدون على التيمم مع وجـود الماء وهـم الحسينية[1]. فأجـابه الإمام عليه السلام عن[2] كـل مسألة وأوضح الحـجة وبيّن أبـلغ البيـان وأنه لا يجـوز إطـلاق السب على الصحـابة، وذكر مناقبهـم، وسبقهـم إلى الإسلام، وجهـادهم واجتهـادهم في إقـامة الـدين مع ما يتخـلل ذلك من الوعـظ والتذكير بالله وتحـذير عقـابه، والترغيب في ثـوابه حـتى لقد أظهـر بعضهـم الخـشوع، وسـالت من أعينهـم الـدموع، وطـابت نفوسهـم في أمر الصحـابة رضي الله عنهم واعترفوا بأنه الإمام الـذي[3] تجـب طاعـته على المسلمين، وكـفّروا إسماعيل في دعـوى الخـلافة. واعتـرف شهـاب بالمروق عن الدين، ومد يـده للبيعة فبايـع، وأقسم بالله تعالـى: لقـد بـايعت أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب عليه السلام في منـامي كمـا بـايعتك في يـقظتي. وقـال لي وذكر كلاماً ذهـب عني، ثـم بـايع الجـند عن آخـرهم وأكـد شهـاب بحضرتهـم يميناً على المصحـف على القيام والجهـاد والنصيحـة، يـريد بـذلك كـله تطييب نفس الإمام. فـلما انقـضى ذلك المجـلس سأل صـدور رجـل من خـواصه ممن يـقوم بالأمر

---

(١) الحسينية إحـدى فرق الزيدية، وهم أصحـاب الإمـام الحسين بن القاسم العياني. كانوا يعتقدون أن الإمام الحسين أفضل من رسول الله؛ وأن كلامـه أبهـر من القرآن. ومن مذاهـبهم في الفروع صحـة التيمم مع وجـود الماء، كما يعتقدون بأن الإمام الحسين بن القاسم لم يقتل وأنه لا بد أن يظهر قبل موته إذ هـو المهدي المنتظر.
الهادي بن إبراهيم، تـاريخ بني الوزير، ورقة ٨٨، ٩٣؛ يحيى بن الحسين، طبقات الزيـدية، ورقة ٥٨. نشوان، الحـور العين، ص ٢٠٨، ٢١١.

(٢) في الأصل (من).

(٣) في الأصل (التي).

في صنعاء، وينفذ فيها الأحكام، ويقيم الجمعة، ويظهر الأَمْر بالمعروف والنْهيَ عن المنكر. ولم يكن يطمع في تقدم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، ولا يظن أن الإمام عليه السلام يساعده إلى ذلك. وعلم أن أحداً لا يقوم مقامه بهذا الأمر، فأمره بالتأهب للنهوض، فقبل الأمر بالطاعة والامتثال مع ارتكاب الخطر والإقدام عليه. وأنشئت الكتب إلى جهات اليمن وبلاد بني حبيش[1] بإظهار طاعة شهاب وكونه من الجملة لئلا يعرض له[2] أحد بسوء حيثما توجه. وتقدم الأمير عماد الدين آخر ذلك اليوم وتأخر عنه أصحابه وخواصه خشية على نفوسهم، وما صحبه سوى الشريف محمد بن حاتم العباسي[3]. وحدثني الشريف غانم بن علي بن حميد العباسي قال: ولما وصل الأمير عماد الدين إلى صنعاء، خرج الجند في لقائه وخلق كثير من أهلها، وما أحد منهم مصدق شهاباً[4] ولا وصول الأمير عماد الدين، فأعلنوا الدعاء لشهاب بالنصر على جاري العادة، فزجرهم وقال: ادعوا لأمير المؤمنين بالنصر، فتبغبغوا ولم يقدروا، ولم تنطلق ألسنتهم بذلك إلا بعد حين لما يعلمون من الكراهية المتقدمة، وما جرى عليهم منه من العقاب والمصايب والحبس في محبة الإمام عليه السلام وما أحد منهم يقدر على إظهار

---

(١) بنو حبيش بضم الحاء، ناحية من قضاء المخادر، في الشمال الغربي لمحافظة إب.
التعداد السكاني التعاوني، إب جـ٢، ص ٣٩١ ـ ٤٣٠؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٦٥.

(٢) في الأصل (يعرضه).

(٣) ينسب الأمراء العباسيون إلى العباس بن علي بن أبي طالب.
عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١١١؛ أحمد بن يحيى، الدر المنثور، ورقة ٨٨.

(٤) في الأصل (شهاب).

السلام على الأمير عماد الدين. ولما نزل بدار شهاب عَظَّمَ حاله، وأكرم مكانه، فما كان أحد من أهل صنعاء يحضر مجلسه إلا أن يكون متكتماً من شدة الخوف، فقابله في أمرهم وإيناسهم لما يظهر بذلك من اجتماع الكلمة، ففعل ذلك فأنسوا بعض الأنس. وحضرت صلاة الجمعة، فأمر إلى عدنان أن يشعر الناس حضور الصلاة والشدة على من تأخر عنها، وكان ذلك بحضور جماعة منهم ليكون عذراً لهم. فأمر عدنان منادياً في الأسواق والمجامع بأن من تأخر عن الصلاة لحقته الشدة، فاجتمع خلق كثير، وصعد الأمير المنبر ولا مؤذن معه.

وَحَدَّثني الشريف غانم بن علي العبّاسي قال: وكان جماعة من أهل صنعاء قد استأجروا رجلا يؤذن في ذلك اليوم بأربعة دنانير، فلم يقدم خوفاً على نفسه من الغز فقمت فأذنت. ولقد رأيت قاضيهم يسد أذنيه ويستغفر الله عند ذكر (حي على خير العمل). ولقد كان الناس يتوقعون ما يحدث عليَّ من الغز فدفع الله شرهم. ولما قُضيت الصلاة، صعد الأمير المنبر فوعظ الناس وعظا بليغا، وذكّرهم بالله سبحانه بما يشفى صدور المؤمنين، وذكر لهم طاعة الأمير شهاب الدين، وما فتح الله به عليه من الإقبال والطاعة للإمام عليه السلام، وأنه قد بايعه، وأعطى الله عهدا وميثاقا على الطاعة والاستقامة، والجهاد في سبيل الله بين يديه، والنصيحة في السر والعلانية، وأن الأمر قد صار واحدا في رضا الله تعالى. قال الشريف: وانتشر بعد ذلك وخرجت في أثنائهم ومحمد بن موسى الكردي الأرقشي يرصدني وقد امتلأ عليّ غيظا، فلما خرجت من المسجد جذب سيفه ليضربني به فدخلت في غمار الناس [١]، فدفعوا في صدره وحالوا بينه

---

(١) دخل في غمار الناس، أي فيما يواريه ويستره منهم حتى لا يبين. وهو من الأمثال التي يغلط فيها، وصحته: دخل في خمار الناس. ابن عاصم، الفاخر، ص ٢٤٦.

وبيني بعنف وشدة. وهو من كبار الغز وكان شديد البغضة والكراهة للإمام عليه السلام ومن ينسب إليه فكفى الله شره. ولبث الأمير عماد الدين في صنعاء أياما [1] أصلح فيها من الأمور ما أمكنه وشد على أهل الفساد بجهيده. وأتى كتابه إلى الإمام عليه السلام يحكي فيه تفصيل أخبار هذه المدة ويطلب قاضيا من قبله يقيم الجمعة ويقضي بين الناس، ويزيل الفساد، ويقيم الحدود على مستحقيها، ويذكر قدومه في العسكر متوجها إلى اليمن لأربع وعشرين ليلة خلت من شوال وسأل المبادرة بالقاضي. وكان القاضي مفرح بن مسعود [2] حاضرا، ولم ير أصلح منه لذلك في الحال، فولاه القضاء، وأمره بتقوى الله تعالى والعمل بمقتضى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله. وبعثه إلى صنعاء قاضيا بين الناس، وكتب معه إلى عدلان يأمره بتقريب الغز وإدنائهم لما يحكم به قاضيه، والشدة معه حتى يمضي حكم الله تعالى على القوى للضعيف. وكان قد وعد من نفسه بذلك فوفّى بما وعد ربه. ولما وصل إليه القاضي رفع منزلته وعظم حالته، فقام معه وشد على الغز وغيرهم. فأقام القاضي مفرح بن مسعود الجُمَع، وأزال ظاهر الفساد والبدع، وأقام الحد على شرب الخمر بعد إهراق ما وجد منه حتى أنه حد أربعين في أيام قليلة ممن شرب الخمر. وحبس الفواسد من النساء الموقفات لذلك، وزوج طائفة منهن. وأزال معظم المنكرات، وهابه أهل الفساد، وأنفذ الأحكام على الغز وغيرهم بقوة عزمه وصدق نيته. وأتى العلم منه بذلك إلى بيت مساك، فشكر الإمام عليه السلام سعيه ودعا له. وفي مدة الإقامة هنالك كان عليه السلام يهبط إلى

---

(١) في الأصل (أيام).

(٢) ترجم له يحيى بن الحسين فوصفه بأنه الفقيه العلامة قاضي الشريعة المطهرة بمدينة صنعاء.

يحيى بن الحسين، طبقات الزيدية، ورقه ٧٠.

رَيْدة [1] في كل جمعة للصلاة في جامعها، وقد صارت خربةً لاستمرار دول الظلم عليها، فيلقاه ناس ضعاف مساكين من أهلها، ما على أكثرهم ما يغطّي عورته من شدة الفقر، وهم يدعون إلى الله تعالى بنصره وعلو أمره ليشملهم عدله. فأما سائر البلاد التي ظهرت عليها يد الظلم مثل البون والخشب [2] ومخلاف الحدا [3] والشرف [4] متصلة هذه البلاد بجبل حضور [5]، فإن قراها قد خلت من أهلها وتعطلت من سكانها، وما بقي في الأكثر منها زرع ولا ضرع إلا التافه اليسير، بخلاف ما عليه أهل البلاد

---

(١) ريدة بفتح الراء وسكون الياء بالدال المهملة المفتوحة، قرية وناحية في قضاء عمران وتقع ما بين: ٠٨″ ٤٩′ ١٥° شمالا،
٣٤″ ١٠٢′ ٤٤° شرقا.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة، 1544 A1. الهمداني، الإكليل، جـ ٨ ص ١٦٥، ١٦٦؛ البكري، معجم ما استعجم، جـ ٢ ص ٦٨٨؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٦٤؛ التعداد السكاني التعاوني، صنعاء جـ ٢ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٣.

(٢) الخشب وطن من أرحب في ظاهر همدان شرقي ريدة، ومن قراه يناعه وقارن. الهمداني، الإكليل، جـ ٨ ح ٤٩ ص ١٦٦؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٩٥.

(٣) الحدا ناحية تابعة لقضاء ذمار، تقع في الجنوب الشرقي من صنعاء. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٤٦.

(٤) الشرف اسم مشترك لعدد من البلدان اليمنية، أشهرها منطقة شرف حجة، وهي منطقة واسعة يتبعها الكثير من الجهات، كما أنها أحد قضاءات محافظة حجة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٦، ١٢٧؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٤١؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٦٠.

(٥) حضور جبل شامخ غربي صنعاء بمسافة ١٨ كم، وهو أعلى جبل باليمن، ويرتفع عن سطح البحر ٣٦٦٦ مترا.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ١١٨ ـ ١١٩، جـ ٢ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٣٥؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543 B4.

التي استحكم أمر الإمام عليه السلام عليها فإن بها من العمارة وعند أهلها من الخير ما هو بالضد من ذلك. ولقد كان في ابتداء الدولة المنصورية قاع واسع يسمى بهمان [1] في ظاهر همدان لا زرع فيه جملة، فصار عابر السبيل لا يجد عنها مذهبا يمينا ولا شمالا إلا في زرع أو حرث، والأطيان التي في حوث ضوعفت أثمانها أضعافا. وفي الجوف [2] وصعدة من الخير ما يستغرق الوصف. ولما صلى الإمام عليه السلام الجمعة بجامع ريدة، ذكر بعض من حضر أنها ما أقيمت به من وقت الناصر بن الهادي إلى الحق عليه السلام. وعاد إلى بيت مساك، فأمر الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم الحمزي بالإقامة في ريدة في خيل ورجال للشدة على المفسدين وقطاع السبل من بني صاع وغيرهم، ففعل ذلك وأمنت السبل ما بين صنعاء والظاهر، وانسلك الناس واستبشروا بظهور العدل. وقد مر الفقيه محمد بن سليمان العنسي في جماعة من أصحابه من نهج تهامة من موضع يسمى الجوفين من جوار الكدراء [3]. وأصلهم من جهران [4]، وهم زيدية، فأمسوا عند الأمير صفي الدين ليلة الجمعة. وهبط الإمام عليه

---

(١) قاع بهمان يقع إلى الجنوب من حوث.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢١، ح ٦ نفس الصفحة.

(٢) الجوف منهفق من الأرض بين جبل نهم الشمالي وأوبن الجنوبي. وينقسم إلى قسمين: الجوف الأعلى والجوف الأسفل. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤ ـ ١٥٥؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ٨٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ١٩٥ ـ ٢٠١.

(٣) الكدراء: مدينة خاربة في تهامة، وتقع على وادي سهام ما بين المراوعة والمنصورية. الحجري، مجموع بلدان اليمن حـ ٤ ص ٦٣٦، ص ٦٦٤؛ ابن الديبع، قرة العيون، جـ ١ ص ٣٢٥ ح ٢.

(٤) ناحية جهران شرقي بلاد آنس، محافظة ذمار.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة ذمار، جـ ٢ ص ١٤٨ ـ ٤٢١؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٩٦.

السلام من بيت مساك إلى ريدة للصلاة، فركب الأمير في لقائه والفقهاء بين يديه، فصلى بالناس صلاة الجمعة، وركب وأمر الفقهاء بالتقدم معه إلى بيت مساك فأُنزلوا في دار وأُكرموا، فلما أصبح حضروا مجلسه عليه السلام، فسألهم عن الحال واستحفاهم في الأخبار فذكروا ما لحقهم في وجوههم ذلك وما قاسوه من انقطاع الطرق والخوف بعد قتل السلطان إسماعيل وتشوش البلاد، وأن أهل تهامه متطلعون مستبشرون بملك الإمام عليه السلام لها واستظهاره عليها، وشمول عدله فيها، وما لهم قصد إلا تأدية ما يجب عليهم من زيارته واستنهاضه إلى البلاد. وحكوا أنهم لما وصلوا إلى هجرة وقش [1] اجتهد أهلها في تثبيطهم وردّهم عن قصدهم. وذكروا لهم خوف الطرق وانقطاعها إلى صعدة. قالوا: فبقينا بين إقدام وإحجام وما أدركنا الغرض فلم نر إلا الإقدام، فما رأينا إلا خيرا بفضل الله سبحانه. وقام سليمان ولد الفقيه محمد بن سليمان [2] بهذا الشعر وهو له، منه:

حمامةَ وادي الأيكتين سلامُ   وإن لم يكن لي في فناك كلام
بكيت هديلاً ما شعرت بعهده   فمن يبك معهوداً عليه ملامُ

---

(١) وقش بالتحريك، قرية من عزلة بني قيس ناحية بني مطر. وهجرة وقش موضع كالخانقاه يسكنه العباد. انتقل اليها علماء الزيدية عندما اضطروا للخروج من سناع في دولة الصليحيين، أيام سيطرة حاتم الغشم اليامي على صنعاء، فخرج عالمهم إبراهيم بن أبي الهيثم يجول في البلاد بحثا عن مكان يصلح له ولاخوانه، فوجد وادى وقش خاليا من السكان، فاتفق مع اهالي المنطقة على النزول بينهم، وبنوا هجرتهم هنالك.
مسلم اللحجى، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٧٧ ـ ٧٨؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ٥ ص ٣٨١؛ نشوان، منتخبات في اخبار اليمن، ص ١١٥؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥.

(٢) يوجد خلط في كتب التاريخ والتراجم بين الفقيه محمد بن سليمان العنسي وابنه سليمان بن محمد خاصة فيما ينسب إليهما من أشعار. ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٢ ص ١٢٨؛ ابن حاتم، السمط، ص ٩٩.

ومنه:

أما لو تشكينا الهوى لوجدتني   بقلبي إثر الغانيات كلامُ

ومنه:

وركب تراموا بالمطيّ الذي غدا [1]   نفاضا على أكوارهن نيام
إذا ما تنادى الحاديات تنفست   بنفس مشوق [قد] [2] عراه غرام
فلو نطقت من قبلها العيس لاشتكت   فقد ذل منها عاذر [3] وسنام [4]
حرام عليها [5] العرس إلا بقولنا   إذا بلغت لابن النبيِّ سلام
إلى المصطفى بن المصطفين الذي به   جلا الله ليل الشك وهو ظلام
إليك إمام العصر جُزْنَ بنا الفلا   ولولاك لم يُرْخَ لهنّ زِمامُ
إذا حدثت باسم الإمام تجاذبت   كما انصبَّ من صلب القياس سهام
تؤم [6] أمير المؤمنين وقصدها   لغير أمير المؤمنين حرام
فيا ابن النبي المصطفى ووصيه   وباعث ميْت الدين وهو رمام
هو الفتح فانهض نهضة علوية   فلن يتناءى عن علاك مرام
فأهل الطغى قد مزق الله شملهم   وزادهم منه ردىً وحِمامُ

وله بعد ذلك من قصيدة:

أمربَعَ لهْونا برُبَى الروابي   نشرن عليك أردية الرباب
وجاد ملاعب الأحقاف منها   جَنِيُّ الودق مُنْهَلُّ السحاب

---

(١) في الأصل (غدوا).
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم الوزن.
(٣) العاذر: الأرض المطمئنة. والعذار من الأرض: غلظ يعترض في فضاء واسع. ابن منظور، لسان العرب، مادة: عذر.
(٤) السنام: الأرض المرتفعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سنم.
(٥) في الأصل (لها).
(٦) في الأصل (تام).

ببكر من جمال وأم هند | وأقفر من سليمى والرباب
إذا هب النسيم عليه ليلا | سمعت به كأوتار الرباب
وبرق بات يلمع في قطار | كذي شطب يُسَلُّ من القِراب
على الجوفين بات إذا تلالا | يذكِّرُني بها عهد التصابي
ومهمهةٍ تظل العيس فيها | قوامس [1] سارعات في السراب
مسهمة الجوانب واسعات | إذا سرنا تسير مع الركاب
تداولت العرامس [2] من وهاد | وأنجاد بعدن إلى شعاب
تخال مناسم الندبات فيها | كهالات [3] قطعن عن الكثاب
وفتيان كبيض الهند رموا[4] | بليل مثله لون الغراب
مساعر لو تضل الشهب ليلا | لكانوا كالكواكب للشهاب
يؤمون الفتى النبوي لما | أنار بنوره نور الصواب
إلى المُحْيي المعالي بالعوالي | إلى المنصور مخضرّ الجَناب
من الشم الغطارف من قريش | حماة المجد آساد الضراب
من العلياء والحسب المصفى | جواهره من اللب اللباب
أميرَ المؤمنين فدتْكَ نفسي | وأهلي بالمشيب وبالشباب
تأمل ما أقول وأنت أدري | وأعلم بالهداية والصواب
ودع شُعْثَ النواصي كالسعالي | بأرض الغور تعسل كالذئاب
إذا ما أغورت ساوين نجدا | وهن على الروابي كالروابي

---

(١) قمست الإبل في السراب إذا ارتفعت فرأيتها كأنها تطفو.
انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: قمس.
(٢) العرمس: الناقة الصلبة الشديدة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرمس.
(٣) في الأصل (كهالت).
(٤) في الأصل (يامون).

لها زَجَلٌ [1] الرعود ولاضراب | فكيف إذا دعا داعي الضراب
نجـائب داحس تنمي إليـه | ومذهب والوجيه ومن سكاب [2]
عـليهـا كـل أروع غـالـبي | يروض شوامس النوب الصعاب
ضمورا وترى بـرق المواضي | وقـورا ويـرى زرق الحـراب
أكـان من الظلال لـه هجيـر | فيشمس أو يـظلل بـالعقـاب
وجندك صارت الأيـام فاعـزم | فإن العزم من شيم الصواب.

ووصل كتاب من السيد يحيى بن علي بن فليته العلوي السليماني [3] بالتهنئة بما فتح الله تعالى من النصر والاستظهار، وما بلغ إليه من أخبار شهاب وطاعته للإمام عليه السلام. وكان قد أمر إليه بكتب ينفذها إلى والى الحجاز. قال في كتابه: وشفعت كتب المولى إلى أبي عزيز [4] بما أمكنني واستحسنته من الثناء الجميل عليه فيما فعل من التشمير في إزالة المناكر الظاهرة، وإحياء معالم الدين الدابرة، والحض على التمسك بطاعة المولى والمادة له بما أمكن من الخيل ولو لم تكن إلا

---

(١) الزجل: الصوت العال ابن منظور، لسان العرب، مادة: زجل.

(٢) داحس ومذهب والوجيه وسكاب، من خيول العرب المشهورة .

(٣) الأمير العالم الفاضل نظام الدين السيد يحيى بن علي السليماني، كان ممن يشار إليه للقيام بأمر الإمامة. بايع الامام المنصور في جامع صعدة سنة ٥٩٦ هـ بعد أن تأكد من أهلية المنصور للإمامة وصار من أخلص دعاته.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٣٤٨ - ٣٤٩؛ حميد المحلى، الحدائق الوردية، جـ ٢ ص ١٥٨.

(٤) أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسنى أمير مكة. كان في أول ولايته حسن السيرة. وفي زمانه أذن المؤذنون في الحرم . بحى على خير العمل. توفى في جمادي الأول سنة ٥١٨ هـ، ويرى البعض انه توفى سنة ٥١٧ هـ.
الخزرجي، طراز أعلام الزمن، ورقة ٣٥؛ ابن ابي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٧٤ - ٧٦؛ الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ٧٥، الزركلي، الاعلام، جـ ٦ ص ٢٦ .

مائتي فارس من بني حسن [١] لعله يشرك في فتح اليمن. ووعدته بأن بني سليمان [٢] ربما يحصل منهم مثلها، ومن سائر العرب مثلها، مثل الكل وأكثر. وذكرت له أنه ما بين الإمام وبين ملك زبيد [٣] إلا حصول عصابة من بني حسن تكون بطانة له ورداء فنريد أن يكون لهم شركة في الفتح والنصر ولا تستبد به العجم دونهم عصبيةً عليهم، إن يذهب الناس بالفخر والأجر عنهم فإنه وإياهم لا حق بهذا البيت ممن قيل فيه ومن قائله:

فقلت أينجلى العمى عنكم وليس لكم بصفين غَناء

وأوضحت له من أمور المولى وتأييداته ونصره أشياء ربما لا تبلغه عن مثلى ولا يذكرها الإمام عليه السلام في مكاتباته تجنبا للقالة، واتقاء لمتناقض النضالة [٤] من أهل العناد والنكال. وإن كان إظهار الفاضل فضله

---

(١) بنو حسن، أشراف مكة، ويقال لهم ايضا القتادات نسبة إلى قتادة بن إدريس. ويتصل نسبهم بالحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب.
عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١١١ - ١١٢؛ أحمد بن يحيى، الدر المنثور، ورقة ٨٨.

(٢) الأشراف بني سليمان أهل المخلاف السليماني، وهم بنو حسن ايضا. ويلتقي القتاديون والسليمانيون في موسى بن عبدالله . . . . بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب.
عمر بن رسول، طرفة الأصحاب ، ص ١١٣ - ١١٥؛ أحمد بن يحيى، الدر المنثور، ورقة ٨٨.

(٣) زبيد بالفتح واد من أودية اليمن الكبيرة. تأتيه المياه من مغارب بلاد عنس ويصب في البحر الأحمر. وبه سميت مدينة زبيد، وهي مدينة مدورة الشكل، من جنوبها وادي زبيد ومن شمالها وادي رمع. وهي الآن ناحية وقضاء بمحافظة الحديدة. ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٧٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٨١؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٩٦ - ٢٩٧؛ التوزيع السكاني، محافظة الحديدة، ص ١٠١ وما بعدها.

(٤) النضالة: المباهاة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نصل.

غير منقود عليه، فقد قال العبد الصالح ﴿ يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾[1]. وقال عيسى عليه السلام ﴿أنا أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ﴾.[2]. وقال يوسف عليه السلام ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾[3]. فذكرْتُ ما صَحّ عندي من فضائل الإمام عليه السلام كاظهار الحديد وطيب الأثمار ورخاء الأسعار في حدود بلاده دون غيرها وما جرى له دون فتح صنعاء من التأييد ورفع العقوبات. منَّ الله تعالى على[4] من دخل في طاعته، وصب النقمة على من خرج عنها. والموت بالطاعون الشنيع في بلاد عنز[5]. وغيرهم، والقحط والبلاء والجلاء والقتل الفظيع بين الناس، والزلازل والخسف والصواعق واختلاف الآراء وافتراق الأهواء. ونصرة المحق على المبطل في كل ناحية وإن كان أضعف منه، وغير ذلك من البركات والفضائل والزيادة في الخلق والخلق والأدب، والعلم البارع، والقلب الجامع، وحسن التدبير والعناية والتشمير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكتبت إليه بأعلام الغز، وافتراقهم في ذات بينهم وتشتت شملهم. قال في كتابه: وأما أعلام بلادنا، فإنا بني على[6] أقمنا الجمع ورفعنا البدع واحتكمنا بأحكام المولى عليه السلام، فرمانا

---

(١) سورة النمل، آية ١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ٤٩.

(٣) سورة يوسف، آية ٥٥.

(٤) في الأصل (عن).

(٥) تقع ديار عنز في شمال صعدة وتسمى مخلاف جرش. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٩ - ٢٣٠؛ البلادي ، بين مكة وحضرموت، ص ٤٦.

(٦) الأشراف بني علي أصحاب المخلاف السليماني.
الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ ١ ص ٢٧٥.

الأمير بغيه سيَّما بعد قتل وقع بيننا وبين أهل صبيا [1]. وسببه إظهار أمر الله وإقامة الجمعة وكراهتهم لذلك فقطعوا السبيل وأخذوا الأموال وقتلوا الضعفاء، وكاتبوا الغز بأنا أقمنا الجمع وأظهرنا الشنع، فأغاروا على حلة لنا فأخذوا الأموال وسلبوا الحريم، ولزمنا منهم بعد ذلك ثلاثة أنفار. وأغاروا على قافلة لنا فقتلوا منها [2] عبدا من صُلّاح عبيدنا، فأرسلنا إليهم يفتدونا من القتلة فأبوا علينا، فخاطبناهم ثلاثة أيام فكرهوا. فنهضت بنو علي وقصدوهم إلى صبيا فقتلوا منهم خمسة وثلاثين رجلا، وخربوا قراهم، وحقروا أكثرهم ثم منوا عليهم بأنفسهم، وأظهرهم الله تعالى عليهم.

وجاء كتاب الشريف عز الدين أبي عزيز قتادة بن إدريس من مكة - حرسها الله تعالى - لست وعشرين ليلة خلت من شوال سنة ثمان وتسعين يحكي فيه أخباره واستظهاره على بني أبي هاشم [3]، وتطهيره لمكة - حرسها الله تعالى - من أدران الخبائث. ويقسم بالله تعالى الأيمان المؤكدة ما أخرت الإمداد بالخيل والرجال جهلاً بما يجب عليّ من فرض إجابة الدعوة والامتثال للأوامر الإمامية وما يلزمني من الطاعة. إلا أني صرت بين عدوين، صاحب مكة وصاحب المدينة يتوقعان العثرة، ولا يدعان ممكناً من المضرة ولكنى [4] لا أدع ممكناً من إيفاد

---

(١) صبيا بفتح الصاد مدينة تقع في دلتا وادي صبيا بتهامة. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٨، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤٦٢؛ البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ١٧٨.

(٢) في الأصل (فيها).

(٣) كان آخر أمراء الهواشم بمكة هو الأمير مكثر بن عيسى بن فليته بن قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله الحسني. تولى الإمارة سنة ٥٧١ هـ. عمر بن فهد، اتحاف الورى، جـ ٢ ص ٥٣٦ - ٥٣٧، ٥٦٦.

(٤) في الأصل (لاكنى).

السريـة بعد السريـة إن شاء الله . ووصلت كتب من الحجـاز أيضاً من ولاة الإمـام عليه السـلام هنالـك، منها كتاب الشريـف الحسـن عقبة بن يحيى بن الإمام الحراني، وكتاب مـن الشريف أبي علي يوسف بـن علي بن أحمد بن القاضي، ومن القاضـي أبي الفضـل عباس بن أحمد المغربي، وكتـاب من الفقيه عرفطه بن المبـارك يذكـرون ما فتح الله تعالـى من إقبـال أبي عزيـز وطاعته وانقياده لأمـر الله تعالى، وطاعـة الإمام عليه السلام، ونفـاذ الأحكام الشرعيـة والأوامـر الإمامية في الحجـاز بـدوه وقراره، وقبض الحقوق الواجبة في البلاد عـن أمره. وما ظهر بمكـة ـ حرسها الله تعالـى ـ من العدل وقطع مواد المفسدين بعنايتـه وقيامـه، وكل ذلـك بعد البيعة التي أخذها عليـه الفقيه شهاب الدين أبو القاسم بن حسين بن شبيب[1]. ثـم قدم رجل من أهـل المخلاف باليمـن يقال لـه سعيد بن يحيى البرجمي مستنهضاً للإمـام عليه السلام وحكـى ما عليه اليمن من الاستبشار لمـا بلغ إليهـم قربه من البلاد، وطاعة الجند له، وسأل مناشيراً فكتبـت له والمقدمين[2] من أهل اليمـن. وقام بشعر منه:

إن النبي رسـول الله أودعنـا	من صحة العلم قولاً ما به زُورُ
أن نستجيب إذا المنصور قام بنا	يدعو إلى الحق والمنصورُ منصورُ
فانهض إلى يمن إن العيون به	إليـك ناظـرة والكـل مسـرورُ
فانظر على تسـع بلا حـرج	من بعد تسعين فهو الحق منظورُ

(١) الأمير أبو القاسم بن حسين بن شبيب من كبار علمـاء الزيدية، اعترض على الإمـام في شأن السبْي والغنيمة؛ فأجاب عليـه الإمام بكتاب الدرة اليتيمة في أحكام السبي والغنيمة.

يحيى بن الحسين، المستطاب، ورقـة ٣٨؛ الشامي، تاريـخ اليمن الفكري، جـ ٤ ص ٣٧ ـ ٤١.

(٢) في الأصل (المقدمين) وتم إضافة الواو ليستقيم المعنى.

في عام تسع لك الميقات مشتهر ... فثب سريعاً ولا يغفلك تأخيرُ
في مبلغ الست ترتاح البلاد به ... ويذهب الجور والطغيان مدحورُ
فشمر العزم يا مولى الأنام معاً ... لعلَّ أن تنجلي عنا الدياجيرُ

وجاءت مكاتبة الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة من ذمار(1) يذكر أن الجند الذين بها أتوه طائعين ممتثلين لأمره متعَرِّضين لخدمته داخلين فيما يرضيه. فلمّا تواترت هذه الأخبار من كل جهة وصحّت كان أول من سمع وأطاع داعي مرهبة(2) على اختلافها وعتوها وكثرة مضارها في الحرابة وقطع السبل. ومنهم من جعل له وجهاً عند الغُزّ بإظهار الخلاف على الإمام عليه السلام فيستجلبون منهم المنافع لأجل ذلك. فخضعوا وسلموا الحقوق الواجبة في أغنامهم ودخلوا في الطاعة كرهاً. ثم جاءت كتب أهل حجة(3) بالامتثال والانقياد للأمر.

---

(1) ذمار بفتح أوله وثانية على بعد مائة كيلومتر جنوب صنعاء، وهي عاصمة محافظة ذمار وتقع ما بين: ٣٣ ١٤° شمالاً، ٢٤ ٤٤° شرقاً.
البكري، معجم ما استعجم، جـ٢ ص ٦١٤ - ٦١٥؛ نشوان، منتخبات، ص ٣٩.
الويسى، اليمن الكبرى، ص ٥٤؛ Yemen, 1: 250000, sheet, 5.

(2) مرهبة من قبائل بكيل الهمدانية، وتنسب إلى مرهبة بن الدعام بن مالك بن ربيعة الدعام. ومن فروع مرهبة عيال سريح وعيال يزيد وبنو راع وغيرهم ومعظمهم في بلاد ذي بين ونهم.
عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٤٧؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٤ ص ٧٠٦، ٧٤٦؛ كحالة معجم قبائل العرب، جـ٣ ص ١٠٧٧؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٦١٥ - ٦١٦.

(3) حجة بفتح الحاء وتشديد الجيم، عاصمة محافظة حجة وهي في الشمال الغربي لصنعاء على مسافة ١٢٧ ك وتقع ما بين: ٣٨″ ٤١′ ١٥° شمالاً،
٢٤″ ٣٦′ ٤٣° شرقاً.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٧٠؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B3.

وجاءت كتب القرابلى[1] والدقيق[2] من تهامة يظهرون الطاعة ويجعلون لهم بالمكاتبة يداً ويسألون وصول من يصل من قبله عليه السلام، وأنهم يحبون اللقاء والاتصال بأسبابه، والميل إلى جنبته لوقت حاجتهم إليه. ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم فكان من أمرهم ما كان، وما أنزل الله بهم من الانتقام ما يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله. ومن جملة من وصل جماعة من الشيعة المرتدة من هجرة قاعة[3] وأهل هجرة العشاوة[4] مستسلمين مظهرين صحة الإمامة، ممتثلين للأوامر في إقامة الجمعة معتذرين أن ما منعهم من ذلك إلا خوف الغز. وبذلك جرت عادتهم عند استظهار الإمام عليه السلام، ويشهد بذلك يوم فتح صنعاء. وكان قد اجتمع منهم خلق كثير بالسلاح والعدة وآلة الجهاد، فلما نهض إلى صنعاء تفرقوا عنه وما صحبه منهم رجل واحد. وفي حصن ذمرمر[5] لما استحكم أمره وظهرت يده وصل كبارهم ومشايخهم،

---

(١) علي بن أبي بكر القرابلي، كان والياً على المهجم وهو ممن اتهم بالمشاركة في قتل الملك المعز اسماعيل.

(٢) كان الدقيق والياً على الكدراء وقد اتهم بالمشاركة في قتل الملك المعز إسماعيل.

(٣) إحدى هجر الزيدية، بناها عالمهم عليان بن إبراهيم، وتقع على بعد ٤٥٠٠ متراً جنوب غرب قاعة ما بين:

٣٤″ ٣٨′ ١٥° شمالاً،

٥٦″ ٤٨′ ٤٣° شرقاً.

مسلم اللحجي، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٩١؛

خريطة ج. ع. ي، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة، 1543, B 4.

(٤) يبدو من النص أن هجرة العشاوة في منطقة قريبة من هجرة قاعة أي من منطقة تجمع المطرفية في جنوب وجنوب غرب صنعاء. ويحتمل أيضاً أن تكون الهجرة بالقرب من قرية العشاوة ناحية عنس قضاء ذمار.

انظر، التعداد السكاني التعاوني، ذمار جـ ١ ص ٢٢.

(٥) ذمرمر أو ذي مرمر، حصن في أعلى قرية شبام الغراس، على بعد ١٨ ك شمال شرق =

وصحت الإمامة وسألوا الولاية فولاهم على الكتاب والسنة. وسيأتي ذكره وتفصيله في موضعه إن شاء الله. ووصل كتاب من هجرة وقش بما فتح الله تعالى به والتحذير من مكر شهاب، والتعريض في مصافاة السلاطين الفضلاء آل حاتم[١]، وهو من الفقيه علي بن يحيى البحيري[٢]. فأجابه عليه السلام بكتاب نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضْعِفوا في الأرض ونجعَلَهُم أئمةً ونجعلَهُم الوارثين﴾[٣].

ألم تر أن الله أظهر دينه	فصلت بنو العباس خلف بني علي
وإني وإن كنت الطلوب بثأرهم	فلست بنوام ولست بزمل
وإن قال قوم قد غفلت عن العدا	فلست وإن طال السكون بمؤتلي
وقولي لهم لا عن جدال وجفوة	رويدكم ويل الشجيّ من الخلي[٤]

= صنعاء ويقع ما بين: ٠٥″ ٣١′ ١٥° شمالاً.
١٤″ ١٩′ ٤٤° شرقاً.

الهمداني، الإكليل، جـ ٨ ص ١٥٠ - ١٥١؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة، 1544 A 4.

(١) ينسب السلاطين بني حاتم إلى السلطان حاتم بن أحمد بن حاتم بن عمران بن الفضل... اليامي الهمداني الذي حكم صنعاء من ٥٣٣ هـ إلى ٥٥٦ هـ.
عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١٢١؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٢٩٧، ٣١٤.

(٢) الفقيه العلامة علي بن يحيى البحيري، من كبار علماء الهادوية في فروع المذهب الزيدي ولكنه كان مطرفياً في عقيدته شأنه في ذلك شأن باقي أفراد أسرته.
يحيى بن الحسين، طبقات الزيدية، ورقة ٥٧؛ المستطاب، ورقة ٣١، ٣٩؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٢٧٦.

(٣) سورة القصص، آية ٥.

(٤) ويل للشجي من الخلي مثل معناه ويل للمهموم من الفارغ.
ابن عاصم، الفاخر، ص ٢٤٨ - ٢٤٩؛ البكري، فصل المقال، ص ٣٩٥.

وصل كتابك على حين فترة من الرسل، وقد (استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذّبوا)[1] فقلنا له أهلاً بك وبمن أهداك ولقد وجدنا ريح يوسف من رباك.

وفي عرضه: وصلت كتب من القرابلي من تهامة بتصحيح اعتقاد الإمامة وتقليد الزعامة، وأنواع الاستعطاف وضروب الألطاف.

وكم جاحد في أول الحول حقنا   سيأتي بقايا حوله وهو عالم

﴿ذلك من فضل ربي أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾[2]. ووصلت كتب أبي عزيز قتادة بن إدريس تفوق ما كنا نرجوه. جدد البيعة على نفسه وعلى طائفة من بني حسن، عقبة بن يحيى فمن دونه. وقبضت الحقوق الواجبة من قبائل الحجاز من بلي[3] وعدوان[4] وجهينة[5] ومزينة[6] وهذيل[7] وسليم[8]

---

(١) سورة يوسف، آية ١١٠.

(٢) سورة النمل، آية ٤٠.

(٣) بلى بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مشددة، قبيلة عظيمة من قضاعة من القحطانية، تنسب إلى بلى بن عمرو بن قضاعة، وتقع مساكنها بين المدينة ووادي القرى.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٤، ٢٨٣؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ٢ ص ٢٠٤، جـ ٤ ص ١٠٦؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ ١ ص ١٠٤.

(٤) عدوان بطن من بني عمر من زهران، إحدى قبائل عسير الكبيرة. وغورهم الليث ومركوب ويلملم، ونجدهم عدوان.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣١، ٢٣٥، كحالة؛ معجم قبائل العرب، جـ ٢ ص ٧٦٢.

(٥) جهينة من قبائل الحجاز العظيمة تمتد منازلها على الساحل من جنوبي دير بلى حتى ينبع. وتنقسم إلى بطنين كبيرين مالك وموسى. وفي كل بطن العديد من الأفخاذ والعشائر.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٤؛ السلمي، أسماء جبال تهامة، ص ٣٩٧ - =

وحرب[1] وسايل الرس[2] وعرض السيالة[3]. ودخل الناس في ديـن الله أفواجاً. وكان المتولي لتجديـد العهود وقبـض الحقوق، الفقيـه العالـم العابد الفاضـل بهاء الدين علي بن أحمـد الأكوع[4]. وذكـر أبو عزيز أنه

= ٣٩٨؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١ ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٦) مزينة بضـم الميم وفتح الزاي من قبائل تهامة، وتنسب إلى مزينة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر، كانت مساكنها ما بين المدينة ووادي القرى.
البكري، معجم ما استعجم، جـ١ ص ٣٨؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٤؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ٣ ص ١٠٨٣.

(٧) هذيل من قبائل الحجاز، تنقسـم إلى قسمين، شمالي وجنوبي، وتقـع ديار هذيل الشمالي في أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب. أما القسم الثاني فيدعـى هذيل اليمن.
كحالة، معجم قبائل العرب، جـ٣ ص ١٢١٣.

(٨) سليم بن منصور، قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان من العدنانية، منازلهـم كانت في عالية نجد بالقرب من خيبر. وسليم بطن من زهران إحدى قبائـل عسير. وسليم عشيرة تعرف بذوي سليم من بني إبراهيم، من بنـي مالك من جهينة، إحدى قبائـل الحجاز.
كحالة، معجم قبائـل العرب، جـ٢ ص ٥٤٢ - ٥٤٣.

(١) حرب، قبيلة أكثرها من العدنانية، تقع أماكنهـا في نجد وفي الحجاز. أما في الحجاز فتمتد ديـارها من جنوبي ينبع إلى القنفذة.
كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١ ص ٢٥٩.

(٢) الرس بفتح أولـه وتشديد ثانية واد بنجد. والرس واد لبني منقذ بن أعيا.
البكري، معجم ما استعجم، جـ٢ ص ٦٥٢؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٧، ٦٦.

(٣) السيالة بفتح أوله، قرية بسفح جبل ورقان بينها وبين المدينة تسعة وعشرون ميلاً. ومسجدها أحد ثلاثة مساجـد بنيت على عهـد الرسول صلى الله عليه وسلم.
البكري، معجم ما استعجم، جـ٢ ص ٧٦٩ - ٧٧٠؛ السلمي، أسماء جبال تهامة، ص ٤٠٢.

(٤) الفقيه علي بن أحمد الأكـوع من مشايخ الإمام المنصور، تولى التدريس بحوث والقضاء والتدريس بمكة المكرمـة. وجمع كتاب الاختيارات المنصورية عن أمـر الإمـام. إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية ص ١١٥ - ١١٦؛ ابن أبي الرجال، مطلـع البدور، =

فعل هذه الأفعال امتثالاً للأوامر الإمامية، وطهر مكة من الأدناس. وأنه يرسل السرية بعد السرية، والعصبية بعد العصبية حتى يستحكم أمر اليمن والحجاز، وتكون المطالبة في سواهما إن شاء الله. واستمر الحكم في بلاد بني سليمان[١] وأقيمت الجمع في ستة جوامع. وجاءت الكتب من الوالي بنجران رعبة بن سليمان بأن كهلان[٢] سقطوا عليه وسألوه مطالعة الإمام بالعطف عليهم وهبة العافية[٣] لهم على حسن الطاعة. فإن فعلوا لهم ذلك وإلا لحقوا بنجد ولم يلحقوه في بلاده، فوهب لهم العافية مدة جعلوها لهم عدة.

إذا بعدوا[٤] لا يأمنون اقترابه ... تشوف أهل الغائب المتنظّر

فيوماً على نجدٍ وغارات أهلها ... ويوماً بأرض ذات شَثٍّ وعرعر[٥]

فما نجم قرن ضلال إلا قصم، ولا زاد فاجر إلا وصم، ولا عضل داء إلا حسم ولا تعالى مشيد للفاسدين إلا هدم. ﴿كلما أوقدوا

= جـ٣ ص١٣٦ - ١٣٨؛ يحيى بن الحسين، المستطاب، ورقة ٣٩؛ عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ٣ ص١٤١، ١٥٦.

(١) آل سليمان، فرع من قبائل جشم من يام في نجران.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص٤٣١؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ٢ ص٥٤٧.

(٢) بنو كهلان هـ الأزد بن الغوث وينسبون إلى كهلان بن سبأ..... ابن قحطان.
عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص٥٤ - ٥٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٤ ص٦٧٣ - ٦٧٤؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٣٩ - ٢٤١.

(٣) لم أجد أي ذكر لهذا الموقع ومن ثم فإنها كما ورد في النص تكون من قرى نجران.

(٤) في الأصل (فإن يبعدوا). وفي جمهرة أشعار العرب (وإن بعدوا).

(٥) البيتان من شعر عروة بن الورد.
انظر، ديواناً عروة بن الورد والسموأل، ص٣٧، ٣٨؛ ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ٢ ص٥٦٧.

ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾[1]. نعم وفهمنا ما في كتابك من الإشارات، وحلو العبارات، ومليح الاستعارات، فذكّرنا بابن العميد[2]، ونسَّانا عبد الحميد[3]. وقلنا كيف جاء ابن عباد[4] والموعد التناد. فأما شهاب فأنت تعلم أنا مفزع الناس، ومقر الأنس، وعصمة المنجودين، وغياث المجهودين. لمّا لاذ ببابنا، واعتصم بفنائنا، نصبناه في ميدان الجدال وأنصفنا في الجواب وفي السؤال، فاعترف على إسماعيل بالكفر، وعلى نفسه بالمروق عن الدين وأظهر النصيحة فقبلنا العهود، ورفعت عن صنعاء المنكرات، وأزيلت المسكرات، ونودي بحي على خير العمل. وماذا بعد طاعتنا نريد؟ والذي أدى شهاباً إلينا حتى طلع عقبة بيت مساك كالمرتقى إلى السِّماك راجلاً إجلالاً للخلافة النبوية والإمامية العلوية. وكان يتمكن من الركوب قرب منه كل بعيد، وهون كل شديد فنسأل الله أن يوزعنا شكر نعمه بالقول والعمل والاعتقاد. وما أشار إليه من رفع وإهراق[5] الغرب[6] وإن أبهجت، وإصلاح أمورهم

---

(١) سورة المائدة، آية ٦٤.

(٢) محمد بن الحسين العميد، أحد وزراء بني بويه ومن أئمة الكتاب.
الزركلي، الأعلام، جـ٦ ص ٣٢٨.

(٣) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري المعروف بالكاتب. يضرب به المثل في البلاغة، سكن الشام واختص بمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. ويقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد. ت ١٣٢ هـ.
الزركلي، الأعلام، جـ ٤ ص ٦٠.

(٤) الصاحب ابن عباد: إسماعيل بن عباد بن العباس أحد وزراء الدولة البويهية. غلب عليه الأدب. ت ٣٨٥ هـ.
الزركلي، الأعلام، جـ ١ ص ٣١٢.

(٥) في الأصل (احراق).

(٦) الغَرَب: الخمر.

وإن انفسدت. والجواب أنا لم نقم لذلك وقد سلكنا فيه ألطف المسالك وقد قيل في مثل ذلك:

مالي أكفكف عن سعد ويشتمني ولو شتمت بني سعد لقد سكنوا
جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبئست الخَلّتان الجهلُ والجُبُنُ
صم إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به وإنْ ذُكِرْتُ بشرٍّ عندهم أذِنوا[1]

وأنت تعلم أني فقأت عين الفتنة، وأخمدت نار الضلالة، ولم يفقأها أحد قبلي، ولا أخمدها أحد سواي. قمت والباطل واسع النطاق متباعد الأطراف، قد صعد ضفتيه وأحدر مقلتيه. فلم يزل وشاحي بجادي، ودرعي وسادي؛ بل درعي شعاري، وبجادي دثاري طامحاً في الصولة راكضاً[2] في الجولة حتى ضرب الباطل بجرانه[3] ونكص المارد من سلطانه.

وقلت ارتعى هذا غدير وروضة وليث هريت الشدق يمنع حالك
يراك بعين الود وهي غضيضة ويسلك في إرضاكَ أهدى المسالك

فتسدرت وتنمرت وصالت وثرثرت، فقلت كما قال جدي ولم يصلب عند ذلك زندي:

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرب.

(١) الشعر لقعنب بن أم صاحب.
انظر، أبو تمام، الحماسة، جـ٢ ص ١٧٠؛ أحمد أمين، شرح ديوان الحماسة، جـ٣ ص ١٤٥٠.

(٢) في الأصل (راكدا).

(٣) الجران: مقدم العنق من مذبح البعير. ويقال: حتى ضرب الحق بجرانه، أي استقام وقر في قراره. وربما كان المعنى أن الباطل قد استكان ووهنت قواه.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرن.

أعليّ تقتحم الفـوارس هكذا   عني وعنهم أخبروا أصحابي[1]

حتى إذا انجحر كل نابح، واستفتحت ثمود بصالح. يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين[2]. فصاحت الصيحة فنجينا صالحا والذين آمنوا معه[3].

وجاءت كتب الصنو عماد الدين [في] [4] غرة شهر [ذي] [5] القعدة يذكر أن الجند أتوه إلى ذمار ودخلوا في الغمار، وشمروا في خدمة الخلافة العلوية الإزار، وخلعوا [6] في منابذة الدولة العباسية الصدار.

ولما راح شهاب من بيت مساك مسرورا بما ظفر به من إقبال الإمام عليه السلام، ومساعدته له في قدوم صنوه عماد الدين معه، أهدى له جارية تركية حدثة من أخص ما كان عنده، أتحفه بها، وجيء بها إلى بيت مساك. وكان عند شهاب أربعة ألواح من رخام اليمن قد أعدها للكعبة شرفها الله، ولم يجد سبيلا إلى إيصالها لانقطاع الطرق والمخافة في نهج تهامة. فأمر بها كل قطعتين على جمل وسأل [7] الإمام عليه السلام تصييرها إلى مكة ـ حرسها الله ـ مع الحاج الصادرين من صعدة. وأمر إليه

---

(١) البيت للإمام علي بن أبي طالب.
انظر، ديوان الإمام علي، ص ١٣.

(٢) في الآية الكريمة ﴿قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾.
سورة الأعراف، آية ٧٧.

(٣) في الآية الكريمة ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه﴾.
سورة هود، آية ٦٦.

(٤) ما بين الحاصرتين اضافة.

(٥) ما بين الحاصرتين اضافة.

(٦) في الأصل (وخلع).

(٧) في الأصل (سأل).

بكتاب كتبه الى الملك العادل بدمشق ليقف عليه، ذكر فيه جملا من الحوادث التي جرت بين الغز بعد قتل إسماعيل. وأنه لمّا خشي على نفسه ولم يجد ملجأً يأوي إليه، قصد إلى الإمام عليه السلام، وذكر نسبه، وحكى شيئا من فضله، وحسن سيرته، وما حصل له بذلك من السلامة من العرب والعجم. وكان قد قدم إليهم من الإساءة ما يستغرق الوصف. فكتب عليه السلام إلى الحاج يوصيهم بحفظ الرخام، وحياطة الصادر معه. وأنشأ في الحال مع ضيق الوقت وكثرة الأشغال دعوة إلى الملك العادل، وكتابا وشعرين إلى الأمير أبي عزيز عز الدين قتادة بن إدريس الحسنى. أما نسخة الكتاب فقد ذكرتها[1] في الجزء الأول من السيرة المنصورية، وأما الدعوة فهذه نسختها وكتبها لثلاث وعشرين ليلة خلت من شوال سنة ثمان وتسعين.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم. ولما بعث الله أبانا محمدا صلى الله عليه وآله بشيرا ونذيرا ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾[2] دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وحارب بمن أطاعه من عصاه حتى ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[3]. فلما قبل الله سعيه، ورضي عمله، وأكمل عليه نعمته، وأتمّ له دينه، اختار له ما عنده ونقله الى دار كرامته، وخلف في هذه الأمة عترته وكتاب ربه، فَحُرِّفَ الكتابُ، ورُفِضت العترة. فتجرعنا أمر من العلقم، وصبرنا على آلم من حَزِّ الشِفَار، ولم نزل ندعو إلى الله عز وجل، ونهدي إلى سبيله على جفوة من الأمة، ونبوة من الدهر، وميل عن[4] سبيلها،

(١) في الأصل (علقته).
(٢) سورة الأحزاب، آية ٤٦.
(٣) سورة الإسراء، آية ٨١.
(٤) في الأصل (من).

وتنكب لمنهاجها واجتماع الأمة إلا القليل على إنكار حقنا وجحدان فضلنا. ونحن مع ذلك صابرون محتسبون، لا يزيدنا كثرة الناس عندنا أنسا، ولا تفرقهم عنا وحشة. لم نخضع في مقامات القتال، ولم نفحم في أندية الجدال. يشهد لنا في القتال ظلال الألوية، وفي الجدال حفول الأندية. جادين مجتهدين، لا تأخذنا في الله لومة لائم، ولا نقبل في دين الله رشوة الدنانير والدراهم. يغبط آخرنا أولنا بنيل الشهادة ودرك الإرادة.

لا نألم الحرب ونجزي بها الأعداء كيل الصاع بالصاع [١]

وكيف لا نكون كذلك وجدنا أبو طالب رضي الله عنه يقول [٢] في بعض قصائده:

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب [٣]

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نتشكّى ما يكون من النكب

نرى الفوز إيثار رضا الله سبحانه وإن كان في أطراف [٤] الأسنة، وظباة السيوف، وتجرع كأس الحتوف. ونعتقد اعتقادا يشهد له البرهان

---

(١) الشعر لأبي قيس بن الأسلت، وأصل البيت على النحو التالي:

لا نألم القتل ونجزي به الأ عداء كيل الصاع بالصاع

ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ ٢ ص ٦٥٥؛ الأصبهاني، الأغاني، جـ ١٥ ص ١٦٠.

عن ترجمة أبي قيس انظر:

الجمحى، طبقات فحول الشعراء، جـ ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧؛ الأصبهاني، الأغاني، جـ ١٥ ص ١٦١ - ١٦٧.

(٢) في الأصل (وهو يقول). والتصويب من «من رسائل الامام عبدالله بن حمزة»، ص ٤٠

(٣) الشعر لأبي طالب بن عبد المطلب والد الامام علي.

انظر، المسوري، تيسير المطالب، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٤) في «من رسائل الإمام عبدالله بن حمزة»، ص ٤١ (وإن كان في ركوب أطراف الأسنة).

ويشفعه البيان، أن الأمة إن [1] عدلت عنا وساوت بيننا وبين غيرنا فهي لنا ظالمة، وبخلافها لنا آثمة. يقول جدنا صلوات الله عليه وآله: قدِّموهم ولا تَقَدَّمُوهم، وتعلموا منهم ولا تعلموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا. وقوله صلى الله عليه وآله: ذخرْتُ شفاعتي لثلاثة من أمتي، رجل أحب أهل بيتي بقلبه ولسانه، ورجل قضى لهم حوائجهم لما احتاجوا إليه، ورجل ضارب بين أيديهم بسيفه. وقال صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: اعلم أن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم فاين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة؟ فهؤلاء مثلها فيكم. وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له. خذوا عني حجة من ذي حجة قالها عن خاتم المرسلين في حجة الوداع: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي. إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. إلى غير ذلك من الأخبار التي قالها الرسول وتلقتها الأمة بالقبول، وشرحها لواردنا استيفاؤها يطول، مما يلزم الأمة الحجة ويوضح المحجة. وقد دعونا إلى الله تعالى دعوة عادلة غير جائرة، جامعة غير مفرقة [2] إلى المعروف الأكبر، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وتجديد معالم الدين، وقطع دابر المفسدين. فمن أجاب دعوتنا وكثّر جماعتنا، سعد في آخرته ودنياه، وفاز مع الفائزين. ونرجو أن يأتي آمنا يوم القيامة حتى يجوز الصراط ويدخل الجنة، فيكون

(١) في الأصل (وإن) والتصويب من «من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة»، ص ٤١.

(٢) في الأصل (متفرقة).

مع الرفيق الأعلى محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين. ومن ردها كان من الخاسرين النادمين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم. وقد دعوناك فيمن دعونا من العالمين، ورضيناك برضا الله سبحانه سلطانا للمسلمين، لما بلغنا من حسن سيرتك وطيب سريرتك، وأطلقنا اسمك على المنابر. فارض بنا أئمةً إذ رضيناك سلطانا، فنعم النصيب نصيبك إن قبلته. وشمِّر ساقك مستعينا بربك لفتح مدائن اليمن، وحرب ملوك الدنيا. واعلم أن كل سلطان غيرك نطلق عليه اسم الخوارج، لأنا آل محمد نجاة كل مؤمن ومؤمنة، عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وولاة أمر الله، وهداة خلق الله، وموضع سر الله، ومهبط وحي الله، وبنا يفتح ويختم. ونحن النمرقة الوسطى إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق التالي. فنحن محل الخلاف والوفاق، وشهد لنا بذلك البرهان، ونطق القرآن. قال الله تعالى: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [١].

فهذه صفتنا ودلالتنا، ومنهاجنا وسبيلنا. ولم نخرج أشراً ولا بَطَراً ولا رئاء الناس وإنما خرجْنا لنعلّم هذه الأمة معالم الدين ونعرّفها الصراط المستبين، ونرحض دين محمد صلى الله عليه وآله من درن المفسدين وعدوان المعتدين قال تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ [٢] وقال جدنا صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل العرش ألا لا يجوزن أحد إلا بجواز فيقال وما ذلك الجواز؟ فيقال حب أهل البيت المستضعفين في

---

(١) سورة الحج، آية ٤١.

(٢) سورة القصص، آية ٥.

الأرض المغلوبين على حقهم. فمن لقيني بحبهم أسكنته جنتي، ومن لقيني ببغضهم أنزلته مع أهل النفاق. فأوجب محبتنا على جميع المؤمنين والمحبة لا تصح إلا بالاتباع. فخذ من هذا الكلام أو ذر. والسلام عليك وعلى كافة المسلمين قبلك من المجاهدين والمرابطين. وأما الشعر إلى أبي عزيز وكافة بني حسن فهو[1]:

ذكرت منازل الحي الكرام ... وما يغني ادِّكار المستهام
بأعراض الحجاز فليت شعري ... أتضرب في مسايلها خيامي
سقتها الغاديات بكل جون ... بطيء السير محلول الحزام
سقى أم القرى ومنى وجمعا ... وخيم في مشاعرها العظام
فنخلة فالمغش دون عمق ... فطود يلملم عالى السنام
فموقان[2] المدارج مستكر ... فذات حذارق دمن الرهام
الى الفرش المديد همى عليه ... فجدة واكف الأرجاء هام
فصب على حديدات[3] حداه ... نعم فحوائط البرق السجام
فضم إلى كراعيه غميما ... كضمك كاتبا ألفا بلام
أغاث بهن[4] مغياث جهارا[5] ... إلى عسفان مخلوع[6] الخطام

(١) الجزء الأول من هذه القصيدة والأماكن المذكورة فيه على نمط القصيدة التي انشدها شاعر من اهل الحجاز يعرف بالعجلاني.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢) موقان مدينة بأذربيجان، ومن ثم فمن المرجح أن تكون الموقفان أو الفقيان. ياقوت، معجم البلدان، جـ ٥ ص ٢٢٥؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٧٤، ٣٣٧.

(٣) في الأصل (حديداه) والتصويب من ديوان الامام عبدالله بن حمزة.

(٤) في الأصل (بها): وفي الديوان (به).

(٥) كلمة (جهارا) غير موجودة في الأصل، والإضافة من الديوان.

(٦) الكلمة مطموسة في الأصل والاضافة من الديوان.

فبرقا فالضواحي من قديد فامح كل صادقة [1] الوشام
فأرض كلية كليت فوافا الـ ستارة وهو مفضوض الختام [2]
فروى الجحفة الأدما فقدسا فالابوا فالمجاهل والموامى
ولا أضحى بودان الضواحى [3] وروى الجار من صوب الغمام
فبدرا حيث صب على قريش بأمر الله سوط الانتقام
فصفرا فروحا [4] سقاها فسقيا أرضها [5] تبرى سقامى [6]
فينبع حيث حل رئيس قومي إلى الشعثا فرضوى ذا الأكام
فأرض بواط فالعيص المنقى فأرض الرس ذا القور السوامي
فعم المروة البيضا فحجرا فخيبر عارض ثمل الركام [7]
فودا فالعقيق فحرتيه فأرض سيالة بلد السلام
فحمى فالخليعات العوالى فيثرب إذ جعلت بها خيامي
مهاجر خير خلق الله طرا ومنزل آله الغر الكرام [8]
بنى حسن وصيد بني حسين وأهل الصبر في يوم الصدام
إلى كم لا يزال لنا بريد وشعر واصل في كل عام
وأنتم لابثون لغير عذر وهل عذر يصد عن الإمام
أقول وقد تلاحقت المطايا مجاوزة إلى البلد الحرام
إذا عاينت لا لاقيت شرا سنا آيات زمزم والمقام

(١) الكلمة مطموسة في الأصل والاضافة من الديوان.
(٢) الكلمة مطموسة في الأصل والاضافة من الديوان.
(٣) في الديوان نسخة ج (الأضاحي).
(٤) في الأصل (فروعا) والتصويب من الديوان.
(٥) في الأصل (أهلها) والتصويب من الديوان.
(٦) في الديوان أ، ب (عظامي).
(٧) في الأصل (الرهام) والتصويب من الديوان.
(٨) هذا البيت ساقط من الأصل والإضافة من الديوان.

فخص لي بني حسن جهارا ... وشم بني حسين بالسلام
أفي الإنصاف أني كل يوم ... أرد الخيل دامية الحوامي
وأنتم لابثون إلى متى ذا ... وفيكم كل عالية اللجام
ومنكم قائم يدعو إليكم ... بصير بالحلال وبالحرام
صبور حين لا يلقى صبور ... حليف للصلاة وللصيام
يمد يمينه بالسيف طلقا ... كغرثان يمد إلى طعام
إلى أن غادروا صنعاء طوعا ... وذاك الطوع من ألم الزحام
وقام خطيبكم يدعو إليكم ... على الأعواد لا يرميه رامي
وقدم جدكم قدام تيم ... وكان أحق بالرتب الجسام
ألم يَقْتُلْ وليداً يوم بدرٍ ... وخَضّب [1] رأس عتبة بالحسام [2]
ويوم سما له عمرو بن ود ... وكان القرم معدوم المسامي
فقام له أبو حسن علي ... مقاما جل ذلك من مقام
وكم والى كم[3] التعداد جهلا ... أيحسب حاسب[4] ودق[5] الغمام
أأرضى أن يكون أبو حسين ... رباعيا وفي كفي حسامي؟
معاذ الله ليس يكون هذا ... ولما نحتسي جرع الزؤام!
ولم تهلك سيوف الهند صبرا ... وينتصف اللهام من اللهام
وترقل للقراع بنو علي ... كإرقال المصاعب في السوام
إذا لم تغضبوا للدين جهرا ... ولم تحموا عليه فمن يحامي

---

(١) في الديوان (وتخضب).

(٢) هذا البيت ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.

(٣) في الأصل (متى) والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (حاسبا) والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل (قطر) والتصويب من الديوان.

دعـوها غضبـة كسبت فخـارا فقد تحمي الكريم من الكلام
حميـة حمـزة جلبت إليـه جـوار الرب في دار المقـام
دعا ذو ثعلبان الجيش قـدما وثـوبا صـارخا في آل حـام
وقـاد لـواءه سبعين ألـفـا تمـر كأنهـا حـزق النعـام
وكـان قيـامهم في حق دين فيـا لله ذلـك من مقـام[1]
فحلوا دار قحـطان بن هـود وأجلوا بـالمهنـد آل سـام
ويوم دعا بني[2] عبس أخوها لفـرط لجاجـة ولخـوف دام
فقـادهـا مشـذبـة الهـوادي كأجذاع[3] البواسق في شبام[4]
وساق إلى هوازن ما علمتم ونـار الحرب تلفـح بالضـرام
وأيـام الكـلاب سمت تميم ففـازت يـوم ذلـك بـالتمـام
وذو الرمحين في كنفى عكاظ حمتـه آل ريـطة بـالسهـام
ويـوم كليب إذ كلبت عليـه سـراة ربيعة الأسـد الحـوامي
فصبـوا حولـه شعث النواصي تصب الجري كالجدا التهامى
وقـاد كنانـة[5] البرّاض قِـدماً إلى حرب الفجار على النعامى
فعـرضت العنـابس للمـواضي وجـوهـا لا تعـرض للطام[6]
فخـاضت غمر لجتهـا قريش ونحر الخيل عاصي الظهر طامي

---

(١) في الديوان (قيام).

(٢) في الأصل (بنو) والتصويب من الديوان.

(٣) في الأصل (أحداق) والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (شام) والتصويب من الديوان.

(٥) في الديوان، نسخة أ (كتائب). والبيت بالكامل ساقط من ب.

(٦) هذا البيت مقتبس عن شعر قاله كل من: الحريش بن هلال القريعي، والعباس بن مرداس السلمي، والجحاف بن حكيم السلمي.
انظر، أبو تمام، الحماسة، جـ ١ ص ٨٨؛ الجمحي، طبقات فحول الشعراء، جـ ١ ص ٤٨٢.

ولم يقصد بها سروات قيس ولا سكنت إلى طيب المنام
ولـولا أن يـظن بنـا غلو عددت لكم إلى غسق الظلام
فقـومـوا يـا سـراة بني علي فليس المجـد إلا بـالقيـام
وإلا فـاحـذفـوهـا من قـريب وقـولوا بعـدهـا صمى صمـام
وقولوا اذهب وربك قاتـلاهم وهل سهم يشد بلا لؤام[1]

وأما الشعر الثاني الذي أنشأه عليه السلام إلى أبي عزيز بالتاريخ المتقدم:

ألا هل أتى عنّا على نأيِ داره[2] قتـادة والفتـح المبين يشيـعُ
بأنّ الكُماةَ الصِيد قصّافة القنا أتتها[3] جموعٌ منهم وجمـوعُ
وصارت لنا صنعاءُ داراً وهجرة وجـاء لنا فتـحٌ بذاك سـريعُ
وقدنا إلى شطّي ذَمارَ فوارساً عليها من الصبر الكريم دروعُ
يقـودُهُمُ يحيى بن حمـزة إنـه ضرورُ الأعادي للصديق نَفُوعُ
فتىً ضَمَّهُ من جانبيه كليهما[4] حُمـاةٌ أُبـاةٌ سـادةٌ وفُـروعُ
فلم يثن رأساً من جبال سمارة وشـاع له ذِكْـرٌ هنـاك رفيـعُ
وقد ألقت الأفلاذ أهل تهامة وجــاء إلينـا قـائـد وشفيـعُ
ولم يبق دون الملك يا آل هاشم لنا ولكم في ذي البلاد منوعُ
وقد قام داعيكم على كل منبر سميعاً فهـل بعد السماع هجوعُ

---

(١) اللؤام: ريش السهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة، لأم.
(٢) في الأصل (ألا أبلغا عني على بعد داره) والتصويـب من الديوان نسخة أ، ب، أما في ج، د. (ألا هل أتى عنا على بعـد داره).
(٣) في الأصل (أتينا) والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل (كلاهما) والتصويب من الديوان، نسخة ج.

ولان شهاب بعد طول جماحه | وأصبح شملُ الحيِّ وهو جميعُ
وبايعت الأجناد طوعاً وحافَظَتْ | ولا يتساوى حافظٌ ومُضيعُ
فقل لأبي الأضياف أعني قَتَادةً | فتى بان منه[1] العِتْقُ وهو رَضيعُ
ليهنك أن أصبحت تدعو إلى الهدى | وجودك مبذول وأنت منيعُ
جمعت لنا شمل العشيرة بعدما | تشعَّبَ واعتال الجميعَ نُزوعُ
وصلت - فلا شُلّتْ يداك - حبالَها | وأنت وَصولٌ للأمور قَطوعُ
لك الشرف الغرُّ الذي خَضَعَتْ له | رِقابٌ ولم يسبق لهنّ خُضوعُ
أراعي أسود الغاب هذي عجيبة | متى كانت الأسد الغضاب تهيعُ
نهضت لتطهير المشاعر والصفا | وزمزم من حيث الحمام وقوعُ
وحيث ينيخ الوافدون مطيهم | بأوجههم من لفح الهجير سفوعُ
ليهنك أن طهرت مكة بالقنا | وأن جناب الجود منك مريعُ
كذا فليكن آل النبي محمد | وإلا فبعض المنتمين ولوعُ
فقُم غاضباً لله قَوْمَةَ ثائرٍ | يَرُدُّ صَبورَ القوم وهو جَزوعُ
فأنت لداعي الحق حصن[2] ومعقل | وسيف حسام قاطع[3] وقطيعُ
نماك حليف المجد نجل مطاعن | فطعنك موت بالحبيب[4] فَجوعُ
متى نمت عن حرب متى نمت عن علا؟! | فذكْرك بالفعل الجميل[5] يشيعُ[6]
وخيلك في شرقٍ وغربٍ مُغيرةٌ | كواسبُ لا ينمو لهنّ صريعُ
وما طهرت أهل الحجاز من الخنا | إلى أن سقى أرض الحجاز نجيعُ

---

(١) في الأصل (فيه) والتصويب من الديوان.
(٢) في الديوان (كنز).
(٣) في الديوان (باتك).
(٤) في الديوان، أ (للحبيب)، في ب (وللحبيب).
(٥) في الديوان، (الحميد).
(٦) في الأصل (وسيع) والتصويب من الديوان.

فأرسل لنا منها ثمانين فارساً ... وعشراً وعشراً فالإيابُ سريعُ
ففي اليمن الخضراء ملك مُسَيَّبٌ ... وجند لأمر الآمرين مطيعُ
وعندي أنا [من][1]دون خمسة أشهر ... وأرضك مصطاف لنا وربيعُ
وقد جمع الله المهيمن شملنا ... بكم[2] وجفون الظالمين هموعُ
فنحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وفي كل جسم هامة وضلوعُ
ألسنا نرد الملك يقرع سنَّه ... وزرق العوالي في الأكف شروعُ
لنا دوحة زيتونة نبوية ... لها ثمر حلو الجنا وفروعُ
إذا نحن لم نحي الهدى فمن الذي ... يقوم به أم من إليه نريعُ؟
أبونا رسول الله أكرم من مشى ... فمن يشتريها سنة ويبيعُ

وحَدّثني الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع قال: لما وصل كتاب الإمام عليه السلام مع الشعرين إلى مكة حرسها الله تعالى، دخلت أنا والشريف السيد عقبة بن يحيى بن الإمام إلى أبي عزيز وهو بدار الإمارة عند باب بني شيبة وذلك بعد مهبط الحاجّ من مِنى، فسلّمْتُ إليه الكتاب فأخذه بيمينه وقبله، ووضعه على رأسه، وأمرني بفضّه وقراءته، فابتدأْتُ في القراءة، ودخل ولده حنظلة ومعه رجل وصل من بغداد من خواص خليفتها، فقال له أبو عزيز: أنا على حاجة، فتنحَّيا عنا إلى ناحيةٍ من المجلس، ففعلا، وآستمررْتُ في القراءة حتى أتيت على آخرها في الكتاب والشعرين، فأُعجب بما سمع، وأظهر المسرة، وشرعنا في حديثٍ من ذكر الإمام عليه السلام. فقال حنظلة: إنا نحب قضاء حاجة، فقال له أبو عزيز: دعنا من أخبارك؛ فإنا في خير مما جئت به. قال الفقيه: وكنت قد قرأت عليه الكتب المتقدمة الواصلة من الإمام

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (شملكم بنا) والتصويب من الديوان.

عليه السلام في شهر الله الأصم[١] رجب من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، فحلف بالله يميناً مؤكدة مغلظة أني باق على طاعة الإمام، ممتثل أوامره، أَدينُ الله تعالى بولايته ومحبته. وقد كان الفقيه شهاب الدين أبو القاسم بن حسين بن شبيب أخذ عليه البيعة للإمام عليه السلام قبل ذلك، وولى الولاة بالحجاز، وأنفذ الأحكام الشرعية عن أمره، وكان منه بعد ذلك ما ظهر بمكة حرسها الله تعالى من العدل والانصاف، وتطهيرها عن أصناف الفساد وقطع مواد المفسدين، واستظهاره على من ناوأه من الشرفا[٢] وغيرهم، ونصره الله عليهم لما علم من صدق نيته وصحيح طويته. وكان قد تقدم إلى ينبع، فلقيه الأشراف أولاد يحيى من بني داود في قدر مائة فارس يريدون قتله، وكان ذلك برأي قد اشتور عليه الأميران محمد بن مكثر بن عيسى وسالم بن مهنا صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فأعدوا له فرساناً معروفين، فلما التقوا رموه بخمسة عشر رمحاً في جملة واحدة فلم ينصرهم الله، وكانت اليد في ذلك اليوم له عليهم، ثم جمعا بعد ذلك جمعاً كثيراً وحلّقا على مكة حرسها الله تعالى يريدان أخذها وقتل من فيها من عسكره. وكان المقدم فيهم الشريف محمد بن هاني العيساوي وأبو محمد حمير، فلما صار عسكر محمد بن مكثر في الشُّبَيْكة[٣]، ركب الشريف محمد بن هاني في خيل من بني حسن

---

(١) في الأصل (الأصب). والأصم: رجب، لعدم سماع السلاح فيه، وكان أهل الجاهلية يسمون رجباً شهر الله الأصم. وقد استمرت هذه التسمية في الإسلام. ابن منظور، لسان العرب، مادة: صمم.

(٢) في الأصل (الشرف).

(٣) ثنية الشبيكة وهي أحد مداخل مكة. وقد أصبحت في داخلها الآن. الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٧٥، ج ١ نفس الصفحة.

ومماليك لأبي عزيز من الترك. فوقع بينهم طراد حمل فيهم أصحاب أبي عزيز فقتل محمد بن مكثر في قدر ثلاثين من أصحابه، وأخذوا جميع ما أجلبوا به من الخيل والإبل والعدة والسلاح. وما انفلت منهم سوى الأمير منصور بن داود إلى نخلة[1] في أفراس ولم يحضر الوقعة.

رجع الحديث إلى تمام ذكر الحوادث والإمام عليه السلام ببيت مساك وتقدمه بعد ذلك إلى حصن ذمرمر:

وكان حي من ذيبان[2] يقال لهم العضيات[3] قد كثرت مضارهم وفسادهم في البلاد وامتناعهم عن[4] تسليم الحقوق الواجبة في أموالهم، وكراهتهم للحق وتمردهم. وهم بدو في موضع يسمى

---

(١) موضع بالقرب من مكة، وما يحمل اسم نخلة كثير منها نخلة الشامية ونخلة اليمانية ونخلة محمود.
البكري، معجم ما استعجم، جـ ٤ ص ١٣٠٤؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٢٣ - ٢٥.
ياقوت، معجم البلدان، جـ ٥ ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) ذيبان بفتح الذال وسكون الياء، قبيل ووطن في بلاد أرحب.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٩، ح ٥ نفس الصفحة؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٥١.

(٣) كذا في الأصل، أما في اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٢٧٧ فقد ذكر الشرفي «العصيمات حي من ذيبان» مع ملاحظة أن العصيمات أكبر من أن تكون حياً من أحياء ذيبان. كما أن ذيبان من قبائل أرحب البكيلية، أما العصيمات فمن بطون حاشد. وقد ذكر مؤلف السيرة بعد ذلك أن العصيمات من قبائل عذر.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٦٤ - ٦٥، جـ ٢ ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٤) في الأصل (من).

الأبرق[1] في نهج شوابة[2]. وكانوا قد هجموا أهل حبش[3] وأخذوا لهم بقراً كثيرة وروعوهم، وذلك في مدة إقامة الإمام عليه السلام بصعدة. فبعث الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في سبعين فارساً ورجل كثير، فوافوا حروثهم بعد طلوع الفجر، فانهزموا إلى رؤوس الجبال وبطون الشعاب، وخلوا بينهم وبين المال. وكان لهم صرم آخر غويه الدليل فلم تصله العسكر، وتغنموا مالاً كثيراً من ذلك الصرم، وما كلم أحد منهم بكلم، وأخذوا ماكان فيه، وقسموا خمسه للإمام عليه السلام، وأمروا به إلى جهة الظاهر لأنه قد كان على نية التقدم إلى ذمرمر. فخضعت البدو في الجهات كلها، ودنوا إلى الطاعة، وسلموا الحقوق الواجبة بعد تلك الغزوة.

ذكر قدومه عليه السلام إلى حصن ذمرمر وما وقع من الحوادث والحروب والغزوات:

لما تقدم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة في المعسكر من صنعاء إلى نهج اليمن ومعه الأمير شهاب، جاءه كتابه يحكي وصولهم إلى جبل أُدم[4] من

---

(١) الأبرق اسم لقريتين، احداهما في جبل عيال يزيد، والأخرى في عزلة خميس بني دهمش قضاء ظليمة. ومن ثم فهذه أول إشارة إلى الأبرق الذي يقع بالقرب من شوابة. التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ٥٤.

(٢) شوابة بضم الشين، واد من أعمال ذيبين في بلاد بكيل ينحدر ماؤه إلى الجوف. وإليه تنسب قرية شوابة في عزلة سفيان ناحية ذيبين.
انظر، تعداد ١٩٨٦؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٨، الويسى، اليمن الكبرى، ص ٨٢، ٨٤.

(٣) كذا في الأصل، ولا يوجد في المنطقة موضع أو قبيل بهذا الاسم. والمرجح أن يكون بيت حنيش من عزلة بني مرة والمنصورة ذيبان، ناحية أرحب.
التعداد السكاني التعاوني، صنعاء جـ١ ص ١٠٦.

(٤) أُدم بفتح الهمزة وكسر الدال، جبل مطل على قرية سمارة بمخلاف السحول. =

جبال الشعر[1] وأنهم وقعوا في قبائل عظيمة العدد، شديدة المحبة للإمام عليه السلام. وكانت العرب قد اشتد طمعها في الغز ولولا كون الأمير عماد الدين في ذلك العسكر لهلك. ولم ير إلّا تجديد الرسالة إلى الإمام عليه السلام يحضه على المبادرة إلى ذمرمر وألاَّ يتأخر في[2] القدوم إلى هنالك، فإن قبائل اليمن إذا علمت بقربه أنست به واشتدت عزائمها على العدو، ورعب العسكر الذين من قبله، فلما جاءه ذلك لم ير إلا القدوم إلى حصن ذمرمر. وكان قد جعل الولاية فيه على ما جرت به البيعة والأيمان بتاريخ شعبان من سنة ست وتسعين للسلطان الأوحد جمال الدين الفضل بن علي بن حاتم[3]. وكان الإمام عليه السلام تد خطب إليه ابنته أيام فتح صنعاء فساعده إلى ذلك من غير عقد يقع في تلك المدة. فلما وصل وقع العقد والنكاح، وسيأتي ذكر تاريخه في موضعه إن شاء الله. وكان قدومه عليه السلام إلى حصن ذمرمر لثمان خلت من ذي القعدة من سنة ثمان وتسعين وإقامته به سبعة أشهر تنقص أربعة أيام. ونهض من بيت مساك في الليلة المذكورة في قدر سبعين فارساً ومائتي رجّال من غير

= الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٩٧، ج ٣ نفس الصفحة؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٤٧.

(١) جبال الشِّعر، سلسلة من الجبال في شمال إب.
انظر، المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٥٤٤.

(٢) في الأصل (من).

(٣) دولة بني حاتم في صنعاء، أسسها السلطان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي، وبوفاته تولى ابنه علي بن حاتم. وظلت صنعاء تحت سلطانه إلى أن استولى عليها سيف الإسلام طغتكين في ٢٠ من شوال سنة ٥٨٥ هـ. فانتقل إلى حصن ذمرمر، وتوفي به سنة ٥٩٧ هـ.
انظر، عمر بن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١١٩ ـ ١٢٠؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ورقة ١٢ ـ ١٣؛ ابن حاتم، السمط، ص ٣٢ ـ ٣٣.

مواطأة للسلاطين آل حاتم ولا مؤامـرة بينهم، ولا علـم الأكثر بذلك حتـى رأوه مقبلاً من جهة الخشب قاصداً إلى الحصن. وكـان عليه السلام واثقاً بهم، وربمـا قد صـح عنده من طاعتهـم وشدة محبتهم وامتثالهـم لأمره. وكـان سبب ذلك ما تقـدم من عناية الشيخ العالـم الفاضل الحسن بن ناصر العذري[١]، فإنه اجتهد في تقريبهـم وعمارة قلوبهـم بمحبة الإمام عليه السلام. وقرأوا عليـه في علم الكلام، وبلغـوا فيه مبلغاً صاروا به معدودين من جملة العلماء، وتمسكوا من الدين بالأسبـاب القوية ومتابعة العترة الطاهرة المرضية. فهم عُبّاد الليل وفُرسان الخيل. ومنهم الخطيب المصقع، القائـم بفرائض الجمع السلطان الأجـل الفاضل سعد بن علي بن حاتم. وكل واحـد منهم قمين بما قال الشاعر.

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري[٢]

ولما دنا الإمام عليه السلام من الحصـن المعروف بخدار[٣] هبط السلطان الأجل الأوحد زيد بن علي في لقائه في عصبـة مـن إخوانـه، وبني عمـه، وديوانـه يمشون، فنزل عـن ظهر فرسـه للسلام عليهم، فتلقوه ومن معه بما يليق بمثلهم، وما تقتضيـه مروءاتهم ودينهم وحلومهم. وما هو معروف منهم من الإنصـاف والبشـر والبشاشة. وما هـم أهله من المعروف والألطاف. وساروا جميعاً بين يديـه إجلالاً له عليه السـلام وتعظيماً لأمـره حتى نزل بدار الصبول. وتلقّاه هنالك السلاطين الأجلاء الفضلاء عمرو

(١) العلامة الحسن بن ناصر بن يعقوب بن عامر. . . . العذري، مؤلف الأعلام شرح نهج البلاغة. تولـى الكتابـة بديوان الإنشاء للإمام عبد الله بن حمزة.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ٢ ص ٥١ - ٥٢.

(٢) ينسب هذا البيت إلى الأخطـل وكذلك إلى عقيل بن العرنوس.
انظر، ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ٢ ص ٩١١؛ موسوعة الشعر العربي، جـ٤ ص ٤٥٨.

(٣) يتضح من النص أن حصن خدار أحـد توابع أو ملحقات حصن ذمرمر.

والفضل ابنا علي بن حاتم وكافة إخوتهما وبني عمهما للسلام وتأدية حقه. وأما السلطان الأجل بشر بن حاتم[1] فإنه امتنع عن[2] اللقاء، وتأخر في الجميمة وهي أعلى الحصن، لأمور كانت في نفسه وأسباب لوثت خاطره، وحوادث متقدمة كانت بينه وبين الإمام عليه السلام لمظاهرته الغز وميله إليهم. ولبث عليه السلام في دار الصبول ثلاثة أيام وحضرت الجمعة، وأجمع رأي السلاطين على طلوعه إلى الجميمة لصلاة الجمعة والإقامة هناك. فلما أجمعوا على ذلك، لم ير بُدًّا من النزول للسلام والدخول في زمرة الجماعة. وفَعَل بعد ذلك في حق الإمام عليه السلام من الإكرام والإنصاف والإقامة في منزله ما برز فيه على غيره، وقدم له ثوباً[3] مشرباً[4] مطرزاً[5] وعمامة، وبالغ في المناصفة ومن بقي معه من أصحابه. وكان قد وجه الأمير محمد بن إبراهيم إلى مطرة[6] والتو[7] وما يتصل بهما من بلاد عذر[8] إلى نهج

---

(١) السلطان بشر بن حاتم أخو السلطان علي بن حاتم. يقول ابن أبي الرجال أنه كان منتسباً إلى مذهب العنزة. والظاهر عند الناس أنه غير زيدي.
مطلع البدور، جـ ١ ص ١٢٨.

(٢) في الأصل (من).

(٣) في الأصل (ثوب).

(٤) في الأصل (مشرب).

(٥) في الأصل (مطرز).

(٦) مطرة بفتح أوله وكسر ثانيه بعده راء مهملة، بلد بين نهم وأرحب، وبمطرة أودية عظام تنقلب كلها إلى الخارد.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤، ٢١٦، ٢١٧، الإكليل، جـ ٨ ص ١٧٦؛ البكري، معجم ما استعجم، جـ ٤ ص ١٢٣٩.

(٧) التو بتشديد التاء، قرية من أرض عذر الصفا من مشرق حاشد.
مسلم اللحجى، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٢١، ١٧٣ - ١٧٤.

(٨) عذر بضم العين المهملة، وطن وقبيل مشهور، نسب إلى عذر بن سعد. . . بن حاشد، =

المشرق. وجعل له الولاية في ذلك مضافاً إلى ولايته ببلاد حاشد[٢] والصيد[١] وما يواليها، وأمره بإصلاح أحوالها، وتفقد أمورها، والقيام فيها بأمر الله تعالى. فصدر في بعض الخيل التي وصلت مع الإمام عليه السلام، ثم وجه صنوه الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة إلى الجوف في خيل فكان له من المخارج والمغازي ما يأتي ذكر كل ذلك في موضعه إن شاء الله. وباقي الخيل والديوان صدر كل إلى جهته لإصلاحها وقبض ما تحصل فيها من الواجبات. وأقام الإمام عليه السلام في جماعة ممن يخصه بدار السلطان الفضل بن علي، وشاع ذكر وصوله ذمرمر إلى أقاصي البلاد، فأنس الناس بذلك و تقوت عزائمهم، وامتنع الأكثر من تسليم ما يطالبهم به الجند الذين بقوا بصنعاء مع الأمير عدلان بن خضر إلا عن أمر الإمام عليه السلام. وكان قد جعل لهم الخمس مما تحصل من الثمار في البلاد وأخذوا خطه على ذلك ببيت مساك. وجاءت قبائل العرب من كل جهة فمنهم من يأتي للسلام وتجديد البيعة، ومنهم من يأتي بما يجب من الحقوق، ومنهم من يطلب الولاية. فكان يأتي إلى الحصن في كل يوم من الخمسين إلى المائة إلى المائتين، وتزيد وتنقص مدة الإقامة ويمسون بالجميمة. ولم

= وتقع مساكنهم بالشمال من حاشد. ومنهم عذر مطرة في بلاد نهم.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٧، ج ٣ نفس الصفحة؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٢٢، جـ ٣ ص ٥٩٥؛

(١) حاشد من أكبر قبائل اليمن، تنسب إلى حاشد بن جشم بن همدان. وتنقسم إلى أربعة أقسام، بنو صريم وخارف والعصيمات وعذر. وكل واحدة منها تنقسم إلى عدة بطون.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٢١٣ - ٢٢٦.

(٢) الصَّيَد بفتح الصاد والياء. بطن من خارف من حاشد. وبلاد الصيد متصلة بالبون. ومن قراها المشهورة كانط وناعط.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٢١٧، جـ ٣ ص ٥٤٨.

يكـن أحد فيما تقـدم يطلع إليهـا ولا يبيت بهـا، ففعل ذلـك السلاطين مساعدةً للإمام عليـه السلام وإظهاراً لنفاذ أمره فيهم وفي حصنهـم، فازداد الأمـر بذلـك قوة، والعـدو هيبة. ونفذت الأحكـام بصنعاء، وتقوي أمر قاضي الإمام عليه السـلام بها، وأقام الحدود علـى مـن وجبت عليه من الغز والعـرب. وأُهريقت الخمور، وزال معظـم المنكرات. وأقيمت الجمع وأُذّن بحـي على خيـر العمل مع كراهـة الجند لذلك. وحبـس النساء العواهـر، وزوج منهن من أراد الزواج. واستقـام الأمر وصلحـت أحوال الرعيـة حتى وصل وردسـار وانتقض ذلـك بصنعاء كله، وعاد كل شيء إلى أصله. وذكـر ذلك يأتي في موضعه إن شاء الله.

ومن جـملة الواصـلين إلى الإمام عليه السلام ـ لـما استحـكم أمره وظهـرت كلمـته، ودخـل الجـند من الغـز في طاعـته وأتمروا بـأمره ـ مشـايخ هجـرة وقش وكـبارهم المطرفية[1] المرتـدة الغوية مع الأميرين محـمد بن مفـضل[2] وأبـي الفتح بن محـمد العبـاسي العـلوي[3]، وهـما

---

(١) المطرفية إحـدى فرق الزيدية، تنسب إلى مطرف بن شهاب. ويرى أصحـاب هذه الفرقة أن الله قد خـلق الأصول الأربعة الماء والهـواء والنار والتـراب، ثم خـلق منها الفروع بالإحـالة والاستحـالة. ويقولون بأن الحـوادث اليومية كالنباتات والمولودات والآلام ونحوها حـادثة من الطبائع الحـاصلة في الأجـسام. وأن الله قد ساوى بين الخـلق في ست خـصال في الخـلق والرزق والموت والحـياة والتعبد والمجـازاة، ونفوا جـميع الأفعـال عن الله. وكـان نفيهـم الأفعال عن الله ونسبتهـا إلى المـواد والتركيب من الأصول ظناً منهـم أن في ذلك تنزيهـاً لله تعـالى من أن يـضاف إليه شيء من القبائح. انظر، يحيى بن الحسين، الطبقات، ورقة ٣٨ ـ ٤٢؛ الهـادي بن إبـراهيم، تـاريخ بني الوزير، ورقة ٨٧ ـ ٩٠؛ الشامي، تـاريخ اليمن الفـكري، جـ٣، ص ٨٣ ـ ١٠٣.

(٢) محمد بن مفضـل بن علي بن علي بن العفيف، الأمير المنتصر بالله، كـان عالماً فاضلاً، قـام محتسباً في زمن سيف الإسلام طغتكـين، واستمر في مناهـضة الأيوبيين إلى أن قـام الإمام عبد الله بن حـمزة فبايعـه ونـاصره. =

أمراء المطرفية وكانا باقيين على التطريف وماتا على الضلالة باعتقاد مذهب الإحالة. وكان إظهار ما أظهروه نفاقاً لا وفاقاً، فنعوذ بالله من الشقوة، وهم السلطان محمد بن إسماعيل الشهابي[1] والفقيه علي بن يحيى البحيري والشيخ ناصر بن علي العرشي[2] ومحمد بن أحمد بن مداعس الجنبي[3] في عدة وافرة لم أعرف أسماءهم وما أنكر أحد منهم شيئاً من أمر الإمامة ولا بقي عنده شك في استحقاق الخلافة والزعامة، ولا بقي متوقف في تلك الحال ولا ناصر ولا باعث في ذلك ولا مناظر. وجرى الكلام فيما بينهم وبين الإمام عليه السلام في أمر البلاد وإنفاذها إلى الولاة والعمال والمتصرفين لقبض الأموال وحفظها وتوفيرها، وكان ذلك في استقبال الثمار ومظهرين[4] العزم على منابذة العدو، والقتال، وإجابة دعوة الإمام عليه السلام عند الحاجة أو بدوّ البادي من نهج اليمن من الغز. فالأمير محمد بن مفضل على ولايته

= الهادي بن إبراهيم، تاريخ بني الوزير، ورقة ٨٦؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦؛ الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ٧١.

(٣) الأمير أبو الفتح بن محمد العباسي، كان من العلماءالأعلام الذين بايعوا الأمير المنتصر بالله.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤، ص ٢٧٦.

(١) ترجم له ابن أبي الرجال وذكر أنه من العلماء الأعلام الذين بايعوا المنتصر بالله.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤، ص ٢٧٦.

(٢) ناصر بن علي العرشي من أهل العلم والفضل، بايع الأمير المنتصر بالله.
يحيى بن الحسين، تلطبقات، ورقة ٦٩؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤، ص ٢٧٦.

(٣) ذكره ابن أبي الرجال بين العلماء الأعلام الذين بايعوا المنتصر بالله.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤، ص ٢٧٦.

(٤) في الأصل (مظهر).

المتقدمة مُقَرٌّ عليها، والأمير أبو الفتح كذلك في مقري والهان[1] وبلاد بكيل[2] وما يتصل بها، وأضيف إلى السلطان بشر بن حاتم عن رأيهما - ومشورة من حضر منهم - حضور وأعمالها والجحادب[3] والأغمور[4] وما يتصل بها من كرار[5] وحراز[6] وما يواليها. وتولى السلطان محمد بن إسماعيل البلاد المتصلة بوقش من البرويات، وبلاد بني مطر، وبلاد بني شهاب[7]. وتولى الشيخ ناصر بن علي العرشي مشارق بلاد خولان وما يتصل بها. وتولى محمد بن أحمد بن

---

(١) مقرى والهان، يعرف هذين الإقليمين في الوقت الحاضر ببلاد آنس. في الجنوب الغربي من مدينة صنعاء.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٢١ - ٢٣.

(٢) بكيل المذكورة هنا من قبائل آنس تقع ديارهم في شمال ضوران.
المقحفي، معجم القبائل والبلدان، ص ٨٧.

(٣) الجحادب وعلسان، عزلة في ناحية الحيمة الخارجية قضاء صنعاء.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ١٩٦.

(٤) الأغمور عزلة بناحية مناخة قضاء حراز بمحافظة صنعاء.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٢٩ - ٣٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢، ص ٢٥٢.

(٥) كرار بالفتح، ذكر الهمداني أنها في بلاد حراز وتمثل أحد أسباع مخلاف حراز وهوزن.
صفة جزيرة العرب، ص ١٢٢ - ١٢٣، ص ٢٠٩.

(٦) حراز قضاء واسع غربي صنعاء مركزه مناخة في رأس جبل حراز.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٢٠٩ - ٢١٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، حـ ٢، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٧) البروية وبلاد بني مطر وبلاد بني شهاب كانت من الجهات التي تتكون منها ناحية البستان وتعرف حالياً بناحية بني مطر غربي صنعاء.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ١١٨ - ١٢٤؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٨٢، ٦٣٣ - ٦٣٤.

مـداعس الجنبي بـلاد بني حـبيب[1] وتوجـه كـل منهم عن أمـر الإمام عـليه السلام لنفـاذ الأوامر الإمامية والتأهـل لوقـت الحـاجة، وإقـامة الجـمعة في هجرهـم، والقيـام بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجـييش الجـيوش إلى ثغور الجهـاد. فـلما طـلع وردسار إلى صنعـاء انتقـض ذلك كـله، وتفرقوا للخـريف في أطـراف البـلاد، ولم يقيموا جـمعة ولا أزالوا منكراً[2]، واجـتمع إليهـم من أطـراف البـلاد خـلق لحـضور المجـلس في وقش على ما يعتـادون ذلك في كـل سنة. فكتـب الإمام عـليه السلام يحـضهم على إقـامة الجـمعة فاعتذروا بأنهـم بين نـاظر في الأمر وغير مساعـد. وقـالوا لا بد من الوصول لتقع المراجعـة. وكـتب عليه السلام إلى الأمـير أبي الفـتح بن محـمد يـطلب منه المعونة بشيء مما حـصل من أمـوال الله تعـالى في جـهته، فعـاد جـوابه يـقول فيه؛ وهـذا نسخـة كتابه بخـط يـده قـال في آخـره: «وينهـي قـدومه إلى هجـرة وقش بتعويل من الأمير السيد العفيـف، ومن كافة أهـل وقش بعد اتصال الملوك بحـضرته العالية بعد أن كـان منه في الأيـام الماضية ما أمكـنه من إصـلاح البلاد وقـمع أهـل الظلم والفساد، ورد المظالم إلى أهـلها وكـف الرعية عن جهلهـا، والانتقـام بـثأر الإسلام ممن قـاد عليهم [الجند في][3] المساجـد والموارد والمنازل فهدمـت ديارهم، وهتـكت أستارهـم، ثم أقبل عليهـا بعد ذلك من الغز البغش وابن كـزبخَـيلٍ كـثير ورجـل فحـاربناهم في ثمـار[4] فكسرناهـم وقتلنا فيهـم وعقرنا من خـيلهم ثم

---

(١) حبيب من قبائل اليـمن، كانت تقطن شبـام عند ذمرمر.
كحـالة، معجـم قبائل العرب، جـ١، ص ٢٣٩.

(٢) في الأصل (منكر).

(٣) إضافة إلى النص ليستقيم المعنى.

(٤) ثمـار قرية من قـرى مخـلاف السحـول ناحـية المخـادر. وربما يـكون المقصود.

انصرفوا خائبين، ثم نقلوا محطتهم إلى سمح[1] فانتقلنا في وجوههم إلى بيحان[2] وكهال[3]، فحاربونا ستة أيام فقتلنا منهم أكثر مما نالوا منا؛ ثم رجعوا إلى جهران، وما نالوا من البلاد مداً[4] واحداً، ولا درهماً فرداً؛ وصار نجدهم نجاد جهران، وسكنت البلاد بسعادة مولانا وبركته وهيبته. وما ذكره مولانا من معونة [إن][5] فلم يكن المملوك آمراً بقبض شيء من البلاد إلا شيئاً قريباً من مقري، فلم يقم بما يحتاج إليه. فأما بكيل والهان وآنس فلم يحصل منها شيء. والمملوك موقف نفسه بين أمر مولانا ونهيه يدين الله تعالى بمحبته، ويعتقد وجوب ولايته ولزوم طاعته.

وقدم إبراهيم بن أحمد صاحب ريمة الأشابط[6] إلى الإمام

= «نمارة» ناحية جبل اشرق قضاء آنس. انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٤٧؛ التوزيع السكاني في محافظة ذمار، ص ١٥.

(١) سمح قرية من عزلة خمس الصيح ناحية ضوران قضاء آنس.
التوزيع السكاني في محافظة ذمار، ص ٣٠.

(٢) بيجان اسم لمجموعة من القرى، منها بيحان السافل وبيحان العالي من عزلة السلف ناحية ضوران قضاء آنس، وبيحان قرية في عزلة الأعماس ناحية الحدا قضاء ذمار.
التوزيع السكاني في محافظة ذمار، ص ١٨، ص ٤٥.

(٣) عزلة كهال من ناحية ضوران قضاء آنس.
التوزيع السكاني في محافظة ذمار، ص ٣٤.

(٤) المُدُّ: ضرب من المكاييل، وهو ربع صاع، والصاع خمسة أرطال.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مدد. بينما يذكر ابن المجاور أن المُدُّ أكثر من ذلك بكثير. صفة بلاد اليمن، ص ٨٩.

(٥) زيادة في النص وبحذفها يستقيم المعنى.

(٦) ريمة اسم مشترك لعدد من البلدان أشهرها ريمة الأشابط. وهي أحد قضاوات محافظة صنعاء.

=

عليه السلام سامعاً مطيعاً مسلماً بلاده ممتثلاً للأوامر، وسأل رجلاً يصدر معه لإقامة الجمعة، وقبض الحقوق الواجبة، والفصل بين أهل البلاد، وإنفاذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحكى ما عند أهل البلاد من المحبة والرغبة والطاعة. ولم يكن عنده في الحال من يصلح لذلك، فبعث حسين بن أحمد الشريفي فأقام هنالك مدة، ولم يستقم لأمور بدت منه خلاف ما كان يظن به، فلم يرضه أهل البلاد. ثم جاءت مكاتبة الفتى ابن فاضل صاحب الخضراء[1] يعرض من نفسه الطاعة والانقياد لأمر الإمام عليه السلام، وما عنده من المحبة والرغبة في وصول من يصل إليه لينفذ الأمر في بلاده، وقلة الأعوان والكفاة وإلاَّ فالبلاد كانت قد ألقت مقاليدها. وجاء كتاب من كافة بني الدبى[2] من مخلاف مقري وحصن عتمة[3] يسألون

= انظر، التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ١، جـ٢، ص ٣٢٥ وما بعدها؛ الحجري مجموع بلدان اليمن، جـ٢، ص ٣٧٧ - ٣٧٩.

(١) الخضراء اسم مشترك لعدد من الأماكن في اليمن، ولا يمكن التعرف على المكان الذي يقصده الكاتب إلا بذكر المنطقة التي يقع فيها.
انظر: ابن الديبع، قرة العيون، جـ١، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ج ١؛ المقجفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) لم أستدل في المراجع عن اسم قبيلة تحمل هذا الاسم، ولكن توجد أماكن تحمل اسم ثرن الذبي، وقرن الذبى في عزلة القبل، ناحية عتمة.
التوزيع السكاني في محافظة ذمار، ص ٨٩.

(٣) عتمة بالضم، حصن في جبال وصاب من أعمال زبيد.
ياقوت، معجم البلدان، جـ٤، ص ٨٢.
وعتمة عزلة من بلاد سارع وأعمال المحويت، وعتمة قرية في بعدان من أعمال إب، وعتمة ناحية مشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٥٧٦ - ٥٧٧؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٣٦ - ٣٤٧.

وصول من يصل لقبض الحصن بعد أن أحكموا الأمر فيه. فأخذوا على صاحبه العهود والمواثيق وهو الطماح بن سليمان على تسليمه عند وصول الواصل من جهة الإمام عليه السلام. وكان ذلك بعناية القاضي علي بن سليمان الحيدرة[1]. وهذه الأبيات في صدد كتابهم.

هي فرصة إن ضيعت ضاعت وإن غنمت أفادت مغنماً وفتوحا
ما كان يخطر مثلها في خاطر لو قابلت ثمناً يود ربيحا
فاقبل نصيحة من أتاك بنصحه حاشاك من أن تستغش نصيحا
ما زال بالطماح لطف جوارنا حتى أقادك ماله والروحا
رضنا بتعريض جماح عزيمة منه فجاءك عهده تصريحا
فاشكر مساعيه الألى وابسط له أَمَلاً تَقَرُّ به العيونُ فسيحا
وآعلم بأنك إن فتحت بلادنا فتحت رياضا[2] والرحاب الفيحا
وفتحت ريمة عنوة وأبحت من مقرى حِمى ما كان قبلُ أُبيحا
جرد لهذا الأمر يحيى الصنو ولـ يركب إليه إن استطاع الريحا
وآنهض بعبءٍ لا يؤودك حمله واسق العدا سماً - وُقيتَ - منيحا
واكس البلاد بيمن فألك بهجةً ليعود بارحها النحيس مسيحا
تستشعر التوحيد والتعديل والتصـ ـديق والتهليل والتسبيحا
وتدين قسراً لا يرى فيها سوى مالاً[3] مؤدّىً أو دماً مسفوحا
ويصير دين الله فيها ظاهرا وسقيم مذهبها الرديء صحيحا

---

(١) علي بن سليمان الحيدرة صاحب كتاب كشف المشكل في العربية، ويحكى أنه كان مطرفياً، ثم رجع عن التطريف.
الهادي بن إبراهيم، تاريخ بني الوزير، ورقة ٦٩؛ يحيى بن الحسين، الطبقات، ورقة ٤٥، ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ٣ ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) في الأصل (رضابا).

(٣) في الأصل (مال).

وقدم الشيخ فخر الدين مرحب بن سليمان السهلي الحرازي فحكى قصة قدومه إلى زبيد بعد قتل إسماعيل قال بعثني الإمام عليه السلام من صعدة داعياً لسيف الدين سنقر والجند الذين بتهامة وذلك عقب قدوم وردسار إلى صنعاء مع الأمير وهاس بن جعفر بن محمد بن جعفر الحمزي[1]، فلما صرنا إلى الخموس[2] ومعنا الشيخ أبو المعالي بن أحمد الحرازي[3] وكان قد وصل صحبة وردسار معي إلى الإمام عليه السلام فأحسن إليه وخلع عليه وأركبه حصاناً وبغلاً لولده، ووعد من نفسه بالقيام بالخدمة والاجتهاد والنفع في جهة الغز فلم يفعل شيئاً من ذلك. وجاءت مكاتبة القائد العطيف من الذنائب[4] يحكى اضطراب تهامة وما فيها من الخوف واختلاف الجند في ذات بينهم، فلم تطب نفس الأمير وهاس بن جعفر على التقدم، وعاد من هنالك. وصدرت متوكلاً على الله تعالى حتى انتهينا إلى المهجم[5] بعد مشاق شديدة، والمقدم بها يومئذٍ الأمير علي بن أبي بكر

---

(١) ينسب هذا الفرع من أبناء حمزة بن أبي هاشم النفس الزكية إلى جدهم جعفر بن حمزة ويعرفون بالشرفاء آل سيِّد.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١٠٤، ١٠٩.

(٢) الخموس بلد في شمال بلاد الأهنوم ما يلي بلاد عذر.
مسلم اللحجي، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية، ص ٤٤ ب، المقحفى، معجم البلدان والقبائل ، ص ٢٠٣.

(٣) ينسب المشايخ الحرازيون بني أبي المعالي إلى الشيخ أبو المعالي بن محمد بن أبي الفتوح، واصله بلده حراز المستحرزة وفيها مسكنه وأهله وهو جد الشيخ أبو المعالي بن أحمد، انظر، ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١٣٣.

(٤) الذنائب بلدة في أسفل جبل ملحان بالقرب من المهجم في الناحية الشمالية منها.
إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ١٥؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٩٣.

(٥) المهجم بفتح فسكون من مدن تهامة الشمالية تقع على وادي سردد ما بين جبل =

القرابلي وكان غائباً في المحالب[1]، ومعي إليه كتاب، فشاورت الشيخ أبا المعالي على الوقوف وانتظاره حتى أُسلِّم إليه كتاب الإمام عليه السلام، وأُلقي إليه ما أودعني من الكلام فلم يساعدني، وتقدم إلى زبيد وتأخرت عنه حتى وصل القرابلي فاستأذنت عليه، وأعلمته بقدومي إليه من جهة الإمام عليه السلام، فأظهر المسرة بوصولي ورفع مكاني، وخلع عليَّ، وأمر لي بشيء من المال بعد أن ألقيت إليه الكتاب، وعنده جماعة من الفقهاء والكتاب والعمال. ودعوته إلى طاعة الله تعالى وطاعة أمير المؤمنين، وإلى البيعة، فسمع وأطاع، وأخذت عليه البيعة، وأقمت عنده أياماً قرأت فيها الدعوة وتأكيد الحجة من تصانيفه عليه السلام، فأعجب بذلك من حضر، ووقع عندهم بموقع، وأثنى القرابلي وقال: لولا ما منَّ الله به من قيام الإمام عليه السلام في دولة إسماعيل لهلك أكثرهم، فآوى طريدهم، وأمَّن خائفهم، وركَّب راجلهم، فالله يجزيه خيراً، وما بقينا إلا في خدمته وعند أمره. قال فلما قضيت الحوائج، وكان عنده بريد من الأمير المؤيد بن قاسم وسفير من مبارز هلدري اسمه شبريارك، وهو ممن أحسن إليه الإمام وركَّبه، والنفقة دارة على أولاده بصعدة في ذلك الوقت. ثم تقدمت أريد الدقيق فسبقا[2] إليه [وقد][3] وقع عندهما شيء

= ملحان ومدينة الزيدية.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١، ص ١٥٩، جـ ٢ ص ٣٩٨؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ٢٦٧.

(١) المحالب بلدة قديمة خاربة جنوبي وادي مور، تقع ما بين المهجم والذنائب. ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٥٨؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ٢٤٦، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١، ص ١٥٩، جـ ٤ ص ٦٨٩.

(٢) في الأصل (وسبقا).

(٣) غير موجودة في الأصل وأضيفت ليستقيم المعنى.

من الحسد لما رأيا من إكرام القرابلي لي وتعظيمه لحالي. فقدما في أمري حديثاً عنده، فلما وصلت إليه وجدته على حالة كبيرة، وعنده من الخيل والمماليك مثل ما كان عند إسماعيل، وقد كبرت نفسه عنده لانتقال الأمر إليه، فصار لا يعبأ بأحد. فلما دخلت عليه، ألقيت الكتاب ففضه ورأى عنوانه من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين ألقاه من يده وقال: هل بقي أحد في اليمن يدعى بهذا الاسم؟ فما قتلنا إسماعيل إلا عليه! قال فأجبته غير مكترث وقلت له: أما أمير المؤمنين على الحقيقة فهو باق، وأما الذي تسمى بذلك فقد قتلته. قال: فكيف يكتب عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله؟ فقلت: هو ابن رسول الله حقاً وليس بمجهول النسب، وذكرت نسبه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: فإذا كان ابن علي بن أبي طالب فَلِمَ قال ابن رسول الله؟ قلت[1]: لأنه ولد فاطمة، عليه السلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه: كل بني أنثى يُنْسَبون إلى أبيهم إلا الحسن والحسين فأنا أبوهما. فلذلك قال ابن رسول الله. فشقّ عليه مراجعتي له، لأن صاحب الأمر عندهم لا يُرَاجَعُ ولا يُنازَعُ. واغتاط غيظاً شديداً وقال: ما جهد المسكين وهل يأخذ إلا الزكاة؟ فقلت له: لقد أردت أن تذمه فوصفته بالعدل لأنه يأخذ ما أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما قولك بمسكين من رَكْب الغز الهاربين إليه منكم مائة وخمسين حصاناً. فاشتد غيظه واقسم لأطردنه إلى أطراف البلاد، وأكثر الكلام فلم أراني أدع في ذلك المقام كلاماً حتى أجبته عنه، وجعلته خالصاً لله، فدفع عني شره وقلت له لما أكثر: هذا الكلام يجهله غيري، فأما أنا فخبير بالأمر، ألست تعلم حربه لإسماعيل

(١) في الأصل (قال).

على كثرة جنده وأمواله، وما كان مبلغه من الظاهر ومقاومته له بعد ذلك، ومضايقته له على باب صنعاء، فكيف اليوم والأمر بخلاف ما كان؟ فتهددني برفع الصوت وآذاني، فقام رجل من جانب المجلس يقال له سهيل وهو متولى الكدراء فأخذ بيدي خوفاً عليَّ فأخرجني وقد محى[1] الخوف. فتقدمت إلى المنزلة، فركبت فرسي، وأمرت أصحابي بالخروج من المدينة. وقلت إن رأيتم الخيل فميلوا عني وأنا أتوجه في الخفاء[2]. فصدرنا على خوف حتى أتينا القحمة[3]، وكفى الله شره. قال: وبلغني كلام جرى في مجلسه من الحاضرين، قالوا هذا رسول وله أن ينازع عن صاحبه، وأنت تعلم أنه يصل إليه الغز بغير ذمة ولا معرفة فيحسن إليهم، فسكن بعض ما كان في نفسه. قال: ودخلت زبيد لأربع وعشرين ليلة خلت من شعبان، فأقمت بها ستة أيام، واتفقت بالشيخ أبي[4] المعالي بن أحمد الحرازي فاستصحبته[5] إلى الشيخ يوسف الأسعردي، وهو كبير الحال عند الغز، وكان قد كتب إلى الإمام عليه السلام وواصله أيام قتل الشعفور، وجند إسماعيل في بلاد قدم[6]، فسلمت إليه الكتاب

---

(١) في الأصل (معي).

(٢) في الأصل (فح الحلفا).

(٣) القحمة بفتح فسكون، تقع في وادي ذؤال ما بين بيت الفقيه والمنصورية، إلى الجنوب من الكدراء.
ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٦٢؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٦، ج ٥، نفس الصفحة؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣١١، الجندي، السلوك، ص ٣٩٨.

(٤) في الأصل (أبا).

(٥) في الأصل (فاستصحبه).

(٦) قدم بضم أوله وفتح ثانيه، بطن من همدان من حاشد من ولد قدم بن قادم، وإليه تنسب بلاد قدم جنوبي حجة.

=

فقبله وأثنى على الإمام عليه السلام بما يستحقه. وكان سيف الدين في جهة اليمن. وعلم بوصولي جماعة من فقهاء البلد وكبارها، وكانوا يأتون مجمعين فيسألون عن سيرة الإمام وعدله، ويستروون شيئاً من أشعاره وتصانيفه فأروي لهم ما حفظته من ذلك، وأقرأ لهم ما كان معي من تصانيفه، وأحكي لهم ما هو ظاهر في بلاده التي استحكم أمره فيها من الخير والبركة والأمان والدعة. فيدعون إلى الله تعالى أن يجعل لهم نصيباً في عدله وبركته. ونهضت [في][1] مستهل شهر رمضان زاده الله شرفاً أريد إلى سنقر وقد بلغني أنه بمدينة عدن فوصلت تعز وكتبت إليه أستأذنه في القدوم إليه، فعاد جوابه بالوقوف إلى وصوله. واجتمعت بالشيخ حنظلة بن الحسن بن شعبان[2] في جماعة من كبار أهل صنعاء وهم في الاعتقال بتعز على عهد إسماعيل، أمر شهاباً بنقلهم إلى اليمن وحبسهم وأخذ أموالهم، وتعذيبهم بأصناف العذاب، ومات جماعة منهم في السجن وذلك بعد خروج الإمام عليه السلام من صنعاء واستيلائه عليها، فأَنِسوا بي، واستبشروا بالخلاص مما هم فيه. وأنشأ الشيخ حنظلة بن الحسن شعراً، وأمر به إلى الإمام عليه السلام:

أقول وقد سئمت العيش هونا ... به حتى تمنيت المنونا

= نشوان، منتخبات، ص ٨٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤، ص ٦٤٧ - ٦٤٨.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) الفقيه العالم الحافظ المسند شيخ الشيوخ حنظلة بن الحسن، من تلامذته الإمام المنصور عبد الله بن حمزة وكثير من أهل طبقته.
انظر، الإمام عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ ١، ص ٥٧، جـ ٣ ص ٣١؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٢ ص ٩٣؛ إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ٩٧.

وأفنيت الدموع سحاً وسحًا | وأقرحت المآقي والجفونا
وقاسيت الذي ما كان يوماً | لتختلج المقايس والظنونا
وعطلت المساكن بعد جفلي | وعُوِّضْنا بها منها الشجونا
وفارقنا الأَحِبَّةَ والموالي | وقاربْنا العدا والمبغضينا
أيشعر بي الذي أضحى شعاري | مديح علاه أبكاراً وعُونا
ويذكرني على بلواي من لم | أفارق ذكره في الدهر حينا
ومن أهوى الذي يهواه فرضا | وأعتقدُ المحبة فيه دينا
وأبدي فضله سراً وجهراً | وأنشر علمه في العالمينا
وأبصر ما تخبّره اجتهاداً | على ذلي وظلم الظالمينا
وقلت لمرحب رحباً بقرم | برؤيته ذكرت الصالحينا
ومن أروت روايته غليلي | وحن لقربه قلبي حنينا
بنفسي أنت بلغ كنه حالي | إلى المولى أمير المؤمنينا
إلى المنصور بالله الإمام المـ | ـرتضى ابن نَبِيِّهِ حقًّا يقينا
إلى من قوم الدين الحنيف الـ | ـقويم وأظهر الحق المبينا
إلى من خصه بالفضل رب الـ | ـعباد وخصنا إذ قام فينا
وقبل من ثرى قدميه ما لو | حضرت أنا لكنت به قمينا
وألْقِ إليه ما لاقيت فيه | وسهِّلْ في رضاه ما لقينا
عسى الأيام تسعدنا بِقُرْب | فنسكن عنده حرماً أمينا
وندرك في عُداة الله ثأراً | ونسعد في ذُراه كما شقينا
سلام الله من عبد محب | على مولى البرية أجمعينا

قال الشيخ مرحب بن سليمان فلبثت في تعز حتى جاء العلم بأن سيف الدين قد صار في الجند[1] فقدمت إليه فأكرمني وناصفني،

---

(١) الجند بفتحات، بالشرق الشمالي من مدينة تعز بمسافة ٢٢ كيلو، سميت بجند بن

وسلمت إليه كتاب الإمام عليه السلام فقرىء عليه. ووصلت كتب وردسار بالاتفاق مضمنة شكر الإمام عليه السلام والثناء عليه، وإحسانه إليه، وإلى الجند الذين كانوا عنده بالفسح لهم، وإطلاق خيلهم وما كان معهم. وعزم على التقدم إلى تعز، فطلبت منه التوجيز، وأعلمته بطول المدة، فقال: لا بد من التوقف لوصول وردسار والاتفاق به. ونهضت معه إلى تعز. وجاء كتاب وردسار من الحقل[1] وذكر أنه ما يستطيع نزول نقيل صيد[2]، ويطلب المادة بخيل ورجال، فلم يتفق له ذلك ولا أحسنوا في الاتصال به، فأظهر طاعة الإمام، وأنه صدر عن أمره، ونشر عَلَماً كان قد أعطاه إياه بصعدة، عليه اسمه الكريم، وأسماء آبائه عليه وعليهم السلام. وكان على النقيل خلق كثير من قبائل العرب، فلما رأوا العلم وعلموا بوصوله من جهته عليه السلام ما تعرض له أحد منهم بسوء في النقيل ولا في غيره حتى وصل إلى الجند، وتلقاه سنقر وفرح بوصوله، وقدم له الخيل الكثير والمماليك والمال والخلع. قال: ولقيته في جملة الناس فأظهر بي المسرة،

= شهران، وبها بنى أول مسجد في اليمن.
نشوان، منتخبات، ص ٢٢؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ٢ ص ١٦٩؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(١) الحقل هو ما اتسع من الأرض، ويوجد منه الكثير في اليمن، ويذكر منسوباً إلى الناحية التي يقع فيها أو المدينة المجاورة. والمقصود هنا حقل شرعة في الجنوب الشرقي لمدينة ذمار.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٧٨؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) صيد بسكون الياء، جبل في بني سرحة، في رأسه النقيل، وهو طريق المسافرين من المخادر إلى بلاد يريم. ويعرف اليوم بنقيل سمارة.
ياقوت، معجم البلدان، جـ ٥ ص ٣٠٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١، ص ٤٨.

وأراني منشور الإمام عليه السلام بالفسح له، وأثنى وشكر، وأقسم أنه باق على طاعته، مجتهد في خدمته. فما كان إلا ثلاثة أيام وشرب الخمر، ونكث العهد، وأمر الدلّال ببيع العَلَم، والنداء عليه في الأسواق للتهجين به. فأمرْتُ رجلاً من أهل صنعاء بأن يشتريه بما بلغ، ولا يُمَكِّن منه أحداً، ففعل وجاء به. وكان وردسار يكتم أمره عني، ولا يظهر أفعاله إلي، وإذا أحب وصولي إليه نزه مجلسه مما يعلم أني أكرهه، ويظهر لي أنه ما يشرب الخمر، وأنه باق على عهد الإمام عليه السلام وبيعته. وقد علمت منه خلاف ذلك وسألته استخراج الجواب من سيف الدين والتوجيز على يديه. وانتظرت مدة طويلة فما اتفق لي ذلك. فكنت أحضر مجالس الفقهاء ومجامعهم في البلاد فيسألون عن الإمام وسيرته، فأنشر فضائله ومحاسن أفعاله. وأقرأ عليهم دعوته العامة وتأكيد الحجة من مصنفاته، فاستحسنوا ذلك فنسخوه نسخاً كثيرة بذي جبلة[1] والجند. وأخذت البيعة على الفقيه أحمد بن علي والفقيه مسعود ورجلين مقدمين من حمير[2] وخولان[3]،

(١) ذي جِبْلَة، بالجنوب الغربي من إب، اختطها عبد الله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨ هـ أسفل حصن التعكر.
انظر، عمارة، تاريخ اليمن، ص ١١٤ ـ ١١٥؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٦٩.

(٢) حِمْيَر، بكسر الحاء، شعب عظيم في اليمن من ولد حمير بن سبأ بن قحطان، ينقسم إلى عدة قبائل.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٢٨٢ ـ ٢٩٨.

(٣) خولان من القبائل اليمنية الكبرى، وهي ثلاثة أقسام، خولان صنعاء، خولان صعدة، وقضاعة، وفي كل قسم عدد من البطون. وتنسب خولان إلى خولان بن عمرو... بن مالك بن حمير بن سبأ.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢، ص ٣١٣ ـ ٣٢٢؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٢.

والمشايخ بني عبد الوهاب على طاعة الله تعالى، وطاعة الإمام عليه السلام. قال: وجاءت الأخبار متواترة بقدوم شهاب إلى الإمام عليه السلام واتفاق أمرهما فارتجوا واضطربت خواطرهم لذلك، ووقع عندهم منه موقع. وأتيت إلى سيف الدين سنقر ألتمس ما عنده، وأطلب الإذن بالقدوم، فأذن لي بغير جواب، فحمدت الله تعالى، ونهضت متوجهاً إلى صنعاء. وأتى الخبر بدخول الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة صنعاء، فطلعت نقيل صيد والبلاد منقطعة من الخوف لا يجوزها أحد في تلك المدة، فاعترضني وأصحابي قوم من بني سرحة[1] يريدون أخذنا فعرفتها مكاني، وإني من جهة الإمام عليه السلام فرحبوا بنا وقدمونا أماكنهم، وأمسينا عندهم، وبايعت أكثرهم. وتوجهت منهم مجانباً لذمار خوفاً من الغز الذين بها حتى أتيت جهران ووافقت الأمير عماد الدين وشهابا في العسكر يريدان اليمن، فأعلمتهما بأن وردسار عازم على الطلوع إلى البلاد في عسكر وأن الجنود الذين معهما كتبهم متواترة إليه يريدون الإتصال به والكون من جملته. وأردت القدوم إلى الإمام عليه السلام، فمنعني الأمير عماد الدين وردني معه وأمرني بلزم أكمة سمارة في أعلى نقيل صيد وحفظها، ففعلت ذلك. وانتشر في البلاد خبره، فجاءت إليه قبائل العرب من كل جهة حتى خاف العسكر من اجتماعهم وكثرتهم في تلك الليلة، وكان ليلةً مطّارة. فلما أصبح ورأوا ما عندهم من المحبة والطاعة، اطمأنت نفوسهم. وكان قود العسكر لبني ربيعة[2] وبني الحارث[3] إلى جبال

---

(١) بنو سرحة عزلة من ناحية المخادر وأعمال إب. وفي بني سرحة قلعة سمارة. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١، ص٤٨؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣١٩.

(٢) ربيعة في قبائل اليمن كثير، وبني ربيعة هم الربيعيون برداع وهم من جنب، ومن =

الشعر. وقدم الأمير عماد الدين إلى حصن حب[1]. وكان الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح[2] قد أخذ البيعة على صاحبه ومن كان معه في الحصن، وأمر إليه ثلثمائة رجل من بني حبيش، وقد سأله أن يمده بهم. وكذلك أمر إلى صاحب الدملوة[3] بثمانين رجلاً. قال الشريف محمد بن حاتم: ونهض العسكر إلى جبل الشعر، ولقينا عمران بن الحداد في جمع كثير من قبائل العرب في تلك الجهات، وجرى بينه وبين ابن كز منافرة، وآذاه ابن كز، فصبر على أذيته في حق الأمير عماد الدين مع القدرة في ذلك الوقت على أخذ العسكر وقتله. وقدم له شهاب حصاناً، وخلع عليه، وطيب

= حصونهم عزان وحب والشماحي.

انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٨١ ـ ١٨٢؛ نشوان، منتخبات، ص ٤٠؛ عمارة، تاريخ اليمن، ص ١٨٩، ج ٤.

(٣) بنو الحارث بن كعب، حي من مذحج، يسكنون عدة مواضع في اليمن، منها منطقة في شمال صنعاء وأخرى بالقرب من رداع.

انظر، الهمداني، صفة بلاد اليمن، ص ١٨١، نشوان، منتخبات، ص ٢٥؛ كحالة، معجم القبائل العربية، جـ ١، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(١) حصن حب على ارتفاع ٣٥٠٠ متر، أقيم في سرة جبل بعدان من أعمال إب.

السياغي، معالم الآثار، ص ١٠٤؛ محمد الأكوع، اليمن الخضراء، ص ٤٤.

(٢) تولى الشيخ ظهير الدين مفضل القضاء في بلاد مذحج.

حميد المحلى، الحدائق الوردية، جـ ٢، ص ١٩٦؛ ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٧.

(٣) الدملوة بضم الدال وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو، قلعة في جبل الصلو على بعد ٤٠ كيلو جنوب شرق تعز.

انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٥٣ ـ ١٥٤؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ٣٩؛ الجندي، السلوك، جـ ١، ص ٢٧٩.

نفسه ورجع إليه بعد ذلك. ونهضنا إلى عقبة قيظان[1] في خلق كثير من العرب. وهموا بأخذ الغز واشتوروا على ذلك، فمنعهم كبارهم وقالوا: كيف نحسن أخذهم وهذا أخو الإمام معهم؟ قالوا: هذا ما لا سبيل إليه! فمضينا وتركنا الثقل في حب، وأتانا بعد يوم وليلة بين تلك القبائل ما ضاع لأحد عقال. فحططنا ننتظر قدوم الشيخين همام الدين سعد بن عزان[2]، وظهير الدين مفضل بن أبي رزاح في عسكر قد أقبلا به من نهج بلادهما في لقائنا. فأمسينا ليلتنا، فلما نزل صاحب حب في عسكر وزينة وحالة كبيرة، أراد[3] الأمير عماد الدين لقاءه للسلام عليه فمنعه الأمير شهاب عن ذلك، يريد تعظيم الأمير. ووقع عندنا أنه يريد المباعدة بيننا وبينه، ولم يكن ذلك قصده. وقدم بنفسه إليه ورسله إلى الأمير عماد الدين متتالية بالوقوف في الخيمة حتى يأتي صاحب حب ويدخل إليه للسلام، فساعد إلى الوقوف، وأتوا جميعاً، فتقدم وسلم وبالغ في المناصفة. قال: وبعثني الأمير عماد الدين لإزعاج الشيخين سعد بن عزان ومفضل بن منصور، وقد حط سيف الدين سنقر بقرية إب فأتيتهم على مرحلتين من حب، وهم بين إقدام وإحجام. لم تطب نفوسهم بالإقدام إلى الغز، وهم يخافون الله في التأخر عن رسم الأمير وما لزمهم من وجوب طاعته

---

(١) قيظان حصن من جبل بني الحارث في جبل الشعر، شمال شرق مدينة إب. المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٥٤٤.

(٢) جاء في مصادر تلك الفترة أن الإمام ولّي القضاء في بلاد مذحج الشيخ عزان بن سعيد والشيخ مفضل بن أبي رزاح.
انظر، حميد المحلى، الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٦؛ ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٧.

(٣) في الأصل (فأراد).

ومواساته، فأجمع رأيهم على القدوم. وكان عسكر كثير ازداد الأمير به عند الغز وأهل البلاد هيبة وقوة، وأظهر الجميع من الغز والعرب المسرة بقدومهم.

وكانت الإقامة بحب ثمانية أيام والأذان في كل محطة بحي على خير العمل حتى أن عجوزاً من أهل تلك البلاد سألت جماعة من خدم الأمير وقد مروا بها قالت: خبروني ما هو حي على خير العمل؟ فما سمعْتُ مؤذِّناً يذكرها في عمري كله!!.

وكان سنقر مُرْصَداً لنهوضنا وعيونه علينا، فنهضْنا نُريدُ الدملوة وهو يريد أن يحول بيننا وبينها. ونهض في عسكره لنهوضنا يريد لقاءنا إلى قاع الجؤة[1] تحت الدملوة وهو مجمع الطرقات فأمسينا بموضع يسمى الناصرة[2] ومنها مشينا[3] [إلى][4] خلة[5]. ورجع عنا بنو حبيش

---

(١) الجؤة بضم الجيم وهمزة على الواو ومفتوحة ثم هاء. كانت فيما مضى من المدن المعدودة بكثرة البناء، وتقع في جبل الصلو تحت قلعة الدملوة.
الجندي. السلوك، جـ١، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) هكذا ذكر هذا الموضع في السمط الغالي الثمن، ص ٨٩؛ وفي أنباء الزمن، ورقة ٦٢.
ولكن يبدو أن الاسم الصحيح لهذا الموضع هو القاهرة أي كما ذكره يحيى بن الحسين في غاية الأماني، جـ١، ص ٣٦٥. والقاهرة قرية من عزلة بني شيبة، ناحية الشمايتين، قضاء الحجرية.
انظر، التوزيع السكاني في محافظة تعز، جـ١ ص ٢٧؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة تعز، جـ١، ص ٣٦٠.

(٣) في الأصل (أمشينا).

(٤) ما بين حاصرتين إضافة.

(٥) خلة بفتح الخاء وتشديد اللام، قرية من يافع. =

من هنالك إلى بلادهم، وتفرق العسكر رجله وخيله حتى ما بقي مع الأمير عماد الدين إلا أربعة نفر من أصحابه حتى أتينا سبأ صهيب[1] وهو واد منقطع من البلاد لا نعرف فيه أحداً، ولا يعرفنا، وهو قريب من لحج[2] فدخلناه على خيفة ووحشة. فهبط إلينا قوم من أهله فسلموا علينا وآنسونا. وقالوا هذه البلاد خراجها إلى الإمام عليه السلام، وولاته يقبضون ما يجب من الحقوق التي تجب لله تعالى على أهلها. وقالوا عندنا طعام منه ـ من ذلك ـ فإن احتاج الأمير إلى شيء منه فهو حاصل، فأخذنا منه ما احتجنا لخيلنا، وتركنا عندهم ما حسر[3] من خيلنا ودوابنا. وأمسينا عندهم، فلما أصبح صدرنا منهم نصل الليل بالنهار ثلاث ليال وأيامها وبعض ليلة واليوم الرابع قبيل انتصاف[4] النهار، وقد اجتمع العسكر. وأتينا البلاد من جهة عدن خوفاً من سنقر وفساد عسكرنا، فطلعنا نقيل المفالس[5] فأقبلت العرب من جناب

= المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٢٤؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(١) الصهيب بضم الصاد وفتح الهاء وسكون الياء، منطقة في أعالي لحج يسكنها قوم من سبأ يقال لهم سبأ الصهيب، وتعرف الآن باسم بلاد العلوي.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٠٠، ١٧٤؛ عمارة، تاريخ اليمن، ص ١٤٧.

(٢) لحج بفتح اللام وسكون الحاء، مدينة على مقربة من عدن.
نشوان، منتخبات، ص ٩٤؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٤، ص ٦٧٧ ـ ٦٧٨.

(٣) الحَسَرُ والحُسُورُ: الإعياء والتعب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حسر.

(٤) في الأصل (أنصاف).

(٥) المفاليس: جبل في الحجرية.
المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٦٤٦.

النقيل بالحجارة والسلاح يريدون منعنا. فقال لهم العسكر وقد أيقنوا بالأخذ، هذا أخو[1] الإمام. فقال الأمير عماد الدين: هؤلاء قوم لا يعرفون الإمام. فقال رجل من الغز يعرف الإمام في أقصى بلاد العرب، وهؤلاء لا يعرفونه؟. فلما كثر الهرج بذكر الإمام عليه السلام نزل القوم فسلموا على الأمير وقبلوا يديه ورجليه، وساروا بين يديه.

ونزلنا على النقيل وقد أصاب الناس ضر شديد من التعب والسهر وشدة السير مع الخوف حتى مات طائفة منهم ومن دوابهم تعباً وعطشاً، فدخلنا الجوة، والتقانا قوم من أهل الدملوة إلى هنالك. وأمسينا فلما أصبح طلع الأمير شهاب الدين إلى موضع تحت الدملوة يسمى الجنات[2] وأمر إلى الأمير عماد الدين بالطلوع فطلع فيمن كان معه والعسكر في الجوة. وقد خالف ابن كز في طائفة منهم، ثم تبعه أبو العشائر، فأمسينا بالجنات.

وطلع شهاب بكرة تلك الليلة ومعه البغش وهشام الكردي والصمصام إلى الدملوة. وطلع الأمير عماد الدين، ونزلوا مع أهل الدملوة في لقائه، فدخلها في موكب، وما دخل معه أحد من أصحابه، فوقفنا دون الباب بعض نهار ننتظره، فخرج إلينا وقد خلع عليه صاحب الدملوة جبة حمراء أطلس وعمامة. وعدنا إلى الجنات فخلع تلك الثياب من ساعته، ولبس ثيابه. ووقفنا هنالك على أوفى كرامة وأبلغ إنصاف مدة الإقامة.

---

(١) في الأصل (أخ).

(٢) الجنات قرية في عزلة الصلو، ناحية الصلو، قضاء الحجرية.

التوزيع السكاني في محافظة تعز، جـ ١ ص ٣٩؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة تعز، جـ ٢ ص ٥٣٥.

وأمـر نجـاح صـاحب الـدملوة بخـمسين ألف دينار وخـلع، ففرقت في العسكر، وفسادهم كـثير، فكانوا ينتظرون أخـذ المـال ويصـدرون إلى سنقر. فلما فـرق المـال فيهـم عزم الأمير شهـاب على الغزو إلى لحـج، وأراد الأمير عماد الـدين الصـدور في العسكر فمنعه الشهاب من ذلك خـوفاً عليه منهـم. فـلما وصـلوا البلد وفيهـا أموال جـليلة لا يقدر العسكر على نقلهـا، قـال لأهـلها: من قـال أنـا بالله وبالإمام فهـو آمن. وعرفهـم أنه أتـى خـادماً للإمام عليه السلام. وأنه قـام لإظهـار العدل ورفع الجـور، وإزالة الظـلم، وصـلاح الرعايا، فاستبشروا بـذلك. وعـاد إلى الـدملوة وأراد حـفظ الجـند في موضع يـسمى الحـر[1] في جـبل قريب من الـدملوة حـتى لا يـستطيع أحـد منهـم الفرار إلى سنقر. وقـد عزموا على ذلـك فاخـتلفوا وتنازعـوا في ذلك، وامتنعـوا عليه، وأرادوا قـتله. وصـدروا منه مخـالفين، ومـا بـقي معهم منهـم إلا أربعـين فارساً من مماليكه وقرابتـه ومن يخـصه.

وكـان نجـاح يـريد نفاق الأموال واستمـالة العسكر من سنقر، وحـربه واستئصـال أمـره حـتى حـدث [الخلاف][2] من جـند شهـاب فأمسك ولم يأمن منهـم أحـد بعد ذلك. وانتقض مـا كان شهـاب قد أبرمه. ولـبث الأمير عمـاد الدين مـدة هـنالك، وكـان الأمير نجـاح يستدعيه ويـناصفه ويؤنـسه، فأمـر له بعض الأيـام، قـال الشريف

(١) هـكذا في الأصل وفي كتـاب السمط ص ٩٠. ولكن من المرجـح أن يـكون الموضع المذكور قد حـدث فيه تحـريف. وأن المقصود هـو الحـرف حـيث يوجد موضعان يحـملان هـذا الاسم في المنطقة، الأول محـلة من قريـة الظهـرين عزلة الصـلو. والثـاني محـلة من قرية البطنة، عزلة مخـلاف الصلـو.
انظر: التوزيع السكاني في محـافظة تعـز، جـ١ ص ٣٩، ٤٣.

(٢) ما بين الحـاصرتين إضافة لتمام المعنى.

محمد بن حاتم: وكنت حاضرهم، فأدخلنا داره وقعد بين يدي الأمير عماد الدين، ولم يقعد على الفراش معه تعظيماً لحقه. وكان عبد الله بن عبد الله الأصبحي وهو باطني المذهب حاضراً، وهو الكاتب، وكانت له حالة جليلة عند إسماعيل، ففتح الكلام وقال: إن هذا الأمير نجاحاً من أولاد الحسين بن علي عليهما السلام، ولا عجب أن يجري عليه البيع فقد أصيب أهل البيت بأعظم من ذلك، وقد جمع الله الشمل فما الذي تشترط عليه؟ فأجابه الأمير عماد الدين عن كلامه، وحمد الله تعالى على ما من به من الاجتماع واتصال النسب. وقال: أشرط عليه طاعة الله تعالى وطاعة أمير المؤمنين، وموالاة وليه ومعاداة عدوه. والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله بين يديه، واستحلفه على ذلك، فحلف اليمين المذكورة؛ لأنفقن الأموال في خدمة الإمام حتى حجارة الحصن. وأظهر لنا الامتثال والطاعة. وقال أريد الكلمة الطيبة والذكر.

وخرجنا من عنده ولبثنا أياماً، ومرض مرضاً شديداً. وهم بالمراح وكان قد طلبه قبل مرضه. وجاء كتاب الإمام عليه السلام يحضه على ذلك لما فسد الجند وخالفوا، ولم ينتظم لهم أمر كما يريد، فلم يسر بذلك شهاب. وكان يطمع في خلاف عسكر سنقر، فلما طال الانتظار شاور شهاباً على المراح، فصوب الرأي فيه وقال: ما بقي للوقوف وجه. وجهز مملوكه ياقوت في جماعة من مماليكه للمراح إلى عضدان. وتجهز الأمير للمراح والطرق منسدة من الخوف، وعلم مبارز هلدري بذلك، فأمر بحفظ الطريق وحراستها، واجتهد في أخذنا، وجعل العيون علينا، ونسي ما تقدم إليه من الإحسان، وقد أتى إلى الإمام عليه السلام من تهامة فقيراً طريداً

فسلطنه وأعطاه الخيل الكثيرة، ومكنه ورفع حالته، فلم يبلغه الله ما أراد، وأحاط به مكره وكفره النعمة. فما دارت عليه السنة حتى أخذه سنقر وقتله وقبض ماله.

وعلم الأمير عماد الدين ذلك منه، فسلك غير تلك الطريق. وكان قد أحسن إلى جماعة من كبار أهل البلاد وأهل الطرقات وكساهم، وقال إن دعت الحاجة إلى المراح فلا غنى عن من يصل منكم. وأمر إلى رجل من كبار أهل البلاد يقال له السفيرة بأن يصل إليه. فبعث إليه رجلا [1] من أصحابه، فسأله عن الطريق فقال: إن الخيل والبغال لا تقطعها [في] [2] ليلة واحدة. وكان معه جمال موقرة فتأخرت معها. وركب آخر النهار الى الجند والغز بها فلم يكد أحد ينكره حتى مر بها، ومال عنها. وسري ليلته حتى أصبح قريبا من البلد التي فيها السفيرة، وكمن نهاره وأصحابه الذين معه، وسروا ليلتهم [3] وهم يجوزون قريبا من محطة سنقر فأصابهم مطر عظيم، وسالت الأودية فما كادوا يخلصون منه ووقعوا في سوق بلاد بني حبيش.

وكان ولد الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور وفخر الدين مرحب بن سليمان قد قدما إلى محطة سنقر يطلبان أمانا منه للأمير عماد الدين في طريقه، فسبقهما، وجاء كتابه إليهما بأنه قد صار في بلد بني حبيش، وأمرهما بأن يستأمنا للجمال التي له ومن معها. فأمر المشايخ بني عبد الوهاب بعقد الرفاقة لها، فسرنا أربعة أيام في بلاد الغز ما عرض لنا أحد حتى وصلنا إلى الأمير. ونهضنا من بلاد بني حبيش ومعنا منهم جماعة،

---

(١) في الأصل (رجل).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) في الأصل (ليلته).

ولا طريق إلا بين رداع [1] وذمار وهما للغز. فسرينا ليلتنا حتى أتينا مصنعة الدمنة [2]، ثم جزنا بلاد الحدا حتى أتينا ضميما [3].

وكان وردسار قد علم بوصول الأمير عماد الدين، فَفَرّق الخيل والرجل، وأرصد له في كل طريق، واجتهد في ذلك، وكفاه الله شرهم. وسرى ليلته فأصبح في هجرة سناع [4]. وهذا آخر قصة قدومه الى اليمن ورجوعه.

فلنرجع إلى ذكر الحوادث والغزوات وما أنشد فيها من التهاني بقدوم

---

(١) رداع: بفتح الراء والدال، اسم مشترك بين جملة بلدان أشهرها رداع العرش شرقي ذمار. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٣، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٥.

(٢) الدمنة اسم لعدد كثير من الأماكن في اليمن ولكن لا يوجد في المنطقة ما بين رداع وذمار في الطريق الى الحدا موقع بهذا الاسم. وبسؤال بعض الطلاب من أهالي المنطقة أفاد الإخوة على محسن الضوراني، وعلى حسين عبادي، وعبدالله حسين عبادي بأن الدمنة هي ماتسمى الآن المصاقرة، ولا يزال بها أثر لقصر يسمى قصر الدمنة، وبجانب الدمنة (المصاقرة) تقع المصنعة.
ومن ثم فإن مصنعة الدمنة (المصاقرة) قرية من عزلة عبيدة العليا ناحية الحدا قضاء ذمار.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة ذمار، جـ ٢ ص ٢٩٢.

(٣) ضميم بالفتح ثم الكسر، من قرى جهران شرقي بلاد الحدا.
ياقوت معجم البلدان، جـ ٣ ص ٤٦٤؛ إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ٢٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٢٩.

(٤) سناع وتكتب سنع. قرية بناها مطرف بن شهاب شيخ المطرفية، وبنى فيها هجرة للزيدية فاشتهرت بالعلم والعبادة والتعليم. وقد خربت في عهد سبأ بن أحمد الصليحي. وهي الآن قرية من عزلة حزة صنعاء، ناحية بني مطر.
انظر، مسلم اللحجى، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٥٢، ١٣٢؛ يحيى بن الحسين، الطبقات، ورقة ٤٠، السياغي، معالم الآثار، ص ٣٢؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣٢.

الإمام عليه السلام إلى ذمرمر، والتهاني التي أنشدت أيام دخوله بزوجته الحرة الفاضلة منعة بنت السلطان جمال الدين الفضل بن علي بن حاتم. وكان قد لبث عليه السلام بعد العقد بشهرين وأياما لمعارضةٍ وكراهةٍ ممن يخالف في المذهب من النساء والرجال. وكان دخوله بها في العشر الأواخر من المحرم أول سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وكان انقضاض الشهب في الليلة المسفرة عن يوم السبت غرة شهر صفر، وكانت الآيات التي لم ير مثلها لكثرتها، وتتالى بعضها في إثر البعض إلى جهة المغرب من نصف الليل إلى طلوع الفجر، فارتاع الناس لذلك. وقد ذكره القاضي زكي الدين في قصيدة قال:

قضى الله بالتوفيق واليمن والنصر ... فصار الورى ما بين نهيك والأمر
نُهنّي أمير المؤمنين ابن حمزة ... بأيامك الحسنى المحجلة الغر
ودولة حق قشَّع الظلمَ عدلُها ... كما قشعت ثوبَ الظلام يدُ الفجر
وعرس سعيد عظم الله قدره ... فأمست نجوم الليل في حومه تجري
هوت سجدا يا ابن النبيين إذ رأت ... لقاء من الشمس المنيرة والبدر
تباعد إيضاح السماع فضاعفت ... ضياء عظيما في البلاد لمن يسري
فلولا الأسانيد الصحيحة أجمع الـ ... خلائق طراً أنها ليلة القدر
وأصفا كم رب السما بفضائل ... ورد لكم شمس النهار من البحر
وركب تباروا والرماح تظلهم ... يد الجري أحيانا بأردية غبر
أسائلهم أين استأمُّوا فأسرعوا ... جوابا إلّي مولى الورى أوحد العصر
إلى ابن رسول الله وابن وصيه ... إلى خير من يقرا وأشرف من يُقري
إلى ليث غاب يتقي الليثُ بأسَهُ ... ويغني غداة الروع عن عسكر مجر
إلى واهب الخيل العتاق وواهب الـ ... مداين والشاري المكارم بالوفر
إلى بحر جود حل رأس ذمرمر ... فطال علا فوق السماكين والنسر

ليهنكم يا آل عمران فوزكم ... بأفضل ما فوق البسيطة من صهر
ممالك أهل الأرض مؤمن أهلها ... معيد المعالي مبدل العسر باليسر
لكم دولة لم يغبر الغبر [1] سوحها ... ولا طار في أطوارها فاعل النكر
بنت لكم آباء صدق مفاخرا ... وشيدتم ما أسسوه من الفخر
شغفتم بدرس العلم في كل فينة ... ولم تشغفوا باللهو والغيِّ والسكْر

ومما أنشد من قصيدة للشيخ الفاضل حنظلة بن الحسن بن شعبان .

وفي زمن ما خاله الناس وافيا ... ومنٍّ بلا مَنٍّ وأعطى الأمانيا
عتبنا على ما ساءنا من صروفه ... فأعتبن ذا عَتَبْ وأشكين شاكيا
فقام أمير المؤمنين مدافعا ... عن الدين لاوانٍ ولا متوانيا
دعا فاستجاب السابقون إلى العلا ... دعاء امرىء [2] ما زال لله داعيا
أكارم من أبناء عمران لم تزل ... سواريهم للعاكفين سواريا
وهم نصروا المنصور بالله جهرةً ... وكانوا له حرزا [3] من السوء واقيا
وآباؤهم كانوا لآبائه الأُلى ... متى استنصروهم نصرةً ومواليا
فقل للأعادي حين حل ذمرمرا ... أطيعوا فإن السيف لم يبق عاصيا
وفيئوا إلى الحق الذي بان رشده ... فما بعده عذر لمن كان غاويا
ولو لم يكن في الفضل فضل على الورى ... سوى السبق مشهورا لقد كان كافيا
وفاز بأوفى نسبة إذ غدا بها ... من ابن رسول الله صهرا مدانيا
فدام ودامت أنعم الله فيهم ... به رائحات عندهم وغواديا

---

(١) في الأصل (الغبار). والغبر: الحقد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة غبر.
(٢) في الأصل (امر).
(٣) في الأصل (حرز).

وهنيء عروسا [1] عرّس السعد دونه ولا زال يترى نحوه متتاليا

ومما أنشد لمحمد بن ذعفان بن أبي عمرو [2].

قر عينا بك الهدى والرشاد ونفى الجور عدلك المعتاد

لك في الحق لا لغيرك من كـ ـل الأنام الإصدار والإيراد

أمرك النافذ الذي ما تبرا منه أمر، كل له منقاد [3]

الإمام ابن حمزة بن سليما ن من الناس قلت الأنداد

قام يغري الإنصاف بالظلم حتى ما لظلم مذ قام إلا نفاد

بدل الأمن بالخوف فصارت [4] جنة من فرط الأمان البلاد

كل يوم تأتيه أجنادنا مـ ـرر [5] وإن لم يكن له أجناد

عالم عامل وأكثر من يعـ ـمل فسعى وما درى ما المراد

آمر بالمعروف ناه عن المنـ ـكر نَفْيُ التشبيه فيه اعتقاد

لست ترضى بغير ما الله ير ضاه من الخلق أيها النقاد

حمد السعي منك في الدين والنصـ ـر له في الإغوار والإنجاد

عزمة بلغتك ما رمته جر دها رأى عزمك الوقاد

---

(1) في الأصل (عرسا).

(2) بيت أبي عمرو بصنعاء، من بيوت العلم والفضل، برز منه العديد من العلماء والشعراء والكتاب. واشتهر منه ثلاثة على الأقل في زمن الإمام عبدالله بن حمزة.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٤، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ الشامي، تاريخ اليمن الفكري، جـ ٤ ص ١١٧.

(3) هذا البيت في الأصل على النحو التالي:
أمرك النافذ الذي لا تبرى فيه كل أمر له منقاد

(4) هذا الشطر من البيت على النحو التالي في الأصل:
بدل الخوف بالأمان فطيب.

(5) في الأصل (مد). والمرة: القوة وجمعها المرر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مرر.

قيضت للخطوب منها أكف | وعنت من خوف لها الآساد
ما كان البعاد يخطر في با | لك أو جاز النجوم بعاد
من ينل بالعلا مارام أضحى | لك من نصر ذي الجلال عتاد
عرف الدين إذ بدا لك إبرا | ق الأعادي عليه والارعاد
وغدت من أنصارك السابقات الـ | جرد والسمر والمواضي الحداد
إن تفارق أغمادها في نزال | خطبتها من الطلي[1] أغماد
للرقاق البيض التي ضمنت ر | ى ظماها الأعناق والأوراد
وإذاً أصبحت عواطل ألقى | فوقها حلية النجيع[2] الجلاد[3]
بأكف الصيد الصناديد من لا | مجد إلا ما أثّلوه وشادوا
لهمُ طيب مجيد لبسوا منـ | ـه دروعا يندق منه الصعاد[4]
ووجوه صفت فذر على الكا | فور مسك الشحوب الجهاد
فهم للحمام في ما قط الحر | ب وفي حومة الوغى أوداد
لم تزل للنزال منهم على قر | ب مزار وبعده رواد
ما أرقلت عن صدر كل هدى | إلا بمشكور سعيهم أحفاد
في مجال ضنك بذارية الموت | ومجت أرواحها الأجساد
ليس رأى المنصور يهفو إذا أصـ | ـبح[5] رأى صلاحه إفساد

---

(١) الطلى: الأعناق، وقيل: هي مقدم الأعناق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طلى.
(٢) النجيع: الدم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نجع.
(٣) الجلاد: الغزير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جلد.
(٤) الصعاد: جمع صعدة، الرماح المستوية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صعد؛ موسوعة الشعر العربي، جـ ٢ ص ٢٨٩.
(٥) في الأصل (صبح).

إن لم يكن غير مستبد بمال فله بالفضائل استبداد
حلم أرباب الحلم طيش إذا عدوا من دون حلمه الأطواد
فإذا صال فالليوث نعاج وإذا جاد فالبحور ثماد [1]
نال آل الفضل العظيم من الفضـ ـل الأباة الأفاضل الأنجاد
فهمو [2] أهل كل فخر ومجد ولهم طارف العلا والتلاد
الملوك الذي لا خلف بين الـ ـناس في فضلهم ولا اجحاد
وإذا ما مشى سواهم لمجد وعلا فهو منهم مستفاد
يتمنى عهاد سحب ندى راحاتهم جمة النوال العهاد
بمداناتهم لأشرف من يد عو إلى الله أدركوا ما أرادوا
الذي لو دعا الى الحي ما ليـ ـس بحى دعا إليه الجماد
المعالي على مساعيهم وقـ ـف وكل منهم لها معتاد
لم يساعد سواهم رتب المجـ ـد ومنها لكلهم إسعاد

ومما أنشد للحسن بن عزوى [3]:

هذي المنازل من سلمى وذا البان فاسأل معالمهم عنها متى بانوا
وقل لغزلان وحش في ملاعبها هيهات لا تشبه الغزلان غزلان
ليس الأوانس تلبسن الحرير بها وفوق لباتها در وعقيان

---

(١) الثماد: الماء القليل، وقيل: الثماد الحفر يكون فيها الماء القليل. ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثمد.

(٢) في الأصل (هم).

(٣) الحسن بن عزوى العصيفري، الفقيه البليغ، كان عالما فاضلا، من بيت علم معمور بالخير، حميري النسب، شيعي الحسب. وأكثر شعره في نصرة الاسلام وتهجيج ارباب الحق.
انظر: ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٢ ص ٢٠؛ الشامي، تاريخ اليمن الفكري، جـ ٤ ص ١٩ - ٢٠.

مثل العواطل لا حلى ولا حلل | وإنما تشبه الأعيان أعيان
أسائل الركب عنهم أي منزلة | حلوا بها وهم في القلب سكان
ذكرت حسن ليال من وصالهم | كأنها في خدود الغيد خيلان
أيام تبدو لنا هيف القدود بها | فيهن نوعان تفاح ورمان
فهل رأيت قدودا قبلها أبدا | تمشي بهن على الكثبان أغصان
يزورني طيف من أهوى فيُذكرني | عهد الوصال وما للعهد نسيان
أنيّ أهتدي مضجعي وهنا عجبتُ له | والنجم في حومة الظلماء حيران
ورب ليل سرى فينا يهيجنا | برق خفيٌّ له سر وإعلان
أقول للعيس في أثناء غيهبة[1] | هداك من نور عبدالله برهان
هذا الإمام الذي لما استبان لنا | قرت قلوب بمرآه وأعيان
إذا اجتليتِ رياضاً من خلائقه | ووجهه قلت فردوس ورضوان
نمته من دوحة الزهراء فاطمة | وحيدر الطهر أعراق وأغصان
يجري مدود الندا للوافدين به | سُنَناً ويحقق للسارين نيران
لطالب العلم في صدر له وتد | وطالب الجود سيحان وجيحان
بني علا نظرت كيوان منخفضا | من حيث ينظر أهل الأرض كيوان
يحكي أباه عليا في فصاحته | وهوالنهاية لا قس وسحبان
يا من تواضع عن مجد وقد سجدت | ببابه لملوك الأرض تيجان
لقد فتحت ثغورا والعداة[2] بها | يسد منها شعاع الشمس مُرَّان[3]
عنا لك اليمن الأقصى ودملوة | أم الحصون وحب ثم قيظان

---

(١) الغيهب: شدة سواد الليل. والغيهب: الظلمة. ابن منظور، لسان العرب، مادة: غهب.

(٢) في الأصل (فالعداة).

(٣) مُرَّان، بالضم: الرماح الصلبة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مرن.

تعجب الناس من هذا ولا عجب إذ ليس ينكر صنع الله إنسان
حبل الإمام بحبل الله متصل له المقادير أنصار وأعوان
أنصار جدك همدان فقد سعدت بحسن طاعتك [ ] [1] همدان
زهى ذمرمر لما أن مثلت به وأشرقت غرف منه وأوطان
كأنه قصر بلقيس وأنت به من خصه الله بالعلْيا سليمان
كأنك البدر في برج يحف به من السعود بنو عمران شهبان
أصفيتهم منك ودا خالصا وصفت منهم قلوب وآراء وأديان
رأيت بشرا على مر الخطوب به باق على وجهه للبشر عنوان
وموضع الملك عزوا في محلهم كأنه في سواد العين إنسان
والماجد الفضل المحمود الثناء ثقة الملك الذي فعله جود وإحسان
لا ينكر الفضل في عمران مجدهم نماهم الفضل للعليا وعمران

ومما أنشد لأحمد بن سعد القدم [2] من قصيدة:

إن ابن حمزة شاهداه حسامه ومقامه والخيل تنشح عنبرا
ورماح معترك وجيش أرعن قد سد ما بين الثريا والثرا
وترى الصوارم والبنود كأنها لهب تحرق فيه موجا أخضرا
وبكفه علم تراه أبيضا يرد العجاج به فيصدر أحمرا
وإذا تأمله الشجاع يريده وجبينه يعق تلون أصفرا
أكرم بعبد الله يركض أجردا في ما قط ضنك ويكسر أسمرا

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.

(٢) أبو الحسن أحمد بن سعد القدم، شاعر عالم، كان من الكمال بمحل عظيم في الأدوات والعلوم العقلية الشرعية.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ١ ص ٧١؛ الشامي، تاريخ اليمن الفكري، جـ ٤ ص ١٥.

خطبت له خطب الخلافة في قرى عدن ومن عدن إلى أم القرى
ودعا له حب فتعز [1] وأذعنا طوعا له ودعا تعز التعكرا [2]
وكـذاك دملوة يـريـد نكـاحـه عشقا وقد بعثت إليه ذمرمرا
حصن الملوك بنى الملوك ومن لهم فضل تخطر في العلا وتبخترا
سبقوا ملوك السبق بالحسب الذي جعلوه في الأرض البسيطة أبحرا
وكذا شهاب الدين جاءك طائعا يسعى وحق لمثله أن ينصرا
نالت بنان منك أعيان العـلا وجرا على الأسد الغضنفر واجترا
ولعمر جـدك يـا أمير المؤمنيـ ـن ليمحصن بك المقام الأكبرا
كم طبت فيمن طاب فيك ولم يزل فيمن أتى عذراً إليك مظفّرا
مزقت من عاداك كل ممزق وقمست [3] بالفرسان آساد الشرى.

ومما أنشد لمحمد بن ذعفان بن أبي عمرو أيضا.

نال السرور بك السرور الأعظما وغدا يرى إلمامه بك مغنما
وافاك مبتهجا قـرير العين ذا جـزل بيمن قـدومـه متبسمـا
ما مل صحبتك الزمان ولا أرى مشكور سعيك في بنيه مذمما
أحرزت فيه الفضل حتى ما التقى من أهله بأعز منـك وأكرمـا
ما كان يعلم فضل دهر لم يكن دون الخليقة من بنيه مقـدما

---

(١) في الاصل (تعز).

(٢) التعكر، بفتح التاء المثناه وسكون العين وفتح الكاف ثم راء مهملة، حصن مطل على مدينة ذي جبلة في الجنوب الغربي من إب.
ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٦٩ ؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٣٦ ـ ٣٧. بينما يذكر الخزرجي ان حصن التعكر هو الحاكم على مدينة الجند. العسجد المسبوك، ص ١٠٥.

(٣) قمس: بمعنى رمى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قمس.

أنت الكريم فما تعد المغرم الـ ـمضنى [1] لما ملكت يمينك مغرما
وكأن راحتك التي ما وفرت وفرا ولا ضنت به بحر طما
عدمت لك النظير فيما نلت من شرف وليس بمنكر ان يعدما
بسطت يداك يد النوال فضاعفت فوق السوالف والنحور الأنعما
ظلم الزمان فكان عدلك منصفا من ظلمه فأضاء لما أظلما
أنت المهدم ركن كل ضلالة والعامر الدين الحنيف القيما
أنت المروى من ظما أهل الظما أنت المبصر من عمى أهل العمى
لم تتخذ في موطن مستوطنا إلا وأضحى الفضل فيه مخيما
أبناء عمران الملوك استمسكوا في الدهر منك بعروة لن تفصما
عَدُّوك إن خطت عراهم جُنة وتصول في يوم الكريهة مخذما
وهم النهاية في ارتقاء رتب العلا وبهم غدا ركن الضلال مهدما
لهم المساعي البيض تصدع نورها لو أنها تسري لعدت أنجما
كم مشهد مكنت فيه من العدى فعممتهم صفحا وعفوا منعما
وطغوا فما عدموا انتقاما عاجلا أضحى لهم ولما أعدوا مُعدما
صلى عليكم أهل بنت محمد وعلى أبيكم ذو الجلال وسلما

ومن قصيدة للقاضي أبي الغيث بن أحمد الأصبهاني .

يا صاح عرج بالربوع وسلم وابلل ثراها بالدموع المسحم
درست معالمها ولما يندرس كدروسها وجد الحبيب المغرم
واهاً لها من أربُع قد أَقفرت إلا بقيـة نؤيهـا المتـهـدم
عبثت بها الأنواء حتى لم تدع منها سوى سُفْعٍ رواكد جثم
يا ليت شعري والحوادث جمة والمرء معذور بما لم يعلم
هل عيشنا الغض النضير بعائد بين الضـويلة واللوى والعيلم

---

(١) في الأصل (الغرم المعنى) .

رغدا له عيشا وطوبى لامرىء[1] يحظى بعودة دهره المتقدم

شغفت بنصرته قروني مثلما شغفت بحب الهاشمي الأكرم

القائم المنصور والهادي الذي فتحت ضياه كل باب مبهم

يا ابن الأئمة من ذؤابة هاشم شرف الأنام ومجد فخر المنتمي

أنت المشار إليه بالنصر الذي يكفي الدفاع بمخذوم وبلهزم

والمرتجى للدين ترأب صدعه وتسد ثلمة سوره المتهدم

ولطالما نظرت إليك مشيرة عين الهدى نظر المشوق المغرم

وتحدثت فيك الأنام بأنك الـ ـمنصور قولا فيك غير مرجم

فانعم بعرس للمسرة جامع عند الإله وعش سعيدا واسلم

وانصر بيام دين جدك إنهم أنصاره في كل يوم أيْومَ[2]

يا آل حاتم الذي هنيتم ما ازددتم من مفخرٍ وتكرُّم

ومن قصيدة للقاضي أبي الغيث بن أحمد الأصبهاني.

وقفنا العيس قد أعيت كلالا على ربع تقادم فاستحالا

عفت آياته ولطال ما إن عهدنا فيه أحياء حلالا

وعجنا بالرواسم في رسوم نسائلها فلم تجب السؤالا

ونار شفها شفان هوج وفارقها الفريق ضحى فزالا

وتأتيها الجمال غداة بانوا وراموا للنوى عنها الجمالا

تخال حدوجهم يوم استقلوا غداة البين نخلاً أو نسالا

مطت في ناجز بهم المطايا إلى الآفاق تعتسف الرمالا

تقد بهم أديم الأرض قداً وتَفْري في صحارى البيدآلا

---

(1) في الأصل (لامر).

(2) يوم أيوم: طويل شديد هائل.

ابن منظور، لسان العرب، مادة : يوم.

وصبحوا والودايق[1] فيه تشوى   شوى الهامات منهم والقلالا

إلى أن عـرجوا بـازاء سفح   شوازب[2] ظلعا[3] تشكو الكلالا

ونادى صالح بالركب عوجـوا   وقال ألا انعموا بالخصب بالا

كما نعم النواجع في جناب ابـ   ـن حمـزة بعدمـا الفوا عيالا

فحلوا من ركـابهم الـرحـالا   وحلوا في جناب الروض حالا

وحلوا حول دوح كاهلات[2]   وألفـوا عندهـا عُـزْمـا وصـالا

فقـالوا تحتهـا من بعـد أَيْنٍ   معـا وتفيئـوا منهـا ظـلالا

وأمـوا حـولهـا روضـا أنيقـا   ومـاء سـابحـا عـذبـا زلالا

وثغر الروض يبسم عن أقاح   وغب الودق يخضلُّ اخضلالا

حكت بيض الأيادي من إمام   غـدا أزكى الأنام أبـا وخالا

أصاح ترى خلال الشوق برقاً   يُضيءُ سناً ويشتعل اشتعـالا

فبت أشيمُـه في الليل حتى   تعـرّض مستـطراً وآستـطالا

إلى أن شق ضوء الصبح جنحاً   ومـزّق عن مـطالعـه سـدالا

ولاح ضياؤه في الشرق يغشى   سهـول الأرض نُوراً والجبـالا

كـوجه ابن النبيّ وقـد تبدى   لنـا كـالبـدر يبتـدرُ الكمـالا

فقمنـا مسـرعين إليـه شبـراً   سـروراً بـالتـداني واهتبـالا

---

(١) في الأصل (الودايق). والوديقة: حر نصف النهار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ودق.

(٢) الشازب: الضامر. والشوازب: المضمرات، جمع شازب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شزب.

(٣) في الأصل (ضلعا). والظلع: كالغمز. ظلع الرجل والداية، عرج وغمز في مشيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ظلع.

(٤) في الأصل (كهيلات). واكتهل النبت: طال وانتهى منتهاه.
واكتهلت الروضة إذا عمها نبتها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كهل.

تحدِّق نحوه الأبصار منا ... كأنا نستهل به الهلالا
وندعوَ ضارعين له سؤالا ... إلى الباري ونبتهل ابتهالا
وأمسى في ذمرمر مستقراً ... حلول البدر ليل التم هالا
وأضحى فيه مثل الشمس جاهاً ... وقد ملأ الملا منه جلالا
تسنّم من بواذخه سناما ... وأوفى يستقل به القلالا
ولما أن تنعل منه هاماً ... غدت هام الملوك له نعالا
تدين له القبائل من نزارٍ ... ومن قحطان طوعاً وامتثالا
وأعواد السرير سَمَتْ سُروراً ... ودست الملك تختال اختيالا
إمام هدى وبحر ندى خضم ... وغيث جدا بريّقه نوالا
من الشُم الأُولى سادوا البرايا ... وأموا الناس هدياً واعتدالا
ولولا هديهم حاروا ضلالاً ... وما عرفوا الحرام ولا الحلالا
إمام للأئمة من عليٍّ ... بنى مجداً [ ][1]
وريعان الشباب عليه بادٍ ... فكيف به إذا اكتهل اكتهالا
إذا سئل النوال غداةَ رفدٍ ... أنال من النضار من استنالا
وإن لم يسألوا جاد ابتداءً ... وأجرى من عوارفه سجالا
بأغزر منه نافلة وسيبا[2] ... ولا فيض الأتى إذا تتالا
وإن شهد الوغى لم يرض إلاّ ... صداماً بالمقانب أو نزالا
على ذهل[3] اللبان أقب نهد ... إذا شهد الذعار[4] به أطالا

(١) بياض في الأصل.

(٢) السيب: العطاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سيب.

(٣) الذهلول من الخيل: الجواد الدقيق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ذهل.

(٤) المدغرة: الحرب العضوض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دغر.

إذا لبس الشليل ضحى وأضحى عليه [ ][1]

وينقضُّ انقضاض النجم يهوي ومهما انسلّ في الترسيل سالا

ولا يطغى جماحاً في طراد وإن طال المغار فلا كلالا[2]

يرى في الخيل أقصرها جلالا إذا قيست وأطولها شكالا[3]

يعادي بالكرامة لا تراه مهاناً في البيوت ولا مذالا

تفاءل باسمه الميمون لما افـ ـتلاه من الجياد فكان فالا

أمير المؤمنين أقمت دين الـ ـهدْي من بعد ما قد كان ما لا

بايضاح السبيل لكل غاو ونشر العدل فاعتدل اعتدالا

وبيض الهند مصلتةٌ بأيدي ولاة الحق قد لبوا عجالا

وفي يمناك أقدمهن طبعاً إذا شهرت وأحدثها صقالا

متى ضاق المكرُّ كررْتَ فيه فأوجدت الجياد[4] به مجالا

ومهما زارك العافون قصداً أعنْتَهُمُ وكنتَ لهم ثمالا

وإن أمتك أيتام عيالا بمسغبة نجدتهم عيالا

إليك زففتها بكرا هديا تطول على نظائرها كمالا

تروق السامعين بكل ناد ولا ينبو بها سمع ملالا

من الغر السوائر فيك صدقاً وخير الشعر أصدقه مقالا

ومن قصيدة للشيخ الفاضل مجيب عبد الأعلى الضميمي المذحجي أنشدت بذمرمر:

---

(١) بياض في الأصل، كما ترك الناسخ بعد ذلك مساحة خالية كافية لكتابة بيت من الشعر.

(٢) ترك الناسخ بعد هذا البيت مساحة خالية كافية لكتابة بيت من الشعر.

(٣) الشكال: العقال، وشكل الفرس بالشكال، شد قوائمها بحبل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شكل.

(٤) في الأصل (الجواد).

حاد المنازل بين البان والخمر ذهاب كل ملث[1] القطر منهمر
ولا يزال إلى شق الشقيق إلى جنب العقيق مقيم واكف المطر
من كل وطفاء[2] ملء الجو واهية الـ أركان داجية الأركان والحجر
إذا يزمجر فيها الرعد وابتسمت بالبرق عاينت[3] ملء السمع والبصر
يحكى بنان أمير المؤمنين أبي محمد الطهر مغنى كل مفتقر
مولى البرية أزكاها وأرأفها وأعرف الناس بالتأويل والسور
يرضى بطاعته الراضون فآرض به ومنه للدين ما للعين بالحور
مهذب الجد فياض أنامله أندى من الأنديْن البحر والمطر
حلو الخليقة ميمون شمائله أبهى من الأبهيْين الوشْي والزهر
الثابت الرأي ما تنفكُّ عزمته أمضى من الأمضيْين السيف والقدر
عز يشرفه بالمشرفي ويبـ ـنيه[4] على الأشرفين العدل والنظر
له محاسن مجد جاوزت وحلت محاسن الأحسنين النثر والشعر
وما برأت علا تبقى وإن فنيت مآثر الأبقيين الكتْب والسير
لما بصرت به صلت الجبين عليه بهجة الأبهيين الشمس والقمر
آنست في بشرته شذى وأمن من مر[5] الأمرين[6] من فقر ومن قفر
إذا تهلل مثل البدر مبتسماً تهللت كفه بالبدن[7] والبِدَرِ[8]

---

(١) ألث المطر: دام أياماً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لثث.
(٢) سحابة وطفاء، التي فيها استرخاء في جوانبها لكثرة الماء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وطف.
(٣) في الأصل (عما بنت).
(٤) في الأصل (ويبتنيه).
(٥) في الأصل (أمرين).
(٦) في الأصل (مرين).
(٧) البَدَنَةُ، تقع على الناقة والبقر والبعير، والجمع بُدْنُ.

وإن تذمر بات الموت من فرق[1] ومادت الأرض من خوف ومن حذر
سعى ونال وكم ساع فأعجزه نيل ولم يأل من ورد ولا صدر
أجدى من السيل والهيجاء كالحة والخيل مبتلة الأعطاف والعذر
في مارق مثل صدع الرمح ملتحم بالبرد من شجرات الخط مشتجر
وسرب حرب يطوف الموت بينهم صرفا على شفرات البتك البتر
أمات فيه نفوس الناكثين بـه صبرا وأحيى ذوات الناب والظفَر
وكم وكم لأمير المؤمنين أبى محمد من مقام بَيِّن الخَطَر
وكم مـآثر مجـد شاده كـرما محلق فوق برج الأنجم الزهر
رحب الفِنا فكأن الطائفين به حج[2] يطوفون[3] بين الحجر والحجر
تترى[4] إليه الوفود الدهر عانسة فهم به زمر تتـرى إلى زمر
تهنى به الطهر آل الله إن لهم من المجد ما ليس للأحياء من مضر
وليهنهم أن أمر المؤمنين لهم ولم يكن لأبي بكر ولا عمر
فشمروا يا بني الهادي وشيعتكم في النصر واسعوا إليه سعى مصطبر
وتابعوا أمر مولاكم فقد وجبت له الإمامة واقفوه على الأثـر
وزلزلوا ركن بغـداد وساكنهـا عن حقكم وخذوهم أخذ مقتدر
وحكموا السيف فيها إذ تدين لكم فإن صفحتم صفحتم صفح منتصر

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: بدن.

(٨) البَدْرَةُ: جلد السخلة، والجمع بدور وبدر. والبدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، سميت ببدرة السخلة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بدر.

---

(١) في الأصل (قرن). والفَرَقُ: الخوف والفزع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فرق.

(٢) في الأصل (الحجاج).

(٣) في الأصل (يطاف).

(٤) في الأصل (ترى).

[ ][1] إحدى الحسنيين هما — شهادة أو تنالوا غاية الظفر
فقد يلوث[2] ثوب المجد دهركم — إلى الغناء وطلتم كل مفتخر
بألمعي أقام المجد صعدته — على أكفكم في البدو والحضر
بحر الندى والردى للناكثين[3] به — بدر الهدى على [الصيب والأثر][4]
الآن آنس ظفري صفقة الظفر — لما اعتضدت إليه سفرة السفر
وطال ما رُضْتُ أيامي وشدتها — وطالما لبسَتْ لي فروة النمر
فالحمدالله قد أصبحت معتصماً — بعروة غير مرخاة على غرر

ومن قصيدة مقصورة طويلة لإبراهيم بن عمر بن إبراهيم المسلمي وصلت إلى ذمرمر قال في آخرها:

هجرت أوطاني وعيشي والكرى — وحالفت عيني السهاد والبكى
ما طاب لي نوم ولا عيش ولا — التذ بالماء فيشفى من صدا
وحرقة بالقلب لما اضطرمت — فيه تلظت مثلما جمر الغضا
واشتعل الرأس لها شيبا فقد — صار بياضاً وبرى الجسم الضنا
من فعل أقوام شروا دنياهمُ — بالدين من جهل فذا بئس الشرا
عدمت هذا الخلق جهلاً كلهم — إلا بنى الزهرا مصابيح الدجى
هم سادة الناس وهم هداتهمُ — عترة الطاهر هم أهل الكسا
يا أمة شيمتها الغدر أما — قد كان في قتل الحسين ما كفى
حتى نصرتم أعجميا فاسقاً — على إمام الحق نسل المصطفى
أكلما قام إمام عادل — أوليتموه الغدر منكم والجفا

(١) كلمة مطموسة في الأصل.
(٢) لاث: اقترن. ولاث: اجتمع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لوث.
(٣) في الأصل (والناكثين).
(٤) هكذا في الأصل.

أطعتم الشيطان في أعوانه | ومثلكم ينقاد في حبل الغوى
لكنما شيمتكم غدر فقد | عُمِّيتُم عن طُرُفٍ فيها الهدى
فاتخذوا إبليس من أعوانكم | فإنه أعدى عليكم من عَدَى
لا تخذلوا المنصور عن ارشادكم | فإنه قام لإرشاد الملا
لولا لنا المنصور كنا همجاً | من الغوى تسبح في بحر العمى
قد كانت البشرى به من قادم | عن جده فما عدا مما بدا
فخصمكم في غدكم محمد | وفاطم ونسلها والمرتضى
والحاكم الله فمن ينجيكم | والأرض لله ولله السما
لا تحرموا التوفيق يا أولي الهدى | فإنه مشرى بأثمان الغلا
وجاهدوا في الله وابغوا جنة | فيها نعيم ليس يأتيه الفنا
وشمروا لنصره وحاذروا | أن تصبحوا في سقر وفي لظى.

فهذا ما اختير من الأشعار التي وصلت إلى ذمرمر في التهاني وغيرها.

قصة طلوع وردسار إلى صنعاء:

لما قدم إلى اليمن بعد أن أذن له الإمام عليه السلام وللجند الذين كانوا معه بحوث بالقدوم إلى صنعاء، ووعد من نفسه، وحلف الأيمان المغلظة ليجتهدن في خدمته، ونصيحته، وتقريب الجند إلى طاعته لما فعل في حقه، وأسدى إليه من المعروف الذي هو أهله. فوصل إلى سنقر، فاستر بوصوله، وتلقاه بالكرامة. وأقام عنده مدة فأعطاه ولاية صنعاء وذمار وأعمالها. وجهز معه من الجند قيمة ثمانين فارساً. ونهض يريد صنعاء فبلغه الخبر أن بني سرحة لزموا نقيل صيد يريدون منعه من الطلوع.

وكان الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة قد أمرهم بحفظ النقيل،

وأخـذ من ورد أو صدر من الغز ففعلوا. وكان [ذلك][1] عند قدومـه إلى حصن حب، فلمـا عظم الأمر علـى وردسار، ولـم يجد سبيلاً عند إجماع العـرب ومظاهرتهـم عليه؛ كاتب الشيـخ عمران بن زيد بن عمرو بن عرفطه، وهو رئيس جنب[2] وكبيرهـا، ولاطفـه ومنّاه بأنـه يعيد إليه بلاده، ويعطيه كُلّ ما طلبه. وأمر لـه بِخِلَعٍ وشيءٍ من المال، فرغب في ذلك.

وبلغ الإمام عليه السلام ما جرى بينهمـا فكتب إلى الشيخ عمـران بن زيد يحذره الانخداع، ويعرّفـه بمـا فتح الله تعالـى على العـرب من اختلاف الغُزّ فـي ذات بينهم. وأنهم لا يوفون[3] لك بما وعدوا، ولا يرقبـون فيك إلاً ولا ذِمّةً عند أن يتمكنوا فـي البلاد. فلا تغتر بزخـارف[4] أقوالهم، فقـد جربتهم مراراً. فحملـه الطمـع ولـم يلتفـت إلى شيء من ذلك، ورأى أنـه مصيـب فيما فعلـه. وخطّأ رأي الإمام عليه السلام في قبول الأمير الشهاب ومساعدته له.

وتقدم الأمير عماد الدين معه إلى جهة اليمن، وخالـف أمره ولم يرشـده، فطرده بعد ذلك من البـلاد عند طلوعهـم النقيل. وأمر[5] له محمد بن كز وهو في الحقل، وأراد قتلـه في خيمته فانهزم، ثـم غزاه مرة أخـرى إلى بعض تلك النواحـي فقتل جماعة من أصحابـه وفاته هرباً.

---

(١) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) جنب بفتح الجيم وسكون النون. حي من مذحج، كانت مواطنها هران ذمار. ويطلق اسم جنب على عدة قبائل.

نشوان، منتخبات، ص ٢٢؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٦٤ - ٦٥؛ ابن حزم؛ أنساب العرب، ص ٤١٣؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٤٥.

(٣) في الأصل (يفون).

(٤) في الأصل (زخاريف).

(٥) في الأصل (أمر).

وكـان قد جمـع عسكراً عظيماً مظهـراً به الطاعة لوردسار، وقصد بـه ذمار يريد أخذها وقتل من فيها.

وكان فيها من قبل الإمام عليـه السلام الشريف علي بن موسى العباسي فـي رتبة من الغز الداخليـن تحت الطاعة، فأطلق أهـل الحبوس، وخـرب دور الفواسد، وأمـر بإقامة الجمعـة والآذان، ورفـع ظاهر المنكر. فلمـا دنا العسكر من المدينة، خـاف أهلها خوفاً شديداً. وأتـوا إلى الشريف علي بن موسى وأجمع رأيهم على التودية إلى الشيخ عمران بن زيد بألف دينار ويصرف عنهم العسكر. فبرز إليه في جملة من أهلهـا، فعرضوا عليه ما جاؤا به، فلـم يقبله، ولم يعد[1] يملك من أمـر العسكر شيئاً في تلـك الحال وقد قصدوا المدينـة من جهاتها. فانصـرف الشريف وأصحابـه، وعزمـوا على القتال. فركبت الغز وخرجـوا، فحملوا في العسكر وهـم على غير تعبئة، فحقت فيهم الهزيمـة. ووضعوا فيهم السيوف وأشرعـوا الرماح. فما زال القتل فيهـم والسلب من ذمـار العرب إلى وادي حنض[2] فَقُتِل ثمانون[3] رجلاً.

قال الشريـف علي بن موسى: وكنت كارهاً لقتل العـرب في ذلك اليوم، فمنعـت الغز من الإسراف في القتـل فامتنعوا. وكنـت أسألهم بحـق رأس الإمام فيكفون عن القتل. وانهزم عمران بن زيد إلى الحقـل في جماعـة، وأمـر إلى وردسار يحضـه على المبادرة والطلوع. وكفـاه أمر

---

(١) في الأصل (يرد).

(٢) حنض بضمتين، واد بالقرب من ذمار، وحنض قرية من عزلة جبل الدار ناحية عنس. تقع جنوب ذمـار على مسافة ثمانية كيلومترات تقريباً.
الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٢٨٢؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ٩٨؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة ذمار، جـ ١ ص ٣٣.

(٣) في الأصل (ثمانين).

بني سرحة الذين كانوا موكلين بحفظ النقيل. فطلع وأتى ذمار، وانضم إليه جندها واختل أمرهم. ومال الشريف علي بن موسى إلى ذي العليب[1] فجاء إليه كتاب وردسار بطاعته للإمام عليه السلام، وثنائه عليه، وأنه في خدمته. فتقدم إليه فوجده مظهراً أضعاف ما حاكاه في كتابه، وصحبه إلى صنعاء.

ولما علم الجند الذين بصنعاء بطلوعه النقيل واستقراره بذمار، كاتبوه ورغبوا في الكون معه لما قد لحقهم من المشقة بقطع ما يعتادونه، وما تربوا عليه من الفساد، بظهور كلمة الحق ومنعهم من فعل المنكرات بصنعاء وذمار وأعمالها. فخاف منهم الأمير عدلان بن خضر. وكان الأمير شهاب قد استخلفه عن أمر الإمام عليه السلام بصنعاء على الجند للشدة عليهم، وإدنائهم إلى ما يحكم به قاضيه، ففعل ذلك. وأقيمت الحدود على من وجبت عليه منهم، ومن علمائهم، ومن أهل الفساد الذين كانوا يلتزمون بهم، فشق ذلك عليهم. ونقل عدلان أولاده وماله إلى عضدان، وكان فيه حريم شهاب وأمواله. وركب عدلان في أربعة عشر فارساً من مماليكه، ومن يختص به من الغز وقصد ذمرمر. وأمر القاضي مفرح بن مسعود بالخروج من صنعاء، فخرج إلى سناع، وأتى بعد ذلك إلى ذمرمر.

ودخل وردسار صنعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة آخر شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، فبلغت خيله كلها إلى الثلاثمائة، وعاد الناس لما كانوا عليه من ركوب المنكر، وشرب المسكر

---

(١) العليب من قرى جهران، قضاء آنس.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٠؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٥١٤.

والتظاهـر بذلك. وقطـع الأذان بحي على خير العمل وصلاة الجمعة. وكتب إليه الإمـام عليه السـلام يذكر له وصـول عدلان إليه إلى بيت مساك، والتزامه بإقامة أوامر الله تعالـى، وإزالة المنكرات مع ما كان عليه مـن العداوة الشديدة، والبغضـة الأكيدة، فوفى بما شرط مـن نفسه. وظهـرت كلمة الحق في ولايتـه، وأنفذت الأحكـام النبويـة والأوامـر الإمامية حتى وصلت. وظننا أن يكون لـك قربة فـي الزيادة على ما فعلـه عدلان، لتَقَدُّم الألفة بيننـا وبينك. وما سلـف من الصحبة، وما تظهره من الطاعة والمودة، فكـان الأمـر فيك بخـلاف الظن، فانظر في ذلـك.

فعاد جوابـه بأنه يمتثل الأمر ولا يخالـف قولاً ولا[1] عملاً[2]، واستمـر على غيه. وكان قـد أهـدى للإمام عليـه السلام عقيب وصولـه ثياباً وطيباً، وأقـام بصنعـاء مدة والبلاد حولهـا مخالفـة عليه، والمواد منقطعـة منه. وما انبسـط إلى جهة خوفـاً من الإمام عليه السلام. وكان قـد أمر أهـل البلاد بحفـظ ما كان عندهم من الحقوق التي كان قد جعلهـا رزقاً للجند الذين مع شهاب. وأمـر بقطـع المواد من الظاهـر، ونهج المغـرب، وأخـذ من قصد صنعاء، فضاقت أحوالهـم فيها. فجمع وردسار عسكراً ممن أطاعـه من سنحان[3] وغيرهـم، وطمع في أخـذ عضدان، وقاد إليهم. فوقـع حرب شديد عقر فيه من خيلـه سبعة[4] أفراس، وجرح قوم

---

(١) في الأصل (بلا).

(٢) في الأصل (عمل).

(٣) سنحان اسم مشترك لبعض القبائل باليمن. فهناك سنحان التي تنسب إلى قبائل جنب المذحجية، وسنحان التي تنسب إلى قبائل القضاعيين.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص٤٨، ٥١، ٦٥، ١٢٢؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ٢ ص٥٥٨.

(٤) في الأصل (سبع).

كثير. وراح على أشر قضية، فأقام مدة ثم تجهز لحربهم مرة أخرى، فكسر واشتد أهل الحصن.

وكانوا بعد ذلك يغيرون إلى أبواب المدينة، ويقطعون المواد منها، ويختلفون ما بين عضدان وذمرمر. وأعرض وردسار عن حرب عضدان، وضاقت عليه وعلى الجند الذين معه الأحوال. وكان وقت قحط، وعزم الإمام عليه السلام على حربهم ومنابذتهم واغتنام فرصتهم عند انقباض العرب عنهم وأنسه بقربه منهم.

وكان وردسار قد صالح السلاطين آل حاتم بنصف الرحبة[1] مما تليهم، وخلاص أملاكهم بالمنظر[2] وشعوب[3] ووادي ظهر[4]. وأعطاهم عهد الله وميثاقه على الوفاء لهم بذلك على أن لا يحدثوا عليه حدثاً. فصالحوه على ذلك، فلم يف لهم. ورغبوا في حصول الزرع والحقوق الواجبة التي قد جعلها لهم الإمام عليه السلام لمنافع الحصن، وما يعود نفعه على المسلمين من تقويته وسداد أهله، وما علمه من المصلحة التي ترسخ بها قواعد الدين. فكرهوا الحرب لأجل ذلك، فساعدهم

---

(١) الرحبة هي القاع الفسيح الممتد من الروضة في شمال صنعاء حتى بلد أرحب.
ابن الديبع، قرة العيون، جـ١ ص ١٢٠ ـ ١٢١، ج ٦؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ٤٧.

(٢) المنظر هو الاسم القديم لروضة أحمد في شمال صنعاء في ناحية بني الحارث.
ابن الديبع، قرة العيون، جـ١ ص ٣٩٢ ج ١؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٨٤.

(٣) شعوب، واد ما بين صنعاء والروضة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ١ ص ٢١١، جـ٢ ص ٤٥٤.

(٤) وادي ظهر: يقع في الشمال الغربي لصنعاء على مسافة ١٠ كم.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٥٤٤؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 C 1.

وأمسك عن الحرب مع علمه بأنها في ذلك الوقت أصلح لهم من السلم مع فوات الزرع كله.

وكان قد بعث الأمير صارم الدين ـ صنوه ـ إبراهيم بن حمزة بن سليمان يأمره بجمع خيل الجوف، وبذل المال لهم. فالتأم إليه قدر مائتي فارس من آل دعام[1] وآل بدر[2] ونهم[3] وأرحب[4]. وجعل لكل فارس في كل شهر شيئاً معلوماً. ونهض بهم إلى قرية حمدة[5] بالبون الأسفل. ثم بعث الإمام عليه السلام إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بتجييش العسكر، والقود لحرب الجنات، وأخذ ذرعها، وخراب بورها. فجمع عسكراً كثيراً من حاشد وبكيل[6]، وأمره بالنهوض في لقاء صارم

---

(١) آل دعام، أهل درب ظالم بالجوف. بطن من بكيل الهمدانية.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١٢٣ ـ ١٢٤؛ أحمد بن يحيى، الدر المنثور، ورقة ٩٠.

(٢) آل بدر من بيجان. وبدر فرع من آل فاطمة من قبيلة يام بنجران.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ١٣٢، جـ٤ ص ٦٣١؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١ ص ٦٨، جـ٣ ص ١٢٥٩.

(٣) نهم من قبائل بكيل، ينسبون إلى نهم بن عمرو.... بن بكيل. وتقع بلادهم في الشرق الشمالي لصنعاء.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٤ ص ٧٤٦؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٧١٠؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ٣ ص ١١٩٨.

(٤) أرحب من قبائل بكيل، وهم ولد أرحب بن الدعام الأكبر، وتقع بلادهم في شمال شرق صنعاء.
نشوان، منتخبات، ص ٤٠؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١ ص ١٤.

(٥) حمده: بفتح الحاء وكسر الميم تقع في غرب مدينة عمران.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٠؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٠١.

(٦) حاشد وبكيل من بطون همدان. وتقع بلد همدان ما بين صنعاء وصعده، فشرقيه لبكيل، وغربيه لحاشد.

الدين. ونهض إلى أسفل البون.

وكان أهل الجنات عند وصول وردسار إلى صنعاء قدم جماعة من مشايخهم إليه، مستبشرين بوصوله، طالبين منه رتبة من الغز تكون في مقابلة من يأتيهم للحرب من جهة الإمام عليه السلام. فلما وقع الصلح كتب إلى الأمير صفي الدين يأمره بالإمساك عن حرب الجنات فأمسك، وقصد حصن تلثم[1]، وهو حصن ريده، عمره علي بن منصور الأكثيف من آل سعد حي من مرهبه وجعله مقراً للفساد والمفسدين، ومأوى لمن يأتي من العرب فيشربون فيه الخمر، وتفعل المنكرات. وكان مظاهراً للغز، شديد المحبة فيهم. فهدم الحصن وقطع بهدمه مادة الفساد. وعاد إلى جهة المشرق، وتفرق العسكر.

وكان الناس قد استبشروا بزوال يد الظلم. فلما صالح السلاطين آل حاتم وردسار، سقط في أيديهم، وجاء من كل قبيلة من يستورد أمر الإمام. ومنهم من جاء كتابه يسأل ما يعمل عليه. فأمرهم عليه السلام بتغطية بلادهم بما يمكنهم فيما بينهم وبين وردسار. فأقبلوا إليه طوعاً وكرهاً. وتنفس خناقه، واشتدت شوكته. وجمع عسكراً كثيراً وخرج من صنعاء بعد ضرة شديدة كانت قد أصابته ومن معه من الجند. وحط في أسفل الرحبة في جانب البلد التي صالح عليها السلاطين آل حاتم. فعلف العسكر زرعها، وعاشوا منه، وأقاموا به أياماً حتى أتوا على كثير منه. وهمَّ بالقدوم

= الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٧؛ الحجرى، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢١٣ - ٢١٤.

(١) صحتها تلفم، ولكن الناس يصحفون فيه فيقولون تلثم.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١١٤؛ الإكليل، جـ ٨ ص ٦٨؛ البكرى، معجم ما استعجم، جـ ١ ص ٣١٨.

إلى بلاد عذر. وجاءه جماعة من كبار أهلها. وكانت لهم عوائد مع الغز، انقطعت باستيلاء الإمام عليه السلام على بلادهم. فأتوا يستنهضون وردسار إليها، فأمر معهم نوابا من قبله لقبض ما بقي عندهم من الحقوق الواجبة. وكان الإمام عليه السلام قد جعل ما تحصل منها للأمير عدلان بن خضر وللجند الذين معه بذمرمر. فأخذوا بعضها وبقي البعض.

فكتب الإمام عليه السلام كتاباً يذكر له الصلح الذي تقدم بينه وبين السلاطين، والعهود والإيمان التي جرت. وما وقع من نقض العهود والأيمان بأخذ الزرع، وتسيير النواب لقبض ما كان في البلاد التي انعقد عليها الصلح. فإن كنت ملتزماً بالوفاء بما عقدت من نفسك، فانهض من هذه المحطة واسترجع النواب الذين أمرتهم بقبض ما في بلاد عذر، وإن كان لك رأي غير ذلك علمناه. فأمر للنواب بالرجوع، ولم يأخذوا شيئاً، ولم ينهض من المحطة. وأراد أن يشغل العسكر عن[1] مطالبته بما تحصل لهم من الزرع وما ينهبون من أموال الناس، فلما طالت إقامته، وعظمت المضرة من العسكر في بلاد السلاطين آل حاتم؛ عادوا إلى رأي الإمام عليه السلام، وما كان قد أشار به من الحرب، وعلموا صوابه في ذلك. وتفرق العسكر، ولم يروا في الحال أصلح من إثارة الحرب على وردسار، ونقض ما بينهم وبينه. فبعثوا إليه بالنقض، وأوقدوا النار إشعاراً للقبائل التي حولهم بالمادة إليهم، فوصل من كان حليفاً لهم.

وخرج في الليل جماعة من الحصن ليحدثوا حدثاً، أو ينالوا من العدو نيلاً، فصادفوا رجلاً من الغز يريد وادي السر[2] على فرس له،

---

(١) في الأصل (من).

(٢) يمر وادي السر في جنوب وجنوب شرق شبام الغراس من ناحية بني حشيش ويصب في وادي الخارد في الجوف.

خريطة ج. ع. ي، ١ : ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 A 4، قطعة 1544 C 2.

وخلفها مهر، فقتلوه وأخذوا الفرس والمهر، وما كان معه من سلاح وعدة، وجزوا رأسه وجاءوا به إلى الحصن، وهو ممن أراد المكيدة بالأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم. وقد غزا وردسار معه الغز الذين بالجنات فكان ممن انفلت وخالف إليهم في جماعة من أصحاب وردسار، وهو يومئذ في صف الأمير صفي الدين، فدافع الله عنه. وكان قد قصدوه وهو آمن إليهم بالسيوف والرماح. وحقت الهزيمة على أصحابه وقد تراءت الفئتان، ولم يلحقهم بسوء.

فلما بلغ خبر المقتول إلى وردسار، ركبت الخيل من المحطة بكرة تلك الليلة التي قتل فيها قاصدة نهج النهج[1] يطلبون جثته ليواروها، وظن أهل الحصن أنهم يريدون الحرب فجاءوا يستأمرون الإمام عليه السلام، فأمرهم أن يركبوا[2] خيلهم وهي ثلاثون. وقدم فيهم السلطان علوان بن بشر بن حاتم، وأمره بالتحكم في القتال ومظاهرة الخيل. وأن لا يمكّنوا العدوَّ من أنفُسهم، وأن يمنع الرجالة من الامتداد إلى الوطاء بحيث تنالهم خيل الغز. وكانوا قد عرفوا حربهم لطول الممارسة في أيام سيف الإسلام، كانوا يلقونهم في القاع المستوى، فيعقرون خيلهم، ويجرحونهم، ولا ينال الغز منهم نيلاً. فسبقوا على جاري عادتهم وربطوا القتال، ووصلتهم خيلهم وقد تلاحم القتال، فلم[3] يمكنهم[4] ردهم. وكثرت خيل الغز، وقلت خيل الحصن وأكثرها عارية من السلاح، لم تخرج متأهبة[5]

(١) يتضح من النص أن نهج النهج موضع ما بين صنعاء ووادي السر بالقرب من حصن ذمرمر. ولم يأت لهذا الموضع ذكر في المصادر.

(٢) في الأصل (يركبون).

(٣) في الأصل (فلما).

(٤) في الأصل (تمكنها).

(٥) في الأصل (أهبة).

للحرب[1]. وطال القتال إلى آخر النهار، ولم يكن من الأشراف حاضراً سوى الشريفين أحمد ومحمد ابني الحسن بن عبد الله الينبعيين الحسينيين فكان لهما في ذلك اليوم مقام محمود، وهما عاريان وفرساهما من السلاح ومن[2] حضر [معهما][3] وافترقوا قبيل غروب الشمس عن جراحات أكثرها من الغز بالنبل وفي خيلهم. ولم يمت منها أحد في الحال.

فلما أصبح وتأهب الناس للقتال، وجاءت المواد، بعث وردسار حاشد بن حتروش الهمداني ورجلين من كبار أصحابه، أحدهما سعيد الشنبكي، والآخر أبو العشائر بن بطل الشيباني لتمام ما انعقد عليه الصلح، وتجديد الأيمان فيما بينه وبين السلاطين، ورفع المحطة. واشترط عليه الإمام عليه السلام إقامة الجمعة والأذان بصنعاء، وإزالة المنكر وشرب الخمر، والفساد الذي ظهر فيها. فالتزم بإزالة ذلك إلا إقامة الجمعة والآذان فجعل له أجلاً حتى يستأمر سيف الدين سنقر، فقبل منه ذلك.

ثم قدم إليه القاضي صبرة بن عمران بن علي اليامي، فجدد عليه الأيمان، وأمر من قبله من استحلف السلاطين، فحلفوا، وجعلوا أيمانهم مشروطة بالوفاء منه، وطاعته للإمام عليه السلام. ولم يلبث في المحطة بعد ذلك، وتوجه يريد مغارب كوكبان، فحط في جبل الضلع[4]، وأقام به أياماً، ولم يظفر بمال ولا نفع. وتوجه إلى نهج حضور، فأقام هنالك مدة وعاد إلى صنعاء. ولم ينل من البلاد طائل نفع.

---

(١) في الأصل (الحرب).

(٢) في الأصل (وما).

(٣) إضافة للنص ليستقيم المعنى.

(٤) الضلع جبل متصل بكوكبان، مشرف على شبام، يقال له ضلع كوكبان. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٥٥٣؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٠٧.

قصة حرب الأعبل[1] وحباب[2] وقدوم الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة بعدهما إلى مأرب[3]:

لما انقضى صلح وردسار بعث إليه الإمام عليه السلام يأمره بالقدوم لإصلاح البلاد وتفقدها، وحرب من خالف فيها، وامتنع عن[4] تأدية الحقوق الواجبة لله تعالى من أخماس الفضة وأعشار الزرع. والوالي فيها يومئذ الشريف أحمد بن محمد السراجي[5]. وكان أهل المعدن يعطونه شيئاً يسيراً، وامتنع عليه أهل البلاد من تسليم سائر الواجبات. فنهض بالعسكر الذي كان قد أعده لحرب وردسار من آل دعام، وآل بدر، ونهم وأرحب حتى أتى الأعبل. قال في كتابه: فقدم إليه وهب بن فلاح وهو كبير خولان ورئيسها مستشفعاً بالسلطان علي بن هديان ـ وكانت بنته عند الإمام عليه السلام ـ في رد رهينة كان قد قبضها. فشفعه في ردها إليه، وأظهر

(١) الأعبل قرية من عزلة صرواح، ناحية صرواح، قضاء مأرب.
التوزيع السكاني في محافظة مأرب، ص ١٩.

(٢) حباب عزلة بناحية صرواح، قضاء مأرب.
التوزيع السكاني في محافظة مأرب، ص ١٧ ـ ١٨.

(٣) مأرب بلدة أثرية شرقي صنعاء، وبها سد مأرب المشهور. وهي الآن عاصمة محافظة مأرب.
أنظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٦٨٣ ـ ٦٨٧؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٥٧٦ ـ ٥٧٩.

(٤) في الأصل (من).

(٥) ينسب الشرفا السراجيين إلى سراج بن الحسن. . . بن الحسن بن علي بن أبـي طالب. وسمي سراجاً لحسن وجهه ونضارته، وقيل سمي سراجاً لأن أباه رأى في منامه من يقول له سم هذا الولد سراج الدين.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١١٠ ـ ١١١؛ أحمد بن يحيـى، الدر المنثور، ورقة ٨٨؛ زبارة، مباحث دينية، ص ١٣٧.

الطاعة والانقياد للأمر، وهو مُسِرٌّ في نفسه الخديعة والمكر. فحين أحرز الرهينة، وتوجه إلى قومه، خالف واستعد للحرب. وألب نهم[1] [وأهل][2] الجبال على الحرب. قال: فقصدناهم إلى دربين لهم، ودعوناهم إلى طاعة الله تعالى، وطاعة الإمام عليه السلام، وبالغنا[3] في الاعذار إليهم فأبوا إلا الحرب، فحاربناهم حرباً شديداً، وأظهرنا الله تعالى عليهم. فأخذناهم قهراً وتغنمنا ما كان في الدربين من فضة ـ وكانت كثيرة ـ وحب وآلة وأثاث، وعف العسكر عن قتلهم. وانفلت وهب بن فلاح فسرى ليلته حتى أصبح في أكمة حصينة في سفح جبل يقال لها [ ][4] يريد المعارضة والحرب دونها.

ونهضنا إليها وقد اجتمع بها خلق كثير، وفي عسكرنا من هو مداهن لهم ومن لا يريد لهم حرباً ولا مساءة، فتثبّطوا، ومالوا يميناً ويساراً. وأغار فرسان من أوائل خيلنا فيهم الشريف الحسن بن طامى بن مزاحم الحراني الينبعي الحسنى، والشريفان محمد وسليمان إبنا موسى بن داود الحمزى، وحاتم بن عمرو بن بشر الشهابي حتى دنوا من الأكمة فأصابوا أربعة رجال منهم. طعن الأمير سليمان بن موسى [أحدهم][5] في يده، وآخر في ظهره أمرقه، وطعن الثالث في فخذه وأخذناه لزماً. وطعن يامى بن حسن الينبعي مولى بني حسن رجلاً وحازوا ثلاثة عشر رجلاً من خيارهم. وحقت الهزيمة وتلاحقت الخيل، ووقع قتال قتل فيه رجل من أهل الجبل من نهم يقال له

---

(١) في الأصل (ونهم).

(٢) إضافة ليستقيم المعنى.

(٣) في الأصل (وابلغنا).

(٤) بياض في الأصل.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة.

عزان بن الجراح. قال: [فدخلنا][1] الأكمة بعد انهزامهم عنها، فهدمناها وحرقناها بالنار.

ونهضنا لمدينة صرواح[2] وفيها درب لوهب بن فلاح فأخربناه، ولم يلقنا دونه أحد. واستقرت أمور البلاد بعد ذلك وأطاع أهلها، وسلمت الحقوق الواجبة فيها. قال ثم نهضنا إلى مأرب وقد بلغهم ما فتح الله به من النصر والتأييد، فتلقونا وقد استقرت محطتنا بالبطحاء[3] سامعين مطيعين، فطالبناهم بالحقوق الواجبة فامتثلوا، وجاءوا بتسعة دروع فيما يلزمهم. وأقمنا بمأرب أياماً، وحسنت طاعة أهل الدرب الأسفل بعد إظهار الخلاف، والامتناع عن[4] إقامة الجمعة والأذان، فأتى أهل الدرب الأعلى، وكانوا على الطاعة والالتزام بالجمعة، والتمسك بأمر الإمام عليه السلام، فكان قاضيه عندهم للفصل بينهم ونفاذ الأحكام عندهم.

وبلغت الأخبار بطاعة أهل مأرب إلى بيحان[5]، فأتى ميسرة بن أبي عجلب في جماعةٍ من أهل بيحان، وعندهم والٍ من قبل الإمام عليه

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) صرواح بالكسر ثم بالسكون ثم واو بعدها ألف وآخره حاء مهملة، حصن قديم ومركز لناحية صرواح، قضاء مأرب.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٤؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ ٣ ص ٤٠٢؛ التوزيع السكاني في محافظة مأرب، ص ١٩.

(٣) البطحاء قرية بعزلة الحريبات، ناحية حريب، قضاء مأرب. التوزيع السكاني في محافظة مأرب، ص ٩.

(٤) في الأصل (من).

(٥) بيحان بفتح الباء الموحدة آخره نون، عزلة واسعة في ناحية مسورة قضاء البيضاء.
التوزيع السكاني في محافظة البيضاء، ص ٣٣ ـ ٣٤؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٩٣.

السلام لقبض الواجبات، وقاضٍ منهم اسمه مؤمل بن محمد النجراني يصلّي بهم الجمعة، ويقضي بينهم بالأحكام الشرعية. وكانت ولاية الأمر العام لسلطانهم محمد بن مؤمل المكرماني. فذكر ميسرة بن أبـي عجلب استقامة أهل بيحان على الطاعة، وحكى أن آل نعيم[1] استباحوا أكثر زرعهم، وهم قوم في بادية بيحان، كان الإمام عليه السلام قد أخذهم يوم غزا بيحان، وقاسمهم نصف إبلهم. وقد امتنعوا في جبل ذات أدمام[2] فحصرهم حتى صالحوه على ذلك. وبقي من زرع بيحان بعضه، فسأل تنفيذ الخراص لذلك، فأنفذ الأمير صارم الدين معه من يخرص. قال: وحُكي أنه وصل إلى الوالي رسم من الإمام عليه السلام بإيصال ما تحصل من التمر إلى حصن ذمرمر، فكره ذلك سلطانهم محمد بن مؤمل، ومنع منه، فعارضه ابن بنهس، وهو من كبارهم وكان محباً للإمام عليه السلام. وقال: لا بد من حمل التمر، والإنفاذ بحصاني معه للإمام. فخاف أن ينتزعه من الأمر، فأعمل فيه الحيلة حتى قتله غدراً، وهو ضيفه وفي منزله، فأنكر أهل البلاد فعله فطردوه وقدموا رجلاً من آل مكرمان[3] اسمه بدر بن عامر وسألوا منشوراً له من الإمام عليه السلام بالولاية. فكتب له بذمرمر وأنفذ به إليه، وتغطت أحوال تلك الجهة واستقامت أمورها. وكتب الإمام عليه السلام كتاباً إلى أهل مأرب نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى كافة سبأ بمأرب، سلام عليكم. فإنّا

---

(١) آل نعيم من قبائل بيجان.
الحجرى، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ١٣٢.

(٢) يتضح من النص أن جبل ذات أدمام يقع داخل بلاد بيحان. ولم يوجد لهذا الموضع ذكر في المصادر الأدبية أو التاريخية.

(٣) آل مكرمان هم رؤساء مراد بيحان.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٩٣.

نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، عمت آلاؤه، وحسن بلاؤه فله الحمد كثيراً.

أما بعد، فإنكم قوم وفقتم لإصابة الصواب، ومنحتم أفضل أسباب النجاة وهو محبتكم ورثة الكتاب، وعترة الرسول سلام الله عليه وعلى آله. وقد بلغنا نصيحتكم واستقامتكم، فاستقيموا واعلموا أن الله لا يضيع أجر المحسنين، فأحسنوا، ونحن الصادقون، فكونوا مع الصادقين. ونحن حزب الله، وحزب الله هم المفلحون. واعلموا أن الله تعالى قد صنع لإمامكم وابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله ما يجب شكره وذكره، من تذليل الجبابرة، وقصم القرون الفاجرة. فخضعت العرب وذلت العجم، وذلك بحول الله وقوته. فاستمروا على ما أنتم عليه. وقد علمت ما كان في مأرب في سنين الجهل والعمى، ومخالفة رب السما، ومنهاج العلما. فإياكم ثم إياكم أن تمادوا فيها فإنها سبب الهلاك. فلم نقم إلا لتجديد معالم الدين وطمس رسوم الجور فاحفظوا أنفسكم يحفظكم بارئكم والسلام.

وعاد الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة إلى الجوف بعد إصلاح البلاد، وما فتح الله على يديه من الاستظهار على المخالفين. فأنشأ الإمام عليه السلام كتاباً إلى عسكر الجوف بعد مراحهم نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى كافة العسكر المنصور من السلاطين آل دعام وآل بدر[1] وجميع نهم وأرحب من ساكني الجوف: باديه وحاضره. سلام عليكم. فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يجب ويرضى.

---

(١) يذكر الحجرى أن آل بدر من قبائل بيحان.
مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص١٣٢.

وابشروا. واعلموا أن اليمن قد أطاعنا وألقى المقاليد إلينا، ومال الدملوة بذل لنا، وحلف أهلها عند اجتماع جندنا على تسليمه إلينا. وقد علمتم أن إمامكم ما يريد جمع الأموال، بل يجمع لكم كما تجمع الذرة[1] ويحوطكم كما تحوط الأم البرَّة فانظروا في ذلك والسلام على من اتبع الهدى.

ولبث وردسار بصنعاء بعد صلحه وموادعته السلاطين آل حاتم ورجوعه من مغارب كوكبان وحضور بغير شيء مدة أشهر حتى ضاقت به الحال وبالجند الذين معه. وانقطعت عنهم المواد من البلاد، ففرقهم وأقطع كل [2] منهم جهته. وأراد عقوبة أهل صنعاء، وأن يسير فيهم سيرة شهاب في أخذ أموالهم. وأعانه على ذلك قوم منهم، وعلموا بذلك، فائتلفوا [3] في ذات بينهم على الامتناع والإيقاع به وبمن معه من الغز بالمدينة إن أرادوا بهم كيدا. وكانوا مستظهرين عليهم لكون [4] الإمام عليه السلام منهم. وأتى إليه جماعة يستدعونه إلى الحركة إلى صنعاء، وأنهوا إليه أمور الغز وأنهم متمكنون مما يريدون فيهم. فمنعهم مما كانوا قد هموا، وعلم أن أمرهم لا ينتظم. قال: دعوني أجمع أطرافهم، وأطوي البلاد عليهم قليلاً قليلاً، وأنغِّصها عليهم حتى إذا خرجوا منها، لم يهتموا بالرجوع إليها. وأمرهم بأن لا يحدثوا حدثا.

فلما بلغ وردسار حلفهم وما قد أجمعوا عليه رأيهم، أمسك عنهم وألان لهم جانبه حتى كان يحبس الرجل منهم فيأتون يخرجونه بغير رضاه.

---

(١) الذَرَّة: النملة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ذرر.

(٢) في الأصل (وانقطع كلا).

(٣) في الأصل (فاختلفوا).

(٤) في الأصل (يقول).

تحفوا بركابه[1] وتمنعوا من جنابه. فأما أمر الغز فقد فلّ الله حدهم، وفرق جندهم، وشتت شملهم فله الحمد كثيراً. ولم يبق إلا من يفتخرون إن عرفتم، وهم اليوم مع ذلك تحت أيدينا، منقادون لأمرنا رهبة لا رغبة، ولله الحمد على ذلك. ولم نبق نريد دفعهم مما تحت أيدينا، وإنما أردنا أخذ ما في أيديهم. وبالله لا نستثنى إلا مشيئته، لئن ساعدتم إمامكم وقبلتم رأيه وانقدتم لأمره ـ لتملأن أيديكم ذهباً وفضة ولتكثرن ثياب الحرير في بيوتكم. وليجر بها نساؤكم وصبيانكم على الدمن. ولينزعن الله الغل من قلوبكم بقدرته والإحـن. فخذوا من هذا الحديث أو دعوا فأنا لا أدلكم إلا على خير الدنيا وثواب الآخرة. وقد بلغنا أن بينكم منافرة ومكابرة، ولكل منكم حليف. وهل بقي لكم بعد أمير المؤمنين وابن رسول رب العالمين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنجين حلف تطلبونه أو صاحب ترجونه؟ ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[2].هذا أمر يقتل فيه الوالد ولده، والأخ أخاه والحبيب حبيبه؛ تقرباً إلى الله. أو ليس مما خصكم الله به من الفضائل اختصاصكم بأمير المؤمنين فداركم دار هجرته، وأنتم أربابها، فكونوا لله يكن لكم، وانقادوا لأمر أميركم. ومن ناصبكم حرباً ـ بعد الإعذار والإنذار ـ فقد أبحنا لكم ماله ودمه، وأمرناكم بحربه. فما فعل فيكم فهو عليه حرام، وما فعلتم فيه فهو لكم حلال. فأي خير أفضل من هذا أن أدركتم إماماً يحل بين يديه القتل والقتال وأخذ الأموال. وقد كان آباؤكم يتمنون إماماً عادلاً فقد رُزقتموه. فاشكروا الله يزدكم من فضله، وكل فرس تهلك في سبيل الله بين أيدينا، علينا غرمها، ولصاحبها أجرها، وأنتم على الزيادة. فشمروا

(١) في الأصل (ركابه).

(٢) سورة الفتح، آية ١٠.

وابشروا. واعلموا أن اليمن قد أطاعنا وألقى المقاليد إلينا، ومال الدملوة بذل لنا، وحلف أهلها عند اجتماع جندنا على تسليمه إلينا. وقد علمتم أن إمامكم ما يريد جمع الأموال، بل يجمع لكم كما تجمع الذرة[1] ويحوطكم كما تحوط الأم البرَّة فانظروا في ذلك والسلام على من اتبع الهدى.

ولبث وردسار بصنعاء بعد صلحه وموادعته السلاطين آل حاتم ورجوعه من مغارب كوكبان وحضور بغير شيء مدة أشهر حتى ضاقت به الحال وبالجند الذين معه. وانقطعت عنهم المواد من البلاد، ففرقهم وأقطع كل [2] منهم جهته. وأراد عقوبة أهل صنعاء، وأن يسير فيهم سيرة شهاب في أخذ أموالهم. وأعانه على ذلك قوم منهم، وعلموا بذلك، فائتلفوا [3] في ذات بينهم على الامتناع والإيقاع به وبمن معه من الغز بالمدينة إن أرادوا بهم كيدا. وكانوا مستظهرين عليهم لكون [4] الإمام عليه السلام منهم. وأتى إليه جماعة يستدعونه إلى الحركة إلى صنعاء، وأنهوا إليه أمور الغز وأنهم متمكنون مما يريدون فيهم. فمنعهم مما كانوا قد هموا، وعلم أن أمرهم لا ينتظم. قال: دعوني أجمع أطرافهم، وأطوي البلاد عليهم قليلاً قليلاً، وأنغِّصها عليهم حتى إذا خرجوا منها، لم يهتموا بالرجوع إليها. وأمرهم بأن لا يحدثوا حدثا.

فلما بلغ وردسار حلفهم وما قد أجمعوا عليه رأيهم، أمسك عنهم وألان لهم جانبه حتى كان يحبس الرجل منهم فيأتون يخرجونه بغير رضاه.

---

(١) الذَرَّة: النملة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ذرر.

(٢) في الأصل (وانقطع كلا).

(٣) في الأصل (فاختلفوا).

(٤) في الأصل (يقول).

وجعل منهم الكاتب والمتصرف والآمر. وفرق الجند لطلب أخبارهم في مشارق صنعاء وشعوب والروضة والرحبة والبون. وجعل رتبة من الغز في الجنات مع أهلها، فبسطوا أيديهم في بلاد الإمام عليه السلام التي دخلت في الصلح. فكتب له فلم يمنعهم، فأغاروا إلى البرار [1] في أسفل البون فأخذوا زرعها وانتهبوا أغنام أهلها وأبقارهم. وبلغ العلم إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في [2] حصن بيت مساك فركب فيمن معه مُغيراً وركب معه السلطان بشر بن علي بن محمد بن حاتم الذعفاني، وهو صاحب الحصن وعند الأمير بنته، ولكن بشر بن علي بعد ذلك نكث البيعة ونقض العهد وعادى الله ورسوله صلّى الله عليه وآله فمكَّنَ الله منه على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله. وكانت خيله التي حضرته أربع أفراس. فوقع القتال وطعن بشر بن علي رجلاً من أهل الجنات فقتله، ونزل من فرسه فأُحتزّ رأسه. وكثرت خيل الغز ورجلهم فمنعوا ما أخذوه، وأفسدوا في البلاد.

فقدم الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم إلى ذمرمر فقصّ على الإمام عليه السلام الخبر. وكاتب وردسار فلم يصنع شيئاً، ولاكره امتداد الغز في البلاد ليشغلهم عن مطالبته. ولا رعي عهدا ولا رقب ذمة. فلما علم الإمام عليه السلام ذلك منه وأنه قد نكث ونقض العهد، وجه الأمير صفي الدين بجمع العساكر، وأمره بحرب الجنات وأخذ زرعها، وخراب الأبار والدور التي عليها، وحصر أهلها ومضايقتهم لجنايتهم، وجمعهم أصناف الفساد من شرب الخمور، وارتكاب الفجور، وإيواء أهل الظلم، وبغضة الحق وأهله ففعل.

---

(١) البرار الأسفل والبرار الأعلى من قرى عزلة حمدة ناحية ريدة.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣١٣.

(٢) في الأصل (إلى).

وجمع عسكرا عظيما من قبائل بكيل وحاشد وغيرهم. فحط على الجنات فأخرب زرعها والآبار التي [1] في وطنها، وحصر أهلها، والغز الذين بها، وحاربهم، وضيق عليهم، وقتل منهم أربعة رجال. ولم يبق لهم زرع ولا مال. واجتهد العسكر في حربهم والخراب عليهم. وكان لبني صاع - خصوصا - اجتهاد عظيم وصبر شديد. وبعث أهل الجنات إلى وردسار يستغيثون به ويعلمونه بما أصابهم. وكان الأمير صفي الدين قد جعل عينا له في المخرب خوفا من غارة صنعاء، وأمره أن يوقد النار، إذا رأى الخيل مقبلة من مسافة البصر. فلم يوقد النار حتى جازت به الخيل إلى جهة الجنات، وصار بينه وبينها مسافة بعيدة، فأوقد النار. ونهضت المحطة عند وقودها، وكانت بالقرب من الجبل. فما استقل آخرهم الجبل إلا وقد بلغت الخيل المحطة. وكان غرضهم هجمها على غفلة من أهلها، فلم يظفرهم الله ودفع شرهم. فقصدوا قرية الغبر [2] وأهلها مضافون إلى الإمام عليه السلام يحاربون معه أهل الجنات. فهدموها وأخذوا ما وجدوا فيها، وكان أهلها قد ارتفعوا عنها.

وعاد وردسار وعسكره إلى الجنات فأمسوا بها، فلما أصبح نهض الكل إلى صنعاء ولم يبق بها رتبة. وما زالت الحرب قائمة عليهم، وهدم الآبار والدور، وأخذ الزرع. والغارة [3] في الليل والنهار مدة شهر. وأنشأ

---

(١) في الأصل (الذي).

(٢) الضبر في شمال شرق الجنات بمسافة ٣ كم. وهي قرية من عزلة الجنات ناحية عمران.
وتقع ما بين: ٣٨″ ٤٢′ ١٥° شمالاً،
٥٨″ ٥٦′ ٤٣° شرقاً.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٤٨٣؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة، 1543B4.

(٣) في الأصل (والغور).

الإمام عليه السلام شعرا يمدح فيه الأشراف الحمزيين، ومن انضم إليهم من بني العباس، ويذكر القبائل التي حضرت وجاهدت فقال:

أصح مقال الصيد ما أنا قائلة ... ويحمل عبء الحمل[1] من هو حامله
وما ذكر دار بين نشان والقرى ... لحى جلال عوده ومطافله
ولا الروض مما طيبتني[2] غصونه ... ولا زهره غب الندى وخمايله
ولكن حديثا من رماح ردينة ... إذا قصفت تحت العجاج عوامله
وأبيض مما تطبع الهند صارم ... تجف أعاليه وتندي أسافله
وذكر أتاني من كرام عشيرتي ... وقد يخبر الإنسان من لا يسائله
غداة دجى ليل من النقع أليل ... وبيض السريجيات فيه مشاعله
فلم تر إلا زاعبياً محطَّما ... ونصلا جفاه جفنه وحمائله
وابيض من فرعي على مهذب ... شريف مساعيه شريف أوائله
إذا هم ألقى[3] بين عينيه همة ... وصمم للأمر الذي هو فاعله
بحب سيوف الهند وهي عداته ... وقد يشغف الإنسان ما[4] هو قاتله
فقام صفي الدين فيها وقومه ... مقاما يراع الفيل فيه وفائله
دعوا دعوة لبى لها كل ماجد ... مواطنه مشهورة وقبائله[5]
من الصيد من فرعي بكيل وحاشد ... مقاول حرب حين تدعى مقاوله
هم نصروا آل النبي محمد ... وراح بهم عصر الضلال وباطله
وقادوا إلى الجنات كل طمرة[6] ... وكل طمر لم تقطع أباجله

(١) في الأصل وفي الديوان ح، د (الحب) والتصويب من الديوان أ، ب.
(٢) في الأصل (يطيبني).
(٣) في الأصل (القاه) والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل وفي الديوان، جـ (من) والتصويب من الديوان أ، ب.
(٥) هذا البيت ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.
(٦) الطِّمِرُّ بتشديد الراء: الفرس الجواد والأنثى طَمِرَّة.

وكل طلاع الكف زوراء بسطة ... تمج ذعاف السم منها معابله [1]
فدكوا بها الآطام دكا وغادروا ... مقام ولاة الجور عاليه سافله
وجاء إليهم وردسار فلم يصب ... وقد يخطىء الإنسان ما هو آمله
فقل لي لصيد من بكيل وحاشد ... سنام بني قحطان طراً وكاهله
أقيموا عمود الدين بالصبر إنني ... أرى الصبر معتاضاً على من يحاوله
فمرهبة الأبطال أول ناصر ... إمام الهدى والخطب جمر زلازله
فكيف وقد مد الضلال جرانه ... مخافة سيف الله والله خاذله
نصرتم أمير المؤمنين فأبشروا ... بفتح قريب أهنأ الفتح [2] عاجله
وقل لي لبشر جاءني منه [3] موقف ... بدت فيه [4] من إرث الجدود فضائله
وما عذر من كان الإمام وراءه ... إذا لم يقدِّمْ ما المهيمن قائله
فلا تهنوا فالذل في الضد واضح ... وقد ظهرت آياته ودلائله
وفي القوم غدر لا يُنادَى وليده ... ومن رام حلف الذئب فالذئب آكله
بنيت لعدنان وقحطان عن يد ... منار علا لا يلتقي مَنْ يطاوله
فما[5] عذرهم إن قصروا في[6] نصيحتي ... وناموا وفحل الحرب يضرب بازله

ولما عاد وردسار إلى صنعاء بعد غارته على [7] الجنات، واستخراج الرتبة التي كانت فيها من الغز، بعث سعيد الشنبكي، وهو من كبار جنده

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: طمر.

(١) المعابل: نوع من النصال الطويلة العريضة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عبل.

(٢) في الأصل (النصر). والتصويب من الديوان.

(٣) في الأصل (منك). والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (فيك). والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل (فلا) والتصويب من الديوان.

(٦) في الأصل (عن) والتصويب من الديوان.

(٧) في الأصل (إلى).

في نيف وعشرين فارسا ورجل كثير إلى جهة مشارق صنعاء وبلاد بني حي [1] لقبض المال منها على جاري [العادة] [2] في دول الغز المتقدمة. فحط بالقرب من مدينة تنعم [3].

وكان أهلها قد أتوا إلى الإمام عليه السلام فيمن قدم إليه من قبائل العرب بتلك الجهات. فبايعوه ودخلوا في زمرة المطيعين المتبعين لأمره. وأظهروا الخلاف على الغز، واشتدوا بقربه منهم، فامتنعوا عليهم ولم يسلموا لهم شيئا. فبسطوا أيديهم في بلدهم، وسلكوا بهم العادة المتقدمة، فأجمع رأيهم على قتل الغز والمقدم فيهم جبير بن سالم المعظمي [4] فبعث في الحال رجلا من أصحابه إلى الإمام عليه السلام إلى ذمرمر فاعلمه بما قد عزموا عليه، وسألوا المادة برجال يؤازرونهم على قتل القوم، ويكون ذلك باسمه وهيبة من يصل منه وبركته.

وكانت خيله متفرقة في أطراف البلاد لحفظها واستخراج الحقوق الواجبة منها، وكذلك فما كان معه من الرجالة إلا نفر قليل ممن لا غنى به عنه. ولم يكن بالحصن إلا من يقوم بحفظه، وأكثر ديوانه متفرقون في الجهات لتحصيل الثمرة، وكان وقت حصادها. فانتدب المادة قدر عشرين رجلا ممن [5] حضر. وسروا ليلتهم حتى أتوا المحطة قبل طلوع

---

(١) بنوحى: من قبائل آل عمار من شاكر.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٠٢.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) تنعم: قرية شرقي صنعاء في وادي قروى من خولان العالية.
ابن الديبع، قرة العيون، جـ ٢ ص ١٦ ح ١؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣١٧؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١١٠.

(٤) في الأصل (المطعمى). والتصويب من ، ابن حاتم، السمط، ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٥) في الأصل (من).

الفجر. وكان جبير بن سالم قد كمن كمينا من خب الليل من خلف المحطة. وجهز أصحابه بالعدة والسلاح لوصول المادة من الإمام عليه السلام. فحين وصلوا كتم أمرهم عن أصحابه لقلتهم، وقال جاءكم العسكر من ذمرمر، وأمرهم بالإيقاع في الغز عند أن يسمعوا [1] نداءه.

وتقدم إلى المحطة فأتى سعيد الشنبكي إلى خيمته فدعاه وقد ملأ يديه نزعا في قوسه، فأجابه وقام يسعى إليه، فوضع سهمه في جوفه فصرعه. ونادى في أصحابه فتبادروا من كل جهة وهم يهللون باسم الإمام [2] عليه السلام ووضعوا فيهم السيف، ورموهم بالنبل فقتلوهم عن آخرهم إلّا رجلين من الغز انهزم أحدهما، والآخر أسروه. وتغنموا جميع ما أجلبوا به وما حوته محطتهم من السلاح والعدة والخيام والأثاث والخيل. فأخذ أهل الحصن تسعا منها، وأتوا بها إلى الإمام عليه السلام فصالحهم على أخذ حصان جواد في الخمس فركبه محفوظ بن زياد الجنبي، وأقر كلا منهم على غنيمته من الخيل وسواها فاشتراها السلاطين منهم، وحصل بها نفع وزيادة في تقوية الدين. وبلغ الخبر إلى وردسار بصنعاء بما اصابه أصحابه، فجهز عسكرا[3] من سنحان وبنى شهاب[4] وغيرهم، وركب في الخيل التي معه. فأتى العلم إلى الإمام عليه السلام بنهوضه وأنه يريد تنعم، فبعث إليهم رجلين وأصحبهما كتاباً يأمرهم بالترفع من القرية بالحريم والأولاد، والوقوف بها على السلاح وأعلمهم أنه ممدهم بمائة

---

(١) في الأصل (سمعوا).

(٢) في الأصل (وهم يتعبدون الإمام) .

(٣) في الأصل (عسكر).

(٤) بنو شهاب بن العاقل، تقع بلادهم في ناحية بني مطر وتضم عزلتي شهاب الأسفل وشهاب الأعلى.

انظر، الهمداني، صفه جزيرة العرب، ص ١٣٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ١١٩؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

راجل في تلك الليلة يصبحون عندهم. وأن المواد [تصل] [١] إليهم عصبة بعد عصبة. ثم إن الرجلين قصدا [٢] وردسار وقد حط بالقرب من تنعم، فأخبراه الخبر وسلما إليه الكتاب. فكمن كميناً من تحت الليل لمن يصل من جهة الإمام عليه السلام، وأرصد الخيل والرجال لقتلهم. فجاءوا ولا علم لهم حتى وقعوا على الكمين وهم خلق كثير قبيل طلوع الفجر. وثاروا عليهم من كل مكان، فتنادوا بالأسماء وقاتلوا قتالاً عظيماً. وقتل منهم رجل من شاكر[٣] بسهم، وما زالوا يقاتلون ويحمون نفوسهم حتى دخلوا القرية وقد انهزم أهلها، وتعلقوا بالجبال. ولم يبق منهم إلا نفر[٤] قليل. وترادّوا بعد ذلك وقاتلوا حتى غلبوا على القرية، وافترق العسكر عليهم فمالوا بأنفسهم ولم يلحق أحداً منهم سوء. وعادوا إلى الحصن سالمين. فأخرب وردسار القرية، وأخذ ما وجد فيها وراح إلى صنعاء. وانغلقت عليه تلك الجهة، ولم يصب منها خيراً.

وقال الفقيه محمد بن سليمان العنسي يذكر قتل الشنبكي:

خلي الملام فغير همي همك	إن شئت فازدادي به أو فاتركي
أمري سوى ما أنت فيه فقصري	أمري هداك اللّه ليس بأمرك
ليس الزمان زمان لهو إنه	أشهى ارتشاف شبا الظبى من ريقك
تأتي المغيرة كالصقور عوابسا	تطس الجماجم والشوى بالسنبك

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (قصدوا).

(٣) شاكر بطن من بكيل من ولد شاكر بن نهم، وهي قبيلتا وائلة ودهمة. وبلاد شاكر ما بين مأرب ونجران ومنها الجوف وبرط وخب وأملح وغيرها.
أنظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩٧، الهمداني، صنعة جزيرة العرب، ص ١٦٢ - ١٦٤. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

(٤) في الأصل (أنفار).

نورين قدحا في الظلام فلست في ضوء الظلام الليل بالمتشكك
يلقي المقاول من ذؤابة يعرب والغلب داعية أَهَلْ مِنْ مُدْرِكِ؟
من مبلغ لي وردسار الوكتة [١] من قول دار بالأمور محكك
إعرف فما كل الزمان بجيد لاقِ الخطوب فتى [٢] وإلا فامسك
منتك نفسك بالغرور فلم تصب إن شئت قم منها وإلا فاترك
ثكلتك أمك من زعيم عصابة إن الزعامة من بقائك تشتكي
وأراك تطلب من أسنة يعرب ما كان يطلبه سعيد الشنبكي
ظلت سيوف الهند تنطح متنه ضربا كأشداق الهجان المورك
فتكت به أيدي الرجال ضحية فتكات ضار بالفريسة مفتك
أمسى نديما للمدام وأصبحت أشلاؤه حطط السباع النهك
هلكت مقاول يعرب وجموعها إن أنت في صنعا بها لم تهلك

ولما اختلت البلاد على وردسار وكانت الجنات والبون من أجلها قدراً وأعظمها نفعاً، وأكثرها خراجا، انتدب لحفظها والدفاع عنها أربعين من نخبة جنده وخيار عسكره. وقدم عليهم أبا العشائر بن بطل الشيباني، وهو من عفاريت الكرد وشجعانهم. وكان ممن أتى إلى الإمام عليه السلام من الغز بعد قتل حكو والخروج من صنعاء، وشهد معه غزوات كثيرة منها غزوة المطرح [٣]

---

(١) الوَكْتُ: الأثر اليسير في الشيء، والوكتة: شِبْهُ النقطة في العين. وربما استخدم الشاعر هذه الكلمة بمعنى التافه أو الحقير.
أنظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: وكت.

(٢) في الأصل (فجا).

(٣) المطرح اسم لموضع يقع بالقرب من الخموس في بلاد الأهنوم. كما يذكر أيضا انه بالقرب من الظهيرة ، ناحية المغربة، محافظة حجة. والمطرح اسم لعدة مواضع بالمحويت وبلاد الروس وذمار والبيضاء.

وسراقة[1] والمحالب وحرض[2] ودوبع[3] ونجران. وراح مع علي بن حنظلة غازيا إلى بلاد سنحان ثم إلى بلاد بني شهاب. ووقعت بينه وبين مبارز هلدري منافرة فراح بغير فسح. وخدم مع شهاب، ثم انتقل إلى خدمة وردسار فاستقر في الجنات في الخيل التي معه. وبسط يده في البلاد، ودمر أهلها. ولم يدع الإحسان إليه مدة إقامته في خدمة الإمام عليه السلام، ولا توقف عن مضرة في بلاده المتصلة في البون يقدر عليها بفعل أو قول.

ولقد حُكي عنه أنه بلغه أن الأشراف في جمع عسكر يريدون به الجنات، فأطرى الكلام واستنقصهم، وهون أمرهم. وقال أنا أعرفهم، وأقسم أنه يقوم لثلاثين فارسا منهم. فبلغهم كلامه، ونقل عنه إلى الإمام عليه السلام، فكتب إلى الأمراء والشرفاء الحمزيين يذكر لهم كلام أبي العشائر ويبكتهم ويقول، إن وقعت أعينهم عليه ولم يعرفوه قدر نفسه. فبلغ ذلك منهم كل مبلغ، وتواصوا بينهم في أمره إن أمكنهم الله منه.

= انظر: يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٥٠، ٣٥٦؛ الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٢٦٩؛ زبارة، أئمة اليمن، جـ١ ص ١١٩؛ التوزيع السكاني في محافظة المحويت ص ٨٧؛ محافظة ذمار، ص ١١٩؛ محافظة البيضاء، ص ٥؛ محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٢٦.

(١) سراقة من بلاد مراد في أسفل الجوف.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣١٩؛ الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٤١٥.

(٢) حرض واد بتهامة على شطه مدينة حرض وتقع ما بين:
٤٢″ ٢٤′ ١٦° شمالاً، ٣٥″ ٣′ ٤٣° شرقاً.
المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ١٨٠، خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543C1.

(٣) دويع، قرية من عزلة العبادلة ناحية أفلح الشام، قضاء الشرفين.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني، محافظة حجة، ص ٢٩٨.

وكان الإمام عليه السلام قد أراد أخذ زرع الجنات، وقطع أسباب الغز من منافعها. وعدلان مقيم عنده، مقيم بذمرمر، فثبطه عن ذلك رغبة في الجنات. وكان يترجى أن يقع صلح، ويصرف أمرها إليه. وكان شديد الرغبة في ذلك لما يعلم من منافعها مدة ولايته مع شهاب فيها. فلما يئس منها لم يكره الحرب وخرابها. ولم ير الإمام عليه السلام بدا من حربهم لظهور فسادهم وقوة شوكتهم، وما يخشى من امتدادهم في البلاد. فكتب إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم الحمزي يأمره بجمع العشائر وإشعار الناس التأهب لقدوم الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة من الجوف بالخيل. وكان قد أمره قبل ذلك بإعداد الخيل لوقت الحاجة إليها ففعل. وقرر لكل فارس في الشهر شيئا معلوما. فلما ورد إليه رسم الإمام عليه السلام نهض من الجوف الأعلى في ستة وأربعين فارسا من آل دعام، والمقدم فيهم يومئذ جحاف بن ربيع.

وبعث إلى الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة وكافة الأمراء والشرفاء الحمزيين الى نهج الظاهر يأمرهم باللقاء بخيلهم وعدتهم فيمن أجابهم من بني صريم [1] ووادعة [2] إلى البون. وأمر دحروج بن مقبل وهوخادمه المتولي لقبض ما يحصل من مال الله تعالى والإنفاق [3] في العسكر.

---

(١) بنو صريم بن مالك بن حرب، من قبائل حاشد. وتنقسم بنو صريم الى تسعة أتساع. ومركز الناحية مدينة خمر.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ١٥٨.

(٢) وادعة من قبائل حاشد الهمدانية، تنسب إلى وادعة بن ناشح بن حاشد. وهم يتوزعون في جهات مختلفة منها وادعة حاشد، في بلاد حاشد على مقربة من خمر. ومنها وادعة الشام شرقي صعدة.
المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٧٣٣ - ٧٣٤.

(٣) في الأصل (بالانفاق).

وكتب عليه السلام إلى الأمير وهاس بن جعفر بن محمد بن جعفر الحمزي، وهو المتولي على البلاد المصروفة إلى الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة ـ في حال قدومه إلى الدملوة استخلفه عليها ـ يأمره بقود العسكر واللقاء إلى البون، وأمر علي بن سليمان السهلي الحرازي وهو المتولي لقبض المال عن أمر الإمام عليه السلام في بلاد الطرف [١] وبني شاور [٢] وما يتصل بهما من جهة المغرب بالإنفاق فيمن يأتي من تلك الجهات. ووافق ذلك وصول الأمير عماد الدين من جهة الدملوة إلى حصن ثلا، فما لبث عند أهله إلا ثلاثة أيام، ثم هبط للقاء إلى البون وحرب الجنات. وسنذكر قصة قدومه من حصن حب الى الدملوة، وإقامته ووصوله فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وحكى لي الشيخ الفاضل أحمد بن الحسن بن محمد الرصاص [٣] وكان شاهدا للحرب [٤] في الجنات في تلك الوقعة في جماعة من أصحابه

(١) ذكر الهمداني أن بلاد الطرف من مخلاف أقيان (شبام كوكبان). ويتضح مما ذكره مؤلف السيرة في مواضع اخرى أنها تقع غربي عمران حول قرية الأشمور والمناطق المحيطة بثلا.

انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٣، ٢٤٨.

(٢) تقع بلاد بني شاور في ناحية كحلان عفار قضاء حجة. ويتضح مما ذكره مؤلف السيرة في مواضع اخرى ان بلاد بني شاور كانت تشمل بلاد جنب ـ بناحية السود قضاء عمران ـ والمناطق الواقعة في شرقها.

انظر، ابن الديبع. قرة العيون، جـ ١ ص ١٨٦ ح ٥؛ حسين فضل الله الهمداني، الصليحيون، ص ٣٥ ح ٢.

(٣) أحمد بن الحسن الرصاص، من كبار علماء الزيدية. له كثير من المؤلفات في الأصولين منها الخلاصة النافعة، ومصباح العلوم في معرفة الحيّ القيوم، والواسطة في أصول الدين وغير ذلك. توفي سنة ٦٢١ هـ.

يحيى بن الحسين، الطبقات، ورقة ٦٩؛ المستطاب، ورقة ٤٠، ابن ابي الرجال، مطلع البدور، جـ ١ ص ٦٨؛ الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ٧٥.

(٤) في الأصل (الحرب).

أهل المدرسة المنصورية بقرية حلملم [1] والمدرس بها يومئذ القاضي الفاضل ركن الدين يحيى بن جعفر بن أحمد بن أبي يحيى [2] وهو المتولي أمر القضاء بين الناس بالطرف وبني شاور وما يتصل بهما من جهة المغرب. فأمضى الأحكام الشرعية وأقام الجدود على مستحقيها في جميع البلاد، وأزال عنها الفساد، وقام مقاما محمودا. فنهض في أصحابه ليأخذوا بحظِّهم، ويؤدوا ما يلزمهم من فرض الجهاد.

قال الشيخ أحمد بن الحسن والتأم العسكر إلى الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة من بلاده إلى القصر من بني شاور. ونهض في عسكر عظيم في لقاء الأمير صفي الدين إلى قرية ضباعين [3] من قرى البون. ووصل الأمير صارم الدين في الخيل التي من الجوف. ووصلت خيل بني حمزة من الظاهر، فاجتمع عكسر عظيم مؤيد بنصر الله تعالى. الخيل فيه تزيد على مائة فارس، والرجل عدد كثير. وأمسى العسكر مجتمعا بقرية

---

(١) حلملم الأعلى وحلملم الأسفل، قريتان في الغرب والغرب الشمالي لقرية الأشمور بمسافة ٣ كم. وهما قريتان من عزلة الأشمور ناحية عمران.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣١٨؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B4.

(٢) القاضي زكي الدين يحيى بن القاضي جعفر، كان مبرزا في العلوم محققا في أنواعها. ولاه الإمام حقل وحقالية وما بينهما من بلاد جنب، كما تولى القضاء والتدريس.
انظر يحيى بن الحسين، الطبقات، ورقة ٦٩؛ المستطاب، ورقة ٣٩؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٣٤٧.

(٣) ضبا عين قرية من عزلة الربع الشرقي، ناحية جيل عيال يزيد، قضاء عمران، على مسافة ٥ ك م شمال غرب الجنات، وتقع ما بين:
٤١″ ٤٣′ ١٥° شمالاً، ٣٤″ ٥٥′ ٤٣° شرقاً.
التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣٠٢؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة، 1543 B4.

ضباعين، فلما أصبح نهض الأميران عماد الدين وصفي الدين بالعسكر فنزلا بموضع يسمى المحشاش [1] قريب من الجنات فحطا هنالك، وانتشر العسكر للقتال على الجنات حتى دنوا من الخندق. وخرج من رجلهم جماعة يربطون القتال وقد ركبت الغز يريدون الوثبة عليهم فيكسرون حدهم. فاعتركت خيلهم وسط الدرب، فثار بها عجاج رآه أهل المحطة. فركب الأميران وبعثا مناديا في الخيل بالركوب، فركب الأمراء والأشراف ومن لحقهم في قدر عشرين فارسا.

وخرجت خيل الغز وهي أربعون فارساً معدة مستعدة، لا يرى منها إلا حدق العيون، فانهزم من كان قدامهم من الرجالة. ولقيتهم خيل الأشراف عن كثب وجهاً بوجه، فشغلوهم بأنفسهم وردوهم عن مرادهم، وأعطوهم شبا الأسنة وظباة السيوف، فردوهم على أعقابهم. وهموا برد رؤوس الخيل فلم يمكنوهم[2] من ذلك. وما زال الطعن والضرب حتى بلغ أولهم باب الجنات، وثار العجاج، واختلطت الخيل بعضها ببعض دون الباب. ووقع أمر ليس بالهزل، وصاح جعفر بن الحسين بن قاسم الحمزي بأبي العشائر وقد ألج[3] به في خلال الهزيمة وعرفه بنفسه، وذكره قوله أنه يقوم لثلاثين فارساً من الأشراف فلم يلو عليه، واشتدت الحرب بين الفريقين دون الباب. وطُعن الأمير أسد الدين ثلاثاً في صدره على الدرع فصدحت طعنة منهن وصلت نحره، فوقع صريعاً بين سنابك الخيل.

(١) جبل المحشاش على بعد ٣ ك م شمال غرب الجنات. خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543 B4.

(٢) في الأصل (يمكنهم).

(٣) ألج: صاح. ولج القوم وألجوا: اختلطت أسواقهم. ابن منظور، لسان العرب، مادة: لجج.

فقام دحروج بن مقبل حتى استوى على ظهر فرسه وطعن رجلاً من الغز يقال له جحاف فأمرق عليه الدرع والجنة حتى أدنف، وعلق أسد الدين رمحه عند ركوبه بعنان فرس دحروج فتقاعد به، فوقع. فلزم عليه أسد الدين حتى ركب واستوى على ظهر فرسه. وطُعن الشريف الفضل بن علي العباسي العلوي[1] بطعنة أمرقت عليه الدرع، وأخذت في جنبه، وأصيب فرسه بطعنة تتعتع منها فصرعه، وحمته الخيل حتى ركب. ووثب القاضي حنظلة بن قاسم عن فرسه وقد حمل عليه رجل من الغز بقنطارته يريد بها صدره، فوقع على الأرض. وكان عارياً، وركب فرسه ولم يلحقه بأس. وضُرب الشريف الدميني المحسن العباسي على البيضة بالدبوس، وضُرب فرسه على رأسه فوثب الخندق، ورمى الشريف بنفسه من ظهره، فوقع على الأرض سالماً. وقُتل شريف من بني حمزة بسهم اسمه الحسن بن حمزة بن جعفر الحمزي، ورجل من آل ذعفان.

وقُتل في ذلك اليوم من أهل الجنات خمسة رجال، وطُعن رجل من الغز طعنة، والباقون منعهم من الطعن حصانة الدروع وقوة العدة. فأما الجراحَات فكثيرة من الفريقين جميعاً.

وافترقوا عن هذه الوقعة وقد عرف كل منهم صاحبه، واشتد الحصار على أهل الجنات والمضايقة، وخراب الآبار والدور التي حولها. والمحطة قريب منها بحيث يبلغ الصوت في موضع يسمى الغريانة بين الجبل ودرب الجنات.

---

(١) الأمير نظام الدين الفضل بن علي بن المظفر العلوي العباسي. كان أميراً كبيراً له إجازات في علوم عدة من الإمام عبد الله بن حمزة.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ١٩.

وبلغ الخبر إلى وردسار بصنعاء[1] وهو في مائة وعشرين فارساً، فجمع عسكراً كبيراً من سنحان والمقدم فيهم راشد بن مظفر بن الهرش، ومن بني شهاب، ومن بني غيلان حي من مرهبة لهم محبة في الغز شديدة مع إهانتهم لهم وأخذهم أموالهم مراراً كثيرة. ونهض من صنعاء لأربع خلت من ربيع الأول من سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فأتى الجنات والمحطة مستقرة بالغريانة، فمال عنها لما رأى فيها من الشدة، ولم يعرض لها، وقصد موضعاً يسمى بركة [هياش][2] بين ضباعين والضبر، فحط هنالك ثقله، وقدم في العسكر يريد أخذ قرية ضباعين وخرابها وأخذ ما فيها. فوقع بينه وبين أهلها حرب شديد حتى ملك جانباً من القرية وكاد أن يستظهر عليهم. ولما توجه إلى ضباعين انتدب الأمير عماد الدين للمادة إلى أهلها من أجواد العسكر سبعين رجلاً من أهل الصيد وبني صاع وأهل ثلا. وقد أخذوا جانب القرية فحملوا فيهم، فحقت فيهم الهزيمة. فقتل أحد عشر رجلاً، وألقوا السلاح وأخذت غوامرهم. وما زال السيف فيهم والجراحات الكثيرة بالنبل فيمن سلم منهم، ولاحموهم في القاع الجرد حتى حمتهم الخيل واستطردت لهم فصمموا في إثرهم، فردوا عليهم رءوس الخيل، وحملوا فيهم مجمعين. فثبتوا لها وألقوا لها النبل والأسنة فردوها صاغرة.

وكان الأميران قد اجتمع رأيهما على أن يخلفاهم على المحطة ولم يكن بها إلا مقدار عشرة[3] أفراس، فيقتلون من فيها ويتغنموها.

---

(١) في الأصل (إلى صنعاء).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من، يحيى بن ، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، ورقة ٦٤؛ غاية الأماني، جـ١، ص ٣٧١.

(٣) في الأصل (عشر).

ولم يكن بلغهم ما فعل أهل ضباعين، فترددوا بين الغارة إلى ضباعين واستنقاذ أهلها أو أخذ المحطة وتغنم ما فيها. ورآهم أهل المحطة وقد انتشر العسكر، فركض منهم فارسان إلى وردسار فأخبراه الخبر، وأن المحطة مأخوذة إن لم يدركها. فتأخر عن القتال وراح على كسرة إلى المحطة، ولم يستقر بها خوف البيات، فنهض إلى الجنات فأمسى بها. فلما أصبح ركب في الخيل والعسكر يريد أن يستعيض أمره في ضباعين وقد صار بها الأمير صفي الدين في قطعة من العسكر، فأضرب عن حربها، وعمد إلى الحظاير[1] لقطع الأعناب وتحريقها، فحرق موضعين. وأغار عليهم العسكر من ضباعين فمنعوا الباقي عنهم وأرخوهم عنه. وعادوا إلى الجنات قد فل الله حدهم وكسر شوكتهم. فأمسوا ليلتهم، وأبرموا أمرهم على الموادعة والصلحة، وقسمة البلاد، والدخول في طاعة الإمام عليه السلام، والانقياد لأمره. فلما أصبح والناس على أهبة الحرب في المحطة إذا أقبل أهل خيل عربية من الجنات قاصدين[2] إلى المحطة وهم السلطان أسعد بن علي الهبري، وحاشد بن حتروش الهبري، وراشد بن مظفر بن الهرش السنحاني، وقد بعثهم وردسار إلى الأميرين عماد الدين يحيى بن حمزة وصفي الدين محمد بن إبراهيم للذراعة[3] بينهما وبينه على الهدنة والصلح وقسمة البلاد. فجرى الكلام فيما بينهم والاختلاف للتمام على أمورٍ قدّروها، مقرونة برضى الإمام ومشورته، ورأى تمام ذلك.

---

(١) يتضح من النص أن الحظاير في شمال عمران ما بين الجنات وضباعين.

(٢) في الأصل (قاصدون).

(٣) ذرع بالشيء: أقر به.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ذرع.

وكان النفاق على العسكر قد اتسع، ولحقتهم الضرة والبرد فرأيا نفاذ ذلك ولم يصرما أمراً دون أمر الإمام عليه السلام، والحضور بين يديه بذمرمر. وسأل وردسار رفع المحطة عن الجنات والأمان لأهلها حتى ينصرم الصلح، فساعدا إلى ذلك. وجاء كتابهما إلى ذمرمر يذكران ما تقررت عليه الأمور من الإصلاح والهدنة فيما بينهما[1] وبين وردسار، فصوب رأيهما وحمد سعيهما، وأمرهما بالقدوم إليه لتمام ما شرعا. وأنشأ عليه السلام هذا الشعر وبعث به إليهما:

أتاني ورحلي في ذمرمر وقعة ... لكم أرغمت أنف العدو المُراغم

فدى لكم يا آلَ هاشم ناقتي ... ومن للخطوب المعضلات كهاشم

فلله عينا من رآها جوانحا ... لسمر[2] القنا والمرهفات الصوارم

فلم تر إلا زاعبياً محطَّماً ... بكفِّ كريمٍ في العجاجة غاشم

وملمومة شهباء[3] يبرق بيضها ... لها عارض يرفضّ فوق الجماجم

دعاها أمير المؤمنين فأقبلت ... تبارى سراعاً كالنسور القشاعم

بها كل ليث همه خضب سيفه ... إذا عافت الأبطال ورد الملاحم

وهم أبدءوها كالعشار بوادنا ... فعادت كأمثال القداح السواهم

عليها بهاليل إذا الخيل أحجمت ... رموا بجباه الخيل وجه المصادم

وكل كريم من ذؤابة أرحب ... صبور على الجلاَّ قوى العزائم

ومن حمير شم العرانين [عسكر][4] ... بجيش كمثل العارض المتراكم

ومن حي نهم كل أبلج ماجد ... طويل نجادالسيف سبط البراجم

---

(١) في الأصل (بينهم).

(٢) في الأصل وفي الديوان (سمر).

(٣) في الأصل (بيضاء) والتصويب من الديوان أ، ب، ج.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من الديوان.

وفتيان صدق من بكيل وحاشد دعائم عز من كرام دعائم
ومرهبة شم العرانين إنهم يرون طلاب المجد ضربة لازم
هم نصروا في يوم صفين جدنا وهم كالخوافي عندنا والقوادم
فقوموا لنصر الدين ديناً ومنعة فما الحرب إلا للكمى المقاوم
ولا تسأموا الحرب العوان وحطموا صدور العوالي في صدور الأعاجم
فأنتم بنو الحرب العوان ومنكم تعلم فعلها كل عالم
فتحتم بلاد الفرس والروم عنوة ببيض المواضي والجياد الصلادم
وصنعاء قد ألقت إليكم قيادها ولا يدرك الأغراض غير المزاحم
ولا تسأموا حرب العداة فإنها لتشرف حالاً أن تلذ لطاعم[1]
ولكن لهاقوم يرون شرابها ألذ لديهم[2] من زلال الغمائم
فصبرا بني الحرب العوان وشمروا وأرخوا بلا كِبْرٍ فضول العمائم[3]
ومدوا لأرماح الخميس أكفكم وصولوا صيال المقرمات[4] الصلاقم[5]
فليس ينال المجد إلا مصمم كما كان يحكى عن غنيم بن سالم
حما بيشة الخضراء من جمع ناهش وشهران في عشر صحاح القوائم
هبوا لهم طعن الرماح وسددوا حروف المواضي للطلي والمعاصم
إلى أن يدينوا للكتاب وحكمه ويرجع عن طغيانه كل ظالم

---

(١) في الأصل (المطاعم). والتعديل من الديوان.
(٢) في الأصل (بهم). والتعديل من الديوان.
(٣) في الديوان أ، العزائم.
(٤) المُقْرَمُ، هو البعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قرم.
(٥) الصلقم: الضخم من الإبل، وقيل: هو البعير الشديد العض والفك، والجمع صلاقم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلقم.

ومما قيل في حرب الجنات للشريف الفاضل يحيى بن مكني[1]:

اعمل عواملك المسلولة الخذما ... واستخدم السيف أنّى شئت والقلما
وأخضب مضاربها في كل آونة ... خير التمضي ما يقضي به ودما
وإن جعلت رماح الخط نابتة ... في كل نابتة عنها فلا جرما
حكِّم أنابيبها في كل معترك ... فلن ترى مثلها في موطن حكما
واصعد مع الهمة القعساء أو تطأ الـ ... ـبطنان من أخمصيك[2] الأنجم الرجما
فلا سبيل إلى مجد ومكرمة ... إلاّ لمن ساعدت عزماته الهمما
يلقى إذا رام مطلوباً يحاوله ... ما بين عينيه ماضي عزمه أمما
ويجعل السمر رسلاً[3] في حوائجه ... وضمر الخيل فيها تعلك اللجما
تطاير[4] الصخر[جمرا][5] من سنابكها ... وتقدم النار منه في الذي صدما
وتنسج النقع قمصاناً حوافرها ... ركنا وتبنى به فوق السماء سما
في موقف صدرت حمراً عوامله ... ريًا وقد وردت بيض الصدور ظما
عادات آبائك الشم الكرام ومن ... يشبه أباه على حال فما ظلما
أيام بدر وأحد والنضير وما ... في خيبر وحنين ذكره علما
تلك المكارم لا قعبانِ من لَبَنٍ ... شيبا بماء كما قال الذي نظما[6]

---

(١) الأمير الكبير، يحيى بن مكـني القاسمي. ولم يـرد عنه ذكر أكثر من ذلك في كتب التراجـم.
أنظر: ابن أبي الرجـال، مطلع البـدور، جـ ٤، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢) الأخـمص: بـاطن القـدم.
ابن منظور، لسان العرب، مـادة: خـمص.

(٣) في الأصل (مرسلاً).

(٤) في الأصل (تطابـه).

(٥) ما بين الحـاصرتين إضافة ليستقيم المعنى والوزن.

(٦) ينسب البيت إلى أبي الصلت بن ربيعة الثقفي وهو على النحو التـالي:
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبـا بمـاء فعـادا بعـد أبـوالا =

وقد أرى الدولة الغراء مقبلة زهراء يفتر فيها الدهر مبتسماً
حنا لها الدهر عن كره ودان فقد غدا يشير بما يهوى وإن رغما
ودوخت لك بالنصر الذي طلعت سعوده العرب العرباء والعجماء
وقد أتتك الملوك الغلب خاضعة تعنو بها[1] حيث[2] كنت الآن محتكما
فهل درى وردسار اليوم أي فتى من آل حيدرة لاقى وهل علما
وأي حيـة واد نفثهـا نـقم وأي فحل هجان [ ][3]
لله در رجال من بني حسن شم العرانين من أسنى الورى شيما
أحيـوا لآبائهم ذكـراً ومكرمـة وشيدوا من منار الدين ما هدما
لاقى العدا منهم اليوم العصيب لدى الـ ـجنات في مشهد قد شيب اللمما
ولم تزل لبني الزهـراء دائرة على العدا ومقاماً يكشف البهما
من مبلغ لي أمير المؤمنين على حال البعاد بما ضمنتها كلما
نهدي سلاماً كمثل الروض علله صوب الغمام بودق جاد واستحما[4]
لعلهـا أن تنوب اليـوم زائرة عمن غدى يشتكي الأوصاب والألما
عذيه عن خطة في الوصل وهو على الـ ـحالات يستورد الحاجات والخدما
واسم ودم يا أمير المؤمنين مدا الأ يـام توطىء خد الحاسد القدما

ولما انعقد الكلام بتمام الهدنة والصلح بين الأميرين عماد الدين يحيى بن حـمزة وصفي الدين محـمد بن إبـراهيم وبين وردسار على إنفاذ

= وهو من قصيدته في مـدح أهل فـارس حين جاءوا إلى اليمن وأخرجـوا الحبشة.
الجمحي، طبقـات فحـول الشعراء، جـ ١، ص ٥٨، ٢٦٢.

(١) في الأصل (لهـا).
(٢) إضافة ليستقيم المعنى والوزن.
(٣) بياض في الأصل.
(٤) أسحـمت السماء: صبت ماءها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحم.

ذلك وصرمه بين يدي الإمام عليه السلام بذمرمر، نهض إلى صنعاء ومعه القاضي نصر بن محمد بن كليب وهو المتصرف في خدمة الظاهر وأعماله عن أمر الإمام عليه السلام، وهو ممن حضر الكلام على الصلح في الجنات. وتفرقت العساكر، وانصرف كل إلى جهته. وقدم الأميران إلى ذمرمر في جماعة من الأمراء والشرفاء الحمزيين والعباسيين، والمشايخ من بني صاع وكبار من جمعه العسكر من قبائل العرب.

وأتى القاضي نصر بن محمد إلى ذمرمر فحكى ما أظهره وردسار من الكلام الجميل والثناء على الإمام عليه السلام، وحفظ الطاعة والمحبة وقدم الصحبة. وخلع عليه وناصفه، وأمره بالقدوم إلى الإمام عليه السلام، وصرم ما تقرر في الجنات من الكلام. فبعث إليه عزوان بن أسعد السريحي الصاعي، وهو شيخ مرهبة وكبيرها، وأشدها محبة واجتهاداً في إقامة الدولة المنصورية، فوقع الصرم على يديه على أن خلى وردسار من البلاد التي بيده من البون قريتي الضبر وضباعين فما خلفهما إلى البون الأسفل إلى قرية ريدة على انفرادها، استثناها وهي يومئذٍ خراب لا ساكن فيها. ومن الخشب على حد بيت ثناء[1] فما خلفها إلى جهة المشرق. ومن الرحبة من الحما[2] وبني

---

(١) بيت ثناء قرية من عزلة الثلث، ناحية أرحب. على بعد ٣٣ ك متر شمال غرب صنعاء. وتقع ما بين:
٣٥" ٣٩' ١٥° شمالاً،
٢٤" ٠٨' ٤٤° شرقاً.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 A 3.

(٢) عزلة سدس الحماء ناحية بني الحارث.
التوزيع الكساني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ١، ص ٢١٧ - ٢١٨.

سعيون[١] متصلاً ببلاد عذر[٢] ووادي الخارد[٣]، وهو من أجل أودية اليمن قدراً وأكثرها خراجاً. وفضلات نهره تسقى أسفل الجوف على مسيرة ثلاثة أيام، وقريتين من وادي السر. ومن مخلاف صنعاء هجرة سناع، والأوقاف التي وقفها شهاب وجعل الأمر فيها وفي غلاتها إلى الإمام عليه السلام وهي داره وبستانه، ودار المدرسة وبستانه بصنعاء، ومواضع بالمنظر وحدة. وصيانة الشرفاء حيث كانوا من بلاد الغز في مشارق صنعاء ومغاربها من جميع المطالب التي يطالب بها سائر الناس في أموالهم وأنفسهم. فهذا ما تقرر عليه الصلح، وحلف على الوفاء به، وأعطى عهد الله عليه.

فحين وقع الصلح ورأى[٤] الإمام عليه السلام إمضاءه لما شاهد من خذلان العرب وتثاقلهم عن نصره وقد أمكنت فرصة العدو بما ألقى الله بينهم من العداوة، وقتل سلطانهم، وتفرق أهوائهم، واختلافهم في ذات بينهم. ولو أن العرب أمسكت عن حربه وحرب الغز معه لكفاهم شرهم، ونفاهم من البلاد. فكلما قاد عسكراً لحربهم تعرضوا دونهم، [فقد][٥] اجتمع إلى الجنات لحربه قبائل كثيرة من بني شهاب وسنحان وبني غيلان[٦] وغيرهم. ولولا نصر الله

(١) يتضح من النص أن بني سعيون من ناحية بني الحارث.

(٢) المقصود عذر مطرة.

(٣) الخارد من أكبر أنهار اليمن، ويسمى غيل الخارد، منابعه من بلاد أرحب. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٢٠٠.

(٤) في الأصل (ورا).

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٦) بنو غيلان من أهل آنس، وذو غيلان من قبائل بكيل، وغيلان حي من بني شيبان، =

تعالى وما أراده من إعزاز دينه بالفئة القليلة المجاهدة في سبيل الله معه عليه السلام، لما ظهر أمر بمعروف، ولا نهى عن منكر. والشيعة المطرفية مع كثرة عددهم واتساع هجرهم، يثبطون عنه ويتربصون به. فإن وقع نصر من الله واستظهار الإمام عليه السلام، جاءوا إليه يشهدون بالإمامة، ويطلبون الولاية. وإن انتزح عن البلاد، لم يقوموا لله بفرض يلزمهم من جهاد، ولا إقامة جمعة، ولا أمر بمعروف، ولا نَهْيٍ عن منكر.

وحكى الشيخ أحمد الرصاص قال: لما انقضى الحرب على الجنات، ووقع الاستظهار على الغز، أقبل من هجرة قاعة وهجرة العشاوة جماعة منهم، فيهم شيخهم عواض بن أبي الفتح بالسلاح، وآلة الجهاد، يراءون الناس، فأقاموا في المحطة حتى تفرق العسكر، وعادوا إلى أماكنهم. وبذلك جرت العادة منهم، فإن الإمام عليه السلام لما استقر بذمرمر قدم إليه كبار وقش ومشايخهم صحبة الأميرين محمد بن مفضل وأبي الفتح، فتولوا عن أمره في البلاد، وقبضوا الحقوق. وقد تقدم ذكر أسمائهم وأسماء البلاد التي تولوها. ثم تفرقوا من عنده على القيام والجهاد، وإثارة الحرب، وجمع كلمة العرب، واغتنام فرصة العدو، وقود العساكر. فاشتغلوا بالخريف حتى انقضى وعادوا إلى هجرهم بعد مدة طويلة، فأنبتوا ما يحتاجون إليه من الإنفاق على المجلس الذي يجتمعون إليه من أطراف البلاد في

= وبني غيلان حي من مرهبة، وبنو غيلان من قبائل جنب.
انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٨٦؛ الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٢٨٥؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ١٩٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٦٢٧.

كل سنة للدراسة، ونسوا ما افترقوا عليه بذمرمر، واشتغلوا بصلاح أمورهم ومنافعهم.

ولبث الإمام عليه السلام ستة أشهر ينتظر فما أحدثوا حدثاً، ولا نكوا عدواً. وحَدَّثني من حضر مجلسهم أنهم أتاهم في مجتمعهم كتاب من إخوانهم بهجرة قاعة، يشكون ما حدث عليهم في بلادهم التي كانوا يأخذون أموال الله منها، وما فعله القاضي يحيى بن جعفر من الاستيلاء على الوصايا، ومنعهم من أخذ الزكاة في تلك المغارب حتى ضاقت عليهم الأحوال، وأصحبوا كتابهم شعراً في ذلك المجمع، فغصّهم ما أصابهم[1]، واشتوروا في ذات بينهم في أمرهم، وكيف السبيل إلى المدافعة عنهم. فاجتمع رأيهم على إقامة الأمير العفيف محتسباً، ليدافع عن الكافة منهم. وبايعوه على ذلك، وعلى القيام والمنابذة عنهم، فبايعهم على ذلك. وجعلوا أمرهم مكتوماً، ولم يجعلوا البيعة عموماً على من حضر المجلس فجاءت بذلك الأخبار من جهات شتى. ووقعت على كتاب من الشيخ أحمد بن أسعد الفضيلي، وهو شيخ أهل هجرة قاعة وعالمهم إلى الشريف حمزة بن يحيى بن الحسين إلى هجرة أمد[2] يبشره بما أجمع عليه المسلمون بوقش، وأنهم قد أقاموا العفيف، وبايعوه للدفاع عن المسلمين والمنابذة عنهم. فلبث مدة طويلة، وأصابه مرضه الذي توفي منه هنالك.

فلما وقع صلح وردسار، ورأى الإمام عليه السلام ذلك أصلح،

---

(١) في الأصل (ما أصاب ما أصابهم).

(٢) يبدو أن المقصود هو هجرة أيند، مكان بالقرب من قرية الأشمور ناحية عمران. انظر، الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٢٤٢.

فانتشر ذكره في البلاد، كره الناس ذلك لراحة كانت قد وقعت لهم باشتغال وردسار عنهم بالحرب، وخوفه من جهة الإمام عليه السلام. فمنهم من وصل كتابه إليه يشير بالحرب واغتنام الفرصة، ويحكى ضعف الغز. ومنهم من أتى بنفسه وكان ممن أتاه الفقيه علي بن يحيى البحيري من جهة الأمير العفيف والساكنين بهجرة وقش يحكى ما أجمع عليه رأيُ الكُلِّ من العزم على الحرب، ولزم بيت بوس[١]، ووصول جماعة من مشايخ أهل صنعاء إليهم يستنهضون الأمير العفيف. وكانوا قد أتوا إلى الإمام عليه [السلام][٢] وذكروا له ما قد عزموا عليه من قتل الغز الذين بصنعاء، فمنعهم من ذلك، ولم يشر عليهم به، وخالفوا رأيه. فجرى عليهم من المصائب ما يأتي ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى. وترك أقوال الناس جانباً، وفعل ما توخى فيه المصلحة، ووفقه الله تعالى له.

ولبث بعد الصلح مدة أيام يسيرة بذمرمر، وأنشأ دعوة إلى النساء بالحصن وقد تعلقن بمذهب[٣] الباطنية حتى عم الأحرار والإماء والعبيد، لتخفيف أثقال التكليف عنهن، ومشاق الطاعة لله سبحانه

---

(١) بيت بوس قرية من عزلة حزة صنعاء ناحية بني مطر.
انظر التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٢٥٢؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ١ ص٧٧؛ ابن الديبع، قرة العيون، جـ١ ص ٣٠٠ ح ١؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٩٤.
وتقع بيت بوس الآن في ناحية سنحان. وهي على بعد ٧ كم جنوب صنعاء. وتقع ما بين: ٢٣″ ١٦′ ١٥° شمالاً،
١١″ ١٢′ ٤٤° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 C 1.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.
(٣) في الأصل (لمذهب).

بـدخولهن في هـذا المذهـب. فـملن إليه إلا القليل منهـن. فأمـا الرجـال فحـضروا الجـمعة، وأظهـروا الطاعة، ومنعـوا من إظهـار المعاصي وشرب الخـمر. والمتولى لجـمعهم وإقـامة الحـد على مستحـقه منهـم عن أمر الإمام عليه السلام؛ السلطان علوان بن بشر، عـلم بخـمر في منزل، فأخـرج أهـله منه وهـدمه على ما فيه. واتهـم رجـلاً من هـمدان[1] بشرب الخـمر، وقد رأى في منزله سراجـاً في الليل. فـلما أصبح أحـضره وسألـه عن قـصة السراج والرجـل الذي تهوع عنده. فأنكر شرب الخـمر وقـال: الرجل الذي تهوع مريـض.

وحضر الجميع بين يدي الإمام عليه السلام، وأتى بمنيف بن سليمان المواحدي، وهو على مذهب الزيدية، وكان عنده في تلك الليلة، فشهد له بالبراءة من تلك التهمة، فخلى سبيله، واستقام الأمر، وهاب المخالف في المذهب حتى أن الشريف جوهر بن موسى العباسي ـ وهو من كبار الباطنية ـ وكان مقيماً في الحصن، وكان يحضر مجالس الإمام عليه السلام، فإذا جرى كلام في ذكر مذهبه، وحقيقة اعتقاده، جحده وأقسم الأيمان أنه ما يعتقده، وأطلق اللعن على من يقول به. والظاهر من المذهب خلافه، وأفعالهم دالة عليه.

وازداد السلاطين، كافة آل حاتم بصيرة في الأمر، وقوة في الدين،

---

(١) همـدان، أشهر قبائل اليـمن، وتنحـصر قبائل هـمدان في البطنين حـاشد وبكيل ابني جشم بن خـيران. . . بن هـمدان.

وهمـدان صنعـاء تقـع في الشمال الغربي من صنعـاء يحـدها من الشمال ناحـية عيال سريح ومن الشرق بني الحـارث وأرحـب، ومن الجـنوب بني مطر ومن الغرب ناحـية شبام كوكـبان.

انظر، الحجـري، مجـموع بـلدان اليـمن، جـ ٤ ص ٧٥٢ ـ ٧٥٩.

(٢) في الأصل (له).

فأقاموا مدرسة في الحصن وقرأوا الكتب، وصاروا علماء منابذين عن مذهب الزيدية.

نسخة الدعوة الى النساء بذمرمر [1].

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم. سلام عليكم. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي تقدس عن الأمثال والأنداد. وتعالى عن الصاحبة والأولاد، ومنَّ علينا بولادة محمد صلى الله عليه وسلم وآله وجعلنا الحكام على خلقه، والدعاة إلى دينه. وخصنا بشرف النصاب، وجعل فينا النبوة والكتاب.

أما بعد يا معشر النساء فإنكن شقائق الرجال، والخطاب من الله سبحانه ومن رسول الله صلى الله عليه وآله متوجه إلى الجميع كما قال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[2].

وإن لكل شيء آفة، وآفة هذا الدين الإلحاد فيه، والغرور لطالبيه، والفتنة لأهله. وإن للحق داع وللضلالة داع، كل واحد منهما يقول: أيها الناس هلموا إلى الحق المبين. فلو قال داعي الضلالة، أنا داعي ضلالة، لم يجب، وإنما يلبس الحق بالباطل، ويدعي أشرف اسم فيفتتن به الذين غلبت عليهم الشقوة، وهجر الدين [الذين] [3] سبقت لهم من الله الحسنى. ونحن الدعاة إلى الله، والأدلة عليه، وعترة نبيه، وولاة أمره، وورثة كتابه، وبنا يفتح ويختم، وينقض ويبرم.

---

(١) انظر، مجموع ٤٥، ورقة ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٣٦.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

وأنا أدعوكن على بصيرة إلى دين الله الذي هو دينه، ونحن أهل البيت [الذي كان جبريل عليه السلام إليهم يهبط، ومنهم يصعد. وأهل البيت] [1] أعرف بما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بيننا وبين الله. ونحن بينه وبين الناس. فنحن حبل الله المبين، والعروة الوثقى، وسفينة النجاة، ومصابيح الدجى. وقد قال تعالى فينا ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾[2] كما اختارنا ربنا، وصحح بالاستشهاد عدالتنا. فإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فافعلن ما أمركن الله به من إقامة الصلاة؛ فهي عمود الدين. وإيتاء الزكاة؛ فهي طهور المال، وصيام شهر رمضان؛ فهو جُنة من النار. وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا؛ فهو مفتاح الخير، وأطعن الأزواج؛ فإن طاعتهم من طاعة الله. واحفظنهم في الغيب، فإنها أمانة الله. واغضضن الأبصار؛ فإنه فرض الله. واعلمن أن الله ما أمر إلا بما أراد، ولا أراد إلا الذي أمر. وأن الدين قول وعمل، واعتقاد يزيد وينقص، ويصلح ويفسد. وقد قال أبونا رسول الله صلى الله عليه وآله: لا قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة [3].

واعلمن أن حدود الله وأوامر دينه من وقف دونها قصر، ومن تجاوزها تعدى وظلم [4]. ومن زعم أن لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من مجموع ٤٥ ورقة ٢٢.

(٢) سورة الحج، آية ٧٨.

(٣) هذه الجملة في مجموع ٤٥ ورقة ٢٢، على النحو التالي: لا قول الا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة.

(٤) في الأصل (تعد أو ظلم) والتصويب من مجموع ٤٥، ورقة ٢٢.

باطنا يخالف ظاهره كفر. ومن ترك شيئا من فرائض الله معتمدا فسق. وإن لله محارم معلومة أكبرهن بعد الشرك [1] قذف المحصنات، وإتيان الفاحشات، وشهادة الزور، وشرب الخمور. لم يحرمها لنفع يعود عليه - إن تركت - ولا لضير يلحقه - إن ركبت - وإنما حرمها لمصلحة في الدين تعود على المتعبدين.

وحرم اللهو من المعازف والطنابير. وحرم صوتين فاجرين ملعونين؛ الصياح عند المصيبة، وشق الجيب، وخمش الوجه. والصياح عند النعمة وتكسير الجسم، ومزامير الشيطان. واعلمن أن الدار التي خلقنا لها أمامنا. كأني والله بكل حي منا ومنكن ميتا، وكل رطب يابسا، وكل جديد باليا. ثم نعاد بعد ذلك ثانيا، إما لجنة يدوم نعيمها أو لنار - نعوذ بالله منها - لا ينفد عذابها. يعيدنا الذي خلقنا أول مرة في ظُلُم الأرحام. كما قال تعالى: ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا ﴾ [2] [وكما قال تعالى]: [3] ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ [4]. وصدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين، وله من الحامدين العابدين؛ لأن من قدر على جعل الماء عظما يقدر على جعل الطين لحما. فلا يغرنكم بالله الغرور ممن ينكر البعث والنشور، ويتخذ آيات الله هزوا [ودينه لهوا] [5] ولعبا. ويضيف إلى أهل بيت محمد صلوات الله عليه وعليهم ما ليس فيهم، ويفرق بينهم. والمفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيين. قال تعالى: ﴿ لا نفرق بين أحد

---

(١) في مجموع ٤٥، ورقة ٢٢، بعد الكفر بالله.

(٢) سورة الأنبياء، آية ١٠٤. وهي غير موجودة بالأصل والزيادة من مجموع ٤٥، ورقة ٢٢.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من مجموع ٤٥، ورقة ٢٢.

(٤) سورة القيامة، آية ٣، ٤.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من مجموع ٤٥، ورقة ٢٢.

منهم ﴾ [١] ومرد [٢] الأمر إليهم. قال تعالى: ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [٣]. ومعنى الاستنباط، رده إلى العقل والنقل واللغة. وقال تعالى: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ [٤]. ونحن أولوا الأمر الذين [٥] افترض الله طاعتنا، وأوجب محبتنا، وألزم مودتنا. قال لا شريك له لنبيه عليه وعلى آله السلام ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾[٦] فقيل له يا رسول الله صلى الله عليك من قرابتك الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وإبناها. فنحن ثمرة تلك الشجرة، وخلاصة تلك الطينة المطهرة. فمن أطاع الله سبحانه وأطاعنا فاز ونجا، ومن خالف أمر الله وأمرنا، فهو من أمر الله غرق وهوى. ومن ادعى الإيمان وهو قاطع للصلاة المفروضة والزكاة الواجبة، وشارب للخمر، راكب للمنكر فلسنا منه وليس منا. ولن يلقى معنا جدنا [ولا يرد حوضنا، ولا يشرب بكأسنا، وهو أسوأ حالا من عدونا] [٧] ولا يطلق عليه اسم الإيمان، ولا ينخرط في سلك الإسلام.

ولما بلغنا أن منكن من تطلب الدين، ومنكن من هي [٨] متمسكة [٩] بدين تزعم أنه الدين، لم نرد إلا إنفاذ هذا الكتاب إبلاغا لحجتنا، ومعذرة إلى ربنا، ولنعرفكن ما نحن عليه ﴿ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى من

---

(١) سورة البقرة، آية ١٣٦.

(٢) في الأصل (نرد) والتصويب من مجموع ٤٥، ورقة ٢٢.

(٣) سورة النساء، آية ٨٣.

(٤) سورة النساء، آية ٥٩.

(٥) في الأصل (الذي) والتصويب من مجموع ٤٥، ورقة ٢٢.

(٦) سورة الشورى، آية ٢٣.

(٧) ما بين قوسين إضافة من مجموع ٤٥، ورقة ٢٣.

(٨) في الأصل (هو).

(٩) في الأصل (متمسك).

حيَّ عن بيِّنةٍ وإنّ الله لَسَميعٌ عليم﴾[1]. واعلمن أن الدين الذي دعوناكن إليه، والمذهب الذي دلّلْناكُنّ عليه، أدركّتُ عليه أبي حمزة، وحمزة أدرك عليه أباه سليمان، وسليمان أدرك عليه أباه حمزة، وحمزة أدرك عليه أباه عليا[2]، وعلى أدرك عليه أباه حمزة، وحمزة أدرك عليه أباه أبا[3] هاشم، وأبو هاشم أدرك عليه أباه عبد الرحمن، وعبد الرحمن أدرك عليه أباه يحيى، ويحيى أدرك عليه أباه عبدالله، وعبدالله أدرك عليه أباه الحسين، والحسين أدرك عليه أباه القاسم، والقاسم أدرك عليه أباه إبراهيم، وإبراهيم أدرك عليه أباه إسماعيل، وإسماعيل أدرك عليه أباه إبراهيم، وإبراهيم أدرك عليه أباه الحسن، والحسن أدرك عليه أباه الحسن، والحسن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة وعلي سلام الله عليهم أجمعين. وهؤلاء المذكورون طاهرون مطهرون، يعرف فضلهم، ويقتبس العلم منهم، وتطأ الأكابر أعقابهم، ليس منهم مغمور ولا مجهول من لدن حمزة إلى محمد وعلي صلوات الله عليهما وعلى آلهما. فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان، وينسب إلى الإسلام من ذكر أو أنثى [أن][4] يعدل عن منهاجنا أو يطنب في حجاجنا. وهذه حالنا، وهذه هدية - إن قبلت، ونصيحة إن عقلت - نرجو بها من الله سبحانه ما أعطى من دعا إلى صراط مستقيم. ﴿هذه سبيلي أَدْعُوْ إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[5]. والسلام على كافة المسلمين ورحمة الله وبركاته [وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما][6].

---

(١) سورة الأنفال، آية ٤٢.

(٢) في الأصل (على).

(٣) في الأصل (أبي).

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٥) سورة يوسف، آية ١٠٨.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة. من مجموع ٤٥، ورقة ٢٣.

ولما استقامت الأمور، ووقعت الهدنةوالموادعة بين الإمام عليه السلام وبين وردسار، نهض من ذمرمر متوجها إلى الظاهر لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى سنة تسع وتسعين في قدر ستين فارسا ممن حضر من الأشراف وهمدان. وفيهم السلطان الأجل بشر بن حاتم وابنه علوان، والسلطان سالم بن علي بن حاتم لطيافةالبلاد وتفقد أهلها، والشدة على المفسدين فيها، وإصلاح أمورها. وقمع شرور حوادث كانت قد نجمت في الجوف من بني منبه [١] ومكاتبات منهم لوردسار، رغبة عن فصلهم عن الإمام عليه السلام. فبعث إلى كبارهم بخلع، ووقع منهم فساد في البلاد. وامتنع بعضهم عن تسليم الحقوق الواجبة.

وكل ذلك في حال انشغاله عليه السلام بحرب الغز وإيثار ذلك، والغفلة عنهم. وكذلك حوادث في أعمال صعدة بنجران وبلاد يام [٢]، وسنحان، من قطع السبل وأخذ المسافرين. وفيما بين الظاهر وصعدة والجوف وقع اختلال وانبساط من دهمة [٣] في الطرقات. وأرجف المفسدون بأن السلاطين آل حاتم قد لزموا الإمام ومنعوه من الخروج من ذمرمر. وشاع ذلك وتناقلته الألسن. فمد كل [٤] يده في جهته حتى قدم

---

(١) بنو منبه عزله من قضاء يريم. وبنو منبه من قبائل خولان بن عمرو في الشمال الغربي من صعدة.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٢٠.

(٢) يام من قبائل حاشد، وموطنهم بنجران.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤، الحجري، مجموع.بلدان اليمن، حـ ٤ ص ٧٣٤، ٧٧٤.

(٣) دهمة من قبائل بكيل ومواطنهم في برط والجوف وصعدة ومأرب.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٣٦؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٥٢.

(٤) في الأصل (كلا).

إلى شوابه بعد أن وقف في محصم [1] يومين. ووصل إليه جماعة من بني زهير [2] وآل منصور [3] وبني مجيد [4] وبني يزيد [5] وغيرهم. وكانوا قد بسطوا أيديهم في البلاد، وأفسدوا فيها. فشرح عليهم في ذلك، وأمرهم باللقاء إلى شوابة. ونهض إليها فلبث بها تسعة أيام، وبعث إلى الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة يأمره بالقدوم إلى شوابة، ومن أحب الوصول من السلاطين النهميين لفصل الكلام المتقدم، وتغطية أمورهم، وصلاح أحوالهم. فوصل الأمير ومعه علي بن هديان وفيصل بن يحيى في جماعة من نهم، فقصوا على الإمام عليه السلام أخبارهم وما أصابهم من الأمير صارم الدين من الأمور التي أوغرت صدورهم وغيرت قلوبهم، وألجأتهم إلى مكاتبة وردسار فقبل شكيتهم، وأزال باللطف والإحسان إليهم،

---

(١) محصم، بكسر الميم وسكون الحاء وكسر الصاد، بلد على بعد ٢١ ك شرقي ريدة. وهي قرية من عزلة بني سليمان، ناحية أرحب وتقع ما بين: ٣٦" ٥٠' ١٥° شمالاً، ١٤" ١٤' ٤٤° شرقاً.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٧ ـ ٢١٨؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٩٨؛ خريطة ج. ع. ى، ١ : ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 C1.

(٢) بنو زهير من قبائل أرحب.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٦٤، ٦٥؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٠٤.

(٣) قبائل منصور من أرحب، وآل منصور من قبائل بني جبر في خولان العالية.

محمد بن عبدالله، التحفة العنبرية، ورقة ١٢٦؛ الحجري، ومجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٢١.

(٤) بنو مجيد من ولد مالك بن حمير بن سبأ. لهم مواطن في لحج وأبين. ولهم مواطن أخرى في تهامة. وبني مجيد قرية من عزلة قبلة حذيف بالمحويت.

انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٥، ١٥٠، ١٦٩، ١٩٢؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٧٨؛ التوزيع السكاني في محافظة المحويت، ص ٤٣.

(٥) يزيد بن قاسم، بطن من مرهبة بن الدعام، وبني يزيد بن حرب من كهلان المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٧٥٩ ـ ٧٦٠.

والمناصفة لهم ما كان قد رسخ في قلوبهم. وجعل لكبارهم من الحقوق الواجبة التي تحصل من زرعهم سهمة طلبوها منه، يستعينون بها على أمرهم، فساعدهم إلى ذلك تألفا لهم، فرضوا به، وطابت نفوسهم، وصلحت احوالهم، وتغطت جهتهم، ورواحوا منه على حالة جميلة.

ثم التفت إلى البدو من داعي بكيل وأرحب، فأخذهم بالشدة والهيبة حتى سلموا الرهائن من أولادهم في الطاعة، وتسليم الحقوق الواجبة، وقطع الفساد في البلاد.

ثم عاد إلى أهل شوابة فعاقب من يستحق العقوبة منهم بأخذ أموال [بعضهم] [١] ومنهم بأخذ الزرع علفا للخيل قبل استوائه، ومنهم من أخذ ما في منزله من الحب، وغيرهم جملة من أهل الربا والفساد. وفرق على أهل البلاد جملة من الدنانير معونة في أمر الجهاد وما يعود نفعه على البلاد، وأمرهم بإيصاله إلى حوث.

ونهض من شوابة وقد أصلح أمورها وأمور الجوف، وجعل إلى الشيخ عيسى بن ذعفان الولاية في قبض الحقوق الواجبة وحفظها، وتوفيرها، ونقلها إلى ذمرمر، فنقلت إلى هنالك في كل ثمرة. وجعل أمر القضاء والحكم بين الناس، وإمضاء الأحكام الشرعية إلى الفقيه الفاضل سليمان بن عبد الله السفياني [٢]. وكانت له يد في البلاد ظاهرة لمكان العلم والقرابة في النسب، فأمضى الأحكام، وصلحت أمور البلاد بعنايته

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) الفقيه الفاضل سليمان بن عبدالله السفياني، كان من كبار المسلمين وعيون أهل الدين، ولاه الإمام المنصور بالله بكيل كافة.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٢ ص ١٢٧.

وهيبة الإمام عليه السلام. ومر على السبيع [1] يريد أثافت وبها علف لرجل من أهلها. وكانت السنة جدبية والظاهرة محطوما، لا يكاد العلف يوجد فيه، فواثب العسكر لذلك العلف، فأخذوا منه لدوابهم.

وكان عليه السلام قد تقدم في أوائل العسكر، فأتاه صاحب العلف يستغيث حتى وصل أهل العلف، فأمرهم برده جميعه. وأمست الخيل بأثافت لجمها في رؤوسها لعدم العلف.

ذكر قدومه إلى حوث وإقامته بها والحوادث والحروب:

قدم إليها يوم الإثنين لست وعشرين ليلة خلت من جماد الأولى سنة تسع وتسعين، وأقام بها ثلاثة أشهر ونصف. وكان عليه السلام قد وجه أصحابه بعد حرب الجنات واجتماعهم إليه إلى ذمرمر، وأمر كلا منهم إلى جهته لإصلاحها وقبض ما يتحصل [2] فيها من حقوق الله تعالى.

وراح الأمير عماد الدين يحيى إلى حصن ثلا للإقامة هنالك، وتفقد البلاد والأعمال المصروفة إلى ولايته منها، وقد طال عهده بها لقدومة إلى اليمن وإقامته في نهج الدملوة. فلبث أياما عند أهله، وجاءه الخبر بأخذ حصن العادي [3] وخلاف أهل البلاد التي حوله، وهم حي من جنب في تلك الجهة الغربية، فأقام في تهجيز العسكر والقود إليهم. وكان الوالي به الشريف حمزة بن حمزة بن الناصر الحمزي، فذهب لبعض حوائجه،

---

(١) السبيع: بفتح السين وكسر الباء وسكون الياء، قرية من عزلة بني قيس، ناحية خمر. النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤١٥.

(٢) في الأصل (ما اتحه).

(٣) العادي قرية من عزلة بلاد جنب العمري، ناحية السود، قضاء عمران. التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٢٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦.

واستخلف ابن عمه علي بن محمد بن الناصر على الحصن، فتفرق الديوان ولم يبق معه إلا نفر [١] قليل.

وأتى قوم من جنب قدر خمسة عشر رجلا بحب يحملونه إلى الحصن من الحقوق الواجبة التي عليهم، ففتح لهم الباب فدخلوا ورأوا المكان متعطلا من الرجال وطمعوا فيه، فقصدوا الشريف فلزموه وأصحابه واستولوا على الحصن وما فيه. وصرخوا في عشائرهم، فأقبلوا من كل جهة إليهم، وعلموا أنهم لا يقدرون على المنع منه ولا الاستقرار فيه إذا أتتهم جنود الله. فأجمع رأيهم على هدمه، فأخربوه، واستقصوا في خرابه حتى لم يدعوا فيه حجرا [٢] على حجر. وكان ذلك في جمادى الأولى. وحدثني الشيخ يحيى بن قاسم الظليمي الميتكي، وهو من كبار ميتك [٣] ومشايخهم، وأهل المحبة وأهل الطاعة. قال لما بلغ الصوت إلى ميتك أغرت فيمن خف من أصحابي أهل قرية صبرة [٤]. وكنا أهل غارة وصلت إلى جهة العادي، فأتينا موضعا يقال له المشاف [٥] بالقرب من العادي وأهله من جنب. فلما أقبلنا نحوهم قالوا: لنا طاعة الإمام عليه السلام، فأخذنا بيعتهم على ذلك، وأمنا إليهم، وطلعنا معهم مكانهم. وكان تحت العادي مدافن مملوءة حبا، فمنعنا المخالفين منها، وحاربنا دونها حتى أتانا

---

(١) في الأصل (أنفار).

(٢) في الأصل (حجر).

(٣) ميتك: ويقال فيها موتك بفتح الميم وسكون الواو ثم تاء مثناه من فوق وكاف. وهو ما يسمى اليوم عفار في الشمال الشرقي من حجة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٦.

(٤) صبرة: قرية من عزلة بني موهب، ناحية كحلان عفار.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ١٣٠.

(٥) المشاف اسم لكثير من المواضع. ولكن يتضح من النص أن الموقع المذكور بالقرب من حصن العادي في عزلة جنب العمري ناحية السود.

الشريف على بن إبراهيم بن حمزة في جماعة من الأشراف وأهل البلاد. وأقبلت العساكر من كل جهة، فنقلوا الحب من تلك المدافن أياما، وحمل مؤنة جانب من العسكر.

قال وقدمت بصحبة الشريف إبراهيم بن محمد بن الناصر إلى الأمير عماد الدين وهو بحصن ثلا، فأخبرناه الخبر، فبعث إلى البلاد في جمع العساكر من كل جهة. وعدنا في جماعة إلى ميتك، وانفلتنا منهم جماعة حتى صرنا قدر أربعين رجلا من أجواد الناس، فقصدنا حصن زوا [1] في الليل فأخذناه. وكان المخالفون مجتهدين في حفظه وحراسته خوفا عليه أن يلزم، فغفلوا عنه في تلك الليلة فاستولينا عليه وصار العادي بينهم وبين أصحابهم الذين بالمشاف. وأوقدنا نارا فيه إشعارا بلزمه، وطلبا لمادة ميتك. فلما أصبح أحاطت بهم العشائر من جَنَبْ وسالت عليهم الأودية، والسلاح بالسلاح والرجال، فقاتلوهم قتالا شديدا حتى أشفوا على أخذهم. وأقبلت غارة ميتك في قدر سبعمائة سياف بالعدد والغوامر والزينة، فكشفوهم عن أصحابهم، وتقسوا عليهم وهزموهم، وأخربوا ما حولهم من القرى والمساكن التي للمخالفين.

وأتى الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة في جمع عظيم وعسكر موفور منصور. فالتأمت العساكر قدر سبعة آلاف، فحط في موضع بالقرب من حصن الكراث [2] - وهو حصن منيع - فأعذر إليهم، ودعاهم إلى طاعة الله تعالى وطاعة الإمام فامتنعوا وأبوا إلا المحاربة. فنهض لحربهم مستعينا بالله تعالى وغشيهم العسكر، وطلعوا عليهم مواضع صعبة المرتقى لم

---

(١) يتضح من النص أن زوا ما بين العادي والمشاف من بلاد جنب ناحية السود.

(٢) حصن الكراث: يتضح من النص ومما ذكره الشرفي أنه بالقرب من حصن العادي في بلاد جنب.

انظر، الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٢٨٧، جـ ٣ ص ١٦٢.

يظنوا أن أحدا يبلغ إليها. ووقع قتال سحيح [1] ومضايقة عظيمة. وقتل من أهل الحصن جماعة بالنبل، ورمى الشريف على بن إبراهيم بن حمزة بحجر عظيمة في أم رأسه، فصرع منها ومات شهيدا بعد أيام إلى رحمة الله تعالى. واشتد القتال، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وأيقنوا بالهلاك بعد قتل الشريف. فضجوا بالنداء يطلبون التودية، ويسألون الأمان مع امتناع المكان وحصانته، فأمر الأمير بفك القتال عنهم فاستسلموا وهبط إليه جماعة منهم يسألوه قرارهم في موضعهم، وسترة حريمهم على أن يخربوا بيوتهم بأيديهم، ويسلموا مالاً عقوبةً لهم على خلافهم. فساعدهم على ذلك. فأخربوا بيوتهم، وسلموا المال، وحسنت طاعتهم بعد ذلك ثم نهض بعد ذلك إلى حصنين لجنب تسميان الحقل [2] والحقالية [3]، فحط بالقرب منهما، ودعاهم إلى ما دعا إليه أصحابهم، وأبلغ إليهم في المعذرة، فأبوا إلا الحرب والتمرد والمنابذة، ولا سبيل إلى حربهم لحصانة الموضعين. فعاد إلى خراب الضياع والأموال والمزارع، وقطع الأعناب، وخراب القرى حتى تركها كالأمس الذاهب. وأخر المحطة عنهم فحصل كمينا في موضع بالقرب من الحصن، انتدب إليه جماعة من ديوانه، فلما توارت المحطة عنهم، وبعد العسكر هبط منهم جماعة وقد أمروا عجوزا تستبرىء لهم الطريق، فوقعت على المكمن فلزموها واسترهبوها حتى

---

(١) الغارة السحاء هي التي تسح على الأعداء البلاء دفعة من غير تَلَبُّثٍ. ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحح.

(٢) حقل: قرية من عزلة بلاد جنب العمري، ناحية السود.

التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٢٨٦؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ٢ ص٥٠٣.

(٣) الحقالية: محلة من قرية حقل، عزلة بلاد جنب العمري، ناحية السود.

التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٨٦.

نصحتهم بالأمارة بينها وبين أهل الحصن، فأشارت بها إليهم. فجاؤوا ولا علم لهم بالكمين، فثاروا عليهم ولم يتكاملوا، ولا وصل آخرهم. فقتلوا رجلين من خيارهم، وانهزم الباقون على إثرهم إلى الحصن.

وعاد إلى حصن العادي فأمر بعمارته والإنفاق عليه حتى استقل معمورا. ورد الشريف حمزة بن حمزة على ولايته فيه، وانصرف العسكر كل إلى جهته، واستقامت الأوامر في تلك البلاد، ودخل أهلها في الطاعة [1] مدة، واستدعاه الإمام عليه السلام إلى حوث بعد ذلك، وسيأتي ذكر قدومه إلى هنالك في موضعه إن شاء الله.

وأتى كتاب من الأميرين السيدين الكبيرين شيخي آل الرسول شمس الدين يحيى، وبدر الدين محمد ابني أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام لما بلغ العلم بقدومه إلى حوث يذكران اختلالا في البلاد الشامية وحوادث ببلاد يام وسنحان ونجران، وانبساط أيدي المفسدين في قطع السبل، ونهب المسافرين إلى صعدة ومنها. ويستنهضان الإمام عليه السلام، ويحضانه على المبادرة واستدراك البلاد. فأجابهما عن كتابهما وأصحبه هذا الشعر.

إن النجاة لزوم خوف [2] الباري	وهو المزحزح عن عذاب النار
طال الثوى من النفير إلى العدى	ولقد عهدت وما يَقَرّ قراري
كافحت أرباب الضلال عن الهدى	متجردا قبل اخضرار عذارى
حملت أوزاري على عبل الشوى	شنج النسا لأحط من أوزاري
يا راكبي متن العناد وسالكي	سبل الضلالة آذنوا ببوار

---

(١) في الأصل (البلاد).

(٢) في الديوان ج، د (حزب).

فالجرد تضبع والصوارم تجتلي	والأسد تخطر بالقنا الخطار
وأنا الذي عرفت مواطن صبره	في كل يوم حالك الأستار
بل أيها الغادي على عيهامة [1]	سرح[2] النجاء[3] شملة[4] محضار[5]
بلغ إلى شمس الهدى [6] وشقيقه	بدر الندى [7] وبنيهما الأطهار
عني رسالة من يروم بيأسهم	نعش الهدى وإبادة الفجار
المانعين الجار عند نزوله	والرافعين بنارهم للساري
والضاربين الكبش يبرق بيضه	في عارض كالعارض المطار
الجايدين إذا السماء بخيلة	بالقطر والوافين للغدار
السائلين [8] عن السؤول [9] لبرّة	والفائضين نداً على الزوار
والرافضي الدنيا الدنية حسبةً	والقاطعين تسلط الجبار
شيخين من آل الرسول تسابقا	وبنوهما سلكوا على الآثار
مدحتهم آي الكتاب فكم عسى	يعطيهم المداح بالأشعار

---

(١) ناقة عيهامة: ماضية سريعة.
ابن منظور لسان العرب، مادة عهم.

(٢) سُرُحٌ: سريعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة سرح.

(٣) النجاء: السريعة في السير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نجا.

(٤) شِمِلَّةٌ: خفيفة سريعة مشمرة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شمل.

(٥) محضار: سريعة العدو.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حضر.

(٦) في الديوان - (الضحى).

(٧) في الديوان ح، د (الهدى).

(٨) في الأصل (والسائلين) والتصويب من الديوان.

(٩) في الأصل (السؤال) والتصويب من الديوان.

هم قادة [للمسلمين] [1] وسادة ... في دارنا هذي وتلك الـدار

وبهم حياة الدين بعد مماته ... وهـم ولاة النـقض والامـرار

أو ليس يحيى قام قومة جده ... يحيى فشال الدين بعد عثار

ودعـا لمنصـور تـطاول سؤلـه ... في أن يكون له من الأنصار

دينـا لعمـرك خـالصـا ودرايـة ... بمـواقـع الإيـراد والإصـدار

وأخوه بدر الدين قاد إلى العدا ... جيشـا كمثـل الـزاخـر التيـار

فشفى صدور المؤمنين ولم يدع ... لـلظالمـين بـدارهـم من دار

وله [2] مواقف لم يكن ليقومها ... في الروع إلا كل أغلب ضاري

وبنوهما السادات أنوار الهدى ... شم الأنـوف سـلالـة الأخيـار

آل النبي هم النجـوم وإنمـا ... ليس الكواكب كلها بـدراري

مـا للشموس وللبـدور مقيمـة ... في بـرجها وكـواكب الأسحار

والعـزم ماض والأنـوف حمية ... والـظالمـون على شفيـر هـار

ولكم [3] من الله العظيم جلالة ... في قلب كل منافق ومماري

جاء الحديث بأن ياما قد عدت ... أطـوارهـا وتعـرضت لشفـاري

وتحككت ببنى السبيل ضلالة ... وزنادكم في كل خطب واري

إيها بني الهادي فأنتم من بني الزهـ ... ـراء كـالأسـمـاع والأبـصـار

هم كـالنهـار وأنتـم أنـواره ... والفضـل لـلأيـام بـالأنـوار

لـولا أبوكم زَارَ عني روحـه ... أزكى صلاة الـواحـد القهـار

أحيا معالم دين أحمد جاهدا ... وكسـاه برديـه لأصبح عـاري

قد قلت للساعي أصيلا قدك لا ... تهلك فهمْ سبقوك وجه نهار

مرعى وبعض النبت يفضل بعضه ... أفعنـدك السعدان كـالجرجـار

---

(1) إضافة من الديوان.

(2) في الديوان (له).

(3) في الأصل (فلكم) والتصويب من الديوان.

ما جل من خطب أتوه جهرة جذلين غير مقلمي الأظفار
متقلدين صفايحا هندية يقطعن متصلا من الأعمار
شم الأنوف تزيد في أقدامهم كلب العدى وتغلب الأشرار
إن تلقهم في السلم تلق زواخرا أو في الوغى تلق القضاء الجاري
كالماء لينا للضعيف ورقة ولضدهم أقسى من الأحجار
شغفوا بكسب المكرمات وبالعلا شغف الفرزدق قادما بنوار[1]
إن تلقهم لا تلق إلا كاتبا أو خاطبا أو قارئاً أو قاري
أو مرشدا في العلم أومسترشدا أو قائدا للجحفل الجرار
أو كاشفاً خطباً عظيماً ناهضاً ثقلا لحيٍّ[2] يعرُب ونزار
أنتم يمين الحق فاحموا سرحه من كل أطلس خاتر مغوار

ولما استقر الإمام عليه السلام بحوث، وانتشر ذكر قدومه إليها في البلاد أقبل إليه أهلها من جهة المشرق والمغرب. المحب رغبة ومحبة، والكاره خوفا ورهبة. فأتى أهل جبال الأهنوم[3] بما عليهم من نذر وبر وحق واجب. وأتى قاسم بن مطرف من الخموس في قوم من أهلها وأهل السهول حولها، وهو المتولى لقبض الحقوق الواجبة فيها. فقدم حصانا، وسلم شيئا من المال يسيرا مع سعة البلاد التي تولى فيها، والأخماس التي يأخذها. وجعل في سوق الخموس وعمل فيها بغير حكم الله. فقبل الإمام عليه السلام منه ما أتى به، وعزله بعد ذلك، وعاقبه بجملة من المال.

وولي البلاد الغربية الأمير علم الدين سليمان بن موسى[4]. وذكر

(١) نوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي، زوجة الفرزدق. ديوان الفرزدق، جـ ١ ص ٩.

(٢) في الأصل وفي الديوان أ، ب، ج (لتحيى) والتصويب من الديوان النسخة د.

(٣) جبال الأهنوم عبارة عن سلسلة من الجبال أهمها جبال سيران وذرى وشهارة وعيشان وظليمة.

الويسي، اليمن الكبرى، ص ١٠٧؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٤) الأمير علم الدين سليمان بن موسى الحمزي. تولى بعد ذلك الجوف وأعمالها وبقيت في

ذلك [يأتي] [١] في موضعه إن شاء الله تعالى .

ثم جاءت عذر بعد ذلك للسلام وتأدية ما عليهم، والوالي عندهم الشريف محسن بن الحسن القاسمي، ولم يكن مضطلعا بالأمر فيهم. فكان يقبل منهم اليسير. فلما تولى الأمير علم الدين البلاد، عزله وجعله من جملة العمال والمتصرفين من تحت يده.

ثم جاء أهل ظليمة [٢] وما يتصل بها. ووصل الأمير يحيى بن علي القاسمي، وكان الإمام عليه السلام قد عزله من الولاية في الظاهر الأعلى وبني صريم، لضياع وقع في أموال الله، وتفريط فيها. فهم بالخلاف وباين، وتقدم يريد إلى الغز، فلما صار في بعض الطريق عارضه مرض فعاقه عن قصده. فعاد وانتقل إلى جهة المغرب وبلاد ظليمة، وأراد معارضته فيها، وتغيير قلوب أهلها، فلم يبلغ إلى طائل. وطال عليه الأمر، فأتى معتذرا مستعطفا بهذا الشعر، وقائله الشريف يحيى بن مكنى :

أبى الدهر إلاّ غُـربةً وتفـرّقا ... ومَا انهلّ [٣] هذا الدمع إلاّ تدفقّا

وهل كاتمت نفسي الهوى وشجونه ... مع البين والتفريق إلا لتزهقا

ولا ذكرت عصر الصبي وزمانه ... فزادت بمن نهواه إلا تعلقا

= يده حتى وفاة الإمام عبد الله بن حمزة.

حميد المحلي، الحدائق الوردية، جـ ٢ ص ١٩٥ ؛ ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٧.

(١) ما بين حاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) ظليمة حبور: ناحية من قضاء شهارة محافظة حجة. ومركز الناحية قرية حبور ظليمة على بعد ١٥ ك م جنوب شهارة، وتقع ما بين: ٠٤" ٠٣' ١٦° شمالاً، ٢٣" ٤٢' ٤٣° شرقاً.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٥٦٨ ؛ خريطة ج. ع. ى، ١ : ٥٠٠٠٠، قطعة D4 1643.

(٣) في الأصل (ومنهل).

رعى الله أيام الشباب فإنها كأوجُهِ مَنْ نهوى بهاءً ورونقا
وبهكنةٍ هيفاءَ غضٍّ شبابها كأنَّ بفيها الخندريسَ (١) المعتَّقا
أناة كأنبوب القناة لقدها تثنى غصين البان ماس على النقا
اذا أسفرت عن وجهها من نقابها رأيت كبدر التِمّ في الغيم أفيقا
ترى الدُرَّ منظوماً عقوداً لجيدِها فتحسبه منها ثياباً ومنطقا
وفي خدِّها ماء الشبيبة خائر سقى زهراً غضاً من الورد مونِقا
إذا رُمْتُ تقبيلاً له خفُت جَرْحَهُ فصيرت قلبي منه بالجرح أخلقا
ولولا التقى نال الأمانيَ عاشقٌ ولكنه للمجد أصبح أعشقا
به هام مذ شُدَّتْ مآزره فلن تراه إلى شيء سواه مشوّقا
ومن لم يكن بالمكرمات مشغفا يكن غير ما شك به الذُّلُّ أليقا
إليك أمير المؤمنين تطوحت نفوس إلى لقياك هامت تشوقا
لتقضي فرضا واجبا من زيارة وتشتام من هامي سحابك مبرقا(٢)
ومن أخفقت فيما سواك ظنونه فما كان يرجو من (٣) نداك تحققا
وليس بغاب عنك ما كان آنفا وما أكثر الواشون فيه التعمقا
فعطفا أمير المؤمنين على امرىء حباك وداداً صادقاً لا تملُّقا
ولا تقبلن ممن أتاك نميمة ولا تصغ سمعا للوشاة مصدقا
ولولا (٤) دأب الساعين ما كان مـ ـا أتوا إليك به إلا ليبغوا (٥) التفرقا
فكان الذي راموا ولولا بقية لأغرق نزعا بعد من قبل أغرقا

---

(١) الخندريس: الخمر القديمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خندرس.
(٢) شام السحاب والبرق شيما: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر؟.
ابن منظور، لسان العرب، مادة شيم.
(٣) في الأصل (من يرجو).
(٤) في الأصل (ولا).
(٥) نصف الكلمة مطموس في الأصل.

وأغضى على لذع السفى وبنى على ضرام الغضى قلبا هنالك محرقا
ولم يك منه البعد والهجر من قلى ولكن من يقلى يرى البعد أوفقا
لك الله هل ترضى مقالة ماين وإن كان مينا باليمين محققا
وتهجر من حريته وخبرته فكان حساما في رضاك مدلقا (١)
وهب أن ما قال الوشاة وأكثروا صحيحا فأين العفو والبر والتقا
ألست الحليم الغافر الذنب والذي غدى عوده بالفضل والجود مورقا
ونحن أحق الناس منك بأن إذا سألنا الرضى لم نلقه الدهر مغلقا
ودم وابق في عز عزيز مسلما سعيدا رشيدا ما بقيت موفقا

وقدم إلى حوث جماعة من حجة من بني بطين (٢) يستدعون الإمام عليه السلام إليها، ويسألون النصرة على علي بن حجاج واستخراج مبين (٣) من يده وردها إليهم. وكان قد أخرجهم منها بيد الظلم، وقاد الغز إليها وقد حط إسماعيل بن طغتكين في الذنائب، فطردهم من مبين واستولى عليها من تلك المدة التي قتل فيها جند إسماعيل ببلاد قدم. ولم يتمكنوا بعد ذلك من الرجوع إليها لأنه حفر خندقا، واستعمل منجنيقا، واستعد للحرب، وبنى سورا عليها. وكان الإمام عليه السلام قد ردها عليهم وأخرجه منها بحكم الله تعالى، والتزموا بالإنفاق على العسكر، وتأدية الحقوق الواجبة.

---

(١) سيف دالق: سهل الخروج من الغمد، وهو أجود السيوف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دلق.

(٢) بنو بطين، من قبائل حجة. ولا يوجد عنهم معلومات أكثر من ذلك في المصادر. انظر، الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ ١ ص ٦٣؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١، ص ٣٤٢، ٣٥١.
Smith, The Ayyubids, Vol.. 2, P. 226.

(٣) مبين ناحية في محافظة حجة.
انظر، التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ٦٣ - ٨١.

وجاءت مكاتبات علي بن حجاج باظهار الطاعة، وسأل العطف عليه وإقراره بمبين، والغفلة عنه في أمرها. وعرض من نفسه أمورا هو أكثر مكنا من بني بطين فيها، من قبض الحقوق الواجبة، والقيام بالأوامر الإمامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الجمعة، وإصلاح البلاد، وإدخال أهلها في الطاعة طوعا وكرها، فلم يقبل الإمام عليه السلام ذلك منه دون إعادة مبين، وتمكين أهلها منها. وكتب إليه وإلى أصحابه كتابا عاما نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله، سلام عليكم، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد.

أما بعد فإن الله سبحانه لم يزل يكيد لأمير المؤمنين من كاده، ويكبت أضداده حتى خضعت له رقاب الجبابرة، وذلت الملوك القاهرة. وعاينتم ألطاف الله لوليه وابن نبيه صلى الله عليه وآله في موطن بعد موطن ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾[1]. ثم قد علمتم ما ألزمنا الله من النظر في عباده وبلاده. فكان حق تلك الناحية من أوجب الحقوق علينا وألزمها لنا، لأن الله تعالى استوصى بالجار في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه الأمين. وقد جاورتم أحياءنا وموتانا، وأنتم عندنا في المودة غير بعيد. بل إن كان حظكم الأعلى، وإلا فليس بالأدنى. ولكن الله أوجب من جميع الحقوق، ولسنا نداهن في حقه أحدا، لا والدا ولا ولدا، لأنه دفع عنا كل شدة، ونفّس كل كربةْ، وحفظ كل غيبة.

وقد بعثنا هذا الكتاب إليكم صحبة الشريف إبراهيم بن يحيى إعذاراً

(١) سورة المائدة، آية ٦٤.

وإنذاراً. فإن حفظتم العقود وتممتم العهود، وأخلصتم الاعتقاد، وتخليتم من تلك المواضع التي لا يحل لكم الدفاع عنها والإقامة فيها، ولا تقبل فيها صلاة المصلين، أطعتم ربكم وإمامكم، وحفظتم أماناتكم، وحرستم دياناتكم. وإن غلب عليكم الضلال وسلكتم مسالك الجُهّال ﴿فأذنوا بحربٍ من الله ورسولـه﴾(١). ﴿إنّ الله لا يُحبُّ الخائنين﴾(٢). وكل عقد عقدنا لكم أو لبعضكم فإنه منقوض بمعصيتكم لله ولنا ولا حجة لكم عند القدرة عليكم. وكانت جنود الله إذا نزلت بساحتكم ساء صباح المنذرين(٣)، فحينئذ يندمون ولات حين مندم ولا تغني نفسٌ عن نفس شيئا، ولا يقبل منها فدية، ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنْصرون. فانظروا لأنفسكم فـ ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴾(٤).

ولما كثرت مطالبة الجماعة الحجيين الذين من بني بطين للإمام عليه السلام وعرضوا من أنفسهم أنهم يجمعون من أموالهم، ويقبضون الحقوق الواجبة من بلادهم، ويسلمون ما يقوم بالعسكر. بعث معهم رجلا لقبض ذلك وجمعه وتحصيله لوصول العسكر من خولان (٥) وغيرهم. وصدروا من عنده على ذلك، فلم يفوا بما التزموا به. وكانوا قد أتوا إلـى صعدة في العام الأول وطلبوا مثل ما طلبوا من القود إلى حجة. وأقاموا شهورا عدة،

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٩.

(٢) سورة الأنفال، آية ٥٨.

(٣) اقتباس من سورة الصافات، آية ١٧٧.

(٤) سورة الرعد، آية ١١.

(٥) خولان: هم ولد خولان بن عمرو . . . بن حمير بن سبأ. منهم خولان صعدة وخولان العالية شرقي صنعاء، وخولان بني الخياط.
عن بطون خولان انظر، ابن رسول، طرفة الأصحاب ص ٧٨، ٧٩؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣١٣.

وأعلمهم الإمام عليه السلام أن خولان لا ينقادون إلا بشيء من المال. فقالوا: نسلم المال، وما تحتاج إليه العسكر، ونتكفل بمؤنته في البلاد. وبعثوا منهم من يأتي به، ولبثوا دهرا طويلا ثم أتوا بعد ذلك بسبعين دينارا، وقد أنفق عليهم أضعافها. وما زالوا ملازمين حتى قدم الإمام عليه السلام إلى ذمرمر، وراحوا بعد ذلك. وانشغل عنهم بما هو أهم من حرب الغز وغيرهم.

وأتى كتاب من القاضي علي بن نشوان [١] من القد اليماني [٢] وبلاد خولان يذكر فيه أنه وصلهم شعر من جهة اليمن، لم يذكر صاحبه، ولا عين اسمه يهجو فيه الإمام عليه السلام وشيخي آل الرسول السيدين الأميرين شمس الدين وبدره، يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام. وأن الشعر أنشد في البلاد عندهم، تناقلته الألسن. وغلب الظن أنه من جهة القضاة. وذكر أنه أجاب عنه بشعر، وأمر به إلى الإمام عليه السلام. ثم لم يمض إلا أيام يسيرة حتى ظهر منه الشقاق، ونجم النفاق. وذلك أن القاضي محمد بن نشوان [٣] كان قد طلب الولاية

(١) القاضي جمال الدين علي بن نشوان، علامة محقق من أجلاء وقته. يقال إنه جمع سيرة حافلة عظيمة للإمام المنصور بالله. وله شعر كثير في وصف المشاهد المنصورية والحروب الإمامية.
انظر، ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ٣ ص ٢٥٧؛ الشامي، تاريخ اليمن الفكري، جـ٣ ص ٢٧٦.

(٢) القد: بالكسر والفتح أشهر، يوجد بهذا الاسم أكثر من موضع في ناحية حيدان قضاء خولان بن عامر. وتذكر باسم القدود الشامية أو اليمانية.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٨، ١٣٥؛ التعداد التعاوني لمحافظة صعده، ص ١٠٤.

(٣) القاضي محمد بن نشوان بن سعيد الحميري، أحد علماء الزيدية، له مؤلفات أشهرها كتاب ضياء الحلوم، وهو مختصر لكتاب والده نشوان بن سعيد المعروف بشمس العلوم.

من الإمام عليه السلام عقيب القيام والدعوة، فولاه علـى الكتاب والسنة، وجعل إليه أمر القضاء والحكم في بلاد خولان عامة في تلك الجهة.

فأمضى الأحكام عن أمره عليه السلام، وقبض الحقوق الواجبة من كل جهة، وتصرف أخوته معه في البلاد. وملأ كل منهم يديه وتمولوا أموال الله تعالى، واشتروا بها الأطيان لأنفسهم. وكانوا يأتون في كل سنة بشيء يسير ويعتذرون بأن خولان قوم طغام لا يؤدون واجبا، والظاهر منهم أن الأكثر والأعم منهم لا يدع واجبا عليه. فقبل الإمام عليه السلام منهم ما جاؤوا به، ويحملهم على السلامة، ويحسن فيهم الظن.

ويعاتبه بعض الأصحاب في أمرهم، ويذكر له ما كان عليه والدهم من بغضة أهل البيت عليهم [السلام] [1] وهجوهم باشعار، وادعائه للإمامة. فلا يقبل منهم، ويحملهم على ما ظهر منهم من الطاعة والمحبة.

وعلم أن أحدهم لا يسد مسدتهم، فرأى إقرارهم والإغضاء عنهم لما توخاه من المصلحة.

ولما انقادت خولان، ونفذت أحكامهم فيهم، أرادوا أن يكون الأمر لهم، ولا يبقى للإمام عليه السلام تصرف في جهتهم. فقام محمد بن نشوان في سوق من أسواق خولان، فشرح عليهم، وتكلم في أمر الإمام عليه السلام. وعزل نفسه عن الولاية، وأظهر التوبة والتعفف عن ذلك. واجتهد في تنفير خولان وبعدهم عن طاعة الإمام، وباين وناصب. وجعل عذره في ذلك ما بلغ إليه من أن الولاة بالظاهر قد أطلقت أيديهم في أموال الناس، يأخذون منها ما يشاؤون وأن المسلمين والمساكين ممنوعون من

= يحيى بن الحسين، المستطاب، ورقة ٣٩ ـ ٤٠ ابن ابي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٢٦١.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

أموال الله، وأن الإمام عليه السلام ولى هنالك رجلا باطنيا، وأسند ذلك إلى ثقة له يأتيه بهذه الأخبار وغيرها مفصلة من جهة الظاهر وغيره.

واختلفت خولان [فيما] [1] بينها، فمنهم من مال إليه، واغتر بغروره، لحق الجيرة وحلوله بين اظهرهم. ومنهم من استقام على طاعة الإمام عليه السلام. والغالب على الكل طاعته ومحبته، فأنشأ إليهم كتابا عاما نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله. سلام عليكم. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ذو القدرة والحول، والعزة والطول، العلي العظيم، يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد.

أما بعد يا معشر المسلمين فإن الله خلقكم لطاعته، ونهاكم عن معصيته، وأسبغ عليكم نعمه، وأجزل فيكم عوارفه وقسمه. لم يكثر بكم من قلة، ولا تعزز من ذلة، ولا استأنس من وحشة. نصب لكم الأعلام، وسن الأحكام، وأوضح شرائع الإسلام، وهدى إلى دار السلام. وفرق بين الحلال والحرام برسول أرسله، وبرهان أنزله، وقرآن فصله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة وإن الله لسميع عليـم﴾[2]. فلما بلَّغ الرسالة، وأوضح الدلالة، وكشف الجهالة، قبضه الله إليه وقد شكر سعيه، ورضي عمله صلى الله وملائكته عليه وعلى الطيبين من آله وعليهم رحمة الله وبركاته. فأوصى بالخلافة إلى شقيقه في الرحمة، وشريكه في الملحمة. وارث حلمه وحكمه، وباب مدينةعلمه. ونص بالإمامة على ولديه النجيبين، الكريمين، الحسينين، أبي محمد الحسن، وأبي عبدالله الحسين، سلام الله عليهما حيين وميتين ومبعوثين ومثابين. نصاً جليا،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) سورة الأنفال، آية ٤٢.

وكان يأتيهما وأمهما حفيا جللهما كساء فدكيا وقال: اللهم هؤلاء عترتي أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة رحمة الله عليها، فرفعت الكساء لأدخل معهم، فدفع في صدري وقال: مكانك فإنك على خير. ثم صرح بوجوب ولايتهم، وكفّر أعدائهم وقال سلام الله عليه وعلى آله: أنا سلم لمن سالمكم، حرب لمن حاربكم. ومن كان رسول الله صلى الله عليه وآله حربه فقد بريء منه ربه، وأوبقه ذنبه. ومثلهم بسفينة نوح العاصمة، وجعل مخالفتهم المهلكة القاصمة فقال مما روينا عنه صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين صلاة دائمة إلى يوم الدين: مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك. وروينا عن أبينا علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله المنجين أنه قال في بعض مقالاته التي احتج بها على الناصبين [1]: أيها الناس، إن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة؟ هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة. وهم باب حطة، من دخله غفر له. خذوا عني حجة من خاتم المرسلين، حجة من ذي حجة، قالها في حجة الوداع: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي. إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. حكما نافذا وقضاء نافذا. فما ظنكم - رحمكم الله - في بيت عمره التنزيل، وخدمه جبريل، وذرية درجت بين التحريم والتحليل والتأويل والتنزيل. أعلام حجى، وأقمار دجى، وغيوث عطا، وسيوف لقا، ورماح وغى، ودعاة إلى الله سبحانه في كل فترة، وناعشوا هذه الأمة من كل فترة. بيض أحدهم جبينه

---

(١) النواصب: قوم يتدينون ببغضة على عليه السلام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نصب.

للخميس العرمرم فيثنيه والحسام مثلم. يلف الكتيبة بالكتيبة، ويفجع الحبيب حبيبه. إن كانت له لم يبطر فرحا، وإن كانت عليه ينجع نفسه ترحا. يشهد لهم بالثبات عذب الألوية، وبالحكمة حفول الأندية. هممهم صلاح هذه الأمة وإن كانت عنهم نافرة، وردها إلى الحق وهي إليهم بالمساءة ظافرة إلا القليل المستثنى من قادم الدهور كما قال الله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) [1] فكونوا يرحمكم الله من القليل المستثنى، وابتغوا عند الله الحسنى. وتمسكوا بعترة نبيكم صلى الله عليه وآله وسفينة نجاتكم، ولا يفتننكم الشيطان عنهم كما أخرج أبويكم من الجنة، نزع عنهما لباسهما ليريهما ما ورى عنهما من سوءاتهما. واعلموا أن من دعاكم إلى الضلالة لا يقول لكم هلم إلى النار، لو قال ذلك قل أتباعه ويفزع عنه رعاعه، وإنما يقول لكم هلم الى الرحمة والمغفرة، يحسن الانتباه بلسانه، ويستشهد لكم عن طائفة من إخوانه. فتفكروا - رحمكم الله - وتبصروا إذا فارقنا بأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله منهاج الهدى، فمن بقي بعدنا يعصمكم من الضلالة والردى، ويلقي الكتيبة ملفما[2]، ويجعل سيفه مع نصر ربه لفتح المدائن سلما.

أيها المشتهى فناء قريش ... بيد الله هلكها والفناء [3]
إن تودع من البلاد قريش ... لا يكن بعدهم لحى بقاء

وأحسن القول لمن أوعى القول، وقل لمن يركب أمواج الهول قول الرسول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله: أهل بيتي أمان لأهل

---

(١) سورة سبأ، آية ١٣.

(٢) اللفام: اللثام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لفم.

(٣) الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات.
انظر، ابراهيم عبد الرحمن، شعر عبيد الله بن قيس الرقيات، جـ ١ ص ٧٧، ٨٣.

الأرض، والنجوم أمان لأهل السماء. فإذا زال أهل بيتي من الأرض، أتى أهل الأرض ما يوعدون. وإذا زالت النجوم من السماء أتى [أهل] [1] السماء ما يوعدون. ولله در الفرزدق في قوله في علي بن الحسين عليهما السلام [2]:

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى [3] ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء [4] ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

بلغنا أن القضاة آل نشوان قبلكم عزلوا نفوسهم من الولاية وتابوا، لما بلغهم ما لا أصل [له] [5] من رواية أهل الغواية، ولم يكن ذلك ظنا بهم. قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [6]. وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [7]. وأمر الله تعالى بالتثبيت في الأمور، والتبصر في الحوادث، ولو قلنا عنهم كل ما جاءنا عنهم لما اندمل القرح، ولا أمن السرح. ولكنا تحكمنا لقيود الإيمان، وحسنا الظن بمن مان. وقلنا

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) انظر، إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، جـ ٢ ص ٣٥٥؛ ديوان الفرزدق، حـ ٢ ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) في الأصل (ملجأ). والتصويب من الديوان، جـ ٢ ص ١٨٠.

(٤) في الأصل (شيء . والتصويب من الديوان، جـ ٢ ص ١٨٠.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٦) سورة الحجرات، آية ١٢.

(٧) سورة الحجرات، آية ٦.

الأصل براءة الذمة، وزوال التهمة بأهل الإسلام. وما أقل رغبتنا [1] في الاعتزال. فما بال الأذى الذي ظهر في بلادكم، وأنتم أنصار الدولة، وأحباب العترة، يكون الهجو ينشد في بلادكم لأفاضل آل محمد صلوات الله عليه وعليهم. وتكرر وتردد، وأنتم في منعه إن أردتم الانتصار. ما هذا فعل الأبرار. ولينصرن الله من ينصره ورسله إن الله لقوي عزيز [2].

وأما الإمامة فقد صحت قبل حضور القضاة، وقد دخلوا وخرجوا. ومن انعقدت به الإمامة مستقيم، وعوده في نصرة الحق قويم. وهم الصادقون فكونوا مع الصادقين، (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) [3]. إن أحسن الناس فأحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا. للدين أرباب، وللحق نصاب، ونحن [4] يا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله لَأَرْبَابُهُ، وفينا نصابه. والجنة محرمة على من أبغضنا. ونحن أئمة المسلمين، وقدوة أهل الدين. قال جدنا صلى الله عليه فينا لأمته، قَدِّموهم ولا تَقْدِمُوهم، وتعلموا منهم ولا تعلموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا. فقضى صلى الله عليه ـ وهو لا يقضي إلا بالحق ـ على من خالفنا بالضلالة، وعلى من شتمنا بالكفر. وقال: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم [5]؟.

فما أعظم الخطب لمن غفله! وأوضح لمن لم يستر بالعناد خلله!

---

(١) في الأصل (غبتنا).

(٢) اقتباس من سورة الحج، آية ٤٠، وربما تكون كلمة (ورسله) التي أدخلت على الآية، إضافة غير متعمدة من الناسخ.

(٣) سورة الأنفال، آية ٢١.

(٤) في الأصل (نحن).

(٥) ذُكرت الرواية كاملة في أكثر من موضع في هذا الكتاب.

بلغنا أنه ظهر في بلادكم أن الإمام ولى رجلا باطنيا، والإمام لم يقم يطالب الأمة بثأر، وإنما قام يدعو الأبرار والفجار إلى طاعة العزيز الجبار. فكم من ناج قبل قيامه صار بعناده من الهالكين. وكم من هالك صار بطاعته له من الناجين. والمذكور ممن تاب وأناب، ودعي فأجاب. والتزم الأحكام الشرعية، وترك الأفعال الشنيعة. وأكبر مما كان عليه، عبادة الأصنام؛ فما من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا من عبدها ـ غيره وغير علي بن أبي طالب سلام الله عليهما وعلى آلهما، وهما خير خلق الله. فمن عاب ذلك عليهما، فليطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما روينا.

وأما ما رُوي من الجور في البلاد فذلك ما لا أصل له عند أهل السداد. ويكذب راوي الحديث أغصان الشجر، ومنكر الغيث شآبيب المطر. من رأى البلاد وأهلها علم قدر النعمة لقدرة الحق عليهم، وظهور كلمته فيهم. عمرت المزارع والقرى ورفلوا في أثواب الثراء [1]، اللهم إلا أن تنظرهم بعين السخط التي تريك الحسن قبيحا، فتلك عين متهمة. وفي البلاد أخيار وأشرار، ولكل قوم دار، قد رضينا برواية الأخيار منا وفينا. فأما الأشرار فكراهتهم للحق تحملهم على كراهة النعمة، واستطالة مدة الرحمة، وقد قال تعالى ﴿ وأكثرهم للحق كارهون ﴾ [2] وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[3] وقال تعالى ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد ﴾ [4]. وقد وصلنا من وصل من المشايخ أبقاهم الله وحققوا من الجميع ممن خلفهم ما يليق بمثلهم من حسن الاستقامة على منهاج

---

(١) في الأصل (الثرى).

(٢) سورة المؤمنون، آية ٧٠.

(٣) سورة يوسف، آية ١٠٣.

(٤) سورة الأعراف، آية ١٠٢.

السلامة. فالله تعالى يبارك لهم في حسن اختيارهم، وطيب أسرارهم، وموالات هداتهم من عترة نبيهم صلى الله عليه وآله، الذي أوجب الله سبحانه ودادهم بقوله تعالى ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾[1] قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال فاطمة وولدها. وقد أودعنا الجماعة الواصلين من الكلام ما يحققوه لكم، ولا بدنا إن شاء الله من بعث وآل إلى بلادكم، يقيم أمر الله بحسن طاعتكم فيكم وبكم. وأجيبوا داعي الله إلى الخير إذا دعاكم، فقد سبقت لكم سوابق في نصرة الحق لم تكن لغيركم. فجددوا ما درس وليسق كل منكم ما غرس فالأعمال بخواتيمها. وإنما يجازي العامل بأجر العملين، ولا تتركوا المعلوم للمظنون. وردوا هذا عذبا فراتا، واتركوا هذا ملحا أجاجا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فأتى جوابهم بعد أن قرىء عليهم الكتاب، ووقعت مشاجرة في قراءته فيما بينهم، وأجمع رأيهم على امتثال أمر الإمام عليه السلام، والتمسك بطاعته، ومنابذة من نابذه. ثم افترقوا بعد ذلك وتحاربوا، ووقع قتل وجراحات بينهم. يأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى. وذكروا في كتابهم آل نشوان واعتذروا عنهم بأنهم ما تعدوا أمرا ولا نكثوا عهدا. فبين لهم في كتاب كتبه إليهم بأحوالهم، وما قد ظهر من شقاقهم ونكثهم وسبهم وأذيتهم ونسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. سلام عليكم. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعد فقد بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرتم فيه من استقامتكم على

---

(١) سورة الشورى، آية ٢٣.

الطاعة، وانخراطكم في سلك الجماعة. وذلك مراد الله فيكم ومن جميع المتعبدين أن يتمسكوا بطاعة إمام الهدى من عترة خاتم المرسلين سلام الله عليه وعليهم أجمعين. فأما ما ذكرتم من آل نشوان ونفيتم عنهم من النكث والعدوان فكان ذلك من أحب شيء إلينا أن ينسب إليهم. ولكن أبت شقاوة الجد وفتنة الاغترار حتى صرحوا بالذم لمن أوجب الله سبحانه عليه الصلاة، لغير حدث كان منه ولا ظلم باليقين نسب إليه إلا نزوع الطبع الرديء إلى سب الأفاضل من عترة النبي صلى الله عليه وآله، حسدا من عند أنفسهم كما فعل أهل الشقاوة من اليهود مع آبائنا من الأنبياء عليهم السلام ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾[1]. ففرقوا كتبهم إلى الآفاق ناشرين لما طواه فيما تقدم من خبث نياتهم في إمامهم بتكاثف النفاق. وأَطلعنا على كتبهم من زادتهم عنده وعند الصالحين أمثاله وأتباعه من الله بعدا. فرأينا فيها ما يشبه ما كان قد غفره إقبالهم إلى الله سبحانه وإلينا، من خبث اعتقادهم في ولاة الأمر من العترة الطاهرة والذرية الطيبة سلام الله عليهم. وَلَامَـنَا فيهم من كان يحذرنا منهم، فخالفنا رأيه في أمرهم وقلنا شيعة من أعواننا، وطائفة من إخواننا، ففيم نخفضهم ونرفضهم ونجليهم ونرمضهم؟ وقد وردت الحرائر والضرائر، وصلحت لنا الظواهر، ولم نكلف بابتلاء السرائر. فدخل العجب إيمانهم، وشاب الهوى أديانهم، فشردوا عن أمر الله وأمرنا. وشنعوا علينا، وتأولوا آى القرآن، والتأويل إلينا. فعلموا طيرهم الإرضاع، وجنحوا إلى الابتداع، ومجانبة الاتباع. فافتتنوا وضلوا، ونابذوا فذلوا. ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم، ولئن لم يتداركوا انفسهم بتوبة نصوح، ينصحون بها أنفسهم، ويرضون

---

(١) سورة النساء، آية ٥٤.

خالقهم؛ ليكونن شقاقهم عليهم كراغية السقب[1] في الأمم الخالية، وليؤخذن أخذة رابية، فلا ترى لهم من باقية، كعادة من سلف ممن جمح في طغيانه، وخالف إمامه في طاعة سلطانه ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾[2].

وأما أنتم يا رجال خولان، فأنتم الأعوان والإخوان، ولسنا نريد لكم فرقة، ولا يلحقكم بسببنا مشقة. ولو أردنا هلاكهم بفرقتكم لكان الكتاب قد بلغ أجله، ووفي العامل منكم عمله. ولكن لنا فيكم ظن مصيب، وأمل لا يخيب لأنكم أودادنا، وأبناء أودادنا، واعتقادكم مشتق من اعتقادنا. ولكم أصول طيبة حمتكم من سوء الظن فينا، وقبح الاعتقاد بنا. لأن الحديث عن أبينا أنه لا يبغضنا إلا أحد ثلاثة لا خير فيهم ولا في تفصيل ذكرهم. وأنتم بحمد الله أعلى قدرا منهم. وأي وقت أحببتم الوصول إلينا فعلى الرحب والسعة، غير مكروهين ولا مملولين. وإن وصل معكم آل نشوان تائبين من قبح ما ارتكبوا، وعظيم ما اكتسبوا، فالتوبة مقبولة، والذنب مغفور. وإن تمادوا في ضلالهم، وطغوا في مقالهم، وناموا على بساط الاستدراج مغترين. وأمسوا وأصبحوا بالإهمال مسترين، فكم لذلك من صريع أُتي من وجه أمنيته فأصبح عبرة للناظرين كما قال تعالى: ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون. فقُطع دابر القوم

---

(١) في الأصل (الصعب).

والسقب: ولد الناقة، والمعنى أن المخالفين سيتم استئصالهم مثل ثمود حين عقروا الناقة فرغا سقبها. وأصل المثل « كانت عليهم كراغية البكر » أو «أصابتهم راغية البكر».

البكري، فصل المقال، ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩؛ مؤرج السدودسي، الأمثال، ص ٣٩. الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ٢٠.

(٢) سورة الفتح، آية ٢٣.

الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ [1] وحاشا لكم أن ترضوا بسب أهل بيت نبيكم فتشركوهم في بلواهم. فلا وروحي محمد وعلي صلوات الله عليهما وعلى آلهما، لقد جاءنا منهم ما لم نظن أن مسلما ـ ممن اعتقد إمامتنا، وتوقف في أمرنا، ونابذ بالحرب ـ يقدم عليه. ولقد كان الغز لنا حربا فما أظهروا لنا شيئا. على أن ألسنتهم مطايا السباب. وهم أشبه الحيوان بالسباع والكلاب.

وقد علمتم ما ذكرنا، وإن لم تعلموا فاستعلموا، وانظروا لأنفسكم نظرا يخلصكم عند الله سبحانه ، وعند محمد صلى الله عليه وآله غدا إذا جيء بالنبيين والصديقين والشهداء، ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

ونذكر الشعر الذي [2] أنشأه على بن نشوان جوابا عن الشعر الذي زعم أنه وصل من جهة اليمن المتضمن سب الإمام عليه السلام، والأميرين، والعلماء والفضلاء، فقال مجيباً عنه:

يا باديا بكلام الهجر معتديا	على الأئمة والعادي هو البادي
وقائل الزور في ذم الإمام وفي	ذم الأميرين مرضي بني الهادي
وهم شموس الهدى والمستضاء بهم	من حندس الدهر للساري وللغادي
كذبت رزت نطقت المين عدت من الـ	إثم العظيم بزاد أقبح الزاد
لو كنت صاحب دين أو أخا حسب	أو راجح العقل أو تهدي لإرشاد
ما قلت ما قلت يا ملعون معتديا	على الإمام وأنت الظالم العادي
أغرقت نفسك في بحر الضلال وفي	بحر الآثام فهل تحظى بانجاد
ماذا اعتراضك لاعوفيت من سقم	على إمام لفعل الخير معتاد

(١) سورة الأنعام، آية ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) في الأصل (التي).

قد حاز كل خصال الفضل قاطبة ... ففضله ظاهر يحدو به الحادي

عقلا وحلما وعلما بارعا وتقا ... وزهد زاك كثير الصوم سجاد

هو الإمام الذي صحت إمامته ... بالسبق لم يفتقر فيها لإسناد

بفضله اجتمعت أهل العلوم معا ... لم يختلف شائع منه ولا شاد

فما نباح كلاب الشر ينقصه ... فضلا ولا هجو ضُلّالٍ وحساد

وللأميرين فضل بين شهدت ... به الأنام عموما غير آحاد

هما المقيمان ركن الدين إذ هدمت ... قواعد الحق والبحران في النادي

هما غياث لملهوف ومعتمد ... للمسلمين هما حتف لأضداد

لم يشهدا الزور في فضل الإمام ولا ... قالا سوى الصدق في [ ] [1]

يا أسفه الناس يا أشقى ثمود ويا ... فرعون موسى ويا مغوى ذرا عاد

أما الشيوخ الخيار الذين[2] هجوتهم ... عمدا وشبهتهم جهلًا بأوغاد

فهم عماد لهذا الدين عادتهم ... نصر الضعيف وتقويم لمنآد

لم يكتموا الحق لما شاهدوه ولا ... حادوا عن الرشد بل جادوا بأجساد

فبايعوا للإمام الحق كلهم ... بعد اختبار ذوي علم وزهاد

ما ضل صاحب نجران ولا عرفت ... منه القبائح في سر ولا بادي

وللفقيه أياد ليس ينكرها ... إلا حسود جهول غير منقاد

ما عابه سخمة مع طيب عنصره ... وحسن فعل كنور الشمس وقاد

إذا جرى وجرى أهل الكمال معا ... فهو المحلى بإصدار وإيراد

وما ابن حجلان [3] تروي عنه فاقرة ... فيستحق اسم ديب الفقرة العادي

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) في الأصل (التي).

(٣) الفقيه ظهير الدين أحمد بن حجلان الوادعي، من كبار علماء الهدوية. وكان من أول العلماء الذين بايعوا الإمام المنصور بدار معين. ولاه الامام نواحي صعدة لقبض الواجبات وحفظ بيت المال. =

بل أظهر الحق حيث استظهرت يده — وسار سيرة شهم القلب شداد
ونجل حمزة[1] قاض فاضل ورع — وسمته سمت زهاد وعباد
وما حميد[2] بذي سحر ولا كذب — فيقطع العيب من حوث ولا واد
بل عالم فاضل للدين منتصر — مباين كل تشبيه وإلحاد
وعمرو[3] قاض شريف الأصل مرتفع — جم النوافل معط غير صياد
جم العلوم جليل القدر ذو خلق — رحب ومنهل إحسان لوراد
وآل نشوان ما خانوا ولا نكثوا — ولا أعانوا على ظلم وإلحاد
بل بايعوا الحق لما لاح معترضاً — كالشمس واتبعوا شيخي بني الهادي
ووافقوا علماء العصر فاتفقوا — لم يتبعوا قول آحاد وأفراد
فاستسلموا ونكثتم بعد بيعتكم — فالآن حق لهم تجنيد أجناد
يا ناقص العقل يا مغرور هل سملت — عيناك أم أنت أعمى غير منقاد
ما كان عزك في هجو الإمام وفي — هجو الأميرين في شعر وإنشاد
وذم قوم هم سادات عصرهم — وهم به خير أعماد وأوتاد
ظننت أنك بالعوراء تنقصهم — وهل يطيق بعوض نقل أطواد

= يحيى بن الحسين، الطبقات، ورقة ٦٦؛ ابن ابي الرجال، مطلع البدور، حـ ١ ص ٦٨.

(١) القاضي ركن الدين محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم، من علماء الزيدية، تولى الحكم والقضاء في صعدة، وله مؤلفات في العربية منها: شرح على شرح ابن الحاجب على الكافية. توفي سنة ٦١٠ هـ.
يحيى بن الحسين، المستطاب، ورقة ٣٧ ـ ٣٨؛ ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٧؛ إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ٦٨.

(٢) حميد بن الحسن بن شعبان، من مشايخ الإمام المنصور.
إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) قاضي القضاة عمرو بن علي بن سعيد العنسي. تولى القضاء في حوث.
يحيى بن الحسين، الطبقات، ورقة ٦٨، ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٣ ص ٢٧٩.

حسدتهم فضلهم لما سمعت به	وما يضر رئيساً قول حساد
أضللت عقلك واستوجبت قتلك في	سب الإمام التقي المرشد الهادي
يا ويح وجهك من نار الجحيم إذا	سئلت من قول زور يوم الاشهاد
وويل راض بهجر القول مستمع	مصغ إلى منشد للهجو أو شادي

وأجاب عنه الشريف الأجل المرتضى بن أحمد بن أبي السعود بن المرتضى بن الهادي إلى الحق عليه السلام.

تبت يداك ولا وفقت يا شادي	كيف اجترأت على شيخي بني الهادي
يا أخبث الناس في قول وفي شيم	وفي فعال وفي أصل وميلاد
أنكرت ما عرف الأخيار من سير	مستورها في حياة الدين كالبادي
فسرت وحدك في واد وكل بنى	حوا وآدم يا مخذول في واد
اكشف قناعك يا من عِرْضُهُ دَنِسٌ	ينبئك عن خبث آباء وأجداد
ليس التكتم يشفي الغيظ فابدُ وقل	هذا نظامي وإصداري وإيرادي
أو مت بغيظك فالدنيا وساكنها	تحت المراسم من حضر ومن باد
لم يشهدا يا عدو الله عن طمع	ولم يفوها[1] بقول الزور في النادي
ولا أرادا أدام الله عزهما	زيادة في علو غير مزداد
إلا انقياداً لأمر للّه مذ عرفا	ما في الإمامة من نون ومن صاد
فأيدا أمر عبد اللّه فاتسقت	أوامر الحق في غور وأنجاد
قاما مع القائم المنصور واحتسبا	للّه في جر أجياد لأجياد
وهو الإمام بلا مين ولا كذب	ربّ الملاحم مُروي الصارم الصادي
اللّه أوصاه بالتقوى وقال له	كن للمعاند في الدنيا بمرصاد
فسيفه في سبيل اللّه مجترد	وجرده بين إصدار وإيراد
أباد بالبيض من ناوا وذلك بالـ	ـمران من كان صعباً غير منقاد

(١) في الأصل (يفوهوا).

أما ابن حجلان شيخ المسلمين	ظهير الدين فهو لإصلاح وإرشاد
قد عود النفس حسن الصبر فهو له	طبع وأنت لهذا غير معتاد
وليس هجوك للقاضي بضائره	وهو الذي شكره يحدو به الحادي
وما محمد أعلى الله رتبته	إلا الملاذ لِقُصّادٍ ووُفّادِ
وما الفقيه بطير السوء بل أسد	لكن مقالة أفاك وحساد
وما حميدٌ بمذمومٍ فيذكره	شمس المدارس مُحْيي مذهب الهادي
أنت المفدى لهم من كل رابية	وهم أجلّ بأن تُضحي لهم فادي

ولما توجه الإمام عليه السلام إلى حوث وأعمالها، وانبرح عن[1] صنعاء وأعمالها، وأمن وردسار من جناية أو عبث في البلاد التي تحت يده، دمر أهلها وأخذ أموالهم على كل صنف. ولما[2] قام بذلك[3] الجند[4] الذين معه، عاد[5] للبلاد التي في أيدي السلاطين آل حاتم الداخلة في الصلح. فقاد عسكراً لحصن بيت أنعم[6] وهو في أعلى وادي ظهر، وكان في وقت الحرب قد أضر بصنعاء، وقطع عنها المواد من بلاد حمير، ونهج حضور وغيرها. وخالف أهل وادي ظهر على وردسار، ولزموا حصن ود[7]. وكان الإمام عليه السلام يمدهم بالمال

---

(١) في الأصل (إلى).

(٢) في الأصل (وما).

(٣) في الأصل (ذلك).

(٤) في الأصل (بالجند).

(٥) في الأصل (فعاد).

(٦) بيت نعم: قرية من عزلة الربع ناحية همدان، على بعد ١٤ كم. شمال غرب صنعاء، وتقع ما بين: ٥٤" ٢٥' ١٥° شمالاً. ١٣" ٠٥' ٤٤° شرقاً.

خريطة ج. ع. ي، ١ : ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 C 1؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

(٧) في الأصل (واد). وحصن ود يطل على قرية القابل، أسفل وادي ظهر. =

وهم مشتدون بـه في الحصنين جميعاً. فأراد وردسار أخـذ حصـن بيت أنعـم، وكـان يظـن أنـه لا يمتنـع عليه. فلمـا دنا من الحصن، هبط جماعـة منه فهزموا عسكره، وقتلـوا منهم طائفـة، وعقـروا من خيلهم.

وعاد إلى صنعـاء وقد يئس منه، وعلـم أنه لا سبيل له إلى أخذه بالحـرب. فبعـث محمد بن أسعد بن محمد الواحدي[1] إلى والي الحصـن وهو رجـل مـن جنـب من بنـي ضرار فبـذل له مالاً. وعُني في ذلـك عنايـة شديدة، واجتهـد في أن لا يبقى فيه أمـر للإمام عليه السلام ولا للسـلاطين حتى أدرك غرضـه في ذلك. واستولـى عليه وردسار، وازداد بملكه شدة وجوراً على الناس.

والتفت إلى أملاك السلاطين التي فـي المنظـر وزروعهـم فمنعهـم منها. وفـرق عند أهل الرحبـة الداخليـن في الصلـح مالاً، وطالبهـم به، ولم يدع شيئاً يقـدر عليه من الفساد إلا فعله. وصبح أهـل البطحة[2] بعسكر وهـم آمنون منه، غير خائفين؛ إذ هـم من جملـة رعيته الذيـن تحت يده. فقتـل منهم على مـا تواترت بـه الأخبـار نيفاً وأربعيـن رجلاً في

= الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ ١ ص ٢٥٦؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٧٤١.

(١) يتضح من النص أن محمد بن أسعد بن محمد الواحدي هو مبعوث الإمام إلى والي الحصن. بينما يذكر يحيى بن الحسين في غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٧٣ أن والي الحصن رجل من جنب يسمى محمد بن أسعد الواحدي. والرواية الأولى هي الأكثر احتمالاً.

(٢) البطحة: قرية من عزلة القروات ناحية سنحان، على بعد ٧ ك م جنوب شرق صنعاء.
وتقع ما بين: ٥٦″ ١٧′ ١٥° شمالاً،
٥٩″ ١٥′ ٤٤° شرقاً.
التوزيع السكاني من محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٧٦؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 C 2.

منازلهم، وحول قريتهم، ونهب ما كان بها من قليل وكثير ظلماً وعدواناً. ثم نهض إلى نهج حضور عقيب هذه الوقعة التي أوقعها بأهل البطحة، فاضطربت منه البلاد.

وكان الإمام عليه السلام قد بعث مرحب بن سليمان إلى حضور لقبض ما حصل من الحقوق الواجبة في جهة الأمير الحسن بن علي بن داود القاسمي، فضرب الملاقي لأهل البلاد وتقوت عزائمهم[١] وجمع كلمتهم. ولزم حصن الخاصم[٢]، وحالف عمران بن الذئب على المناصرة والمؤازرة عند وصول وردسار. واشتدت البلاد وتقوت عزائم أهلها على الحرب.

فلما علم بذلك وردسار، صالح عمران بن الذئب، وغفل عن حضور وأعمالها، وقدم يريد بلاد حمير ومغارب كوكبان. فحط بالقرب من بيت عز[٣]، وتقدم يريد أخذ الدرب وهو حصن[٤] في الضلع مطل على وادي الأهجر[٥] وبه قوم من بني الزواحي[٦]، فحط عليهم.

---

(١) في الأصل (عزائم).

(٢) حصن بيت الخاصم: من بلاد حضور.
يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٧٣.

(٣) بيت عز: قرية من عزلة الضلاع الأعلى، ناحية شبام، قضاء الطويلة.
التوزيع السكاني في محافظة المحويت، ص ١٨؛ اسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية عند ياقوت، ص ٤٦ ح ١.

(٤) الحصن: قرية من الأهجر ناحية شبام قضاء الطويلة، ربما كانت هي الدرب المذكور.
انظر، التوزيع السكاني في محافظة المحويت، ص ١٩.

(٥) وادي الأهجر: بكسر الجيم، وهو رأس وادي سردد، يقع في الشمال الغربي من صنعاء.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٦، ٢١٢؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٨٨، ٩٣.

(٦) يرى البعض أن آل الزواحي من سلالة القيل ذي حوال. ويجتمعون بآل يعفر الحواليين =

ونهض مرحب بن سليمان على إثره فحط في موضع تحت الحصن بالأهجر، وطلع في الليل في جماعة من أصحابه. وكان أهل الحصن على أمر الهزيمة، والخروج منه، فشددهم، واستأنسوا بوصوله، وقاتلوا، وامتنعوا يومهم. وأتى الخبر إلى وردسار بخلاف أهل صنعاء، ولزم أخاه فيها، فكتم أمره، ولما أصبح نهض وأظهر أنه يريد كوكبان ليأتي بما يحتاج إليه من آلة الحرب والمنجنيق،وراح مغيراً إلى صنعاء. وسيأتي ذكر خلافهم، وما كان من أمرهم في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقدم القاضي مفرح بن مسعود من تهامة من عند القرابلي. وكان الإمام عليه السلام قد بعثه إلى مغارب حجة، وجوار تهامة يدعو أهلها إلى طاعة الله تعالى وطاعته. ويذكرهم بأيام الله وبقبض الحقوق الواجبة من أهلها، ويصلح ما أمكنه من أمورها، فقام فيها مقاماً محموداً. وكان له اجتهاد وعناية وقوة عزيمة فيما توجه فيه. وانتهى خبره إلى القرابلي وهو بالمهجم، فكاتبه، وأحب وصوله إليه ليودعه كلاماً إلى الإمام عليه السلام. فأتى كتاب القاضي يطالعه بذلك، ويستورد أمره، ويطلب الإذن بالقدوم إلى المهجم فأذن له بذلك.

فلما أتى المهجم استأذن على القرابلي، فقدمه وأدنى مجلسه، وأحسن إليه، وخلع عليه، وجمل حاله، ووصله بشيء من المال. وخلا به وألقى إليه ما عنده، وأنه يريد الميل إلى الإمام عليه السلام،

= في ذي حوال. ولا زال لهم وجود حول شبام كوكبان.

انظر، عمارة، تاريخ اليمن، ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤. وبيت الزواحي: قرية من عزلة ربع متوح، ناحية صعفان، قضاء جزار. وربما تكون النسبة إليها.

التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص٢٣؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٠٢.

والالتزام بـه، والدخول في طاعته وخدمته. وبايعـه على ذلك، وطلـب الاجتمـاع بالإمام عليه السـلام في[1] حجـة أو بعض جـوار تهامـة على أن[2] يسلم ولده رهينة. وكـان على خـوف من سيـف الدين والجند الذين معـه، لا يأمـن فسادهم عند نزول سنقـر إلى تهامة وهـم يومئذ سبعمائـة فارس، الذين معـه ومع الدقيق بعـد قتل إسماعيل. وقد بلغـه أن سنقـر قد جهز عسكراً عظيماً لأخـذ زبيد، وقتل مبـارز هلـدري خوفاً منه. وقـد كان أقطعه لحج، فمـال إليه جملـة من الجنـد الكـرد خصوصاً. ولم يأمـن شرهم مع خلاف الدقيق والقرابلـي بتهامـة، فأراد القرابلـي أن يجعـل لـه يداً عند الإمام عليه السـلام لوقـت الحاجة إليه إن غلـب على الأمـر. ولم يجعـل عمله للّه، ولو صدقـوا الله لكـان خيراً، فألقى الله بينهم العداوة والبغضاء. وأذاق بعضهـم بأس بعض. وأتى القاضي مفرح بن مسعود بأبيات لحسن بن عزوى وقد مر به في طريقه.

عنا لك طوعاً كُلُّ شرقٍ ومغرب ... وصَدَّقَ فيك القولَ كُلُّ مكذِّب

رأينـا بـلاداً لا تُـرامُ منيعـةً ... تطيعك طوع الراغب المتقرب

وما بين أنْ تنظر إليك عيونهم ... يقرون إقرار الخليط المجرب

وذاك من اللّه اللطيف مـودة ... مـركبة في كـل قلب مركب

فكيف إذا عاينوا وجهك الذي ... محياه يجلو نوره كل غيهب

وراياتك البيض المباركة التي ... ترفرف بالأعلام في كل موكب

وأخلاقك الغر التي في صفاتها ... ورقيها تهدي إلى خير مذهب

إلى كم أمير المؤمنين انتظارنا ... قدومك بشرنا بقـربك تـرغب

أقول لمن ناواك من كل مارق ... حذار فمن[3] يستهز بالحق يعطب

---

(١) في الأصل (إلى).

(٢) في الأصل (على).

(٣) في الأصل (فلم).

ألست الذي ينقض خلف عدوه ... كما انقض باز خلف صيد بمرقب
ألا إن ثغراً تستبيه بجحفل ... لأحسن من ثغر من الدر أشنب
وراية في الروع تخضبها دماً ... ألذ وأشهى من بنان مخضب
وقد آذنت بالنصر غُزُّ تهامة ... فهم لك طوع الأمر في كل مطلب
وقالوا على اسم اللّه سمعاً وطاعة ... لواعية المنصور من صفوة النبي
وخيلهم السبع المائين لواسن ... تجافيف[1] وشي من وجيه ومذهب

ووافق وصول القاضي مفرح بن مسعود قدوم الأمير أبي المظفر عماد الدين يحيى بن حمزة إلى حوث، لعشرين ليلة خلت من جمادى الأخرى من سنة تسع وتسعين وخمسمائة. فما لبث إلا سبعة أيام، وجرى الكلام في أمر القرابلي، وما عرض من نفسه. فاتفق الرأي على قدوم القاضي إليه، لقبض ولده رهينة يصل به إلى الإمام عليه السلام، وعلى أن يلقاه الأمير عماد الدين. ويقع الاتفاق على ما يرضي الله، ويحصل به نفع المسلمين، وزيادة في قوة أمر الدين. فتجهز القاضي لذلك، وسأل مركوباً، فحمله الإمام عليه السلام على بغلة، وصدر متوجهاً إلى تهامة. وأصحبه كتابين إلى القرابلي والدقيق بما تقرر عليه الحال، وما ألقاه على لسان القاضي من الكلام.

وكان السلطان الأجل بشر بن حاتم ملازماً في القود إلى صنعاء لما أحدث وردسار من الحوادث في بلاد السلاطين آل حاتم وغيرها، ونقض من الصلح، وهو على الميعاد لوصول الأمير عماد الدين. وأتى الخبر بخلاف أهل صنعاء، ولزم أخو وردسار في جماعة معه. وجاء

---

(١) في الأصل (بخفافيف).
والتجفاف وجمعه التجافيف: ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جفف.

كتابهـم يطلبون الغارة إليهم، والنجدة بالخيل والرجـال، والمبادرة بذلك علـى الفور. فوقـع أمر صعب، والخيل متفرقـة في البلاد. وكان قد وصل منهم جماعـة إلى الإمام عليه السـلام وهـو بذمرمر، يرومون الخلاف على الغز، وقتلهم بصنعاء. فأمرهـم بالإمساك عن ذلك فخالفوا رأيه فلـم يوفقوا. فلما وقعـوا في الأمـر الذي كان محاذره عليهم، لم يـر إلا شدادتهم وإعانتهـم، والغارة عليهـم بمن حضر. وأتى السلطان بشر بن حاتم إلى الإمام عليه السـلام عند وصول كتـاب أهل صنعاء. وكان وصوله في آخر الليلة المسفرة عن يوم الجمعـة لثلاث وعشرين ليلة خلـت من جمادي الآخرة من التاريخ المذكـور، يحـض الإمام على النهوض بنفسـه في الحال. ويشير باغتنـام فرصة العدو، ومواثبة الأمر قبـل فواته. فأمره بالقدوم في الخيـل التـي معه من همدان. ورأى التأني وتـرك العجلة. وفـرق الكتب إلى الجهات لاستنفار الناس، وقود العسكر من البلاد، والعمـل بالأناة على بصيرة. وأمـر الأميـر عماد الدين يحيى بن حمزة فركـب في خيله التي وصلت معـه وديوانه في إثر السلطان إلـى الظاهر الأعلى، وقـد أمسى هنالك.

ثم كتب إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم وهـو بشوابة يأمره بجمـع ما أمكنه من العسكـر، والقدوم في الخيل التي معـه إلى ذمرمر، ويكـون صدوره من هنالـك في لقاء الأمير عماد الدين. فلـم يتمكن من الغارة في عسكر، فتأخـر أياماً حتى جمـع عسكراً كثيفاً من بكيل، وسفيان[1]، وبـلاد الصيد، وداعي مرهبـة ونهض بهم إلى الجنـات لرعي

---

(١) سفيان: قبيلة من قبائل بكيل، وهم ولد سفيان بن أرحب بن الدعام. ولهم بلاد واسعة سميت باسم القبيلة، تعرف بحرف سفيان.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٤٢٤؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٢٤.

زرعهـا، وخراب آبارهـا. وكان أهلها بعـد الحروب المتقدمـة قد عمروا الآبار، وزرعـوا عليها زرعـاً عظيماً لم ير مثلـه. فرأى إيثـار ذلك، واغتنام الفرصـة، وقطع مادة العدو من نفعها في حال انشغالهم بحرب صنعاء، والأمـان من جهتهم بقدوم الأميـر عماد الدين إلى هنالـك. فصوب الإمام عليه السلام رأيـه، وحمده عليه. فلبـث حول الجنات أياماً فرعـى جميع زرعهـا. وكان بهـا زرع يغلـب حتى ما أبقـى منه شيئاً. وهـدم الآبـار واستقصـى في خرابهـا، وحصر أهلهـا، وضيق عليهم، وهم مستمرون على غيهم في الخلاف. ثم فرق الإمـام الكتب إلى البلاد القاصية والدانية يحضهـم على المبادرة والغارة إلى صنعاء. فكتـب إلى الأمير صارم الدين يستنهضه في خيل الجوف، ويرغبهـم فيمـا يحصل لهم من الفخر والأجر. وكتب إلى الأمير العفيف، وكان لـه اجتهاد عظيم وعنايـة شديدة في إزعاج الإمام عليه السـلام للقود إلى صنعـاء، ومساعـدة أهلها على ما كانـوا قد راموه في أمـر الغز. وأمـره بإثبات أمـور بني شهاب، والتقـرب في لقاء الأمير عماد الدين، وجمع العساكـر من المشرق والمغـرب، والقود إلى صنعاء وشدادة أهلها.

وكتب إلى السلاطين آل حاتم بمثل ذلك. وكانوا قد أمدوهـم بمائتي راجل، فأقاموا عندهم مدة الحرب عليهم حتى انقضت.

وقدم الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة إلى حوث، والتأمت إليه خيـل من بني حمزة وغيرهم، كانت متفرقـة في البلاد لمـا أتاهـم أمـر الإمام عليه السلام. فاجتمعت قدر ثلاثيـن فارساً، فقدمـه عليهم، وأمـره بالقدوم إلـى المحطة إلى وادي ظهـر. ولم يدع ممكناً من المادة إليهم من مال ولا رجال، ولا شدادة بمقـال ولا فعال. وبعـث الفقيه والشيخين الفاضليـن علـى بن أحمد الأكـوع، ومحمـد بن الحسن الرصاص إلى

الأميرين السيدين شيخي آل الرسول يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى وإلى[1] الشيخ أحمد بن حجلان وهو الوالي بصعده وأعمالها في طلب المعونة بالمال، مما هو حاصل من بيت المال، وبالسلف من أهل صعدة، والاجتهاد في تحصيل ذلك، والمبادرة به. لينفقه في سبيل الله تعالى، ومجاهدته أعداء الله. فلم يدعوا ممكناً واجتهدوا في تحصيله وجمعه، وأنفذوه صحبتهما. ولم يطلب منهم مادة برجال لبعد المسافة وضيق الوقت. وأنشأ القاضي أبو الغيث بن أحمد الأصبهاني قصيدة إلى أهل صنعاء وهي:

ولما أتتنا كتبكم لملمة ... جعلنا جواب الكتب حمر الكتائب
بعثنا إليكم بالسلاب من القنا ... بِداراً وبالجُرد العتاق السلاهب
تشب حواميها لدى كل ما قط ... بنار المنايا لا بنار الحباحب
ونبني سماءً بالكواكب شهبها ... بياض المواضي المرهفات القواضب
إذا صَبّحَتْ قوماً أعادت بتركها ... منازلهم من وحشةٍ كالسباسب
تذود الأعادي عن أزال وغيرها ... ذياد المطايا عن عذاب المشارب
بجيشٍ بأبطال المقامة قومنا ... بنى حسن الشم الأنوف الأغالب
أناس يرون الموت في حومة الوغى ... على صهوات الخيل أسنى المآرب
إذا شرعوا الأرماح للطعن خلتهم ... بدور تحاري في طلاب كواكب
ومن حي يام قد بعثنا عصابة ... معززة من بعدها بالعصائب
يقودهما العزمان يحيى بن حمزة ... وبشر أبو البسام[2] تاج الأعارب
حساماً أمير المؤمنين وموريا ... زناد الوغى في اللّه ضربة لازب
وكل قبيل قد دعونا لنصركم ... من الناس أرباب النهي والمحارب

---

(١) في الأصل (إلى).

(٢) في الأصل (أبا البسام).

فقل لي ليام حيث كانت وكندة[١] [ ][٢] كرام المناصب
وخولان والأقيال سنحان والذرى بنى صاعٍ البسل الحماة الأغالب
هلموا إلى نصر الإمام بن حمزة كريم السجايا مستهل الرواجب
دعـاكم فلبـوه عجـالاً وأرقلوا إليه كإرقال الجمال المصاعب

وأتى كتاب الأمير عماد الدين إلى المحطة بوادي ظهر يذكر فيه وصـول من وصل من نهج ذمرمر من السلاطين. ويذكر أن وردسار لما بلغ إليه العلم بخلاف أهل صنعاء، كان يريد مغارب كوكبان، عاد في الخيل التي معه حتى حط على الحباحب من شرقي المدينة، وظاهر الجيل وحصن براش[٣]. وعرض على أهـل صنعاء الصلح، والدخول لهـم فيما يحبـون. وإخراج رجل منهـم كان أخوه قد لزمـه، يريد عقوبته وحبسه في عضـدان. فامتنعـوا عليه وآذوه، فلما استقر بالمحطـة، أقبلت إليـه القبائـل التي حول المدينة من بني شهاب وسنحان وبني حبيب[٤] وغيرهم. وكانـوا قبل ذلك يقولون: لو خالـف أهل صنعـاء لكنا أول ناصر لهم. فلما وقـع الخلاف، ما كان عليهم أضر منهم. فأحاطوا بهـم من كل

(١) كندة: بكسر الكاف، يرجع نسبهم إلى كهلان. وكنده بطون عدة، منهم بنو الحارث بنجران، ومنهم بطون أخرى في حضرموت.
انظر، ابن رسول طرفة الأصحاب، ص ٦٤؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٨ ج ١؛
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٦٦٦ - ٦٦٨؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٥٦٠ - ٥٦١.
(٢) بياض في الأصل.
(٣) جبل براش: جبل شامخ في الشرق من صنعاء، يطل عليها من خلف جيل نقم. المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٧٢.
(٤) حبيب من قبائل اليمن، كانت تقطن شبام عند ذمرمر. وبنو حبيب من قبائل ربيعة. ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٥٣؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١ ص ٢٣٩.

جهة، وحصروهم حصراً شديداً، ومنعوا الصادر والوارد منهم في الليل والنهار. وضايقوهم مضايقة شديدة، وأمدوا إلى المحطة بما تحتاج إليه الغز من المتاع والنفاق. وزحف وردسار في الغز الذين معه والعرب لنقب سور المدينة. فوقع قتال شديد مدة أيام، وجراحات كثيرة من الفريقين حتى نقب عليهم موضعاً، وصار النقاب فيه آمناً منهم، فاستبشر وردسار بأخذهم. فنقبوا من أعلى السور، فلما أحس بهم النقاب انهزم إلى المحطة، واشتد أهل صنعاء وتقوت عزائمهم.

وكان الإمام عليه السلام قد أوصى الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بأن يجتهد في الصلح بين أهل صنعاء ووردسار، والعناية في ذلك. وتكون منة عنده، ويسلموا مما أصابهم بعد ذلك منه، ويبقى هيبتهم، وتنقطع المادة عنه من جهة الغز.

ولماعلم الأمير ومن معه من كبار همدان وغيرهم بالمحطة شدة أهل صنعاء، رغبوا في ملك البلاد ورجوعها إليهم، فأجمعوا عليه، وأشاروا بخلاف ما رآه الإمام عليه السلام. وأجمع رأيهم على النقض على وردسار، فساعدهم على ذلك. وكتب على ورقة عليها خط الإمام عليه السلام كان قد أعدها في جملة أوراق عليها علامات إن دعت حاجةمهمة إلى إنشاء كتاب عليها بالنقض فيما بين الإمام عليه السلام ووردسار. فاضطربت محطته، وصار الناس في كل جهة يتوقعون قدوم الإمام. وأراد الأمير عماد الدين الغارة إلى المنظر وأخذ زرعه وزرع الرحبة، فعاقه عن ذلك من حضره من الهمدانيين، رغبة في أن يصير إليهم. وكذلك هم بالغارة لزرع وادي ضلع ومسيب [1] فمنعوه عن ذلك. فلم يحدث حدثا مدة الإقامة بوادي ظهر.

---

(١) مسيب من قرى عزلة الراعي، ناحية بني مطر، على بعد ٢٣ ك غرب صنعاء. وهي الآن =

فأصاب الله الزرع بضريب أتى عليه، ولم يترك فيه معاشا لأهله. وآل الأمر إلى أن منع بنو الحارث الخيل من العلف بوادي ظهر [1]، واتسع النفاق على العسكر، وقل الطعام بالمحطة حتى كان سعر المدينة أرخى مع الحصار الذي عليها. واضطرب العسكر، ولم ير الأمير للاستقرار فيها وجها، ولا حصل به نفع. فنهض يريد بلاد بني شهاب، والاجتماع بالأمير العفيف، والمحطة ببيت بوس، وهجم وردسار وعسكره في محطتهم، أو حربهم والغارة [2] عليهم من قريب.

وأتى علمه إلى الإمام عليه السلام يشاركه بأجناده، ويطلب المادة بالمال، ويحكى فساد العرب وطمعهم، وقلة رغبتهم في الحق، وبعدهم عن العمل لله تعالى. فلم يزل يمدهم بالمال شيئا بعد شيء حتى طلع سيف الدين سنقر من اليمن إلى صنعاء. وسيأتي ذكر ذلك.

وفي خلال ذلك كان عليه السلام ينتظر المادة من العرب، والمعونة في الجهاد بالنفوس والأموال. فتثبط كل منهم في جهته، وتثاقلوا عن إجابة دعوته ونصرته، فأيده الله بنصره، ودفع كيد الغز عن جنده.

وكان عنده في هذه المدة الشريف إمام الحرم عطية بن أبي الفضل بن علي بن عيسى السليماني [3] الحسني. قدم من مكة ـ حرسها الله تعالى

= قريتان، مسيب القديمة الخارجية، ومسيب الحديثة الداخلية. وتقع ما بين:

″٣١ ′٢٠ °١٥ شمالاً،

″٣٠ ′٥٨ °٤٣ شرقاً.

التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، حـ ١ ص ٨٩؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٣٦؛

خريطة ج. ع. ى، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة 1543D2.

(١) في الأصل (بظهر).

(٢) في الأصل (والغواير).

(٣) في الأصل (بن السليماني).

إلى ذمرمر عقيب الموسم، مؤديا ما لزمه من إجابة دعوة الإمام عليه السلام وزيارته. فطلب الإذن له بالمراح بالوقوف بمكة حرسها الله وشرفها إلا أنه [1] نكث البيعة ودخل في مذهب الجبر، وخرج عن رأي أهل البيت عليهم السلام. وصحبه في وروده سفير للشريف أبي راشد حنظلة بن قتادة ابن إدريس، يقال له ابن الريحاني بكتاب حكى فيه ما هو عليه من الطاعة والمحبة في الوصول في عصبة من بني حسن للجهاد في سبيل الله، وطلب معونة بمال يستنهضهم به، ويداري به من أراد التثبيط والغيار عليه منهم. وذكر تقرير مواضع ذكرها وعينها بأسمائها في أرض اليمن تكون له ولمن معه، وتقديمه في الإمارة، وقود العساكر إلى ثغور الجهاد، والتمكين في جميع البلاد، وأن لا يقدم عليه سواه من قريب ولا بعيد. وإطلاق الخط الشريف على مسطور مشهور بجميع ما سأله، ليكون معه، ويزاد من قد ساعده رغبة في الوصول. فأمرني الإمام عليه السلام بإنشاء منشور بما سأله مقرون بطاعة الله تعالى وطاعته، والائتمار بأوامر الله تعالى، والانتهاء عن نواهيه، والوقوف على الأحكام النبوية، والقضايا الشرعية، فكتبته، وحط عليه علامته الشريفة، وأجابه عن كتابه.

وجهز الشريف عطية للصدور إلى مكة، والشريف الحسن بن طامي إلى الشريف أبي عزيز قتادة بن إدريس، وأصحبه كتابا إليه وإلى الولاة بالحجاز، يأمرهم بتسليم ما حصل معهم من الحقوق الواجبة إليه.

وأما السفير الريحاني فطلب الإذن بالقدوم إلى صنعاء من ذمرمر، فشرب بها الخمر، وخالط أهل الفساد. واشتهر ذلك منه فخشي إن عاد أن يقام عليه الحد، فلم يطالب بجواب، وراح على تهامة. وكان صدور الشريفين عطية بن أبي الفضل والحسن بن طامي من حوث، سلخ جمادى

---

(١) في الأصل (الانه).

الآخرة، ولم يعلما ما انقضت عليه أمور أهل صنعاء بعد خلافهم.

ولما قدم الأمير عماد الدين في العسكر من وادي ظهر إلى بلاد بني شهاب وكانت [١] خيله تزيد على تسعين فارسا، والرجل عدد كبير فحط على نقيل عصر [٢] وبعث خيلا مشرية قدر إثني عشر فرسا، فدنت قريبا من المدينة، ورأتها خيل الغز، فركب منهم قدر ثلاثين فارسا، وباقيها لزمت المحطة خوفا عليها من أهل صنعاء.

وكان ابن كز [٣] قد أغار من ذمار إلى وردسار في خمسين فارسا بعد وصول مكاتباته إلى الإمام عليه السلام بإظهار الطاعة، وأنه يريد القدوم إليه في الخيل التي معه. وبايعه [٤] على ذلك الشريف علي بن موسى وعلى الخلاف في المحطة عند قرب عسكر الإمام عليه السلام من صنعاء، وعمل على ذلك. وكان يطلب الثأر من وردسار بابن عمه حكو بن محمد، وبينهما عداوة ومنافرة. ولما أغارت الأفراس، وركبت خيل الغز من المحطة، استطردت إلى قرب النقيل. وعطفت عليها في خيل كانت كامنة، فوقع طراد وقتال. وولت خيل الغز على وجه الهزيمة، ولم يكن في الخيل التي في مقابلتها كثرة. ولم ير الأمير عماد الدين للمحطة هنالك وجها. وأجمع الرأي على القدوم إلى بلاد بني شهاب، ؛ وجمع العساكر، والقود إلى بيت بوس، والمحطة هنالك، وهجم محطة وردسار وحربه،

---

(١) في الأصل (فكانت).

(٢) عصر: بفتح العين وكسر الصاد، قرية غربي صنعاء بمسافة ٣ ك م. وهي عصر أعلى، وعصر أسفل. وتقع ما بين:

٤٩″ ٢٠′ °١٥ شمالاً، ٢٠″ ٠٩′ °٤٤ شرقاً.

خريطة ج. ع. ى، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة 1544C1.

(٣) الأمير محمد بن كز، من قادة الأيوبيين.

(٤) في الأصل (وبايعوه).

والغارة عليه في الليل والنهار. ويختل عليه أمر من كان معه من العرب حاطاً على صنعاء، فقد وعدوا من أنفسهم بذلك. فنهض وتلقاه عمران بن الذئب بن سلمة، فأظهر النصيحة والطاعة ، وأبدى وجهته لحرب الغز ومنابذتهم. وأتى عمرو بن محمد بن جبير الشهابي من المحطة على صنعاء. وكان قد قاد عسكرا من بني شهاب وغيرهم لما حَطَّ وردسار هنالك. وحين علم تقدم الأمير عماد الدين والعساكر إلى بلاده، خشي إن لم يصل إليه أخربت وأخذ زرعها. فأتى مكاذبا بإظهار طاعة الإمام عليه السلام، وعنده خلاف ذلك. فجرى الكلام بينه وبين الأمير في أمر الغز، وما قد أصاب العرب منهم من الشر، وأن الفرصة قد أمكنت منهم بما ألقى الله بينهم من العداوة وافتراق الشمل. وما يلزم العرب من جهادهم، واغتنام فرصتهم عند هفوتهم. وطلب منه القيام والنصرة، فلم يقع ذلك عنده، وسلك طريق المغالطة والمدافعة. فبذل له ألفي دينار، تسلم له بها رهانات وحصانا، على أن يخلي بينه وبين الطريق إلى بيت بوس، ولو حارب العسكر، وأظهر لوردسار أنه غلب عليها. فلم يقبل ذلك، وامتنع أشد الامتناع.

وجاءت أخبار بطلوع سيف الدين سنقر في عسكر عظيم، فازداد شدة وامتناعا. وتواترت بذلك الأخبار وصحت، فنهض الأمير بمن معه راجعا إلى حصن ثلا، وانصرف سائر العسكر كل منهم الى جهته.

قدوم سيف الدين سنقر إلى صنعاء وما يتصل بذلك:

كان قد جهز عسكرا عظيما من الغز والعرب مدة [1] أشهر متوالية، وأنفق فيهم أموالا، واستدان من صاحب الدملوة مالا في رهانات، وأنفقه

(١) في الأصل (مذ).

في العسكر حتى التأم إليه ستمائة فارس. وهو يريد بهم أخذ زبيد، وقتل الكرد، وإخراج الدقيق والقرابلي من تهامة. فاجتمع له هذا[1] العسكر بعد مشقة شديدة.

وجاء إليه الخبر وهو في المخلاف على أمر الخروج إلى زبيد، بخلاف أهل صنعاء. فنهض على وجه الغارة حتى أتى وأهلها على غفلة، مستمرون على الحرب. فما شعروا حتى وافاهم العسكر، فانتقصت عزائمهم، وأيقنوا بالهلاك لما شاهدوا من كثرة العساكر. فدنا من سور المدينة في قطعة من الخيل، فلما رأوه، عرفهم بنفسه فعرفوه. وأعلنوا وطلبوا منه الأمان، فأمنهم وأعطاهم سيفه، وعاد إلى المحطة.

وهبط إليه جماعة من مشايخهم فاستأذنوا عليه، فأذن لهم، وألان لهم جانبه. وأرادوا الشكية إليه[2] من وردسار، وكان حاضرا، فخافوا منه فأمسكوا. وطلب منهم عقوبة على جنايتهم، فتوسط وردسار عليهم بعشرة آلاف دينار، وعشر من الخيل، وأخذوا عهده وذمته على ذلك. ورسم عليهم من وقتهم، وسألوا الوقوف في المحطة خوفا من مضرة العسكر، فساعد إلى ذلك. وعادوا إلى المدينة وقد قضها[3] عسكر وردسار من شرقها، وانتهبوا الموضع المعروف منها بالقطيع[4]، وأخربوه بعد ذلك. وأغار سنقر فقتل رجلا من الغز، فكفوا عن باقي المدينة. وأقام بها أياما، ونهض يريد مغارب كوكبان. وجعل أمر أهل صنعاء ومطالبتهم بالعقوبة إلى

---

(١) في الأصل (في هذا).

(٢) في الأصل (عليه).

(٣) في الأصل (قضاها). وقض بمعنى ثقب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قضض.

(٤) القطيع: بفتح القاف وكسر الطاء. حارة بصنعاء، وهي أعلاها في الجانب الشرقي.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٦٥٦؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٥٣١.

وردسار. فولى أخاه الذي لزموه في خلافهم أمر عقوبتهم. وطالبهم بما لا يقدرون عليه، وملأ منهم الحبوس وعذبهم بأصناف من العذاب على يد رجل منهم اسمه غانم بن قيس بن شقري، فإنه اجتهد في تعذيبهم وإهانتهم بالضرب وتقطير الشحم على الجلود، وعصر الأرجل والرؤوس، والتعليق بالأرجل والأيدي، وانتهاك المحارم، والدخول على النساء في بيوتهن وتعذيبهن بمثل ما عذبت به الرجال. حتى أخذوا المظنون منهم، وباعوا الأطيان والأعناب بأرخص الأثمان، وأخربت دورهم. ولم [يبق][1] عليهم بقية، وتفرقوا بعد ذلك في أطراف البلاد، ونزل بهم من البلاء ما لم يسمع بمثله. وكانوا كما قال أبو الغيث بن أحمد الأصبهاني من قصيدة كتب بها إلى الإمام عليه السلام في أمرهم.

أمير المؤمنين خلت أزال	وشرد أهلها أهل الفساد
فبعض منهم أوذي وبعضٌ	أسيرٌ قد أطلّ على النفاد
لقد طال انتظارهم وملّوا	تشتت شملهم في كل واد
أساري للخطوب وللأعادي	وللدهر الملم وللبعاد
رماهم أجمعين الدهر عمداً	فما أشوى بداهية نآد
وألبسهم لباس البؤس طرا	وأوطاهم على سؤال القتاد
ولو ينطقن ألسنة الموامي[2]	وأعراض الشوامخ والنجاد
لقد نادتك شاكية جهارا	لقطعهم لهن على التمادي
ولولا دينهم قلنا انتقام	أظلهم الغداة كقوم عاد
ففرج شدة الكربات عنهم	فإنك فارج الكرب الشداد
فهم أوداؤك النصحاء حقا	إذا خان إمرء محض الوداد

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) الموامي: الفلوات.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: موم.

على سنن الصفاء ولن يزالوا عليه لكم إلى يوم التناد
فقل للطيبين بني علي حماة الروع أحلاس الجياد [1]
بني الحرب العوان إذا اقمطرّت وخير الناس من قار وباد
وآساد المواقط والمغازي وأقمار المنابر والنواد
أليس أبوكم البطل المحامي على الإسلام والوار الزناد
بضرب مثل أشداق المهاري وطعن مثل أفواه الجراد [2]
فحاموا عن ذماركم ولبوا إلى نصر الهدى داعي الرشاد
فعال الغلب من سلفي رياح بني يربوع [3] الأسد العوادي
فهم منعوا الذمار بذي طلوح [4] وأيام الصرائم [5] والإياد [6]
وهم أسروا الملوك الشم قسرا بطخفة [7] حين شب لظى العناد
أولئك معشر ذادوا حماهم بسمر الخط والبيض الحداد

---

(١) يقال فلان من أحلاس الخيل أي هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حلس.

(٢) في الأصل (الهراد).

(٣) رياح بن يربوع من تميم، من العدنانية. وهم بنو رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك.
ابن رسول، طرفة الأصحاب ، ص ٥٢ ؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٢٦٨ ؛ كحالة، معجم قبائل العرب، حـ ٢ ص ٤٥٧.

(٤) ذو طلوح: واد في الحزن بديار بني يربوع في شرقي نجد. وهو يوم من أيام العرب، انتصر فيه بنو يربوع علي بني بكر من قبائل ربيعة.
محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ص ١٨٤ - ١٩٠؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص ١٠٢، ص ٢٨٣.

(٥) الصرائم: وهو يوم لبني يربوع علي بني عبس.
محمد أحمد جاد المولى، أيام العرب في الجاهلية، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٦) الإياد: موضع بالحزن لبني يربوع. وهو يوم لبني يربوع على قبيلة بكر من ربيعة.
محمد أحمد جاد المولى، أيام العرب في الجاهلية، ص ١٩١ - ١٩٦.

(٧) في الأصل (بطفخة).

ولستم دونهم في المجد يوما بني حسن فجدوا في الجهاد

ونهض سيف الدين سنقر إلى بلاد بني شهاب، ولم يحدث على أهلها حدثا، ورضى منهم بالطاعة. وصالح عمران بن الذئب وأقره في حصنه بيت ردم (١)، وتقدم حتى حط بحبابة (٢). وخافت البلاد واضطرب أهلها، وطلع جبل الضلع فحط فيه، وهبط وردسار إلى سهل العضد (٣) في جهة المغرب في بعض العسكر، واستقرت محطة سنقر في الضلع.

وكاتب الأمير عماد الدين وهو بثلا، وعرض الصلح من نفسه، وأظهر الثناء على الإمام والذكر الجميل. وكان قد انهزم إليه خوفا من إسماعيل، ومعه بكتمر، وهما يومئذ كبيران في الغز. فأحسن إليهما، وحملهما على حصانين من جياد الخيل، فرعي ذلك، فقال: أنا لا أريد مضرة في بلاد الإمام، وطلب من الأمير عماد الدين الوصول إليه. وكان قد قدم له حصانه العزام، وهو فرس منسوب في وقته، مشهور بالجودة. فوقع عنده بموقع،

= ويوم طخفة انتصر فيه بنو يربوع على جيوش المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وأسروا ابنه وأخيه.

محمد أحمد جاد المولى، أيام العرب في الجاهلية، ص ٩٤ - ٩٨.

(١) بيت ردم: قرية من عزلة شهاب الأسفل، ناحية بني مطر.

التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٧٩.

(٢) حبابة، بفتح الحاء والبائين، قرية ومركز عزلة حبابة، بناحية ثلا. على بعد ٤ ك م في الجنوب الغربي من ثلا وتقع ما بين:

٤٣″ ٣٢′ ١٥° شمالاً، ٢٦″ ٥٢′ ٤٣° شرقاً.

التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، حـ ٢ ص ٢٥٩؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B4.

(٣) العضد: بفتح العين وضم الضاد، جبل من أعمال شبام كوكبان.

المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٥٦.

واجتهد في وصول الإمام إليه. فأقام على الخطر باذلا نفسه في سبيل الله لتغطية البلاد وأهلها. وما شاهد من فساد الناس، ورغبتهم في الغز، وكراهتهم لدولة الحق، فرأى الإقدام على الخطر، والصلح فيما بينه وبين الغز أصلح. فأصلح الله أمره، ودفع عنه كيد عدوه.

ولما قدم إلى محطة الضلع لبث بها يومين أو ثلاثة[1]، وأرجف المرجفون بلزمه، واستبشر المفسدون في البلاد من الأشراف وغيرهم. وجرى الكلام بينه وبين سنقر على تمام الأصلاح التي كان قد شرعها وردسار على حدودها. وأراد إخراج بني صاع من الصلح، فامتنع عليه الأمير، وتشدد في أمرهم. واجتهد الحاضرون في مساعدة سيف الدين، وإخراجهم عن الصلح، فما ازداد إلا شدة مع ما هم عليه من إظهار الهيبة والانقياد لسلطانهم. وترك معارضته في القول والفعل حتى عجب الحاضرون من قوة عزيمته فلم ير سيف الدين سنقر إلا مساعدته، وإدخال بني صاع في الصلح، وخلع عليه، وجمل أحواله، وأحسن مناصفته والقيام بحقه.

وأراد أن يكون الصلح مدة ثلاث [سنوات][2] أو سنتين، فلم يعقد[3] معه بصلح إلا على سنة واحدة، أولها شعبان من سنة تسع وتسعين. وكان قدوم الأمير عماد الدين من غير مواطأة للإمام عليه السلام. وحمله على ذلك ما شاهد من فساد الناس، فاغتنم الفرصة في تمام الهدنة.

وكان عند سيف الدين من الرغبة في الصلح مثل ما عنده، ولم يرد

---

(١) في الأصل (ثلاث).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) في الأصل (يعقده).

أن يفتح حرباً بينه وبين الإمام عليه السلام فيشتغل عما كان بصدده في حرب الغز الذين بتهامة. فلما علم الإمام عليه السلام بقدوم الأمير عماد الدين إلى سيف الدين سنقر، شق عليه، ولم يتمكن شيء سوى الفزع إلى الله تعالى، والدعاء بدعاء الاستفتاح المروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ووافق ذلك يوم النصف من شهر الله رجب الأصم[1]، فسمع سبحانه الدعاء، ولم يخب الرجاء. واشتغل في ذلك اليوم بإنشاء دعوة وشعر إلى سيف الدين سنقر، وبعث بهما بريد إليه مع ما يتخلل ذلك من الأشعار.

نسخة الدعوة إلى سيف الدين سنقر[2]:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم. سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق والرشاد.

أما بعد فإنك عبد من عبيد الله سبحانه، خلقه لعبادته، وحرم عليه محارمه. فقال تعالى: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾[3]. وعرفه معالم دينه، ونقله من نعمة إلى أخرى، فصار الجميع لا يعد ولا يحصى. فكيف وقد قال: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[4] فانظر كم بين كونك عبداً مملوكاً، وبين كونك مالكاً مليكاً. فإن كان ما أنت فيه بحولك وقوتك، فشأنك وشأن نفسك، وإن كانت النعمة فيك من غيرك، فذاك المنعم يجب عليك شكره وعبادته

---

(١) في الأصل (الأصب).

(٢) انظر، مجموع ٤٥، ورقة ١٨ - ٢٠؛ عبد الغني محمود، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٦ - ٥٣.

(٣) سورة الذاريات، آية ٥٦.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٣٤.

وطاعته، وقد قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1]. وقوله الحق، ووعده الصدق. واعلم أن الدنيا دار زوال وانتقال وغير وعبر. كم من مصبح فيها مغبوطاً، فأمسى مرحوماً. ومن ممس مرحوماً فأصبح مغبوطاً. ترمى الصحيح بالسقم، والشباب بالهرم، والحي بالموت، والناجي بالعطب. وأحسن صفاتها ما قاله الله عز وجل: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً[2]. وقوله تعالى: ﴿اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾[3] وفي الآخرة عذاب شديد لمن عصاه، ومغفرة ورضوان لمن أطاعه ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[4] لمن اغتر بها. فالسعيد من نجا منها، والهالك من هوى فيها. فطوبى لعبد نظر إليها بعين الاعتبار ولم يتدثر [فيها][5] بثياب الإصرار والاستكبار[6]. وبادر بالتوبة قبل [أن][7] يزعج من القرار. فيا لها روعة ما أهمها، ومصيبة ما أطمها على من ترك الاستعداد لمفاجأة الميعاد[8]، وحضور يوم التناد. فانظر - تولى الله هدايتك وإرشادك لنفسك - نظراً يخلصك. وصل حبلك بحبل عترة نبيك، المظلومين،

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٧.

(٢) سورة الكهف، آية ٤٥.

(٣) سورة الحديد، آية ٢٠.

(٤) سورة الحديد، آية ٢٠.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٧.

(٦) في الأصل (وبالاستكثار).

(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٧.

(٨) في الأصل (المعاد).

المغصوبين على حقهم، المستأثر عليهم بتراث أبيهم وجدهم، المقطوعة أرحامهم، المنكر فضلهم. العرب تفخر على العجم بأن محمداً صلى الله عليه وآله عربي. وقريش تفتخر على العرب لأن محمداً صلى الله عليه قرشي. فهم يفتخرون بحقنا، ولا يعرفون لنا حقاً. وقد تركونا بينهم طريدة صيد، من ظفر بها فهو الغانم. قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[1]. فقيل يا رسول الله من قرابتك الذين أمر الله بمودتهم قال: فاطمة وولدها. فلما شكى عليه أهل بيته خوف الجفوة من أمته كما قد كان، قال عليه وعلى آله السلام، لن يبلغوا الخير حتى يحبوكم لله ولقرابتي، أترجو سلهب[2] شفاعتي ويحرمها بنو عبد المطلب. ونحن نجاة كل مؤمن ومؤمنة، وبنا يفتح ويختم، لا تتم الصلاة إلا بذكرنا، ولا تقع النجاة إلا باتباعنا. وقد روينا عن أبينا علي بن أبي طالب عليه السلام: اعلموا أن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة؟ هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف. وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة. وهم باب حطة من دخله غفر له. خذوا عني عن خاتم المرسلين حجة من ذي حجة، قالها في حجة الوداع: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي. إن اللطيف الخبير

---

(١) سورة الشورى، آية ٢٣.

(٢) سلهب: أحد بطون قريش التي تتصل بالرسول عليه السلام بصلة قرابة بعيدة. وسلهب أحد أحياء قراد.

انظر، الهندي، كنز العمال، جـ١٣ ص ٦٤٤؛ عبد الله بن حمزة، الرسالة الناصحة، ورقة ٣٦.

نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. وقال صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك. وكم من ناج بنا وكم من هالك. فنحن أعلام الهدى ومنهاجه، ونحن ولاة الحق ودعاته، وورثة كتاب الله، وخزنة علمه، وولاة أمره، وأهل البيت الذي كان جبريل إليهم يهبط، ومنهم يصعد. لم تسمع الملاهي آذاننا، ولم تنظر الخمور أعياننا، ولم تباشر الفواحش أجسامنا، طاهرة ثيابنا، شريفة أنسابنا، نأمر بالمعروف ونفعله، وننهى عن المنكر ونبطله، ويرد إلينا من العلم مشكلة، ويتبين بنا مجمله، ويفتح بنا مقفله. جدانا محمد وعلي صلى الله عليهما وعلى آلهما. هذا مدينة العلم وهذا بابها. آمنا بالله تعالى قبل كل مؤمن فاتبعناهما بإيمان، وأُلحقنا بهما حتماً ماضياً وقضاء نافذاً. قال الله تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾[1]. فنحن الذرية اللاحقة، والفئة السابقة، وقد قال تعالى: ﴿إن أَولْى الناس بإبراهيم للَذين اتبعوه﴾[2] فنحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله نسباً وسبباً، وديناً ومذهباً. لم يفصل بيننا وبينه فواصل العصيان، ولا تبدلنا الكفر بالإيمان. على منهاج السلف الصالح، نلفظه لفظاً، بحار علم للسائلين، وأطواد حلم عن الجاهلين. ندعو الأمة إلى[3] نجاتها وهي عنا نافرة، ونحذرها الهالكة وهي إلينا بالمساءة ظافرة. وقد اتحدت [دوننا][4] أئمة وسعت

(١) سورة الطور، آية ٢١.
(٢) سورة آل عمران، آية ٦٨.
(٣) في الأصل (على) والتصويب من؛ من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٨.
(٤) ما بين قويسين إضافة من؛ من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٨.

لها [في][1] الميدان، وطارحتها فصل العنان، واستوى التابع والمتبوع [في العصيان][2]. قال الله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدِّي إلا أن يهدى﴾[3]. فما ظنك بمن لا يهتدي وإن هدى، وقال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾[4] فتفكر - هداك الله -ممَّ صبروا، أمماً تشتهي أنفسهم، أم مما تكره. فإن كان [مما تشتهي][5] فأئمة الظلم لم يصبروا، وإن كان مما تكره فلم يقل بذلك قائل. فلا تحمله عليه عاقل.

واعلم أن الإمام وافد القوم إلى الله سبحانه، فإذا كان الوافد محجوباً عن الله، فما ظنك بمن تبعه. إنما مثل الإمام - أرشدك الله وهداك - مثل الرفيق في الطريق المخوف. فإذا كان الرفيق خائفاً مطلوباً في نفسه، فكيف ينجو صاحبه. لا يصحبك في المخافة إلا الآمن الأمين، فإن كنت خائفاً سلمك، وإن كنت سالماً آنسك.

ولما علمنا وصولك إلى البلاد رجونا من الله سبحانه أن يجعله أسعد قدوم علينا وعليك. فأما عليك فلاعتصامك بتوفيق الله بالحبل المتين، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها. ولحاقك بالرفيق الأعلى محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين، وعلى آلهم الطيبين. وأما علينا فإن تجيبنا إلى ما دعوناك إليه من كتاب

---

(١) ما بين قوسين إضافة من؛ من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٨.
(٢) ما بين قوسين إضافة من؛ من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٨.
(٣) سورة يونس، آية ٣٥.
(٤) سورة السجدة، آية ٢٤.
(٥) ما بين حاصرتين إضافة من، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٨.

الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإقامة عمود الدين، ورفض أحكام المبطلين، وأن تكون على الحقيقة سيف الدين. وتسير الملوك - إن شاء الله - تحت ظل لوائك، وتظفر - بعون الله - بأعدائك. وتكون على بصيرة من أمرك، وسبيل من ربك. ولا يبقى بقدرة الله سهل ولا جبل إلا تدوسه بحوامي خيلك في سبيل الله، وبين يدي عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحفظ محمداً صلى الله عليه وعلى آله الطيبين في ذريته. قال [عليه السلام][1]: أنا سلم لمن سالمكم، حرب لمن حاربكم. وقال: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل عداوة لي ولأهل بيتي لم يرح رائحة الجنة. ولا والله ما تنقم منا هذه الأمة إلا ما حكى الله تعالى في المؤمنين من أصحاب الأخدود ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾[2]. وما نقم قوم لوط على لوط في قوله: ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾[3]. وقد كان لنا في عنقك بيعة، وبقي في قلبك مودة ما أنكرت أنها سببت مصيرك إلى ما صرت إليه. ففي الحديث: ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلاَّ نثبته أخرى حتى يلج الجنة. وذلك رجاؤنا في الله تعالى فيك، ولك أن تلج الجنة بها، وتدخلها بسببنا. فيكون قد أتاك الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة. وتكون في أمورك على أحد الحسنيين، إما أن يجتمع لك ملك الدنيا وملك الآخرة. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإما أن تلقى الله وهو عنك راض. فما تطلب بعد الرضا، هل لك في أمر يحل لك جميع ما أنت فيه من التصرف والحروب والأفعال؟ ولا تتحرك حركة ولا تقاتل

---

(١) ما بين حاصرتين أضافة لتمام المعنى.

(٢) سورة البروج، آية ٨.

(٣) سورة النمل، آية ٥٦.

عـدواً إلا كـتب الله لك بـذلك عملاً صـالحاً، وذخـر لك ثواباً جـزيلاً، ويحييك حـياة طيبة، ويميتك مرضياً عنك، مغفوراً لك.

فبـادر إلى هـذا الأمر قبل أن يـفوتك، أو يسبقك عليه غـيرك. أو تحـول بينك وبينـه عوائـق الأيـام، أو ينهـاك عنه قـرين غير صـالح لم يـرضع ثدي الهـدى، ولم يغذ بـذر الإيمان، قد رضي بالقليل من متـاع الدنيا، وضيع الكثير من عيش الآخـرة الدائم البـاقي، فقد أهـلك نفسه بجهـله، وأوبقهـا من رحـمة ربـه. أحـب الأمـور إليه أن يشركه النـاس في ضلالتـه، ليكون له عـذراً عنـد نفسه. وقد محـصنا لك الإنصـاف، فاقبل ـ هداك الله ـ هديـة [هـي][1] أفـضل الهدايا. قـال جـدنا رسول الله صلى الله عليه وآله: مـا أهـدى المسلم لأخـيه المسلم هـدية أفـضل من كلمـة حـكيمة سمعهـا فانطوى عليهـا، ثم عـلمه إيـاها، يـزيده الله بهـا هـدى أو تـرده عن ردي. وإنهـا لتعدل إحيــاء نـفس، ﴿ومن أحيـاها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾[2]. وقـال صلى الله عليه وسلم: تهـادوا النصـائح ولا تهـادواالأطباق. فلا تغـلق دونهـا بـابك، واوع لها سمعـك، وفـرغ قلبك، وآثـر القبول، وشـارك فيهـا أهـل العقول. ورد عذباً فـراتاً، واهجـر ملحاً أجاجاً، واعرف قـدر ما عـرض عليك، فبـادر إليه. وعـظم ما نهـيت عنه فاصدد[3] عنه. وكـما عظمـت هـمتك في الدنيا على حـقارتها، فلتعظم هـمتك في طـلب الآخـرة على عظمهـا وجـلالها. وكـن ملكاً صـالحاً، استـدام مـا أعـطاه الله لشكـره، وشكر الله طاعـته. ومـلك أهـل بيت نـبيه زمـام أمـره. فاقدم واحجـم عن أمرهـم. وكـان

---

(١) إضافة من، من رسائل الإمام عبد الله بن حـمزة، ص ٥٠.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٢.

(٣) في الأصل (فاصدق).

عـذراً له عند ربـه، وصفاً له في الدنيا مـلكه، وطـاب له في الآخـرة عيشه. وفـاز بـذكر جـميل، وتفيـأ في ظل ظليل، وورد القيامة بحجـة واضحـة فيما[1] أتـى ومـا تـرك. ولم يخـش فيما تـرك تبعـة ولا دركاً[2]. استوضح فسار، وطـلب البيان فاستبـان، وذكر فـذكر، وبـصر فاستبصر، وهدي فاهـتدى. وكـان مـن الـذين قـال الله فيهـم: ﴿والـذين اهتدوا زادهـم هـدى وآتاهـم تقواهم﴾[3] و[مـن][4] لم يـزد مـا أتـاه[5] من الهـدى فيكـون كـما قـال الله في ثـمود: ﴿وأمـا ثـمود فهدينـاهم فاستحبُّوا العمى على الهـدى﴾[6]. دعي فأجـاب وفهـم السؤال والجـواب. فـكثر الدعاء له ممن دعاؤه يستجـاب، وقـل الدعاء عليه ممن دعاؤه في تبـاب[7]. مـلك عقـله زمام هـواه [فحـكمه حـتى استقـام، ولم يـملك هـواه زمـام عقـله][8] فيرمي به في حفـرة الانتقـام. يمسي ويصبح ليس له هـم إلا عز الإسلام، وتجـديد شـرع محـمد عليه وعلى آلـه أفـضل السلام، وفعل الحـلال ورفض الحـرام، وقد جعـل الله له البركة في السكون والحـركـة. كل ذلك مكتوب في صحـف الحسنات، قد بـدل الله سيئاته بالحسنـات. فـذلك السعيد حيـاً وميتاً. وما بينـك وبين أن تـكون ذلك الرجـل إلا أن تريد، وما بينك وبين أن تريد إلا أن توفق. وما بينك

---

(١) في الأصل (فمـا).

(٢) في الأصل (دراكاً).

(٣) سورة محـمد، آية ١٧.

(٤) إضافة من، من رسائل الإمام عبد الله بن حـمزة، ص ٥٠.

(٥) في الأصل (أتـاهم) والتصويب من؛ من رسائل الإمام عبد الله بن حـمة، ص ٥٠.

(٦) سورة فصـلت، آية ١٧.

(٧) التبـاب: الخسران والهـلاك.
ابن منظور، لسان العرب، مـادة: تبب.

(٨) ما بين الحـاصرتين إضافة من؛ من رسائل الإمام عبد الله بن حـمزة، ص ٥٠.

وبين أن توفق إلا الاستعانة بالله، ومشاورة الصالحين. أترى - أرشدك الله وهداك - أن شارب الخمر يشير عليك بتركها، أو راكب المعاصي يشير عليك باجتنابها، وأن عدو آل محمد صلى الله [عليه][1] وآله يأمركم بموالاتهم، ويقبح عندك عداوتهم. هيهات هيهات!! لكل سابحة فلك، ولكل خابية درك. هل هو إلا الفجر أو البحر. وقد أكثرنا ولم نستغن عن الاستكثار. ونسأل الله تعالى أن يجعله قولاً نافعاً لنا ولك ولكافة المسلمين. ونصلي على النبي وآله. وقد أودعنا الدعوة شعراً فتأمل الجميع موفقاً إن شاء الله.

أسيف العلا إني دعوتُك راجياً ... لنصر الهدى فاثن الأعنة للنصر
دعوتك والدين الحنيف مضيِّعٌ ... وللناس سعْيٌ في الفسوق وفي الكفر
وأنت الذي تثني الحسام مثلَّماً ... وتركب أطراف المثقفة السمر
وقدماً أبيت الضيم والناس كلهم ... كما قيل تجزي من يضام ولا تدري[2]
ونازعت إسماعيل فضل ردائه ... وصممت تصميم الهزبر إلى الأجر[3]
فكم لك من رأيٍ أصيل بدأته ... ومن صولة عقم ومن فتكة بكر
وكم لك من ذكر جميل فعلته ... يسافر ما بين العراق إلى مصر
فكن عند ظني فيك واسْعَ مُشَمِّراً ... إلى طاعة ترقيك منزلة البدر
وكن لابن بنت المصطفى ووصيه ... حساماً رقيق الحد مرتفع الصدر
إذا هزه ماد العراق بأهله ... وزلزل من أقصى الشآم إلى الشحر[4]

(١) إضافة من، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٥١.
(٢) الشطر الثاني من البيت على النحو التالي في الأصل (كما قيل تجرى في نظام وما تدري) والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل (الهزبرات للأجر) والتصويب من الديوان.
(٤) الشحر: بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء، هو ساحل حضرموت. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٤ ح ٤.

ترى كل ملك مطرقاً خوف[1] حده | وهل صارم يفري الرقاب كما يفري
فكن داعياً يدعو لآل محمد | وآل على ذي الأفاعيل في بدر
وليس عجيباً أن تجيب إلى الهدى | وأنت سليم القلب منفرد الفكر
ولست بهياب إذا الخيل أحجمت | وجالت عرات الشهب في قمص الشقر
وغمغمت الأبطال والنقع مظلم | وبين السريجيات تطلع كالفجر
وصار الفتى يدعو أخاه وبينه | وبين أخيه قاب شبرين أو شبر
فلم يستجبه والوشيج محطم | وبيض الظبي ينهلن في العلق الحمر
وكم لك من يوم أغر محجل | كسبت به فخراً يدوم إلى الحشر
فتمم وصمم واغتنمها فضيلة | وكن كابن خطّابٍ زمان أبي بكر
فلولاه لم يُحْكِمْ أبو بكر أمره | فكن مثله فالأمر يُذكر بالأمر
وقل[2] إنني أسلْمتُ وجهي لخالقي | ونصر أُناسٍ نجرهم أطيب النجر
مـرددة أنسـابهم بين أحمـد | وبين على ذي الفضائل والفخر
أناس لهم أصل الصلاة وفرعها | وذكرهم كالدر في سورة الذكر
زوتهم ولاة الجور عن إرث جدهم | وصالوا عليهم صولة الطالب الوتر
فمن قام منهم داعياً[3] ينعش الهدى | أجابوا الندا بالطعن أحمى من الجمر
وقـالوا أتـانـا خـارجي منـازع | خليفتنا فاحموا على الملك بالبتر
وقالوا ولاة الجور أولى بحكمها | ولم يعلموا من جهلهم من ألو الأمر
فيا رب قرب نصر دينك عاجلاً | بملك أخي عزم أشد به أزرى
وأفتـح أقـطار البسيـطة كلهـا | بسطوته العظمى وأشركه في أمري
ويارب سيف الدين قده[4] إلى الهدى | لتسعده واشرح بطاعته صدري

---

(١) في الديوان أ (عند)، وفي ب، جـ، د (دون).
(٢) في الأصل (وقال).
(٣) في الأصل (طالباً) والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل (قدم) والتصويب من الديوان.

وكن لي معيناً حيث لاعون يرتجي وحصنا حصيناً عند نائبة الدهر

فوصلت الدعوة والشعر إليـه وقرئا عليه، وقد عـاد الأمير عماد الدين من عنده على حالـة جميلة أرغمت أنوف المفسدين. وقد عقد في الصلـح والهدنة مدة سنة كاملة على ما أراد، وتكفـل تمام ذلك من الإمام عليه السلام. وبعث سيف الدين معه القاضي الوزير أبا عزيز الكرماني، ورجلا من كبار الغز لتمام الهدنة والصلح علـى حدود البلاد التي صالـح عليها وردسار التي تقـدم ذكرها في أمرهما. ويسألان[1] الإمام عليه السلام حصانه الميمون، زعم أنـه يريد البركة، وأنه يعظـم أمره من أن يأمـر إليه بقيمته.

وقدم الجميع إلى حوث، وأكثـر الناس لا يصدق بذلك لقـوة الغز، وكثـرة عددهم، وضعف البلاد وأهلها عـن مقاومتهم. فعد ذلك من نصر الله تعالـى وألطافـه الخفية لوليه. وكتـب القاضي الكرمانـي مشروحاً بما تقررت عليه الأصلاح بين الأميـر عماد الدين وبين السلطان سيف الدين، وكفالته على الإمام عليه السلام، وأخـذه عليه علامته الشريفة، وخـط الأمير عماد الدين.

واعتذر الإمام عليه السلام في أمر الحصان بأنـه موقوف للجهاد في سبيل الله، ولا طريـق إلى هبتـه ولا بيعـه. وخلع عليه وعلـى صاحبه، وبعث معهما فخر الدين مرحب بن سليمـان السهلي بحصـان أشهب جواد قدمـه لسيف الدين، وأوضـح له العذر في أمر الميمون، فقبل العذر، وبالغ في الشكر.

وعاد بعد الصلح [إلى][2] صنعاء فلبث بهـا أياماً قليلة، ونهض

---

(١) في الأصل (يسألان).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

لحرب الغز الذين بتهامة، وقد أمن عليها من جهة الإمام عليه السلام.
وشاع الصلح في البلاد فخمدت نار الفساد، وأقبل عليه السلام لتفقد أهلها، والشدة على المفسدين فيها، والعقوبة على مستحقيها. فأول من قدم إليه سامعاً طائعاً من أهل الجوف، كبار بني منبه وسلاطينهم لما بلغهم الصلح، ويئسوا من وردسار، وما كان قد مناهم به. وكانوا قد امتنعوا عن تسليم الحقوق الواجبة إلا القليل منهم. وهموا بقتل الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة. وقعدوا له مقاعد، وجاءه النذير فاحترز منهم، ودفع الله عنه كيدهم، فسمعوا وأطاعوا. وصلحت أحوالهم بعد ذلك، وردوا الحقوق الواجبة موفاة، وأنفذ فيهم الأحكام الشرعية والأوامر الإمامية، وجلد المستحق على شرب الخمر، وعاقب من يستحق العقوبة من سفهائهم. وكانوا قد تظاهروا بفعل المنكرات، فاستقامت أمورهم.

وبعث الأمير علم الدين سليمان بن موسى الحمزي إلى الخموس في خيل ورجال، والوالي يومئذ قاسم بن مطرف الأهنومي. وكان قد عمل في ولايته بغير الحق، وأخذ على البضائع التي ترد السوق أشياء غير واجبة. وقبض من البلاد أموالاً جزيلة من حقوق الله، وما ودى منها [من درهم ودينار أو شيء يسير][1] سوى فرس أقامه وأشياء يسيرة، أيام قدوم الإمام عليه السلام، واستحوذ على الباقي، ولم يرفع يده من أخذ مالاً يثبت. فلما وصل الأمير علم الدين أراد الخلاف وظهر منه الامتناع، وأرصد له ولأصحابه جمعاً من الأهنوم وغيرهم، وأراد قتلهم. فأتى النذير إلى الأمير بذلك، وصح له الخبر فمال بأصحابه إلى جانب من البلد، وأقبل قاسم بن مطرف في طائفة من الناس يريد قدومه إلى وسط

---

(١) ما بين الحاصرتين جملة مكتوبة في هامش الورقة وإسقاطها من النص يقوي المعنى.

البلد، ثم ينفذ ما قد همّ به، ولم يمكنه الله منه، فعزم على القدوم معه، فعنفه أصحابه على ذلك، وعلى الإقدام على الخطر، وقد صح عندهم الخبر.

وأرادوا منعه فكره وامتنع عليهم خشية أن يقع وهن في الأمر، فركب وركب أصحابه حتى صاروا في شق البلد. وتواترت إليهم النذر بحقيقة الخبر، فوقف مكانه وقال: الكلام يكون من ها هنا. فلما علموا أنه قد عرف ما عندهم، وأنه لا ينخدع لهم، بدأوه بالشر والحرب، فجذبوا السيوف، ورموه وأصحابه بالحجارة. فحمل فيهم وأصحابه، فأزاحوهم عن السوق، وحقت فيهم الهزيمة، مع كثرة العدو حتى دخلوا باب الدرب. ووقع الزحام عليه حتى كسروه فكان الفائز من توارى خلفه من شدة الخوف والرعب الذي قذفه الله في قلوبهم. وحط عليهم، ومنع أصحابه من أخذ السوق وقد صار في أيديهم، وعف عن القتل.

وعلم قاسم بن مطرف أن العسكر يأتي من كل جهة، وأنه لا طاقة له على المقاومة والحرب، فتودي بنفسه عليه وعلى أصحابه، فقبل الأمير منه ذلك. وأتى به إلى حوث، فعزله الإمام عن الولاية، وعاقبه بثلاثة آلاف دينار، ، رهن فيها ولديه، ويسلمها أولاً فأولاً.

وولى الأمير علم الدين البلاد الغربية جميعها، فقام فيها ومهدها، وأزال الفساد عنها. وحارب المخالفين بها، وغزاهم، وأخذ أموالهم. وسيأتي ذكر غزواته وحروبه، كل شيء منها في موضعه إن شاء الله.

ذكر قدوم الأمير المؤيد بن القاسم إلى الإمام عليه السلام وما يتصل بذلك:

لما قتل إسماعيل صالحه الغز الذين بتهامة، واستولى على مدينة حرض. وكتبه متواترة إلى الإمام عليه السلام بأنه باقٍ على طاعته،

ستقيم على بيعته. وكان قد سأل الإمام أيام فتح صنعاء، فكتب له الولاية على مقتضى الكتاب والسنة في الأعمال التهامية من جهة اليمن إلى تناضب[1] الحد في جهة الشام. فكان على ذلك وهو يحارب الغز حيناً، فلما تمكن من حرض واستقر أمره فيها، أحب الوصول إلى الإمام عليه السلام. ورغب في ذلك، ولم يكد أحد يصدق منه بذلك. فبعث إليه الشريف الفضل بن علي بن مظفر العباسي من حوث، في مستهل شهر شعبان من سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ليعلم ما عنده، ويصحبه في طريقه إن عزم على القدوم على الإمام عليه السلام. فوصل إليه فوجد عنده رغبة شديدة. ولبث عنده أياماً وهو يعده بالنهوض يوماً بعد يوم. وكان يريد القدوم في خيل كثيرة. قال الشريف الفضل، ولم أصدق بنهوضه ولا طمعت في ذلك، لما كان من أصحابه وحاشيته من التثبيط والمشورة عليه بالتأخير، واجتهادهم في ذلك خوفاً أن تنزع أيديهم من المظالم والأموال التي أخذوها بغير حق.

فلما طال الانتظار، طلبت منه الفسح فقال: ما يبقى إلا النهوض فيمن حضرنا. فركب ومن حضر من مماليكه، وعلم الناس بركوبه وخروجه، فلم يتأخر عنه من حضر من بني سليمان ومواليهم. فالتأم إليه نيف وتسعون[2] فارساً، وجعل طريقه على السويق[3]. وبرد بريداً بكتاب إلى الإمام عليه السلام يسأله اللقاء إلى الخموس. فكتب

---

(١) يتضح من النص أن تناضب في أقصى شمال تهامة اليمن. ولا توجد أية معلومات أخرى عن هذا الموقع.

(٢) في الأصل (تسعين).

(٣) يتضح من النص أن السويق على الطريق من حرض إلى الخموس. ولكن يبدو أنها إلى الخموس أقرب. يقول مسلم اللحجي؛ بأن السويق سوق للأهنوم في أرضها، تأتيه همدان بأسرها في كل يوم خميس.
مسلم اللحجي، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية، ص ٤٤ ب.

[الإمام][1] إلى الجهات يأمر كل مقدم فيها بالوصول فيمن حضره من الخيل والرجال، وسير الليل والنهار. وما لبث في انتظارهم سوى يومين، فوصل الأمير عماد الدين فيمن حضر من الخيل التي في الظاهر من الأشراف وغيرهم، فاجتمعت تزيد على مائة عشراً، ورجل كثير.

ونهض عليه السلام من حوث لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان عظم الله حرمته. فأمسى بشعب عذر، وكان اللقاء إلى الخموس في اليوم الثاني. ووصل الأمير المؤيد قبل ذلك بثلاثة أيام أو أربع، فتلقاه الأمير علم الدين سليمان بن موسى وأصحابه وقد أصابتهم ضرة. وكانت السنة جدبية، والحطمة عامة بتهامة والجبال، فأكرمهم، وبالغ في إكرامهم، وكرامة خيلهم ودوابهم، وكذلك من وصل صحبة الإمام عليه السلام.

ونزل الأمير المؤيد في دار قاسم بن مطرف، فسأله الشفاعة إلى الإمام عليه السلام في خلاص ولده، والمسامحة بشيء قد بقي عليه من العقوبة. فقبل شفاعته، وخلص عليه ولده. ووقع في جبال الأهنوم خوف واضطراب، وظنوا أن ذلك الجمع كان إليهم لما تقدم منهم من المعارضة مع شيخهم قاسم بن مطرف. وتجمعوا من أطراف جبالهم بسلاحهم وعدتهم وآلة حربهم. وحملهم على ذلك قوم حلول بينهم من روافض الشيعة، واجتهدوا في تنفيرهم وبعدهم عن طاعة الإمام، وعظموا عند جهالهم وعامتهم عقوبة قاسم بن مطرف. وكانوا قد أتوا إلى صعدة، ثم إلى حوث بما يجب من حقوق الله، ومن النذور، والبر للإمام عليه السلام، وأرادوا قطع ذلك والاستئثار به. وكانت لهم عناية في ذلك. ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

الكافرون﴾[1]. وأعانهم على ذلك قوم من الشرفاء آل القاسم ممن يرى رأيهم، وينتحل نحلتهم في مذهب المطرفية. فرأى الإمام عليه السلام التوقف حتى أصلح شأنهم، وبعث إليهم من يأخذ علمهم وسبب تحزبهم واجتماعهم، وهل هم باقون على طاعتهم، وما أعطوا من صفقة إيمانهم. فأمروا إلى الأمير المؤيد يسألونه أن يأخذ لهم الأمان، ويكون وصولهم إليه وفي ذمته حتى يردهم إلى جبلهم، لما قد ألقى إليهم أنه إن تمكن الإمام عليه السلام منهم أخذهم وعاقبهم كما فعل بابن مطرف، فأعطاهم أماناً على يد الأمير المؤيد، وكتب إليهم كتاباً بما طابت به نفوسهم. فأتى من كبارهم ومشايخهم، ومن كان قد وصل إلى صعدة والظاهر جماعة على خوف منهم بعد منازعة وقعت بينهم، فطائفة تريد القدوم، وأخرى تكرهه، فغلب المريد. وجاؤوا إلى المحطة وحضر الأمير المؤيد وكافة الشرفاء والعرب الذين شهدوا ذلك الجمع. فتحدث معهم رجل وأبلغ في الكلام، وحكى ما عليه كافة الأهنوم من المحبة والطاعة والانقياد لأمر الإمام عليه السلام، وأن طاعتهم له محبة ورغبة، وأنهم باقون على ذلك غير ناكثين بيعته ولا متأخرين عن طاعة. وذكر ما جرى على شيخهم قاسم بن مطرف من العقوبة. وأن العشائر نفرت من ذلك وأنكرته من فعل الإمام عليه السلام. فأجابهم عن كل فصل بما يشفي الصدور[2]، ويوضح ملتبسات الأمور، وأثنى عليهم باستقامتهم على الطاعة، وانقياد الأمر. واحتج في جواز عقوبة ابن مطرف بما[3] فعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في طعام المحتكر، فإنه أحرق نصفه، وأمر بنصفه إلى بيت المال عقوبة

(١) سورة الصف، آية ٨.

(٢) في الأصل (الصدد).

(٣) في الأصل (ما).

له. فكيف فيمن بسط يده في أموال المسلمين بغير الحق! وأخذ منهم الجبايات! واستحوذ على أموال الله التي يتولى عليها! وقال لهم: إذا صحت الإمامة فلا تأثير لإنكار الجهال، ومن لا معرفة له بأحكام الله تعالى. فاعترفوا بصحة الإمامة، وبين لهم ما كانوا قد جهلوا معرفته، وسكنت إليهم نفوسهم وعلموا صحته. وسألوه منشوراً بالأمان، الوارد منهم والصادر في البلاد القريبة والبعيدة. فأمر بكتبه لهم، وأعطاهم الأمان، وانصرفوا إلى أصحابهم وقد طابت نفوسهم، وزال عنهم ما كان في قلوبهم من الوحشة والنفار الذي كان قد أورده المفسدون عندهم.

فلما صحت أمورهم عزم عليه السلام على النهوض إلى صعدة، فشاور الأمير المؤيد على ذلك. وكان يريد الرجوع إلى الخموس، والظاهر جديب لا يكاد يوجد فيه العلف. فقرر الأمر معه على النهوض إلى صعدة، ويكون قضاء الحوائج هنالك، ويقع الاتصال بالأميرين السيدين والسلام عليهما، وزيارة المشاهد المقدسة هنالك، فساعد ورغب في ذلك مع كراهة بعض أصحابه لقدومه. فركب الإمام عليه السلام ونهض العسكر بأسره، فحط بهم في شعب عذر حتى ذهب أول الليل، وسرى بهم ليلتهم ويومهم، فأمسوا بالخيام وهجرة دار معين[١].

ذكر قدومه عليه السلام صعدة وإقامته بها والحوادث والغزوات:

فلما أصبح قدم إلى صعدة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان شرفه الله تعالى وزاده تعظيماً، وكانت الإقامة ثمانية أشهر ويومين، في موكب عظيم، خيله تقارب المائتين. وبرز أهل صعدة في خيل وسلاح، وعدة وراية حسنة، وأقبل الشرفاء آل الهادي إلى الحق عليه

---

(١) دار معين قرية ما بين العمشية وصعدة.

انظر، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١ ص٣٥٣.

السلام في خيل وعسكر ممن حولهم من أهل البلاد. فاجتمع عسكر عظيم اضطربت منه البلاد، وأرغم الله به أنوف أهل الفساد. ودخل الجميع المشهد المقدس، وفرغت المنازل للعسكر على مشقة شديدة من أهل صعدة، وامتناع طائفة منهم وكراهة لذلك، بخلاف ما عهد منهم في تفريغها للغز الذين كانوا مع هلدري في خدمة الإمام عليه السلام. هذا مع نعم ظاهرة عليهم من الله تعالى، وسعة في الأرزاق، وأمن من الخوف، وظهور من العدل. وما بقي في مدن اليمن مدينة أرخى منها، تضرب إليها آباط الإبل من كل ناحية. لا يطلب من أحد منهم درهم فرد مع أمان السبل، واستواء الضعيف والقوي في العدل على حكم الله تعالى. وما يطالبون إلا بزكاة أموالهم عند دخول الحول في أموال التجارة، أو ضيفة عسكر إذا وصل مرة أو مرتين. فحضر من مشايخهم جماعة في دار الإمام عليه السلام، فتنازعوا في أمر الضيفة بين يديه واختصموا وعلت أصواتهم. وسلَّ كل منهم شفرته، وهمَّ بعضهم ببعض، ولم يوقروا مجلسه، ولا عظموا حرمته. فعظم ذلك عند الأمير المؤيد، وكان حاضراً في أنفار من الشرفاء[1] والموالي، وأضجره ما رآه من أفعالهم. فقام لزماً[2] على قائم سيفه، وسل أصحابه السيوف، وانتظروا أمر الإمام عليه السلام، فأمرهم بالإمساك. فلما رأى ذلك أهل صعدة أفاقوا من سكرة جهلهم، وعرفوا ما يراد بهم، وغمدوا سكاكينهم، وندموا على ما فرط منهم، وأيقنوا بالعقوبة الثقيلة.

فلما سكنت الرعاع، وكف المنازع، تحدث معهم الإمام بحديث بليغ، وعرفهم ما قد أقدموا عليه من الجهل والخطأ، وأغلظ عليهم في

---

(١) في الأصل (الشرف).

(٢) في الأصل (لزم).

القول والشدة، فخضعوا واستكانوا واعترفوا بالخطأ، والتزموا بالرضا. فطلب منهم رهينتين من أولادهم فيما يرسم عليهم من عقوبة وغيرها. فأحضر حسين بن خالد ولده، وأحضر حسين بن غليس ولده في الحال.

ونظر في أمرهم بما أتاه الله تعالى، فعطفته الرحمة النبوية عليهم فجعل عقوبتهم الإنفاق في جميع العسكر، وحسيك الخيل والدواب مدة إقامتهم، فامتثلوا أمره، وسمعوا وأطاعوا، وأنفقوا عليهم شهرا وثلاثة عشر يوما على غلاء الأسعار، وقلة الثمار، وجدب السنة. وكان بيت المال متعطلا مدة الإقامة بصعدة. وقال يحيى بن أحمد بن حجلان من قصيدة امتدح فيها الإمام عليه السلام، وذكر الرعية وطول الأمد عليهم وتظاهر النعم، وقلة الشكر عليها لله تعالى.

خليفة الله عبدالله أفضل من ... في المجد من آل ياسين له قدم
من آل هاشم من بيت النبوة في ... بيت الخلافة ما في عوده وصم
أيامه غرر في الدهر مشرقة ... بنورها قد تجلى الظلم والظلم
تهتز للمجد كالغصن الرطيب وما ... هزته ريح ولكن هزه كرم
في كفه صارم ذو رونق خذم ... كأنه قبس في الكف يضطرم

ومنها:

يثنى رؤوس المذاكي وهي ساهمة ... وينثني عن ربا الهيجاء وهي دم
يا أرفع الناس عبدالله منزلة ... إن الرعية قد ملوا وقد سئموا
طالت سنوك عليهم يا بن فاطمة ... فاقمع بعدلك منهم بعض ما بهم
لم يشكروا الله إذ أولاهم نعما ... تترى وأعطاهم منك الذي علموا
خلقا وخلقا ومعروفا وعارفة ... طبائع أصلها المعروف والكرم
يا حبذا أنت لا وعر لملتمس ... يرجو نداك ولا وعث ولا برم

حيزت لك المكرمات الغر عن كمل   يا أيها[1] السيد العلامة العلم

فأمر الإمام عليه السلام بتفقد أحوال المدينةوالشدة على المفسدين فيها، وحبس السفهاء من جهلها، والطيافة على من يتهم بشرب الخمر، ومن كان قبل الدولة معروفا بذلك، وعقوبة من يستحق. والتأديب بالجلد والحبس، وإشعار قوم منهم كانوا يلبسون أبراد الحرير بأن من لبسها بعد ذلك مزقت عليه. فصلحت أمور صعدة، وكثر سكانها من أهل صنعاء وغيرهم حتى ضاقت بأهلها. وصار من ينتابها من تهامة واليمن وغيرهما يغتاظهم على تظاهر النعمة، والعدل الذي خصوا به. وصار ميدان الحرب الذي كان بين أهلها بساتين ومستغلات.

وكتب الإمام عليه السلام إلى الأميرين السيدين يستنهضهما، ويحضهما على المبادرة. وكان قد كتب إليهما من الخموس باللقاء إلى صعدة في عسكر من خولان للمخرج إلى بلاد يام ونجران، وحيث قد ظهر الفساد. وكان قد كتب إليهما من الخموس باللقاء إلى صعدة في عسكر من خولان للمخرج إلى بلاد يام ونجران، وحيث قد ظهر الفساد. وكان قد ظهر ذكر إفساد البلاد، وقطع يام السبل، وأخذهم المسافرين، فأجابهما، وذكر ياماً في قصيدةٍ قد تقدمت في بيتين منها هما:

جاء الحديث بأن ياماً قد عدت   أطوارها وتعرضت لسفاري
وتحككت بابن السبيل ضلالةً   وزنادكم في كل خطب واري

وكان غرضه المبادرة بأخذهم، فلبث الأميران نيفاً وعشرين يوما وهو ينتظرهما يوما بعد يوم. ولم يرد أن يخرج إلى جهة دون حضورهما ورأيهما، ولمعرفتهما بالبلاد، المفسد فيها من المصلح. وكانت

---

(١) في الأصل (يأيها).

الولاية فيها للأمير بدر الدين محمد بن أحمد. وقدم الأمير علم الدين سليمان بن موسى من الخموس ومعه الشيخ مرحب بن سلمان. قال مرحب[١]: لما توجه الإمام عليه السلام إلى صعدة بعد اتفاقه بالأمير المؤيد بن قاسم بالخموس، أمرني بالوقوف مع الأمير علم الدين سليمان بن موسى في أصحابي، والديوان الذين معي. فلبثنا هنالك مدة نمسي على ظهور الخيل خوفا على أنفسنا. وكان قد عظم على أهل البلاد عقوبة قاسم بن مطرف وعزله عنها، وهم بين مظهر للطاعة بقوله، ومتظاهر بالمعصية لقوله. فلما رأى الأمير انقباض الناس وكراهتهم للحق، جهز غزوة إلى المطرح في الخيل والرجال الذين معه، ونهض في آخر الليل فأتينا بلاد قحطان[٢] صحوة النهار وأتممنا رؤوس الخيل مغارا، وتأخرت الرجال وبعض الخيل، لبعد المغار وشدة الحر، مع الصوم في شهر رمضان. وكانت أيام القيظ، فأتينا القوم على غفلة وكانوا يظنون أن أحداً[٣] لا يقدم إلى بلادهم إلا بابن مطرف، فارتاعوا لذلك وانهزموا، فتغنمنا مالا كثيراً من البقر والشاء، وعدنا على إثرنا بذلك المال. واتصل بنا أصحابنا بعد مشقة لحقتهم، واشتد علينا حر[٤] النهار، والماء نازح عنا حتى كاد جماعة منهم قدر ثمانية رجال يهلكون، فنزلنا عن الخيل، وحملنا عليها. وسقنا حتى أتينا بئرا في شق بلاد قحطان فحططنا عليها، فازدحم العسكر على الماء فرمى رجل منهم نفسه في وسط البئر من السموم وشدة العطش. وشرب

---

(١) في الأصل (قال لما مرحب قال).

(٢) قحطان: عزلة من ناحية الجميمة، قضاء حجة.

التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ٨٥؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٥١٥.

(٣) في الأصل (أحد).

(٤) في الأصل (آخر).

الناس واستراحوا، وأصاب كل ما خف من الزاد حتى برد النهار.

ولم يكن أحد من أهل البلاد التي حولنا علم بنا، فأغرنا إلى بينة[1]، فأخذنا طرفاً من أموالهم، وعدنا إلى محطتنا فأمسينا بها. فلما أصبح أقبلت إلينا العشائر من كل جهة مستسلمين، مؤدين ما يجب عليهم خوفا على أموالهم وأنفسهم، فقبلنا طاعتهم، وقبضنا ما أتوا به من الحقوق التي عليهم. ثم نهضنا آخر نهارنا وقد جمع أهل جوعان [2] جمعا كثيراً، وقعدوا لنا في مضيق صعب المسلك. فتركناهم وملنا [نحو] [3] وادى مور [4] وبه قوم من عذر، فطالبناهم بما يجب من أموالهم، فسمعو وأطاعوا. وتركنا معهم من يعدها عليهم، ويقبض الواجبات فيها.

وكان أهل صور [5] قد تمردوا وامتنعوا من تأدية ما يجب عليهم،

---

(١) بينة: موضع بالشرق الشمالي من حجة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٣؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ١٠٢.

(٢) جوعان اسم لعدة مواقع منها قرية جوعان في عزلة مبين، قضاء حجة، وجوعان من قرى القفلة، ما بين حوث وشهارة. اما جوعان المذكورة في النص فانها قرية من عزلة بني نسر ناحية المدان، قضاء شهارة، على بعد ١١ ك م في الغرب الشمالي من شهارة. وتقع ما بين: ٤٨″ ١٢′ ١٦° شمالاً، ٠٢″ ٣٦′ ٤٣° شرقاً.
انظر، التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥، ناحية مبين، ناحية المدان؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦، ناحية مبين؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ٣٩٠؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543D3، صفحة 1543D4.

(٣) إضافة ليستقيم النص.

(٤) مور بفتح الميم آخره راء، يعتبر اطول واد في اليمن تبدأ شبكته في الظهور من غرب منطقة صعدة، ويجري من الشمال الى الجنوب مارا ببلاد صعده وحجة وصنعاء وغيرها.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٧، ١٣٤؛ الأكوع، اليمن الخضراء، ص ٥٠.

(٥) صور قرية من عزلة ذرى ناحية شهارة، على بعد ٤ ك م في الشرق الشمالي لشهارة، =

فعزم الأمير علم الدين على الغارة من وادي مور إليهم على أمانهم لبعدنا عنهم، فعنفه طائفة من مشايخ عذر ممن كان معه، لما يعرفون من وعورة الطريق وبعد المسافة فلم يعبأ (١) بقولهم. ونهض على جانب من الليل، ونهضنا حتى جزنا بالخموس فوجهنا المال إلى شعب عذر، ويممنا نريد صور على الفور. ووقعت منازعة بين أهل الخيل والرجالة في أمر الغنيمة، فقال أهل الخيل: نحن أولى بها لأن الرجال لم يصلوا معنا، فهموا بالانصراف عنهم. قال: فمنعتهم، وتقلدت ما يرضيهم، ومضينا على الغارة حتى قربنا من المكان ورأى أهله أوائل الخيل. فصرخ صارخهم من الجبل خوفا على المال، فأحطنا على جانب منه وبدرت غوايرهم وقد تقطع العسكر، خيله ورجله عنا. واتصل القوم بنا، وكادوا يسترجعون المال منا. واختلطنا وقاتلناهم قتالا شديدا، وضرب الأمير منهم رجلا بالسيف فصرعه، فكسر من حدهم. وهبطنا واديا وعرا كثير الأشجار لا عمل للخيل فيه، ولا حمونا وألحوا علينا فيه، وانقطعت فرقة من المال إلى جانب منه، فكان استخراجها من بين الأشجار أشق من القتال. وقابلنا الرجالة، ونفعت في ذلك المكان نفعا ظاهرا. ورمى رجل من أهل صور كان أشدهم علينا كَلَباً (٢)، وكان كثير الفساد، قاطعا للسبيل؛ رماه رجل من أصحابنا بسهم فقتله وأراح الله المسلمين منه. وحمل الأمير علم الدين على رجل فطعنه، وضربه ذلك الرجل على جفن السيف ضربة قطعت الجفن، فأثرت في

= وتقع ما بين ٤٦" ١١' ١٦° شمالاً، ١٣" ٤٤' ٤٣° شرقاً.
التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥، ناحية شهارة؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543D3.

(١) في الأصل (يعب).

(٢) الكلب: الشدة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: كلب.

سيفه وأصابت جنب الفرس، فجرحت فيه جرحا خفيفا. وما زال القتال بيننا وبينهم حتى خلصنا من بطن الوادي، وتعلقنا في جنبه، فيئسوا من المال، ولم يطمعوا بعد ذلك في قتال.

ومضينا به على حالنا، وأصابنا ظمأ شديد وعطش عظيم، مع شدة الحر حتى كادت طائفة منا تهلك عطشا وسموما. فأنزل الله تعالى قدامنا مطرا سلمنا من وعثه عقيب ذلك الحر. فشربنا، وسقينا دوابنا، واسترحنا عليه، وعددنا ذلك من نعم الله التي لا تحصى مضافا إلى ما تقدم من الآيات والكرامات التي اختص بها ابن رسوله صلّى الله عليه وآله في غزواته، وقد أصاب عسكره مثل ما أصابنا من شدة الحر والسموم، حتى أشفوا على الهلاك. وقد تقدم ذكر ذلك في موضعه. قال: فحمدنا الله وأثنينا عليه، وقسمنا المال الأول والآخر، وأخرجنا خمسه، وقسمنا الباقي، للفارس سهمين، وللراجل سهم. وانقادت البلاد بعد ذلك واستمرت طاعة أهلها، وذلك في آخر شهر رمضان من سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وفيه بعث الإمام عليه السلام الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم غازيين في خيل ورجل من الشرف وغيرهم دون أهل تهامة إلى موضع يسمى ضدح [١] من مشارق صعدة من بلاد أَمْيَر، حي من شاكر. قال الشريف علي بن يحيى بن الأشل، وهو الوالي على بلاد وائله ودهمة: كان سبب ذلك أن أهل ضدح أرادوا قتل رجل ظلما فمنعتهم [٢] منه، وطلبت منهم عقوبة، فسلموا رهينة من أولادهم،

---

(١) ضدح : بالضاد المعجمة آخره حاء مهملة، وهو لوائلة من شاكر، ويقال اليوم أضدح بزيادة الف.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤، ٢١٨، ج ١ ص ١٦٤.

(٢) في الأصل (فمنعهم).

مؤداة إلى صعدة في نفر قليل من أصحابي حتى صرنا في بعض الطريق، فاتبعنا قوم كثير منهم، لا نقدر على مقاومتهم. فطلبوا استرجاع الرهينة، فجرت بيننا منازعة ولم نكن على أهبة لحربهم. وكانوا لقربهم من بلادهم مستظهرين علينا، فأخذوا الرهينة منا غصبا.

فقدمت إلى الإمام عليه السلام فأخبرته الخبر، فبعث الأميرين في الخيل والرجال وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان - زاده الله شرفا - فنهضنا بعد صلاة الجمعة حتى أتينا موضعا يسمى القلات بوادي نشور[1] عند صلاة المغرب فأديناها، وسرينا ليلتنا، وطلع الفجر علينا بأعلى وادي ضدح. وأغارت الخيل، وسبقنا النذير إلى الوادي فانهزم بدوه وقراره، وطاروا في رؤوس الجبال وبطون الشعاب وأحرزوا اموالهم في مأمنها. وأفلتوا بأموالهم، وصرخوا في القبائل حولهم من وائلة ودهمة، ولزموا لنا موضعا يقال له العقل[2] لا مجال فيه للخيل، فقصدنا الدرب فهدمنا ما أمكن هدمه، وضرمناه بالنار. وكان فيه من الحبوب ما يكفي[3] العسكر في كل جهة، وحمل كل منهم ما قدر عليه. وأردنا المحطة لخراب الزرع فخشينا جموعهم والبيات منهم في المحطة. فنهضنا وقد لزموا مضيقا في ذلك الموضع وعرا. فقاتلناهم قتالا شديدا. وكان منهم رجل قد لزم موضعا، وأضر بالناس فرماه رجل من الغز المماليك بنشاب أمرقه. وحملت الخيل عليهم فانهزموا، وجزنا الطريق. ولم نلق شرا حتى أمسينا

---

(١) وادي نشور: بضم النون آخره راء، واد شرق صعدة من بلاد شاكر. الهمداني، صفة الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٨؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ١١٥.

(٢) العقل: من أودية الجوف الصغيرة، والعقل إحدى قرى عزلة وادي خب بالجوف. انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٩ - ١٦٠، ص ٢١٨، ص ٢٨٠؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

(٣) في الأصل (ما يعلب).

بموضع يسمى العطف [1]، فوقفنا فيه باقي نهارنا وليلتنا حتى استناب الناس. وصدرنا إلى صعدة، وحسنت طاعتهم بعد [ذلك] [2]. وتوقع كل من كان يريد الفساد مثل ما حدث بهم.

قدوم الأميرين السيدين إلى صعدة:

قدما في العشر الوسط من شوال من سنة تسع وتسعين في عسكر عظيم من خولان، فلقيهما الإمام عليه السلام، والأمير المؤيد بن القاسم في الخيل والزانة إلى ساحة البلد من شاميها. فاجتمع عسكر كثير من الخيل والرجال، وكان في جملة من وصل معهما عوسجة بن مسعود اليامي، فرأى من كثرة العسكر ما أفزعه. وكان قد قدم إليهما إلى هجرة قطابر [3] لما علم بقدوم الإمام عليه السلام إلى صعدة يطلب الشفاعة بهما إليه، والدخول في الطاعة والانقياد للأمر، والالتزام بما [4] يرضيه من يام فيما قد أتوا به من الإساءة والفساد في الأرض بغير الحق، وهو أحد المفسدين، بل هو من أشدهم كراهة لدولة الحق.

وكان باطني المذهب، فأعمل مكيدة بين خولان على ما يشاع وظهر

---

(١) العطف: هو ما يسمى العطفة، من قرى عزلة عكوان، ناحية الصفراء، قضاء همدان؛ والعطف: قرية من عزلة وائلة أملح ناحية كتاف، قضاء همدان محافظة صعدة. والعطف قرية من عزلة الشعف، ناحية خب والشعف بالجوف.
أنظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٩٠ ح ١؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ١٠٠، ١٠٤.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) قطابر: عزلة من ناحية مجز قضاء جماعة بمحافظة صعدة، وهجرة قطابر، قرية من عزلة قطابر.
التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٢٧؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤٧٥.

(٤) في الأصل (ما).

من خبره في الناس . فقيل بذل مالاً لجماعة من كبارهم على أن يحدثوا حدثا بين آل نصر [١] وآل جابر [٢]، قبيلتين منهم، في قتل كان بينهم، فوقعت بينهم فرقة وحرب شديدة [٣] بين صعدة ودرب الإمام [٤] من بعد صلاة الظهر حتى فرق بينهم الليل على جراحات بالنبل كثيرة وقعت بين الفريقين من غير قتلى . وركبت الخيل وأرادوا الفراغة بينهم فلم يفترغوا . فلما أصبح ركب الإمام عليه السلام والأميران إلى ظاهر البلد وقد أجمع الرأي على تأخيرهم عن الخروج حتى [٥] لا يحدث بينهم سوء فيكون سبب انكسار العسكر في بلاد العدو.

وحضرت خولان فتحدث معهم الإمام عليه السلام والأمير الكبير شمس الدين، وخطّآهم فيما فعلوا، وأذنا لهم في المراح فكان ذلك من أسباب افتراق العسكر وتأخير المخرج إلى بلاد يام. فأما أهل نجران فسمعوا وأطاعوا، وأتى منهم جماعة من كل قبيل فقاطعوا على بلدهم بثلاثة آلاف دينار، ورهنوا بذلك من كل قبيلة رهينة.

وبعث الإمام عليه السلام خادمه دحروج بن مقبل في أربعين رجلاً، فتشفعوا بالأمير بدر الدين محمد بن أحمد بتأخره عنهم، والتزموا بتأدية ذلك من أيديهم.

---

(١) آل نصر من قبائل بني جماعة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤٧٤.

(٢) آل جابر: أحد وديان بني جماعة. ويبدو انه قد أطلق عليه اسم القبيلة.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣، ص ٤٧٥.

(٣) في الأصل (شديد).

(٤) درب الإمام، يقع شمال مدينة صعدة.
انظر، ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٠٥، لوحة ٠٩.

(٥) في الأصل (لان).

وأما يام وسنحان في الجهة الشامية فإنهم تأخروا لما علموا بتأخير المخرج عنهم وتفرق العسكر. فكتب الإمام عليه السلام إلى سنحان كتاباً نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فقد علمتم ما لله سبحانه في أعناقكم من العقود والعهود التي لا ينقضها أمر الدهور، ولا تقلب العصور. والله تعالى يقول: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[1]. وكانت البلاد مجدبة، ولله الاختيار في بلاده وعباده، فحملنا ذلك على بعض الأعذار. والصواب أن يقبل الخلق إلى الله سبحانه بطاعته، ويستغفروه فيما فرط منهم من معصيته فقدقال حاكياً عن خطاب نوح لقومه: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾[2]. وقد كان فيما تقدم إذا وصلنا إلى البلاد، وصل إلينا الأكابر منكم، فذكرناهم بالله، وبينوا لنا طرفاً من عذرهم إلا في هذه المرة فغفلتم عنا[3] بعد الطاعة[4]. فإن كنتم قد قطعتم ما بينكم وبين الله ونكثتم الأيمان، ونبذتم الميثاق وراء ظهوركم، لم تضروا إلا أنفسكم، وكان الله الشاهد عليكم والمجازي لكم،

---

(١) سورة الفتح، آية ١٠.

(٢) سورة نوح، آية ١٠ ـ ١٢.

(٣) في الأصل (منا).

(٤) في الأصل (المطاعة).

والصالحون من خلقه. فلن يهمل الله دينه، ولا يضيع عترة نبيه صلى الله عليه وآله. وعلينا أن نقوم بما يلزم من المطالبة، وعليه أن ينصرنا كما وعد فلسنا إلا به. وإن كنتم على ما بيننا وبينكم لم تغيروا ولم تبدلوا والسلام.

وكان القاضي محمد بن نشوان بعد عزله نفسه من الولاية، وإظهار توبته من الطاعة للإمام عليه السلام، طمعاً في أن يصير الأمر إليه. وقد أنشأ بمبلغ جهده رسالة مشحونة بالكذب، يعلم ذلك من اطلع عليها سماها رسالة الإيضاح إلى الإخوة النصاح. لا يجعلها إلى معين ولا طلب عليها جواباً، بل جعلها لتنفير الناس عن الإمام عليه السلام، بإيراد ما لا حقيقة له. يريد إطفاء نور الله ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[1] وجعل نسبة ما ضمنها من الأباطيل إلى ثقة من غير معين، ونسخها نسخاً كثيرة. وبعث بكل نسخة إلى جهة حيث يعلم نفاقها عند أهل تلك الجهة من المخالف في الدين. فجاءت نسخة منها إلى صعدة، فعرضت على الإمام عليه السلام. فأجاب عنها بالرسالة الموسومة برسالة الإيضاح بعجمة الإفصاح[2]، بالغة مبلغها من العلم والحجج الباهرة، والأدلة الواضحة الظاهرة التي يشهد بصحتها العقل والكتاب والسنة لمن أراد الإطلاع عليها. وهي في الجزء الثاني من المجلدين المجموعين من تصانيفه عليه السلام. فنسخت نسخاً كثيرة، وقرئت في المجامع والمشاهد، وعلم الناس بطلان ما جاء به القاضي وأورده في رسالته.

---

(١) سورة الصف، آية ٨.

(٢) ذكر يحيى بن الحسين في طبقات الزيدية، ورقة ٦٩ هذه الرسالة باسم رسالة الإفصاح بعجمة الإيضاح. كما ذكرها الشامي في تاريخ اليمن الفكري، جـ٣ ص ٤٨، برسالة الإيضاح لعجمة الإفصاح.

ولما قضيت الصلاة يوم الجمعة، أمر الإمام عليه السلام بقراءة الرسالة التي أنشأها جواباً عنها. فقرىء صدر منها، ولم يتسع الوقت لتمامها. فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، وتكلم بكلام بليغ لم نسمع منه مثله قبل ذلك اليوم. ووعظ، وذكَّر بالله سبحانه، وذكر طرفاً من أمور آل نشوان، ومروقهم عن الدين، وتعديهم لحدود الله بما أظهروه من السب والأذى، والهجو بالأشعار لأهل البيت عليهم السلام جرياً على ما فعله والدهم في سب الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان سلام الله عليه في شعره الذي قال فيه.

ما أحمد بن سليمان بمؤتمن   على البرية في خرط من الصوف

وكان ممن حضر الجمعة جماعة من زُبيد[1] حي من خولان أهل القد اليماني بحيدان[2]. وهم أهل محبة شديدة في أهل البيت عليهم السلام، وفيهم رجل يسمى حسن بن يحيى من قرية الهجر[3]، فسمع من الإمام عليه السلام كلاماً في إباحة دمائهم وأموالهم بخروجهم عليه وخلافهم أمره. وكانوا يرون بجواز الإمامة في

---

(١) زُبيد بضم الزاي وفتح الباء وسكون الياء، اسم لبعض قبائل مذحج.
ووادي زبيد عزلة من ناحية حيدان، قضاء خولان.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٩١ ـ ٣٩٣؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٥١؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة، ص ١٠٤.

(٢) حيدان، قرية وناحية في قضاء خولان بمحافظة صعدة، وهي سوق خولان.
انظر: التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة، ص ٩٩ـ١١٣؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ الويسي، اليمن الكبرى، ص ١١٢.

(٣) الهجر، قرية من عزلة وادي زبيد، ناحية حيدان.
التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٥١؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة، ص ١٠٤.

الناس عموماً. وقد قام والدهم وادعى الإمامة، ودعى إلى نفسه. وحذا حذوه في ذلك ولده محمد هذا. فذهب ذلك الرجل إلى بلده، وقد وطن نفسه على قتله، والتقرب بذلك إلى الله. فقعد له من تحت الليل، وقد رصده أياماً في موضع يجوز فيه بالقرب من داره، فرماه بحجر يريد رأسه فأخطأه، ثم وثب عليه من كثب فسحبه على وجهه ساعة، وانتزع الشفرة يريد ذبحه وقد وضع رجله على خده، فالتوت العمامة على حلقه، ولزم القاضي وطرفها على السكين فلم يتمكن من إجرائها على حلقة. وحماه أجله، وأسرعت الغارة عليه، فخلاه وانهزم إلى قريته.

وأقبل جيران القاضي من كل جهة، وأجمعوا على حرب أهل قرية الهجر حمية على القاضي، لحق الجيرة وحلوله بين أظهرهم، فعادوا إليهم وحاربوهم حرباً شديدةً[1]، فقتل فيها[2] رجل من زبيد، ووقعت جراحات كثيرة بين الفريقين. وبقي القاضي في فتنة أشد من القتل؛ يتوقع الهلاك في الليل والنهار، ولا يأنس في منزله ولا يبرز منه إلا في عصبة، خوفاً على نفسه. فلبث على ذلك مدة طويلة، واعتقد أن الحادث الذي حدث عليه كان بأمر الإمام عليه السلام، وأنه بذل فيه مالاً، ولا أصل لذلك ولا حقيقة له.

ولما بلغ ذلك منه، وجرى كلام من أهل العناد فيه، أقسم عليه الإمام عليه السلام على المنبر بعد صلاة الجمعة بعد أن حكى ما نسب إليه في أمر القاضي محمد بن نشوان، أنه ما أمر بقتله ولا بذل فيه مالاً.

---

(١) في الأصل (شديداً).

(٢) في الأصل (فيه).

واشتغل القـاضي بحراسة نفسه، وأُنسي المطالبة بالجـواب وقد بـلغه العلم فيه، مع الإصـرار على الخـطأ، والاجـتهاد في تنفير خـولان، والمباعـدة بينهــم وبين الإمام عليه السلام. ولما طـال عليهـم الأمـد، ولم يحـصل لهــم ما راموا، التمسوا واسطة بينهـم وبينه. فجـرى كـلام بين علي بن نشوان وبين رجـل من خـولان في ذلك، وكـتب كتاباً على لسانه يـذكر فيه أمورهـم، وما كان محـمد بن نشوان قـد عزم عليه من التأخـير عن الولاية وأشيـاء أخـرى ذكرهـا، أجـاب عنها الإمام عليه السلام بجـواب نسخـته:

فهـمنا ما ذكر من أجـل القاضي علي بن نشوان وما جـرى بينهـمامن الكلام، وما ذكـره من أمـر أخـيه محـمد بن نشوان. ومـا كان قد عـزم عليه من التأخـر عن الولاية منـذ مـدة إلى آخـر فصلـه، وهـذا أمر ليس مما نحـن فيه بسبيل. الناس يتأخـرون من الولاية، وتبدو لهـم الموانـع، وتعرض الشبهـة في العلم. ما هـذا بعجيب! السب والأذى من أي الأودية، ومن أي فنـون العلم؟ هـو ما عـلم الله تعـالى مع عـلمنا لاطِّلاع القـضاة على هـذا الرقع [لا][1] نـعلم له وجهـاً إلا خـبث المولد. وإلا فأكثـر ما يـقع في آبـائنا مما نزهـنا الله عنـه، ونعـوذ بالله منـه أن يـكونوا ظلمة أو كافـرين تقديراً لا تحقيقاً. فـلم يُعلـم منا إلا الإحـسان إليهم قولاً وفعـلاً. والله عز من قـائل يـقول: ﴿لا ينهـاكم الله عن الـذين لم يقـاتلوكم في الدين ولم يخـرجوكم من دياركم أن تبروهـم وتقسطوا إليهم إن الله يحـب المقسطين﴾[2]. فقد أمرهم ببر مثلنا، ولو كنـا كما اعتقدوا فينا، فيبدلوا مكان البر السب والأذى، الذي لا يتجـاسر اليوم أحـد على

---

(١) إضـافة ليستقيم المعنى.

(٢) سورة الممتحـنة، آية ٨.

إظهاره في بلاد الغز، ومدن الفسق. فإن كان لشدة التحرز في الدين فليس منه الهجو. وقد علم الكل أن المصرحين بالظلم ما شعر لهم بشعر هجو في حيدان من القضاة.

أما ما ذكره القاضي من شرحه هو وولد السويدي في الصلاح، وما كان منا من خطأ حتى يقع الصلاح. وأما الحادث على أخيه محمد فهو كما قيل: يداك أوكتا وفوك نفخ(1). وإلا فقد علمتم حاله عندنا وعند الناس، وعليه رد الله الذي كشفه عن نفسه. وما نحن بمقحمين عن قول الشعر، فنحن قريش البطاح، ولكنا نصون ألسنتنا أن تكون مطايا للسباب.

وأما كبر ما حدث على محمد، فوراء الموت ما هو أشد منه. ولا يبعد الله إلا من ظلم، وعلم الله وكفى به عليماً وشاهداً على ضمائر القلوب مستقيماً. لو كان سؤال محمد سؤال من غرضه البصيرة والإنصاف لينصرن الله سبحانه، لنبدلنه(2) بالكتاب، ونرفق به في القول. ولكنا رأيناه قد أقدم إقدام المتهور، ومر مرور الجموح، فروى ما علم الله وخلقه استحالته في غير كلمة، وأمور لا شك واقعة ولكن على غير الوجه الذي ذكر. وكتب بوقاحة وجه، وصلابته إلى شيخي آل الرسول يحقق لهما ما علما، هما وجميع ما معهما استحالته. فمقته الجميع في قوله، مع استيحاشنا من كذبه. ويحه فمتى عرفت بالكذب؟ ولو كنت كاذباً سبق عليَّ غيره قبل وصول هذه الحال ـ فلم تقع النشأة إلا بين الأضداد. فلم يعرف في صغر

---

(1) يراد بهذا المثل أن يتحمل المرء نتيجة فعله.

الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ٥١٩؛ محمد عبد الغني، من أمثال العرب، ص ٢٨٧.

(2) فلأ الأصل (ولنبدلنه).

ولا كبر[1] - فلما بلغنا هذه الحال وهذه السن ارتكبنا الكذب؟ يأبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وآله والنفوس الأبية، والأنوف الحمية. وقد ذكر أهل المعرفة والخبرة أن من بلغ ثلاثين سنة ولم ينجص[2] شعره، لم ينجص أبداً، ومن بلغ ذلك القدر ولم يسمن، لم يسمن أبداً، في أشياء تجربتها ذكروها الأغلب استقامة روايتهم فيها. فنتجاوز الثلاثين ولا يتعلق علينا بكذبة، ثم نكذب، هذا مع دعوى الإمامة ونشأة الحياء والمروءة، أشياء كثيرة أضافها إلينا لا حقيقة لها، ولا وجه للتأويل فيها. فعلمنا أن هذا تهتك وقلة مبالاة. فأما ما ذكر من إغضابنا[3] لخولان، فلسنا بأغمار نجهل ما ذكر. فالرامي إذا أخطأ بالسهم الأول وشج بالثاني عدّ[4] شجه عجزاً. ونحن بنو الحرب نشأنا فيها، حاربت الظالمين قبل إخضرار عذاري. فما رأيت الغرض ينال إلا بإهانة المال، قد بورك لي في ذلك. وكم ما أخطأت فلا بدها ما أصابت نفر. فقد علم الله سبحانه أني كابرت في آل نشوان الأكابر والأصاغر، وبالله لقد وقع ما يشبه الشماتة في نأيهم. ولقد قال البعض من قال: لقد عجبنا من استمرارهم إلى وقت نجوم نفاقهم، وظهور شقاقهم. وإن كان قد وقع ثم ندامة على ما فرط، ورجوع إلى الله سبحانه، فسبحان من لا يجوز عليه الخطأ، ولا يقع منه الزلل. فماذا نعجب، وليس بمسيء من أعتب.

وكان الكل يظهر التوبة على أعيان الملأ محمد، وعلي،

---

(١) المعنى ملتوٍ في هذه الجملة الاعتراضية؛ وبحذفها يستقيم المعنى.

(٢) نجص بمعنى إبيضّ.

الخليل بن أحمد، العين، مادة: نجص.

(٣) في الأصل (أعطابنا).

(٤) في الأصل (عند).

ومزايد فهذا عليهم واجب، وبه تجب وتلزم حرمة الأخوة، ولا يكون إلا محبوبهم، وإن كان ثم شبهة كما قد أظهر محمد. وإن كان من تأمل كلامه من أهل المعرفة يعلم أنه كلام من ركب الدهماء من غير غماء. كان الكل يصل صحبة شيوخ خولان بالسكينة والوقار، ثم يوردون[1] المسائل، مسألة مسألة، فمن وضح فيه الحق عمل عليه، وما التبس رد إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله. فإن وضح للإمام الحق واتبعه، رفع ذلك قدره عند الله سبحانه. وإن بان لهم الصواب ورجعوا، فما المراد.

وأما خولان وفرقهم، فما نريد لهم فرقاً، ولو أردناه لقد كان. فدوننا يفرقهم. وأما ذكر القاضي علي من كراهة محمد، فهذه كراهة ليس لها وجه. والرأي العمل بالعقل والحلم، فهو أعرف بمعنى قول الشاعر[2]:

ومن يعص أطراف الرماح[3] فإنه   يُطيع العوالي رُكِّبت كل لهذم

ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر قصمه الله. وعلم الله سبحانه ما نريد لهم بعداً ولا شراً، مع الإقبال إلى الله سبحانه. فأما طاعة البلاد ومحصولها فقرية من تحت أيدينا تأتي بمثله. ولو توفر إلينا مثل شوابة. وبعض دروب الجوف كالغيل[4] أو سدال[5]. وأما قول القاضي

---

(١) في الأصل (يوردوا).

(٢) الشاعر هو زهير بن أبي سلمى.
انظر، الشيباني، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٣١، الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٥٣؛ مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، جـ ١ ص ٢٣٤.

(٣) في القصيدة الأصلية لزهير (الزجاج).

(٤) الغيل: قرية في ناحية الغيل قضاء الجوف، على بعد ١٨ ك م شمال غرب مدينة براقش الأثرية بالجوف الأسفل، وتعرف بغيل مراد. =

عليّ أن محمداً غير كاره للإمام فأي كراهة أعظم من أن يتمنى له الحمام؟ فإن استطالت مدته فلا بده - أعني الإمام - ما مات، ولا باقي إلا الله. وأما قوله إمام الظلم، فإن صدق فهذا أهون ما ينزل به، وإن كذب فلقد ارتكب عظيماً، فنعوذ بالله من الزلل ونسأله التوفيق لصالح العمل. فإن كان إصراراً فليقع التشمير في العداوة، وإن كان رجوعاً[1] فالتعجيل أحسن قبل وقوع ما لا يمكن تلافيه. وهذه نصيحة إن قبلت، وتذكرة إن عقلت.

ولما أجاب الإمام عليه السلام عن الكتاب الذي أتى على لسان الرجل الخولاني، وهو بخط القاضي علي بن نشوان، التمس به ما عنده في أمر آل نشوان، وهل لهم سبيل إلى رضاه أم لا. وجعله مثل السبب يتعرض به لمواصلة الإمام عليه السلام ومراسلته. وكان عنده وحشة وهيبة من الابتداء بالمكاتبة لما تقدم من الإساءة من أخيه محمد، وما أودعه في رسالته من السب والطعن والأذية.

فلما وجد عنده عليه السلام من اللطف والقرب - واستدعاء محمد بن نشوان لإيراد المسائل، وأخذ الجواب عنها إن كان يريد سلوك طريقة العلماء، وترك التعصب، وقبول الحق - ما آنس وحشته، وأزال ما عنده لمظاهرته لأخيه[2]. وترك مباينته والنكرة عليه فيما أتى

= انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص٦٢٧.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف، ص ٢٦؛ خريطة الجمهورية العربية اليمنية ١: - ٥٠٠٠٠٠، قطعة رقم ١؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

(٥) سدال، من دروب الجوف الأسفل.
ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٠٠؛ الشرفي، الآلىء المضية، جـ٢ ص٢٥٢، ٢٧١.

(١) في الأصل (رجوع).
(٢) في الأصل (لأخوه).

به على غير بصيرة من أمره. فكتب القاضي علي بن نشوان كتاباً بليغاً فيه عذره خاصة دون إخوته، وأنه مغلوب على رأيه، وأنه باق على الطاعة. وسأل سؤال معترف بالإساءة، طالب التوبة. وذكر ذلك في أبيات كتبها في صدر كتابه أفرط فيها في مدح الإمام عليه السلام، وأطلق وصفه فيها بأنه الرءوف، العطوف، اللطيف، الخبير، الحكيم، العليم. فلما بلغ عليه السلام في القراءة إلى ذكر هذه الألفاظ قال: الله تعالى أجل وأعلى، بل أنا العبد الضعيف الفقير إلى رحمته ورضوانه.

وعجب الحاضرون من الإفراط في هذا المدح مع الإغضاء على سماع الهجو، وما أودعت الرسالة من السب والتكذيب، والطعن بما لا حقيقة له، وما اشتهر بحيدان خصوصاً دون سائر البلاد الموافقة والمخالفة من الهجو وإظهار ذلك، وما وقع نكير فيه ولا رد غيبة. والأبيات التي كتبها:

إذا كنت تقبلُ فوق الوشاة ... وأنت الحليم وأنت الغفور

وأنت الرءوف وأنت العطوف ... وأنت اللطيف وأنت الخبير

فمن ذا سواك يفيد الحجا ... ومن بصوابٍ ورُشْدٍ يُشير

وهب أن قولهم صادق ... وأنّ صديقاً أتى ما يعور

وكم من صديق أسا مَرَّةً ... وقد جاء منه جميلٌ كَثير

فدع ذا لذاك وسامح فما ... تكنّ وتضمر حقداً خطير

فعفوك حصن لأهل الذنوب ... وسيبك[1] يوسر[2] فيه الفقير

لأنكمُ أهل بيت النبي ... لكم سابقات وفضل كبير

(١) في الأصل (سوحك).

(٢) في الأصل (موسر).

وصفح وعفو عن المذنبين وحلم يخف لديه ثبير[1]
شرائع أوصى بها منكم كبير فقام بهن الصغير
وإن جزيل الذي جاءكم محال عظيم وإفك وزور
يبلغه باغض للجميع وذو طمع مفسد لا يضير
وليس يجوز على عاقل كلام الوشاة الطويل الغرير
لذي الحلم نفزع قبل العصي ومثلك لا يزدهيه الغرور

وبالغ في التلطف وإيضاح عذره. وذكر أن الواشي قد أدرك غرضه، ونال فيهم مراده. وحكى استقامته وامتثاله لأمر الإمام عليه السلام، وبقاءه على الطاعة واجتهاده في تقريب خولان، وإيناسهم بعد نفرة كانت قد وقعت في قلوبهم، وتمثّل بقول الشاعر:

أعندي وقد مارسْتُ كُلَّ خفيّةٍ يُصَدّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سائل[2]

فأجابه عليه السلام عن كتابه، وضَمَّنَ الجواب جُمَلاً مما اشتملت عليه رسالة الإيضاح التي أجاب عنها عن رسالة أخيه محمد بن نشوان بكتابٍ نسخته:

بعد السلام فهمنا ما ذكره من الأمور كلها، وأنه غُلب على رأيه، فما من الخطأ أسوة. وأما ما ذكره من نقل الناقلين إلينا فيهم، فهيهات! كنا قد زجرنا الواشي فيهم قصياً. فلم يكن المتودد[3] إلينا يجد سلماً إلينا إلا الثناء عليكم. ومن عجائب الاتفاق أن علم هجوكم لنا بلغ

---

(١) ثبير: من جبال مكة.
الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٤.
(٢) الشعر لأبي العلاء المعري.
انظر، طه حسين وآخرون، شروح سقط الزند، جـ٢ ق٢ ص ٥١٩.
(٣) في الأصل (المتوددين).

إلينا ونحن في تسويد شعر يمدحكم ويحرضكم. فاعجب! «ومهما عشت عاينْتَ العجب» مالي أنهنهُ[١] عن سعدٍ ويشتِمُني» وهذا خِذْلاَنٌ نعوذ بالله منه لأن الله سبحانه إذا أراد خذلان عبده وكَله إلى نفسه، وسلبه توفيقه. وإلا فالشكوك تعرض، والمسائل تحدث، والمقبل يدبر، والمدبر يقبل. وما هذا ببذيء في هذه الدنيا، والأفعال محتملة، تقبح على وجه، وتحسن على وجه، والصورة واحدة. وقد يكون الصواب عند أحد المجتهدين خطأ عند الآخر. ولا تفسيق ولا تكفير عند أهل العلم عموماً، ولا تخطئة عند المخلصين حتى ظهر من قولهم، كل مجتهد مصيب. وإن كان عند القاضي محمد أنا لم نبلغ درجة الاجتهاد والبراع. والحال هذه تكون في أصل الإمامة لا في فرعها. وجاءت نصيحته لإخوانه خارجة عن توجيهات العلماء؛ لأنه محض السب، وعين الطعن. ولسنا نوجه كل ذلك إلى جهل بطريقة العلم. ولكن هذه سنة الله سبحانه في معارض الحق عمداً، أن سلبه الله التوفيق للصواب فيما هو فيه.

ذكر في كتابه أنه اصطفى من المحالب سبيّةً هي بالوطء[٢] حرية.

ولا شك أني بالشراء من غنائمهم ملكت جارية حبشية، واستجزت أخذ أملاكهم على وجه الشريعة النبوية. فالمعارض كانت معارضته تقع في الاحتجاج، وكسر أركان الأدلة في جواز أخذ

---

(١) النهنهة: الكف والمنع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نهنه.
(٢) كذا في الأصل.

أموالهم. والهادي عليه السلام أخذ من أفقين[١] في بلاد المهاذر[٢] البقر والإبل والشاء والعبيد والخيل والحمر. هكذا في سيرته عليه السلام، إن اختلف اللفظ، لم يختلف المعنى - وإنما أردنا ذكر العبيد ففيه الإماء[٣] - وقسمها أخماساً على الغانمين أربعة أسهم، قسمها على سهام الله تعالى بينهم. وجاءت المهاذر تائبين فرد الخمس تألفاً لهم. ولو استبد بالمسكة، ولم[٤] يذكرها الهادي عليه السلام لجاز ذلك كما يعرفه أهل العلم. ومنها ما ذكر في عقبة الحرار وقصة الدينار[٥]، فأنت تعلم حاله. ومنها ما ذكر من الصلاة على مبارز[٦] التي لا أصل لها في علم الله سبحانه إلا أن يكون تأول، فقد ركب المحظور في اتهام الخطأ. ومنها ما ذكره من جفوة المساكين، وأنت تعلم حالنا في مالنا. فكيف في مال الله تعالى. وإن كنا لا ندعي أنا نعمهم نفعاً لما يعلمه الله سبحانه من العذر.

ومثل الذي ادعى أنه قيل فينا، قيل فيه أضعافه وقت ولايته

---

(١) أفقين: من قرى وادي علاف، بظاهر خولان، محافظة صعدة.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣، ٢٢٤؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٤٦٨.

(٢) يتضح من هذا النص ومما جاء في سيرة الهادي، أن المهاذر من قبائل صعدة.
انظر، العباسي، سيرة الهادي، ص ١٩٢ - ١٩٣. والمهاذر، عزلة من ناحية صعدة.
انظر، التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٩٠. وأودية المهاذر من الأودية الشرقية في سلسلة جبال خولان. الويسي، اليمن الكبرى، ص ١١٥.

(٣) في الأصل (والانما).

(٤) في الأصل (لم).

(٥) لا توجد أية معلومات عن هذه الأمور.

(٦) هو القائد الأيوبي مبارز هلدري الذي انضم إلى صفوف الإمام في عهد إسماعيل بن طغتكين.

كـما تعلم. وذكر أنه ذبح المسلمين والمساكين كما تعلم في مخـلاف حجـة وغيره على أعـيان الملأ، فتأولنا فيه ما يجـب أن نتأول في المسلمين الفـضلاء. وهـذه أمور تؤذن بـأنه لا يـريد الرجـوع إلى الحـق أصـلاً، إلا أن تـداركه نعمـة من ربـه، فنعمـة لا تحـصى. فـإن رجـع إلى الحـق فالرجوع به أولى، وهو أحـمد له عاقـبة في الآخـرة والأولى. وإن تمادى فـلا تدري ﴿لعل الله يحـدث بعد ذلك أمراً﴾[1] وعلم الله سبحـانه فلا أخـفت علم الله بـاطل[2]، فلا تجـد الغد. قـالت[3] طائفة من أهـل الـدين لقد كنـا عجبنا من طول استقـامة آل نشوان على الطريقة المثـلى؛ لأن عـادتهم لم تجـر بـذلك، ولا لهـم صبر عن السب والأذى، ولا سيما الطيبين من عتـرة المصطفى عليه وعليهـم صلوات الملك الأعـلى. لم يذكروا هـذا الكلام بهذا اللفظ، وإنمـا ذكروه بالمعنى. وأما قـول القاضي محـمد بـأنا لم نترك للصلح موضعاً، وأي فتـق فتقـناه عليه لنقصد فيه وجـه الرضا. فتأمـل بيت ابن الرومي. فـأما فعلة الخـولاني في محـمد، فبالله قسماً ما مالأنـا فيه سراً ولا جهـراً، إلا ما نـطقنا به على أعيان الملأ. فلما فعـل ما فعـل في حـقنا، أظهـرنا له الرضـا. وهـذه أبقى الله القـاضي بنيـات الطرق والنهـج الوسطى، وإلا فالآخـرة أدهـى من الأولى. وإلا فأكثـر ما يخـشى من مضـرة القـاضي، ومن سـلك منهـاجه ما يعتمـد من السب والأذى، فنعـم الأسوة لنـا في قـوله تعـالى: ﴿لن يضروكم إلا أذى وإن يقـاتلوكم يولوكم الأدبـار ثم لا ينصرون﴾[4]. فأما ما ذكرت من مشايعتنا وإيـثار جنبة الحـق، فـلا نـكره ذلك، ولكـن

---

(١) سورة الطلاق، آية ١.

(٢) في الأصل (باطلاً).

(٣) في الأصل (قـال).

(٤) سورة آل عمران، آية ١١١.

لا انتظام[1] له مع شقاق إخوتك لأنهم يسوؤك ما يلحقهم في أنفسهم، ويسوؤك ما يخرج من ألسنتهم. فانظر في ذلك، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وإن جعل القاضي محمد نفسه إلى لعلماء، فأقرب الناس رجوعاً إلى الحق وانقياداً له العلماء. وإن كان من المسترشدين المتوسمين، فأولى بالرجوع وأحرى. وهو لا يعد في الطبقة الثالثة السفلى، فانظر في ذلك نظراً مخلصاً.

فهذا ما عندنا، ما أبقينا ـ علم الله سبحانه ـ في النصح وجهاً.

فأما القاضي علي فأظهر الطاعة والتوبة، وأما محمد فلبث مدة طويلة مجتهداً في تنفير خولان، والمباعدة بينهم وبين الإمام عليه السلام، والغالب عليهم المحبة والانقياد للطاعة. فبعث القاضي مفرح بن مسعود لالتماس ما عند خولان وقراءة الرسالة عليهم، وما عليه آل نشوان. وكان بينه وبينهم ألفة وصحبة متقدمة. فلما قدم البلاد اشتد خوف القاضي محمد بن نشوان عند قدومه البلاد، وأراد السلام عليه فلم يخرج إليه إلا في جماعة قابضين السلاح. فتحدث معه وفاوضه فيما أقدم عليه، وأوقفه على الرسالة، فاعترف بصحتها. وقبل ما لزمه من أدلتها إلا في العشر الذي زاده الإمام في الظاهر على الزكاة في الزرع. وكان قد قرأ الرسالة على القاضي علي بن نشوان، فاعترف بصحتها، وأظهر الندامة على ما فرط. وذكر أنه باق على الطاعة، وأنه مغلوب على رأيه. وجاء كتابه بذلك في شعر قال:

جرى الواشي فأدرك ما أرادا . وفرق بيننا وجنى البعادا
وأورى الزند مجتهداً ولولا عصيت هناك ما أورى زنادا

(١) في الأصل (انتضام).

فكـاد يظن مـولانـا بـأنـا نسينا العهد أو خنا الودادا
وبعض الظن إثم حين يأتي بقول الزور من يبغي الفسادا
حليم القـوم لا يصغي لسمـع إلى واش وإن جهد اجتهادا
ومـولانـا أجـل النـاس قـدرا وأحـلمهـم وأعلم مـن أفـادا
وأكثـرهم بطبـع النـاس خُبْـرا وأفضـل سيـداً سـاد العبـادا
رضينـا حكمـه عـدلاً علينـا وليس يخيف من يبغي الرشادا
ألا من مبلغ الإخـوان عني نصيحـة من يـدلهم السـدادا
بـأني سـامـع أبـدأمـطيـع لمـولانـا مـريـد مـا أرادا
مجيب لابن حمزة طول عمري ومـعتـقـد إمـامتـه اعـتقـادا
رضيت بهـديـة وبـرئت ممن يـروم لـه خـلافـاً أو عنـادا
وقد عرضت مسائل مشكلات أردنـا لـلإمـام بهـا انتقـادا
فـأوضحهـا وحققهـا جميعـاً وكـان بحلبـة العلم الجـوادا
وأذهب عارض الشبهات عنا ودل على الصواب من استفادا
ولـولا ذاك لم يثبت إمـامـا ولم يك للهدى أبـداً عمادا
فـدام لكـل مشكلة محـلاً ودام لـكـل نـازلـة معـادا
ولا زالـت صـلاة الله دأبـاً ورحـمتـه تـعهـده اعـتـهـادا

وذكر في كتابه استقامته وطاعته، وأنه يمشي قدماً قـدماً، ويتبع الهدى علماً علماً. مستمر على الطاعة قـدر الإمكان والاستطاعـة، ساع بجهـده في تـأليف خـولان وتقريبهـم، وتثبيتهـم على كلمة الحـق وتأسيس الخيـر. وأعلمهـم أن الـذي كان من محـمد بن نشوان إنكار أشياء رويت عن ولاة الإمام عليه السلام، فكاتبه فأوضـح جوابها وبينهـا، واحـتج عليها احـتجاجاً بين فيه الحـق، وأزال الشبهـة، وشفى القـلوب، وأثـلج الصـدور. فقنـع الجـميع ورضوا بـذلك. فقـال، وربما وَهِمَ

موهـم: أن الـذي وقع في الناحـية من خير وانقياد كان سعيه وحـده، وأنه استبد بالصلاح دون من أعانه، وعند الله العلم بظاهـر ذلك وباطنـه.

وسأل رده على عوائده والمنافع التي كان يستعين بها على أمـره، ووكالات الأيتـام، والمساجـد، وتزويج من لا وَلّي لهـا من نساء المسلمين، ووكالته فيما كـان له من التصرف في الوصايا بحيـدان وخـيوان[1]. وذكـر أنه مقبل في الوقت لما أصاب بـلادهم من الجـراد. فأجـابه الإمام عليه السلام في كتـاب قـال فيه:

وأمـا الولاية على الأمور المخصوصة التي ذكرهـا، فلا بـد لذلك من مقدمات تـكون مشافهـة إن شاء الله، ومراجعـته فيما لا غنى عنه في تفاصيل ذلك. ولا غـنى عن تمام ما قد كـان شرع فيه من ابتدائه في الخـدمة والمرابـطة. فهـو يـعلم أنه أول كتـاب الدولة النبوية الإمامية. وصـاحب الدفاع عنها أشرار البرية. ولا بـد من غروس تـلك الأشجـار لتزكو ثمارهـا، وتونق أزهـارها. فهـو يعلم عموم التكليف، ولا يخـفى[1] هـذا الأمر على أربـاب العلوم والأديان والبصائر، والله يتولى التوفيق.

---

(١) خـيوان بفح الخـاء وسكون اليـاء. أرض خـيوان بن مـالك، وهي الحـد بين حـاشد وبكيل. وخـيوان عزلة من نـاحية حـرف سفيان، وخـيوان عزلة في ناحـيةُ حوث. وقرية خـيوان على بعد ١٠ ك م جنوب مدينة الحـرف. وتـقع ما بين:
٤٤″ ١٦′ ١٦° شمالاً،
٥١″ ٠٣′ ٤٤° شرقاً.
الهمـداني، صفـة جزيرة العرب، ص ١١٥؛ الحجـري، مجـموع بـلدان اليـمن، جـ٢ ص ٢١٥، ٢٢٣، التقسيمات الإدارية لعـام ١٩٨٥؛ التعـداد السكاني التعاوني لمحـافظة صنعـاء، جـ٢، ص ٤٤٥، ٤٥٨؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعـة 1644 C 1.

(٢) في الأصل (ولا مـدار).

ولما ذكر القاضي علي بن نشوان الجراد وما أصاب البلاد منها.

ذكرت من ذلك ما حدثني به محمد بن علي بن مهدي، وهو موضع أمانة وثقة من هجرة دار معين، وقد بعثه الإمام عليه السلام لقبض شيء من الحقوق الواجبة في جهة من بلاد خولان. قال: أكلت الجراد القريتين، وهي البلاد التي خالفت مع محمد بن نشوان خاصة دون غيرها حتى ما بقي لأهلها شيء من زرعها إلا ما لا خطر له. قال: وأكلت في بلاد شعب حي[1] زرع قوم أهل كراهة وبغضة للإمام عليه السلام، وبالقرب منه زرع لقوم أهل مودة ونصيحة، ما نالت منه شيئاً ولا ضرتهم بمضرة[2]. وانتقل في السنة التالية إلى بلاد ذويب[3]، فجاءت الجراد وأكلت زرعهم أيضاً. فذكر له ذلك بعض من حضر، فقال لا بد لي من الإقامة عندهم حتى يسلم زرعهم ويعرفون مدى فنهم[4]، يوهم أن هذه الحادثة [من][5] عوائد الدنيا، كما قال الكفار ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾[6] فانظر إلى السير في الأولين والآخرين من المنكرين، ما أشبه بعضها بالبعض.

---

(١) شعب حي من قبائل الحلف بخولان، وبلادهم من أعمال ساقين في ناحية خولان غربي صعدة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٩؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٠٢، جـ ٣ ص ٤٧٦.

(٢) في الأصل (ولا ضرتهم به لمضرة).

(٣) بني ذويب: قرية وعزلة في ناحية حيدان، قضاء خولان، محافظة صعدة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٥١، جـ ٣ ص ٤٧٦؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٤٥ ـ ٤٨.

(٤) فن بمعنى غبن، والغبن بمعنى الجهل وضعف الرأي.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فنن، ومادة: غبن.

(٥) ما بين القوسين إضافة.

(٦) سورة الأعراف، آية ٩٥. وفي الأصل (قد مر بابا السراء والضراء).

وبمثل ذلك حدثني يوسف بن عواض، وهو ثقة أمين، قال: نزل بأهل شظب [1] خصوصا من بين أهل البلاد الغربية ما لم ينزل بغيرهم. وكانوا قد أووا قوما مفسدين في البلاد، يقطعون السبل، ويقتلون النفس التي حرم الله بغير الحق، وهم من بني صريم يقال [لهم] [2] بنو غشم [3]. قتلوا الشريف محمد بن الحسن بن عبدالله بن كريم الينبعي الحسنى بقرية حوث. واتهموا بقتل الشريف فاضل من أولاد الهادي إلى الحق عليه السلام، وأخافوا السبيل، ولم يدعوا فسادا يقدرون عليه. وهم يأوون إلى أهل شظب، فأنزل الله على زروعهم عموما جرادا أكلت الأخضر واليابس. وخشوا على أنفسهم منها حتى أن رجلا كان يحمل على ظهره شيئاً فانحطت عليه، وألقاه من على ظهره وانهزم، وقطعت عليهم الأبراد التي ينسجونها [4]، وما استطاعوا دفعها، فأفزعهم ذلك، وعلموا أن ما أصابهم بما قدموه من خلافهم، وإيواء المفسدين. فأجمعوا على نفي بني غشم من بلادهم، فنفوهم عنها، وأظهروا التوبة والإبانة.

وحدثني قبل ذلك الأمير جمال الدين أحمد بن يحيى بن أحمد بن الهادي إلى الحق عليه السلام، قال: قدمت إلى بلاد الأبقور [5] من بلاد

---

(١) شظب: بالفتح، جبل واسع يطل على مركز السودة واليه تنسب سودة شظب.
المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٦٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٤٥٢.

(٢) ما بين القوسين إضافة.

(٣) غشم: بفتح الغين وسكون الشين، أحد أتساع بني صريم وتقع بلادهم غربي مدينة خمر.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٢١٦؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١، ص ٧١ - ٧٤.

(٤) في الأصل (الذي ينسجوها).

(٥) الأبقور، قبيلة من خولان بن عمرو لهم بقية في سحار، وبلاد الأبقور، عزلة من ناحية =

خولان فبايعت أهلها على طاعة الله تعالى، وإجابة دعوة الإمام عليه السلام عند بدو الحاجة إليهم لمخرج أو غيره. فبدت الحاجة، فدعوا إليها، فلم يجيبوا، وتثاقلوا عنها، وجاءت الجراد فما أبقت لهم زرعا. ومع ذلك فإن البلاد المطيعة النافذ أمر الإمام عليه السلام فيها من صعدة وأعمالها، والجوفين، والظاهرين، وبلاد الطرف - تمر عليها الجراد في هذا الوقت الذي أكلت فيه البلاد بكرة وعشية، وتمسي فيها، وتسرح منها، ما ضرت فيها بمضرة، ولا أكلت لأهلها زرعا. فكان ذلك معدودا في الكرامات التي خصه الله تعالى بها فيمن أطاعه، وإظهار النكال فيمن خالفه، وتعجيل النقمة لهم. وعرف ذلك المخالف والموالف.

وأتى كتاب القاضي مفرح بن مسعود من حيدان يحكي إقبال خولان وقربهم بعد النفار، واستمرارهم في تأدية الواجبات إليه. ويذكر محمد بن نشوان وقربه، وأنه قرأ الرسالة وقررها، وما بقي عليه إشكال إلا في الأعشار التي زيدت في الظاهر، قال زيادة إيضاح فيها. فأجابه الإمام عليه السلام بجواب نسخته:

الجواب عن هذا على وجه الجملة من طريقين: أحدهما أنه يجوز أن يجد الإنسان ما لا يجد الآخر. وأن لا يبدو له من وجوه الاجتهاد والقياس ما يبدو [1] للآخر، وما هذا بمستنكر عند أهل العلم.

وأما الطريق الأخرى فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تحزب

= صعدة، قضاء سحار.

انظر، الهمداني، صفحة جزيرة العرب، ص ١٢٩؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٥٤؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٩؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٩١.

(١) في الأصل (ما لا يبدو).

عليه الأحزاب، عزم على المصالحة، وصرم الأمر بثلث ثمر المدينة أو نصفه. اختلفت الرواة في ذلك إلى أن جاءه السعدان في حديث فيه بعض الطول، فقالا: يا رسول الله، هذا أمر من الله أم رأْي رأيته؟ فقال: بل رأْي رأيته. فقالا: يا رسول الله لقد كنا في الشرك وعبادة الأوثان فما طمعوا في ثمرة من ثمارها إلا أن يكون قِرىً أو شِرىً؛ فكيف وقد أعزَّنا الله بالإسلام وبك يا رسول الله؟! فلماّ علم صلّى اللّهُ عليه وآله صحة قولهما عن نفوسهما وقومهما بما شاهد من صبرهم وصدق نيتهم فجزاهم الله عن الإسلام خيراً؛ رجع وهو - صلى الله عليه وآله - لا يهم إلا بما يجوز أن يفعل، وإن لم يفعل كما استدل العلماء في نظائره من قوله هممت أن أحرق على قوم منازلهم إلى غير ذلك. والثلث أكثر من العشر. ولم يرد بذلك إلا ليدفع عنهم. ولو علمنا من أهل الظاهر الكفاية والحماية، ما كان لنا في أخذ المال منهم من غرض. ونحن لا ندخره ولا نستنفع به لخاصة نفوسنا، هذا يعلمه أهل العقول. ومع ذلك فقد رفضوا الجهاد بأنفسهم، ولا يصح عليه الإكراه لأن الذي يكره يرد، فيكون ضرره أعظم من نفعه. وبقي الجهاد في أموالهم، وقد أمكننا أن نكرههم عليه؛ لأن الله تعالى يعيذهم أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم. فوجوه جوازه عندنا كثيرة: إما لدفع الضرر الأكبر بالضرر الأهون، ولنا ولاية، وإما لأن الله تعالى يعيذهم بذلك فلم يفعلوا، وإما أن نكرههم على فعل ما لزمهم، وإما ان يكون عقوبة، فقد جوزنا العقوبة بالمال. واحتججنا بفعل علي عليه السلام في المحتكر، وقسم ماله نصفين، نصفا حرقه، ونصفا صرفه إلى بيت المال. وفعله عليه السلام عندنا حجة. فحرق، استدل على جواز الإهلاك. وصرف إلى بيت المال، ليدل على جواز المثول، والشرح في هذا يطول. وأكثر ما في هذا أن يفعل فعلا، والأفعال محتملة، والأصل السلامة. فأكثر ما يعتقد الإنسان في صاحبه أنه أخطأ في الاجتهاد، والخطأ فيه لا يوجب

صرم الولاية. ولا التبرى ولا العداوة. فكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يخطئون [١] بعضهم في مسائل الاجتهاد ويتولونه، كما قال ابن عباس: أما يتقي الله زيد بن ثابت، يجعل في المال نصفا ونصفا وثلثا [٢]، ذهب النصفان بالمال فأين الثلث. من شاء أن يتأهلني بأهليته إلى غير ذلك مما يطول شرحه، ثم لم يتبرأ بعضهم من بعض. فاعلم ذلك وأوقف القاضي عليه، فإن كان غرضه الحق ففي ذلك نحمد الله له سلفا [٣]. ولا نستبعد لمثله إصابة الحق. وما كان ظننا فيه ذلك فيما تقدم، وما نحن بمستبعدين رجوعه، إذا كان الغرض الحق، لم يقع اختلاف؛ لأن طريقته واحدة. فهذا ما انتهت إليه قصة آل نشوان إلى هذا الخبر.

فلنرجع إلى تمام قصة الأمير المؤيد في مدة إقامته بصعدة ومراحه بعد ذلك إلى تهامة. وذكر ما قيل من الأشعار، وما يتصل بذلك:

أنشأ الإمام عليه السلام هذا الشعر يذكر قوم المؤيد ومن صحبه من بني سليمان.

ديار سعاد ما ديار سعاد ... سقيتك وجداً هن منه صواد
وقفنا بها مستخبرين فلم تحر ... جواباً ولا ردَّت نِداءَ مُنادي
وماذا عسى يشفى غليل متيم ... تلثم نؤي [٤] واختلاف دوادي [٥]
ولا دارهم إن أوحشت بمريعتي ... ولا دارهم إن آنست بمرادي

(١) في الأصل (يخطئوا).
(٢) في الأصل (ثلث).
(٣) في الأصل (سفا).
(٤) النؤى: الحفير حول الخباء أو الخيمة. والنؤى: الحاجز حول الخيمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نأى.
(٥) الدوادي: آثار أراجيح الصبيان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دود.

ولا أنا ممن يشغل الحب قلبه   لغير ضراب صادق وطراد
سقى الله دارا صبحتها جيادنا   بفتيان صدق كالليوت عوادي
ولست بمستتسق لغزلان جاسم   ولا لديار الحي دون عراد
فدع ذا ولكن هل أتاها لقاؤنا   لكل جوادٍ ممتط لجوادِ
من الحسنيين الكرام ومن لهم   روائح من كسب العلا وغوادي
يقودهم ملك أعز مشيع   طويل نجاد السيف أغلب هاد
مؤيد أبناء هاشم ورئيسها   فتى كفه في المَحْلِ غير جماد [1]
فتى يكشف اللأوا [2] بطلعة وجهه   ويكفيك [3] في الغراء كل نآد [4]
وملمومة رجراجة حسنية   كركن ثبير يوم كل جلاد
ظننت بها والظن فيها حقيقة   إزالة صدى من خنا وفساد
فيا أيها الباغون في كل وجهة   رجمتم بأركان هناك شداد
أتتكم كأمثال البحار [5] وإنها   بحار طوام من قنا وجياد
أبعد اجتماع الطالبيين يرتجى   أخو الظلم عزا بارتقاء مضاد
أتتكم من الغورين غورتهامة   سَوَاهم قُبًّا فالحقوا بجراد
عليها حماة الروع في كل غارة   تصول ببيض في الأكف حداد [6]
إذا ما دعا داعيهمُ يال أحمدٍ   رأيت العدى كالزرع يوم حصاد

---

(١) جماد الكف: بخيل. ويقال للبخيل جماد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جمد.
(٢) اللأواء: المشقة والشدة والقحط.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لأي.
(٣) في الأصل (ويكشف) والتصويب من الديوان.
(٤) النآد: الداهية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نأد.
(٥) في الأصل (الجبال) والتصويب من الديوان.
(٦) هذا البيت غير موجود في الأصل، والأضافة من الديوان.

وإن قال داعيهم أعيدوا وجوهها   أعادوا [وقد أخمرن وهي بوادي][1]
بهاليل بسامون في حومة الوغى   يزيدون بأساً عند قول وراد [2]
لعمري لقد أحيا ابن قاسم غانما   ويحيى وأطفى من غليل فؤادي
سعى وسعى قوم كثير ليدركوا   غبار جواد ندّ كل جـواد [3]
إذا سيل معروفاً تهلّل وجهه   وأشجع من ذي لبـدتين بوادي
يطيف به من هاشم في صميمها   بناة العلا من حاضرين وباد
سـراة سليمان حمـاة رعيلهـا   بنـاة علاهـا نـور كـل بـلاد
لهم راية لم يألف الذل ظلها   إذا خفقت أودت بكـل معاد
حمتها سيوف الهند في كل ما قط   بـأيدي كمـاة كـالليوث وراد
تصدع قلب الجيش شدات خيلهم   وأيمانهم في المَحْلِ غير جماد [4]
صميم الصميم من ذؤابة هاشم   وحصني من بعد الإله ووادي [5]
سل الجوف عنهم يوم قاد ابن جعفر   إليـه جياد الخيـل أي مقـاد
دعا دعوة لبـاه سادات قـومه   ببتــر وجـرد ضمَّـرٍ وصعــاد
فما تركوا فيه مـراماً لـطالبٍ   وعادوا وقد فازوا بخير معاد
وزاروا إلى أكتاف مأرب زورة   أحلّت بأهل البغي صرصر عاد
بني حسن كيف الثوى وإمامكم   بكم يا بني بنت النبي ينادي
وهذا لواء الحق يخفق فيكم   وزاد التقى يا قوم أفضل زاد
خذوا الملك حلا واقبلوها نصيحة   وسيروا على علم [6] سبيل رشاد

---

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل، والإضافة من الديوان.
(٢) هذا البيت غير موجود في الأصل، والإضافة من الديوان.
(٣) هذا البيت غير موجود في الأصل، والإضافة من الديوان.
(٤) في الديوان أ، ب (بعاد) وفي ج، د (جعاد).
(٥) في الأصل (واا دي). والتصويب من الديوان.
(٦) في الأصل (عمر) والتصويب من الديوان.

فلا نوم لي حتى أراها عصائبا على باب بغداد كرجْل جراد
كتائب تردي في الحديد كأنها ليوث الشرى عاثت بسرب نقاد [1]

ومن قصيدة طويلة للفقيه شهاب الدين] بن] [2] حسين بن شبيب رضي الله عنه:

دع ظعونا[3] هاجها برق لمع فتبادرت لحصيب [4] المتجع
لمح الحي سناه في الدجى من جنى بعذيب [5] قد همع
وفراق جادها من بارق أرزم المزن عليها وهزع
فحدا حاديهم العيس ضحى من سديس ورباع وجدع [6]
وبغيد كالدمى قد أجفلت في حدوج[7] كالأشى[8] بين النسع [9]

---

(1) النقدة: الصغيرة من الغنم، والجمع نقد ونقاد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نقد.

(2) ما بين الحاصرتين إضافة.

(3) الظعن: سير البادية. والظعينة: الجمل يظعن عليه. والظعينة: الهودج. تكون فيه المرأة. والظعينة: المرأة في الهودج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ظعن.

(4) الحصيب هي مدينة زبيد.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٩٦؛ الإكليل، جـ ٢ ص ٦٨.

(5) العذيب بلدة من أعمال زبيد. والعذيب قرية وواد في حذرار غربي تعز.
الهمداني، الإكليل، جـ ٨ ص ٧١ ح ٥٨.

(6) سديس ورباع وجدع، واضح من النص أنها أماكن بتهامة لم استدل عليها.

(7) الحدج: من مراكب النساء يشبه المحفة، والجمع حدوج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حدج.

(8) الأشاءُ: صغار النخل، وقيل: النخل عامة، واحدته أشاءَةٌ، وتصغيرها أُشَيٌّ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أشى.

(9) المنسعة: الأرض التي يطول نبتها. ونسع من أسماء ريح الشمال.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نسع.

فتعفت دارهم من بعدهم … فهي كالرقش على متن النطع

ومحا كل ملث رسمها … غير نؤيٍ في ربا الدار قطع

وإثافٍ[1] خاشعات جثم … يعتري ذا الوجد منهن الهلع

وشجيج أشعث الرأس له … دفع الوبل بجنب فانصدع

والهُ عن ذكر[2] أيام الصبا … وزمان اللهو والخفض ودع

وشباب غضه ذو رونق … قشع الدهر سناه فانقشع

هل ترى ما فات منه راجعا … قلّ ما فات ضنين فرجع

واذكر الجرد تبارت بالقنا … من ربا عَتْودَ شعثا كالفزع

وتبارت من وساع ضمر … كسعال أو كجاريف[3] النقع

ثم صبيا ثم وادي ضمد[4] … كل طرف في رباه قد صدع

ثم جازان وشطى خلب[5] … وربا تعشر فيها لم يقع

وأقلت سحبا من حرض … برقها البيض إذا البيض لمع

ورقاق عمها القين حلا … كل عضب كلما هز قطع

ودلاص سابغات أحكمت … كشعاع الشمس في الحق سطع

حشوها الغلب مصاليت الوغى … واللهاميم إذا النكس خنع

من بني حيدر أرباب العلا … كاشفي الغمة في يوم الفزع

---

(١) الإثفية: الجماعة من الناس. وتأثفوا بالمكان: أقاموا فلم يبرحوا. والآثف: التابع.
والأثاف: الحجارة التي يوضع عليها القدر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أثف.

(٢) في الأصل (تذكار).

(٣) في الأصل (جاريف).

(٤) في الأصل (حمد).

(٥) الأودية المذكورة، عتود، صبيا، ضمد، جازان، خلب، تعشر. من الأودية التي تقع في سهل تهامة، شمال حرض. انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٧ ـ ٩٨؛ ١٣٥ ـ ١٣٦، ٢٣٢.

ومنها:

سل بهم أبنا الصليحي وما كان منهم في الوغى خلف رمع[1]
وليوث الغاب من نهم أما سحروهم بالقنا حين شرع
قادهم للفخر ماضٍ عزمه قد تردّى بالمعالي وأدّرع

ومنها:

قاسمي الجد فياض الندى غانمي الجد للفضل جمع
إن أقل ما قلت في مدحي أجد لمديحي في علاه المتسع

ومنها:

وتبارت بخموس شزبا للقا البدر بها حين طلع
فغشاهن للبدر سنا قشع الشك وديجور البدع
وهمام جوده متعنجر صدق الآمال فيه والطمع
وسمت أمواج[3] بحر زاخر فيضه الدر وفي العلم برع
خالص الجوهر طود شامخ باذخ المجد وللبغي قمع
نشر الأعلام أعلام الهدى ولرب العرش طوعا قد خشع
عزيز مترف ذي ميعة عن هواه وغواه قد ردع
لم يفده الملك كبرا إذ جرى كم رفيع قدره الكبر وضع
إنما المنصور في هذا الورى كغريب عن معانيه شسع
ما بها كان خليقا غيره هل تساوي البازل الضخم الربع

---

(١) رمع بكسر الراء وفتح الميم، واد يصب في البحر الأحمر، في شمال وادي زبيد. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٨٢.
(٢) في الأصل (فيغشاهن).
(٣) في الأصل (أمراج).

وكانت إقامة الأمير المؤيد عند الإمام عليه السلام في خواصه وحاشيته. وفي مدة الإقامة، وهي شهر وثلاثة عشر يوما، كان يحضر مجلسه الأميران السيدان شيخا آل الرسول في الوقت بعد الوقت، وسائر الأشراف من بني سليمان ومواليهم، ومن صحبهم من بني حكم - حي من أخيار مذحج بتهامة - بكرة وعشية، لا يكادون يفارقون مجلسه الكريم. وكانت مجالسه عليه السلام مجالس الذكر في السفر والحضر، وأوقاته مرتبة، له وظائف [1] لا بد منها على مرور الليالي والأيام. لا يتشاغل بشيء عنها، ولا ترفع إليه حاجة في الأغلب حتى يقوم بها. منها قراءة شيء من القرآن الكريم من بعد صلاة الفجر إلى بعد طلوع الشمس، ويزيد قليلا وينقص. ومنها للقراءة عليه في كتب الأخبار وغيرها، وسماعها عنه. ويعرض عليه في خلال [ذلك] [2] المسائل ممن يحضر من العلماء وأهل المعرفة في كل فن من فنون العلم، فيبينها ويوضحها. ويروي من الأخبار والقصص السالفة ما يعجز عنه البلغاء وأهل المعرفة إلى ضحوه. ومنها الاشتغال بحوائج الناس العامة والخاصة، وتصدير الكتب إلى البلاد، والإجابة عن الوارد منها، والجواب عن المسائل والفتاوي وغيرها إلى آخر النهار.

ومن بعد صلاة المغرب، القراءة عليه في الأخبار وغيرها إلى قدر ثلث الليل أو ربعه، وفي عرض هذه الأشياء، لا يفارقه كتاب يقرأ فيه. هذا مع الصوم المستمر الشهور والأعوام، إلا في النادر عند قدومه إلى أهله فيقع السؤال، فيفطر اليومين والثلاث، وإن كان قليلا ما يتصل بهم.

ولقد أقام عند ولده محمد وأمه وهي من أحب أزواجه إليه

---

(١) في الأصل (وضايف).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

وأخصـهن [١] عنده ثلاث سنين وتزيد قليلا، كلما هم بزيارتهم عاقت عوائق، آثر فيها رضا الله سبحانه، أو يصيبه مرض. وكان كثيرا ما يصيبه صداع شديد في رأسه، فيفطر لأجل ذلك إن خشي مضرة، وربما يصوم معه في بعض الأوقات.

فهذه طريقته وسيرته في أوقاته على مر الأيام سلام الله عليـه. وكان ممن حضر مجلسه مدة إقامتـه الأمير المؤيد أحمد بن عيسى الحكمي، وله معرفـة وعلم، وكان يـرى رأي المُجْبرة للأنـس بهـم والتربية بينهم بتهامـة. ولا يزال يعترض عليهم في مسائـل، ويخطّئهم فيها. وكان شديد الحـرص، كثير البحث عـن مسائل الخلاف بين أهل العـدل والمجبرة، فيورد المسائـل، ويناظـر عليها، فيجيبه الإمـام عليه السلام بالحجج الباهـرة القاطعـة، والأدلـة الظاهـرة التي يعلـم صحتها من أراد الانصـاف وتـرك التعصب. وكان ذلـك دأبـه حتـى يبين له الحـق. وكان فقيه من مخـلاف اليمن قد أورد مسائل الخلاف بين الزيدية والمجبرة، وبعث بها إلى الشريف سليمان بن حمزة السراجي[٢]. وكـان قد ناظـر فقهاءهم، وقد اجتمعوا بحصـن حب أيام قدوم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة إليه، فاستظهر عليهم، وبين فساد ما هم عليه فعرفوه لأجل ذلـك. وسأل صاحـب المسائـل الجواب عنهـا من الإمـام عليه السلام، فأجاب عنهـا الإمام عليه السلام بالأجوبـة الشافيـة عن المسائـل المنافيـة وقد أوردت في المجموع من تصانيفه. وكانت تقـرأ بحضور أحمد بن عيسى الحَكَمي

(١) في الأصل (أخصاهن).

(٢) الأمير سليمان بن حمزة الحسنى السراجي، كان عالماً منصفاً، راوية للأخبار، مقدماً في الحروب، اختارته المطرفية ليكون واسطة بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة لتحديد موعد يختبرون الإمام فيه.

ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٢ ص ١٢٦.

فتعجبه أدلتها، فسأل نساختها لينشرها عند فقهاء المجبرة بتهامة ويستظهر بها عليهم، ويطلب منهم الجواب عنها، فنسخت له. فراح وقد انغرست محبة الاعتقاد عنده بما شاهد عند الإمام عليه السلام من الأدلة القاطعة، والبراهين الواضحة، والسعة في كل فن من فنون العلم حتى لقد حكى لي من سمعه يقول: لو كان بعد محمد صلّى الله عليه وسلّم نبي ما تجاوزنا هذا الإمام إلى غيره. ولقد سمع له خطبتين في عيد الفطر يعجز الفصحاء والبلغاء عنهما، أنشأهما في الحال ارتجالاً. سألته بعد ذلك نساختهما، فكتب لي ما ذكر منهما، فأوردته في المجموع فيما علقت من خطبة عليه السلام، ووافق قوله بيتاً من قصيدة الحسن بن عزوى، وأنشدت في صعدة في تلك الأيام، وهو قوله:

لو علمنا بعد النبي رسولاً ... كنت أولى بأن تكون الرسولا

والقصيدة:

يا حماماً تبيت تدعو الهديلا ... هجت للمستهام داء دخيلا
أنت في الوجد والغرام عقيدي ... وإلى من أحب كن لي رسولا
وَتَحمَّلْ عني سلامي إلى مَنْ ... أودع الصبَّ لوعةً وغليلا
ما لحب الطلول نبكي ولكن ... لفراق الحبيب نبكي الطلولا
فعسى أن يعود ربعك مأنـ ... ـوساً ويضحي الحلال فيه حلولا
فإن تبدلت عبر ألف فإني ... لم أجد لي بمن هويت بديلا
وكما جرر الحبيب ذيول الـ ... وشى جرت بك الجنوب ذيولا
كم جمال على الجمال تولى ... لم أجد يوماً[1] أن صبري جميلا
وغضيض اللحاظ يحكم في الـ ... ـقلب إذا ما أراد طرفاً كحيلاً
يا هلالا أضل لبى ومن شأ ... ن هلال السما يهدي السبيلا

---

(١) في الأصل (يوم).

عمرك اللّه كم تظلم والبد ... ر عليه لا يظلمون فتيلا
والإمام المنصور قد نشر العد ... ل وحاز البلاد عرضاً وطولا
وأطاعت له الأعاجم والعر ... ب وأضحى صعب القياد ذلولا
حتى ظللت[1] تعتلي في العليا ... ء علياً وجعفراً وعقيلا
ولشَيخَيْ آل الرسول الأميريـ ... ـن غدا الأمر مبرماً لا سجيلا
التقيين الطاهرين الزكييـ ... ـن المقيمين سنة لن تزولا
صفوتي مظهر الهدى القائم الها ... دي إلى الحق أصدق الناس قيلا
من يرد نيل خطه فليقبّل ... كف يحيى بن أحمد تقبيلا
والأمير المجيب دعوة مولا ... نا فَيُهدى لـه[2] الثناء الجزيلا
صفوة القاسم المؤيد باللّـ ... ـه الذي مجده غدا مستطيلا
من إذا سار بالكتائب تلقى الـ ... ـعوالي عليه ظلاً ظليلا
صاحب الوالس الذي صاغه اللّـ ... ـه أخا ذي الفقار عضباً صقيلا
[ ][3] فزار الـ ... ـرعب نجدا ومازناً والسحولا[4]
ما لأهل الندا بني الغانم الملـ ... ـك ابن يحيى في الناس يلقي مثيلا
شرف اللّه قدركم يا بني الزهـ ... ـرا فعذراً فما عسى أن أقولا
بمحيا الإمام يا سائلي عنـ ... ـه ترى النور ساطعاً والقبولا
زره في أيما زمان تجده ... مولعاً بالصيام إلا قليلا
وتجد[5] سؤدداً وعلماً ونسكاً ... ووقاراً ونايلاً مبذولا

---

(١) في الأصل (صلت).

(٢) في الأصل (إليه).

(٣) ما بين الحاصرتين مكان لكلمتين مطموستين في الأصل.

(٤) السحول: عزلة بناحية المخادر، قضاء المخادر، محافظة إب.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٤٦؛ التوزيع السكاني في محافظة إب، جـ ١ ص ٥١ ـ ٥٤.

(٥) في الأصل (وتجدد).

يا ابن بنت النبي أفضل خلق اللـ ـه أعني محمداً والبتولا
وشبيـه النبي خلقـاً وخلقـاً وكـذا تشبه الفـروع الأصـولا
ما مقال الحسود فيك وقد حز ت الخصال التي بهرن العقولا
لـو علمنا بعـد النبي رسولا كنت أولى بأن تكون الرسولا
رب خبت إلى لقـاك قطعنـا ه بعيسٍ تحكي الهلال نحولا
وقفار لولاك مـا جازت العيـ ـس بها في الظلام تمشي الذميلا
وطلى ركبهـا من النوم ميـل وهي تطوي الفلاة ميلاً فميلا
وكـأن الـظلام والصبـح بـاد مشكلات أقمت فيها الـدليلا

ونسخت الرسالة التي صنفهـا الإمام عليه السـلام إلى جهات كثيرة لمن أراد الانتفاع بها ممن هو متصل ببلاد المجبرة. وأمرني الأمير عمـاد الدين يحيى بن حمزة بنساختهـا له مع أشياء من تصانيـف الإمام عليه السلام، وقـد وردت عليـه مطاعـن من روافـض الشيعة المطرفيـة وسواهـم، فأجاب عنهـا الإمـام عليه السلام. وأراد الأمير جمعهـا، فامتثلت أمـره المطاع، ونسخـت ذلك، وأنفذت به إليـه بعـد مراحـه من صعدة، وأصحبْتُهُ أبياتاً ممـا توليت نظمهـا وهي:

إليك عماد الدين أُهديتُ تحفةً يشـابه منثور اللآلي كـلامهـا
على لفظها نور النبوة ساطع تـولى أميـر المؤمنين نـظامهـا
هدية علم صاغها منه خاطر صفا فَلَكَمْ من حُجَّةٍ قد أقامها
مبـرهنـة تُحيي قلوبـاً عليلةً وتُبري من الداء العضال سقامها
ففرغ لها يا ابن الأئمة خاطراً وأَوْعِ لها سَمْعاً وعظِّمْ مقامها
دلائلها أمضى من السيف مضرباً وأنفذ من زوراء مجّت سهامها
تهد من التشبيه والجبر ركنه وفرقة أهل الطبع تدمغ هامها
فيا فرقاً والت بجهل شيوخها وعادت على غير الصواب إمامها

فكانت كأعمى قاد عمياً وسلمت [إليه][(١)] على نهج الضلال زمامها
فأوردها ظلماء ذات متالف وليس سوى الهندي يجلو ظلامها
يطهر[(٢)] منها الأرض منصور هاشم قريباً ويشفي من قلوبٍ أوامها
ويملأها بالعدل شرقاً[(٣)] ومغرباً ويغشى يماني البلاد وشامها
وإنك يا يحيى حسام بكفه فعجل بخد المشرفي انتقامها
وشمر لفتح الأرض بالسيف عنوة وجرع نفوس الظالمين حمامها
فكم غارة شعواء أثرت قيامها وملمومة خرساً فكنت إمامها
وخيل تولت كنت في الروع خلفها وأَمَّتْ إلى الأعدا فكنت أمامها
ورجراجة ملء العجاج قصدتها فأخضبت للفرخ الجوامع عامها
وكم طالب من سيب كفك ثروة أفضت عليه سخيها ورهامها
فأمسى نبيها بعد أن كان خاملاً وأهدت إليه الأغنياء سلامها
ولا زلت يا يحيى بن حمزة تمتطي أعالي ذوي العليا وترقي سنامها
وتشجي الأعادي والموالي تسره وتُلقي بنو جوى إليك خطامها

وأتى رجل فقيه من أهل زبيد إلى صعدة، وهو من علماء المجبرة، ورواة الأخبار، فكان يحضر مجالس الإمام عليه السلام مدة إقامته. وحكى أن الرسالة وردت بزبيد على يد الشيخ أحمد بن عيسى الحَكَمي، وعرضت على الفقيه ابن أبي [ ][(٤)] مع طائفة من الفقهاء وهو من العلماء المشهورين بزبيد فأراد منهم من أراد الجواب عنها فمنعهم عن ذلك وقال: لا يعارض الإمام إجلالاً لمكانه، وتعظيماً لحقّه.

---

(١) إضافة ليستقيم المعنى والوزن.
(٢) في الأصل (ويطهر).
(٣) في الأصل (شوقاً).
(٤) ما بين الحاصرتين كلمة مطموسة في الأصل مكونة من حرفين أو ثلاثة.

وكان هذا الفقيه في ابتداء وصوله يتعرّضُ للبحث والمناظرة، حتى جرى بينه وبين الفقيه بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع كلام في مسألة خلق الأفعال، قطعه فيها، ولم يهم بعدها بمناظرة. بل كان يحضر فيسأل الإمام عليه السلام سؤال مُسْتَفْتٍ، ويتلقّى الجوابَ بالقبول، ويقبل الحجة عليه. وكان من جملة ما جاء به من الكتب، سيرة النبي صلّى الله عليه وسلّم في كتابين، كاملة، مسموعة بإسنادها إلى مصنفها ابن هشام، وهي على هذه الحال معدومة في البلاد.

وكان الإمام قد عُني في نساختها من كتب قد تقطعت أوراقها، وذهب بعض كتابتها، وهي غير مسموعة. وكان يريد إنفاذ رجل لنساختها من زبيد أو غيرها، والإنفاق على ذلك. وأراد تصحيح الذي أمر بنساخته على هذه النسخة، فوقع الابتداء في ذلك. وعزم الفقيه على المراح، وضاق الوقت، فعارضه رجل من أصحاب الإمام عليه السلام في بيعها، فوجده قريباً إلى ذلك. فأنهى العلم إليه، فوكله في الشراء، وسلم إليه الثمن فشراها منه [وكنت من أشير بشيء تحصل عنده عليه السلام][1] وأمر للفقيه بكسوة، وراح شاكراً.

وأتى من الحسن بن عزوى شعر بعد مراحه إلى حوث، واتفاقه بالأمير الفاضل الأمين، محمد بن الإمام عليه السلام، وهو في الكتاب. وكان قد أمره بالوصول إلى حوث أيام الخريف، فلبث فيها شهوراً، ولم يقع اتفاق بينه وبين والده سلام الله عليهما، مع طول المدة للعوائق، وإيثار رضا الله تعالى. فحكى الحسن بن عزوى فيه مع صغر سنه، من خصال الخير الدالة على بركته ما قاله في شعره هذا:

يا قاطعاً بالبكر عرض فلاته ... يصل الغدو به إلى روحاته

(١) يبدو أن ما بين الحاصرتين جملة مشطوبة في الأصل، وذلك لوجود الكثير من الشطب والتعديل فيها، الأمر الذي جعلها غير واضحة.

عرج بسوح الفضل حيث سمت به | رتب المفاخر في علا درجاته
واقر السلام على الإمام نسيمه | كنسيم ريا المسك في نفحاته
واذكر سلالته وأنشد خدمة | عني تخبره بحسن صفاته
قولا له إني رأيت محمداً | فعرفته بك مشبهاً بشياته
ولثمت راحته وفزت بلثمها | وغنمت ما خولت من بركاته
وتصفحت عيني صحيفة وجهه | فرأيت نور الدين في قسماته
ورأيت يوسف لم يقد قميصه | ورأيت زين العابدين بذاته
ورأيت فيه بشائراً بشرتني | بطوالع العزمات من راياته
وعجبت من صبر الإمام ونأيه | عنه وطول بعاده وأناته
وسألته مستنطقاً لكلامه | فلقطت نثر الدر من كلماته
وكأنه ابن الأربعين مهابة | ولعله في السبع من سنواته
وجعلت أعجب من حداثة سنه | وذكاء منطقه وحسن ثنائه
وعلمت أن المرء من آبائه | وجدوده والغصن من دوحاته
ما كان غرساً طيباً من أصله | لم يختلف منه جنى ثمراته
مسحت يد المهدي رأسي مسحة | كادت به تسود بيض شواته
وهب الدعاء وأنت مالك أمره | فأجزْ لنا منه جزيل هباته
فاللّٰه يمنعه بوالده الرضى | ويمتع المولى بطول حياته

وللقاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي في مثل ذلك:

أمير المؤمنين ظننت سبق الـ | أمير ولم تخب فيه الظنون
يسرك فيه أخلاق وخلق | ونطق حين تسأله مبين
وحاز مكارم الأخلاق طفلاً | دوين السبع وهو بها قمين
يباحث عن غوامض معجزات | يحار لعظمها الحبر الفطين
يحدثنا عن المهدي قوم | وعند جهينة الخبر اليقين

حذا أفعالك الغر اللواتي ... حسودك دائماً منها حزين

سبقت بني الزمان وسابقتهم ... وينكر سبقك الغاوي الغبين

فإن يكن الورى جداً كريماً ... فأنت الروح منه واليمين

أدلت الدهر من جور بعدل ... فرب الجور مضطهد مهين

وسؤت الناكثين فحظهم في ... حياتهم التأسف والأنين

وأحييت الندا والدين حقاً ... ولولا أنت مات ندا ودين

لأرض لم تشاهدها اشتياق ... إليك وللورى فيها حنين

فلو مشت البلاد إذا لأمست ... مداينها ببابك والحصون

ولو عقلت نجوم الجو كانت ... لأمرك تستمر وتستكين

ولو نطق النبات إذا لأنبت ... على أفعالك الحسنى الغصون

يمين المادحون سواك دأباً ... ومادحك المبالغ لا يمين

مديحك لا يطاق وإن توالت ... معان فيك أبكار وعون

ويظلم من يقيسك مثل بحر ... وليث شرى يهاب به العرين

ويجهل من يقول بأن بدراً ... يماثل حسنه منك الجبين

علوت عن المثال فَدُمْ جمالاً ... فأنت لكل ذي حُسْنٍ تَزينُ

أمير المؤمنين إليك مني ... سلام فتى لعهدك لا يخون

إذا درست حبال أخي مذاق ... فحبل وداده أبداً متين

وأنشأ الإمام عليه السلام إلى ولده الأمين محمد بن عبد الله كتاباً[1] يحضه فيه على ملازمة الدرس، والصبر عليه، والتنقل من فن إلى فن نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليك. فإنّا نحمد الله إليك، ونسأله لنا فيك بلوغ المراد، والهدى إلى الرشاد، أما بعد.

---

(١) نسخة هذا الكتاب ذكرها حميد المحلي في الحدائق الوردية جـ ٢ ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

فإن أولى الناس بالفضائل من كانت النبوة أصل شجرته، والوصية بذر ثمرته، والخلافة نسيج نسبته، ووشيجة لحمته. وكان مسرحه في كلأ شرع جده شارعة، ومعقله في ذروة طود مجد والده فارعة. وإن أمير المؤمنين قد تفرس فيك فراسة رجا فيها الإصابة، وقضت له فيك[1] بالإصابة والنجابة. فإياك أن تكذب فراسته، أو تخيب ظنه. وعليك بالصبر فإنه مر المبتدأ، حلو العاقبة. شمر في درس العلوم فإنها حياة النفوس، وجلاء القلوب. وآثر من ذلك الأهم فالأهم، فأول ما تبدأ به معرفة الله سبحانه فإنها رأس العلم، وقاعدة الدين، ومغناطيس النجاة، فتفهمها بالبراهين[2] وتوابعها، ولوازمها، وما ينبني عليها وينضاف إليها من أفعاله تعالى، وأحكام أفعاله، وما يجوز عليه وما لا يجوز. وما يجوز أن يفعله، وما لا يجوز أن يفعله. والنبوات، والشرائع، والإمامة وتوابعها، وما ينبني عليها. وأتبع ذلك علم اللسان العربي، إذ لا يصح علم الشرع الشريف إلا به. ثم بعد ذلك تعلم أصول الشرع وفروعه بأدلتها وعللها وقياساتها[3]، وما يشهد لها، ويدل عليها من الأقوال والأفعال النبوية. واعتمد بعد ذلك [على][4] ما صح لك من إجماع الأمة والعترة.

اجعل العلم[5] مطيتك والعلم دليلك، والحق سبيلك، ولا تركن إلى الاغترار. وتفكر عند سكون جوارحك من الحركات في طاعة الله، لتكون قد ألزمت قلبك ما يجب عليه من طاعة ربك. ولا تسأم الدرس، وتمل إلى هوى النفس، واغنم أيام الفراغ، فيوشك أن يشغلك الناس

---

(١) في الأصل (لك) والتصويب من الحدائق الوردية جـ ٢ ص ١٩٣.

(٢) في الأصل (البرهان) والتصويب من الحدائق الوردية جـ ٢ ص ١٩٣.

(٣) في الحدائق الوريدة جـ ٢ ص ١٩٣، (وأسبابها).

(٤) إضافة من الحدائق الوردية، جـ ٢ ص ١٩٣.

(٥) في الحدائق الوردية، جـ ٢ ص ١٩٣ (العترة).

بأمورهم عن أمر نفسك، فتكون لهم إلى بلوغ أغراضهم إما مالكاً أو[1] مملوكاً [قد][2] ضيعت الأهم من غرضك. وبادر أيام الشبيبة أن تنفد، فما فات منها فلن يرتد، وليس له بدل ولا به عوض. وعليك بالحلم والتواضع لمن أخذت منه العلم[3] خصوصاً ولسائر الناس[4] عموماً. والزم الرفق والأناة إلا عن اكتساب الخيرات وفعل الطاعات. فبادر ما استطعت، فإنه ميدان سباق. وأكره نفسك على الطاعة لتذوق حلاوة الجزاء والمثوبة، ولا تنس نعمة الله سبحانه عليك بشرف[5] النصاب النبوي، وفضل النجار العلوي، الذي تقاصرت دونه الأنساب، وخضعت له الأعناق. وأهن[6] نفسك في العلوم لتعز في الدنيا والآخرة. وعليك بحسن الخلق فإنه عنوان الإيمان، وإياك والعجلة، فإنها حبالة الشيطان، وتحفظ في[7] منطقك من عثرة اللسان. ولا تكثر الضحك فإنه يميت القلب، ويورث الأحزان. وإياك ومجالسة السفهاء فإنها مجانبة للإيمان. وعليك بتوقير أهل الأسنان، واعرف لأهل الحقوق[8] حقوقهم، وأنزلهم في نفسك منازلهم. ولا تظلم عند القدرة، وأقل العاثرة العثرة، إلا أن تعلم [أوتظن][9] أن ذلك مؤد[10] إلى التمادي في الطغيان. واشكر على القليل، وجاز على الإحسان

---

(١) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (وإما).
(٢) إضافة من الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤.
(٣) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (العلوم).
(٤) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (المسلمين).
(٥) في الأصل (فشرف). التصويب من الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤.
(٦) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (وأمر).
(٧) فب الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (من).
(٨) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (الحق).
(٩) إضافة من الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤.
(١٠) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (مؤداه).

بالإحسان. وأنصف خصمك من نفسك قبل أن يلجأ إلى حاكم لا يصغي إلى الأذهان، واستشعر خيفة الرحمن في السر والإعلان[1]. واعرف حق والديك وأده، وصل رحمك، واخفض للمؤمنين جناحك، وأحسن طاعة من وليك، وسياسة من وليته. ولا تكثر النوم فإنه يورث الفقر في الدنيا والآخرة. وشمر عن ساق الجد، ولا تيأس من إدراك المطلوب. ونفس ـ ما[2] استطعت ـ كربة المكروب. واحمد الله على كل حال من رخاء و[3] شدة، ولا تجعل نعمة الله عليك دليل الرضا، ولا محنته لك دليل الغضب، فإنه قد يبتلى وليه[4]، ويستدرج عدوه. فكن عند المحنة أرجأ منك عند النعمة. واذكر ربك [في الرخى يذكرك][5] في الشدة. ولا ترضا لنفسك بصغار الطاعات مع طلبك كبار الدرجات، فليس مع الراحة حاجة والسلام عليك [ورحمة الله وبركاته[6]].

وكتب أبياتاً[7] في معنى ذلك إلى الأمير الأمين محمد بن الإمام عليه السلام.

يـا غـادياً تفـري أديـم الفـدفـد	ميـلاً فميلاً لا تُنيخُ بمـورِدِ
تطوى به لجج الموامى حسرة	تصل النهار بجنح ليل أسود
فإذا اشتكت لفح السموم فقل لها	يا ناق صبراً تستريحي في غد

(١) في الأصل (الاعان).
(٢) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (أن).
(٣) في الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤ (أو).
(٤) في الأصل (المؤمن) والتصويب من الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤.
(٥) إضافة من الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤.
(٦) إضافة من الحدائق الوردية، جـ٢ ص ١٩٤.
(٧) يبدو أن هذه الأبيات ليست من شعر الإمام عبد الله بن حمزة؛ لأنها غير موجودة بالديوان، كما أن الأبيات الأخيرة من القصيدة فيها مدح للإمام.

لا تطمعي بمعرس في منزل ... حتى ترى في حوث وجه محمد
فإذا نزلت بسوحه ورأيت غـ ... ـرته فسبح باسم ربك واسجد
واقرأ عليه من السلام تحية ... كالعنبر السحري والورد الندى
والثم ثرى قدميه إعظاماً له ... فإذا استقر بك القرار فأنشد
أسليل عبد الله أفضل من مشى ... فوق الثرى من مغور أو منجد
قد جاءت الأنباء عنك بكلما ... يشفي الأوام ويبرد القلب الصدى
ومخايل شيمت فخففها بصبرٍ ... في الدراسة يا محمد وزادد
قالوا له فضل على أترابه ... في حلمه وذكائه المتوقد
وكأنه ابن الأربعين مهابة ... وهو ابن سبع من سنى المولد
قلنا الذي شاهدتموه لجة ... من لجة في موج بحر مزبد
لا غرو أن أباه بان صلاحه ... للأمر في عز فلم لا يقتدى
ولخمس عشرة شبَّ نيران الوغى ... للطالبين وكف كف المعتدى
وأقام للدين الحنيف قناته ... بشبا القنا وبحد كل مهند
وبضمر شعث النواصي قادها ... من كل شطبة[1] وشيظم أجرد
القائم المنصور من شهدت له الـ ... ـفضلا ولست - وحقِّه - بمفنِّد
ورث الخلافة والمصفى جوهرا ... من غيره موصوله بمحمد
جاءته ترفل في قشيب برودها ... فاقتادها طوعاً بفضل المقود
وزكاء هذا الفرع من هذا وطيـ ... ـبهما معاً من طيب هذا المحتد

رجع الحديث إلى تمام قصة المؤيد:

كان يحضر المجالس، ويسمع المسائل ويشير بما يقع من الاستظهار على المجبرة، ويدافع مدافعة حمية على مذهب الزيدية.

(١) في الأصل (سبطة). ورجل سبط الجسم: طويل الألواح. والشطب من الرجال والخيل: الطويل الحسن الخلق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سبط؛ مادة: شطب.

ويحمد الله تعالى على ما صار إليه من طاعة الإمام عليه السلام. ويقسم مراراً ما دعته إلى ذلك رغبة في مال ولا خوف من عدو يضطهده في بلاده من شريف ولا غيره، ولا كان قصده إلا رضا الله تعالى، وما ينال بذلك من الفخر والأجر في دنياه وآخرته. ويدرك من ذلك ما لم يدرك آباؤه وأجداده من قبله. وكان قد ذكر تجديد الولاية له، وظهر ذلك منه لما عزم على المراح، فجرى الكلام في ذلك والمنازعة. فمن قائل أنه يريد الولاية ليزداد قوة باسم الإمام عليه السلام في بلاده على المظالم التي كانت عليه ويؤديها[1] أمراء بني سليمان واحداً بعد واحد. ومن قائل بخلاف ذلك ويحسن به الظن لما قد أظهر من التوبة، وأكد ذلك الأيمان. ويقول: لو أراد الاستقامة على ما كان عليه لم يحل بينه وبينه حائل. وكثر الشرح في ذلك حتى أثر عند السيدين الأميرين أنه يريد زيادة قوة في أمره على المظالم، وهو رأي الشيخ محيي الدين محمد بن أحمد النجراني[2]، ومن انضاف إليه من الشيعة. ونازع عن ذلك وقال: تولية الظالم لا تجوز في مجمع حضره الإمام عليه السلام، والأميران شيخا آل الرسول، والشيخ أحمد بن حجلان، والشيخ محيي الدين بن أحمد بن الوليد[3] والفقيهان

---

(١) في الأصل (ويواديها).

(٢) الشيخ العلامة محيي الدين محمد بن أحمد النجراني، كان إماماً في العلوم، متبحراً متصرفاً تصرف المجتهدين. توفي سنة ٦٠٣ هـ.

ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ١٣٥؛ إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ١٥٤.

(٣) شيخ الإسلام محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي، أحد مشايخ الإمام عبد الله بن حمزة، بلغت مصنفاته المشهورة ٢٧ مصنفاً، منها: منهاج السلامة، ومختصر تهذيب الحاكم. توفي سنة ٦٢٣. يقول عنه يحيى بن الحسين: إنه كان على مذهب الاعتزال، ويرى تقديم المشايخ الثلاثة على أمير المؤمنين علي. وكان يرى أن طريقة الإمامة العقد والاختيار. ويكنيه بدر الدين. =

أبو القاسم بن حسين بن شبيب، وعلي بن أحمد الأكوع، والقاضي محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبـي النجم، والقاضي عطية بن محمد بن حمزة[1] متولى[2] أمر القضاء وقبض الحقوق بحلى[3] وأعمالها. فهؤلاء الذين حضروا ـ علماء الدولة وفضلاؤها ـ سوى من جمعه ذلك المحضر. فوقعت المراجعة في ذلك. وكلهم يرجع إلى رأي الإمام عليه السلام، وكان تجديد الولاية وإقراره عليها لعلمه أن أحداً[4] لا يسد مسده، ولا يقوم في بلاده مقامه، ولا يمضي أحد أمراً على الشرفاء[5] والموالى سواه. ونازع في ذلك الشيخ النجراني خاصة وقال: رأْي الجماعة هو رأي في تأخيره عن الولاية. فإن جرت الولاية بغير دليل ولا حجة تأخرت عن هذا الأمر. فقال له الإمام عليه السلام: إني لا أحفل بمن تأخر عني إذا كنت على نهج الحق والبصيرة في أمري. وأنا أرى جواز ولايته لإظهار التوبة والإنابة، وما أكده بعد ذلك من الأيمان. ولأن الظلم إذا تعقبته التوبة سقط حكمه. ولأن ولاة النبـي صلى الله عليه وآله كانوا عبدة الأوثان قبل دخولهم

= انظر، عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ ١ ص ٥٧؛ يحيى بن الحسين، المستطاب، ورقة ٣٧؛ الطبقات، ورقة ٦٧؛ إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ١٥٣.

(١) القاضي العلامة ركن الدين عطية بن محمد بن حمزة بن أبـي النجم تولى القضاء بحلى بن يعقوب، وكان من أكابر علماء عصره. توفي بعد ٦٤٦ هـ.
إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ص ١١٢؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٣ ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) في الأصل (يتولى).

(٣) حلى: بفتح الحاء وكسر اللام، يعرف بحلى بن يعقوب، وهو ميناء على ساحل البحر الأحمر في آخر حدود تهامة اليمن.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١؛ الأكوع، البلدان اليمانية، ص ٩٥.

(٤) في الأصل (أحد).

(٥) في الأصل (الشرف).

في الإيمان، فما نقصهم ذلك ولا ضرهم لما تابوا.

وهذا الأمير قد تاب، وهو أقرب منهم إلى الحق لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، ومن أمير المؤمنين عليه السلام، فوقع الإجماع بعد بيان الحجة والأدلة، ومتابعة الإمام عليه السلام فيما رواه. وافترقوا على ذلك، فلما كان من الغد حضروا وحضر الأمير المؤيد وقال: قد وصلت تائباً إلى الله تعالى، داخلاً في رضا الإمام عليه السلام، وسألتُ تجديد الولاية لأتم أوامر الله سبحانه، وأزيل من بلادي المنكرات والمظالم الظاهرات. ولا نتعدى[1] ما يوجبه حكم الشريعة. وأريد أن يتوجه معي أحد هؤلاء العلماء لأمضي أوامر الله تعالى عن أمره، ونقيم الجمعة، ونولي الولاة لقبض الحقوق الواجبة، والقضاة لإنفاذ أحكام الله[2]. فيكون شاهداً علي، ولي فيما عقدته من نفسي. وقد حضر هذا المجلس من يجب اتباع أمره، فإن رأيتم في ذلك صلاحاً فانفذوا الأمر به، وإن رأيتم خلافه نزعت يدي منه في الحال. ووقفت في خدمة الإمام عليه السلام فيمن أحب الوقوف معي من أصحابي، ومن أراد القدوم إلى تهامة منهم، فذلك إليه. وكنت أنفذ من يأتيني بأولادي ومن يخصني، ولكم النظر في أمر البلاد بما شئتم. مع أني أعلم أن أحداً لا يصدق بذلك مني، ولكن فاخبروني. فتحدث الأمير شمس الدين معه بكلام وجيز، جمل فيه أمره، وأثنى عليه فيما عرض من نفسه. ثم تكلم الإمام عليه السلام بكلام بليغ، ذكر فيه ما يلزم من تجديد التوبة في الحال، والخروج من عهدة ما يلزم من المظالم المتقدمة، وردها إلى أهلها. وإن لم يبق لها مالك معين فإنها تعود إلى بيت مال المسلمين، في حديث طويل. فقال: أما التوبة وإظهارها فأنا

---

(١) في الأصل (نعدى).

(٢) في الأصل (إليه).

إلى الله من التائبين؛ ولذلك أتيت. وأما الخروج من عهدة ما يلزم من المظالم فما[1] علمت أني أحتكر منها ديناراً ولا ذهباً ولا فضة، ولا قبضته. وقد كنت أتحرى[2] لنفسي، ولست أجهل أنه يلزمني ما قبضته. فكان ما تحصل من الجبايات والمكوسات في البر والبحر، أصرفه في العسكر من الشرفاء والموالي. والذي أملك من ذهب وفضة وغيره، إنما هو من مزارع ومستغلات من أطيان موروثة، ومن معدن الملح. وهذه الأشياء يدي عليها قارة، فإن طولبت في شيء منها، ووجب عليّ التخلي منه بما توجبه الشريعة، تخليت بحكم الله تعالى.

ووقع الإجماع على توليته. وكتب له منشوراً مشـروطاً[3] بطاعة الله تعالى، وطاعة الإمام عليه السلام، والقيام بأوامر الله تعالى من الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، ورفع الفساد والمظالم، وإقامة الجمع، والعدل في الرعية، والرجوع في أحكام الشريعة وما تقتضيه أحكامها إلى أهل العلم والدين. وجعل أمر ذلك إلى الفقيه أبـي القاسم بن حسين بن شبيب، وأمره بالقدوم معه إلى حرض لينفذ الأوامر على يديه بما أراه الله تعالى. وقراءة المنشور بالولاية على الناس عموماً، ليعلموا شروطه، وما يطالبون به من الحقوق لله تعالى من غير زيادة ولا نقصان. وتجهز الأمير المؤيد للمراح، فأمر له الإمام عليه السلام بأربع من جياد الخيل، وخلع عليه وعلى أصحابه وخواصه خلعاً سنية، وسائر العسكر من البرد إلى الاثنين من الحرير الصرف وغيره على قدر حاله. وصدر الكل على حالة جميلة، شاكرين مثنين عليه بما هو أهله. ونهض الحاج من صعدة

---

(١) في الأصل (فيما).

(٢) في الأصل (أتحر).

(٣) في الأصل (منشور مشروط).

لنهوضه، فسار فيهم أحسن سيرة، ورفق بهم في طريقهم حتى وصلوا إلى حرض. وكان عليهم هنالك مكس كثير، فما طولبوا بدرهم فرد. فلما وصلوا بعد الحج، جمعوا له شيئاً من ثياب وغيرها باسم الهدية، فلم يقبلها منهم. فألحوا عليه في أخذها وجعلوه وجعلوها باسم البر فقبلها منهم على هذا الوجه.

حدثني حميدان بن أحمد بن شيعان، وهو ثقة أمين قال: لما قدم الأمير المؤيد إلى حرض، أظهر رسوم العدل في البلاد التهامية، وأزال ظواهر المنكرات، وأزال المكس عن الناس، والقوانين التي كانت على أهل الصناعات في بلاده، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقيمت الجمع، وأذن المؤذنون بحي على خير العمل بمدينة حرض، وسائر قرى تهامة.

وكان في البلاد قحط عظيم وجدب لم يُسْمَعْ بمثله حتى أشرف الناس على الهلاك. فعطف الله تعالى على خلقه برحمة منه عقيب وصول الأمير المؤيد، وإظهار العدل في البلاد. فأنزل الله سبحانه عليها عموماً مطراً غزيراً بلغت سيوله مواضع لم تبلغها من قبل ذلك، فانسرت البلاد، وكثر الخير، ونزلت البركة، واستبشر أهل تهامة. واعترف الموالف والمخالف أن ذلك من بركات الإمام عليه السلام.

وجاء كتاب الفقيه شهاب الدين أبـي القاسم بن حسين بن شبيب من تهامة بعد مدة يذكر قدوم الأمير المؤيد إلى طيء[1] وأعمالها بعد منافرة

---

(١) طيء: من قبائل اليمن المشهورة، تنسب إلى جلهمة بن كهلان، وطيء فرعان، الغوث وجديلة، ولكل فرع عدة بطون.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٤٨ ـ ٤٩؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٥٦١.

جرت بينهما لأمور أحدثها وأقدم عليها من غير مشورة له، وذكر أنه استلف من أهل البلاد طوعاً وكرهاً مع ما صار إليه من بيت المال، وفرق عليهم ضيفة على شدة الحال، والقحط الذي أصاب البلاد. قال: هذا بعد أن أشعر الناس أنه تاب وأناب، ونزع نفسه من المظالم، وقطع حبال المآثم، وأقيمت الجمع بحرض وغيرها. وكان قد أمرني بأخذ البيعة على عماله ونوابه، فبايعتهم، وأعلمتهم أن التوبة لا تصح إلا بالتخلص من الظلامات، وصرف ما في أيديهم من الأملاك، وأن أملاكهم تعود إلى بيت المال. وأعلمته أنه لا يجوز أن يأخذ معونة ولا ضيفة ولا فرقة، وعند عماله من بيت المال ما ينفقه على الأجناد. فدافع عنهم، فرأيت صحبته على التخفيف من المناكر، وإقامة بعض الشريعة أولى من تركه عملاً بما أوصاني به المولى عليه السلام. وأغضيت له عن[1] أشياء منها تضييع البلاد، والتهوين على أهل الفساد حتى زالت الهيبة التي كانت في قلوبهم. ومنها: إطلاق أيدي عماله في [مال][2] الرعية، فيأخذون منه أكثر من الواجب. فيأتون إليّ فيستغيثون، فأكلمه في أمرهم فلا يحفل بكلامي. ففارقته وباينته لذلك.

فكتب إليه الإمام عليه السلام في آخر كتاب كلاماً نسخته:

وأنت تعلم أنك لست في غضاضة، وليس في بني حسن أعرق في الإمارة، ولا أقمن بالرئاسة منك. أنت الأمير ابن الأمير ابن الإمام ابن الرسول صلى الله عليه وآله، ولم تدخل في هذا الأمر عن ضعة؛ وإنما كان ذلك منك رغبة في حيازة شرف الآخرة مع شرف الدنيا، ولا يحصل ذلك إلا بصبر شديد، وعزف النفس عن المراد، ولا سيما إذا

---

(١) في الأصل (على).

(٢) إضافة ليستقيم المعنى.

كـان أكثر الأصحـاب يشير بخـلاف ذلك، ويـروم الرجوع إلى السيرة الأولى وتـرك الـطريقة المثـلى. فـإن لم تـر ذلك يستقيم له على الوجـه الشرعي، ولا تجـد عليه معيناً، كـنت تخـرج من عهـدة ما أكرمت نفسك من العهـود إلى الله سبحانـه. وإن كان لا خروج عنها، إذ هي فرض الله سبحانه على جميع خـلقه. ففي المسلك سعـة في الدنيا. واقتد بمن قـرب من الآبـاء؛ لأن الطبقة الأولى منهـم كانوا أئمـة هـدى، سـلام الله عليهـم، وعلى أرواحهـم في الملأ الأعـلى. فلقد كـانوا على حـياة الـدين حـراصاً. ولقوا الله تعـالى من حـطام الـدنيا خـماصاً، وأمضـوا[1] هواجرهـم صياماً، وأحـيوا دجـنة لياليهـم قياماً. فحـصدوا ما زرعـوا سروراً ولقوا نـضرة وحـريراً ﴿أولئك الـذين هـداهم الله وأولئـك هـم أولواْ الألباب﴾[2]. واعـلم أنك [إن][3] فـارقت منهـاج الـدين أشمـت بنا من نـابـذناه عنك. وإلى الآن نحـن مكاشـرون، فانـظر في ذلك نظراً مخلـصاً، فلا يـصلح الأمر المخـتلط، ورأس الـدين الورع، وعمـوده الصـبر. قـال الله تعـالى: ﴿وجعلنـا منهـم أئمـة يهـدون بأمرنا لما صـبروا﴾[4]. واعـلم أنّا شُمُسٌ[5] على المـلوك الجـبابرة الـذين يـملأون الـدنيا جـنوداً وهيبة، وذلك لضعـفاء أهـل الحـق، لأن مـدار الإمامة على أهـل الـدين فجعلنـاهم بـطانة، وصنا يـد أهـل الـدنيا طهـارة. ولكـل عمل لا تحسنـه الأجر، فلا يـغب عنا عـلمك بما تجـمع عليه رأيك بعد الاستخـارة لله سبحـانه والسلام.

---

(١) في الأصل (وأضمـوا).

(٢) سورة الزمـر، آية ١٨.

(٣) إضافة ليستقيم المعنى.

(٤) سورة السجـدة، آية ٢٤.

(٥) شمس: شديد العـداوة، وشامسه: عـاداه وعـانده.
ابن منـظور، لسان العرب، مـادة: شمـس.

ولما راح الأمير المؤيد إلى تهامة، وجه الإمام عليه السلام الأمراء عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم، وصارم الدين إبراهيم بن حمزة، وعلم الدين سليمان بن موسى في ذي القعدة من سنة تسع وتسعين لحرب آل منصور، وهم حي من أحياء بكيل، وحي أرحب، وقبيل ذيبان. وكانوا قد تمادوا في الضلال من قطع السبيل، ومنع الحقوق إلا القليل منهم. ولم يكن الشر فيهم عاماً، ولكن غلب المفسد وتغافل عنه المصلح. وكانت حركات الحق إذا تقوت جاءوا وخضعوا، وحلفوا ونكثوا، وتمادى ذلك منهم مرة بعد أخرى. فكتب الإمام عليه السلام في آخر كتاب يحض على حربهم قال: واعلموا أنكم إن غفلتم عن حرب آل منصور حتى يرجعوا إلى الصواب صاغرين، نهضت لحربهم مستعيناً بالله. فيا عجباً كل العجب! كفيتموني ملوك الأعاجم، فما تكفوني مثل أولئك. خذوهم حتى لا يأتين إلا خبرهم، فأنتم سيوف الحق، وليوث الشرى. فالحمد لله واستعين الله لكم، فقد علمتم تمردهم على الله سبحانه، نهبوا ذمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسفكوا دماء المسلمين، وقطعوا السبيل .فاخمدوا نارهم، فأنتم ترجون الأكثر من أمرهم، ولسد ثغر أشد من ثغرهم. فما هي من أبي بكر ببكر. وكانوا قد أخذوا مال يهودي من مضر[1]، أتى من صنعاء يريد صعدة. ولقوا قطاراً[2] خرج من صعدة يريد صنعاء في نواحي ورور[3]. وكان فيهم قوم من عانس[4] حي من جنب، فقاتلوا عن

---

(١) مضر: قرية من عزلة الرياشية، ناحية رداع، محافظة البيضاء.
التوزيع السكاني في محافظة البيضاء، ص٣٨؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

(٢) في الأصل (قطار).

(٣) ورور: بفتح الواو وسكون الراء. جبل وواد في بني جبر بناحية ذيبين. شمال شرق =

نفوسهم وعن القطار. فأحاطوا بهم من كل جانب، وقتلوا منهم ثلاثة رجال بالسهام. ورموهم رَمْيَ بَطَرٍ حتّى أنهم أصابوا رجلاً واحداً منهم بخمسين سهماً.

فلما وصلت العساكر إلى ظاهر بني صريم، وتوجهت إلى ناحيةخرفان[1] من بلد بكيل، جاءوا ساقطين من أيدي الأمراء، مستشفعين بمن طمعوا بقبول شفاعته من الشرفاء والعرب. مظهرين التوبة باذلين الرهائن، والخروج مما وقع، وحلفوا على ذلك أيماناً مغلظة على رد ما أخذوا أو الحكم. فقبل الأمراء منهم ذلك، وانصرف كل منهم إلى جهته.

فلما تفرقت العساكر عادوا إلى المعتاد من نكثهم، ولم يؤدوا مما كان عندهم إلا الأقل. فلما صح ذلك منهم أمر الإمام عليه السلام إلى الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة يأمره بغزوهم وأخذهم، والاستعانة بالله سبحانه عليهم. فأنشأ غزوة في ذي الحجة فيها الأمير علم الدين سليمان بن موسى، وكانت الخيل قدر أربعين فارساً ومائتي

= قرية ذيبين.

الحجري، مجموع بلدان اليمن جـ ٢ ص ٢١٩، جـ ٤ ص ٧٦٤؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٧٤٣؛ خريطة ج. ع. ي، ١ : ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 A 1.

(٤) عانس: يبدو أنه اسم لأحد بطون جنب الصغيرة. ولم أستدل على أية معلومات أخرى عنها سوى أنهم يقيمون في وادي هران.

(١) خرفان: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء آخره نون، جبل عال وقرية من بلد مرهبة الدعام.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٠ ح ٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٥٢؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٢١.

رجال. فوصلوا هران[1] وهو واديهم والذي عليه مدارهم، وهو من أجل أودية اليمن قدراً. وكانت نفوسهم تحدثهم أن ملكاً لا يقدر على وطئه[2] إلا بجنود وعساكر متكاثفة، والحرب تكون منهم عليه قائمة. فلما دنا الأمير صارم الدين من الوادي، أمر على مقدمته الأمير علم الدين في قطعة من الخيل، وأصعد فيه، ووصل على أثره إلى الدروب فجاز بها، فأخذ خمسة دروب منها بما فيها من أثاث ومتاع. وحاز من عبيد الوادي قدر خمسين عبداً فعفا عنهم ولم يقتل إلا رجلين من العبيد. وقطعت الخيل على ولد لعلي بن حسان، وهو من مشايخهم وكبارهم، فمن عليه بعد وصوله درب ظالم[3] من الجوف. وكان لازمه حاتم بن عمرو بن عطوة الشهابي، وهو من رؤساء الدولة وفرسانها، فكساه ورده. وأخذ من البقر والحمير قدر ستين رأساً أو سبعين رأساً، وقليل من الغنم، وما حوته . الدروب من أثاث وطعام. ونزل من القوم طائفة يحاولون الحرب، فاستوثب عليهم الأمير علم الدين في أفراس فمزقهم كل ممزق، وطيرهم في رؤوس الجبال .ثم عادوا إلى الجوف ولبثوا مدة إلى شهر المحرم

(١) هران: بلد وواد بناحية ذيبين.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٩ ح ٦؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٥١؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣١١؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

(٢) في الأصل (وطاية).

(٣) درب ظالم من قرى الجوف الأعلى بالقرب من قرية السوق.
ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٠٠؛ زبارة، أئمة اليمن، جـ ١ ص ١١٥؛ يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، ورقة ٥٨.
ويقال أن درب ظالم هي الآن قرية درب المحاسنة من عزلة الزاهر.
انظر، التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥، ناحية الزاهر، مكتب أراضي وعقارات الدولة بمحافظة الجوف.

أول سنة ستمائة، فغزاهم الأمير صارم الدين غزوة أخرى في قدر ثمانين فارساً. وكانت الجمال على ما حكى ثلثمائة بعير، والرُّسُلُ خلق كثير. وكان آل منصور قد عسكروا في واديهم طمعاً في منعه، فجاءتهم أوائل الخيل فقاتلوها. وكان في أولها السلطان حاتم بن عمرو بن عطوة الشهابي، وفضل بن زياد الوادعي الهمداني، ونامى بن حسن مولى أبي عزيز قتادة بن إدريس الحسني وهو من جياد الفرسان في ذلك اليوم، وغيرهم. فحملت الخيل عليهم، وتوسطهم نامى وقبض شيخاً من شيوخهم، ورجعت عنه الخيل، فأحدق به القوم، فطعنه رجل منهم برمح فأصابه في فخذه. وحملت عليه الخيل فاستخرجته، وانحاز القوم إلى الجبل وتركواالوادي. وكانوا قد رفعوا عنه الحيوان، فوقع العسكر في الزرع، فحمل كلا ما أراد. وكثر التباين فيما حمل منه، ووقع الاتفاق أنه حمل منه زايد على مائتي حمل. وجاء آل خبش[1] وهم أحد قبيلتي آل منصور، فسألوا الأمان لشيخ لهم، فأعطاهم الأمير صارم الدين له أماناً. فوصل إليه وسأله ذمة ستة أيام فأعطاه ذلك. واضطرب القوم اضطراباً شديداً، ثم رجع العسكر سالماً غانماً ما راب[2] أحد رأب إلا صوائب في العسكر سليمة. وقد وقع في القوم صوائب ما توفى عليها. وعاد

---

(١) خبش: بفتح الخاء والباء. واد يأتي من أعالي أرحب ويصب في الجوف. وربما ينسب هذا الوادي إلى آل خبش أو العكس.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٥، ١٥٩ ـ ١٦٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ١٩٦.

(٢) راب دمه: إذا حان هلاكه أو إذا تعرض لما يسفك دمه.
وراب بمعنى يسوء أو يزعج. ورابني الأمر أي نابني وأصابني.
انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة روب، مادة ريب.

الأمير صارم الدين، وهو على أنهم إن لم يأتوا طائعين لم يقلع من غزوهم وأخذهم. وهم خلال ذلك يعرضون أغاليطهم الأولى، ورهن ما لا يعتد به، أو يحلفوا على جاري عاداتهم - من خبش - أيمانهم الكاذبة، فلم يقبل ذلك منهم.

ودخل شهر صفر وهويريد النزول إلى الجوف الأسفل وبلاد بني منبه للإصلاح بينهم في أحداث حدثت بينهم، ويقوموا بزراعة الغيل سدال. فنزل وأراد ذلك منهم فتشاكسوا في ذات بينهم، ولم يتفقوا في أمر الزرع. ولم يكره الأمير تأخيره لما يخشى من حدوث الشر بينهم، ويكون أذى لهم فأخروه. وتقدم إلى الخلق[1] في أسفل الجوف وهي قرية السلطان جحاف بن حميدان. وكان أهلها قد تظاهروا فيها على المنكر من شرب الخمر والملاهي، فشد عليهم شدةعظيمة، وعاقب من يستحق العقوبة منهم. وكانوايظنون أن جحافاً يمنعهم، فيفزعون إليه فلا يدافع عنهم، ولا يتشفع فيمن عوقب منهم، ولا من يستخف به من أهل الفساد ويقول لمن جاءه، إن الأمير قد عاقبني فكيف بكم! والأمر إليه فيكم، فانقادوا وصلحت أحوالهم. وأقام في البلاد متفقداً أمورها ويصلحها مدة حتى أتاه راشد بن منيف بن عبد رب، ومنيف بن ضيغم، وهما شيخا جنب والمجابان فيهم. وسألاه القدوم معهما إلى الإمام عليه السلام إلى صعدة، يريدان القود لمأرب، فنهض معهما. وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفي المحرم أول سنة ستمائة للهجرة النبوية صلوات الله على

---

(١) الخلق: قرية ومركز عزلة وناحية الخلق بالجوف.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦.

صاحبها، قدم الفقيه الفاضل سليمان بن عبد الله السفياني من شوابة فحكى للإمام عليه السلام أمور أهلها، وما ظهر فيها من المنكرات، وعلو كلمة السفيه، وتَغَافُل الغافل عنه، وقلة اعترافهم بحق الفقيه وانقيادهم لأمره فيما يحكم به عليهم، وما يصيبه من الأذية من غير تظاهر بذلك. وكان ولد شيخهم عيسى بن ذعفان قد مال إلى آل منصور بغير رضاه على ما ظهر، وشايعهم على الفساد، وقطع السبيل، ونهب المسافرين، وانضم إليه قوم تظاهروا على الفساد. فكتب إليهم الإمام عليه السلام لسبع عشرة ليلة خلت من الشهر يذكرهم بالله تعالى، وينهاهم عن نواهيه، ويعنفهم فيما فعلوه مع الفقيه، ويعذر إليهم، وينذرهم، ويحذرهم التعرض لهلاك نفوسهم وأموالهم. ويأمرهم بعمارة مسجد جامع كان قد أمر بتأسيسه، وبذل لهم المعونة في عمارته، وحضهم عليه، وأخذهم بالشدة واللين، والوعظ والتذكير. وهو من أبلغ الكتب، وأحسن خطاب أنشأه عليه السلام في الوقت مع كثرة الأشغال نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله، سلام عليكم. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فإن أسعد الناس بالدنيا من اشترى بها الآخرة التي تبقى، وإنّ أشقى الناس بها من كدح فيها كدحاً استوجب به النار وغضب الجبارِ الذي لا حَدَّ له ولا انقضاء. وإنّ لله عباداً اصطفاهم لدينه، وفضلهم على جميع بريته، واستخلفهم في أرضه واستشهدهم على خليقته؛ عترة نبيه صلى الله عليه وسلم المستحفظين، بقية النبيين، وسلالة خاتم المرسلين. هم في الناس بمنزلة الرأس من الجسد، بل بمنزلة العين من الرأس فأجلوهم من

الجلالة حيث أجلهم الله سبحانه. اقتدوا بهم تسعدوا وترشدوا. وفيهم خبث كما في الذهب والفضة، ولهم خلاصة كخلاصتها. فلا يصدنكم الخبيث عن التمسك بالطيب. إنا أهل النبوة والكتاب، كنص المحكم من الكتاب. قال الله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾[1]. فلم يمنع فسق الفاسقين من وجوب اتباع الوارثين الصادقين. ألا وإن أمير المؤمنين لما ولاه أمر عباده وبلاده، منحة منه يجب الصبر عليها، ونعمة يتوجه الشكر إليها. دعا إلى سبيل ربه بالحكمة المتقنة، والموعظة الحسنة. فأجاب الناس بألسنهم، وعصى الأكثر منهم بأفعالهم وقلوبهم، ونام أكثر المستيقظين، وعمى أكثر المبصرين، وصم جل السامعين. وتفرقوا عن أمرٍ هم أحوج الخلق إليه، وكرهوا حِلاً هم أسعد الناس به و ﴿لكل نبإمستقر وسوف تعلمون﴾[2]. ولما كانت بكيل سار[3] همدان، وكانت بشوابه هجر بكيل ورغبنا في صلاح أهلها، اخترنا لها من يناسبها في الخير والفضل، ويشاكلها في الحال والنبل وهو الفقيه العالم الكامل سليمان بن عبد الله السفياني تولى الله توفيقه، وجعل طريق الصالحين طريقه. وجرت قضايا الاتفاق العجيبة أن كان من أهلها نسباً وداراً وأصلاً ونجاراً[4]، فلما استقر بها قراره، وعمرت بها داره مقوماً لأودها

(١) سورة الحديد، آية ٢٦.
(٢) سورة الأنعام، آية ٦٧.
(٣) كذا في الأصل وربما كان المقصود (سور). والسورة بمعنى الرفعة والشرف والمنزلة.
وسور الإبل كرامها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سور.
(٤) النجار: الحسب والنسب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة نجر.

طارداً للددها، معرفاً لها معالم دينها، وشعائر نسكها، ومنهاج سلامتها وسبيل رشدها. فوقت له سهام العداوة، ووترت له قياس العناد، وأججت نيران الفساد، ومنعته بالخذلان والمعارضة من إنفاذ الأوامر، وتنكيل كل فاجر. وركبت مراكب الهلاك، وشاع الربا، وظهر المنكر، وعلت كلمة السفيه، وصمت العاقل، وطغى الجاهل. وظن أن الإهمال على مرور الأيام والليالي، كلا ليكونن لأمير المؤمنين، لا يستثنى إلا مشيئة الله سبحانه، ولكم أيام مناقشته، تملأ قلب المحسن سروراً، وتصلى وجه المسيء سعيراً تجد فيها ﴿كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾[1] هنالك يستقبل المفسد وقد جف قلمه، ويندم حين لا يغني عنه ندمه، ويروم الانتعاش وقد زلت به من حالق قدمه. فكم هنالك من فاسق طالما رفع رأسه تمرداً وعتواً، يود لو تسوى به الأرض. ومن مرخى له رسنه[2] طولب بالنفل والفرض. فأحزم الناس من أصلح نفسه قبل المناقشة والمحاسبة، وعلم أن العاقبة لمن وعده إلى الحكم بالعاقبة، فأنصف من نفسه نفسه، ومثل ببيته رمسه، واستقال، والإقالة مشروعة قبل أن يطلبها ممنوعة. فانظروا في صلاح أنفسكم قبل أن تحملوا عليه كرهاً، ولا تعذروا من الفعل، ويكون لغيركم الأجر. فإن أجهل الناس من كان ثواب فعله لغيره، وأحسدهم من كان نفع كسبه لسواه.

إن أقرب عقوبة تنزل بكم أن تطالبوا بحق الله وتدعوا إلى حكمه،

---

(١) سورة آل عمران، آية ٣٠.

(٢) الرسن: الحبل.

ابن المنظور، لسان العرب، مادة: رسن.

لئن كان ذلك ليذهبن من أكثركم ماله، ومن أقلكم أكثر ماله. وليعتبرن بكم من كان الصواب لكم الاعتبار به، فإن أشقى الناس من كان موعظة لغيره.

عمرت مجالسكم باللغو واللعب، وعطلتم مساجدكم من الذكر والأدب، وتثاقلتم عن الجمع، وتنازعتم إلى البدع. كأن مطالبكم نائم، ولئن نام أمير المؤمنين فإن جبار السموات والأرض لا ينام، ولا يغفل ولا يضل ولا يجهل. فارحموا أنفسكم من التبعة في الدنيا ويوم القيامة. ونابذوا المفسدين ولا تكونوا بطانه للمضلين، فإن مرتع الاعتزاز وخيم، وقواعد الظلم والعدوان لا تستقيم. فكم مغتر بالمهلة فاجأته العقوبة، وأهلكته التبعة، ولم تنفعه الندامة، ولا قبلت منه المعذرة، ولامكن من الرجعة. فصار تفريطه عليه حسرة، وتذكاره له ندامة، ومعذرته عليه حجة، وندامته عقوبة. فعليكم بالنظر في حلول الغير فإن لكل أجل كتاب، ولكل منا مستقر. وإن [كل] [١] عامل يوفى أجر عمله يوم القيامة، وإن عامل الدنيا آخره النار عقوبة، ولا تعد الجنة مطلبا [٢]. وإن الخلود في النار أعظم أهوالها. وإن الخلود في الجنة أجل أحوالها. وإن يوما أو ليلة يتوقع فيها مفاجأة الموت لقمينان أن تكونا موطن مخافة، ومحل فزع. ولئن تركنا - والموقوت وما فيه وهو الموت - ليحقن عظم الخطب، ويهونن فادح النكب. وإن بعد الموت أهوال الحساب وفواقر العقاب. ولئن انقطع العقاب ليهونن عظيمه ولتضعون كثيره. ولكن لا سبيل إلى الإنقطاع منعت من ذلك آيات الخلود، ووجوب ذكر الوعيد. فعليكم بالصلاة فإنها عمود الملة وتاج السنة، والزكاة فإنها طهرة المال ونماء الكسب، والصيام

---

(١) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) في الأصل (مطلب).

فإنه جنة من النار، والحج فإنه شريعة الخير وسبيل التواضع، والجهاد فإنه سنام الدين والأمر بالمعروف والنهْي عن المنكر فإنهما عنوان الصلاح ومفتاح النجاح. وإياكم وقذف المحصنات، وإتيان الفاحشات، وشرب المسكر فإنه مفتاح كل شر ويوجب في الدنيا الحد والنكال، وفي الآخرة العذاب والوبال. ألا وإن الربا من الكبائر، وإن فاعله حرب لله ولرسوله قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون. وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [1]. وإن حرب الله وحرب رسوله حرب لنا، وعدو الله وعدو رسوله عدو لنا. ولا صلح بيننا وبينه إلا بهلاك نفسه، واجتياح ماله. وما خبره بعد ذلك، يخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. وما ضركم لو جعلتم نصيبا من أموالكم لمساجدكم، فخففتم من ظهوركم، ونقصتم من أوزاركم. وكان إذن على أمير المؤمنين معونتكم، وحمل ما نهضكم. وما عليكم لوسميتم عدة معلومة تبعثونهم إلى كل وجه من الجهاد يدعوكم إليه أمير المؤمنين. فيعلو بذلك ذكركم، ويعظم أمركم، وتودع بطون الأوراق أفعالكم. فجددوا ما كان لآبائكم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الذكر الجميل، وتحيوا بذلك سنن الصالحين. فإنا نرجـو أن يطول الله سبحانه مدة دولة الحق حتى تنقطع في ضمنها أعناق الجبارين المنكرين، وهي قشيبة البرد عالية الحد دائمة السعد، فما ذلك على الله بعزيز.

أما إني أقسم قسماً ليزول ريب المتعللين ويتراخى تلبيس المتأولين بالأزواج المقدسة والأشياخ المطهرة، محمد أبي، وعلي جدي، وفاطمة

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٨ - ٢٨٠.

أمي، والحسن والحسين سلفي لئن لم ينته المفسدون عما بلغني لأنزلن بهم قاصمة تجترف الطارف والتالد، وتنسى الولد الوالد، لا أستثني إلا مشيئة ربي وعون خالقي. حسبي بقول قائلكم: هلك سعد فانج يا سُعيد! فيروم سعيد ذلك وقد صار منه بعيد. وإذا له عن اليمين وعن الشمال قعيد، يحولان بينه وبين ما يريد. وليأخذن قوم مال قوم وهم ينظرون يقينا لا بناهية الظنون. فرحم الله من رحم نفسه ولم يعرض للهلاك مهجته. ألا وإني وإياكم في وقت قد رده [1] الله إلى ورثة الكتاب من العترة الطاهرة، والذرية الطيبة، والشجرة المباركة، أدلة الخير، وقادة البشر، وأقمار الهدى، جبال الحلم، وبحار العلم، وثمرة الحكمة، ومفاتيح الرحمة. وقد طال ما سدلت دول الظالمين، والعاقبة للمتقين. وهم المتقون ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [2]. فهذا زمانهم وأوانهم، ولنقطع طمع الطامعين في زوال أمر قد أحكم الحكيم أسبابه، وشد أطنابه، وأعلى قناته، وأهمى بغيث الرحمة سحابه، فكم من رافع بصره إليه يرجو انقشاعه، صبت عليه منه صاعقة؛ ومن شاخص إليه بطرفه اختطفت بصره البارقة. فأسعد الناس بدولة الحق من أطلق فيها عنانه، وسدد سنانه، وبسط يده ولسانه، ووطن على الصبر واحتمال الأثقال حياته. فلن تظهر دعوة ضلالة إلا قمع شيطانها، ولا أغارت جهالة إلا بدد أعوانها، ولا تمردت فرقة بغى إلا ضيق ميدانها، ولا نبتت شجرة غاو إلا قطع أغصانها، ولا عمرت بنية ظلم إلا هدم أركانها.

يا هذا عليك نفسك، كن جذيلها المحكك وإن صرعك الحكاك،

---

(١) في الأصل (رد).

(٢) سورة القصص، آية ٥ ـ ٦.

وعذيقها المرجب [1] وإن اخترمك الهلاك. إن الدار التي خلقنا لها أمامنا، وإن صبر ساعة أو عمل عمر من أعمارنا يورث دار الكرامة لأحمد صبر وأسعد عمر.

إن حق الرب جل وعز علينا عظيم فيما مضى، فكيف فيما بقي من نعيم الدنيا، وما نرجو من ثواب الآخرة عدا الثبات الثبات رحمكم الله، فإنه من خاف الثبات فإن الرحيل قريب. وتحققوا فإن العقبة كؤود، ومن أمكنه أن يحمل من دار الدنيا إلى دار القرار ما ينفعه فليفعل. فإن ما خلف لغيره، لزوج ابنته، أو زوجة ابنه، أو حليل زوجته من بعده لهم نفعه، وعليه تبعته فتوبوا إلى الله إني لكم منه نذير مبين. وكونوا للمحقق عونا وللمبطل خصما، ولا يغرنكم بالله الغرور. وأملوا [2] عند مغيب إمامكم حضوره، فإن لم يحضر فالله سبحانه لا يغيب. وقد خاب من ليس له من رحمة الله نصيب.

واشتروا أنفسكم من الله سبحانه بطاعته لتفوزوا بالسلامة في الدنيا ويوم القيامة. وقروا الكبير، وارحموا الصغير، وأحسنوا يحسن الله إليكم وكونوا لله يكن لكم. واذكروه في الرخاء يذكركم في الشدة. ولا تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾[3]. ولا تغيروا ما بأنفسكم من طاعة، فيغير ما بكم من نعمة. فقد قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم

---

(١) ينسب إلى الحباب بن المنذر الأنصاري يوم سقيفة بني ساعدة قوله: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب. وقد فسره البعض على عدة معان منها جودة الرأي، والتجربة والصلابة والنهضة والشهامة.

انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة حكك؛ الميداني، مجمع الأمثال، حـ ١ ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) في الأصل (وميلوا).

(٣) سورة التوبة، آية ٦٧.

حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ﴾ [1]. وتناصفوا الحق بينكم، وأجيبوا داعي الحق ولتكن أيديكم على المبطل واحدة، وكلمتكم متفقة. وأخلصوا لله تعالى سرائركم [2]، وساووا [3] بين بواطنكم وظواهركم ولا تتنابزوا ولا تجعلوا مجالسكم أسواقا للعصيان، ومجامع للطغيان. فإن الأرصاد من الله سبحانه عليكم قائمة. قال عز من قائل ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[4]. واعلموا إن علم أن كلامه يكتب عليه ويحفظ، أحكم ما ينطق به ويلفظ. واعمروا قلوبكم بالخشية ووطنوا نفوسكم على النصفة، ولتنفعكم التذكرة، وتنجع فيكم الموعظة. ولا تجعلوا عليكم حجة، وادعوا لإمامكم بالنصر والثبات، فإنه ظلكم، وباب حطتكم، وفلك نجاتكم. ولا تستطيلوا مدة الحق وتستثقلوا أيامه، فإن الله سبحانه أراد به زيادة الإيمان، وقطع دابر الطغيان، وهلاك الظلم والعدوان. فلا تعرضا للحق فإن من أبدى صفحته للحق هلك، والسلام.

وفي شهر المحرم من أول سنة ستمائة كان اتفاق الأمراء، عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم، وعلم الدين سليمان بن موسى بالعساكر المنصورة في ظاهر بني صريم لحرب آل منصور. فسمعوا وأطاعوا، وكانوا على الهلاك لو لم يفعلوا ذلك، فتفرق العسكر، وانصرف الأمراء كل منهم إلى جهته ليصلح شأنها، ويقبض خراجها، وينفذ أمورها. فأحدث كل واحد منهم مغازي وحوادث. نذكر كل شيء من ذلك في موضعه على ترتيبه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الرعد، آية ١١.

(٢) في الأصل (سراركم).

(٣) في الأصل (تساووا).

(٤) سورة ق، الآيتان ١٧، ١٨.

ذكر الحوادث في جهة الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم:

قال: لما صدرنا إلى صعدة عن أمر الإمام عليه السلام لحرب ذيبان، فقابلوا بالطاعة والامتثال. فصدرنا عنهم، وقدمت إلى جهة البون، ووافق ذلك وصول وردسار إلى صنعاء في قدر ثلثمائة فارس من جهة اليمن يوم السبت لخمس وعشرين ليلة خلت من المحرم. وكان السلطان سيف الدين سنقر قد أمره بالوصول إليه في الجند الذين معه لما اضطربت عليه البلاد، وخالفت الحصون في اليمن. فخالف صاحب الدملوة، وصاحب حب، ووالي خدد[1]. وخالف والي عدن، واضطربت عليه البلاد. وخالف كل في جهته، فلم يزل يتلطف بصاحب الدملوة حتى استقرض منه مالا في رهانات توفى عليه، وجمع العسكر بذلك وفرقه فيهم. ونهض إلى زبيد، ونهضت الأكراد في لقائه. وصف الفريقان في الحرب، فقصدت الأكراد قصد الأعلام المشهورة يريدون قتل سيف الدين سنقر[2]، فأزالوهم عن القلب، وثبت وردسار فيمن كان معه من الترك والكرد. وحملوا على الكرد فوقعت عليهم الدائرة، وحقت فيهم الهزيمة. فقتلوا منهم قتلا كثيرا، وأخذوا مال أهلها ثلاثة أيام. وقتلوا هندوه والدقيق، وهما قاتلا إسماعيل، وقتل [عدد][3] من كبار الكرد، وافترق شملهم، وتبددوا في البلاد. فلما ظهرت يده وتمكن من الأمر حسده الأتراك الذين معه، فاجتمع رأيهم على قتله. فبلغه الخبر، ولزم كبارهم، وقتل منهم رجلا

---

(١) خدد: بفتح الخاء وكسر الدال، حصن في عزلة العارضة من بلاد بني حبيش، محافظة إب.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٤٨؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٠٥.

(٢) في الأصل (سنقر الدين).

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

يسمى ربيعة، وصار الباقون خائفين منه وخوفه منهم أشد. فانتدب قوما من العرب، واختصهم بحفظ نفسه من الغز، ووقع بينهم البلاء، وألقى الله بينهم العداوة والبغضاء. ولما بلغت شوائع قتله وكان وردسار من أقوى أعوانه وأنصحهم في إقامة أمره؛ أجمع قوم من الكرد على قتله بصنعاء، والمقدم فيهم شيركوا وهو كبير الحال عندهم. وكان ممن لازم في خدمة الإمام عليه السلام من فتح صنعاء، إلى أن صدر مع وردسار من عنده. وخاف على نفسه، ووصل الخبر باستحالة قتل سيف الدين، فأراد [1] وردسار قتل شيركوا [2]، فتشفع فيه كبار الغز ومنعوه منه [3]، وصار كل من الغز يريد هلاك صاحبه.

وكان شهاب الجزري قد حط على عدن في عسكر بأمر السلطان، فكسره صاحب عدن، وأخذ جميع ما في المحطة. فأمر بكتمر في عسكر، فنزل بلحج وحط هنالك. وخرج صاحب عدن فأخذ المحطة وأزاح الترك عنها. فأغار بكتمر في الجند الذين معه يريد عدن، فخلى صاحب عدن المحطة، وركض في الخيل الذي معه. واستبقا، فسبقه صاحب عدن، وعاد بكتمر فقتل خلقا كثيرا من أهل عدن الرجل الذين تخلفوا [4].

فهذه القضية من قدوم وردسار إلى اليمن إلى عودته في المحرم كما رواها [5] الأمير صفي الدين، قال: وأظهر وردسار أنه يريد الخروج إلى الظاهر وصعدة، وزعم أن الإمام عليه السلام نقض الصلح بكتاب وجده بزبيد إلى القرابلي، وليس فيه شيء مما ينقض الصلح. إنما هو أمر لهم

---

(١) في الأصل (فأرادوا).

(٢) في الأصل (شيرك).

(٣) في الأصل (منهم).

(٤) بعد ذلك ترك الناسخ مساحة بيضاء تكفي لكتابة خمسة سطور.

(٥) في الأصل (لم يروها).

بطاعة الله وإخلاص العمل لوجهه، فإذا فعلوا ذلك كانت اليد على من خالف أمر الله واحدة من بعيد أو قريب. وتحقيق ما كان منه في نقض الصلح، وأنه ما ترك شيئا يقدر عليه. وأنسى وردسار ما فعل من أخذ حصن بيت مساك، وأخذ أشراف علمان [١] والأوقاف التي [٢] أوقفها شهاب بصنعاء وغيرها، وجعل أمرها إلى الإمام عليه السلام، وأهل هجرة سناع. وأخذ قريتي السر، ومطالبة أهل الرحبة الذين إلى جهة ذمرمر. وقد تقدم ذكر ذلك في موضعه، والغرض التنبيه عليه ها هنا على الجملة. فهذه الأشياء انعقد عليها الصلح فيما بينه وبين الأمير عماد الدين فلم يف بشيء منها.

وكتب إلى الإمام عليه السلام يعاتبه، ويذكر ما انضاف إلى ولايته بتهامة من البلاد، وما صار إليه من الجند. وأمر بالكتاب الذي وجده في زبيد إليه. فأجابه عليه السلام، وكتب في آخر الكتاب كلاما نسخته:

قد صرت اليوم كبير الدولة ومقدم الجند، ونحن نرجو أن تقود الكل إلى طاعة الله تعالى. فنحن الذرية المحقرة، المغلوبة على حقها، من نصرنا فقد نصر الله وهو عز من قائل يقول ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [٣] واعلم أنا باقون [٤] على المحبة فلا تسمع كلام

---

(١) علمان: بضم العين، قرية من عزلة سدس القرية، ناحية بني الحارث، في أسفل وادي ظهر، على بعد ١٢ ك م غرب صنعاء. وتقع ما بين: ٤٦″ ٢٧′ ١٥° شمالاً، ٣٤″ ٠٨′ ٤٤° شرقاً.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣، ص ٦١٠؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٣٣؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1544C1.

(٢) في الأصل (الذي).

(٣) سورة الحج، آية ٤٠.

(٤) في الأصل (باقية).

المفسدين. وما تحريضنا لك على طاعة الله إلا خيفة عليك من الله سبحانه لأنه يأخذ المغترين[1] بغتة بعد أن تظهر [2] عليهم نعمه، كما قال تعالى ﴿ فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون، فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ [3] فنحن نخاف عليك مثل حال هؤلاء. فقد كثرت نعم الله عليك فقابلها بطاعته وشكره وعبادته، ونصرة عترة [نبيه][4] صلَّى الله عليه وآله الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. وابشر بشرف الدنيا والآخرة وثوابهما. فأما الدنيا فهي فانية، ولذّاتها مكدرة. ولا خير في لذة من بعدها النار.

وشد على نوابك في تهامة، وأظهر في صنعاء العدل. ولسنا نجهل ما في وجهك من شحنة الأجناد، وهم لا يغنون عنك شيئاً ولا ينفعونك إلا في الأمر الخفيف. وهل دفعوا عنك يوم خرجت من عدن خائفا على نفسك من إسماعيل؟ فإذا عظم الخطب انشغل كل إنسان بنفسه ونسى صاحبه، فنسأل الله التوفيق. واعلم أن الخمر جماع الإثم، والقمار تلف المال وسير السفهاء. وإن كان من الملوك من يشرب الخمر ففيهم من لا يشربها، ويرفع قدره عنها. وقد بايعتنا طائعا غير مكره، فاعتمد طريقة الوفاء بما عاهدت الله عليه ﴿ إن العهد كان مسئولا ﴾ [5]. وهب الله تعالى

(١) في الأصل (المغترون).
(٢) في الأصل (تظاهر).
(٣) سورة الأنعام، آية ٤٢ ـ ٤٥.
(٤) ما بين القوسين إضافة.
(٥) سورة الإسراء، آية ٣٤.
وفي الأصل (إن العهد كان عنه مسئولا).

نفسك في الدنيا يهبها لك في الآخرة. وكن لله يكن لك، وشمر في طاعته يحفظ غيبتك وحضرتك ويحمد في الصالحين أثرك، فنفع ذلك عائد عليك. واعلم أن رجاءنا [أن][1] نفتح بجندك أقطار البلاد والمواضع المستغلقة الصعبة علينا، وأن تجتهد في صلاح سيف الدين ورجوعه إلى الحق وإلى طاعة الله تعالى، ونصرتنا، وإظهار كلمتنا، ولو تصعَّبَ عليك في بادىء الأمر فعاوِدْهُ فإنّ بحضرته من يكوِّن أمرنا، ويصده عنا، ويأمره بجفوتنا.

ولو احتمل الكتاب أكثر من هذا بينا لك سببه، وأنت غني عنها. ولو حزنك أمر وآنسناك بنفوسنا، ووقيناك بجسومنا. وكانت يدك فيما تملك أبسط من أيدينا. فقد[2] صححت لك ذلك وإلا فحقيقته عند ربنا. وقد بلغنا أن بحضرتك من يباعدك عنا. وأما ما ذكرت من أنا نسابق لنأخذ صنعاء، فلا شك أنا نتوسم في نفوسنا، ونرجو من الله سبحانه أن نملك الدنيا بين أقطارها فكيف صنعاء. ولكن لو وقع ذلك كنت أسعد الناس به وسيف الدين وجميع الأجناد. لأنه ما كان يلحقهم منا مضرة إلا منعهم من المعاصي، فنفع ذلك عائد عليهم. فأما الدنيا وأموالها فكنا نأخذها بأيدينا، وندعها في أفواههم وأيديهم، ولا نأخذ منها شيئاً لنفوسنا. واعلم أن ما في اليمن عربي له رئاسة يريد حياة الجند غيرنا، لأنا نريدهم جند لو وقع[3] اليمن أوردناهم العراق. وسوانا ما يريد إلا القرية التي هو فيها أو البلدة. وأنت تعرف ذلك إذا نظرت فيه وتبينته. ولا شك أنك قد اجتهدت في أمرنا، وأن تطيعنا الناس، فلما

(١) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) في الأصل (فإن).

(٣) في الأصل (لوقوع).

لـم يطيعـوا كنت منهم، وليـس هـذا الظن بك[١] والرجـاء فيك. ويـوم تقدمت إلى زبيـد ولقيتك كتبنا، قـد شهد الله أنا ما نشتهي شوكـة تصيبك ولا سيف الدين، ولا يظهـروا عليكم إلا أن يدخلـوا في طاعتنـا وطاعـة الله سبحانه، ويخلصوا لوجهـه. فكنـا نحب ظهورهـم عليكم وعلى إخوتنـا من آبائنـا وأمهاتنـا إذا عصوا الله. وشاهـد ذلـك في كتابنـا أنا أمرناهـم بطاعـة الله أولاً، فإذا فعلـوا ذلك كانت أيدينـا واحدة بعد ذلـك. فتصفح الكتـاب فقد رددناه لتيقـن الحديث وصدقـه، ولا تكـن تعجـل. ومـن يورد إليـك بغاضتنا أهنه، عزيزاً كان أو ذليلاً. فإذا علـم الناس ذلك منـك كانوا يحكون لـك الصحيح من أمرنا.

فلم يمنعه الكتاب مما يقدم عليه، ولا أثـر فيه ولا زجـر، ولا تذكيـر بالله تعالـى. قال الأمير صفي الدين واجتهد وردسـار في وصولي إليه واللقاء بـه[٢]، فلـم أساعـده إلى ذلـك خشية مَكْرِهِ. وكـان مـن جملته قوم يقـال لهـم بنو محمد من بني غيلان حـي من مرهبة، وعندهـم كراهـة شديدة للحـق وأهله، وبغضة لأهـل بيت النبي صلى الله عليه وآله. فمـا زالوا بـه حتـى قادوه في عسكـر إلى طرف من البـلاد التي بيننـا وبينه، يريـدون بذلك المباعـدة وتأكيـد العداوة، وفتـح بـاب الشر فيمـا بيننا وبينـه. فأتاهم الله من حيـث لم يحتسبوا، فوقعـوا في أصحابهم قوم من بني غيلان وهـم آمنون بكونهم مع الغز. فأخـذوا أموالهـم جملة، وكانـت أموالاً كثيـرة العدد من الغنـم والإبـل والأثاث، وأخـذوا شيخهـم علي بن أوجـب، وأخذوا معضدة من يده، وأسـروه إلى صنعـاء حتى سلم جملـة من المال. وقتلـوا من جيرانهـم قومـاً كثيراً، ولـزموا شريفـاً من

---

(١) في الأصل (منك).

(٢) في الأصل (واللقيا).

جملـة المأسوريـن إلى صنعاء. فكاتبهـم الأمير صفي الدين في أمره. وكانـوا يريدون هلاكـه، فأطلقـه وردسار، وعـد ذلك من وفائـه، وكتب به إلى الإمـام عليه السلام.

قال الأمير: ففعلـوا في أولئـك الأشـرار ما لو تمكنـا منهم لفعلناه بهم، وما لـو بذلنـا للغـز عليه مالاً ما ساعـدوا إليه، فردّ الله كيدهـم في نحورهـم، وحـاق بهـم مكرهم ﴿ولا يحيـق المكر السيء إلا بأهله﴾[1]. ثـم راح وردسار إلـى صنعاء، وأظهـر أنـه يريـد الخـروج إلى مطـرة وبـلاد عذر عموماً، وهي البـلاد التـي وقـع الصلح عليهـا.

وقدم عبد الله بن عمران بن الأجعـم في خيـل، وهو مـن أقوى أعـوان أهـل الظلـم وأشدهـم جهاداً في تحصيـل الأموال إليهم. فاضطرب أهـل البلاد وخافـوا، فأطاعـوا، وعينـوا الرهائـن من أولادهـم. وفرق عندهم ستمائة شمسية[2] باسم الضيفة.

قال الأميـر صفي الدين فقدمـت إلى البلاد فيمـن حضرني مبادراً، خوفاً أن يعـم الشـر، وتقبـض الرهائـن. ولم أنتظر [بقية][3] العسكر[4]، فاسترجعـت الرهـائن وقد صدرت إلى بعض الطريـق، ومنعت أهـل البلاد مـن تسليم الضيفة. واشتد أهـل البلاد بوصولـي إليهم، وتقـوت عزائمهم على حـرب الغز إن وصلـوا البلاد. وتعـب وردسـار من ذلـك، وكـان معه رجل من بني غيـلان يقال لـه: قضاعة، وكـان كثيـر الفساد شديد البغضة.

---

(١) سورة فاطر، آية ٤٣.

(٢) الدنانير الشمسية أو الشموسية، هي الدنانير التي ضربت في عهد شمس الدولة تورانشاه بن أيوب.

انظر: عبد الغني محمود، أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية، ص ٢٣٦.

(٣) إضافة ليستقيم المعنى.

(٤) في الأصل (عسكر).

فأمره بأن يرصد علينا العيون، ويبذل المال لمن يوقعه علينا، فاجتهدوا ولم يوفقه الله تعالى. وكان غرض وردسار البيات لنا في بعض الأماكن. ولبث [قضاعة][1] ينتظر الغز ثمانية أيام فلم يتمكن من مراده مع اجتماع كلمة أهل البلاد.

وكان الشيخ خماش بن صيدان الأجرفي شديد المحبة لأهل البيت عليهم السلام، فكان له اجتهاد وعناية في استقرار أمرنا ونفيْ الغز عن البلاد. فكان نفعه كثيراً، ونفع أصحابه للمحبة التي فيهم.

فلما يئس وردسار من البلاد صرف خاطره إلى سواها، ولم يهتم بها بعد ذلك. واستمر أمر الإمام عليه السلام فيها، وقبضت الحقوق الواجبة وجمعت، ونقلت إلى ذمرمر. وتوجه وردسار إلى حضور، استدعاه الشريف الحسن بن داود ليستظهر به على أهل البلاد وينال من عدوه منالاً، فحطوا إلى موضع يسمى الحماير[2] واجتمع أهل البلاد وقصدوهم إلى محطتهم فدافعوا عن أنفسهم، وقتل منهم قوم كثير، وأخذت منهم أموال[3] جليلة، وراحوا منهزمين على أشر حالة إلى صنعاء. وأقطع رجلاً من الغز يسمى سنقر النوري جانباً من الخشب الداخل في الصلح، فأتى في خمس أفراس، وقدر خمسين رجلاً لقبض ما عندهم. فأتوا مستصرخين بالأمير المطهر بن إبراهيم أخو الأمير صفي الدين، وكان بالقرب منهم ومعه مفرح بن موسى النشواني فارسان، فركبا ومعهما نيف وعشرون راجلاً، فقصدوا القوم، وعلموا بإقبالهم إليهم فانهزموا متوجهين إلى صنعاء. وما زالوا يطردونهم إلى

---

(١) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) يفهم من النص أن الحماير في منطقة حضور.

(٣) في الأصل (أموالاً).

محل ابن قيداس[1] في شق الرحبة. ولم يكن رجل من الغز في ابتداء دولتهم يحدث نفسه بأن عشرة من العرب يقومون له.

وقد حكى الأمير المطهر، وهو من الفرسان المعدودة، وله مواقف مشهورة بالجنات وغيرها، وقد أتى من ذمرمر يريد الخشب ومعه جماعة قليلة[2]، فصادف رجلاً من الغز في جماعة معه يسوقون ثوراً ودواباً موقرة حباً قد أخذه من قرية من الخشب. وقال له أهلها: كن على حذر من الأشراف، فسب وآذى وقال: ما التفت لكذا. فلما برز من القرية وأصحابه استوثب على الفرس فولى منهزماً وأصحابه إلى القرية. ودخل بابا قصيراً وقد نزل من فرسه وهو يقوده فكسر السرج، ومنعه أهل القرية خوفاً من الغز. فأخذنا الدواب وما عليها وذلك [فضل من الله، واستقام][3] الأمر، وصلحت أحوال الناس في جهة المشرق [فلبث الأمير صفي الدين][4] هنالك حتى وقع خلاف بني صريم. وقاد عسكراً جماً إلى درب شاكر. وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله.

---

(١) لم أعثر على قرية ابن قيداس التي ذكرها المؤلف ـ في الرحبة أي في ناحية بني الحارث ـ في كتب التعداد أو التقسيمات الإدارية، وغير ذلك.
ولكن يوجد قرية بني قيداس في عزلة شعب هزام ناحية أرحب على بعد ٢٤ ك م شمال صنعاء.
انظر: التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ١٩٠؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 A 4.

(٢) في الأصل (قليل).

(٣) ما بين القوسين مطموس في الأصل.

(٤) ما بين القوسين مطموس في الأصل.

ذكر الحوادث في المغرب في جهة الأمير علم الدين سليمان بن موسى:

لما حضر غزوة هران مع الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة، قدم إلى براقش[1] لزيارة أهله. وقد طالت غيبته عنهم، بعد الإذن من الإمام عليه السلام. فلبث هنالك مدة حتى دنا حصاد الثمار في جهة المغرب، فنهض لقبض ما يجب فيها، وتفقد أمورها، وسد ثغورها. فأتى وقد حصد الناس أكثر ما سلم من الجراد، وكانت قد أتت على أكثر الزرع. فوجه العمال إلى كل جهة لقبض ما فيها من الواجبات على غير معلوم، لأنه لم يقع خرص على جاري العادة. وجعل الناس عذرهم الجراد. فمنهم من وفًا ما عليه وهو القليل، ومنهم من سلم البعض فلم يحصل في البلاد طائل، وامتنع أهل صور عما يجب عليهم حمله. وكان زرعهم سالماً، وردوا العمال، وأظهروا الخلاف.

كل ذلك حكاه الأمير علم الدين في كتاب أتى إلى الإمام عليه السلام. فلما امتنعوا وقد طلب منهم قطعة شيء يسير، فزادهم ذلك تشدداً وامتناعاً، لم ير إلا تجييش عسكر لحربهم وأخذ زرعهم. فبعث منادياً في الأسواق من أراد حباً فإلى صور. وجعل الأمان للموالف والمخالف ممن حوله في البلاد من قبائل سفيان ودهمة، وقبائل عذر وغيرهم. فجاءوا من كل جهة على كل صعب وذلول، رغبة في أخذ الزرع الذي لأهل صور. فاجتمع إليه عسكر عظيم، وخلق كثير لم يجتمع إليه قبله مثله. ووصل إليه قاسم بن جبر وهو شيخ العصيمات ومقدمهم، وهو شوكة عذر وأكثرهم ضراً ونفعاً فسقط في يديه، وأتى منهم بمائتي

---

(١) براقش: بفتح الباء، من المدن الأثرية بأسفل جوف أرحب. الهمداني، الإكليل، جـ٨ ص ١٧٥ ـ ١٧٨.

رجل. وكان عندهم وحشة وخوف، وباعدهم عنه سليمان بن الحسن الحمامي وهو قاضي عذر ومقدمها، وفليح بن مؤمل وهو من مشايخها، وأراد أن لا يكون لهم معهما شركة في الأمر، ويبقى لهما ناموس بخلافهم. وكانوا يفسدون في البلاد ويأخذون السبيل. فأدناهم الأمير وآنسهم، وتبعوه في البلاد والمغازي بخلاف غيرهم من قبائل عذر.

قال الأمير: ولما اجتمع العسكر ونهضنا نريد صور أتينا موضعاً يقال له فريح[1] قريباً من صور. وعلموا[2] بما أقبل إليهم من جنود الحق، فأيقنوا بالهلاك. وكنا نريد صباحهم في أماكنهم وتدميرهم لو لم يتداركوا أمرهم، فما طلع الصبح إلا ومنهم جماعة على باب الخيمة وقد أمسوا ليلتهم يطوفون بالمحطة في البطنة[3]، يطلبون الوصول إلينا فلم يعرفوا مكاننا حتى طلع الفجر. فجاءوا مستصحبين للأمير يحيى بن علي القاسمي برهينتين على الدخول في الطاعة، وتأدية الحقوق الواجبة موفاة، والانقياد للأمر. فقبضنا الرهينتين، وقبلنا منهم رجوعهم وإقبالهم. وأمرنا معهم العمال في الحال لقبض ما عندهم، وسألوا شيئاً لضعفاء البلاد ومساكينها. وأمرنا العمال بتسليم ما جعله الإمام عليه السلام للضعفاء في بلاده وهو الربع، فسلموا ما يجب عليهم وحسنت طاعتهم.

---

(١) وادي فريح من وديان عزلة البطنة، ناحية القفلة، قضاء خمر. على بعد ٦ ك م شمال شرق صور.

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1643 D 4.

(٢) في الأصل (وعلم).

(٣) البطنة عزلة في ناحية القفلة، قضاء خمر.

انظر، التعداد السكاني التعاوني ٢٦٥ صنعاء، جـ ٢ ص ٤٢٧ - ٤٢٨؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

ونهضنابعد ذلك إلى موضع يسمى الجرفين[1]، وصرفنا العسكر عن أهل صور لما أطاعوا. وصدر كل إلى جهته إلا العصيمات فتركتهم معي لما علمت من نفعهم. ونهضنا نريد الخموس لحادث جرى من الأهنوم[2] في قتل، وأظهرنا ذلك. وكان أهل المطرح[3] مستمرين على خلافهم، لا يؤدون واجباً، ولا يزيلون من بلادهم منكراً. فأمسينا في الخموس حتى ذهب ثلث الليل، فركبت في الخيل التي معي فطلع علينا الفجر ببلاد قحطان[4]. وكمنا في موضع غبي حتى سرح المال، وأغارت الخيل بعد طلوع الشمس إلى السوق القديم بالمطرح. وأشرقت الخيل على قرانه[5] فما أدركت شيئاً من المال. وكانوا قد مالوا بأموالهم إلى الظهيرة[6] خوفاً عليها من المغازي، فعدنا إلى السوق القديم. قال فحططنا في محطة الإمام عليه السلام. وشرع العسكر لأهل الركب وقد

---

(١) الجرفين، قرية خربة في قفلة عذر. أفاد بذلك الأخ عبد الرازق الأشول من أهالي حجة.

(٢) الأهنوم: بطن من همدان من ولد الأهنوم بن شاحذ بن حاشد. وديارها في الشمال من حجة في نواحي شهارة وظليمة حبور والمدان وعذر وغير ذلك، وتعد هذه البلاد الآن في بكيل.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٩٥ - ٩٨، السياغي، معالم الآثار، ص ٦٩ - ٧٠؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٦٠.

(٣) في الأصل (المطوح).

(٤) قحطان عزلة من ناحية الجميمة قضاء حجة.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ٨٥.

(٥) قرانة، يبدو من النص أنها إحدى المواقع القريبة من جبل سخدا.

(٦) الظهيرة يبدو من النص أنها إحدى المواقع القريبة من جبل سخدا.
غير أنه يوجد موقعين يحملان نفس الاسم في نواحي حجة منها الظهيرة في عزلة شمرين، ناحية قفل شمر، قضاء الشرفين. والظهيرة، قرية من عزلة نيساء، ناحية المغربة، قضاء حجة.
انظر: التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ التوزيع السكاني في محافظة حجة، ص ٨٥؛ خريطة ج.ع.ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543 B 1.

أجلوه، ولزمـوا موضعاً أعلى منه يتحصنون فيـه ويمنعـون نفوسهم، فأما أموالهم فلـم يدعوا منهـا شيئاً. فأحاط بهـم العسكر فصاحـوا واستغاثوا وسلموا نفوسهـم، فرفعنا القتـال عنهم، وعففنا عـن قتلهم لله تعالـى. وانهزم أهـل القرى إلى مساقـط جبل سخدا[1]، واضطرب أهـل البلاد، وخـاف أهـل الجبل. وأغـار العسكر لأخذ حصـن يقال لـه شاغر فصعدوا عليـه من كل جانب. وكـان القائـد داود بن موفق عندهم، فبعثوه متشفعاً فيهم وقـد أيقنوا أنهم مأخوذون عنوة بالسيف. فأتى فقبلنا شفاعتـه فيهم على سلامتهم من القتل وتسليـم ما كان عندهم، وتقلد فيهم الصنيع. وكـان ذلك سبب المواصلة بيننا وبينه.

وطلع الشيخ فخر الدين مرحب بن سليمان إلى أهـل جبل سخدا وقد استدعوا مـن يصل إليهم فدعـاهم إلى المطايعـة والانقياد لأمـر الله تعالـى وأمـر الإمام عليه السـلام. فأجابـوا بأجمعهم، وانقادوا لـه. ونزل شيخهم يوسف بن حيان صحبته إلى المحطـة بضيفـة العسكر، وسمـع وأطاع وبايـع على ذلك. وسأل والياً لقبـض الحقوق الواجبة في الجبل والسهـل، وتقلد الوفاء بذلك. وأخـذ الأمـان لأهل البلاد ما استقاموا على الطاعة وتأدية ما يجب عليهم من حقوق الله تعالـى، وطابت نفوسهم.

وكان المفسدون من أهل البلاد قد قرروا عندهم أن الأمير لا يفي بعقد ولا ذمة، يطلبـون بذلك المباعدة وتنفير الناس ولما[2] رأوا منه خلاف ما قيل انقادوا وأطاعوا، وصلحت أحوالهم. وعادوا إلى الخموس وطاف العادية[3]، وكان الإمام عليه السلام قد أمـر بعمارتها وتحصينها لما يعـود

(١) يتضح من النص، ومن ديوان الإمام عبد الله بن حمزة أن جبل سخدا في منطقة شهارة.
(٢) في الأصل (لمـا).
(٣) العادية قرية في بلاد ظليمة. وهي من المواقع التي دمرها الإمام عبد الله بن حمزة. الجرموزي، النبذة المشيرة، ص ٢١.

من النفع بذلك والاستظهار على أهل الفساد. فأثار العمارة فيها مع كراهية شديدة لمن حولها من أحياء عذر والأهنوم وظليمة، وادعوا أن الأمير علم الدين لما عمر العادية طلب منهم أكثر مما عليهم من حقوق الله تعالى. وأنه صار ينتقي[1] خيار أغنامهم وأسمنها. وبلغت الشكية إلى الإمام عليه السلام من قاضيهم سليمان بن الحسن الحماقى. فكتب إليه في ذلك، فأحضر مشايخ عذر، كل واحد منهم على انفراده. وأحضر شهوداً عدولاً، وسألهم عن القصة فجحدوا الشكية جميعاً وفيهم سليمان بن الحسن، فلم تصح دعواهم؛ وإنما كان الغرض الإمساك والتثبيط عن عمارة العادية. فلما جحدت مشايخ عذر الشكية أتوا[2] إلى الأمير على خوف منه، فاعتذروا وأظهروا التوبة، وسألوا منشوراً بأمانة ففعل ذلك، وجدد عليهم[3] البيعة للإمام عليه السلام، واستمرت العمارة وصلحت أحوال البلاد.

وجاء إليه كتاب الإمام عليه السلام يأمره بالوصول إلى صعدة، فبادر بالإجابة. ولم يزل معه حتى صالح أهل مأرب، وعاد إلى بلاد سفيان فلبث بها مدة حتى قبض خراجها، وقوم اعوجاجها. وخرج بعض الأيام يمشي فسابق بين فرسيه، فسبق أحدهما فأنشأ هذه الأبيات يمدحه، وهي:

وقد أغتدي قبل ضوء الصباح ... على سابق مثل تيس الظبا

طموح يسابق هوج الريا ... ح عارى النواهق[4] عبل الشوى

---

(١) في الأصل (ينقى).

(٢) في الأصل (أتى).

(٣) في الأصل (عليه).

(٤) الناهقان: العظمان الشاخصان في الوجه، أسفل من العينين، وهو ما يستحب تعريته من الفرس.

=

سريع التدافق في جريه	كصفر الحمام إذا ما انطوى
دفوع العنان إذا ما جرى	طويل القذال[1] قصير المطى
طويل الذراع[2] قصير الوظيف[3]	مزين الكراع[4] سليم الشظى[5]
طويل السبيب[6] قصير العسيب[7]	له كتف[8] مثل دور الرحى
قصير المهاجر[9] سامي التليل[10]	بعين له مثل وقت الصفا

= عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول العربية، ص ١٥٦، ١٩٠.

(١) القذال: معقد العذار من رأس الفرس خلف الناصية.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٥٥، ١٦١؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة قذل.

(٢) الذارع: من العضد إلى الركبة.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٦٦.

(٣) الوظيفان: هما ما تحت الركبتين إلى الرمانتين، ويستحب قصرهما.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٦٨، ١٨٨.

(٤) الكراعان: وهما في الرجلين ما بين الفخذين والوظيفين.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٨٨.

(٥) الشظى واحدتها شظاة، وهي عظم لاصق بالركبة من أسفلها إلى أعلى الوظيف.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٦٨، ١٨٣، ابن منظور، لسان العرب، مادة: شظى.

(٦) السبيب: يقال للعرف سبيب وعذر خصوصاً إذا كثر الشعر وطال.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول العربية، ص ١٦١.

(٧) العسيب: هو منبت شعر الذنب، ويستحب قصر السعيب.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول العربية، ص ١٨٠، ص ١٨٨.

(٨) الكَتْفُ: المشي الرويد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كتف.

(٩) المهاجر: ليست من أعضاء الخيل. وربما يقصد الهجار: وهو حبل يعقد في يد الفحل ويشد إلى إحدى رجليه.
انظر: الزبيدي، تاج العروس، مادة: هجر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة: هجر.

(١٠) التليل: هي عنق الفرس.
=

وأذْنٌ تخيلها الناظرون كإعليط مرخ إذا ما ذوى[1]
عارى اللهازم[2] عن لحيها صبيح الشيات[3] دقيق القفا
دقيق المقلد[4] زين الحماة[5] كبير الضلوع صغير الخصى
له مقلة عاليٌ شوفها وسيع اللطاة مليح الصلى
صافي الأديم له غرة كضوء الصباح إذا ما بدا
غليظ السوالف رحب اللبانِ[6] نهد المراكل[7] ضخم العكا

= عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول العربية، ص ١٦٠.

(١) يقال هذا الوصف في الأذن الصغيرة المستديرة، والإعليط ما سقط ورقه من الأغصان والقضبان، وقيل هو ورق المرخ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة علط، عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول العربية، ص ١٥٤.

(٢) اللهمزتان: عظمتان ناتئتان في اللحيين تحت الأذنين، والواحدة لهمزة والجمع لهازم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة لهزم.

(٣) الشيات: هي العلامات، واحدها شية، واختصت بها الخيل ما كان فيها من غرة أو تحجيل.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول العربية، ص ٣٨، ١٤٠.

(٤) المقلد: هو مكان القلادة في العنق وهو المنحر. ويستحب قلة لحمه ودقته.
عبد الله بن حمزة، صفات الخيل، ص ١٦٢؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلد.

(٥) الحماة: عضلة الساق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حما.

(٦) في الأصل (رخو اللبان) واللبان ما جرى عليه اللبب ويستحب اتساعه. يقال رحب اللبان وواسع اللبان.
عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٦٢ - ١٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة: لبن.

(٧) نهد المراكل: أي مرتفع لأن النهود الارتفاع، والمراكل حيث يصيب عرقوب الفارس جنب الفرس.
=

غليظ الأباهر[1] يملا الحزامَ	عارى الظنابيب[2] نهد دأى[3]
قصير الشواكل[4] بادي العظام	وحـافـره مثـل صم الصفـا
حـديـد المـرافق ذو ميعـة	حـديـد الفؤاد لـطيف الكلى
عـلا لحمـه فـوق أكفالـه	ومن فوق متنيه حتى انتـوى
لدى الحرب تحسبـه كالـرداة	والـدلـو إذ خـذمتهـا العـرى
فـذلـك أعـددتـه للجهـاد	ومـطرد مثـل طـول الـرشـا
وفضفـاضة مثـل لون الغـدير	وصافي الحديد لضرب الطلى
فمـا العـز إلا لبـذل النـوال	وقـود الجيـاد وبـذل اللهى
فقـل لـلإمـام حليف النـدى	صبيـح المحيـا وبـاني العـلا
حـديد السنـان وشهـم الجنان	وسبط البنـان وليث الشـرى
وبـحـر العـلوم ومـن جـوده	كسكب الغمـام إذا ما همى
ومن جـده أحمـد المصـطفى	سـراج الـظلام نبي الهـدى
سـأبـذل نفسي لمـا تـرتضيـه	إذا الحرب دارت كدور الرحى

= عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٧٣.

(١) في الفرس عرقان يمتدان من القلب إلى القدم، ويطلق عليهما في الصدر اسم الأبهران، وبهرة الفرس وسطه.

الزبيدي، تاج العروس، مادة بهر، مرعشلي، الصحاح، مادة بهر.

(٢) الظنابيب: واحدها ظنبوب وهو مقدم الوظيف وحده.

عبد الله بن حمزة، تاريخ الخيول، ص ١٨١؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة ظنب.

(٣) الدأي، هي فقار الكاهل.

ابن منظور، لسان العرب، مادة دأى.

(٤) شاكلة الفرس: الذي بين عرض الخاصرة والثفنة. وهو موصل الفخذ في الساق.

والشاكلتان: ظاهر الطفطفتين من لدن مبلغ القصيري إلى حرف الحرقفة من جانبي البطن. والشاكلة الخاصرة، وهي الطفطفة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة شكل.

ومنى سـلام كنشـر العبيـر أو الـروض علّ بمـاء السما

ولما أتـاه الخبر بقدوم وردسار إلى شبـام[١] والمحـطة عليها، نهـض مغيراً في خيله حتى أتى خيوان، وجـاءه الخبر بـأن الأمير عماد الدين كسر وردسار وراح إلى صنعـاء، وستأتي قـصة وردسار في موضعهـا إن شاء الله.

وعـاد الأمير عـلم الدين إلى بـلاد الأهـنوم فجهـز غـزوة إلى بـلاد حجـور. وكانوا قد نقضوا ما عقـدوا به من تسليم الحـقوق الواجـبة، ولم يفوا ما التزموا به في الغزوة الأولى. وكـانوا على خـوف منه فـأثقبوا العيون عليه، فجـاءتهم عيونهـم بخـبره، فشمروا أموالهـم إلى جبـالهم، واحـترزوا في نفوسهم. وغـزاهم فـلم يتمكن من شيء، وعاد إلى موضع يسمى دفـان[٢] في شق بلاد قحـطان. وجـاء الخـبر بقافلة يريدون المداير[٣]، وهـي قـرارة الفساد وارتكـاب المنكـرات والفواحـش،

---

(١) شبـام: بـكسر الشين، اسم لعـدد من البـلاد منهـا شبـام كوكـبان، وكـانت تسمى شبـام أقيان أو شبـام حـمير. وهـي قرية على بعد ٧ ك م جـنوب مدينة ثـلا. وتقـع ما بين:
٣٢″ ٣٠′ ١٥° شمالاً،
١٣″ ٥٤′ ٤٣° شرقاً.
انظر الحجـري، مجـموع بـلدان اليمن، جـ١ ص٨٧ ـ ٨٨، جـ٣ ص ٤٤١؛ خريـطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعـة 1543 B 4.

(٢) الـدفان: قرية من عزلة بني جيش الأعـلى، نـاحية السود، قـضاء عمـران.
التوزيع السكاني في محـافظة صنعـاء، جـ٢ ص ٢٨٧.

(٣) المداير: قرية من عزلة خـميس الواسط ناحـية ظليمـة حـبور، قـضاء شهـارة. على بعـد ٢ ك م شرقي حـبور ظليمة، وعلى بعد ٢٩ ك م شمال بني جـيش، وتقـع ما بين:
١٦″ ٠٣′ ١٦° شمالاً،
٣٢″ ٤٣′ ٤٣° شرقاً.
التقسيمات الإدارية لعـام ١٩٨٥؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعـة 1643 B 1؛ قطعـة 1643 D 3.

وأهلها على الخلاف. فبعث لأهل القافلة سعيد بن الحسن المعمري في جماعة فوافوها في موضع يسمى فحرح[1]، وأحاطوا بها، وركبت الخيل من المحطة مغيرة وقد صرخ الصارخ فساقوا الإبل بأحمالها إلى العبلاء[2] فأمسوا بها ليلتهم. فلما أصبح وجه الغنيمة إلى العادية، وركب في الخيل ومن خف معه من الرجل، ولم يكن بقي معه منهم إلّا القليل. فأغاروا إل موضع يسمى درب العبر[3] ببلاد ظليمة. وكانوا قد امتنعوا من تأدية ما يجب عليهم من حقوق الله تعالى، ولم يسلّموا منها شيئاً. وامتنعوا على العمال، وراحوا منهم بغير شيء. فأتاهم على غفلة وهم لا يظنون أنه يأتيهم لبعده عنهم، فوافاهم وأموالهم منتشرة، فأحاط عليها وسيقت إلى العادية. وأتوا بعد ذلك متشفعين بالأمير يحيى بن علي القاسمي وكان حَالاًّ بينهم بعد أن عزله الإمام عليه السلام من ولاية الظاهر. وذكروا أنهم مطيعون ومسلمون لما يجب عليهم. فأحضر يوسف بن بشير العذري، وهو متولي قبض الحقوق الواجبة في تلك الجهات فقاررهم بحضرة الأمير يحيى بن علي، فاعترفوا بتمردهم وأنهم ما سلموا إليه شيئاً. وطلب استرجاع أموالهم،

---

(١) هذه الكلمة غير منقوطة ولم أجد لهذا الموقع ذكر. ويتضح من النص أنه بالقرب من العبلاء.

(٢) العبلاء: من قرى الجميمة، على بعد ١٧ ك م جنوب غرب المداير. وتقع ما بين:
٤١″ ٥٧′ ١٥° شمالاً،
٢٣″ ٣٥′ ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543 B 1.

(٣) عبر: من قرى المغربة، على بعد ٧ ك م جنوب شرق العبلاء. وتقع ما بين:
٥٢″ ٥٥′ ١٥° شمالاً،
٥٤″ ٣٨′ ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543 B1.

فـلـم يساعـده الأمير علم الدين إلى ذلك. وأمر بقسمه على العسكر مع المـال الـذي كان قد استعاده من قـافلة المداير على سهـام الله تعـالى بعد إخـراجه الخـمس. للفارس سهـمان، وللراجـل سهم.

وأتى كتـاب من ابن النفيل صاحـب شظب إلى الإمام عليه السلام يـذكر أن له في القافلة المأخـوذة مـالاً. وأتـى بعد ذلك إلى الإمام عليه السلام ومعـه رجـلان من جيرانه، وهـو ممن أظهـر الطاعـة ونـفع في بـلده. فادعـى الرجـلان جـملة من المـال، وأنـه معهـما مضاربة ليوسف بن النفيل. فاستحلفهـما الإمام عليه السلام على ذلك، وأمـر الأمـير علم الـدين بتسليم ذلك من بـلاده، فرضى الكل بذلك.

ثـم أتى رجـل ظاهـره الصلاح من بـلاد[1] فـذكر أن له في القافلة مالاً، وأنـه أتى في جـملة من وصـل إلى صعـدة منهـم. واستأذن في إخـراج ما يجـب عليه لضعـفاء في بلـده، من غير كتـاب له بـذلك ولا حـجة معه. فحـمله الإمام على ظاهـره، وصـدقه في قـوله، ورده عليه فضـة قيمة بعض ما ادعـاه، وأحـاله بالبـاقي إلى الأمير عـلم الدين فرضى بـذلك، وسامـح بمائتـي درهـم، جعلها[2] معونة منه ابتداء لما رأى من ظهـور العدل والنصفة. ولم يـكن عنده أنه يحـصل له درهـم فرد على ما قـدر ذلك عنده الروافض من الشيعة الأهـنوم والمخـالفين في المذهـب فـإنهم قـطعوا بـظهور الظـلم. فجـدد البيعة، وعـلم أن أخـذ ماله كـان لطفاً له بما ازداد من اليقين في وجـوب طاعة الإمام عليه السلام.

---

(١) هـكذا في الأصل، ولم يـذكر اسم هذه البـلاد.

(٢) في الأصـل(جعـله).

ذكر الحوادث والفتوح في جهة الأمير عماد الدين:

قدم إلى بلاده من صعدة بعد مراح الأمير المؤيد، وقود العسكر إلى ظاهر بني صريم لحرب ذيبان. فأصلح أمورها، وأنفذ الأوامر الإمامية فيها، ووجه العمال لقبض الحقوق الواجبة في أوقاتها وإنفاقها في مواضعها. ونهض إلى جبل ميتك بعد غفلة طويلة من طيافته، وإصلاح ما فسد فيه. فطاف قراه ومساكن أهله، وقد كان من أشرار أهله إخلال وفساد، وتغافل عنهم الأخيار. وإن كان الغالب عليهم المحبة والطاعة، والانقياد لأمر الإمام عليه السلام. فشد على المفسد، وعاقب من يستحق العقوبة، وقام معه المصلح منهم حتى أجرى فيهم الأحكام، وقبض الحقوق الواجبة، وصلح أحوال أهلها. وعاد إلى بلاده ولم ينجم عليه بها حادثة إلى شهر صفر من سنة ستمائة. ووقع خلاف بني صريم وكوكبان[1] وما يتصل بذلك [سنذكره][2] إن شاء الله.

وذلك أنه حدث في ليلة الجمعة لست عشرة ليلة خلت من صفر احمرار عظيم في جو السماء بين المغرب والعشاء الآخر غلب ضوء السراج بصعدة وأعمالها فعجب الناس منه. وكان بتهامة أعظم أمراً،

---

(١) كوكبان: حصن مطل على قرية شبام كوكبان، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٣٠٠٠ متر، ويقع ما بين:
٠٠″ ٣٠′ ١٥° شمالاً،
٠٤″ ٥٤′ ٤٣° شرقاً.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٢، ٣١٢؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٧٤؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543 B 4.
(٢) إضافة ليستقيم المعنى.

كانت تلك الحمرة في الجبال ومشارق الأرض، وفي تهامة ظلمةٌ أياماً وليالي مستمرة.

ذكر الفقيه الفاضل أحمد بن محمد المحلي[1] في كتاب أتى منه من ذمرمر وهو مقيم للتدريس هنالك أنه أتى رجل من أهل زبيد وحكى له هذه الآية على تفصيلها قال: وقعت هذه الظلمة يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر فغشت البلاد واستمرت يومها ذلك بليلته باليوم الثاني وهو يوم الخميس بليلته إلى يوم الجمعة وانقشع الظلام.

وفي طول هذه [المدة][2] نزل على البلاد عموماً في مشارق الأرض وتهامة، تراب يشبه لون الرماد. وحكى عن الرجل أنهم شاهدوا من مكان يسمى المخيشب[3] مثل السيول من السماء على زبيد، ففزع الناس فزعاً عظيماً، وأظهروا التوبة والإنابة. وأظهر سيف الدين سنقر [التوبة][4] بإخراج أهل الحبوس بزبيد، وكذلك فعل وردسار فإنه أخرج أهل الحبس من أولاد أهل صنعاء وغيرهم. ولم يقع من هذا التراب بصعدة والظاهرين والجوف شيء إلا أنه وقع بناحية سراقة الهين من ذلك ومن جبل مراد[5] إلى مأرب

(١) هو والد الفقيه العالم حميد ن أحمد بن محمد المحلي، صاحب كتاب الحدائق الوردية.

(٢) إضافة ليستقيم المعنى.

(٣) المخيشب: واد ما بين زبيد وتعز.
ابن حاتم، السمط، ص ١٨٥؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ٤٢٧، العقود اللؤلؤية، جـ٢ ص ١٣٠.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيمالمعنى.

(٥) مراد: جبل من جبال مأرب.
المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٦٠٦.

إلى بلاد بني حبيش. جاءت به الأخبار من غير واحد.

وفي صفر في سنة تسع وتسعين كان انقضاض الشهب من السماء إلى جهة المغرب من قدر نصف الليل إلى طلوع الفجر على الاستمرار، تبع بعضها بعضاً، فارتاع الناس لكثرتها مع الاستقامة إلى ذلك الوقت. وقيل ذلك أنه في موضع يسمى ماء رهين[1] بالأهجر من بلاد حمير، وكانت به قرى ومعازيب وضياعاً وأنهاراً، فأحس أهلها بحطم عظيم تحتهم في الأرض ففزعوا وانهزموا إلى أجناب[2] الجبال التي حولهم بنفوسهم ودوابهم. فسالت القرى والمعازيب والضياع بما فيها مقدار ميل حتى حطت على ضياع وأملاك لقوم آخرين في أسفل الوادي. ووقعت المنازعة بين الفريقين على الضياع والأموال، وادعى كل ملكها. فحكم الإمام عليه السلام بالضياع لأهل الأرض السفلى، ولأهل العليا نقل ما أمكن من حيطانها وأخشابها، وما استطاعوا نقله. ومنها الطاعون الذي حدث في بلاد عنز ثم في الطايف[3] فأجلاهم حتى لم يبق لأكثرهم وارث. وصواعق كثيرة في جهة المغارب ودخان أقام على البلاد قدر ثلاث سنين. وأظهر كل في جهته التوبة حتى رفعت عنهم هذه الآيات، ثم عاد كل إلى ما كان عليه، ونسوا ما نزل بهم. فهذه الحوادث كانت في ديار اليمن، وقد حكيت حوادث عظيمة بمصر والشام وبلاد الروم من خسف مدن، وزلازل، وأمور هائلة ذكرها السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني الحسني في كتاب أتى منه إلى الإمام عليه

---

(١) في الأصل (صارهين) والتصويب من، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، ورقة ٦٦؛ زبارة، أئمة اليمن، جـ ١ ص ١٢٧.

(٢) في الأصل (جناب).

(٣) الطايف: بلدة على ساحل البحر الأحمر من بلاد الزرانيق جنوبي الحديدة. =

السلام عن رجل تاجر اسمه أبو حازم، وقد أتى إليه من تلك الديار. وإنما أورد هذه الحوادث في السيرة المنصورية لما ذكرت الحادثة من نزول التراب من السماء في شهر صفر، ولأن فيها تذكرة وعبرة لمن أراد أن يتذكر. وهذا موضع الرجوع إلى ما كنت بصدده.

وفي هذا الشهر مات العفيف محمد بن المفضل بهجرة وقش. وكان الأمير يحيى بن حمزة على نية القدوم للعزاء فعاقه خلاف بني صريم وحربهم وقد أثاروا غزاة. وجاء كتاب منهم بذلك إلى الإمام عليه السلام إلى صعدة في صدره هذه الأبيات:

كذا توالت صروف الدهر مذكانا ... نعما وبؤسا وأفراحا وأحزانا
وأي حالاته لم تستحل فترى ... فيها له صنعة الحرباء ألوانا
تعطى وتسلب ما أعطت معاجلة ... فليت تلك العطايا كن حرمانا
للموت ماشاءه، للموت[1] تزرعنا الـ ... ـدنيا فتحصدنا شيبا وشبانا
إن كان سرك ما ساء الكرام فما ... أبعدت ما ساء موسى سَرَّ هامانا
وانظر إذا غاب مولانا العفيف إلى ... مولاه ذاك الإمام[2] الحق مولانا
نعلم بأن صروف الدهر إن أخذت ... داود عنا فقد أبقت سليمانا
فذاك كان لنا نعم البشير بدا ... كالفجر يبدو أمام الشمس عنوانا
إليك منا إمام العصر تعزية ... ترضيك عنا وترضى عنك رضوانا

= والطايف قرية من عزلة بني نوف، ناحية المدان، قضاء شهارة، والطايف قرية من عزلة قانية مستنير، ناحية السوادية، قضاء البيضاء.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٥٥٧؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤١١؛ التعداد السكاني لمحافظة حجة ص ٣٨٣؛ التعداد السكاني لمحافظة البيضاء ص ٤٣.

(١) هذا الشطر على النحو التالي في الأصل (للموت ما شاء منا بالموت تزرعنا الـ).
(٢) في الأصل (إمام).

عليك منا [سلاما] [١] يا منوح فلا ننفك نهديه ترويحا [٢] وريحانا

فأمرني الإمام عليه السلام بالجواب عن التعزية، فأجبت عنها. وأنشأ شعرا وأمر به إلى هجرة وقش وهو:

أقــول وأيــام الحيــاة قليــل وقد غالت [٣] الأحباب بعدي غول
ألا كل حي ما خلا الله هالك فليس إلى نيل الخلود سبيل
نـظل ونمسي والحمام كـأنـه علينـا بإتـلاف النفوس كفيـل
فلا تجزعـاً فكل حي فميت وللشمس من بعد الطلوع أفول
لعمري لئن مات العفيف محمد لرزء فصبرا ما علمت جليل
فتى من بني بنت النبي محمد أغر كنصل السيف وهو صقيل
سقى جدثا وارى سواد محمد أجش هزيم الجانبين هـطول
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على القبر تذريه صبا وشمول
لئن قلت عزينا عليه أخا له فـظيـع مــزاح إنني لجهـول
ولكن رآه الله أهــل جـواره فحُمَّ له [٤] بعد المقام رحيل
ونحن على خوض المنية شرع شبـاب وأشيـاخ معـا وكهـول
تقول العقول شمـروا وتأهبـوا والآمال إن الظاعنين نزول [٥]
خداعا حليم القوم يعرف أمره فيـرتاع والجهـال عنـه غفـول
لنا في رسول الله أعظم أسوة وقد مات خير الخلق وهو رسول

---

(١) إضافة ليستقيم المعنى والوزن.
(٢) في الأصل (روحا).
(٣) غالت: هلكت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غول.
(٤) حُمَّ له: قُدِّر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حمم.
(٥) في الديوان النسخة د (حلول).

ومات أمير المؤمنين شقيقه وصنواه ماتا جعفر وعقيل
وأبناؤهم صلى الإله عليهم غيوث نوال والأنام طلول
فلو كان عن حوض المنية ذايدا لماتت كماة دونه وخيول
وحاس[1] الخميس للخميس[2] وقصفت رماح لتحمي شخصه وتصول
وهان عليَّ أن أخوض غمارها لنحمي[3] خليلا بالدفاع جليل
فيا حاملي رضوا عظيما حملتم وزال أأجبال الحلوم[4] تزول
أشم طويل الباع من آل هاشم له حسب لا يعتريه خمول
فنعم مناخ الركب ساقته قرة شآمية نفاحة وتليل
إذا راح فحل الشول ربكا وحوله صفايا مطافيل عشبا وأفيل
وقاتل كلب القوم عن نار أهله ليربض فيها والمحاجل حول
هنالك تلقى وجهه فكأنه هلال وشر الماجدين قليل
ويعطي إذا عز العطا كل سيد ويبسط بشرا وجهه وينيل
ويبسم في يومي طعان ونايل وتبكي جنان فيهما ونخيل
وما من يد[5] في الناس إلا وكفه إليها على طول المنال تطول
حليم كريم أريحي مهذب قطوع لأسباب العباد وصول
إذا سئل معروفاً يكاد جبينه وإن عظم المطلوب منه يسيل
فيا نفس صبراً كم تعدين مجده عريض بيد الحاسبين طويل
فتى بين يحيى بن الحسين وقاسم فروع نبوات [زكت] [6] وأصول

---

(١) الحوس: هو الضرب في الحرب، وحاس: طلب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حوس.
(٢) في الأصل (الخميس) والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل وفي الديوان (ليحمي).
(٤) في النسخة د من الديوان (الحجاز).
(٥) في الأصل (سيد) والتصويب من الديوان.
(٦) غير موجودة في الأصل والإضافة من الديوان.

فصبراً بني بنت النبي محمد   وأشياعكمْ إن العزا لَجَميلُ

وفي هذا الشهر صفر كان وصول الحاج من مكة حرسها الله تعالى ومعهم أربع من الخيل. منها حصان أمر به علي بن عطية بن يعقوب صاحب حَلْي، ذكر أنه من حقوق لزمته، والباقي شريت لبيت المال برسم الجهاد.

وجاءت كتب الولاة بالحجاز يذكرون أنهم [١] قد سلموا ما حصل من حقوق الله تعالى، ومن البر والنذور إلى الشريف الحسن بن طامي الحراني. وكان الإمام عليه السلام قد كتب بتسليم ذلك إليه، وذكروا ضعف البلاد وأن الجراد أتت على أكثرها. وذكروا عموم مضرتها في الشام والديار المصرية. وحكى القاضي عباس بن أحمد أنه ما بقي من أهل مصر في هذه السنة ربعهم على ما بلغه ذلك. ثم حكى ظهور الفرنج ووصولهم إلى عكا [٢] في تسعين بطسة [٣]، في كل بطسة ألف [رجل] [٤] سوى [٥] خيلهم، وأنهم يريدون القدس.

وحُكي أن خليفة بغداد سلم إلى الشريف أبي عزيز قتادة بن إدريس رزقه هذه السنة والعام الماضي، وثلاث خلع، والفدى العراقية والشامية والمصرية التي كانت لبني أبي هاشم، كل ذلك بالكره. وذكر أنهم أرسلوا

---

(١) في الأصل (أنه).

(٢) في الأصل (عله).

(٣) البطسة: نوع من السفن الكبيرة الحجم متعددة الطوابق، ويصل عدد الشرع فيها إلى أربعين شراعاً. وكانت تستخدم لنقل الجنود والعتاد، ويقال أن البطسة كانت تتسع لعدد كبير من الجند يصل إلى نحو سبعمائة.

سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٥) في الأصل (سري).

أربعة من الحشيشية، وهم قوم في تلك الديار يرمون نفوسهم على الملوك فيقتلونهم ويقتلون، ويرون ذلك دينا، فجعلوا رجلين لأبي عزيز، ورجلين برسم الإمام عليه السلام. وأتى بتحقيق ذلك كتاب من الشريف الحسن بن طامي ليقع التحرز ممن يصل منهم إلى البلاد وتُنكر هيئته ولغته. فما كان إلا أياما متقاربة بعد وصول الحاج ودخل رجلان إلى صعدة من بلاد العجم، لا يكادان يفهمان شيئا من اللغة العربية، أنكرهما الحاج، ولم يعرفهما أحد. فأمر الإمام عليه السلام بالقبض عليهما وحبسهما. فلبثا في السجن أياما، ولم يتبين له شيء من أمرهما. وأتى رجل ثالث من جنسهما فحبس معهما مدة. ورأى تنفيرهم من البلاد، وأعلمهم أنهم إن وجدوا في بلاده بعد ذلك فقد أباح دماءهم. وأمر بترحيلهم (١) إلى جهة تهامة.

وفي هذا الشهر لسبع وعشرين [ليلة] (٢) خلت منه، ولد أبو القاسم حمزة بن عبدالله المنصور بالله سلام الله عليه بحوث من جاريته الحبشية. فأنشأ أبياتا ذكر في آخرها أنا صنعناها في الولد المبارك لعل الله ينفعه بها وينفعنا في الدنيا ودار الآخرة بحقه العظيم وهي :

أبا قاسم ما أنت إن جاش موجها	بفتيانها وازداد حراً وقودها
وماتت رماح الخط بين رعالها	وفارقت البيض الرقاق غمودها
وصار عميد القوم يعني مكانه	وسيقت له خطة لا يريدها
وضاقت على الأبطال وهي رحيبة	ودانت خطاها في المكر قيودها
وصاح كمى القوم ردوا وجوهها	فصمت ولم تصفح إليه حدودها
وهاب الرئيس أن ينوه باسمه	ولم ترفع الأصوات إلا حديدها
أتتني على أعقابها وهي جنح	وقد حثحثتها بالمهاميز صيدها

(١) في الأصل (بتراليجهم).

(٢) إضافة ليستقيم المعنى.

فتردي قريع الخيل في سرعاتها ... بضربة حر لا تنادي وليدها
وتردع أولاها بصدر مطيهم ... تلين له بعد القساوة عودها
وإنك إن كنت ابن سوداء برة ... فقد شاد بيضان العماير سودها
أليس خفاف والسليك وعنتر [1] ... حماة إذا بلت بروع لبودها [2]
وبعد فأنت ابن النبي محمد ... وحيدر إن عدت بفخرٍ جدودها
فما غض من زيد تأمم أمه ... ولا نال من ميسون مجداً يزيدها
فاحي رسم الدين واسم لشيدها ... فآباؤك الصيد الكرام تشيدها
ولا تله عن كسب العلوم وضبطها ... بأركانها والشاهدات حدودها
وضيفك أكرمه وإن عُدم القرى ... وطبق أقطار البلاد جليدها
وجارك لا تُسِلْم لَخطبٍ وإن طغى ... ليظلمه [3] جبارها وعنيدها
وصاحبك احفظه كنفسك إنه ... لدى كل محمود الخلال [4] يزيدها
وكن لبني الأعمام حصنا ومعقلا ... إذا حضرت [5] شهباء تهفى بنودها
وصل رحما للقاطعين ولا تنم ... وقوِّم ولاة الظلم إن مال جيدها
ولا تنس أمر الله في كل ساعة ... ليشهد بالخيرات عنك شهودها
ومن حي حام نسبة فيك فاحمها ... فدعواك منا لا يرام بعيدها
وبادر إلى الخيرات لا تُسْبَقَنْ بها ... وكن رجلا يبدي بها ويعيدها
وإن ناب أحياء العشيرة نايب ... فكن دونها سوراً وكد من يكيدها

---

(١) هم خفاف بن ندبة السُّلمى، وسُلَيْك بن السُّلكة، وعنترة بن شداد. وهم من أغربة العرب: أي سودانهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرب.

(٢) اللبد: الذي لا يبرح منزله.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لبد.

(٣) في الأصل (ليظلمها) والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (الخصال) والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل (خطرت) والتصويب من الديوان.

وكن طود حلم حين للحلم موضع وصرصر عاد [أو تلين شديدها] [١]

وجاء كتاب من الأمير عماد الدين إلى الإمام عليه السلام يستورد أمره في القدوم إلى هجرة وقش للعزاء. ووقع خلاف بني صريم الذي كان بطراً وأشراً، وكان شيوخهم قد أوكنوه من قبل. وكاتبوا الغز، ووجدت كتب كثيرة أجوبة عن كتب كتبوها إليهم يستدعونهم، ويهونون أمر البلاد عليهم، لما قطعت عنهم عوايد كانت لهم في دول الظلم قبل الغز ومعهم. وصار الناس في دولة الحق سواء، لا فضل في العدل للقوى على الضعيف، ولا للغني على الفقير. وكان الأمر بخلاف ذلك فيما تقدم يميلون على الضعفاء بالجور، ويأخذون أموالهم بيد الظلم، فمنعوا من ذلك. فأملهم فراق ما يعتادون من شمول الخير في بلادهم، وعموم النعم على كبارهم وصغارهم، فلم يعدوا نعم الله عليهم بالشكر فعجل نقمتهم.

وكان منهم جماعة يقال لهم آل غشم يفسدون في البلاد، ويقطعون السبل، ويقتلون النفس التي حرم الله بغير الحق. وهم يصدرون لذلك من منازلهم، ويأوون إليهم ولا يمنعوهم من ذلك ولا ينكرون عليهم، وهم يظهرون أنهم مخالفون، وأنهم يأوون إلى شظب. ولم يقدروا على إظهار الخلاف وهو في نفوسهم، وجمعوا الحقوق الواجبة من بلادهم ولم يخلصوها في وقتها، وطلبوا للخلاف عذرا وطريقا، فلم يجدوا طريقا حتى اشترى الشيخ عزوان بن أسعد السريحي سهمة في موضع في طرف من بلاد بني صريم يسمى الزيلتين [٢]. وانتقل بأولاده وجماعة من أصحابه للحلول فيه، فأنكروا عليه في ذلك، وأرادوا منعه خوفا منهم بزعمهم أن يتدخل البدو في بلادهم. فأتى من مشايخهم جماعة إلى أثافت يوم الجمعة

---

(١) بياض في الأصل، والإضافة من الديوان.

(٢) يفهم من النص أن الزيلتين بالقرب من أثافت.

لسبع وعشرين خلت من صفر، فوافقوه هنالك وجرى بينهم شرح طويل، وأنكروا عليه وطلبوا منه الشفعة. وافترقوا على ميعاد للحضور إلى مجلس الشرع فأجابهم إلى ذلك. فأجمعوا أمرهم وقادوا عسكراً وصحبوه إلى المكان، وتركوا حكم الشرع وراء ظهورهم. ووقع بينهم القتال على الموضع فمنعهم أصحاب عزوان منه، وقتلوا رجلا من جيران بني صريم، وأصابوا جماعة منهم بالنبل.

وبلغ العلم إلى الأمير شجاع الدين جعفر، وتقي الدين القاسم ابني الحسين الحمزيين إلى أثافت، فركبا مغيرين ومعهما القاضي نصر بن محمد، والشيخ الأمين دحروج بن مقبل والحرب قائمة بين الفريقين. وقد ضايقهم بنو صريم في المكان فوقع الخطاب على خروج الصاعيين منه وتسليم رهينة مقبوضة من بني صريم، فساعدوا إلى ذلك، وخرج الصاعيون بأولادهم.

وطلب الأميران الرهينة فامتنع الصريميون عن تسليمها، وأرادوا خراب المكان فمنعهم الأميران عن ذلك، وجعلا فيه رتبة من الديوان من قبلهما حتى يتعـاطوا الحق أو يأتي أمر الإمام عليه السلام بما يراه.

وقد كان عزوان بن أسعد وصل إلى صعدة بعد أن أرجف المرجفـون بأنه قد خالف، وأنه يريد قود الغز إلى بلاد بني صريم. فأتى يطلب القيام معه على الحق ، ولسد باب الشر فيما بينه وبين بني صريـم، ويعلم الناس طاعته وانقياده لأمر الله تعالى وأمر الإمام عليه السلام.

وانصرفوا بعد خروج الصاعيين من الزيلتين إلى بلادهم لعمارة القصبة [١] ودرب شاكر وإعداد آلة الحرب وشحنة الموضعين والتأهب

---

(١) القصبة: قرية من عزلة غربان، ناحية خمر.

للحرب. وأمروا للشريف جعفر بن القاسم القاسمي، وكان كثير الفساد، مجتهداً فيما يحدث في البلاد من خلاف أو عناد، فلا يدع ممكنا بجهده، فبايعهم على نفي الظلمة وإزالة الجور فبايعوه. وأجمع رأيهم على إثارة الحرب والامتناع عن طاعة الإمام حتى يصالحهم على جانب من البلاد، ومنته نفسه وإياهم بالمحال. فكتب إليهم الإمام عليه السلام كتابا يأمرهم فيه بالحضور إلى قاضيه، وأخذ الحق وإعطائه إن كانوا يريدون ذلك، ويحذرهم أن يتعرضوا لهلاك نفوسهم، ولحرب بلادهم. وكتب إلى وادعه وبني صريم عموماً كتاباً بخط يده نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم. إلى كافة من بلغه هذا الكتاب من الوادعيين والصريميين، سلام الله عليكم. فانا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد فان الله سبحانه أقدر على نصر دينه وهلاك أعدائه. ولكنه تعالى لحكمته وعموم رحمته عرض الخلق لثوابه ونزول دار كرامته بما فتح الله لهم من باب الجهاد في سبيله، وقد علمتم ما كان من الغشميين والدوكليين [1]، إلا من تمسك بالحق من المتمردين عن أمر الله سبحانه، والسعي بالفساد في الأرض، والله لا يحب المفسدين ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين. وقد أعطيتمونا لله سبحانه صفقة إيمانكم على نصرة الحق بأموالكم وأنفسكم، وصرتم على زلزال الخوف حتى أخمد الله نار الباطل واشتدت قواعد الدين. ثم نجم من هؤلاء القوم ما نجم لغير أمر منا

= التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٤٠٤؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥.

(١) الدوكليون كما سيذكرهم مصنف السيرة بعد ذلك ، هم أهل دوكل من بلاد بني صريم.

يعتبرونه حجة لهم عند أهل العقول، والله عز من قائل يقول ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (١). فكونوا من حزب الله رحمكم الله. وشمروا وافعلوا ما ترضون به إمامكم الأدنى، ونبيكم الأسنى، وربكم الذي له الأسماء الحسنى، وبيده الممات والمحيا. فإنا ما نخاف من تمادى ضلال هؤلاء القوم إلا أن يكلفونا على أن نحمل البلاد من العساكر المنصورة الموفورة ما يتعبها ويضر بأهلها. ونحن نفرح بقوتها ودفع المضار عنها، فقد علمتم أنا أمرنا الصائح في قطع ضيفة تكون من قبلنا وعلف الخيل. ونحن نحوطكم حياطة الأم البارة، فاعملوا لله سبحانه، وأخلصوا نيتكم في طاعته، وشمروا في حرب القوم حتى يكون الدين كله لله.

ومن العجائب أنه يبلغنا أن الأمير جعفر بن القاسم يبايعكم على نَفْي الظَلَمة، فإن كنت أنا الظالم، فأنا أتولى دفع شرٍّ نفسي عن (٢) المسلمين. ولكن الله يعلم أني لو تأخرت عن البلاد لأخذ الشجر عما منه شارداً (٣) على الحقيقة وإلا فأي يوم قد كاشر فيه الظلمة، وإن كان من أهل ذلك ولكنه لم يفعل فالله المستعان. فانظروا في أمر يخلصكم عند الله.

وحكى الشيخ الفاضل محمد بن الحسن الرصاص وكان حاضراً من ابتداء وصول بني صريم إلى حوث إلى انتهاء أمرهم، أنه لما ظهر منهم

---

(١) سورة المجادلة، آية ٢٢.

(٢) في الأصل (من).

(٣) كذا في الأصل والعبارة غير مفهومة.

الخلاف وللتأهب للحرب طلع الأمير علم الدين سليمان بن موسى من جهة الخموس راغباً في تغطيتهم، وسد باب الشر الذي فتحوه على أنفسهم، وأتى إلى أثافت وقد حضر شيخهم صَبْرة بن محمد، وكان مقداماً فيهم كثير الفساد، ومن يعد كارهاً للدولة الحق، وقاسم بن أحمد، وكان يتغطى بالنفاق ويظهر النصيحة والنفع حتى نجم نفاقه، وتبين شقاقه في جماعة من بني صريم، فتحدث معهم وعرفهم بما يجب عليهم من طاعة الله تعالى وطاعة الإمام عليه السلام، وحذرهم أن يفتحوا فتح شر يكون فيه دمارهم، وقال إن كنتم تريدون أخذ الحق وإعطاءه فاني متكفل لكم وعليكم بذلك، فأظهروا أنهم يريدون الحق، وأنهم مُنعوا منه. فأمرهم بالقدوم إلى حوث إلى مجلس الحكم عند القاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي. وتقدم إلى هنالك وهم على إثره حتى صاروا في بلد الأضمو[1]، ثم بدا لهم من بعد ذلك وعادوا على إثرهم. وعلم الأمير برجوعهم، فأمر الشيخ فخر الدين أرحب بن سليمان إليهم، فأظهروا الخوف، فعقد لهم بالصحابة، فعادوا معه. وحضروا بين يدي القاضي وخصمهم عزوان بن أسعد، وجرت المنازعة بينهم في الخصومة. وافترقوا ولم يقع حكم لأحد منهم على الآخر. وتفرقوا على أنهم يحضرون[2] للفصل في مجلس آخر حتى أجنهم الليل، ومضوا مكتمين لأنفسهم على وجه الهزيمة لئلا يتقرر عليهم الحق. فتوجه صبرة بن محمد إلى الظاهر، وقصد قاسم بن أحمد الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة، فسأله الصحابة إلى حوث، وأوقفه على كتاب من الإمام عليه السلام يأمره بإحضار رهينة والحضور للحكم فيما أوجبه الشرع، وكان عليه نفاذه على من وجب عليه طوعاً أو كرهاً. فتقدم

---

(١) يتضح من النص أن الأضمو موضع بالقرب من حوث من الناحية الجنوبية.

(٢) في الأصل (يحضروا).

معه الأمير إلى حوث، ولم يقع فصل بينهم فوعد بتسليم [1] الرهينة إلى أثافت ومعاطاة الحق هنالك يوم الجمعة لخمس عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، فوصل الأمير لمعاده فيمن حضره من الأشراف، فانتظره فلم يصل.

وكتب كتاباً في اليوم الثاني أفحش فيه [2]، وأظهر لهم ما كان في نفسه. وعلموا أن بني صريم لا يأتون بخير، فنهض الأمير فيمن كان معه لحفظ الزيلتين، وكتب كتاباً إلى الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة يحقق له أمور القوم وما قد عزموا عليه من الخلاف، وأنهم ما دنوا لحق، واستنهضه في العسكر من بلاده.

وكان عنده فيهم خلاف ذلك، وأنهم حملوا على الخلاف، وكتبوا إليه يخادعونه ويشتكون إليه ويقولون: إنهم ينتظرون وصوله ليدفع عنهم شر بني صاع ومن ظاهرهم من الأشراف وولاة الإمام عليه السلام، فحملهم على ما ظهر له منهم. وأتى مبادراً فيمن حضره لتغطيتهم، ولم يجهز عسكراً لحرب؛ وهم في خلاف ذلك مجتهدون في العمارة وجمع السلاح والأهبة للحرب. وكان وصوله لإحدى وعشرين ليلة خلت من الشهر، فانتظر وصول من يصل لميعاده، فلم يصله أحد منهم. فبعث إليهم مطهر بن المكم، وزيد بن جابر وهما كبيران من بني صريم يلتمسان ما عندهم وما يريدون. وأنه قد أتى قاصداً لتغطية أمورهم ودفع الشر عنهم، فلم يقبلوا النصيحة وردوهما بغير شيء، فلم يستعجل عليهم بشر. وبعث إليهم معهما القاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي، والقاضي عامر بن الدحامس، والشيخ عمرو بن مالك وهما من كبار بني شاور، ولهما نصيحة ومودة، فقدم الجميع إليهم فاجتهدوا في ردهم عما قد عرض في نفوسهم.

---

(١) في الأصل (لتسليم).

(٢) في الأصل (منه).

وكان لهم عناية في ذلك، وما زالوا بهم حتى ساعدوهم على قدوم قاسم بن أحمد لمقابلة الأمير. ورهن القاضي عامر بن الدحامس ولده عندهم في قاسم بن أحمد حتى يرده. وأتوا إلى المحطة جميعا وأظهر أنه يريد إبلاغ الحق في هذا الموضع. فطلب منه الأمير رهينة، فرهن أخاه غشيماً وحضر هو وخصمه عزوان بن أسعد بين يدي القاضي فتنازعا، وأوجب القاضي تعطيل المكان وتعديله حتى يقع الحكم فيه بعد ذلك، فامتثل عزوان أمر القاضي وأخرج أولاده وأصحابه. وكان فيه سهمة لأيتام، فنصب القاضي لهم وكيلا، وطابت نفس قاسم بن أحمد بتعديل المكان، ووكل وكيلا ينازع عنه. وعزم على الرجوع إلى درب شاكر. وكان الأمير قد شرط عليهم إخراج الأمير جعفر بن القاسم من هنالك، وبين لهم أنه لا يدعهم على خير ولا يصلح أمورهم ما دام فيه، فاستنظر منه حتى يقع الفصل اليوم الثاني، وراح على ذلك. فلما وصل لزم ولد القاضي عامر بن الدحامس في خلاص أخيه، وأظهر أنه ما انفلت من المحطة إلا بخديعة وصمم على الحرب، فخلص الأمير أخاه واستخرج ولد القاضي عامر. ولما صح له ما قر عزمهم عليه وأنه لا بدهم مما قد قام في نفوسهم وزينه الشيطان لهم حتى أوردهم مورد الهلاك وقال إني بريء منكم. فبعث الأمير عماد الدين القاضي يحيى بن جعفر بن أحمد إلى بلاد الطرف وبني شاور وبلاد حمير وما يتصل بذلك من بلاد بني أعشب [1] وميتك لجمع العساكر من هنالك. فالتأم إليه عسكر كثير وجمع موفور، ووجه إلى كل جهة من يستنفر أهلها. وكتب إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم يستنهضه في العساكر من

---

(١) عشب: بفتحات، بطن من همدان ومساكنهم في عزلة بني عشب ناحية كحلان عفار، قضاء حجة. وكانت العزلة تعرف باسم أعشب.
المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٥٤؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ١٢٩.

تلك الجهة، وكتب إلى السلاطين آل حاتم بذمرمر، وإلى المشايخ بني الضربوه بثلا. فأقبل كل من جهته في عسكر معتبر، وأقبلت العشائر من وادعه وبكيل وبني صريم وعذر من جهة المشرق والمغرب وداعي مرهبة. فاجتمع عساكر مؤيدة، وجنود مجندة بالسلاح والعدة والزانة والغوامر الكثيرة. وأتى بالمنجنيق، وكان الأمير قد استعمله وفتح به حصن العادي في بلاد جنب.

وتكاملت العساكر يوم الأربعاء لسبع خلت من ربيع الآخر، ووصل فيمن وصل الأميران محمد بن إبراهيم، وجعفر بن الحسين القاسميان. فرأيا من كثرة العسكر وقوة الأمر ما لا يستطيع أهل درب شاكر دفعه، وسألا نصب المنجنيق بدلوان [1] والرمي به. وكان أكثر الناس زاهد فيه، ويقولون إنه ناموس لا نفع فيه. فنصب ورمى به فرأوا منه ما أفزعهم. وكان ولد الأمير محمد بن إبراهيم القاسمي من جملة من خالف مع الشرفاء مع الصريميين في هذا الموضع، فسأل الفسح له ولجعفر بن حسين القاسمي بالقدوم، ولتحقيق ما شاهدوا، والنصيحة لهم وإبلاغ العذر إليهم. ولم يكره الأمير ذلك تأكيداً للحجة عليهم، فأذن لهما. فلبثا عندهم يومين، وطال الخطاب فيما بينهم، ولم ينتظم لهما ما قدموا له من تغطيتهم. فلما يئس الأمير محمد بن إبراهيم مما عندهم أخرج ولده منهم غصباً. وكان مغزاه إليهم على ما ذكر منه بغير اختياره، فنهض الأمير عماد الدين يريد المحطة على درب شاكر، والحرب لهم. فأتاه قاسم بن أحمد متشفعا بمن يعز عليه في تأخير المحطة، على أنه يأتي بالرهينة، ويدخل في

---

(١) دلوان: قرية من عزلة الظاهر، ناحية خمر.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢١٦؛ التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٤٠٧.

الطاعة ، فأجابه إلى ذلك. وحط في موضع يسمى القصر [1] وانتظروه يومين فلم يف بما شرط، فأتى إليه الأمير محمد بن إبراهيم القاسمي فسأل الفسح له بخطابهم، ففعل. كل ذلك رغبة في سلامتهم وتغطية أمورهم، فلم يساعدوه. وكانوا كلما رأوا من الأمير لينا، ازدادوا قساوة. ولم يكرهوا التطويل بالمخاطبة ليقع الملال لما يعلمونه من سعة الإنفاق في العسكر، والضرة التي أصابتهم من شدة البرد ووعث المطر. فغلب صبره صبرهم بنصر الله تعالى وعونه.

وكانت لبني صريم عموماً يد عند المشايخ بني الضربوه أيام حصرهم سيف الإسلام بحصن ثلا. فكانوا ممن أعان على كسر محطته، والتنفيس عليهم من شره. فأرادوا مكافأتهم وحقن دمائهم. فسأل الشيخ علي بن منصور الأمير عماد الدين بالفسح بالقدوم إليهم للنصيحة لهم، ولعلهم يقربون إلى الطاعة على يديه، فأجابه إلى ما أراد. وتقدم إليهم فنصحهم، فازدادوا شدة وغلظة وقساوة، وسبوه وآذوه بعد أن خرج منهم. فنهض الأمير عماد الدين مستعيناً بالله تعالى عليهم بعد أن بالغ أشد المبالغة في الإعذار إليهم حتى عنفه بعض أصحابه في المهلة وطول المدة. فحط عليهم يوم الاثنين لتسع خلت من ربيع الآخر، وكانت مدة الإقامة منذ وصل الأمير إلى أن أخذهم إحدى وعشرين يوماً. وكانت الحرب عليها في آخرها ثلاثة أيام، فوقع القتال أول يوم ونصبوا المنجنيق آخر النهار ذلك اليوم. وكان نازحا عن المكان فلم يصنع شيئا، ووقعت حجارته دون الدرب. ولم يقع تمكن من تقريبه لتوعر ما حول الدرب، وصعوبة السلوك فيه للراجل بسلاحه، فكيف بنقل المنجنيق، فاشتد القوم لذلك وقاتلوا قتالا شديدا.

---

(١) القصر: قرية من عزلة آل ابو الحسين، ناحية خمر.
التقسيمات الادارية لعام ١٩٨٥؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص ٦٥.

وتولى القتال والمضايقة عليهم الأمراء والأشراف خاصة، ومن ينضاف إليهم وهم القليل، وسائر العسكر من بعيد ينظرون وأكثرهم للحق كارهون إلا قوم من حمير وميتك وبني شاور وبني صاع، فإنهم شركوا في القتال. فوقعت صوائب كثيرة وجراحات من الفريقين جميعاً. وقتل رجلان بسهمين، أحدهما من نهج الأمير عماد الدين، والآخر من جنب يقال له حسن بن منصور، وكان من الملازمين في خدمة الإمام عليه السلام. وقتل يحيى بن قاسم من مشايخ ميتك، وثلاثة رجال من حمير. فاشتد القوم في حصنهم، ودخل إليهم من المفسدين من قوى عزائمهم، ومن جملتهم رجل من آل سعيد، حي من مرهبة. وكان عليه من الإمام إنعام وإحسان، فأمسى عند الأمير صفي الدين في المحطة على الإكرام والإنصاف. فلما أصبح دخل الدرب ومعه ولده مخالفاً، فقتل آخر نهاره شر قتلة، تولى قتله قوم من بني صاع كانوا يطلبونه بدم، وأصيب ولده بنبل، وانهزم في جملة المنهزمين.

ولما كان في الليلة المسفرة عن يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة ستمائة، وهو اليوم الذي أظهره [١] الله فيه على أعدائه، ونصر فيه جند وليه وابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله. وأجمع رأي الأمراء على نقل المنجنيق في تلك الليلة سراً إلى موضع قريب من المكان ليقع الانتفاع به، فجمعوا رجالا كثراً [٢] لحمله مركبًاً. وأرادوا أن لا يظهر ذلك لأهل المكان فيرمونهم عليه فيعسر عليهم إيصاله. وكان العسكر قد لهج بقول ياباسارية، يعنون بذلك شريفاً من المخالفين يقال له قاسم بن أحمد الحرازي، وجعلوا ذلك في أوقات القتال وحمل الحجار، وفي الليل

---

(١) في الأصل (أظهر).
(٢) في الأصل (كثيراً).

والنهار حتى لم ينكر ذلك أهل المكان. فحملوا المنجنيق، ورفعوا أصواتهم بذلك لئلا يحسوا بما هم عليه. وكان الموضع وعراً، وما أيقنوا أنهم يسلمون منه مع الظلام والوعر وضيق المسلك، فأعان الله تعالى فما لحق أحد منهم كلم ولا مضرة. وأمسوا ليلتهم يصلحون آلته، ويبنون عليه المحاجي، فما طلع الفجر إلا وهو مستقل في موضعه ذلك. وعادوا لنقل الحجارة التي يرمون بها، فنقلوا ما يحتاجون إليه. وجعل الأمير عماد الدين لكل قبيلة جهة تقاتل فيها، ليعرف لكل[1] منهم مكانه ونفعه. والقوم مستمرون على غيهم، ما يكفون ألسنتهم من السب والأذى للأمير والمأمور[2]. وتعدوا بعد ذلك إلى سب الإمام عليه السلام لتعجيل النقمة، فوقع القتال من أول النهار، وقتل المنجنيق منهم جماعة، ورمى برجل منهم من سطح عال كان يقاتل عليه إلى أسفل، فوقع على صفاة فاندق عظمه في لحمه، فنزلوا من السطوح، وكانت مضرتهم منها على العساكر كثيرة. فنقبوا عليهم، وأحاطت بهم جنود الله، وأيقنوا بالهلاك. فانهزموا بإذن الله يدق بعضهم بعضا إلى باب في طرف الدرب يفضون منه إلى شعاب ومواضع وعرة لا تستطيع العسكر الوصول إليهم فيها. واشتغل الناس عنهم بأخذ الغنائم. وقتل منهم من قتل، فالذي صح على ما حكاه الشيخ محمد بن الحسن الرصاص عن القاضي شرف الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسود الأقهومي[3] وهو من خير عباد الله زهداً وورعاً

---

(١) في الأصل (لكلا).

(٢) في الأصل (الماور).

(٣) الأقهومي نسبة إلى الأقهوم من بلاد شظب.
إسماعيل الأكوع، أفعول، مجلة الإكليل، العدد الثاني، ١٩٨٠، ص ٢٣. ويبدو أن الأقهوم هي عزلة الأكهوم من ناحية جبل عيال يزيد.
الشامي، تاريخ اليمن الفكري ، جـ ٣ ص ١٤٢.

وعلماً، وهو قاضي الإمام عليه السلام في تلك الجهات. وقد أتى ورجل معه من بني صريم يقال له عواض بن قاسم بن سيف، وهو من أهل الطاعة والمحبة. وكان له ولأخيه مهلهل بن قاسم الاجتهاد في نصرة الدين والجهاد في سبيل الله، ومباينة الأقارب في حق الله تعالى ما يهنآن[1] به على أبناء جنسهما وأهل عصرهما، واستقاما على الطريقة المحمودة، بل ازدادا صلاحاً في كل عام، وحصل بمعونتهما من النفع في الدين ما كساهما فخره مطارف الثناء، وذخر نفعه ليوم الجزاء. فذكر أن الذين قتلوا منهم خمسة وثلاثون رجلاً، منهم صبره بن محمد وولده محمد، وصبره بن صبره وولده من أهل دوكل، وسائرهم من أهل شظب وشاكر والعرضى[2] وفيهم شريف من بني الحرازي يقال له جوهر، والأمير جعفر بن القاسم أسره قوم من بني صاع، وأخذوا ما كان عليه وخلوا سبيله، وأصيب ولده بنشاب أمرقه، وسلم من الموت. وتغنم العسكر غنايم كثيرة من الدرب وأسروا قوماً من أهل شظب وغيرهم أفدوهم نفوسهم بأموال سلموها إليهم، وخمدت نار المفسدين وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

وأمر الأمير بخراب الدرب فأخرب، وقد كان خرب منازلهم بدلوان وأخرب خايطين[3]. وأتاه ولد صبرة بن محمد سامعاً طائعاً برهينة سلمها

(١) في الأصل (يهنا).

(٢) العرضي: قرية من عزلة بني محمد خميس، ناحية ظليمة حبور، وقرية من عزلة سيران الغربي، ناحية شهارة، وقرية من عزلة شمرين ناحية القفل، قضاء الشرفين.
انظر: التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ٢٦١، ٣٧٦، ٤٠٢.

(٣) يبدو ان الصواب هو: الخيطين من عزلة بني مالك ناحية خمر. كما يوجد موقع آخر يسمى الخيطين من عزلة سفيان، ناحية ذيبين.
انظر: النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛ التعداد للسكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، حـ ٢ ص ٥٢٠.

في تأدية ما عندهم من الحقوق، وذم أباه واعتذر أنه ما رضي فعله. وانصرفت العساكر إلى جهاتها. ونهض الأمير عماد الدين إلى خايطين(1) يوم الجمعة ثالث الوقعة، فوافق السلطان جمال الدين الفضل بن علي بن حاتم في جماعة من أخوته وبني عمه، وخيل من همدان، وعسكر أتوا به للحرب. فجاءوا وقد وضعت الحرب أوزارها، فردوا من كان معهم إلى ذمرمر إلا من لا يستغنون عنه. وقدموا إلى الإمام عليه السلام إلى صعدة فتلقاهم بما هو أهله وما يستحقونه من الإكرام والإنصاف، وأقاموا معه حتى نزل إلى الجوف يريد مأرب. وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى. وجاءتهم قصيدة من ذمرمر منها.

لـقـد أحـرزتم الـفـوز كله ... وشاهدتم ذاك النديَّ المعظما
ندي عرا جبريل حاضر سرحه ... مقالة حق ليس ظنا مرجما
تحف به الأملاك حول ابن حمزة ... أجل بني الزهراء قدرا ومنتمى
سليل النبي المصطفى وشبيهه ... يتمم من سبل الهدى ما تيمما
كريم السجايا التي هو أهلها ... وقلتم لقد أَولى صنيعاً وأنعما
وتلك لعمري وهي شِنْشِنَةٌ له ... وإن لم يلده أخزمٌ وابنُ أخزما(2)
وما هو إلا البحر عذب وروده ... وهل واردٌ بحراً بدا يشتكي الظما
به كشف الله الضلال عن الورى ... وصلى عليه ذو الجلال وسلما

وجاءت البشارة بالظفر على أعداء الله المخالفين من بني صريم إلى الإمام عليه السلام بعد انقطاع العلم منهم أياما؛ فحمد الله تعالى وأثنى

---

(1) في الأصل (خاطين).

(2) شنشنة أعرفها من أخزم. مثل يقال إذا تم تشبيه الولد بأبيه في الصفات؛ وفي مشابهة الفرع للأصل.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٢ ص ١٥٥ ـ ١٥٦؛ البكري، فصل المقال، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠؛ محمد عبد الغني، من أمثال العرب، ص ١١٦.

عليه بما هو أهله ومستحقه. واستر بما فتح الله به من النصر والاستظهار على أعدائه، واستر المسلمون بذلك وحمدوا الله عليه. وأتى في صدر كتاب البشارة أبيات للقاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي وهي:

أمير المؤمنين عتا أناس ... فأعقبهم عتوهم الوبالا
وظنوا في خلافهم رشادا ... فكان خلافهم لهم ضلالا
هم كفروا أيادي منك غرا ... أفدتهم بها جاهاً ومالاً
أرادوا حرب جند الله جهلا ... وهل عقل الذي نطح الجبالا
أجشنا نحوهم جيشاً فبادوا ... وضاقوا عن محاربه مجالا
وكانوا قبل وقعتنا حراما ... فصاروا إذ عصوك لنا حلالا

فأمرني الإمام عليه السلام بالإجابة عنها لأشغال كانت في وجهه، فامتثلت أمره مع قصور في المعرفة. وأجبت بعدتها أو زيادة بيت أو بيتين بعجلة البريد، فأمرني بالزيادة عليها فامتثلت أمره لما يجب من طاعته وكتبت هذه الأبيات.

طغت سفهاء من أبنا صريم ... فأعقبهم شقاقهم وبالا
وظاهرهم على العصيان قوم ... فما زادوهم إلا خبالا
عتوا عن أمر ربهم ضلالا ... ومناهم زعيمهم المحالا
وظنوا أن ستمنعهم حصون ... فزالوا من حصونهم وزالا
فصبحهم صباح ثمود جند ... وبيض ظباة تشتعل اشتعالا
فيا لله عشا من رأى آل ... هاشم كالبدور بدت تلالا
على الجرد المسومة المذاكي ... يجرُّون المثقفة الطوالا
وكل فتى كمي من علي ... إذا ما عدت الآباء طالا
يكرُّ على الكتيبة لا يُبالي ... أمصرعه يميناً أو شمالا
يقيمون الهدى بشبا المواضي ... وينفون الفواحش والضلالا

يقودهم عماد الدين يحيى بن حمزة خير من وطيء النعالا
وتسبقه الفوارس إن تولت ويسبقها إذا عطفت عجالا
إذا استمطرت نائلةً أنالا وإن أمهلته سبق السؤالا
وسيدهم محمد ذؤا المعالي الـ ـذي حاز الفضائل والخصالا
صفي الدين خير بني أبيه وفارسهم إذا شهد النزالا
وبالحسن بن حمزة طال ركن الـ ـعلا وبنا به مجداً طوالا
يجود بنفسه في كل حرب ويجدي من عوارفه النوالا
وإن ضاق الفضا ألقى مجالا وإن جالت به الفرسان جالا
أعدهم لنصر الدين مولى الـ ـورى المنصور أعلى الناس حالا
أمير المؤمنين مقيم دين الـ ـهدى بالسيف فاعتدل اعتدالا
وبالحجج المنيرة لا كلالا لديه لسائليه ولا ملالا
فقادا حاشدا وذرى بكيل ومرهبة أتت غصباً تبالا[1]
تمج قسيها حيقاً سريعاً إلى الأعدا وتودعه النصالا
ومن همدان أقبل كل ليث[2] إذا اضطرمت لظى الهيجاء صالا
ووادعة أتت وبني صريم ومن عذر حمدتهم رجالا
كتائب من ذرى قحطان جاشت تضيق بجمعها الدهنا[3] مجالا
أجابوا إذ دعا يحيى محالا ولبوه لنصرته محالا
وحرب قبيلة جهلت فكانت كناطحة بروقيها[4] الجبالا

---

(١) التبل: العداوة والحقد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: تبل.

(٢) هذا الشطر على النحو التالي في الأصل (ومن إقبال كل ليث).

(٣) الدهناء: الفلاة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: دهن.

(٤) الروق: القرن.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: روق.

دنـا لـله إعـذاراً إليـهـم ليحقن بـالـدنـو دمـاً ومـالا
فظنوا ذاك عن عجـز ووهن وما قبلوا لذي نصح مقالا
ولان لـهم فـزادهـم قـسـواً بجهلهم فنـاجـزهم قتـالا
ومـالـوا عن إجابتـه لـرشـد فمـال وما عن المنهاج مالا
فَعُلَّ المشـرفيـة بعـد نهـل نجيعـاً من دمـائهم حـلالا
فعـادت وهي حمـر مفعمـات وكـانت قبـل صـافيـة صقـالا
فعرج[1] الدو[2] عاكفة عليهم تنوش من العدا بين الجمالا

ومما قيل من التهاني في قتل بني صريم وأخذهم، الشيخ يحيى بن أحـمد بن حجـلان قـال:

تهنـا يـا أميـر المؤمنينا[3] حياة الـدين والفتـح المبينا
ومـا منَّ الإلـه بـه علينـا ويهنـانـا وتهنـا المسلمينا
تحككت الأقـارب بـالأفـاعي فـأعقبهـا ضـلالاً مستبينـا
أطـاعوا أمـر قائـدهـم فضلوا وكـان ضـلالهم علمـاً يقينا
وقالوا هم أولـو بأس شـديد وهم في كـل ناحيـة عرونـا
فلمـا أقـطعت منهم رءوس بعثت عليهم حـربـاً زبـونـا
وأبـطالاً سمـادعـة[4] ليوثـا شعـارهم شعـار المؤمنينـا
يقـودهم عمـاد الـدين يحيى شقيقك في الورى حسباً ودينا

---

(١) العرجـاء: الضبع، والجمع عرج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عـرج.
(٢) الـدو: الفلاة الواسعـة.
ابن منظور، لسان العرب، مـادة: دوا.
(٣) في الأصل (المؤمنين).
(٤) السميدع: الكريم والشجاع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سمدع.

وكافيهم صفي الدين حتى ... أتوهم في الحديد مسربلينا
فحسوهم بإذن الله حسا ... وباتوا بالعراء مقلبينا
تزورهم السباع بكل واد ... تعضيهم[1] لأشبلها عضينا
تظل الطير عاكفة عليهم ... تراهم بالدماء مزملينا
تهيل الترب فوقهم السوافي[2] ... وبعض في الحديد مكبلينا
وتبكي كل أرملة عليهم ... وكل يتيمة حيناً فحينا
لَعَمْرُ أبي لقد باءوا بإثم ... وذل لا يزال لهم قرينا
ألا لله در بني عليٍّ ... إذا لبسوا الحديد مكفرينا
إذا يقع الصريخ لحرب قوم ... أتوهم كالليوث مشمرينا
على جرد مسومة عتاق ... ورجل كالجراد مسومينا
فقل لبني صريم حيث كانوا ... ومن حل الصحاصح والحزونا
ألم تمنع بنو حسن حماها ... ووليتم فلم تحموا العرينا
أردتم أن يكون لكم حديثاً ... فكنتم عبرة للآخرينا
أمير المؤمنين عليك مني ... سلامٌ يشبه الدر الثمينا

ومنها للقاضي حسين بن عمار.

فتح قد جاءك يدخر ... فليهنك مولانا الظفر
حمداً لله على نعم ... تترى يزداد بها العمر
من أجزلها قتل الأعدا ... بأرض الظاهر إذ ظهروا[3]

---

(١) عضى الذبيحة: قطعها أعضاء. وعضى الشيء: وزعه وفرقه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عضا.

(٢) السافياء: الريح التي تحمل تراباً كثيراً والسفى هو اسم كل ما سفت الريح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سفا.

(٣) في الأصل (ظهر).

جمعوا في التعني مقانب[1] … لينتصروا بربك ينتصر

ودعاهم عجب الأنفس لل … ـعصيان وقل المزدجر

أنذرت وصنت دماءهم … لكن لم تغنهم النذر

والله يحق الحق وإن … كره العابون وإن سخروا

جاءتهم أسد تقدمها … أَسَدَانِ يسوقهما الخطر

يحيى ومحمد إن ذكرا … فالبدر وهذاك القمر

يحيى ومحمد هذا البحـ … ـر وهذا[2] البر له ثمر

يحيى ومحمد هذا الصعـ … ـق وهذا البرق فما البشر

يحيى ومحمد ذا[3] عزرا … ل وهذا الموت فما القدر

يحيى ومحمد هذا الرمح … وهذا المرهف والحجر

يحيى ومحمد هذا القو … س وهذا المشقص والوتر

ولقد حسنت بعلا حسن … دنياك فبانيها القدر

ليث الخلا إذا كشفت … عن ساقٍ وهو لها سعر

مردى الفرسان ومحجلها … مطفى النيران لها شرر

ويجود بمهجته جذلاً … والسمر تمج وتشتجر

وضراغم ابنا هاشم إن … عُدوا فهم الغُلْب الذرر

وردوا والبيض بها ظمأ … فهمى بدم منها المطر

ورقاب عن كره قطعت … أفتلك على الأرض الجزر

وخدود في البيدا غبرت … أغراها للجبن الصعر

---

(١) المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، وقيل زهاء ثلثمائة، وقيل هي دون المائة.

ابن منظور، اللسان، مادة: قنب.

(٢) في الأصل (وهذاك).

(٣) في الأصل (إذا).

أبقت في الدهر لناظرها عبراً ومثلهم العبر

وأجاب الإمام عليه السلام عن مسائل سأل عنها القاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي منها جواز الرمي بالمنجنيق. وكان قد جرى كلام في ذلك فطعن بعض روافض الشيعة وجهالها. ومنها أخذ العسكر للسلاح والغنائم من درب شاكر وهم على غير استقامة في أمر الدين. وفي صبي قتل في جملة القتلى.

قال عليه السلام: أما ما ذكره القاضي أيده الله من المنجنيق وما يتبعه من المسائل. فأما المنجنيق فقد ذكر أنه رمى به على الشريعة النبوية، فكان ذلك جواباً، ونحن نذكره كلمة على وجه الاختصار لضيق الوقت وكثرة الأشغال حتى يقع الاتفاق إن شاء الله.

أما المنجنيق فالأصل فيه قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[1] وقد استطعنا هذا، والأمر عام وإن كان له سبب فلا يقتصر على سنة. وما يوجد من إطلاق أئمتنا في أهل القبلة من أن المنجنيق لا ينصب عليهم، ولا يضيق عليهم الأنهار، ولا تقطع منهم الميرة، تلتبس معنى هذه الألفاظ على كثير من الناس. إنما هذا فيمن يتمكن من إجراء الحكم عليه وإجراء الحكم فيه بغير ذلك. وإلا فالأئمة عليهم السلام قد بيتوا[2] العساكر الظالمة، وقطعوا الميرة عن[3] البلاد الفاسقة العاتية، وذلك ظاهر وشرحه يطول. وقد أمر عليٌّ عليه السلام زياد بن حنظلة[4] التميمي رحمه الله بقطع الميرة عن معاوية، وقد نهى عن

(١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

(٢) تبييت العدو: هو أن يُقْصد في الليل من غير أن يعلم، فيؤخذ بغتة. ابن منظور، لسان العرب، مادة: بت.

(٣) في الأصل (المير من).

(٤) في الأصل (حنضة).

ذلك. وقد منع عن التعرض لهم في الماء .وكان يجري هذا وغيره على حسب اختلاف النظر. وعلي عليه السلام لم يهدم بيوت أهل الجمل، وهدم دار جرير بن عبد الله البجلي. ولم يعرض لأمتعتهم، وحرق على المحتكر وأخذ ماله إلى بيت مال المسلمين. وقد هدم الهادي عليه السلام حصن النميص[١] في بلد الربيعة[٢]، وانتهب العسكر أمتعته، وأمثال ذلك كثير. ولم أخذت الأسلحة؟ أليس للاستعانة[٣] بها على البغي؟ ومعلوم على الحبوب والأموال أبلغ من باب الاستعانة من السلاح، وذلك ظاهر.

وأما ما ذكر من التضمين وأن الذين أخذوه عليهم أضعاف ذلك. ولا شك أنه لا يجب في التضمين أن يأخذه من لا حق له، لأن التضمين إلى الإمام عليه السلام أو واليه، ولا يجب فيه التحكم. وقال علي عليه السلام: لو ثُني لي الوساد، لقد غيَّرتُ أشياء[٤]. وقد كان رسول الله صلى الله عليه يحالف بعض المشركين ويحارب البعض الآخر، ويعطي من حالفه من مال الله عز وجل. وذلك أشهر من أن يخفي.

وأما ما ذكره القاضي أيده الله من قتل الطفل وقاتله، والحال

---

(١) حصن النميص وقرية النميص في وادي علاف، جنوب غرب صعدة.
العباسي، سيرة الهادي، ص ١٩٥.

(٢) الربيعة: من قبائل صعدة.
العباسي، سيرة الهادي، ص ٤١.

(٣) في الأصل (الاستعانة).

(٤) معنى ذلك أن الإمام عليّ قد تغاضى عن أشياء كان يريد تغييرها مخافة تكثير جمع العدو فأغضى عليها.
انظر، عبد الله بن حمزة، أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية، ورقة ٢٣١.

اليوم لا يحتمل القيام به. وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك في قوم من أهل نجد قتلوا، فأضرب عن دمائهم، ونحن نروي ذلك بالإسناد. وودى آخرين، فدل على نظره، وأنه يختلف باختلاف الحال.

وقدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة من الجوف لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، عقيب وصول البشارة بقتل بني صريم وأخذهم بدرب شاكر، ومعه راشد بن منيف بن عبد رب، وضيف بن ضيغم، وهما كبيرا جنب والمقدمان فيهم. ومن أهل الدرب الأعلى بمأرب، سبأ بن جابر. وذكروا أن زرعاً عظيماً بمأرب، وأن آل مازن(1) والقشيب(2) أهل لمأرب الأسفل عرضوا عليهم مالاً على سلامة زرعهم، فكرهوا ذلك دون أن يكون بأمر الإمام عليه السلام ورأيه. وأتوا يطلبون القود إلى هنالك، واستنهاضه في العسكر لمأرب وزرعها. وكانوا قد تمردوا وفشا الفساد فيهم، وجعلوا في دار الإسلام أحكاماً جاهلية، وتعدوا حدود الله.

فعزم عليه السلام على الخروج إليهم بنفسه لما لزم فرض جهادهم، ورفع المناكير التي هم عليها، والفواحش التي أظهروها. فكتب إلى الأميرين السيدين الداعيين إلى الله تعالى يعرفهما بذلك ويستنهضهما فيمن أجابهما من خولان. وكتب إلى الأمير عماد الدين

---

(1) مازن حي من الأزد.
الويسي، اليمن الكبرى، ص١٩٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ٧٤.

(2) القشيب هم بنو القشيبي من حاشد، والقشيب حي من حمير، وبني القشيب من قبائل مأرب.
الهمداني، الإكليل، جـ٢ ١٦٧، ٢٨٣.

يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم يأمرهما بالوصول إلى صعدة بالعسكر من جهاتهما، فتأخر العلم منهما. وكان بين الأمير عماد الدين وبين والي كوكبان ذراعة في تسليمه، فانشغل لأجل ذلك. فبعث إليه الإمام عليه السلام الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة يزعجه ويستنهضه وكتب معه كتاباً إلى كافة وادعة[1] وبني صريم يحضهم على الخروج إلى مأرب؛ وشعراً أنشأه يذكر فيه الحادثة في درب شاكر، وهو:

بيض الظبا وصدور الذبل[2] العسل[3]	يرقعن ما كان في الإسلام من خلل
وسائل عن ولاة البغي ما صنعوا	فقلت سائل شفار البيض والأسل[4]
كم من فتى قال قولاً رده مثلاً	مثل النعامة بين الطير والجمل[5]
وناطح صخرة يوماً ليفلقها	فلم يضرها وأوهت هامة الوعل[6]

---

(١) في الأصل (بني داعة).

(٢) ذبل الفرس: ضمر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة ذبل.

(٣) العسل: أن يضطرم الفرس في عدوه. والعسل: الناقة السريعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة عسل.

(٤) الأسل: الرماح، والأسل: النبل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة أسل.

(٥) مثل النعامة لا طير ولا جمل: مثل يضرب في الشيء الذي لا نفع فيه، أو من لا يعرف له مبدأ أو مذهب.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ٢٩٣؛ محمد عبد الغني، من أمثال العرب، ص ٢٥١.

(٦) هذا البيت من شعر الأعشى حيث يقول:
كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
انظر، ديوان الأعشى الكبير، ص ٦١.

للدين أهل أصول الدين نحلتهم[١] قد حققوا القول بالزاكي من العمل
ما كل ذي مخلب صقر ولا سبع كلا ولا رجل يغنيك عن[٢] رجل
ما كل ماشية بالرجل ناجية ولا أرى حملاً ملصان[٣] كالجمل
إن لم تحط بأمور الناس تجربة فالصاب[٤] في اللون يحكي صورة العسل
كم ضاحك وصروف الدهر باطشة به وكم أجل وافاه من أمل
ونافر عن نسيم الحق أهلكه[٥] كمثل ما قيل في المسك وفي[٦] الجعل
نهضت والعجم قد عمت نكايتهم وشرهم شائع في السهل والجبل
والناس قد ملئوا سكراً وما شربوا خمراً فرب الحجى كالشارب الثمل
فخضت جمعهم والعرب شاهدة ولم ألذ بأباطيل من العلل
فنالت العرب ما نالت فهل شكرت فعل امرىء برهيف الحد مشتمل
لا يطعم النوم الأريب يبعثه هم يكاد يسوى الحزم بالوجل
وناكث بيعة جهلاً بحرمتها يروم صيد بزاة الطير بالحجل
مستعجل لأمور لا تليق به وإنما خلق الإنسان في عجل
أصل شريف وفرع لا يناسبه يا نوح ليس من الناجين[٧] لا[٨] تسل

---

(١) في الأصل (نحيلهم).

(٢) في الأصل (من).

(٣) أملصت الناقة: رمت ولدها لغير تمام. وأملطت: ألقته ولا شعر عليه.
والمليط: السخلة، والمليط: الجدي أول ما تضعه العنز، وكذلك من الضأن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ملص، مادة: ملط.
والبيت غير موجود بالديوان.

(٤) الصاب: عصارة شجر مر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صوب.

(٥) في الأصل (أهله).

(٦) في الأصل (و).

(٧) في الأصل (الناجي).

(٨) في الأصل (فلا).

إن فات وقعتها الأولى بهزمته ... فرب صادحة تصمي[1] على مهل
حسبي بنصر إلهي كلما نجمت ... قرون ناجمة في حادث جلل
وفتية كالمواضي من ذرى حسن ... مشفوعة بكماة من نجار علي
شم الأنوف بهاليل لبوسهم ... من نسج داود ما يغني عن الحلل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم[2] ... ضرب إذا صار وجه اليوم كالطفل[3]
يقودهم أسدا حرب إذا غضبا ... [في][4] يوم هيجاء ماتت نخوة البطل
يحيى عماد الهدى الزاكي طبائعه ... للطالبين وليس الكحل كالكحل
ومن كمثل صفي الدين إن له ... عزماً يكاد يميت الموت من وجل
قادا كتائب قحطان فما نكلوا ... بالمشرفي وحاطوا خيرة الدول
ملوك حمير جاءت في كتائبها ... من صيد حمير أهل الصبر في الوهل[5]
وشاور شاوروا الأسياف واعتمدوا ... ضرباً يزايل بين الروح والطلل
ومن ذرى الطرف المشهور عزمهم ... يوم الكريهة والفتيان في شغل
وميتك الغلب لم تخضع رقابهم ... لظالم قاهر في الأعصر الأول
ومن كمرهبة في يوم هايعة ... إذا تجردت الأسياف من حلل
وقد أجابت بكيل غير هايبة ... بعارض صادق كالعارض الهطل
وخارف والذرى من حاشد وليو ... ث الحرب من عذر أهل للندى الخضل

---

(١) في الأصل (تمضي) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (بعضهم) والتصويب من الديوان.

(٣) البيتان الأخيران مقتبسان من قصيدة كعب بن زهير التي يقول فيها:

شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السُّودُ التنابيل

ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ ٢ ص ٧٩٩.

(٤) إضافة من الديوان.

(٥) الوهل: الفزع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: وهل.

ولم تخم[1] عن منال العز وادعة ... بل جردت عزمة أذكى من الشعل

أما صريم فإني لا أصارمها ... حبل الوداد[2] وأرضاها عليَّ ولي

منهم أناس على عهدي وبعضهم ... خانوه من قبل الشيطان لا قبلي

عزوا وعزهم باغي مماثله ... جهلاً وهل هضبة توفى على جبل

ما كنت أرضى بما نالت سراتهم ... وإنما ساقهم بغي إلى أجل

قد ذكّرونا بقتلى[3] النهروان وبالـ ... ـصرعى[4] بصفّين في الماضين والجمل

خسارة الدين والدنيا مضاعفة ... فنسأل اللّه تثبيتاً من الزلل

ما كان ضرهم لو أنهم وصلوا ... حبلاً بحبل من الرحمن متصل

وحكموني ولم يخشوا ولم يهبوا ... حكم امرىء عارف بالفرض والنفل

لم يخل من درس تنزيل الكتاب وما ... يقضي بتصديقه من أحمد وعلي

إذا قضى اللّه أمراً والرسول فما ... يخشى من الحيف إلا كل ذي خطل

وأما الكتاب الذي كتبه الإمام عليه السلام إلى وادعة وبني صريم فإن نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على محمد وآله، سلام عليكم. فإنا نحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعد فإن الله خلقنا وإياكم لطاعته، ونهانا عن معصيته. ولم يرد بطاعتنا زيادة في ملكه، ولم يخش من معصيتنا نقصاً في سلطانه. وإنما

---

(١) خام عنه: نكص وجبن. والخائم: الجبان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خيم.

(٢) في الأصل (الوصال) والتعديل من الديوان.

(٣) في الأصل (بقتل)، وفي الديوان ج (بيوم) والتصويب من الديوان، النسخ أ، ب، ج.

(٤) في الأصل (وبالصرع) والتصويب من الديوان.

أراد ذلك بنا لمصلحة[1] تعود علينا. وقد أصبحتم في دولة حق بين يدي إمام محق، فأصلحوا ضمائركم لله سبحانه يصلح ظواهركم. ولا تمكنوا الشيطان من أنفسكم، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فمن ساعده نزع به إلى شر غاية. وقد وضعتم أيديكم بأيدينا، وكانت يد الله فوق يد الجميع، ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[2]. ولما نجم الحادث من الناكثين ببلادكم من بعضكم، ومن انضاف إليهم من المارقين من بعضنا، قمنا بما يجب علينا لله سبحانه وحزبه. ولم تقوموا بما يجب عليكم لله سبحانه من حرب أصحابكم، رعيتم حرمة المخلوق لقرابته منكم، ولم ترعوا حرمة الخالق لحقه عليكم. وقد علمنا سفك أحدكم لدم صاحبه في حق جاره، أو غضبة حميه، أو طمع في دنيا. فلم لا تفعلوا ذلك في حق ربكم الذي نعمه عليكم متواترة باطنة وظاهرة؟ وحق إمامكم الذي قذف بنفسه الأهوال دونكم حتى أخمد نار الفتنة، وفقأ عين الضلال، ونمتم في منازلكم آمنين، وأكلتم ما قسم الله لكم وادعين. وعرفكم طريق السلامة، وخلط نفسه منكم بالخاصة والعامة كأحدكم إلا فيما يعز الدين؛ فهو أخفكم إليه، وأصبركم عليه. وما نريد أن نمن عليكم، وإنما نريد تعريفكم. فاستيقظوا رحمكم الله، واعتبوا، فليس بمسيء من استعتب. وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون، وفروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين، فإن السر عنده علانية، والغيب شهادة. فإنه المطلع على ضمائر قلوبكم، فاحرسوا نفوسكم من الله سبحانه.

وقد عزم إمامكم ـ مستخيراً لله سبحانه، مستعيناً به ـ على الخروج

---

(١) في الأصل (المصلحة).

(٢) سورة الفتح، آية ١٠.

[ ][1] النار وبقية أهل الشقاق والنفاق من أهل مأرب. فاشحذوا عزائمكم وشمروا للسير في سبيل ربكم، وأرحضوا درن أوزاركم في مداهنتكم نفوسكم، وخلاف إمامكم. وجاهدوا في سبيل ربكم لتحرزوا ثواب المجاهدين، وتذكروا في سيرة الأئمة الصالحين مع جدنا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين. واعلموا أنكم إن تركتم هذا الأمر، وقضى الله تعالى أن ينصرنا، فإنه ينصرنا ولو غاب عنا أكثر العالمين. فلا تخلفوا عنا فتصبحوا نادمين. ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[2] ولا تكونوا من الذين ﴿قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾[3] ولا من الذين قالوا لنبيهم ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾[4]. واجعلوا الجواب نفوسكم مع الواصلين من المسلمين إن شاء الله، والسلام.

قصة كوكبان وأخذه:

ولما صار الأمير صارم الدين إبراهيم بحلملم يريد استنهاض الأمير عماد الدين في العسكر إلى مأرب، وافق ذلك قدومه إلى كوكبان واستيلاؤه[5] عليه، واستقراره بمن معه فيه، وانشغاله بتدبير أمره وما يفتقر إليه من شحنته، وإقبال أهل البلاد إليه. فعاد إلى صعدة، وأقام بها مع الإمام عليه السلام حتى نهض إلى الجوف.

وكان من أسباب تسليم كوكبان أن الوالي به على عهد السلطان

---

(١) مكان لكلمتين غير مقروءتين بسبب انطماس جزء من كل منهما.

(٢) سورة محمد، آية ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية ٢١.

(٤) سورة المائدة، آية ٢٤.

(٥) في الأصل (واستيلاه).

إسماعيل بن طغتكين، ولما استولى على الأمر بعده سيف الدين سنقر، أتى إلى محطة الضلع ووقع الصلح بينه وبين الأمير عماد الدين، فأراد عزل هذا الوالي حتى قدم له حصانين، وأقره على ولايته. وكان قد أتى إليه الشيخ فخر الدين مرحب بن سليمان وعرض عليه الحصن على تسليم خمسة آلاف دينار. وكان قد أتعبه النفاق عليه مع قلة المحصول من البلاد حوله. فرأى الإمام عليه السلام تعطيله إلى حين، فأقام مدة وهو لا يقطع المكاتبة، وعرضه على الإمام، فلم يرغب فيه لسعته وكثرة النفاق عليه. وكان قد قرب رجل من بني الزواحي[1] واختصه لنفسه، فهم بأخذ الحصن وعزم على ذلك. وجمع قوماً من بني عمه وتركهم في موضع في شق الحصن، ودخل في جماعة فقتل رجلاً، ووقعت الهايعة والصوت، فأغار من كان فيه، ولزموا أهل شبام. وقد اشتد خوفه ولم يكد يأمن بعد ذلك إلى أحد، ولا ينام الليل، ولا يستريح النهار. فأمر أهل شبام بالحلول معه بأولادهم ليأنس بهم. وطال عليه الأمد، وكثر عليه النفاق وهو على غير معلوم من أمره.

وكان قد سأل الأمير عماد الدين قبل ذلك وصول رجل من قبله، فأمر إليه الشريف محمد بن حاتم مرة بعد مرة، فطلب منه عشرة آلاف دينار، فأضرب عنه. فعلم أنه لا يثبت له ما يريد لما تقدم من طلب المال إلا بإظهار الطاعة للإمام عليه السلام. فلم يجد سبيلاً إلى ذلك، ولا شيء يصح به ظهور الطاعة إلا الأذان بحي على خير العمل، والخطبة بجامع شبام للإمام عليه السلام. فأمر قاضيه بذلك، وهو من أهل اليمن على مذهب الجبر، فخطب وقطع ذكر بني العباس. وبلغ

---

(١) بنو الزواحي: ينسبهم عمارة إلى قرية الزواحي من أعمال حراز. وينسبهم القاضي محمد الأكوع إلى القيل ذي حوال، ومن ثم فإنهم أبناء عمومة بني يعفر الحواليين. عمارة، تاريخ اليمن، ص٨٣، ج ٣ نفس الصفحة.

ذلك إلى الغز الذين بصنعاء، واشتهر خلافه. وبعث قاضيه وكاتبه إلى الأمير عماد الدين فعرفاه ما كان منه، وسألا رهينة إلى كوكبان حتى يقع اللقاء والاتفاق، ويكون آمناً. فأمر معهما الشريف محمد بن حاتم، وقال له: إن كان اللقاء على أمر معلوم وإلا فلا حاجة لنا فيه. فتقدم معهما إلى الأمير عز الدين إلى كوكبان، وبحثه فلم يظهر إليه ما عنده، ولابث إليه ولا إلى غيره سره. وكتب إلى الأمير أن يلقاه إلى شبام فيمن أحب قليلاً أو كثيراً، فما يريد أن يعلم أحد بسره وما قد عزم. فرأى الأمير المساعدة، وأتى في مائتين وخمسين رجلاً. وكان اللقاء إلى الصفا أعلى من المسجد الجامع، فبرزا على انفرادهما، وجرى الحديث بينهما. وسلم الحصن، ولم يطالب فيه بمال. وكان قد أخرج معه من الحصن من يخشى فساده ومعارضته من غزي أو عربي. واستحلفه الأمير عماد الدين على طاعة الله تعالى، وطاعة الإمام عليه السلام، والوفاء بما عرض من نفسه. ونهض الجميع إلى سوق المدينة، فاجتمع الناس، وشرح عليهم الأمير عماد الدين طاعة الأمير عز الدين ياقوت، وانقياده للأمر وتسليم الحصن.

ولم يصدق أحد بذلك ولا أيقن به من المخالف والموالف. ولقد قال رجل في ذلك الجمع من بني الزواحي: ألا يستحي هذا الشريف من هذا الكلام بين الناس. يقول وقد صار كوكبان للأمير[1] عليه السلام، والأمر فيه أمره بلا دينار ولا درهم. وعظم ذلك عنده لأن إسماعيل أنفق على حربه ـ على ما حكى ـ ثلثمائة ألف دينار، واستولى عليه بعد ذلك، ولم ينتفع به.

فلما فرغ الأمير عماد الدين من كلامه مع الناس، طلع إلى

---

(١) هكذا في الأصل، وربما كانت الكلمة (للإمام) ثم حرفت.

الحصن فيمن كان معه، والناس يقولون إنهم يردونه من الباب. فدخل الحصن يوم الخميس لخمس ليال خلت من جمادى الأولى سنة ستمائة، وسلمت إليه مفاتيحه. وتمكن من الأمر فيه، وعزل من أراد عزله وخشي ضرره، وولى فيه من أحب من أصحابه، ولم يبق للوالي معه أمر ولا تصرف. وقدم له حصاناً أصفر من جياد الخيل، وخلع عليه وعلى أصحابه ومن يختص به، وسلم إليه ما مقداره ثلاثة آلاف دينار ومائتي دينار.

ونهض يريد الإمام عليه السلام إلى صعدة، ومعه الشريف محمد بن حاتم، فأتوا إلى حوث. وبلغهم العلم بقدوم الإمام عليه السلام إلى الجوف، فقصدوه إلى هنالك

وجاءت البشارة بأخذ كوكبان واستيلاء الأمير عماد الدين عليه، فعزم الإمام عليه السلام على النهوض إلى الجوف والقود لمأرب، وأزعجه الجنبيون لطول إقامتهم بصعدة. وكانوا ينتظرون الأميرين الداعيين إلى الله يحيى ومحمد ابني أحمد، فقدما في جماعة من خواصهما من غير عسكر من خولان. وكانت بلادهم محطومة عقيب الجراد، فاشتغلوا عن القود لأجل ذلك.

ولما ظهر عزم الإمام عليه السلام بالخروج إلى مأرب، كتب الحسن بن عزوي هذه القصيدة يحثه على إيثار حجه، وتأخير المخروج إلى مأرب قال:

أراك إمام العصر مغرى بمأرب	وأحسن منها حجة في المغارب
بها ما يلذ العين من كل منظر	وما مأرب أو ما بها من مآرب
بلاد بها غبر الوجوه لباسهم	أجلة[1] شعث من حفاة الأعارب

(١) أجلة أي ضيقة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: أجل.

وفي حجة نسج الحرير تخاله قطائف زهر الروض عب السحائب
وأنفاسها ريح الصبا وبمـأرب عواصف ريحي شمأل وجنائب
تثير بها الإعصار من كثب رملها فتحجب ضوء الشمس من كل جانب
مشارق بحذف الراء وتشديد قافها أحق وأولى من كلام المخاطب
ولا خير فيها يرتجى بعد سيلها وفي حجة دنيا ودين لطالب
فخذ مثلاً في مثل هذا ضربته وإن كنت أعلى منه ذروة عارب
كتارك قربى بنت عم رضيـة من المحصنات الغانيات الجنايب
وطالب أخرى غيـرها أجنبيـة تقطب إن لم ترضها وجه غاضب
أليست أميـر المؤمنين قـرارة لكم وبها مثوى شقيق وصاحب
ومنها تنال الغور غور تهـامة وتوطا جياد الخيل أرض المحالب
ويـظهـر ضـدابـه لـك غـالب فما العذر يا أزكى لؤى بن غالب
إلى كم ينادي المستغيث لنصره ويدعو إليكم معلناً كل نادب
فعجل فإن الفرض قد صار واجباً وقصدك أرضاً غيرها غير واجب
وأحدر جياد الخيل شعثا لحجة ولا تحدر الجيش اللهام لمارب
كأنك ما أكملت عمران مفخراً إذا لم تصبح مبيناً بالكتائب

وجاء كتاب من رجل من أهل الشرف في صدره هذه الأبيات:

أيهضم دين أحمد أو يضام وتنتهك المظالم والحرام
وتتخــذ المعازف والمــلاهي ويشرب في قرى الشرف المدام
وتخــطر في أزقتهـا البغـايـا يعــظمهـا المشيب والـغـلام
وعدلك شـامل وجـداك مغن وسيفـك قاضب فيـه الحمـام
وأنت لأهل هذا العصر رب تـدبـر أمـرهم وهم نيـام
وتنـظم دينهم وتـذب عنــه وتمنعـه بسيفـك يـا إمـام
فجـرد عـزمـة لله واقصـد طهـارتهـا فقـد عـظم الأثـام

وحولك من بني الزهراء أسد ضراغمة جحاجحة كرام
فهم ظهر الديانة حيث كانوا بأجمعهم وأنت لهم سنام
أتحرق نار حربك كل عود ويسلم حرها الشجر الثمام

وعاد الأمير صارم الدين من حلملم لما بلغه أخذ كوكبان وانشغال صنوه عماد الدين بأمره. وأتى إلى صعدة ولم يبق إلا النهوض إلى الجوف فوصل نعي الأمير جمال الدين بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام وكان عروساً بغربان[1] بابنة الأمير محمد بن إبراهيم القاسمي، ولم يلبث معها إلا عشرة أيام ثم توفي إلى رحمة الله ورضوانه. فتأخر الإمام عليه السلام أياماً لتعزية والده، وقد عظم عليه مصابه على كبر سنه. وأنشأ هذا الشعر يعزيه:

ما خير عيش به التكدير معتلج وغائباً منتهاه الموت والهرم
نمسي ونصبح والآمال طامحة والموت معترم والعمر منهزم
الحمد لله لا ند يشابهه إذ لا يجوز عليه الموت والعدم
ما أعجب الأمر للرائي[2] بفكرته إن لم تخن مشعريه الطمس والصمم
بينا يرى المرء في الأحياء مغتبطاً يعنو له الأعصيان السيف والقلم
إذ قيل مات فلان بعد عزته وزال ذاك الجلال المجص والحشم
إنا نرى عبراً ما بين أظهرنا فدع حديثك ما عاد وما إرم
كم من رضيع دفناه ومكتهل ويافع غاله في سره الألم
الموت سر عجيب جل خالقه لم يحم عن مشربيه الأعصم العصم

---

(١) غربان، قرية على واد غربان، إلى الجنوب من حجة بمسافة ٢ ك تقريباً، وبني غربان: قرية من عزلة ساقين، من خولان صعدة.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543 B 3؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٦٥.

(٢) في الأصل (الراي).

الشمس تغرب والأقمار آفلة والنجم يهوى وتخبو النار والضرم
والغصن يذبل والأمطار مقلعة والغيم يقشع والأعمار تخترم
وكل رزء لقيناه نقابله بالصبر فهو لنا إرث ومعتصم
يا يوم أحمد قد أبقيت في كبدي كلما فلم يبره من بعدك[1] الكلم
لولا المنية حتم لا مرد له لكافحت بُهَماً من دونك البُهَمُ
وماتت الخيل والأبطال مقعصة بين الخميسين والمران والخدم
وقام نقع وأيدي الخيل سابحة والسمهرية مأطور[2] ومنحطم
وخضتها وغرار السيف في عمل والخيل تقرعها الخرصان[3] لا اللجم
في فتية من بني الهادي وإخوتهم من آل حمزة لا ميل ولا قدم
ومن بني القاسم الأبطال إن لهم مكارماً حسرت من دونها الأمم
ومن بني حيدر غُرٌّ جَحَاجِحَةٍ يرون دونك كأس الموت يغتنم
لعاً لشمس الهدى والبدر إنهما خير البرية من حصن ومن هرم
شيخان من آل طه كلما نطقا تساقط الدر والأمثال والحكم
بحراً نوال وعلم كلما وهبا مواهبا خجلت من وقعها الديم
ليثا نزال وسيفا كل ملحمة مرهوبة وجباه الخيل تصطدم
قد أنجبا نفراً غراً جَحَاجِحَةٍ لا يسأمون العلا إنْ معشر سئموا
يبنون في المجد ما أست أوائلهم ولا يصدهم خوف ولا عدم
شم العرانين في العلياء همتهم وليس همتهم شاء ولا نعم
يا يحيى يا ابن إمام الناس كلهم أنت الذي نوره يجلى به الظلم

---

(١) في الأصل (بعده) والتصويب من الديوان.

(٢) أطر: بمعنى انثنى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة أطر.

(٣) الخراص والخرص، سنان الرمح، وقيل هو الرمح نفسه وجمعه خرصان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرص.

وأنت قدوة أهل الدين كلهم | وصنوك الفاضل العلامة العلم
وليس من كان مجد الدين خالفه | بغائب إن حواه اللحد والرحم
فـرحمـة الله زارتـه مكررة | ما لاح في الأفق نجم أو جرى قلم[1]
وكـل آلكم شم سمـادعـة | يحيون ماسنه للناس جدكم
فقل لأبناء أبينا الصبر شيمتكم | إذا تبـدلت الأخـلاق والشيم
أنتم سنام بني الزهراء فاطمة | والرأس إذ في بنيها الرأس والقدم
لا غرو إن مات من ساداتكم[2] رجل | فما مضى علم إلا بدا علم
الموت بات وكل الناس داخله | وكأسه داير في الناس كلهم

ثم نهض بعد ذلك إلى الجوف لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى في سنة ستمائة في مقدار مائة وعشرين فارساً ورجل كثير، حكى لي ذلك القاضي مفرح بن مسعود، قال: فأمسى الإمام عليه السلام بالخيام، وفرق العسكر للضيفة. فامتنع أهل درب الحناجر[3] من الضيفة، فَهَمّ بوطئهم بالعسكر كله في اليوم الثاني وتأديبهم بذلك، فتشفع في أمرهم السلطان جمال الدين الفضل بن علي بن حاتم، فقبل شفاعته فيهم. فلما أصبح نهض في العسكر حتى أتى الفجرة[4] في أعلى الجوف فحط بها، وأتاه آل دعام بالقرى والضيفة للعسكر إلى هنالك.

---

(١) هذا البيت غير موجود بالأصل، والإضافة من الديوان.

(٢) في الأصل (سيداتكم).

(٣) باليمن أكثر من موضع يحمل اسم الحناجر. ولكن يتضح من النص أن درب الحناجر موضع على طريق صعدة، الجوف وهو إلى صعدة أقرب أي انه جنوب شرق صعدة، وليس كما ذكره البعض بانه في شمال شرق صعده، تجاه نجران.
انظر: زبارة، أئمة اليمن، جـ ١ ص ١٥٨؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٤٣٤. Smith, The Ayyubids, VOl, 2, p. 157.

(٤) الفجرة: قرية ناحية الحميدات، قضاء الجوف.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف، ص ٢٤.

وقدم والى كوكبان ياقوت الذي سلمه إلى الأمير عماد الدين، فوافق اجتماع العسكر بالفجرة، وتلقاه الإمام عليه السلام بالإنصاف والإكرام. فأمسى الجميع هنالك حتى أصبح، ونهضوا إلى [دَرب] [1] فاضل [2]. وكان الإمام عليه السلام أحدث داراً هنالك، ولم يكمل عمارتها.

ذكر إقامته عليه السلام بالجوف والمغازي والحروب والحوادث:

كانت الإقامة شهرين ويومين، ونزل بدار لعبد الله بن منيع. وكان قد فرغها للشريفة الفاضلة أم الأمير محمد بن الإمام عليه السلام لما انتقلت من براقش لأمور جرت من الشرفاء أولاد أحمد بن جعفر بن القاسم. فكره الإمام الحلول بينهم لأمور عرضت في المعاشرة من جهالهم. فأمر لوالي كوكبان عز الدين ياقوت بخيمة فضربت له في ساحة البلد، وأنفذ له بما يحتاج إليه من غنم وعيش على ما يعتاده الغز. وقدم له حصانا قيمته ألف دينار شموسيه. وقد خير بينه وبين الألف، فاختار الحصان وجملين وخلعة سنية. وسأل مواضع بشبام وأعمال كوكبان تكون له ولمن يخصه، وينوبه، فجعل له ذلك. وأمره بالرجوع إلى كوكبان والإقامة به حتى يقع القرب إلى تلك الجهة.

---

(١) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) درب فاضل: لا يوجد لهذا الموقع ذكر في المعاجم، وقد ذكره مصنف السيرة بعد ذلك بأنه بالجوف الأعلى بالقرب من سوق دعام. وهذا ما يدعو للاعتقاد بأن درب فاضل قد تحول اسمه إلى الزاهر، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن درب فاضل لم يذكر اسمه في المصادر التاريخية إلا في عصر الإمام عبدالله بن حمزة، كما أن اسم الزاهر لم يذكر في المصادر إلا بعد وفاة الإمام. أي ان الزاهر هو الإسم الجديد لدرب فاضل. ويؤيد هذا الرأي وجود مسجدين في الزاهر من عمارة الإمام عبدالله بن حمزة.
انظر، السياغي، معالم الآثار، ص ٥٧؛ المقحفى، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

وكان يريد نهوض الإمام إلى البلاد وتثبيطه عن الخروج إلى مأرب والالتفات إلى كوكبان وشحنه وتقوية أمره، وظهرت نصيحته ومودته. وقد كان الحصن متعطلاً، وهو عليه السلام يرى إيثار [مأرب] [١] لما بلغه من تظاهرهم بالفساد وإظهار المنكرات. وقد كان بلغ إليهم العلم بالخروج إليهم، فأتى من كبارهم جماعة فيهم عسير بن منصور، وجعشان، وسيار بن جابر، وعلي بن أسعد. فنزلوا على ولد جحاف بن حميدان [٢]، وفضل بن أبي الندى وسألوهما الصحابة إلى الإمام عليه السلام فأصحباهم [٣]، فقصدوا السلطان جمال الدين الفضل بن علي بن حاتم وإخوته متشفعين بهم إلى الإمام عليه السلام على الطاعة، وتسليم ما يجب عليهم. فدخلوا عليه، ووقعت الذراعة حتى صالحهم في الواجب في زرعهم الحاضر ثلاثة آلاف دينار، وتغطيتهم إلى حين، وعلى إزالة المنكر، والقيام بالأوامر الإمامية، والأذان، وإقامة الخطبة، فساعد عليه السلام إلى ذلك.

وعادوا إلى مأرب، وجرت بينهم منازعة في أمر الأذان والخطبة، وكراهة من سفهائهم، فغلب كبارهم على أمرهم. وأتوا فقيههم، وقالوا له إما أن تقيم الجمعة للإمام عليه السلام، والأذان وإلا فارتحل عنا؛ فإن ذلك أهون علينا من محاربة الإمام. فلما رأى منهم الجد، سألهم المهلة حتى يقدم إلى الإمام. وكانوا قد طلبوا قاضياً ينفذ فيهم الأحكام، ويقيم الجمعة. فبعث إليهم القاضي مفرح بن مسعود، وولاه القضاء وقبض الحقوق الواجبة في الزرع وخمس الملح، فتقدم لذلك، فأقام الجمعة،

---

(١) إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) الأمراء آل جحاف بن حميدان: وهم بنو منبه بن مرهبة بن دومان بن بكيل ... بن همدان من أهل الجوف.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ١٢١.

(٣) في الأصل (فأصحبناهم).

وأنفذ الأحكام. وسلموا القطعة، وجاؤوا منها بحصان أدهم جواد أتى به سيار بن جابر، وعبد العزيز بن عقيل الجنبي وهو من الصلحاء وأهل المودة والديانة.

ووصل الفقيه صحبتهما تائباً منيباً. وكان يحضر مجالس الإمام عليه السلام مدة إقامته، وسماع الأخبار عليه، ويعرض المسائل في فنون كثيرة، فيحصل الجواب عليها ما يشفي الصدور، ويوضح ملتبسات الأمور. ولما عزم الفقيه على المراح، عقد الإمام مجلساً وتحدث معه في مسائل الخلاف وهو ينقضها مسألة مسألة، ويلزمه بالحجة مالا يجد سبيلا إلى دفعه. فاعترف حينئذ بأنه الإمام الحق المفترض الطاعة على الخلق، وبايعه الإمام عليه السلام ظاهراً في الجامع، ليعلم أهل مأرب ذلك، إذ هم مقلدون منقادون لأمره. وراح مظهراً للطاعة منتظماً في سلك الجماعة. وتغطت جهة مأرب، وراح السلاطين آل حاتم بعد ذلك إلى ذمرمر شاكرين مثنين على الإمام عليه السلام بما هو أهله، وجاءت منهم هذه الأبيات بعد وصولهم:

يا راكباً لشملة عيرانة ... يفلي الفلا بالوخد والإرقال
بلغ سلاماً كالحديقة جادها ... نَوُّ الربيع بعارضٍ هَطّال
منا إلى المولى ابن حمزة إنه ... غرض النفوس وغاية الآمال
الواهب الجرد العتاق تبرعا ... من غير تعريض وغير سؤال
والمقتفي آثار آباءٍ له ... والشبل يحذو سيرة الريبال (١)
والكاشف الخطب الملم إذا عرا ... بعزيمةٍ أمضى من القصال (٢)

---

(١) الريبال: الأسد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ربل.

(٢) قصال: من صفات السيف. سيف قاصل ومقصل وقصال: قطاع. ابن منظور، لسان العرب، مادة: قصل.

يا من غدت أيامه مقسومة يومان يوم ندى ويوم نوال
إنا لنشكر أنعماً لك أصبحت في دهرنا مثلا بغير مثال
أوليتها أعناق أقوام غدت فيها مدى الأيام كالأغلال
وسلمت محروس الجناب ممتعا نفديك بالأرواح والأموال

واستقامت بعد صلح أهل مأرب أمور الجوف ونفذت فيهم الأحكام، وقبضت الحقوق الواجبة مستوفاة من آل دعام ونهم وبني منبه. ولم يبق معارض بعد استقامة كبارهم، سكن كل مفسد، واستراح الضعيف، وأمن الخائف، وزرعت الأصلاب [1]، وكثر الخير. ولم يبق لمفسد أنصار حتى أن رجلا من الأفعى [2] يقال له شملان، وهو من قرابة عبدالله بن منيع، وعبد الله كبير في عشيرته، مهيب في قومه، شجاع مشهور في الجوف. وكان له فتكة في الغز وقد قادهم السلطان مؤمل بن جحاف، فنفذ أمرهم فيه. وجاءت منهم خيل قدر ثلاثين فارساً لقبض القطعة من الجوف، فأتى إليهم بلا سلاح يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ويظهر الفزع منهم، والوحشة من قربهم حتى قالوا له إن أميرنا هذا يأكل الناس، فازداد في إظهار الفزع، ولم يزل يقرب إليه قليلا قليلاً ويمد يده ويقبضها حتى أنسوا به وبحديثه معهم، وجعلوا يسخرون به ويتلهون عليه. وقد شاور أصحابه على قتلهم وأخذ خيلهم. وأمرهم بأن يسوقوا [3] الجمال ليقيموها لهم، ويكونوا قريباً

---

(١) الأصلاب: هي من الأرض الصلب الشديد المنقاد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة صلب.

(٢) بنو أفعى، وهم من بني أود، رهط محمد بن الصنديد. وهم ينسبون الى مذحج. ذكر الهمداني مواطنهم في بلاد سرو مذحج (بلاد البيضاء). كما يتضح من النص أن لهم مواطن بالجوف.
انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٦٥.

(٣) في الأصل (يسرقوا).

منه، ففعلوا. فمد يده إلى قائم سيف الأمير الذي يأكل الناس بزعمهم وقد أمنوا منه فسله وضربه وقتله وصاح في أصحابه فتواثبوا عليهم من كل ناحية وقد ركب فرساً من خيلهم، وانفلت من أوساطهم وهم معدون، وبعضهم راكب، فلم تنفعهم عدتهم، فقتلوا، وأخذت خيلهم وما كان معهم. ولم [ير][1] الغز بالجوف بعد ذلك.

وكان ابن عمه شملان كثير الفساد، يقطع السبل، ويقتل النفس المحرمة، ويأتي الصبية في المرعى فيفتضها، ويأخذ غنمها. ويسرق البيوت في الليل والنهار، ولا يقدر أحد يسطو عليه ولو تمكن منه، لمكانه من عبدالله بن منيع والخوف. فكثرت الشكايا منه إلى الإمام عليه السلام. وجاء قوم من الشام من عنز [2] بخيل يبيعونها من الإمام عليه السلام. فأتى في الليل وهم نيام فأخذ منها فرساً، وراح بها إلى حريب[3] فباعها برخصه، وعاد سريعاً، وقد أرصدت عليه العيون. وأتى الخبر إلى الامام عليه السلام بخبره، وأنه قد صار في موضع ذكره، فأمر الأمير قاسم بن الحسين الحمزي فركب في خيل ورجال، فقصدوه إلى المكان الذي هو فيه، وأتى عبدالله بن منيع ليدافع عنه ويصرفهم من جهته، فلم يقبلوا منه. وطلعت عليهم الرجال الدار فوجدوه قد اندس في موضع فيه تبن، فقادوه كما يقاد الكلب وكتفوه، وجعلوا في رجله قيداً وحفظوه.

---

(١) اضافة ليستقيم المعنى.

(٢) عنز: ينسبون إلى عنز بن وائل بن قاسط، من قبائل ربيعة وتقع منازلهم فيما بين أرض جنب وسراة الحجر من الأزد.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٩ - ٢٣١؛ مسلم اللحجي، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٣٣٤؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٥٣، ٨٢، ١٢٢.

(٣) حريب: بفتح الحاء وكسر الراء، قرية وناحية بمحافظة مأرب.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٥٧؛ التوزيع السكاني في محافظة مأرب، ص ٩ - ١٦.

وأتى عبدالله بن منيع يتشفع في خلاصه، ويضمن ما حدث منه، واجتهد في ذلك فلم يساعده الإمام عليه السلام وقال: إن هذا الرجل قد كثر فساده في الأرض، ووجب فيه أمر الله ولا سبيل إلى إطلاقه. ولو كان الحق الذي قد وجب عليه لنا لوهبناه. فراح وفي صدره وخز، وكان يظن أن الإمام لا يرد له شفاعة. وأمر الإمام لأهل الدم فحضروا، وحضر القاضي إبراهيم بن أحمد[1] في طائفة من المسلمين. فوكل أهل الدم معبداً من عبيد آل دعام فضرب عنقه، واستراح المسلمون منه ومن شره وفساده. وكان قد ظاهره على الفساد أنفار من شياطين أهل البلاد وعتاتهم، فلما قتل خمدت نارهم، وتوارى أوارهم. ولم يتهم أحد بعد قتله بفساد، وأمنت الناس من شرهم وشره. وقد كان دعوة في البلاد، يقول القائل إذا أضجره صاحبه: سلط الله عليك شملان.

وجاء كتاب الشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان بذكره فرقة وقعت بين أهل صعدة، ويستنهض الإمام ويقول إن القوم قد سئموا العافية، وملوا الراحة والدعة، ولا يوطيهم إلا الشدة والعقوبة الكثيرة. وسبب هذه الفرقة الحادثة أنه جرى بين رجلين أحدهما من آل الزيدي والآخر من الحدادين[2] مخاصمة على كيل طعام. فجاء الشريف علي بن أحمد، وهو المحتسب للشدة على المخطىء، وأراد حبسه، فتلقاه عبيد الحدادين فمنعوه ووقع الافتراق، ورفعوا آلة الحدادين من السوق، وجعلوا لهم سوقاً

(١) القاضي العلامة ابراهيم بن أحمد بن أبي الأسد، ولاه الإمام جهة شظب.
ابن ابي الرجال، مطلع البدور، جـ ١ ص ١٧.

(٢) لا يوجد بالمراجع ذكر لنسب الحدادين إلا ما ذكره الحجري بأنهم من الفرس. ولهم درب يحمل اسمهم بمدينة صعدة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤٨٠؛ زبارة، أئمة اليمن، جـ ١ ص ١٦٥.

في دربهم بعد الحرب والرمي والإقدام على ما لم يحدث مثله من ابتداء الدولة. وعقيب ذلك لزم الشيخ ظهير الدين رجلاً من الربيعة من ولد عبدالله أهل المربط [1] وحبسه. وكان معه فرس فتقدم به على نهج تهامة، وباعه إلى [2] الغز، وقد حرم الإمام على الناس بيع الخيل إليهم والجمال. وقطع المواد منهم إلا الحديد فإنه أطلقه نظراً منه للرعية، وقطع مادته من عدن. فلما لزم الرجل جاء أهل المربط يطلبون خلاصه وإخراجه من الحبس، فلم يساعدهم الشيخ إلى ما طلبوه.

وتزايد الكلام بينهم وبينه، فحلفوا ليخرجونه من السجن قهراً. ولم يقدروا على ذلك، فخرجوا وجاؤوا خلف الدرب ورموا دار الإمام ودار الشيخ بنبل وحجارة، واستعار أهل الدرب بالسلاح، وظنوا أن للحدادين يداً في ذلك. فوقف بعضهم، وبعضهم طرد أهل المربط إلى العذار [3]. فكتب الإمام عليه السلام إلى الربيعة عموماً يعرفهم بما أنعم الله به عليهم، ويذكرهم بالله تعالى، ويأمرهم أن يقابلوا [4] نعمه بالشكر، ويحذرهم زوالها بكفرها، ويحضهم على قطع أسباب الشر والشدة على أصحابهم أهل المربط فيما أقدموا عليه. ولم يرعوا حرمة داره، ولا تجهموا مكانه، وأنهم أقدموا في ذلك على أمر عظيم.

وكتب إلى بني مالك [5] كتاباً في مثل ذلك ويأمرهم بالقود إلى

---

(١) المربط: قرية من عزلة العبدين، ناحية صعدة.
التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٨٩.

(٢) في الأصل (من).

(٣) واضح من النص أن العذار بالقرب من المربط. ولا توجد معلومات أخرى عن هذا الموقع.

(٤) في الأصل (يقتدوا).

(٥) بنو مالك: بطن من سحار بن خولان بن عمرو بن الحاف في بلاد صعدة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٦٨٧.

المربط، وإلى أهل صعده عموماً كتاباً في الحرب والفرقة التي جرت بينهم. وكتب إلى الشيخ أحمد بن حجلان يذكر له تواتر الأخبار بطلوع وردسار من جهة اليمن في ثلثمائة فارس ورجل كثير. وقد كان بشر بن علي بن محمد الذعفاني صاحب بيت مساك، اشترى خيلا وجمالاً، وتقدم بها في لقائه إلى ذمار، فقدمها له وهون عليه أمر الظاهر وصعدة، وقوى عزيمته على بلاد الإمام، ولا ذنب له إلا إحسانه إليه. وأمر الشيخ أحمد بن حجلان بتغطية البلاد على قدر ما يراه. فجمع عسكراً عظيماً وقصد أهل المربط لأخذ زرعهم وخراب منازلهم، فأيقنوا بالهلاك. ووقعت الذراعة على عقوبة ثقيلة، سلموها وتغطت نوبتهم.

وأتى القاضي زكي الدين يحيى بن جعفر بن أبي يحيى من جهة الطرف وبلاد بني شاور، وهو القاضي بها والحاكم فيها بين الناس، والمتولي لقبض خراجها وحقوق الله الواجبة فيها، والشيخ علي بن سليمان الحرازي السهلي. وكان قد سأل الإمام عليه السلام بصعدة صرف الأمر في الولاية إلى غيره، وإعفائه عنها، والفسح له في المراح إلى البلاد الحرازية لإصلاح أمورها، ونشر مذهب الحق هناك. وهو معدود في جملة العلماء، وهو صاحب ورع شديد ودين أكيد، ما فارق الإمام عليه السلام منذ وافقه بكوكبان قبل فتح صنعاء إلى وقته هذا. وكذلك أخوه فخر الدين مرحب بن سليمان ما زال مرابطاً مجاهداً في سبيل الله حتى رزقه الله الشهادة فمضى إلى رحمة الله ورضوانه. فلما طلب الخلاص من الولاية أمره الإمام عليه السلام بالاستقامة حتى ينظر من يقوم مقامه، وأمر معه الشريف الفضل بن علي لقبض ما تحصل في البلاد، فرضي بذلك. ووصلا جميعاً إلى الجوف صحبة القاضي يحيى بن جعفر، وطلب الخلاص. فجعل الإمام عليه السلام الولاية إلى

الشريف الفضل بن علي بن مظفر العباسي، وأضاف إلى القاضي يحيى بن جعفر أمر القضاء لشبام وأعمالها، لما علم من اضطلاعه لذلك وقيامه فيه مما عجز عنه غيره، وغلظته على من خالف الأمير، وباين في الدين من روافض الشيعة. وكان ممن وصل صحبته ابن عمه القاضي راشد بن الحسن بن أبي يحيى[1]، وأنشد له هذا الشعر يمدح فيه الإمام عليه السلام.

جفت الجفون وفارقت طعم الكرى ... لخفوق برق نحو أرضكم سرى

لما تعرض للمحب وميضه ... ذكر الديار وأهلها فاستعبرا

قد كنت أخفي ما تكن جوانحي ... لو لم يبح بمصونه دمع جرى

وأكتم الأشواق لولا عبرة ... نمت بها وكفى بدمعك مخبرا

يا دارهم بالجزع أين تحملوا ... ونأوا أأنجد ظعنهم أم أغورا

عهدي بهم والدار تجمعنا معاً ... والعيش أحسن ما يروقك منظراً

فتقرفوا أيدي سبا[2] وتبدَّدوا ... كنظام دُرٍّ إذ وهت منه العُرا

وإذا الزمان تقلبت أحواله ... وتسرعت أحداثه وتنمرا

يممت ذا المجدين أوحد هاشم ... أعلى الورى مجداً وأطيب عنصرا

وزجرت فتلاء المرافق قائلاً ... يا ناق جدّي تُحمدي غِبَّ السُرا

زوري أمير المؤمنين فتظفري[3] ... فالصيد كل الصيد في جوف الفرا[4]

---

(١) القاضي العلامة، قاضي أمير المؤمنين، حاكم المسلمين، راشد بن الحسن بن أبي يحيى الصنعاني، كان من العلماء الكبار، ولاه الإمام عبد الله بن حمزة القضاء. ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٢ ص ١٠٢.

(٢) مثل يضرب للدلالة على التفرق والتشتت كما حدث بأهل سبأ. ابن منظور، لسان العرب، مادة: سبأ.

(٣) في الأصل (تظفري).

(٤) مثل يضرب للدلالة على أن كل أمر يغني كبيره صغيره.

فإذا أفضت[1] بنا إلى ساحاته فقفي هنالك لا أمام ولا ورا

الواهب الجرد العتاق لوفده مما[2] تبارى في الأعنة ضمرا

وركايب مثل الأهلة عالها طول الشقاء ولاحها جدب البرا

تحملن من عصب إلينا مُفْوَقاً ومنمنماً ومطرزاً ومحبرا

من كل فائقة الفرند تخالها دُراً[3] يروقك نظمه أو جوهرا

مسكية النفحات إن هي أنشدت فاحت عبيراً في الندى أو عنبرا

يقصدن من أضحى الوفود بسوحه مثل المنازل مورداً أو مصدرا

بسط البنان إذا تكاثر وفده مستمطرين نداً أطاب وأكثرا

متواضع في كبرياء جلاله متكبر عن أن يرى متكبرا

أعلى الأنام عُلاً وأنداهم نداً وأجلهم قدراً وأعظم مفخرا

ماض وصدر الرمح يكهم والظبى تنبوا وأيدي الخيل تعثر بالثرا

قداح زند المجد ما ينفك من نار الوغى إلا إلى نار القرى

عم الأنام العدل فيه فاستوى بقر النعاج به وآساد الشرى

هذا هو المنصور والهادي إلى سبل النجا للكل من هذا الورى

من معشرٍ هُمْ للخلافة معشر ورثوا الندا والمجد أكبر أكبرا

شجج الخلائق حبهم ووِدادهم فضل من الباري بذلك للورى

يدعو النبي محمداً جداً ويد عو والداً خير الأئمة حيدرا

أهل العبا والبيت بيت نبوة لله بيت ما أعف وأطهرا

إن قلت أوحد عصره وزمانه حققت ما لا خلف فيه ولا مرا

= البكري، فصل المقال، ص ١٠ ـ ١١؛ محمد عبد الغني، من أمثال العرب، ص ١٧٤.

(١) في الأصل (أضفت).

(٢) في الأصل (فما).

(٣) في الأصل (طرا).

وإليك محصدة النظام أريجها مسك ونفحتها تفوق المجمرا
وسلمت[1] [ ][2] كل أمر رمته تبقى لمكرمة وتفني الأعصـرا

ومما أُنشد هذا الشعر للشريف الأجل يحيى بن مكني بن حمزة بن عبدالله بن محمد بن جعفر بن القاسم بن علي، أمر به وقد أصابه وجـع أقعده المشي، قال:

ما كان يمنح ربعهم أغراضاً حتى تقضي عنده أغـراضــاً
فقفا على ابن هم لم يزل نقضاً[3] وعوجاً[4] أيقضا إيقاضا
واستوكفا دمعاً هتونـا كلمـا عنَّ ادكـار لـلأحبـة فـاضـا
أيـام لم نذعـر ببين شربهم والدهر عنهم مغمض إغماضا
واللهـو محتدج لـديهم كأسـه إذ يوفضون[5] لفضه[6] إيفاضا
وإذا العيون هناك يرعى سوحها بين المحاجر والخدود رياضا
من كل واضحة الجبين بطرفها مرض له غدت القلوب مراضا

---

(١) سلم له الشيء: خلص له.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلم.
(٢) كلمة ساقطة من الأصل.
(٣) استقض مضجعه: أي وجده خشناً. ويقال قض وأقض إذا لم ينم نومـه، وكان في مضجعه خشنة. وأقض على فلان مضجعه إذا لم يطمئن به النوم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قضض.
(٤) عوج: عاج بالمكان وعليه عوجاً وتعوج: عطف، وعجت بالمكان أعوج أي أقمت به، والعائج: الواقف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عوج.
(٥) الإيفاض: الإسراع، ويوفضون أي يسرعون.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وفض.
(٦) لفضه: أي لصبه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فضض.

تثنى اللثام على أغر مفلج كالدر يومض نوره إيماضا
وكأن زهر الورد فوق مورد يسبي العقول بياضه وبياضا
جل الهوى والحب في أحشائنا لهم وفرخ في الصدور وباضا
فسقى ديارهم أجش مجلجل يعشي الوهاد الفيح والأرياضا
وشبيبة ريا[1] بلتها شنة[2] لم أستطع لوقوعها إنهاضا
ودعتها كرهاً وقلت لهذه دومي وإن لم أرضها معتاضا
وطفقت أكتمها الملاح ولا أرى إلا الخضاب لها أو المقراضا
وعزيمة لولا الزمان تسنمت همماً طوالاً في الزمان عراضا
أوريت في طلب المعالي زندها فرحاً وكنت لحربها خواضا
وغدوت فيها والزمان كأنما لبس الفضا يوماً به فضفاضا
حتى اعترتني في الزمان نوائب أغفلن منه حية نضناضا[3]
وصبرت لا أشكو الذي بي من ضنا حتى استليت الرضف[4] والرضراضا[5]
لكن لي قلما إذا أوردته للغمس[6] من ماء الدواة حياضا

(١) امرأة ريّا من قوم رِواءٍ. وريًّا: من أسماء النساء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: روى.
(٢) شن: ضعف، واستشن: هزل، ومَرَةٌ شنة: العجوز المسنة البالية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شنن.
(٣) النضناض: هو القلق الذي لا يثبت في مكانه لشرته ونشاطه.
ومنه قيل للحية نضناض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نضض.
(٤) الرضف: الحجارة التي حميت بالشمس أو النار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رضف.
(٥) الرضراض: الحصى الصغار. والرضراض: الأرض المرضوضة بالحجارة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رضض.
(٦) في الأصل (للخميس).

لم يمتنع عنه المحال بمنطق ... ما شئت منه[1] جداً وإن إحماضا[2]
ولربما رضت القريض فذل لي ... ما كان أعيى قبلي الـرواضا
ولكم وكم آنست منه شوارداً ... فغدون بطن المهرقات رياضا
ونظمت منه على النحور قلائداً ... دراً إذا نظم الأنام خضاضا[3]
ومنحت مولانا الإمام بخير ما اسـ ... ـتعرضت منه بسوقه استعراضا
ونثـرت من ناديـه منه لآلئـاً ... لا أبتغي بيعـاً ولا إقـراضـا
لكن لدى الرحمن أبغي زلفة ... بمـودة أمحضتهـا إمحـاضـا
مع أنه ما جاش بحر الشعر في ... أوصـافـه الحسنى إلا فـاضـا
ومتى تحاط بمدحـه وصفاتـه ... لا تهتدي جملاً ولا أبعـاضا
كـادت فضـائله تجسم كثـرة ... في عين من لا ينكر الأعراضا
وغدت فضائله الجسام لنا على ... ما نالنـا من دهرنـا أعواضـا
مـا زاره العافـون إلا أوردوا ... بحـراً خضماً بـالندى فيـاضـا
ورأوا خلائق عند ذاك أنيقـة ... بيضاً حساناً كالرياض رياضا[4]
ومتى يزر أرضاً لحرب قبيلة ... يعضض[5] بهامهم الظبى اعضاضا
ولكم لـه من فتكة وعـزيمة ... غراء بكر أنست[6] البراضا[7]

---

(١) في الأصل (من).

(٢) أحمض القوم أحماضاً، إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث.
والأحماض: الأخذ في ملح الكلام والحكايات.
بن منظور، لسان العرب، مادة: حمض.

(٣) الخضض: الخرز الأبيض. والخضاض: الشيء اليسير من الحلى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خضض.

(٤) في الأصل (رهاضا).

(٥) أعضضته سيفي: ضربته به.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عضض.

(٦) في الأصل (أنسيت).

(٧) البراض بن قيس: الذي هاجت به حرب عكاظ، وقيل: هو أحد فتاك العرب، معروف =

ولربما جعل الفتى يوم الوغى أجما لآساد الشرى وغياضا[1]
وهو الذي يرجى لدين محمد أن سوف يجبر عظمه المنهاضا
ويقيم بعد الزيغ أطرقناته بضياء علم يبهر الرفاضا
فليبق يرفض[2] كل معاند بشهير نير فضله إرماضا
وإليه كيما أن ينوب مناب من قد حالف الأوصاب[3] والأرماضا
شعراً تحاكيه الرياض وما ارتضى إلا ركوب الضاد فيه رياضا

وأتى الشريف أحمد بن محمد السراجي، وهو الوالي على قبض الحقوق الواجبة وأخماس المعدن بحريب والأعبل وما يتصل بهما. فذكر تمرد أهل البلاد وامتناعهم من تسليم الواجبات لما وقعت الغفلة عن غزوهم وأخذ ثمارهم، والانشغال عنهم بما هو أهم، من مقاومة الإمام عليه السلام للغز ومحاربتهم، على قوة أمرهم، وعظم شرهم، وقلة الأعوان. وتخاذل العرب وطمعهم في حطام الدنيا، وفسادهم، وميلهم إلى الغز، وهم يأخذون أموالهم ويعذبونهم أصناف العذاب.

فطلب الشريف السراجي غزو حريب والأعبل، وأخذ زرع قد حضر عندهم وتأديبهم. فلبث أياماً عند الإمام ينتظر جمع العسكر والقود إلى هنالك. وأتاه عادية بن عمرو الخولاني، وهو ناصح شديد المحبة يزعجه

= من بني كنانه، وبفتكه قام حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: برض؛ محمد جاد المولى، أيام العرب، ص ٣٢٦ - ٣٣٠.

(١) الغيضة: الأجمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غيض.

(٢) رفض الشيء ما تحطم منه وتفرق. وترفض الشيء إذا تكسر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رفض.

(٣) الوصب: الوجع والمرض، والجمع أوصاب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وصب.

قبل فوات الزروع. فأمر الإمام عليه السلام أخاه صارم الدين إبراهيم بن حمزة بجمع خيل الجوف والعزم على النهوض إلى حريب فامتثل أمره. وجهز الخيل من نهم، وبني منبه، وآل دعام وعزم على القود، فجاءت الأخبار بصحة وصول وردسار إلى صنعاء، فانتقض ذلك. ورأى الإمام عليه السلام تأخيره، والالتفات إلى الأهم، والتأهب للحركة إلى جهات الظاهر لشدادة البلاد، وما يخشاه فيها من أهلها من الفساد.

وكان السلطان بشر بن حاتم قد أتى الجوف وطلب من الإمام عليه السلام مالاً. فلم يمكن في الحال، وكان قد أعطاه أربعاً من الخيل أيام قدومه إلى ذمرمر تألفاً له. وكتب له بعد مراحه من الجوف بمائتي مد طعاماً من شوابة، فلم يرض بذلك، والإمام في ذلك الوقت يطلب النفاق على أربعة حصون كوكبان، والظفر[1]، وبيت عز، وحصار بكر[2]، فلم يقبل العذر، ولا نظر في عاقبة الأمر. وراح غاضباً بعد اجتهاد منه في المباعدة بين بني منبه ونهم وبين الإمام، وتغيير قلوبهم، والفرقة بينهم. ثم أتى بعده ابن عمه القاضي حاتم بن أسعد يطلب مثل ما طلب، ثم راح من الإمام غاضباً، وارياً، معانداً، ففعل مثل ما فعله، وراح كما راح.

---

(١) حصن الظَّفِر: من حصون صنعاء يقع على بعد ٥ كم جنوب شرق كوكبان، وهو في أقصى شمال بلاد بني مطر.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة، 1543 D 2.
يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١ ص ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤١.

(٢) بكر، بضم الباء والكاف، حصن على بعد ١٠ كم شمال غرب كوكبان ويقع ما بين:
١٤″ ٣٢′ ١٥° شمالاً،
٣١″ ٤٨′ ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة، 1543 B 4.
ابن الديبع، قرة العيون، جـ١ ص ٢٩٨.

فلما وصل وردسار إلى صنعاء في ثلاثمائة فارس من نخبة العسكر، وخيار الجند، وأمر منادياً في العسكر بالتأهب للخروج إلى الظاهر وصعدة، وإعداد الزاد لشهرين. ونقض الصلح فيما بينه وبين السلاطين آل حاتم بذمرمر وأطلق الغز في بلادهم وبلاده فدمروها، وأهلكوا أهلها حتى انقطع الأكثر، وامتلأت منهم بلاد الإمام من شوابة إلى الجوف، ومن الظاهر إلى صعدة، ضعفاء ومساكين، حتى أن رجلاً حكى أنه في قافلة واحدة تريد صعدة خمسمائة منقلعين من الرحبة وبلاد الغز.

وجاءت كتب السلاطين آل حاتم بنقض وردسار للصلح، ويستوردون أمر الإمام عليه السلام. ويذكرون أن بعض الجماعة يريد الصلح خوفاً على فوات الثمرة، والبعض عند رأيه. فرأى أن الحرب أولى، والثمرة لا تسلم من الغز. وأقام وردسار بصنعاء عقيب وصوله، وشغله الله تعالى بنفسه بحمى ومرض أصابه. وكانت البلاد قد اضطربت، واستبشر أهل الفساد والعرب، وانثنى عزمه عن صعدة والظاهر، وهم بالخروج إلى شوابة. واشتد عليه المرض، فخرج من صنعاء يريد عضدان، ونظر إيابه رجل من أهل صنعاء وألح بالنظر إليه في وجهه، فقال: هذا شامت، هاتوه، فقربوه إليه فضرب رقبته بيده.

ولما وصل العلم إلى الإمام عليه السلام بأنه يريد شوابة، أمر الأمير صارم الدين بالركوب في ثلاثين فارساً، والتقدم إلى شوابة. وجاء كتاب الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة يقول، إن تقدم وردسار إلى شوابة، أتينا في عسكر، فلزمنا عليه مضايق الطرق، وقتلناهم إن شاء الله تعالى.

وأتى عيسى بن ذعفان صاحب شوابة إلى الإمام عليه السلام والأمير صارم الدين يريد الركوب في الخيل إلى شوابة، فسأل تأخيرها

حتى يستبين الأمر، ويعلم أين يتوجه وردسار. فساعده الإمام عليه السلام، وعاد، وأمره بنقل ما بها من الطعام[1] إلى ذمرمر، ففعل ذلك.

ونهض وردسار بالعسكر فحط في بلاد بني شهاب، وكانوا قد امتنعوا في بلادهم، ولم يسلموا شيئاً، ولا وصلة أحد من كبارهم. واستقاموا على ذلك لما أجمع رأيهم، واتفق أمر عمران بن الذئب بن سلمة، وعمرو بن محمد بن الجبير. فلما حط عندهم ورأى اجتماع كلمتهم، صالحهم على عسكر يقود معه منهم. ونهض إلى متنه[2]، ولم يعلم أين مراده، فأقام بها أياماً.

وجمع الأمير عماد الدين الجموع والعساكر إلى شبام، وتأهب لحربه وطال انتظاره، وتفرق العسكر ولم يبق منهم إلا القليل. ولما بلغ إلى الإمام بأن غرض القوم شبام وأخذ زرعها، كتب إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بالمادة إلى هنالك، فتنبط يريد جمع عسكر كبير. وسبق وردسار وهم على غفلة في شبام، فما شعروا إلا والخيل قد بدت من وادي المغمة[3] ضحوة النهار، واستقرت بوادي شبام حتى آخرها. وصدرت جميعاً حتى أتوا جرن مديح[4] قريباً من المدينة فحطوا هنالك. ولم يكن بقي مع الأمير عماد الدين من المواد إلا السلطان صعصعة بن محمد بن الحسين المثاني في جماعة من أهل مسور، والشيخ منصور بن محمد الضربوه في أهل ثلا، والسلاطين بنو

---

(١) في الأصل (بنقل ما بها أمكن من الطعام).

(٢) متنة: بفتح الميم وسكون التاء، قرية من عزلة حزة سهمان، ناحية بني مطر. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٦٨٨؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٥٨٣؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٨٤.

(٣) يتضح من النص أن وادي المغمة هو أحد الأودية المؤدية إلى وادي شبام.

(٤) يتضح من النص أن جرن مديح كان من المواضع الصغيرة القريبة من شبام.

الزواحي وأهـل الضلع، أو من يخصه من الديوان، وأهـل البلد على ضعف وقلة سلاحهم على ما نالهم مـن الجـور والظلم. ولم يكـن معه مـن الخيل إلا خمـس أفراس. فوقـع القتال ذلك اليوم وهو يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجـب، فمنعـوا الغز من المدينة، واستظهر عليهم ووقعت فيهم جراحات كثيرة، وافترقـوا آخر النهار واليد للأميـر عماد الدين وأصحابه عليهم.

فلمـا أصبح نهض وردسار بنفسه وهو في شـدة من المرض، وقد أعمـل مكيـدة ردهـا الله في نحـره، وكـفى شـره ومـكره. وذلك أنه قسم العسكر، فجعـل للرجـالة وبعض الخـيل صـدر الجـبال في وجـه المدينة، وبعض الخـيل في الجـانب الأيسر، وزحـف للقتال بنفسه في معـظم العسكر. وأمـر تـلك الخـيل إذا تزاحـم الناس في القتـال بالدخـول من بـاب الأهجـر فيقـطع مادة كوكـبان، ويحـول بين الأمير عمـاد الـدين وأصحـابه وبين الخـيل، فيصيرون في الوسط بين الخـيلين. وتقـدم إلى بـاب السوق، وكـانوا قد سـدوا عليه بحجـارة وهـم آمنـون من جهـته. فهدموا تـلك الحجـارة وفتحـوا الباب، ودخـلت الخـيل والرجـال حـتى ملكوا الميـدان، وصـار سور المدينة من خـلفهم فقرضوا فيه قرضتين في الميـدان حـتى صـارت الخيل تدخـل منها وتخـرج. وهتـف الصـارخ والأمير عماد الـدين عند المسجـد الجـامع يـعبىء أصحـابه للقتـال، ويجعـل لكل شرعاً[1] يقـاتل فيه، وتـكون عليه عهـدته. فانتقضت التعبئـة، وأغـار النـاس كـل من موضعـه بثبرة[2] إلى أسفـل

---

(١) الشِّرْعُ: موضع، وكـذلك الشوارع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة:

(٢) تثابرت الرجال في الحرب: تواثبت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثبر.

القرية. ووقع القتال الشديد، وطال فيه المدى من أول النهار إلى آخره، وما فرق بينهم إلا الليل. وأغارت تلك الخيل حتى دخلت من باب الأهجر ولا علم بها، فواقعت مادة نزلت من ديوان كوكبان تريد إلى الأمير. فصادفت تلك الخيل وجهاً بوجه، فهزمها الله تعالى وهي خيل كثيرة. وما زالوا يسوقونهم حتى أخرجوهم من حيث دخلوا، ومنعوا ظهور أصحابهم، وهم آمنون ولا علم عندهم، فكان ذلك من ألطاف الله تعالى ونصره إياهم. وكان للأمير[1] عماد الدين في ذلك اليوم بلاء شديد وصبر وقتال عظيم، وجهاد عرفه الفريقان جميعاً، وشهد له به الفتيان. وافترق الناس في ذلك اليوم على أربعة وعشرين قتيلاً من الغز وعسكرهم، وجراحات كثيرة وخيل معقورة[2].

واستشهد في ذلك اليوم الشيخ مرحب بن سليمان الحرازي السهلي إلى رحمة الله ورضاه، وذلك أنه أغار راجلاً وقد دخل الغز إلى شوارع المدينة. وكان قوي العزيمة شديد الشكيمة، مشهوراً[3] بالشجاعة فأقدم حتى ترك جانباً من الغز خلفه، وهو يحرض الناس على القتال والجهاد في سبيل الله وحرب أعداء الله معلناً بصوته - حكى ذلك من سمعه - وقاتل قتالاً عظيماً وهو يبتدىء باسمه وسوق من قدامه حتى خلفه رجل من الغز، وأراد أن يضربه بالسيف فلم يتمكن من ذلك، فوخزه بذبابه[4] بين جنبيه، فوقع على الزرد فلم

---

(١) في الأصل (الأمير).

(٢) في الأصل (معقودة).

(٣) في الأصل (مشهور).

(٤) ذباب السيف: حد طرفه الذي بين شفرتيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ذبب.

يصنع شيئاً، والتفت يريد لزم ذلك الرجل، فأرسل السيف وانهزم، فرمى بنشابه في نحره، فتحامل بها قليلاً وهو يحمد الله تعالى حتى انبرح من موضع القتال، ونزعت منه ففارق الحياة مكانه، ومضى إلى رحمة ربه شهيداً حميداً. فاغتنم الإمام والمسلمون لما وصل إليهم خبره غماً شديداً.

وقتل رجل من بني الزواحي ورجل من ديوان كوكبان، وعقر حصان الشريف أسعد بن علي المحسني العباسي، وأصيب فرس الشريف مطهر بن عبد الله العباسي العلوي. وكانت الجراحات في أصحاب الأمير عماد الدين قليلة مع كثرة النشاب، وسهام قياس الشرخ، والنبل العربية. وكان الأمير عماد الدين يتلقى الشر بنفسه، ويدافع عن أصحابه بسيفه وقوسه، وما قاتل في ذلك اليوم برمح، بل كان يغشاهم بالسيف فيسوقهم. ويحملون عليه بالرماح فيلقيهم صدره وظهره، ودافع الله عنه لما علم من الصلاح في بقائه ونفعه في الإسلام. فجزاه الله خيراً وأحسن مكافأته.

وراح وردسار ليلته تلك مخذولاً مكسوراً، وكان قد أعد طعاماً كثيراً على جمال يريد إيصاله إلى حصن بكر وقد وقع عليهم الحصار والمضايقة. وقطع الأمير منهم المواد حتى ضاقت بهم الأحوال وهم صابرون على شدة الجوع والضرة العظيمة، والبلاء الذي لو وقع فيه غيرهم لما صبروا عليه، كأنهم يجاهدون على ثغر من ثغور الإسلام، إذا سلموه انقضت بيضته، وانتهكت حرمته. والذين به قوم من العرب من خولان من اليمن، والحصن في منتهى الحصانة، لا سبيل إلى قتاله ولا أخذه بالقهر. وما هم سيف الإسلام بمحطة عليه مع كثرة جنوده وسعة أمواله. ولولا رغبة أهل البلاد حوله في زوال أيدي الغز منه،

واستقرار يد الإمام عليه، لما استطاع الأمير حصره. وراح وردسار بطعامه الذي أراد إيصاله بالقهر إلى حصن بكر، فلم يبلغه الله مراده، ولبث في صنعاء أياماً.

وجاءت الأخبار إلى الإمام عليه السلام بمراحه وهو في تجهيز المادة بالخيل والرجال. وأنشأ هذا الشعر يذكر فيه وقعة شبام، وصبر الأمير صنوه عماد الدين، وجهاده ومن حضره من الشرفاء وغيرهم، ويذكر فيه فخر الدين مرحب بن سليمان، وقد استشهد هنالك إلى رحمة الله تعالى. قال عليه السلام:

كفيت ولم تحضر وما زلت كافياً وعفت الرماح إذ هويت[1] المواضيا
وكنت شجا بين الوريدين ناشباً لمن كان للدين الحنيفي قاليا
دعيت عماد الدين لما عَمَدْتَه وألقيت في الأرجاء منه المراسيا[2]
عصيت العذول في مكافحة العدا وظلت بمطرور[3] الغرارين[4] عاصيا[5]
وعارضت موج الخيل منك بقاصف من الريح تلقى طامح الموج ساجيا
تعاوت[6] عليك الكرد من كل جانب فجردت[عزماً][7] يترك[الليث ساهيا][8]

---

(١) في الأصل (هبت). والتصويب من الديوان.
(٢) هذا البيت غيرموجود في الأصل، والإضافة من الديوان.
(٣) سنان طرير ومطرور: محدد. وطررت السنان: حددته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طرر.
(٤) الغرار: حد الرمح والسيف والسهم. والغراران: شفرتا السيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرر.
(٥) إضافة من الديوان.
(٦) تعاوت: تجمعت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عوى.
(٧) إضافة من الديوان.
(٨) إضافة من الديوان.

فلو حضرت من صيد قومك فتية للاقوبها طعناً يشيب النواصيا
وكانت لهم من دون شخصك وقعة على الضد نكراء فحمة هي ماهيا
على أن رهطاً من سلالة حيدر أجابوا إلى طعن النحور المناديا
وقاموا مقاماً لم يشنهم حديثه وطال به في البعد من كان نائيا[١]
ولله در عصبة حميرية لقد كان منهم ما به القلب راضيا
من آل الزواحي الرفيع ذماره بفعلهم أحيا المديح الزواحيا[٢]
ملوك لهم ملك الملوك وراثة إذا كان بعض الناس للملك شاريا
وقد شمرت من آل شمر[٣] سادة[٤] إلى نصر دين الله كهلاً وناشيا
لهم في شبام موقف شاع ذكره وصدق قتال كان للقلب شافيا
يقودهم ملك كريم فعاله سليل ملوك شاد ملكاً يمانيا
وأشياخ صدق أخلصوا لإمامهم يرجون عيشاً في القيامة باقيا
وإن مات فخر الدين قدس روحه شهيداً حميداً للولي مواليا
فما مات مذموماً ولا باع دينه بدنيا ولا والى بغيضاً معاديا
فقل لأرباب الشماتة ودعوا سلوَّكُمُ[٥] واقروا السيوف الهواديا
سأبكيه بالسمر العواسل والظبى وفتيان صدق يمتطون المذاكيا

---

(١) هذا الشطر في الديوان (وطال به من كان في العبد نائياً).

(٢) هذا البيت ترتيبه في الأصل بعد البيت الذي يليه، والتعديل من الديوان.

(٣) شمر من قبائل حمير، وشمر من خولان قضاعة. وشمر بفتح الشين وسكون الميم، بلد في حجور.

انظر، الهمداني، الإكليل، جـ ٢ ص ٧٦، ٣٦٠ ـ ٣٦١؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٧٣؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٤٥٧.

(٤) هذا الشطر في الأصل (أفاضل من أبناء شمر شمروا).

(٥) السلو: البغضة.

ابن منظور ،لسان العرب، مادة: سلا.

وأرميكم في كل يوم بصيلم[1] وأوطى رءوس الظالمين الحواميا
وذاك بعون الله جـل جلالـه معيد الورى مذرى[2] الرياح الذواريا
لنا في رسول الله أعظم أسوة لمن كان بالآيات والذكر داريا
فحمزة قد ذاق الحمام وجعفر وزيدٌ وهم كانوا حماة عواديا
أصيبوا فما هاب[3] الرسول مصابهم وذل له من الطغاة الأقاصيا
ودانت له الآفاق بعد مصابهم وأعيى له الرحمن من كان عاصيا
فما عذر حيبها بكيل وحاشد وهم جمرات يتقون المخازيا
تمالوا على الخذلان في غير موجب ولم نر منهم في المجال مواسيا
سوى عصبة من شاور حاشدية تشبههم في الروع أسداً ضواريا
ونحن أنـاس عودتنـا جدودنـا نطاح المواضي واعتناق العواليا
وكم من ظلوم رام ورد حياضنا فردته بيض الهند حران صاديا
وكم دار جبـار تركنـا أعاليـا أسـافلهـا والسـافـلات أعـاليـا
وطاغ طغى فازداد في الظلم بسطه[4] فساقت له حتفاً يد الله قاضيا
على حين أعطته الأمور قيادها وساقت إليه الحادثات الأمانيا
ومـا هذه الأيـام ألا ضلالـة فكن باغياً للفوز إن كنت باغيا

وأنشأ الفقيه أبو القاسم بن حسين بن شبيب مرثيـة في الشيخ فخـر الدين مرحـب بن سليمان رحـمه الله تعـالى :

على فخر الدين يا عين فاسكبي ونفسي فلا تنسي أخا المجد واندبي

---

(١) الصيلم: الداهية، ويسمى السيف صيلما.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صـلـم.
(٢) في الأصل (مجـرى) والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل (هـاض).
(٤) هـذا الشطر في الأصل (وطـاغ طغا وازور في الظـلم بسطـه) وفي الديوان في النسخـتين أ، ب (وطـاغ طغى في الظـلم وازداد بسطـه).
والتصويب من الديوان من النسخـتين ج، د.

فقد رزىء الإسلام سيفاً مجربا ولا خير في سيف إذا لم يجرب
أخا عزمات دونها مضرم اللظى ركوباً لبين الهول غير مكذب
أخاً فتكات دونها فتك ضيغم أبي أشبُلٍ دامي الأظافر مغضب
أليس بنجران سطا غير كابع[1] على غلب كهلان ولم يتهيب
فروى غرار السيف منهم فأجفلت فوارسهم عن أهْرت الشدق أغلب
أليس الذي سام الدقيق[2] ذله وقلبه في جمرها المتلهب
بكدرى سهام يوم وافاه معلناً كنصل الحسام المشرفي المشظب
فذا ابن عدي يوم وافى معاويا بأبلغ منه في الخطاب وألجب
أليس الذي حامى بحيمة معلناً وذابب[3] معداً عن حرائم يعرب
وصال على جند الشهاب وردهم هزيماً على الأعقاب في كل مذهب
وقاوم جندي وردسار بعزمة فعاود مكلوم الحشا لم يعقِّب
وفي هجر كان المقدم في الوغى عشية سرنا للأمير المحجب
يكر عليهم كالهزبر مصمماً وعاد بمفلول الغرار مخضب
وحصن ثلا لما تعاظم خطبه وأعوز من حامى الحقيقة منجب
سما نحوه في عصبة مصرحية حميدي المساعي في الخطوب بني أب
فشن على الأعداء من كل غارة سقتهم ذعاف السم من كل مرقب
وخرب قسراً بيت عز ضرامة ولولا اعتزام منه لمًا تخرب
فكان أحق الناس إذ قال قائل بما قال من قوله به لم يكذب
أخوك الذي إن[4] تدعه لملمة يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب[5]

---

(١) الكبوع: الذل والخضوع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كبع.
(٢) الدقيق، هو أحد ولاة الأيوبيين في تهامة.
(٣) في الأصل (وذب).
(٤) في الأصل (لم).
(٥) البيت لحجية بن المضرب الكندي السكوني.

وفي نجد صيد كن منه عزائم عدا دونها حد الحسام المذرب[1]
وناصبت حرباً في حراز ذوي الخنا وصُبَّ عليهم شر يوم عصبصب
ونابذ أحزاب الضلال بها معاً وحامى على دين النبي المقرب
فلا يبعدن الله ما ضمه الثرى من أشلاء محمود السجية كوكب
فما أن ثنى قلبي عليه أخا أسى ودمعي عليه مولع[2] بالتسكب
متى ذا المنى يأتي[3] الزمان بمثله حميد المساعي ذي العفاف مهذب
ألا لا ولكنا نقول إذا غدت لظى الوجد ستحيا بذاكى التلهب
سقى الله بالأنواء أنصاب قبره وجلل بالرضوان أوصال مرحب

وللشيخ حسن بن عزوي العصيفري:

يا شقيق الإمام بل يا عماد الد ين يا من به تُسَدُّ الثغُورُ
كل يوم تجهز الجيش للغز و وهذا هو الجهاد الكبير
وتصالِى من الجهاد عظيماً ليس يقوى عليه إلا صبور
خير منشى كتيبة أو كتاب للقنا واليراع فيها صرير
وكذا كان آباؤك الشـ ـم عليٌّ وشُبَّرٌ وشَبيرُ
جاءنا علم وقعة في شبام لوغاها يوم النصير نصير
[ ][4] الأشراف طعناً وضربا وجميع الأكراد فيها حضور
أقبلت خيلهم صحاحاً فولت وهي تدمى أكفالها والنحور
ظل يُصلِى نار القتال بعزم وهو حقاً ليث النزال الهصور

= أبو تمام، الحماسة، جـ١ ص٦٠٢.

(١) سيف ذرب ومذرب: أُنقع في السم ثم شحذ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ذرب.

(٢) في الأصل (مولع).

(٣) في الأصل (تي).

(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

وأتانا ما كان من صبر عز الد ين فيها وهو الأمير الخطير
وشجاك الملوك صعصعة الأو حد نعم المتوح المحبور
وبآل الضربوة السادة الغـ ـرّ رحى الحرب والقتال يدور
والأقيال حمير للزواحيين في الفخر أول وأخير
بادروا جهرة جهاداً وصبراً وإلى الخير قد تؤول[1] الأمور
مرحب في الجهاد ما زال يسعى أو تولى وسعيه مشكور
خير مستشهد إلى جنة الخلد له روضة بها وقصور
فعزاء للمسلمين ولكن لاختصاص به يعزي الأمير
ونعزيك يا علي بن سليمان على قدر ما يكن الضمير
وبصدري ما في صدور الحرا زيين بما انطوت عليه الصدور

ولما عاد وردسار إلى صنعاء بعد حرب شبام وكسره، وقتل من قتل من عسكره، لبث بها مدة ثم انتقل إلى حصن عضدان. وكان قد أخرب دور أهل صنعاء وخيارها، ونقل أخشابها إليه وإلى الدار التي عمرها في بستان سيف الإسلام. وكاتبه السلطان بشر بن حاتم يريد منه الرجوع إلى الصلح الذي كان بينهم، فلم يكره أن تسد جنبتهم. وأتى إليه بعد المكاتبة إلى عضدان، فصالحه على أن يسلم إليه جانباً من البلاد التي صالح أولاد أخيه في الرحبة عليها، وقنع منه بذلك، وصار ميله إليه. وكل ذلك لمعارضة الإمام ومباينته، وإلا فلم يزدد شيئاً على ما كان في أيديهم. وإن كان السلاطين أولاد أخيه كارهين لذلك منه، غير راضين بمعارضته.

ثم أتى إلى وردسار من الأشراف حاتم بن علي القاسمي مخالفاً على الإمام، محرضاً على القود إلى الظاهر وصعدة والجوف. وسبب

(١) في الأصل (تأول).

ذلك أن الإمام عليه السلام كان قد ولاه بلاد سفيان المتصلة بظاهر بني صريم من بلد همدان، وعزل ابن عمه علي بن محمد بن يعقوب القاسمي. وأقام على الولاية مدة طويلة، وانقاد له أهل البلاد، وكبرت نفسه عنده، وظن أن انقياد الناس له خوفاً منه أو رغبة فيه.

فأتى في بعض الأيام يريد الدخول إلى الإمام عليه السلام بداره بقرية حوث، وكان على شغل فمنعه البواب من الدخول حتى يستأذن له، فعاد على إثره غاضباً لجهله بالأمر، ولم يعلم أن الأمير الكبير شمس الدين شيخ آل الرسول صلى الله عليه وآله يحيى بن أحمد بن الهادي عليه السلام أتى إلى الدار التي كان بها الإمام عليه السلام بالدرب الجديد من صعده، وذلك قبل عمارة داره في الدرب المنصوري المنسوب. فلما وصل الأمير إلى الباب، وأنا شاهد ذلك، وقف قائماً معتمداً بجنبه على جدار قدام الباب، وسأل الإذن والناس يدخلون ويخرجون. فقيل له في ذلك فقال لا بد من الإذن، فلم يزل قائما حتى أتاه الأمر من الإمام عليه السلام بالدخول عليه، كل ذلك إجلالاً للأمر وتعظيماً، وليقع الاقتداء بفعله. و﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[١]. ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾[٢].

فلما ذهب الشريف حاتم بن علي مغاضباً، اجتهد من حينه في الفساد في ولايته في البلاد التي صرف أمرها إليه، وحرك المفسدين من أهلها للغيار وقطع السبيل. وتغافل عنه الإمام أياماً لعله يرجع من غيه، فاستمر، فعزله من الولاية.

---

(١) سورة الزمر، آية ٩.

(٢) سورة الصافات، آية ١٥٤؛ سورة القلم، آية ٣٦.

فلما ظهر عزله لأهل البلاد وكان قد قتل رجلا من بني حبتر[1]، فهموا به في منزله يريدون قتله، وأحاطوا به. فدخل بيتاً لزمه في أسفل الدار، فلم يقدم عليه أحد حتى حضر من فرقهم[2]. ثم راح بعد ذلك يريد براقش، وهي بلدة مستقرة، فمر على أهل الجوف، فطلب منهم الخلاف معه على الإمام عليه السلام. فكان كلما أتى إلى قبيلة منهم قالوا له ابدأ ببني فلان فنحن نتبع لهم، وهو يتردد بينهم، فلم يتأت له ما رامه من الفساد. فراح إلى براقش فأقام بها مدة.

وغزا مع البدو إلى حضرموت، وجرت عليه محن كثيرة، فجعل له طريقاً إلى وردسار بخلافه على الإمام، وإظهار عداوته له. فقبله لذلك وناصفه لما يرجو من نفعه له من الفساد في بلاد الإمام عليه السلام، لا رغبة في الأشراف، ولا محبة لهم. فقد كان الشريف يجحد نسبه قبل قيام الإمام، وربما يتنسب إلى اليهود ليسلم. وقد روى ذلك بصنعاء، وروي أنه أُتي إلى الغز بشريف ويهودي، فشنق الشريف، وأرسل اليهودي. كل ذلك كراهية لهذا الاسم وأهله.

وممن أتى إليه مخالفاً على الإمام عليه السلام، الشريف سليمان بن محمد المعروف بابن القاضي[3] من آل الهادي إلى الحق عليه السلام،

---

(١) بنو حَبْتر: من قبائل طيء من كهلان.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٤٨، ٦٦.
ولما كانت الكلمة غير منقوطة، فيمكن أن تقرأ حبير. وآل حبير من بني شهاب، وهو حبير بن سلمة.
أحمد بن يحيى، الدر المنثور، ورقة ٩١.

(٢) في الأصل (رفقهم بعد).

(٣) الشريف سليمان بن محمد بن الحسن القاضي من بني الهادي، كان عالماً وقائداً بارعاً، اشترك مع الإمام في عدة معارك، أشهرها حرب براش بالقرب من صنعاء.
ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٢ ص ١٢٧.

وكان ممن أحسن إليه الإمام إحساناً عظيماً. وكان قبل الإمام كثير الاختلاف ما بين تهامه وحضرموت وغيرهما للتكسب وطلب المعيشة، فأعطاه الله مخلافاً في بلد جنب من مغارب بني شاور، فكسب الخيل والمال وديون الديوان، ودُعي بالإمرة، وهو مِنْ أهلها، فحدثته النفس الأمارة بالسوء بالخلاف ومباينة الإمام، والميل إلى جهة الغز. فقدم لذلك شكاوى كثيرة من الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، ومن عماله في الطرف وبلاد بني شاور.

وكانت سكنته بصعدة، فلما وصل الأمير عماد الدين أحضره بين يدي الإمام عليه السلام وقارره، فلم يوجد لأكثر تلك [الأمور] [1] أصل إلا فيما لا خطر له بين المتصرفين. ومما اشتكى أنهم أرادوا قتله، وبذلوا فيه ألف دينار. ولا حقيقة لذلك كله، أراد ان يجعل له عذراً عند الناس. ولو أرادوا قتله، وكان قد استحق القتل بمبيح شرعي، لما احتاجوا إلى بذل المال فيه.

وكاتب والي الجنات بأنه يريد الخلاف على الإمام، والقدوم إلى وردسار، فلم يكره ذلك، وأمره بالوصول. وصدر معه فرس واقديش[2] من خيل العجم، فمات ودوابه وناقتين [3] كان قد استعملهما يضربان بين يديه. فمر على قرية تسمى شير [4]، قريب من البون، وأهلها آمنون من

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة لتمام المعنى.

(٢) الكديش: الحصان غير الأصيل، يستخدم لحمل الأثقال، ولا يصلح للسباق أو الكر والفر في القتال. وهو من كلام العامة.
بطرس البستاني، قطر المحيط، مادة: كدش؛ المنجد، مادة: كدش.

(٣) في الأصل (ونوقين).

(٤) شير: إحدى قرى ناحية شبام كوكبان. ذكرها الهمداني بمخلاف أقيان. وقال السياغي بأن خراب شير تحت محل دعان مما يلي البون الداخلي.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١١؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٦٣.

جهة الإمام، لطاعتهم، وتأدية ما يجب عليهم. فأخذ غنمهم لإظهار الخلاف والمباينة للإمام عليه السلام. ووصل بها إلى الجنات، فأقام هنالك أياماً، وأراد القدوم إلى صنعاء في خيل من الغز ليظهر أمره وحاله عند الناس، فلم يحصل له الغرض.

فقدم فيمن معه فأنزله وردسار في مدرسة شهاب، وجعل له ولأصحابه ما يقوم بهم من جباية السوق، وما يحصل من المكس. فلما حضر وقت المغرب، أمر بضرب البوقين. فأنكروا ذلك عليه وسخروا به، وقالوا لا يضرب البوق عندنا إلا لأمير [1] حلقته أقل ما تكون مائة فارس. واستعفوه عن ذلك واستنقصوا عقله، فأقام أياماً.

وكتب الكتب إلى صعدة والظاهر، وبلاد الطرف وشظب، وجعل عنوان كتبه الملكي، الناصري، حسام الدين. أراد الرفعة بالانتساب إلى الملك، فوضع في أدنى المنازل. وذكر قدومه إلى صنعاء وما فُعل له.

قال الأمير عمدة المجاهدين، هذا من جملة ألقاب كثيرة لقب بها وردسار، وأنه قدم له حصاناً وبغلة، وألف دينار شمسية، وجارية تركية، وداراً وبستاناً وحماماً، ولا حقيقة لذلك. ووعده بالقود معه إلى البلاد، وأن الميعاد لذلك نصف شعبان في لقاء السلطان سنقر إلى الخموس. ذكر ذلك [في] [2] كتاب كتبه إلى ابن النفيل صاحب شظب، فأمر به إلى الإمام عليه السلام.

وكان سنقر يومئذ بحجة، قاده إليها ابن حجاج، يريد منه طلوع العسكر لقبض الأموال والقطع من أهل البلاد وقد امتنعوا عليه، ولم يسلموا

---

(١) في الأصل (أمير).

(٢) إضافة ليتم المعنى.

المال [١] الذي في أماكنهم. فطلع سنقر بعد أن أراد طلوع الغز، فامتنعوا خوفاً على انفسهم مثل فعل قُدَم بالشعفور. فنهض بنفسه في الجند، فلم يطعه أحد. فقصد قوماً يقال لهم بنو هجر [٢]، فحاربهم حرباً شديداً، فلم ينل منهم طائلاً. وخشي علي بن حجاج على نفسه، فدخل فيهم باسم الصلح والتودية، وأعطاهم الأمان والذمة. فلما تمكن منهم قتلهم عن آخرهم، ولم يرقب فيهم إلاً ولا ذِمّةً. وانقادت له البلاد بعد ذلك، فأخذ منها أموالا جليلة، وعاد إلى المحطة.

وجاء كتاب القائد عطيف من الذنائب يذكر فيه وصول سنقر في جند كثير مفاجأة، فلم يتمكن من الهرب إلى الجبال بأولاده وثقله على جاري العادة، فاضطر إلى الصلح والتودية. فقدم خمساً من الخيل وغطى نفسه ومن في جهته. وكان محباً للإمام، مجتهداً في صلاح بلده، وإزالة [٣] المنكر منها، ونفى معظم الفساد عنها، وإظهار الطاعة له عليه السلام. وسأل الفسح له في شراء خيل من بلاده عوضاً عن الخيل التي صالح عليها سنقر، فأذن له الإمام عليه السلام في ذلك. وذكر في كتابه نهوض الغز مجمعين إلى شام تهامه وبلاد الأشراف بني سليمان.

وصار [٤] العطيف بن موفق بعد ذلك من أشد الناس عداوة للحق وأهله، وعناداً لأربابه. ونكث أيماناً مكررة كثيرة، وسار في خلاف الإمام

---

(١) في الأصل (البلاد).

(٢) بنو هجر، وهم الأهجور: من قبائل سرو يافع والمعافر. ولم أجد معلومات عن وجودهم في المناطق القريبة من حجة.
انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٧٣، ح ١ نفس الصفحة؛ إسماعيل الأكوع، افعول، ص ٢٦.

(٣) في الأصل (والة).

(٤) في الأصل (صار).

أقبح سيرة. وقد علم أن الإمام عفا عنه وهو قادر على تنكيله، والاستيلاء على بلاده، فخالفه ووالى الظالمين. ولتعلمن نبأه بعد حين.

ولما رأى الإمام عليه السلام تثاقل العرب عن نصرته، وميلهم إلى الغز مع ما يلحقهم من الإهانة والاستخفاف، وقلة الإنصاف، وصلح همدان، وبني شهاب، وسنحان، وقودهم لمحاربته مع الغز إلى كل مكان. وتهافت الأشراف إليهم وأنسهم بهم بعد الوحشة، وإنكار النسب الشريف، وخذلان الشيعة المطرفية واجتهادهم في توهين أمره، وتثبيط الناس عن طاعته، والطعن عليه والسب، ووقوفهم للراحة في هجرهم بعد البيعة. والاعتراف بصحة إمامته عليه السلام مراراً كثيرة في مواقف مشهودة قد تقدم ذكرها. فأنشأ أبياتاً يحض العرب فيها على ما يصلحهم، ويوثبهم على عدوهم، ويذكر الأشراف، وما جرى قبل قيامه من الاستخفاف، وذكر الطاعنين عليه والناكثين بيعته في قصيدة بعد هذه الأبيات، وهي:

أهمدان[١] ما صفين غاب حديثها ... عليكم ولا أمر الجهاد المقدم
سمت للعلا منها بكيل وحاشد ... بكل رحيب الباع أجرد شيظم
غداة سما فيها ابن قيس بخيله ... بسبعين ألفاً بين رام وملجم
تظل بنات الأعوجي ولاحق ... تجارى بُنَيَّاتِ الجديل وشدقم
إلى أن أتت صفين تقرع بالقنا ... تحاول نصر الهاشمي المعظم
فأكرم بها من غارة يمنية ... إلى خير ماش من فصيح وأعجم
ثلاثون يوماً بعد عشر تصرمت ... وصبرهم في الروع لم يتصرم
وهذا زمان[٢] قد عرفتم أموره ... وما فيه من فعل قبيح ومأثم

---

(١) في الأصل (يا همدان). والتصويب من الديوان.

(٢) في الديوان (زماني).

فقد أمَّنوا سبط اليهود وصمموا على آل طه بالحسام المصمم
يظل الذي من آل بيت محمد يلوذ بـأنسـاب اليهـود وينتمي
بنات رسول الله تمشي حواسرا إلى كـل جبار عنيـد ومجرم
وأنتم بني قحطان أنصار جدنا بها سلفاً من سالف الدهرِ الأقدم
فإن لم نرد السمهرية والظبى وأيماننا يقطرن من علق الدم
فكم ملك من قبل ذلك[1] مترف تـركنـاه يكبــو لليـدين وللفم
وقد كان في جيش أجش عرمرم صبحناه في جيش أجش عرمرم
فجـودوا بأمـوال عظام وأنفس كرام تحوزوا مغنماً بعد مغنم
وإلا فقولوا اذهب وربك قاتلا فلسنا أُولي حربٍ ولا دفع مغرم

وأما القصيدة التي أنشأها عليه السلام وذكر فيها الطاعنين عليه والناكـثين فهي هـذه:

ديار الحي بين هضاب[2] نجد فـأجـزاع[3] اليمـامـة خبـريني
متى زالت حمول الحي قولي أبيني إن بدا لك أن تبيني
كأن حدوجهم لما[4] استقلت بهـا الأجمال مـاخـرة السفين
أشـوقـاً للخليط بغيـر شـوق وإظهــار الكـآبـة لـلقـطين
فدع ما أنت منه[5] على وهوم وقل ما أنت منه[6] على يقين
سقى الله المجاهد لـلأعادي عن الإسلام كأساً من معين

---

(١) في الديوان (ذنك).
(٢) في الديوان أ، ب (ديار).
(٣) في الأصل (أعـراض) والتصويب من الديوان.
(٤) في الديوان ج، د (أما).
(٥) في الأصل (فيه) والتصويب من الديوان.
(٦) في الأصل (فيه) والتصويب من الديوان.

أترجو العمر[1] والأيام تطوي حبال العمر حيناً بعد حين
وما خير البقا لذوي المعاصي وهل دنيا تعيضهم بدين
أمنت حياتنا الدنيا فخانت فقلت لها اشْرقي بدم الوتين
ولما أن رأيت الناس ماتوا فلم أفزع إلى رجل أمين
فزعت إلى المليك فكان حسبي لأمسك منه بالحبل المتين
دعوت العرب والعجمان طرا إلى حكم الكتاب المستبين
فكم من طاعن في غير حزم ومعتذر بأعذار الظنين
وقالوا[2] لا لذنب كان مني وطاغ أجتويه ويجتويني
ومرتكب متون النكث عمدا وقال شيوخ ديني[3] علموني
ومبلغ علمهم إنكار فضلي وغاية فهمهم[4] أن يرفضوني
ومشتغل بجمع المال يسعى لأزواج البنات أو البنين
ولي نفس تعاف الضيم لولا مناهي الحلم ما خفت يميني
ولكني سأصبر جهد صبري وأقرأ[5] أن قومي كذبوني
وأدعو بالمواعظ من وعاها وأنشر فائق اللفظ المبين
إلى أن ينتهي الإعذار فيهم وأوذيهم بداهية زبون
وأطلعها عليهم كالسعالى نواطح بالذوابل كالقرون
وما عذري إذا لم يؤمنوا بي ومنقلبي إلى حصن حصين
وهل رجل يقول أبي علي وجدي أحمد يرضى بهون
أقول وقد بدت آيات صدقي بأن بني الدنا لم يعرفوني[6]

---

(١) في الأصل (الخلد) والتصويب من الديوان.

(٢) في الديوان (وقال).

(٣) في الأصل (قومي) والتصويب من الديوان.

(٤) هكذا في الأصل وفي النسخة ج من الديوان، أما في باقي نسخ الديوان (فقههم).

(٥) في الديوان، النسخة د (واقرى).

(٦) هذا البيت غير موجود في الأصل، والإضافة من الديوان.

فويلهم إذا دارت رحاها ... وصار الغث يضحك[1] بالسمين
وفر أبو سعيد عن سعيد ... وقال خذوا سعيداً واتركوني
وصارت كالمناحر[2] في الهوادي ... وصيرت السواعد كالقلين[3]
وأرهفت الشفار فكان ذبحا ... كذبح السائمات على يقين
فقل لي للقبائل من معد ... ومن قحطان آساد العرين
ألا يا قوم إنكم أطعتم ... فجزتم كل حلاف مهين
أجيبوا واسمعوا لدعاء داع ... إلى سبل الهدى بر أمين
إمام للأئمة من قريش ... يقودكم إلى كن كنين
بصير بالأمور حليف صدق ... على النكبات وضاح الجبين
يشد على الخميس إذا تلاقت ... نواصي الخيل منقطع القرين
يكافح عنهُم عصب الأعادي ... بجد لا يشبه بالمجون
إذا اشتعلت نيار الحرب أطفا ... تأججهن بالرأي الرصين
إذا ما الحرب ألحق سابقاها ... ضحى حقب المطية بالوضين
تبين منه للرائين رأي ... يدل على الإصابة في الظنون[4]
إلى كم ترجفون إلى المعاصي ... وتنسون القيامة نبئوني
أما والراقصات بذات عرق[5] ... تؤم البيت غائرة العيون

---

(١) في الأصل (يلعب) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل وفي الديوان (كالمباجن).

(٣) المقلي والقلة عودان يلعب بهما الصبيان. والمعنى أن السواعد المضروبة كانت تطير كما تطير القلة إذا ضربت بالمقلى. وقد جاء هذا المعنى في شعر عمرو بن كلثوم «ترى منه السواعد كالقلينا.

انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلا؛ الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٢٢٢؛ موسوعة الشعر العربي، جـ ١ ص ٤٣٢؛ مختارات الشعر الجاهلي، جـ ٢ ص ٣٧٤.

(٤) هذا البيت غير موجود في الأصل والإضافة من الديوان.

(٥) اقتبس الشاعر هذا الشطر من شعر خليد مولى العباس بن محمد بن علي بن =

لأجتلبنها شعثا ترامي بأسد الغاب لاحفة البطون
فقل للوفد من عرب[1] وعجم[2] إذا اجتمعوا[3] بناحية الحجون[4]
هلم إلى الهدى والرشد إني أعوذ بربكم أن ترجموني
جبلت على التقى ونشأت فيه وإني قد قرنت به قروقي[5]

ولما أمن وردسار من نهج ذمرمر بالصلح الذي كان بينه وبين السلطان بشر بن حاتم، جهز عسكراً من الغز والعرب إلى مطرة وبلاد عذر. وكان الإمام عليه السلام قد انتزعها من أيديهم، فصالحوه عليها، فجعل من واجباتها إلى ذمرمر لما يتوخاه في ذلك من المصلحة في شحنته وقوته، لقربه من صنعاء، ونصرته على الغز. فوصل ذلك العسكر إلى مطرة، وذلك في وقت حصاد زرعها وهم آمنون.

وأتى الخبر إلى الإمام عليه السلام وهو في الجوف، وكانت امرأته الشريفة الفاضلة، أم ولده محمد ـ وهي عنده بمنزلة ـ في جهد المرض، وشدة التعب. فلم ير للوقوف وجهاً بعد خروج وردسار وانبساطه في البلاد، خشية تماديه وفساده، وعجبه بكثرة أعوانه، وقوة أجناده.

فنهض يوم الأربعاء لست وعشرين ليلة خلت من رجب من سنة

= عبد الله بن العباس من شعراء العصر العباسي الأول الذي يقول:

أما والراقصات بذات عرق ومن صلى بنعمان الأراك

أبو تمام، الحماسة، جـ٢ ص١٢٢.

(١) في النسخة ج من الديوان (شرق).

(٢) في النسخة ج من الديوان (وغرب).

(٣) في النسخة ج من الديوان (اجتمعت).

(٤) هذا البيت غير موجود في الأصل، والإضافة من الديوان.

(٥) الشطر الثاني من البيت على النحو التالي في الأصل: (وذلك دين آبائي وديني) والتصويب من الديوان.

ستمائة، فوصل إلى شوابة، واجتمعت خيله زهاء مائة وعشرين، منها ثلاثون فارساً من آل دعام ممن رغب بالجهاد في سبيل الله، وأحب المواساة بنفسه من غير إكراه. والمقدم[1] فيهم جحاف بن ربيع، وفلاح بن أبي حماد. فأما سائر أهل الجوف من نهم وبني منبه فتثاقلوا النصرة، ولم يهتم أحد منهم بذلك، وخيل الجوف يومئذٍ تداني أربعمائة فارس.

فلما وصل الإمام عليه السلام إلى شوابة، لبث بها اثني عشر يوماً، وأتاه الخبر من الجوف بعد أربعة أيام من نهوضه هنالك بموت أم ولده محمد. فاسترجع وحمد الله تعالى، ولم يُظهر غماً ولا حزناً.

وجاء قوم كثير من أهل شوابة، ومن حولها من قبائل بكيل وسفيان يعزونه بدنانير كثيرة على ما يعتادونه بينهم، فلم يقبل منهم شيئاً منه جملة. حتى أنه رد البر لأجل ذلك الذي يتقرب به الناس إلى الله تعالى في صلته، حتى أن الرجل ليأتي ويقسم بالله سبحانه أنه بر، وما أتيت به لأجل العزاء، فيقبضه منه. وكتب إلى ولده كتاباً يعزيه في والدته نسخته:

الأمر لمسير الأمور، ومقدر لآجال الصغير والكبير، وهو الخلف من كل سالف، والعوض من كل فائت. وإليه مرد ما بدأ، ومرجع ما ذرأ. وكم عظيم يصغّره جليل عوضه، وجزيل ثوابه. و ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[2] ولإن صغر سنك

---

(١) في الأصل (المقدم).

(٢) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

عن احتمال الرزية، فلن يصغر عنها حسبك، فعليك بالصبر الذي هو شعار سلفك الصالح. ولك في جدك رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة، وقدوة مستحسنة. فقد مات أبوه وأمه فلم يضيعه[1] ربه ولا أفرده خالقه.

وقد أبقى الله تعالى لك أباك إلى أجل هو بالغه، ومتعك بوالدتك حتى عقلت كثيراً من أمرك، وهذا من نعمة الله عليك. فاحدث لله عز وجل شكراً، وأقبل على ما أنت عليه من الدرس، فلن يرد الأسف ما مضى. ولا قول لنا ولك إلا ما قال الصالحون إنا لله وإنا إليه راجعون، نرضى بأمره وإن اشتد موقعه، ونسلم لحكمه[2] وإن مُرَّت جرعته[3]. ولا تغفل عن تعزية أختك ـ فهي شقيقتك، وابنة أبيك وأمك ـ عن والدتها، وطيب لها نفسها، ولا تجرح بالمضايقة والمشاقة صدرها. وإن كانت أكبر منك في السن، فلك عليها حق الذكورة التي فضل الله بها الرجال على النساء، قلوب الرجال أقوى، وبأسهم أمضى. ونسأل الله تعالى بحقه العظيم أن يجبر مصابكما فيمن مضى، وأن يحسن لكما فيه العزاء، ويخلف عنه لكما خلفاً صالحاً، والسلام عليكما.

وأتى إليه عليه السلام كتاب تعزية في صدره هذه الأبيات:

الطير عاكفة على أغصانها   وكذا الوحوش جميع في فلواتها

لذهاب سيدة النساء[4][أم][5]محمد   ضمت ببطن الأرض في أكفانها

---

(١) في الأصل (يضعه).

(٢) في الأصل (الحكمة).

(٣) في الأصل (جرعة).

(٤) في الأصل (النسل).

(٥) إضافة ليستقيم المعنى.

أم[1] الأمير محمد بن القائم الـ ـمنصور ذات الفضل في نسوانها
تركت محمد كابن شادية نأى عنها وناءت عنه في غيطانها
وإذا تـذكـر أمـه غصتـه عبـ ـرته وأجرى الدمع من فقدانها
وتهيم بالمرعى فـلا تـرى لفر قته لمن كان اغتذى بلبانهـا
فالله ينظر نحوه ويزيـل عنه الهم وما[2] يلقاه من أحزانها
فجعت نساء العالمين بمـوتها فانهلت العبارت من أجفـانها
كانت كمريم في عبادة ربها وكـأنها الـزهراء في إيمـانهـا
وأصابنا نصب له حرق لو جـ ـد إمامنا ألظت لظى نيرانها
فعليـه بالصبـر الجميل فـإنـه يُهْوِي جبال الحزن من أركانها

وجـاء الخـبر بمراح الغز من مـطرة، وقد تركوا رتبة في درب الحـبوب[3]، فجهـز الإمام عليه السلام الأمير صفي الـدين محـمد بن إبـراهيم، وصنـوه صـارم الـدين إبـراهيم بن حـمزة في سرية خـيلها يزيد على الستين، ورجلهـا يقـارب المائتين. فقصدوا الرتبة التي في درب الحـبوب، فحـاربوهم حرباً شديداً حـتى ملكوا القرية حـول الدرب فحرقوها، وهـدموا ما أمكن منهـا. ولم يـكن معهـم أهـبة لحـرب الـدرب ولا غوامـر يتقون بهـا وقد بلغوا معهـم موائر[4] الـدرب وبـابه. ووقع الضرب والطعـن عليه، وذلت الرتبة التي فيه، فأيقنوا بالهـلاك وقد أقبلت عساكر من أهـل البلاد. فأتى من نهم قدر أربعمائة، وهم شوكة أهـل البلاد وأشدهـم بأساً. وامتنع أهـل الدرب، فتركوهم وراء ظهـورهم كنَّـة

---

(١) في الأصل (أيـن).
(٢) في الأصل (ما).
(٣) درب الحـبوب: يتضح من النص أنه أحـد المواقع المحصنة بالقرب من مطرة.
(٤) المور: الطريق ،والمور: الدوران.
انظر، ابن منظور، مادة: مور.

عليهـم، وتقدموا إلى موضع يسمى العشة[1] فأمسوا به في عسكر كـثير. فـلما أصبح وقد قبضوا رهـائن البلاد على الطاعة وتأدية الحـقوق الواجـبة نهـضوا إلى وادي لصف[2]، فحـطوا في السوق وما يـليه. وجـاءتهم قـبائل نهم من آل سليمان، وآل سعيد، وآل حـميد، وبني بـراق سامعين طائعين، بـاذلين من نفوسهم الانقياد والجهـاد.

وكـان بوزبـا مع إقـدامه وقـوة عزيمـته وكـثرة الجنـد معه قدوصل إلى لـصف[3] فكسروه وردوه، ومـا نـال من بـلادهم طائلاً. فطابـت نفوس الأميرين ومن معهـما بما رأوه من شدتهـم وعزيمتهم، وإظهـارهم المسرة والطاعـة، ومـا بـذلوه من نفوسهم.

وأقبـلت خيـل من الـغز إلى ثمانين فارساً في العـدة والزانة إلى وادي لـصف، فأغاروا إليهـم كالـذئاب الضارية دون الخـيل. ووقع القـتال بينهـم، فهـزموا الغز، واستظهـروا عليهـم، وعقـروا من خـيلهـم. فأما الجراحـات فكثيرة، وسلبوا من رماحهـم، وكسروهـم، واشتـدت عزائم العرب. وجـاءهم الخـبر بغارة وردسار من صنعـاء في عسكر عـظيم، وجـيش معقـود، فحـط في موضع يسمى الموارد[4] وعزم

(١) يوجد بالمنطقة أكثر من موضع يسمى العشة. ولكن وفقاً لما جاء في النص يـكون الموضع المقصود هو قرية العشة من ناحية الغيل، قـضاء الجـوف.
انظر التقسيمات الإدارية لعـام ١٩٨٥.

(٢) لصف، ووادي لصـف، في عزلة الحنشات، ناحـية نهم.
ويقع وادي لصف إلى الشرق من المديد بمسافة ٢ ك م.
انظر: التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 A 4.

(٣) في الأصل (الصـف).

(٤) يفهم من النص أن الموارد على مقربة من وادي لـصف.
انظر، عز الدين محـمد، التحـفة العنبرية، ورقة ١٢٩.

الأميران على كأبه[1] وحربه لما شاهدوه من شدة الناس، وامتناع الوادي وحصانته، وقربهم من الجبل. وجاء كتاب الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم إلى الإمام عليه السلام بتفصيل هذه الأخبار، وبانهزام الغز من الرجالة. ويقول إن أتى وردسار[2] كسرناه بعون الله تعالى. فقال الإمام عليه السلام في ذلك ارتجالاً:

لما رأوا رايتنا الموارة وغارة أكرم بها من غارة
وعسكر قلوبهم حجارة ولوا إلى طاغوتهم فرارة

وكان فيمن وصل مع وردسار سليمان بن محمد بن القاضي من أولاد الهادي عليه السلام، ومن كبار همدان عمرو بن بشر بن حاتم، وكان خاصة من جملة من أنعم عليه الإمام عليه السلام واختص بخدمته، والقاضي حاتم بن أسعد. وكان قد أقام مع الإمام قدر سبعة أشهر، وجعل له دلادة[3] في كل شهر خمسمائة دينار تألفا له واستجلاباً[4] لهمدان، فلم ينفع فيه ما تقدم إليه من الإحسان. وكان أول من أغار لحرب عسكر الإمام حتى ضربه الغز بالدبابيس، واعتذروا بأنهم ظنوه من خيل الإمام. وحصل له منهم حمل طعام أو حملين على ما بلغ من خبره. وجمع عساكر من ـ قبائل العرب الذين كان

---

(١) الكلمة غير منقوطة، ويمكن أن تقرأ: كأبه أو كأيه، والأولى بمعنى كسره وغمه. والثانية بمعنى إيجاعه بالكلام.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة كأب، مادة كأي.

(٢) في الأصل (وردسا).

(٣) لا توجد مادة دلد في المعجم. والمرجح أن تكون الكلمة (دلاتة) بمعنى نصيباً من الود.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: دلا.

(٤) في الأصل (واستجلاب).

الإمام يرجو نصرتهم - قبائل بني شهاب، وسنحان، والأعروش[١] ونهد[٢]، وبني غيلان وهم الذين قادوا الغز إلى البلاد.

ونهض وردسار إلى مطرة فحط بين العشة والمديد[٣]، وقد رفع الأميران عسكرهما إلى أعلى الوادي لمظاهرة الجبل، والعمل بالحزم. وأمرا الناس بالتعبئة ميمنة وميسرة وقلبا، فجعلا لنهم ومن ينضاف إليهم من أهل البلاد جنب الجبل وجانباً من بطن الوادي بالميسرة، ورجلهما بالميمنة في جنب الجبل. وكانا فيمن معهما في جانب بطن الوادي.

وأقبلت جنود الضلال وجيوش الشيطان[٤] كقطع الليل، والخيل التي كانت مقابلة لهم دون العشرين من الشرفاء وأصحابهم، لأن باقي الناس خفوا من وجه العدو لعظم الخطب الذي شاهدوه. فوقع القتال، وما ثبت الناس في الحرب، وقصد معظم الجند

---

(١) الأعروش: قبيلة من خولان العالية.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٨٥؛ إسماعيل الأكوع، أفعول، ص ٢٠.

(٢) نهد: من قبائل قضاعة.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٥١، ٧٨؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٦٥٣.

(٣) المديد: من عزلة عيال منصور، ناحية نهم، على بعد ٤٤ ك م شمال شرق صنعاء.
وتقع ما بين:
٤٠″ ٣٨′ ١٥° شمالاً،
٢٧″ ٢٨′ ٤٤° شرقاً.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٢٢٠؛ خريطة ج. ع. ي، ١ : ٥٠٠٠٠، قطعة 1544 A 4.

(٤) في الأصل (السلطان).

وخيارهم جهة الأميرين وخيلهما. وحمل الباقون إلى الجهة نهم، فانهزموا من السائلة والجبل، ولم يقتل منهم أحد. وقيل إنهم استعطوا من الغز شيئاً يسيراً، ولا حقيقة لذلك بل عانوا وفشلوا كما يقع في العساكر على الهزيمة، والتخلية بينهم وبين الأشراف. فوقع القتال الشديد بعد انهزام نهم وانكسار عسكر الأميرين، وكثرت الخيل، وشرع الناس في الجبل وليس يجوز فيه إلا فرس بعد فرس. فصرع حاتم بن عمرو الشهابي، فعطف عليه الأمير صارم الدين فقاتل عليه حتى ركب فرسه. ونشب في مقابلة الغز، ولم يتمكن أصحابه من الرجوع إليه لضيق المجال ووعورة المكان. فأحاطوا به من كل جهة وهو يطاعنهم راكباً حتى صرعوه، فقاتلهم راجلاً[1] وقتل رجلاً من فرسانهم، وطعن آخر، وعقر فرساً. ولم يزل يقاتلهم مقبلاً بوجهه غير منحرف حتى أتاه رجل منهم من خلفه، فضرب يده وهو ممسك على الرمح فأبانها. ولولا ذلك ما وصلوه حتى ينجز منهم طائفة، لأن درعه كانت حصينة، والبيضة على رأسه، فلم تعمل فيه السيوف والرماح شيئاً. وما زال يدافع عن نفسه حتى ضربت رجله فانصرع. فقتلوه قتلهم الله وسلبوه، وقلعوا رأسه عليهم لعنة الله، وأمروا به إلى صنعاء، وحملوه إلى اليمن يريدون به إلى سنقر كما فعل برأس جده الحسين بن علي عليهم السلام. وكان ذلك يوم السبت لثمان خلت من شعبان من سنة ستمائة، فمضى شهيداً سعيداً إلى رحمة الله رضوان الله عليه وسلامه.

وحكى لي الشيخ الأمين دحروج بن مقبل قال: كان قبل مصابه بيومين وقد دخل علينا في دار نزلنا بها في هجرة لصف، فقعد قليلاً وغشي عليه حتى كاد يفارق الحياة، وشخص ببصره، وسكبنا في فيه

---

(١) في الأصل (رجالاً).

الماء فما أساغه. ولبث حيناً على تلك الحال، وسكنت جوارحه، ورد الله تعالى فيه بعد ذلك الورح، ليرزقه الشهادة التي هي أشرف أنواع الموت.

واستشهد معه في ذلك [اليوم][1] عمرو بن محمد الصقري، وكان راجلاً، فوثب إليه، فلم يزل يقاتل معه حتى قتل. واستشهد حسن بن المكم الربيحي[2]، وأخذت فرسه، وكان من الصالحين. وقتل عمرو بن الأسود الشعذري وأخذ فرسه. وحاتم بن أحمد المكم، وأخذ فرسه، وسلم. والأمير جعفر بن الحسين، رمى فرسه بنشابة، فحمله إلى وادي هران ومات هنالك. والشريف أسعد بن علي بن المحسن العلوي، أخذت بغلته، وكان قد عقر فرسه بشبام، وأتى إلى الإمام عليه السلام مصدره من الجوف إلى شوابة يطلب عوضاً به، فلما تجهز العسكر إلى مطرة صدر معهم مواسياً بنفسه.

وفي هذا اليوم أتت مطالعات من الشيخين همام الدين سعد بن عزان القسيمي الحبيشي، وظهير الدين مقبل بن منصور بن أبي رزاح فيها ذكر موت الفقيه الفاضل سليمان بن ناصر السحامي[3]، وكان من الأخيار والأنصار في الدين رحمه الله تعالى. وقبله مات الشيخ

---

(١) إضافة لتمام المعنى.

(٢) الكلمة في الأصل غير منقوطة وبالتالي يمكن قراءتها على عدة وجوه.

(٣) سليمان بن ناصر الدين بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن كثير السحامي.
أحد تلامذة الإمام أحمد بن سليمان، يعد من أبرز علماء الزيدية، وله كتاب شمس الشريعة. ولاه الإمام بلاد مذحج.
يحيى بن الحسين، المستطاب، ورقة ٣٧؛ إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ٧٤ ـ ٧٥؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ٢ ص١٣٣؛ ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٧.

منيف بن مفضل بن منصور بن أبي رازح، وهو من أقوى الأعوان مع أبيه في بلاد مذحج[1]، رحمه الله، لأن تلك البلاد انفتحت وجرت فيها الأحكام الشرعية، ونفذت فيها الأوامر الإمامية من سبأ صهيب متصلاً ببلاد بني ربيعة إلى ردمان[3] والنجاد، ومن بلاد بني مسلية[2] في جهة الشرق متصلاً بمخلاف حصن حب في جهة المغرب. وانضاف إليهما أضعاف ما كان بأيديهم قبل وفاة عزان بن سعد رحمة الله عليه. وفي كتب الشيخين المذكورين سؤال في توجيز[4] الشريفين علي بن الحسن، ومحمد بن حمزة السراجيين بشيء من المال قد حصل معهم. وقبل ذلك أتيا إلى الجوف بأربعة آلاف دينار.

وفي جملة الكتب الواصلة قصيدة طويلة لمحمد بن عبد الأعلى الضميمي يذكر فيها منيف بن مفضل، وأخاه أحمد بن عبد الأعلى، وكان من العلماء الصالحين، ويؤنب الأشراف فيها والعرب، ويحضهم على طاعة الإمام عليه السلام. والاقتداء بأفعال سعد بن

---

(١) مذحج: إحدى القبائل الكهلانية الكبرى، تقع مساكنها في المنطقة الشرقية من اليمن فيما يسمى ببلادمراد وعنس والحدا. ولها بطون كثيرة داخل اليمن وخارجه. المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٦٠١.

(٢) ردمان: بفتح أوله وآخره نون، مقاطعة شرقي مدينة رداع، ترتبط بناحية السوادية. انظر، الهمداني، الإكليل جـ ٢ ص ١٥٧، ج ٤٨ نفس الصفحة. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٦٣.

(٣) بني مسلية: بضم الميم، من قبائل مذحج، تقع بلادهم في شرقي البيضاء، وفي أرض مراد.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٧٠، ح ٥، ٦ نفس الصفحة؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٤٨، ٦٥.

(٤) الوَجْزُ: السريع العطاء، وأوجز العطاء: قلَّله.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وجز.

عـزان، ومفـضل بن مسعـود وأصحـابهم، وجهـادهم للغز بأنفسهم، ومعونتهـم بالأموال الجليلة. وفـاء بما لم يـف به غيرهـم في فـضول طاعـة الله تعـالى. وصـدر القصيدة كـان كالفـأل بمصـاب صـارم الدين إبـراهيم بن حـمزة في ذلك اليـوم، وأتى خـبره آخـر النهـار. وهـي:

ابق من فيض دمعك المطلول ما إلى رَدٍّ فائت من سبيـل
واحتكم للقضاء تحظى بـأجر تـرتضيه وزد[1] بصبـر جميل
وامح سفر الأسى بماء التآسي فالمصاب المثاب أهل القبول
ما على شاله مسيل دمـوعي بل على من ثوى بتلك الطلول
أو قضى نحبه بوادي ضميم من أخ محسن بذول وصول
وكعـزان أو منيف أبـو الفـو ز الجـواد ابن كل وافى القيل
أنجم أشـرقت فلمـا أضـاءت حتحتت[2] عن ضيائها بالأفول[3]
أقعـدتهم نيـل الـزمـان وأبقتـ ـني على إثرهم كحرفٍ عليل
كنـدامى الوضّـاح كنا قـديمـاً وافتـرقنـا كمـالـكٍ وعَقيـل
إن يكـونـوا تفرقـوا وتـأخّـرْ تُ فـإني إليهمُ عـن قليـل
فسقى الله أقبـراً ضـمنتهـم بسجال من السحاب الهـطول
كنـوال بن حمـزة بن سليمـا ن إذا أمّـه أخـو[4] التـأميـل
الإمـام الصـوام والعلم العـ ـلام خير الأنام ذي التبتيـل
آمر بالمعـروف ناهٍ عن المنـ ـكر لا يطبيه[5] قول العـذول

(١) في الأصل (وأزيد).
(٢) في الأصل (حتحت). والحت: السريع. والحت: العجلة. وحته عن الشيء: رده. ابن منظور، لسان العرب، مادة: حتت.
(٣) في الأصل (الأفـول).
(٤) في الأصل (أخـا).
(٥) طبيته عن الأمر: صرفته.

تمري له الزعامة والأمـ ـر قريع المسموع والمعقول
فاسمعوا أمره بني الطهر فيـ ـكم وتلقوا أقواله بالقبول
وانظموا شملكم لديه جميعاً حول ملك مشيع بهلول
واعقدوا أمركم برأي إمام منكم كالمهند المسلول
واذكروا صُنْعَةُ بصنعاء في يو م كسر[1] جند إسماعيل
وكنجران أو كمأربَ أو بيـ ـحان أنّى استباحها بالخيول
وذماراً حماه يوم ذمار ومساعيه الغُرَّ ذات الحجول
إن خير الأنام آل علي وخيار الخيار آل الرسول
لهم الملك والإمامة والعهـ ـد من الله في دعاء الخليل
فاطلبوا العز يا بني الطهر وليقـ ـتد شبانكم بفعل الكهول
واقتفوا سيرة الأميرين شيخيـ ـكم قياماً في كل خطب جليل
واحتذوا فعل الفقيه الحر الساد ات في الصبر كل [ ][2]
حيث أوذوا بالغمز في السر ومن قبل في وكد كل فضول
تركوا خيلهم كأعجاز نخل أو غثاء السيل غب المسيل
أوقعوا فيهم وقائع صدق كان فيها لهم[3] شفاء الغليل
ذكرتنا يوم الكلاب[4] وذي قا ر[5] ويوم النسار[6] في التقتيل

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: طبي.

(١) في الأصل (يوم في كسر).

(٢) مكان لكلمتين غير واضحتين.

(٣) في الأصل (كان فيهم فيها).

(٤) يوم الكلاب الأول: كان لسلمة بن الحارث آكل المرار على أخيه شرحبيل. ويوم الكلاب الثاني كان لتميم على مذحج. والكلاب: ماء بين الكوفة والبصرة. محمد أحمد جاد المولى، أيام العرب، ص ٤٦ - ٥٠، ص ١٢٤ - ١٣١.

(٥) يوم ذي قار: كان فيه النصر للعرب على جيوش فارس، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اليوم الأول يوم انتصفت فيه العرب على العجم؛ وبي نصروا. =

وبنيهم كانوا رهائن حتى أخرجوهم من كل حبس وبيل

بأبي الفضل والمفَضَّل سيف اللـ ـه وطالوا ندى الثناء الطويل

وكَرْدَسِّي[1] بنى على الشهب مجداً فعلا عن مشابه وعديل

ليس ينبو ذا السيف ساعة[2] الرو ع ولا في الخطوب بالمفلول

وبنوه وآل أغلب مهما ركبوا فوق كل سامي التليل

أبينوا الثأر في العدا وابتنوا عـ ـزاً إلى عزها القديم الأصيل

فاجمعوا آل يعرب ومعد واحشدوا حي حاشد وبكيل

واعمروا بالملوك من آل عمرا ن جناب العلا على التعجيل

فلهمدان في المفاخر أصل ونماء الفروع فوق الأصول

وهم الصابرون أيام صفيـ ـن كما قد علمتمُ غير مِيل

فاركبوا الخيل كالسراجين تردي واعتضوا بالقنا وبيض النصول

واصدعوا صخرة العراق وبغدا د وأهل الشآم أهل الخمول

بسيوف كأنها شعل النا ر اشمعلت كعارض مستطيل

كل ماض ما بين حديه يرد من ذعاف رصيع[3] أم التليل[4]

= وذي قار: ماء لبكر قريب من الكوفة.

محمد أحمد جاد المولى، أيام العرب، ص ٦ ـ ٣٩.

(٦) يوم النسار: كان لضبة وتميم علي بن عامر.

محمد أحمد جاد المولى، أيام العرب، ص ٣٧٨ ـ ٣٨١.

(١) الكردوس: الخيل العظيمة، والكراديس الفرق منهم. ويقال: كَرْدَسَ القائد خيله. وربما تعني كلمة كردسي قائد الخيل العظيمة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: كردس.

(٢) في الأصل (في).

(٣) الرصع: شدة الطعن.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: رصع.

(٤) التليل: الصريع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: تلل.

أوقـدت فوقـه الصواعق نـاراً لفينه[1] من حادثات الفلول[2]
ورمـاح مثل الأسـاود في أيـ ـدي أسود صالت بها حول غيل

وقد تركْتُ أكثر هذه القصيدة لطولها[3].

ولما جـاء الخـبر إلى شوابة بمصـاب الأمير صـارم الـدين إبـراهيم بن حـمزة عـقيب هذه الحـوادث، هـان ما كان قد عـظم منها في النفوس بمصـابه، ومن أصيب معه من أصحـابه إلى رحـمة الله تعـالى ورضوانه. واغتـم الإمام والمسلمون لـذلك، مع إظهـار التجـلد والصبر منه عليه السلام خـاصة، ومـا رأيت له دمعـة سالت على أخـيه، وهو شقيقه وابن أمـه وأبيه. ولقدِ أُتـي بطعـام وهو صـائم، فـأكل منه وقـال متمثلاً:

على كـل حال يأكل المرء زاده على البعد والهجران والحدثان

فلما أصبح أخذ قرطاساً وكتب فيه إلى نهج صعدة كتاباً عاماً، على اشتغال الخاطر، وكثرة الناس للعزاء نسخته:

لا مطمع في البقاء، ولا راد للمعاد إلا البر والتقوى، أما بعد.

فـإن الموت حوض مورود، وسبيل مقصود، وبعده حساب وعقاب، وجـنة ونـار. ولا بد لكل نفس منه، ولا محيد لمخـلوق عنه، وقد قـال تعـالى: ﴿كـل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النـار وأدخـل الجنة فقد فاز وما الحـياة الدنيا إلا متـاع

(١) الفى الشيء: تداركه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لفا.
(٢) الفلول: الكسور. والفلول: المنهزمون. وفـللت الجيش: هزمته.
ابن منظور، لسان العرب، مـادة: فـلل.
(٣) كـذا في الأصل.

الغرور﴾[1]. وإن أشرف أنواعه القتل في سبيل الله سبحانه الذي جعله الحكيم تعالى ثمناً للمصير إلى جناته والخلود في رضوانه. فقال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾[2]. ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[3].

ولما فرض الله سبحانه علينا الجهاد، وألزمنا حكمه، نهضنا له مشمرين[4]، وبه مستعينين. فمن الناس من أقبل، ومنهم من أدبر، والمقبل فائز، والمدبر عاجز. ولما كان لليلة خلت من شعبان جهزنا الجند المجاهد في سبيل الله المتجرد لأمر الله، فيه الأميران صفي الدين محمد بن إبراهيم، والصنو المرحوم صارم الدين إبراهيم بن حمزة. فلما وصلوا مطرة نفروا شيع الضلال من سهولها والجبال، وقبضوا رهائنها، وجرت الحرب. وتواترت شيع الضلال كقطع الجبال، وخذل الجند الصابر بعض من وثقوا به من العوام الضلال، فصبر أهل الحفاظ.

وقام الصنو صارم الدين مجاهداً صابراً في عصابة يسيرة من الأمراء، والطالبين ما عند الله تعالى من حماة الورى. فركبتهم الجنود الظالمة كقطع الجبال، فرزق الشهادة. فعند الله صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خيراً. فلقد جدد ما درس من

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٥.
(٢) سورة التوبة، آية ١١١. وقد أخطأ الناسخ فكتب (الفرقان بدلاً من القرآن).
(٣) سورة التوبة، آية ١١١.
(٤) في الأصل (مشتمرين).

مآثر آبائه الأطهار، وأحيا في الصبر سنة في وقتنا كانت عافية الآثار. فأحسن الله للكافة من الإخوان من المسلمين فيه العزاء، وجبر لهم عظيم المرزأ، وخلفه علينا وعليهم بأحسن الخلافة، وفيمن أصيب معه من المسلمين، فرحمة الله عليهم أجمعين.

وقد قطعنا التعزية إلا بالمواعظ في الكتب، والتذكير بالله سبحانه، لأنا في شغل بجهاد الظالمين. ونسأل الله تعالى النصر وأن يمكنا[1] منهم.

ووقف بعد ذلك يومين بشوابة ليقرر روعة الناس، وقد شاعت شوايع بأن الغز يريدون قصدها. وذلك أن العسكر لما راح إلى شوابة، نهَّضوا ما كان بوادي لصف وبلاد نِهْم ـ الذين أجلوا وانهزموا بالعسكر ـ ودمروا بلادهم.

ثم أغار وردسار في الجند إلى البون، يريد قتل أهل ضباعين، وقد أعطاهم الأمان والذمة. وكان منهم جماعة يحرسون الزرع، فأحسوا بالخيل مقبلة إليهم، فهتفوا بالصوت إليهم، فانقلبوا بأنفسهم، وحريمهم، وما خف من أموالهم ودوابهم. فأخذوا ما كان في القرية، وقتلوا شريفين هرمين. قال: لم تحملهما أرجلهما.

ونهض الإمام عليه السلام إلى الظاهر وقد اضطرب أهله خوفاً من الغز، فلبث يوماً بأثافت. وكان المطر غزيراً في تلك الأيام، عاماً في جميع البلاد. فبعث عيوناً عشرة في جهات مختلفة يأتونه بأخبارالغز، وما صنعوا، وأين توجهوا، فأتاه الخبر بقدومهم إلى شبام. فجهز ممن حضره قدر سبعين راجلاً، وأمرهم بالمادة إلى شبام، فجاءوا وقد

---

(١) في الأصل(يزيلنا).

حط في مكان نازح عن محطته الأولى. وكان غرضه التنفيس على حصن بكر، وإيصال شيء إليه، فلم يتمكن من ذلك. فصالحه أهل شبام بأمر الأمير عماد الدين على سهمة في زرعهم، فقبل ذلك منهم، وراح إلى صنعاء.

ونهض الإمام عليه السلام إلى حوث، وكان وصوله إليها يوم الأحد منتصف شعبان من سنة ستمائة. ولبث هنالك أياماً، وأنشأ مرثية في أخيه صارم الدين إبراهيم بن حمزة رحمه الله تعالى:

لنعم الفتى ودعت يوم شوابة ... وداعاً تلاقينا له صيحة الحشر
هو العسكر المجر الذي يتقى به ... على أنه قد كان في عسكر مجر
حمى صدره بالسمهري عن العدا ... فلم تأته الأعداء إلا من الظهر
فلو كان في غير الإله مصابه ... لما جُمُدَتْ عيني عليه مدا عمري
فتى كان أحيى من فتاة حيية ... وأشجع من ليث هريت أبي أجري[1]
ومما شجاني أن يقاد جواده ... خبيباً وأفراس الكرام بهم تجري
وقد كان لي ناباً وظفراً على العدا ... فأضحوا ولا يخشون نابي ولا ظفري[2]
إذا الحرب أبدت ناجذيها رأيته ... طليق المحيا غير مستخشن[3] الصدر

---

(١) أجرى: جراء الأسد والسباع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرا.
والبيت مقتبس من قصيدة متمم بن نويرة التي يقول فيها:
فتى كان أحيى من فتاة حيية ... وأشجع من ليث إذا ما تمنعا
ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ٢ ص ٧٤٩.

(٢) البيت مقتبس من قصيدة أبو عبد الرحمن العتبي التي يقول فيها:
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا ... فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري
أبو تمام، الحماسة، جـ١. ص ٥٢٩.

(٣) في الأصل (مشتجن) والتصويب من الديوان.

رأى الموت خيراً من فرار عن الوغى وسن لأرباب العلا سنن الصبر
وما كنت أرجو أن يعيش مخلداً ولكن متاعاً من أوان إلى عصر
وللناس آجال وللعيش غاية يرد إليها الأمر من صاحب الأمر
رزئنا أبا إسحاق غضاً شبابه كحد السريحي المشظب ذي الأثر
له حلم سادات الكهول وسنه على الوهم من عشرين عاماً إلى عشر
نسد به الثغر المخوف وقلما يصاب بحمل النائبات وللثغر
رعى حرمة الإسلام غير معذر ونافس في كسب المثوبة والأجر
وظل لبيض المرهفات ضريبة ونصباً لأطراف المثقفة السمر
فذكرني مثوى أخيه محمد غداة الوغى والأمر يذكر بالأمر
غداة رمى جيش[1] اللهام بنفسه فمات كريماً لم يرم خطة الفر[2]
كأن علينا أن تصاب ظهورنا حرام ولم أقصد مطاولة الفخر
سلام الإله زار شخصين نزلاً [كريمين][3] من ظهر كريم إلى ظهر
لنا كل يوم واتر نعتني به وآخر يبغينا مطالبة الوتر
نصاب ولا نثني الرءوس عن العدا[4] ونفترس الأعداء للذئب والنسر
ولسنا بوقافين عن غاية العلا إذا كان فخرا وصلهم غاية الفخر[5]
لنا منكب نردي به كل منكب أشد على الصخر الصلب من الصخر[6]

---

(١) في الأصل (بالجيش). والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (الدهر). والتصويب من الديوان.
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى والوزن.
(٤) في الديوان النسخة أ، ب (العلا).
(٥) هذا البيت في الديوان، النسخة ج، د على النحو التالي:
ولسنا بوقافين عن كل غاية إذا كان فخر أوصلهم غاية النحر
(٦) هذا البيت غير موجود في النسخة ج من الديوان، أما في النسخة د فهو على النحو التالي:
لنا منكب نردي به كل منكب وآخر يبغينا مطالبة الوتر

أبـونـا علي والنبي محمـد فبورك من هاد وبورك من صهر
ونحن بنو الحرب العوان إننا نزيد على مس[1] الخطوب ولا نجري
لعمري لئن أودى أخي غير هايب ولا جزع[2] يوم الهياج ولا غمر
لقد كان للأعداء نار محرق وللطالب المعروف أندى من البحر
فيا عاذليه في الثبوت ألم يكن أتاكم حديث الطهر حيدر في بدر
ويـوم حنين والنضيـر وخيبـر إذا كان منكم بالوقائع ذو خُبْر
فيا راكباً وجناء حرفاً شملة أمونا على قطع المفاوز والقفر
تحمل إلى قحطان عنى[3] رسالة وعدنان فتيان الصباح ذوي الفخر
أترضون أن العجم فيكم يحكموا وأنتم صميم العرب بالقتل والأسر
فيا أخوينا من أبينا وأمنا إليكم إليكم[4] لا سبيل إلى العذر[5]
أقيموا صدور الأعوجية والبسوا لمن رام إرغاماً لكم أهُبَ النمر
ولا تسأموا الحرب العوان وأرقلوا إليها كإرقال المسدمة الزهـر
فنحن بنو الحرب العوان إذا التقت صدور العوالي بالترائب والنحر
وبالصبر أوصانا أبـونا وجـدنا ونوصي بنينا في النوائب بالصبر

وأنشـد هذا الشعر يوم الجمعة بعـد الصلاة في مسجـد الإمـام عليه السـلام الجامع بحوث لإحدى وعشرين ليلـة خلت من شعبان. وكـان

---

(١) في الأصل (مر) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (ورع)، وفي الديوان النسخة ج (ضرع).
(٣) في الديوان النسخة ج (منى).
(٤) في الديوان أ، ب (وإلا).
(٥) البيت مقتبس من شعر خداش بن زهير بن ربيعة الذي يقول:
فيـا أخـوينـا من أبينـا وأمنـا إليكم إليكم لا سبيـل إلى جسـر
الجمحي، طبقات فحول الشعراء، جـ ١ ص ١٤٤؛ ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ ٢ ص ٥٢٢.

[قد][1] أشعر القبائل من حاشد وبكيل باللقاء[2] الجامع إلى بهمان ليوم السبت الثاني من التاريخ المذكور. ونهض عليه السلام من حوث فيمن حضره إلى ذلك المكان، فاجتمع خلق كثير. وكان معهم بر كثير ونذور للإمام عليه السلام، فسلموه إليه، فأمر به بعد ذلك إلى كوكبان مع ما تحصل من البلاد من المعونة، والإنفاق في سبيل الله تعالى، وما يعود على أهلها من النفع بتقوية الحصون وشحنتها.

قال الفقيه: وتقدم الإمام عليه السلام بعد اجتماع الناس في أوساطهم وتحدث بحديث ضبطت أكثر ألفاظه، ورويت البعض بالمعنى، وهو أنه بدأ بالحمد لله تعالى.

إنا نحمد الله تعالى كما هو أهله، ونصلي على محمد وأهله. نعم الله علينا وعليكم لا تحصى، وآياته لا تنقضي فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد الرضا. جعلكم من أمة محمد صلّى الله عليه وعلى آله، خير الأمم، وجعلنا من عترته، أفضل العتر، وجعلكم من أتباعنا، أفضل الأتباع.

في الخبر عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال يوماً لأصحابه: أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال: فإني أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. ولكم بهؤلاء[3] القوم - خاصة، أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله - اختصاص وسابقة في الإسلام دون كثير من الناس. ومنكم الأتباع والأشياع لذريته صلى الله عليه وآله. يقوم القائم منهم بين أظهركم، فيكون منكم القيام معه، والاجتهاد والمعاونة والمناصرة بالأموال والأنفس، فلم يزل منهم القائم

(١) ما بين القوسين إضافة.
(٢) في الأصل (اللقاء).
(٣) في الأصل (يا هؤلاء).

ومنكم الناصر، فجزاكم الله عنهم أفضل ما جازى محسناً على إحسانه.

وفي الخبر عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: أحبوا الله لما يغذو كم به من نعمه،وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي. وعنه صلّى الله عليه وآله أنه قال: ذخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي، رجل أحب أهل بيتي بقلبه ولسانه، ورجل قضى لهم حوائجهم لما احتاجوا إليه، ورجل ضارب بين أيديهم بسيفه. وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أراد الهجرة إلى همدان والكون بين أظهرهم، فسبق عليه الأنصار لكتاب من الله سبق، لأن قيس بن نمط لما وفد على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، شاوره على الهجرة إلى بين أظهرهم، فقال إن لنا شيخاً هو أكبر مني، وأنا أرجع وأشاوره. فرجع فشاوره، فجمع قبائل همدان كلها فأسلمت جميعها في يوم واحد دون سائر الناس. فإنهم أسلموا أزواجاً وفراداً، وهمدان أسلمت في يوم واحد. وفيهم يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في شعره المعروف يمدحهم:

ولما[1] رأيت الخيل تقرع بالقنا فوارسها حمر العيون[2] دوامي
وأقبل[3] رهج[4] في السماء كأنه غمامة دجن[5] مُلْبَس بقتام
ونادى ابن هندذا[6]الكلاع ويحصبا[7] وكندة من لخم وحي جذام

---

(١) في الأصل (لما). والتصويب من ديوان الإمام علي، ص ٨٨.
(٢) في الأصل (النحور) والتصويب من ديوان الإمام علي، ص ٨٨.
(٣) في الأصل (وأعرض). والتصويب من الديوان، ص ٨٨.
(٤) في الأصل (نقع). والتصويب من الديوان، ص ٨٨.
(٥) في الأصل (كزن) والتصويب من الديوان، ص ٨٨.
(٦) في الأصل (في). والتصويب من الديوان، ص ٨٨.
(٧) في الأصل (ويحصب).

تيممت همدان الذين هم هم ... إذا ناب أمر جنتي[1] وسهامي

ونـاديت فيهم دعوة فـأجـابني ... فوارس من همدان غير لئام

فوارس من همدان ليسوا بعزل[2] ... غداة الوغى من شاكر وشبام

ومن أرحب الشم[3] المطاعين بالقنا ... ونهم[4] وأحيـاء السبيع ويـام

ووادعة الأبطال يخشى مصالها ... بكل رقيق[5] الشفرتين حسام[6]

إذا[7] كنت بواباً على باب جنة ... أقـول لهمدان ادخلوا بسـلام

وقد عرفتم قيامنا في حق الله، ومنابذتنا لأعداء الله. ولم نقم إلا لما أوجـب الله سبحانه علينـا، فطردناهـم مراراً، وكسرناهـم، واستولينـا على أنفسهم وأموالهـم كما علمتم بصنعـاء وذمار وغيرهما. فكلمـا أظهرنـا الله عليهـم، جعلنا العفو عنهم شكـراً للقدرة عليهـم، حتى انتهـى الحـال إلى ما قـد علمتموه مـن قتـل ذلـك الأميـر رحمه الله رحمـة الأبـرار. فلقـد أغمنا أشـد الغم، وأسفنا عليه أعظـم الأسف، وأنعينـا كما ينعى[8] الأليـف فراق أليفـه. فعنـد الله نحتسبه، وهـون علينا فراقـة قتله شهيداً في سبيـل الله، محتسباً صابراً، مقبلاً غير مدبـر، منابذاً عن دين الله عز وجل. وهذه أحسن خاتمة[9] يمضي عليها العبد، فلا بد من فراق الدنيا.

---

(١) في الأصل (عدتي). والتصويب من الديوان، ص ٨٨.

(٢) هذا الشطر في الأصل على النحو التالي:

(فوارس ليسوا في الحرب بعزل) والتصويب من الديوان، ص ٨٨.

(٣) في الأصل (شم). والتصويب من الديوان، ص ٨٨.

(٤) في الديوان (رهم) والصواب ما جاء في الأصل.

(٥) في مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٥٤ (صقيل).

(٦) هذا البيت غير موجود في الديوان.

(٧) في الأصل (ولو). وفي مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٥٤ (فلو). والتصويب من الديوان ص ٨٩.

(٨) في الأصل (يتبع).

(٩) في الأصل (من مخاتمة).

وهي سبيل مضى عليها آباؤه سلام الله عليهم، وليس ذلك بعظيم في حب الله. ونحن نحب منكم القيام والتشمير والاجتهاد، فعادتكم الصبر على الأمور العظام. وهؤلاء القوم الذين في وجوهنا من الظالمين، لسنا نظن بأنهم أقوى من عيسى وأصحابه الذين كانوا في ثافت[1]، فلما أجلبتم إليهم، فنيتموهم عن آخرهم، وشوكتهم عظيمة، وظهرهم قوي في عنفوان دولة سيف الإسلام. وكذلك فعلتم في المحطة لما كانت على ثلا، فجمعتم لهم، ونهضتم إليهم وفيهم إسماعيل، ومن ورائهم سيف الإسلام. فكسرتم محطته، وفرقتم شملهم، ونهبتم أموالهم بغير إمام يكون معكم. بل قصدتوهم فيمن حضر معكم من أهل بيت نبيكم.

وأنتم الآن بين يدي إمام عادل تجب عليكم طاعته، وتلزمكم مبايعته. ونحن نريد منكم الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم كما أوجب الله تعالى عليكم بقوله ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[2] وقال: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب

---

(١) هي أثافت وقد مرت.

(٢) سورة الصف، آية ١٠، ١١.

(٣) سورة التوبة، آية ١١١.

لقد تكرر خطأ الناسخ في كتابة هذه الآية، فذكر الفرقان بدلاً من القرآن. كذلك تكرر منه إسقاط (ومن أوفى بعهده من الله) من الآية الكريمة.

ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح﴾[1].

ولما انقضى كلامه عليه السلام برزوا للمشورة في جوابه، وأتوا فأجابوه بالامتثال لأمره، والطاعة فيما طلب منهم، وعلى أن منهم ألفي رجل محمولة يأتوه[2] إذا دعاهم إلى البلاد النازحة، وعشرة آلاف لوقت الحاجة فيما ناب في البلاد حولهم، وعلى معونة بمال يسلمونه في الوقت. وافترقوا على ذلك.

وراح الإمام عليه السلام إلى مشوط فلبث فيها أياماً، وجاءته البشارة باستيلاء الأمير صنوه عماد الدين على حصن بكر، واستقرار أمره فيه بالشراء بجملة من المال مبلغه ثمانية آلاف ـ خمسة آلاف [عن القلعة][3]، وتوابعها ثلاثة ـ من الوالي الذي كان به للغز. ولم يسلمه حتى نفد ما عندهم من الطعام، حتى لم يبق منه شيء. وأقاموا على الخرصة[4] يأكلونها، فصبروا على الباطل، وقل الصابرون على الحق. وكان لوردسار عناية شديدة في إيصال شيء إليهم فلم يتمكن من ذلك، ولا استطاع إليه سبيلاً.

ثم عاد الإمام عليه السلام إلى حوث، فكتب كتاباً إلى صعدة وأعمالها، يحكي ما فتح الله تعالى به على المسلمين من ملك هذا الحصن، وما يرجو أن يقع بذلك من النفع العام في الإسلام، ويطلب منهم المعونة. وقد كان الشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان

---

(١) سورة التوبة، آية ١٢٠.

(٢) في الأصل (يوتيهم).

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

(٤) الخرص: كل قضيب من شجرة، رطب أو يابس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرص.

أمر بفرسين جوادين، شراهما بألف وأربعمائة دينار لما بلغه الحادث[1]. [ووصل الأمير][2] عماد الدين يحيى بن حمزة إلى حوث، ومعه الوالي الذي كان بحصن بُكر لنضاض[3] ما بقي من المال، وقد كان سلم إليه أكثره.

وأنشأ الإمام عليه السلام شعراً يذكر فيه مصاب الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة، ويذكر فيه قبائل العرب، ونكث البيعة، والتثاقل عن النصرة، وعزمه على التجرد لحرب الغز، ومنابذة الظالمين. فقال عليه السلام:

أقول وليس عن وهن أفيقي	أضلك من هداك إلى طريقي
أرى دنيا تخادعني كأني	جهول كنه معناها الدقيق
تصد وتنثني بمعقبات	نكاد وليس تُشْرقني بريقي
سقى الله الذي ذاق المنايا	أمام الخيل من كأس الرحيق
فتى كالسيف يوم الروع بأساً	ويفرق أن يلقب بالفروق
إذا ما الحرب أبدت ناجذيها	تخمط[4] مستميتاً كالفنيق[5]
فإن أجزع عليه فلا عجيب	ولا رزء كمرزية الشقيق
وإن أصبر فأجر نداك إن الـ	ـتجلد قد وشجن به عروقي

(١) النص مبتور، ويبدو أنه قد سقطت جملة أو أكثر من الناسخ.

(٢) إضافة ليستقيم المعنى.

(٣) نضاض: بمعنى استخراج.
انظر، ابن منظور، مادة: نضض.

(٤) تخمط الفحل: هدر. وتخمط الرجل: غضب وتكبر وثار.
والتخمط: الأخذ والقهر بغلبة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خمط.

(٥) الفنيق: الفحل المُقْرَمُ، لا يركب لكرامته على أهله.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فنق.

لنا يومان يوم للأعادي[1] ويوم[2] تطلبونا بالحقوق
ولائمة تلوم كأن طعن ال أعادي[3] شرب أقداح السويق
يموت بها ويقتل من يعادي فكيدي ما أطقت ولن[4] تطيقي
إذا جهل الأعاجم كنه حقي[5] فما عذر الأعارب يا رفيقي
فقال القوم قد قتلوا حسيناً وباعوا حظهم بأشر سوق
وكم يوم لأحمد أغضبوه فذاقوا حر نيران الحريق[6]
وزيد وابن زيد غادروه يُعل[7] بضانك مثل الحلوق
معارك[8] لو رآها الطفل منهم لظل هناك في غم وضيق
فقل للعرب والعجمان إني لكم كالوالد البر الشفيق
ألم أحفظكم وأذب عنكم فَلِمْ جَهِلتْ أفاضلكم حقوقي
قتلتم عامدين شقيق روحي وملتم للقطيعة والعقوق
وليس القتل في الرحمن عار ولكني عجبت من الصديق
فابلغ يا رسول سراة يام ولاة المجد والحسب العتيق
وسنحان الذرى وبني شهاب الـ ـحماة الغلب راتقة الفتوق
وخولان الكماة[9] وصيد نِهْم . وأرحب كل بسام طليق

(١) في الأصل (في الأعادي). والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (يوماً). والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل (العوالي). والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل (وان) والتصويب من الديوان.
(٥) في الأصل (فضلى) والتصويب من الديوان.
(٦) في الأصل (الحويق) والتصويب من الديوان.
(٧) يعل: يتتابع عليه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: علل.
(٨) في الأصل (ملاحم)، والتصويب من الديوان أ، ب.
(٩) في الديوان، النسخة ج (الحماة).

أتـرجون النجـاة وقـد سلكتم على عمـد[١] بنيات الـطريق
نكثتم جهـرة بـإمـام حق حـليم عـنكم بـر شـفيـق
ينـاديكـم لينقـذكـم وأنـتـم حيارى في مطا بحر عميق
ويـرمي الظالمين بكـل خرق من الفتيـان كـالسيف الـرقيق
ويبـذل نفسـه وبني أبيـه وبيض الهنـد تـطلع كـالعقيق
فـإن يظفـر لبستم ثوب عـار وإن يغلب دعيتم بـالمـروق
أعنـد العجم تلتمسـون فـوزاً كـطالبـة نجـاة من غـريق
إذا مالت علينا الحـرب ملنا إليهـا ميلة الصب المشـوق
إذا مـا الخيل ضيعهـا أناس وضنـوا بـالصبـوح وبـالغبـوق
منحنـاهـا الـوداد ولم نسوف صـنيـعتـهـا ببـر أو عـلوق
ونضرب حين تشتجر العوالي ونطعن حين يرمي من سحيق
ونقضي كـل مـأربـة عليهـا من الغارات والضرب الفهوق[٢]
ألا أبلغ أبـا إسحـاق عني مقـالة ذي مصـاولـة صـدوق
ستعلم إن أضاف صداك علماً بـأيـام على الأعـداء روق[٣]
سنجـزيهم دهـاقـاً عن دهـاق ونقضيهم سعـوطاً عن نشـوق
ونقـطع ظهرهم[٤] بمـروعـات حـلائف[٥] للغروب وللشـروق

ومما قيل من المراثي في الأمير صارم الديـن إبراهيم بن حمزة

---

(١) في الأصل (عهد). والتصويب من الديوان.
(٢) الفهق: اتساع كل شيء ينبع منه ماء أو دم. والفاهقة: الطعنة التي تفهق بالدم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فهق.
(٣) الروق: الحرب الشديدة، وقيل الداهية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: روق.
(٤) في الديوان د (ظفرهم).
(٥) في الأصل (خلافاً).

رضـوان الله عليـه للشريـف يحيى بن مكني:

صبرا على نوب الزمان جميلاً ... وإنْ المصاب هناك كان جليلا[1]

وتـجلدا لـلشـامتين نـريـهم ... ما نال في جنب الإله قليلا

مـع أنني فيما أقـول كقائـل ... بيتـاً شروداً قبـل ذلك قيـلا

ذكرتك الصبـر الجميل وإنني ... كمـذكر غـزل النسيب جميلا

لله نحتسب المصـاب وعنـده ... نرجو الثواب على المصاب جزيلا

ولـربمـا دالت لنـا أمثـالهـا ... بالنصر إن كان العدو أديلا[2]

أتراهم نالوا عشير العشر ممـ ... ـا كان منهم قبل ذلك قيلا

فلرب يوم أحمدت منك الظبى ... فيهم فعالاً في الحروب نبيلا

صيرت في قمم الملوك غمودها ... وجعلت هـامهم لهن مقيـلا

ولكم بصرت شعارهن سليمة ... ورجعت قـد ثلمتهـا تفليـلا

وحطمت من سمر اللدان صدورها ... فشفيت من حر الصدور غليلا

أنهلت ثم عللت منها ناهلاً ... في كل قلب كان فيك غليلا

والخيل تشهد فيك منهم مشهداً ... ومقـام عـز في ذمـار مهيـلا

أوطيت منهن الرءوس سنابكاً ... وعفوت عفواً بعد ذاك جميلا

فلو إنهن سـألن عنه مـوقفـاً ... لأجبن عنه تحمحماً وصهيـلا

وكذاك في صنعاء قد شهد الورى ... فيه بأصدق[3] ما يخبـر قيلا

فـرقت جمعهم الكثير بعـزمة ... أضحى بها الجمع الكثير قليلا

لله عـزمة شمـري[4] بـاسـل ... كانت على النسب الصريح دليلا

(١) في الأصل (جميلّا).

(٢) الإدالة: الغلبة، يقال: أديل لنا على أعدائنا، أي نُصِرْنا عليهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دول.

(٣) في الأصل (بأصد).

(٤) في الأصل (شمر).

ما شك شاهدها بأن لأحمد ... ولأحمد فيما هناك سليلا
وهي الفروع تطيب طيب أصولها ... من لم يكن كأبيه كان دخيلا
وغداة[1] قدت شهاب قسراً راغماً ... في عصبة قود الخبيب ذليلا
وجعلت عدلاناً هناك بكرهه ... لابن المعلم في الإسار زميلا
كم ذا أُعِدّ وكم يعد معدد ... منهم أسيراً في الوغى وقتيلا
ولئن هم ظفروا بأبيض لم يكن ... ليخيب منه مؤمل تأميلا
فلقد به ابتدروا المكارم والعلا ... سيفاً على مر الزمان صقيلا
ونأوا به من آل حيدر جنة ... ذكراً[2] [وصلصاً لا نبل][3] ضئيلا
فإليه من نأي الديار وبعدها ... من بعد لثم بساطه تقبيلا
أبيات تعزية بمن ترك الأسى ... ما بين أثناء الضلوع دخيلا
ومضى شهيداً في سبيل إلهه[4] ... يا حبذا تلك السبيل سبيلا
فعليه رضوان الإله ورحمة ... منه تزاور بكرة وأصيلا
وعساه يقرن روحه بسميه ... ليكون ثم مع الخليل خليلا
واسلم أمير المؤمنين بنعمة ... مهما دعت ورق الحمام هديلا

ومما قيل في ذلك للقاضي زكي الدين عمر بن علي العنسي:

بقيت أمير المؤمنين ولا اهتدى ... إليك بسوء طارق الحدثان
نعزي بكل العالمين وينقضي ... أمامك قاصٍ في الأنام ودان
ودام لك العمر الطويل مؤيداً ... بما شئت من عز ونيل أمان
فما دمت هان الخطب في كل حادث ... ولم يلبس الإسلام ثوب هوان

---

(١) في الأصل (وعلاه).

(٢) ذكرا: شهماً ماضياً في الأمور.
ابن منظور، لسان العرب، مادة ذكر.

(٣) هكذا في الأصل، ويمكن قراءتها من عدة وجوه ولكن بدون أن يكون لها معنى.

(٤) في الأصل (الله).

نعزيك لا جهلاً بأنك أصبر الـ أنـام على رزء وريب زمـان
فإن تظفر الأعداء يوماً طالما[1] ظفـرت ببكـر فيهم وعـوان
وكم منة أشبعت غرثانهم بها وبـدلت خـوفاً منهم بـأمـان
ألم يذكروا ما في ذمار وغيرها وقد حيل بين العير والنزوان[2]
هم كفروا نعماك يا ابن محمد وسوف يرون الهون رأي عيان
وتأخذهم قهراً وسعدك غالب لكـل حسود لا يضيـر وشان
وتملكها شرقـاً وغربـاً ويرتقي بسعدك دين اللّه كل مكـان
وتمسي ملوك الأرض خاشعة لما رسمت تباري مثل خيل رهان
وإن يمض إبراهيم غير مذمم فـلا موت إلا والقنـا متـدان
ولا سيما في طاعة اللّه بايعا بباق من الخيرات ما هو فان
مضى قائد الخيل السوابق سابق الـ ـورى يوم إطعام ويوم طعان
مضى صارم الدين الكريم مكرم الـ ـفعال رصين الرأي غير هدان[3]
رأي الموت خيراً من حياة مغفل يروم العلا بـالمين والهذيـان
وقام مقام الجيش للجيش مقبلاً وما طاش طيش العاجز المتواني
فتى جاد بالنفس الكريمة مخلصاً وضن بـدرع نثرة[4] وحصـان

---

(١) في الأصل (فطال).

(٢) النزوان: الوثب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نزا.
وقد استعار الشاعر الشطر الثاني من البيت من شعر صخر بن عمرو الشريد.
موسوعة الشعر العربي، جـ٣ ص ٣٣٩.

(٣) الهدان: الأحمق الجافي الوخم الثقيل في الحرب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هدن.

(٤) النثرة: الدرع السلسة الملبس، وقيل: هي الدرع الواسعة.
والنثرة اسم من أسماء الدروع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نثر.

وطاعن حتى حطم الرمح في العدا ... وضارب حتى عز كل مهان

يرى العاجزون الحزم غير الذي رأى ... لعمرك والرأيان مختلفان

سلام على ذاك الجبين الذي مضى ... حميداً لسعي غير [سعي][1] جبان

ولا زال ساقي المزن يسقي ضريحه ... ويبكي عليه الجود كل أوان

عزاءً بني بنت النبي ولا عزاً ... إذا لم يزوروا[2] حد كل سنان

ولم يورد الرايات بيضاً فتنثني ... وقد صار منها كل أبيض قان

ولما يثيروا النقع في كل ما قط ... بكل رقيق الشفرتين يماني

فأنتم ولاة الأمر والناس أنتم ... وغيركم لفظ بغير معاني

وترضون أن تمسوا عبيداً لأعبد ... كفعل فلان طاعناً وفلان

أجيبوا أمير المؤمنين ابن حمزةٍ ... فقد جاءكم في أمره ببيان

وَرِدُوا الذي سن النبي محمد ... وقد كان كالرقراق في صفوان

وشيد مجداً في نزار ويعرب ... يطول على العيوق[3] والدبران[4]

وشن على جمع الأعارب جهرة ... رعانا من الفرسان إثر رعان[5]

أمخرب دين اللّه يا قوم يستوي ... لدى عاقل منكم ومن هو بان

ومما قيل من المراثي للشيخ حسن بن عزوي العصيفري:

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (يزرو).

(٣) عيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء. سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عوق.

(٤) الدبران: نجم بين الثريا والجوزاء، يقال له التابع والتويبع، وهو من منازل القمر. سمي دبرانا لأنه يدبر الثريا أي يتبعها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دبر.

(٥) الرعن: الأنف العظيم من الجبل، والجمع رعان. ومنه قيل للجيش العظيم أرعن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعن.

لعا لمصاب صادم العسكر المجرا … وكان مجرى العاسلات له مجرى
ألم يـر إبراهيم يـوم جهـاده … أمير الجيوش الطاهر العلم الحرا
على الرشد لاقى الألف زرقاً عيونها … غداة رأى في الروع راياتها صفرا
رأى الموت في ظل الصوارم والقنا … حياة وراجي الأجر لا يرتجي عمرا
طـريقـة آبـاء لـه وعمـومـة … مضوا في سبيل الله واستبدلوا الأجرا
كحمزة والزاكي الحسين وجعفر … الهند وقتلى الجوزجان وباخمرا
قتيل بأيدي الظالمين غدت له … حزازات وجد في القلوب فما تبرا
خليلي كفا اللوم عن فيض مقلة … فلا غرو إن فاضت مدامعها غزرا
فيا غادياً بلغ رسالة موجع … ونفثة مصدور جميع بني الزهرا
وهمدان في شرق البلاد وغربها … وهمدانها الشم الجحاجحة الغرا
أراكم تمنيتم خـلافـة قـائم … به يدفع اللّه المظالِم والضرا
عمرتم لها منثور نبل فعندما … وجدتم بها السهم الذي ينفذ الصخرا
فتى صدره بحر من العلم زاخر … وأشجع من ضمت خمايله الصدرا
دعوتم فلباكم وبايعتم له … على حالة لما أحطتم به خبرا
ولم تنفروا يوم الجهاد لنصره … خفافاً وبعض منكم خالف الأمرا
أرى العجم التأموا وما التام شملكم … وكنتم بجمع الشمل منهم به أحرا
فإن لم يكن دين فهلا حمية … بها يدرك الأوتار من طلب الوترا
كما فعلت في الجاهلية تغلب … ألم تذكروا بالأمس ما فعلت بكرا
وما كان منهم في طلاب بثأرهم … وأخبار سيف يوم وافى إلى كسرا
فلو ضيعت حق القرابة مثلكم … على كونها الخنساء لما ابْنَتْ صخرا
فمن مبلغ عني على البعد والنوى … مغلغلة[1] أشراف ينبع والصفرا
كأني بخيل الشام خيل قتادة … بوادرها شعثاً تمر على الكدرا

(١) المغلغلة: الرسالة. ورسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غلل.

لوابس لو عريتها من لبودها كساها عجاج أو سراب فما تعرا
تشبب[1] بها يا باعزيز فإنني رأيت اليمانيين عنها نسوا الذكرا
وصبرا أمير المؤمنين لما عزا فأنت الذي علمت إخوانك الصبرا
لئن ظفروا بالليث يوم لقائه أعاجم لا تسوي مقاديرهم ظفرا
فكم ظفر المولى بهم فأقالهم كيوم .ذمار يوم راحوا له أسرى
ولا بد من يوم عليهم عصبصب يريهم نجوم الليل في حومه ظهرا
يشن عليهم غارة علوية فيوردها بيضا ويصدرها حمرا
فما بال همدان ونهم وأرحب مع القائم المنصور لم ينهضوا طرا
وما بال سنحان وأحياء كندة غدوا وزرا للظلم فاستحقبوا الوزرا
أنبيك أن الغدر في الناس شيمة فعذراً لهم عذراً وإن لم يكن عذرا
أبى اللّه أما حمير فتمنعوا وحازوا الثنا دون القبائل والفخرا
وهم لعماد الدين أوس وخزرج إذا ما انتضوا تلك المهندة البترا
إذا سار فيهم والبرايك والظبى عليهم رأيت البر تحسبه بحرا

ومما قيل في ذلك للأمير علم الدين سليمان بن موسى:

ناحت مطوقة مع الأسحار فشجت ضمير القلب بالتذكار
فغدت دموع العين تذري أدمعاً من شجوها فذكرت بُعْدَ ديار
يا ساكن الجوفين قلبي مغرم لفراقكم والدمع نهر جاري
والنوم من فرط الأسى لبعادكم هجر الجفون وفي الحشا كالنار
إن حالت الأيام فيما بيننا فنأت دياركم وشط مزاري
فلقد أبيت لبينكم وبعادكم للنجم مرتقباً إلى الأسحار
وأقول ليت أحبتي عاينتهم قبل احتضار الموت بعض نهار

---

(١) تشبب: ابدأ.
ابن منظور، لسان العرب. مادة: شبب.

أهوى وصالكم ولكن عاقني | عنكم تباعد رحلة الأسفار
وصدام كل كتيبة بكتيبة | ولقاءِ كل معسكر جرار
والخيل تردي بالفوارس في الوغى | بالمشرفية والقنا الخطار
متدرعين سَنَوَّراً[1] فكأنهم | تحت السَّنَوَّر جِنَّةُ[2] البقار[3]
فأقمت عنكم لاقِلاً لكم ولـ | ـسكنى هجرتكم لأنقم ثأري
من عصبة نبذوا الكتاب وكذبوا | قول النبي محمد المختار
في قتل إبراهيم صفوة حمزة | صنو الإمام سلالة الأطهار
فلئن هم ظفروا به يوماً فلم | يركب حذار الموت حطة عار
بل جاد بالنفس الضنينة في الوغى | كرماً كفعل جدوده الأخيار
زيد ويحيى بن الحسين وحمزة | أسد الإله وجعفر الطيار
وقفا وقد حطم المثقف في العدا | وسطا بحد الصارم البتار
فمضى سبيل الصالحين بفعله | متعمداً ما قيل في الأشعار
الهون في جوف الهوينا كامن | وجلالة الأخطار في الأخطار
فرمى بمهجته على سبل القنا | فغدا حميد الذكر في الآثار
فسقى الإله ضريحه في قبره | من ملجب[4] متحدر مدرار
قل للعدا إن تفرحوا بمصابه | أنسيتم صنعا ويوم ذمار

---

(١) السَّنَوَّر: جملة السلاح، وتطلق هذه الكلمة أحياناً على الدروع، كما تطلق أيضاً على لباس واقي مصنوع من الجلد يشبه الدرع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سنر.
(٢) الجنة: الدرع، وكل ما يقي أو يستر فهو جنة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جنن.
(٣) البقار: موضع تكثر فيه الجن. وقد اقتبس الشاعر هذا الشطر من النابغة الذبياني.
ديوان النابغة الذبياني، ص ٥٦.
(٤) اللجب: الصوت مع كثرة العدد. ويقال سحاب لجب بالرعد، وغيث لجب بالرعد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لجب.

وجحدتم نعم[1] الإمام وحفظه ... أرواحكم من سـطوة الجبـار
وجـزيتمـوه قتلكم لشقيقـه ... فعـل اللئام وخـطة الأشـرار
فلسـوف نرميكم بحـرب مـرة ... شنعـاء أبـردهـا كحـر النـار
ما دام مولانـا الإمام معمـراً ... لم يكتس الإسلام ثوب بوار
لازال محروس الجناب مؤيداً ... ومعـانـدوه على شفيـر هـار
صلّى عليـه اللّه بعـد نبيـه ... ووصيـه مـا لاح بـرق سـار

ومما قيل من المراثي للقاضي أبي الغيث بن أحمـد الأصبهاني:

هو الدهر يرمينا فيصمي[2] إذا رمى ... ويعقبها بؤساً بما كان أنعما
وهذي الذي ما إن يزال نعيمها ... لدينا غراماً والغنيمة مغرما
ولو يرتضيها اللّه دارا لمسلم ... من الناس ما أحيا بها قط مجرما
وما اثتر منها آدماً ومحمداً ... وموسى بن عمران وعيسى بن مريما
شقيق أمير المؤمنين الذي رمى ... بمهجته جيش الضلال مصمما
عذير فتى لما تفض نفسه أسا ... عليـه ولما تفـض عينـه دما
ألا في سبيل اللّه نفس مهذب ... حمى ركن هذا الدين أن يتهدما
قضى نحبه بين الصوارم والقنا ... ولم يلق جيش الغز إلا ليسلما
ولكن لإحدى الحسنيين وما أرى ... ينالهما إلا الشجاع المقدما
ولا يبعدن اللّه آية باسل ... أزار[3] العدا يوماً من الشر توءما

---

(١) في الأصل (نعماً).

(٢) الإصماء: سرعة إزهاق الروح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صما.

(٣) أزر بالشيء: أحاط به. ويرجح أن تكون الكلمة في الأصل أذاق ثم صحفت أثناء النسخ.

ومات شهيداً والرماح شواجر	وقد ضرجت في الحرب أثوابه دما
وقد أعدم البيض الرقاق صدورها	وجرد المذاكي والوشج المقوما
وشاهد منه صدره ذا حفيظة	هناك إذا ما القرن صد وأحجما
فصبرا أمير المؤمنين لخطبه	وإن شب في الأحشاء ناراً وأضرما
وإنك أهدى أن تدل على هدى	على حاله أو أن تبصر من عمى
وغير خفي عنك قتل أمية	لآبائك الهادين ظلماً ومأثما
وما صنع الفجار قدماً بأحمد	أبيك أشد الناس بأساً وأحرما
هم يوم أحد أرصدوه بنبلهم	وردوه مكسور الثنيات أثرما
وأصمى اللعين الخارجي ابن ملجم	علياً أمير المؤمنين الغشمشما
وجـم الردى قدماً لجدك حمزة	بحربة وحشي فأصماه إذ رمى
وسيق لزيد موتة ولجعفر	بمؤتة لم تغن السرية عنهما
وعفر في يوم الوغى خد ِجدكم	حسين أعز الناس نحراً ومنتمى
وجاشت على زيد فأصمته جهرة	جيوش هشام ذي الضلالة والعمى
ويحيى بن زيد ذاق [ما ذاق][1] منهم	أبوه إمام المسلمين وأعظما
لقوه بأرض الجوزجان[2] عشية	فأردوه بين الفيلقين مسوما
وسرعان ما أسرى الردى لمحمد	أبو جعفر يوم الوغى متحرما
وأردى بباخمرا[3] العداة شقيقه	الرضا الندب أحمى الورى حما

= انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة أزر.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى والوزن.

(٢) الجوزجان، إقليم من أقاليم بلخ بخراسان، وفيها قتل يحيى بن زيد.
ياقوت، معجم البلدان، جـ ٢ ص ١٨٢ ؛ عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ ١ ص ١٩٠.

(٣) با خمرا: موضع بين الكوفة وواسط، قتل فيه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
ياقوت، معجم البلدان، جـ ١ ص ٣١٦؛ عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣.

وصادف أرباب الضلالة منكم بفخ[1] هزبرا ثابت العزم ضيغما
فأوردوه قتلاً بالظبى ضل سعيهم وقد جاء يسعى نحو بلد محرما
وما مات قبلاً أو أمات سراتهم على دهش قتلا وروى الظبى دما
ولسنا نخاف الضيم ما عشت سالماً لدينا وصنواك اللذان هما هما

وللفقيه أبي الحسين بن شبيب في مثل ذلك:

صرمتك دنيا إذ صرمت حبالها إذ كنت فيها بدرها وهلالها
وحسيبها ونسيبها وخطيبها وأديبها وأريبها وجمالها
وعميدها المدعو لكل ملمة[2] ملمومة سحًابة أذيالها
والصدر من دست الخطوب إذا بدت أهل الخطابة قاصماً أفعالها
والموقد النار المنيرة في الدجى للطارقين ومذكياً شيعالها
والناحر الكوم[3] العشار إذا عدت حمر السنين بدينه أمحالها
والراتق الفتق المهم إذا اعتدى لأولى النهى بتفاقم شعالها
وكتيبة أذلفت نحو كتيبة كنت المحامي في الوغى رَتّا[4] لها
ولكم شكت جرد المذاكي في الفلا يوما إليك لغوبها[5] وكلالها

(١) فخ بفتح أوله: واد بمكة. وفيه قتل أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨؛ عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ ١ ص ٢١٣ ـ ٢١٨.

(٢) الملمة: النازلة الشديدة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لمم.

(٣) الكُومُ: القطعة من الإبل. والكَوَمُ: عِظَمٌ في السنام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كوم.

(٤) الرت: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رتت.

(٥) اللغوب: التعب والإعياء.

فشفعت غارتها بشعوى مثلها حتى حططت لدى العداة رحالها

وتركت دارهم يبابا قفرة وحويت بعد هلاكها أموالها

وغدوت محمود السجية لم تهب سود المنايا إذ رعيت رعالها[1]

لولا قضاء الله في هذا الورى ألا تخطى أنفس آجالها

والضنك من ذاك المجال لما انثنت تلك العدا حتى أبدت رجالها

فلعا أمير المؤمنين لصارم قد كنت للأعدا به[2] قتالها

دفاع معضلة حليف مكارم طلاع أنجد[3] نجدة فعالها

لهفي على ذاك الحسام وليت النفس مني قد فدته ومالها

بل ليتها واقته في يوم الردى فتدق في تلك العدا عسالها[4]

وتذب عنه في الوغى بمهند يفري الطلا والهام حين سما لها

فلتبكه عيني دماً ومدامعا بدم لمصرع سيدي بهمالها[5]

ولتبكه البيض المواضي والطلا والجرد تحمل في الوغى أبطالها

وليبكه المجد المدهده[6] ركنه وأرامل كفل الأبيُّ عيالها

ولقد ببعض الهم أُودى إنه نال الشهادة تابعاً من نالها

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: لغب.

(١) الرعلة: القطعة من الخيل، والجمع رعال. والرعل شدة الطعن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعل.

(٢) في الأصل (فيه).

(٣) طلاع أنجد: غالب للأمور.
ابن مننظور، لسان العرب، مادة: طلع.

(٤) عسال: من صفات الرمح، فيقال رمح عسال وعسول أي مضطرب لدن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عسل.

(٥) هملت وانهملت: أفاضت وسالت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: همل.

(٦) دهدهه: قلب بعضه على بعض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دهده.

متنهجاً منهاج آباه الأولى ... حلوا بمعترك الجياد قلالها

السابقين إلى التآسي في الوغى ... حتى احتذى القوم الكرام مثالها

ولئن به سمت العلا وتوهموا ... أن ودعت أعبا العلا حمالها

كذبت ظنونهم معا بل في بني ... الزهراء أسد شرى حمت أشبالها

ابنا أبيه الصيد ابنا حمزة ... الوارثين من الكرام خصالها

كم غمرة خاضوا لظاها بالقنا ... وبعزمهم ضرب العدا أمثالها

أعزز عليهم أن يظل لها دم ... والخيل تسحب ضمراً أذيالها

وعلى جميع بني علي أينما ... جعلت بمرتبع هناك حلالها

وعلى بني قحطان أرباب العلا ... كم أصدقت بفعالها أقوالها

وكذاك لا أنسى ابن سلمان الذي ... من كل مكرمة أنيل كمالها

ما زال يسعى للشهادة جاهداً ... حتى لقد وصل الأبي حبالها

فعليهما من ذي الجلالة رحمة ... ما أرسلت وطف الغمام[1] غزالها

وللسيد الشريف نظام الدين يحيى بن علي بن فليته العلوي السليماني الحسني:

ميادين المنون إلى اتساع ... وممتد الحياة إلى انقطاع

وما أن يسعد الإنسان إلا ... إلى ما كان في الخيرات ساعي

يراعي المرء لذته قريباً ... وكأس الموت آخر ما يراعي

ويجمع في يد الدنيا تراثاً ... وكل متاعها كسراب قاع

شفار خطوبها تبري البرايا ... كما تبري المدى قصب اليراع

وفي أفيائها حسرات [ ][2] ... وفي معسولها سم الأفاعي

وفي السلف الغبور لنا اعتبار ... وفي قلع الملوك من القلاع

(١) في الأصل (الحمام).

(٢) بياض في الأصل.

وألقى غيظة سرباً[1] فراقاً فراق زجاجة بعد انصداع
فيال الدين والسرح اللواتي علت أبراجها في الارتفاع
لقد شمل المصاب بني أبيكم فروع بني العواتك[2] في وساع
وكم من ذي جوا لما أتانا لإبراهيم سيف الدين ناعي
وباكية تنوح عليه شجواً عطول[3] الجيد حاسرة القناع
هزبر حازه شرك المنايا وأعطاها القياد بلا امتناع
حذا حذو الأئمة من علي بناة المجد والشرف اليفاع
فجاد بنفسه للموت لما تزاورت[4] الليوث عن القراع
رسول[5] الموت أسياف المنايا وبات[6] الخوف أكباد الرعاع
وخير مصارع الأبطال يوماً يكون صريعه جزر السباع
فكم مستنكف[7] من ضم لحد ومهتش[8] إلى بوش[9] الضباع

---

(١) سرب: مضى وذهب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: س رب.
(٢) العواتك: جدات الرسول عليه السلام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عتك.
(٣) عطول الجيد: أي ليس على الجيد حليٌّ أو زينة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عطل.
(٤) الازورار عن الشيء: العدول عنه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: زور.
(٥) في الأصل (رسل).
(٦) بات بمعنى تزوج، أي سكن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بيت.
(٧) استنكف: أنف وامتنع، والاستنكاف بمعنى الاستكبار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نكف.
(٨) هتش: بمعنى حرش. والتحرش بين البهائم هوالإغراء وتهييج بعضها على بعض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هتش.
(٩) البوش: الجماعة الكثيرة.
=

توزعه النسور ببطن خبت[1] بعيد الحرف أغبر ذي اتساع

بلونا منه في اللأواء[2] غيثاً وفي الهيجاء ليثاً ذا دفاع

يرد الخيل دامية الهوادي إذا ما العزم حاد عن المصاع

وفي سد الحوادث من يهادي أمير المؤمنين رحيب باع

ولن أنسى الفقيه أبا زريع ومصرع مرحب البطل الشجاع

هما والله كانا من سرانا ومن أشياعنا عند التداعي

وقونا بالنفوس وفاوزونا بشيد الدين في الحق المذاع

فيا ما كان أسرعها حياة وأسرع فرقة بعد اجتماع

فصبراً يا ابن حمزة واحتسابا لخطب الموت غير المستطاع[3]

فهم والله أحياء جذالى بذا نطق الكتاب لأذن واعي

أفادوا بالجهاد جنان خلد من الفردوس عالية المطاع

سقت أجداثهم في كل يوم من الأنواء واهية الأواعي

خفوق البرق واكفة العوالي رجوف الرعد ملقية البعاع[4]

تباكرهم ندى الدفقات منها بأورق[5] ما يكون من اطلاع[6]

فتصبح منهم الأجداث ريفاً من الأزهار ضاحكة الرباع

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: بوش.

(١) الخبت: الوادي العميق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خبت.

(٢) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لأي.

(٣) بياض في الأصل وهي مساحة كافية لكتابة بيت واحد فقط.

(٤) البعاع: شدة المطر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة بعع.

(٥) في الأصل (بأرق).

(٦) أطلع الزرع: بدا، وطلع الزرع إذا بدأ يطلع وظهر نباته،

ورضـوان من الـرحمن يـأتي به رضوان ذي الأمر المطاع
إليكم يـا بني الأعمـام مني صـدوق اللفظ رائقة السمـاع
بعثت بها على قرب الأواخي وبعـد في المساكن والـربـاع
فمـا منكم على التحقيق إلا صفي الـود مشكـور الـطبـاع
ومن متـدفـق بـالعـلم طلق ومن علم إلى الرحمن داعي
فلا غصبت بسوحكم سراراً[1] ولا نادى به في الدهر ناعي
فيـابـا أحـمـد جلداً وجـريـاً على منهـاج حيـدرة الشجـاع
ودم واسلم بقيت قرين سعد حميد الرأي محمود المساعي

وللقاضي الأجل الفاضل نصر بن محمد بن أحمد بن عمران اليـامي مرثية في الأمير إبـراهيم بن حـمزة رضي الله عنه:

أبتْ غيـرَ الأيَّـام إلا تعـاديـا طـوارق تغتال العـلا وطواريـا
إلى أن رقت من باذخ المجد شامخا [ ][2] منه بالأمس ساميا
وهدت ذرا بنيان مجد مؤثل فخرت على الأذقان تكبو هوافيا
فقلت وقد جازت دموعي الأماقيا[3] على الخد لو مدت تبل المراقيا[4]

= أطلع الشجر: أورق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طـلع.

(١) سرارة الوادي: فضل موضع فيه. والجمع سَرارٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرر.

(٢) كلمتان مطموستان في الأصل.

(٣) مآقي العين: مؤخرها، وقيل مقدمها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مأق.

(٤) المراقي: فتحات الأنف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رقا.

شقيق أمير المؤمنين توقلت[١] إليه المنايا عنوة وثماليا[٢]
فأضحى به جيد المكارم عاطلاً وكان به نادى المكارم حاليا
ولما نعى ناعيه في الحي ضحوة وأعلن ملهوفاً وأسمع ناعيا
طفقت أبكيه وأنشي المراثيا ونوهت بالبابين في الحي شاديا
غدا باذلاً للنفس في طلب العلا فأرخص في يوم الكريهة غاليا
ثوى بين أطراف الأسنة والظبى ويا حبذا يوم الحفيظة[٣] ثاويا
مضى في الوغى ممضي الحسين ورهطه وقد كان ذا عزم يفل المواضيا
وفيها جرى في الطف[٤] أعظم أسوة وحسب الورى ما كان في الطف جاريا
ولو أنه رام النجاة بنفسه وظن [ ][٥] كان ناجيا
ولكن رأى الإقدام أولى بمثله فكر حفاظاً لا يهاب الأعاديا
وأقبل في الهيجاء غير معرد[٦] تخال المنايا كالحات أمانيا
فأحجمت العربان عنه ولم تحم فلم ير إلا كاشحاً[٧] أو مداجيا
فتى كان يروي الرمح من مهج العدا دماً كدم الفرصاد أحمر قانيا
وبصدره عن ماقط الخيل راويا وقد كان قبل الورد حران صاديا

---

(١) التوقل: الإسراع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وقل.
(٢) الثمال: بالضم، السم المنقع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثمل.
(٣) المحافظة والحفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب، والاسم الحفيظة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حفظ.
(٤) الطَّفُّ: أرض في ضواحي الكوفة، شهدت مقتل الحسين بن علي.
ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤ ص ٣٦.
(٥) بياض في الأصل.
(٦) التعريد: الفرار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرد.
(٧) كشح: بمعنى أدبر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كشح.

عليت أبا إسحاق من حادث الردى ويا بؤس للمعدار[1] وافى معاجيا[2]

دعاك إلى الهيجاء لما تحطمت مهيب فلم تهجع ولبيت داعياً

أتاك صريخ الروع من خمس الوغى فبوبت[3] مقداماً [ ][4]

ولم يدر أن الدهر في عدد العدا فدانيت من حر المنية دانيا

فيا قبره الثاوي سقيت الغواديا وقد قابلت فيها البتول[5] العواليا

وساقت له هيف الجنوب سباطها[6] وهزت به أيدي الشمال العواليا

فيا راكباً عيرانه شدقمية[7] عذافرة[8] وجناء[9] تفري الفيافيا

غريرية[10] عبدية[11] أرحبية[12] تؤم بمجهول الفلاة المراميا

---

(١) العادر: الكذاب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عدر.

(٢) لقي فلان ما عجاه: إذا لقي شدة وبلاء. وعجاه أي ساءه.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عجا.

(٣) بوب الرجل: إذا حمل على العدو.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: بوب.

(٤) بياض في الأصل.

(٥) البتول: النخلة الصغيرة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: بتل.

(٦) في الأصل (سياصها).

والسبط: المطر الواسع الكثير.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: سبط.

(٧) شدقم: فحل كان للنعمان بن المنذر ينسب إليه الشدقميات من الإبل.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عذفر.

(٨) العذافرة، الناقة الشديدة الأمينة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عذفر.

(٩) وجناء: الناقة الضخمة الصلبة الشديدة

ابن منظور، لسان العرب، مادة: وجن.

(١٠) الغُرَيْرُ: فحل من الإبل تنسب إليه الإبل الغريرية.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرر.

تخال اعتراماً ناسلاً عن إهابها ... إذا سمعت للعيس في البيد[1] هاديا
تـواضح إرقـالاً وتهـدب تـارة ... ووخدا تعاطيه العتاق النواجيا
تشبث بالحما والغور وارتبعهما ... شقيقاً[2] وحوذان[3] الربا والأفانيا[4]
وصافت حما نعمان ناعمة به ... ويا حب للمصطاف نعمان واديا
فاضت أتم التامكات[5] إذا بدت ... لحاظاً وأسناها سنـايا وهـاديا
ألم تمعني الجد من ذروة العلا ... وزر خير مأمول وأشرف ناديا
واهـد تحياتي وابلغ سـلامنـا ... إلى خير أهل الخير من كان ماشيا
إمام الهدى لا زال في العز ساميا ... مدى الدهر ميمونا إلى الحق هاديا
وأبلغه عني لا ضللت عزائيـا ... وقل لأخ العلياء هذي مقاليا
عـزاء أميـر المؤمنين وحسبـه ... فما زالت الأقدارتترى جواريا
وإن كنت أعلى أن تُبصر قدوة ... وأنفس حلماً أن[6] تعز المرازيا

= (١١) العَبَدَةُ: الناقة الشديدة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عبد.

(١٢) النجائب الأرحبية: نسبة إلى بـلاد أرحب باليمن. ويحتمل أن يكون أرحب فحلاً تنسب إليه النجائب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: رحب.

(١) في الأصل (الميد).

(٢) شقائق النعمان: نبت واحدتها شقيقة، سميت بذلك لحمرتها.

ابن منظور، لسان العرب، مادة شقق.

(٣) الحَوْذَانُ: نبت يرتفع قدر الذراع، له زهرة حمراء، تسمن عليه الماشية.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: حوذ.

(٤) الأفاني: نبت ما دام رطباً، فـإذا يبس فهـو الخماط. ويقـال أيـضاً هو عنب الثعلب، وشجرته سريعة النبات والنمو.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: فتى.

(٥) التأمك: السنام المرتفع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: تمك.

(٦) في الأصل (بأن).

وفيمن مضى من صيد أسلافك الألى لكم أسوة تسلى فعمرت ساليا
عليت أمير المؤمنين ولم تزغ ولا زلت تسمو صاعد الجد[1] عاليا
ولا طرقتك الحادثات بمثلها ولا زال مكتوباً لمجدك قاليا
فأنت الذي طالت بطولك يعرب وعرباً لما صرت للكل واليا
حللت من العلياء يا بن محمد ذرى المجد واستوطنت[2] منها الصياصيا[3]
أعدت وأبديت العوارف في الورى فدمت مدى الدنيا معيداً وباديا
أخا الصفح أسجح[4] عن قضا الدهر راضياً بما قدر الرحمن في الخلق ماضيا
أتعلم أني لا أزال مشاركاً قسيماً لكم فيما جرى ومواسيا
غدوت لكم ما جنت النيق وامقاً[5] وما سجعت ورق ومولى مواليا
يقربني محض الولاء سجية على القرب مادانيت أو كنت نائياً

وللإمام عليه السلام في مثل ذلك:

روعني الدهر[6] بأحداثه وليس مثلي من شباها يُراعْ
يروم إنزالي على حكمه وإنما يفعل ذاك اليَرَاعْ
تعد[7] عنا والتمس غيرنا وخص بالرعب قلوب الرعاعْ

---

(١) صاعد الجد: معناه البخت والحظ في الدنيا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جدد.
(٢) في الأصل (استوطيت).
(٣) في الأصل (الصيايا).
(٤) الإسجاح: حسن العفو.
ابن منظور، لسان العرب، مادة سجح.
(٥) وامقاً: محباً ومتودداً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ومـق.
(٦) في الأصل (دهري) والتصويب من الديوان.
(٧) في الأصل (أبعد) والتصويب من الديوان أ، ب، د.

فنحن من قوم إذا أُغضبوا تليثوا واستلاموا[١] المصاع[٢]
كم موقف خضنا بحار الردى قدماً ولم ينصب علينا شراع
ومعرك كلنا لأعدائنا فيه ذعاف الموت صاعاً بصاع
ونحن مثل النصف أو دونه منهم وقد سلوا سيوف القراع
نصبر للموت وروعاته[٣] إذا النفوس[٤] الصيد طارت شعاع
سل عن أبي إسحاق أعداءه وغيرهم فالخطب فاش مذاع
يوم تولى جيشه معذراً وإنما يدفع ما يستطاع
ألم يصمم غير مستسلم تصميم سامي الطرف عبلَ الذراع
نحن بنو الحرب إذا شمرت ولاح عنوان[٥] شباها وشاع
وإنما أوقفنا موجب باد وقد يطرق قبل الشجاع

ومما قيل من المراثي من جهة الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح:

ألا فجع الدهر الذي هو فاجع بأرزائه وهو المسيء المسارع
فأدهش أهل الحلم منه وراعهم بما ساءهم منه الخطوب الروائع
وأورى نياراً في القلوب كأنها أجيج لظى مما تجن الأضالع
على صارم الدين الأبي ابن حمزة قتيل طغام ضاع فيه الصنايع
فأبكى عيون المكرمات وهاجها أسى حادث وأرفض[٦] منها المدامع

---

(١) استلام: استذم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لوم.
(٢) المصاع: التعرد والهرب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صوع.
(٣) في الأصل (أحداثه) والتصويب من الديوان.
(٤) في الديوان النسخة ج، د (نفوس).
(٥) في الأصل (عنواها).
(٦) أرفض الدمع: سال وتفرق وتتابع سيلانه.

وضعضع أركان المعالي مصابه غداة ثوى واستك منها المسامع
فتى مات والفرسان عنه كليلة وقد حاد عنه المقدمون الأشاجع
كليث عرين مشبل ذي مهابة يذود الردى عنها وعنها يدافع
يصول بسيف عزمه مثل جده له أثر من فوقه السم ناقع
فأقصده في حومة النقع خيفة فما حاد عنه والسيوف شوارع
فيا فارساً لم تحمل الخيل مثله إذا هابت الخيل المنايا الذوارع
مضى طاهر الأثواب عفا مكرماً له منصب في الفاطميين قارع
كآبائه الأطهار آل محمد شموس على مر الخطوب طوالع
هم جاهدوا في الله حق جهاده وقام بهم دين الهدى والشرائع
وهم شُهداء الله حقاً وجدهم عليهم شهيداً في الذي هو وادع
وهم قاطعوا أهل الشقاق وواصلوا فلا زال فيهم واصل ومقاطع
فنالوا بحسن الصبر أشرف رتبة تنال ووجه الحق أبيض ساطع
فإن كان إبراهيم ولى لشأنه لمشرع حوض نحوه الكل شارع
فإن أمير المؤمنين شقيقه حسام [ ][1] قاطع
بعزم يقط[2] الصخر والبيض في الوغى له همة من دونها النسر واقع
إمام الهدى بحر الندى واسع الجدى[3] سمير العلا في وجهه البدر طالع
عليم بأسرار الديانات سابق مهيب لأنواع الفضائل جامع
ففيه وفي أهليه جُبران من مضى حماة أباة في الحروب مشاجع

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: رفض.

(١) بياض في الأصل.

(٢) يقط: يقطع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قطط.

(٣) الجدى: العطاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جدا.

هم حجة الرحمن طرا على الورى ... وسفن نجاة والشهود المقانع[1]

فيا راكباً أما عرضت فبلغن ... بني المصطفى قولاً هو الحق ساطع

وعرفهم فيما أصاب فلم تهن ... علينا لأهل الفضل تلك المصارع

وقل لهم يستيقظوا ويشمروا ... ففيم التواني أو علام التخادع

ومثلكم من ليس يغفل حقه ... ولو قرعته الحادثات القوارع

وفيكم أمير المؤمنين مشمر ... يناضل عن أحسابكم ويدافع

ومما قيل من المراثي فيه رضوان الله عليه لمصنفها:

سقى ملث السحايب الوطف ... مثوى الشهيد المدفون في لصف

وزاره أفضل التحية ما ... لاح سنا البرق في دجى السدف[2]

فارقنا والسهاد منصرف ... والوجد في القلب غير منصرف

لو كان في غير الإله فُرْقته ... لذابت النفس من جوى الأسف

لكنه أشبه الذين مضوا ... بألطف والجوزجان والنجف

فما المصاب الذي ألمّ بإبـ ... ـراهيم في مثلهم بمقترف

قاد إلى الغز عسكراً لجبا ... وأقبلوا كالسحاب ذي النتف[3]

فخانه من نهم ومن عذر ... كتائب لم تثبت ولم تقف

فحارب المارقين منفرداً ... ولم يخش إجماعهم ولم يخف

مستقبلاً والرماح شارعة ... في صدره وهو غير منحرف

يطعن لباتهم وأعينهم ... فعل بصير بطبعها ثقف[4]

---

(١) المقنع، بفتح الميم: العدل من الشهود. ورجال مقانع، إذا كانوا مرضيين.
ابن منظتر، لسان العرب، مادة: قنع.

(٢) السدف: ظلمة الليل، والسدفة: الظلمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سدف.

(٣) في الأصل (النف) وتم التعديل حتى لا ينكسر الوزن.

(٤) رجل ثقف: حاذق.

حتى أتوه من كل ناحية	وفرقوا منه كل مؤتلف
وقد سقاهم كأس المنون	ولكن ليس درالغواص كالصدف
لم يحفظوا حرمة ولا رقبوا	إلاًّ لأرباب الفضل والشرف
ولا رعوا حرمة الإمام لهم	يوم أزالٍ وهم على التلف
ولا رعوا في ذمار منته	فيهم وكانوا على شفا جرف
فأدركتهم منه عواطف بر	عدها عند الله في الزلف
فيا معنا على عذافرة	حرف[1]أمون[2]كمنكب[3]الصدف[4]
أوب ودلج حتى تنيخ على	التعريف واهبط على منى وقف
وناد أهل الحفاظ حسبك من	حي نزار ويعرب الأنف
واخصص بها دعوة بني حسن	فهم بنو الطهر صفوة السلف
وادع ضحى يآل المسلمين معاً	هل من لبيب إلى الرشاد يفي
ترضون يا معشر الكرام بما	يفعل أهل الفساد والسرف[5]
يسعون في الأرض مفسدين بها	ويأخذون البريء بالنطف
وهمهم دنياهم وإنَّهُمُ	مثل كلاب هرَّت على جيف

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثقف.

(١) الحرف من الإبل: النجيبة الماضية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حرف.

(٢) ناقة أمون: أمينة وثيقةالخلق، وهي التي أمنت العثار والإعياء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أمن.

(٣) المنكب من الأرض: الموضع المرتفع.
ان منظور، لسان العرب، مادة: نكب.

(٤) الصدف: جانب الجبل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صدف.

(٥) السرف: الجهل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرف.

فهل مجيب لدعوة سلفت ... وليس أمر الداعي بها يخفي

وفيكم قائم أخو ورع ... بر رحيم بما يقول وفي

يدعوكم للملك العقيم[1] وأنـ ... ـتم قد رضيتم عيشاً على شظف

والحرب يال الرجال قائمة ... على أزالٍ كالنار في السعف

ودينكم يال الله مهتضم ... والعرب عصف[2]منهم على الرضف[3]

وفيكم الخيل كل سابحة[4] ... تسبق هوج الجنائب العصف

وكل نهد أقب[5] ذي عنق ... بعيد الصلا[6] من العرف

وكل ندب كالليث عزمته ... مشتمل بالحديد ملتحف

وأنتم اللب الصميم من العر ... ب وأنتمُ من ذؤابة الشرف

فبادروا للجهاد واتبعوا ... ما ضمنته الآيات في الصحف

ولما مضى الأمير صارم الدين إلى رحمة الله تعالى فقده أهل الجوف، المحب له والكاره. وعرفوا نفعه، وقالوا كان فينا كالوالد الشفيق، إذا غضب عشية رضي بكرة. وسألوا والياً من قبل الإمام عليه

---

(١) العقم: القطع، ومنه قيل: الملك عقيم لأنه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقم.

(٢) العصف: التبن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عصف.

(٣) الرضف: الحجارة التي حميت بالشمس أو النار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رضف.

(٤) سبح الفرس: جريه والسوابح الخيل لأنها تسبح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سبح.

(٥) الأقب: الضامر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قبب.

(٦) الصلا: وسط الظهر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلا.

السلام يسد مسده، ويرجعون إليه. فلم ير لذلك من يقوم به أصلح من أخيه الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة. فشاوره عليه، فتحرج منه وكره الولاية، فلم يعذره من ذلك. وأمره بالقدوم إلى الجوف وإصلاح أمره.

وصدر في العشر الأواخر من شعبان. وكان قد جرى بين بني منبه بعد حادثة الأمير إبراهيم بن حمزة فرقة وحرب شديد وجراحات، فغطى أمورهم.

وكان الأمير جعفر بن القاسم بعد وقعة درب شاكر وخرابه، وما جرى على أهله [قد][1] تعرض لصلح الإمام عليه السلام. وكان الواسطة بينهما ولده محمد بن جعفر، فاختلف مراراً حتى ساعده الإمام إلى ذلك. وأتى الأمير المذكور [في][2] سلخ شعبان إلى حوث، فبرز الإمام عليه السلام في لقائه، وناصفه. ولبث أياماً وأظهر الطاعة والانقياد للأمر، وطلب الولاية على قبض الحقوق الواجبة، فدافعه الإمام عن ذلك. فكتب إليه أني قد عزمت على الصدور بعد أن عرضت نفسي للخدمة فلم أُقبل، وعرفت كراهة الإمام لخدمتي. وقال: لا لوم عليّ بعد أن عرضت نفسي للخدمة. فكتب إليه الإمام عليه السلام كتاباً نسخته:

فهمنا ما ذكره الأمير من وقوفه في غير قضاء حاجة، وعندنا أن أصول أمرنا قد انصرمت، وموادّ العناد قد انحسمت. وذلك أن الأمر إذا بُني على الصحة، وصحت الإمامة، كان العناد والخذلان إن وقع من موجبات الحسرة والندامة في الدنيا ويوم القيامة.

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

وما ذكـره من مشورة الخـاصة والعامة، فنحـن في أمر لا يغبا وجه صوابه. ورضا الله تعـالى منوط بالتمسك بأسبابه. وقد صرت من كبـار الشرفاء[١] سناً وقدراً. ونحـن في وراثة نبوة، وهـل علمت في سيرة الأئمة السابقين أوسنـة خـاتم المرسلين أن تولي الأعمال من سألها؟ فـإن تشككت في شيء فـلست تشك في وصـولك إلى الجـوف، وما جـرى من الأمور التي لم يـقع فيها مساعـدة. فـلما جـرت منك المعاونة دُعـيت إلى ذلك، وطـلب منك هـنالك. فأما ولاية السوم[٢] وهي لغير الذرية الزكية الطاهـرة المرضية. ولست أخـاف ما يخـاف الملوك، هـم يخافون خـروج الممالك من أيـديهم، ويصلحـون دنياهم بما يجـوز وما لا يجـوز. ونحـن نخاف معصية الله سبحـانه، فنصلح ديننا بما يهـون وما لا يهـون[٣].

وأما ما ذكر من أنه لا لوم عليه بعدما عـرض نفسه للخـدمة فكرهـنا، فليس مما نـكره خـدمته ولا ننـكر لحـمته. وخـدمة مثله قود عسكر، وصعود منبر، وأمر بمعروف ونهي عن منكر. ومن كـره له هـذا كرهه[٤] الله. وأما جباية الأعشار، وجـمع الدرهم والدينار فذلك شغل غيره، ممن يُطالب بالحساب، وينهر عند الخـطاب.

وأما سرعة الصـدور، فغير ذلك به أجـدر، لأنه من شيوخ الحـضرة وأكابر العترة. وعند استقامته في الله[٥] سبحـانه ولإمام الحـق تنساق إليه

---

(١) في الأصل (الشرف).

(٢) السوم: المساومة. ويبدو أن المقصود بولايةالسوم هـو ولاية التكليف. ابن منظور، لسان العرب، مادة: سوم.

(٣) إلى هـنا ينتهي توجيه الخـطاب إلى الأمير جعفر بن القاسم، ثـم يبدأ الإمام بعد ذلك بتوجيه الحديث إلى شخص آخـر يشرح فيه موقفه من الأمير.

(٤) في الأصل (فكرهه).

(٥) في الأصل (لله).

الأرزاق، ويتصل به من الإرفـاق ما يوفى على آماله، ويصـلح المختل من أحـواله.

وهـو؛ فليجعل الـدين أساس أمـره، ويخـاطر بدنياه. فلا يمتنع أن يجـمع الله له الدين والدنيا، ومـا ذلك على الله بعزيز. ولا يجعـل طلب نفع الـدنيا أساس أمـره فيخسر الدنيا والآخـرة، ذلك هـو الخسران المبين. وتعلم أنه إذاشمر في أمر الله سبحـانه، وتجـرد للجهـاد في سبيله كـان المطالب به بما يستحـق من لا نجـد سبيلاً إلى دفعـه وهو الله سبحـانه لأن[1] معونـته تكون واجـبة ديناً ودنيا، وعقلاً وشرعـاً.

وأما قوله هـو بنفسه فلا يـكلفه الله نفسه، وما نفسه بـقليل. فينظر في هـذا الأمر بصائبـة[2] وروية باقية. وتعـلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله يـقول في خـبر طويل: من أصلح سريرته أصلح الله علانـيته، ومن عمـل لآخـرته كـفاه الله أمر دنياه. هـذه شهادة عادلة من صـادق لا يـكذب شفعت قوله تعـالى: ﴿ومن يتق الله يجعـل له مخرجـاً﴾[3]. ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[4]. فما بقي المطلوب بعد هـذا؟ اعلم أن من طلب الثواب قبل العمل خالف حـكم البـاري عز وجـل. قـال تعـالى: ﴿وجعلنا منهـم أئمة يـهدون بأمرنا لما صبروا﴾[5] فـإذا صبر الإنسـان ونصح استحـق من الخـالق الثواب، ومن المخـلوق الثناء، وفـاز[6] بأجـزل الجـزاء[7].

---

(١) في الأصل (لئن).

(٢) في الأصل (وصائبة).

(٣) سورة الطلاق، آية ٢.

(٤) سورة الطلاق، آية ٣.

(٥) سورة السجدة، آية ٢٤.

(٦) في الأصل (وفاق).

(٧) في الأصل (الأجزا).

وقد طال الشرح واقتضى رعى قرابته، وإيثار إجابته، وحفظ صحابته والسلام.

والحمد لله على كل حال من الأحوال والصلاة على محمد وآله خير آل.

تم الجزء الثاني من السيرة الشريفة المنصورية صلوات الله على صاحبها ورضوانه وبركاته وسلامه.

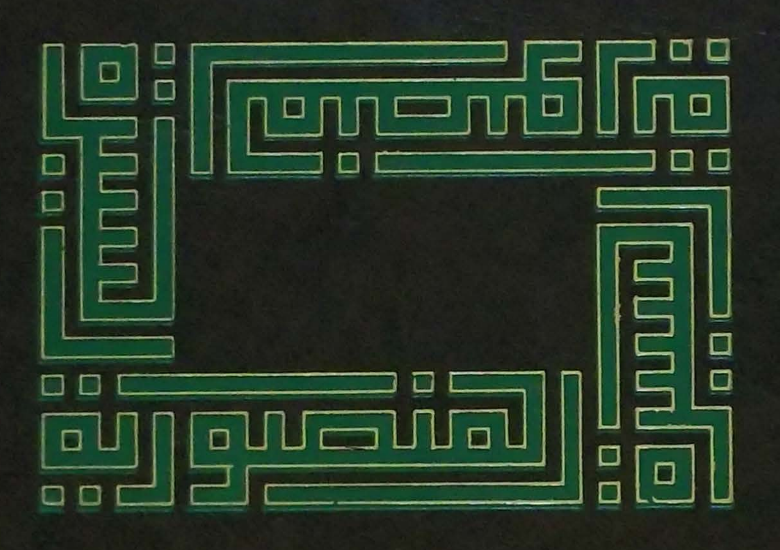
وفرغ من نساختها يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان الكريم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، غفر الله لكاتبها.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

السيرة المنصورية

تأليف

أبي فراس بن دعثم



تحقيق

الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي

المجلد الثاني

دار الفكر المعاصر

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة الشريفة المنصورية

سيرة الإمام عبد الله بن حمزة

الجزء الثالث

السّيرة الشّريفة المنصوريّة

سيرة الإمام عبد الله بن حمزة

٥٩٣ - ٦١٤ هـ

تأليف

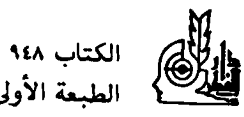
أبي فراس بن دعثم

تحقيق

الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي

الجزء الثالث

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان



الكتاب ٩٤٨
الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م

لبنان ـ بيروت ـ ساقية الجنزير ، خلف الكارلتون ، س . ت ٥١٤٩٧
ص . ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LT

محتويات الجزء الثالث

الخيل والرجال وانتشروا في اقطار المدينة وارتفع صراخ الصارخ تحت الهزيمة في اصحاب
الامير وتعقب في اخر الناس يحضهم على الصبر والقتال فلم يلوا احد على احد وقتل منهم عشر
رجال في حال الهزيمة فلما راى ما نزل بالناس من الفشل انحاز عنهم وقد علقت الخيل اسنا
الجبل وكادت تحول بينه وبين اصحابه وكان سريع العدو حسن الجسم فقاتلهم مستقبلا الخيل
ولم يثبتوا معرفته في حال انحيازه حتى صعد الى اصحابه ودافع الله تعالى عنه واستقام القتال
في ذلك الموضع وقد ملكوا المدينة وجعلوا المسجد مناظيرهم فاخربوها واخذوا ابا شبيلها
للزرع فاخذوه ولم يدعوا ممكنا من الضرر والاذى والافساد مدة اقامتهم وقتل من عسكرهم
اثنا عشر رجلا وفي خلال ذلك وصل محمد بن كرالي كوكان وهو امير من كبار الكرد الزرقية
وكان قد اظهر الخلاف على السلطان سنقر ومال الى صاحب الدملوه في خيل كثيرة وافسد
عليه في البلاد فلبث مدة هنالك وطال عليه الامد وخاف على نفسه فنهض في الخيل التي كانت
معه قاصدا الى الامام عليه السلام فتلقاه قوم من العرب وقد علموا خلافه على السلطان تحت
قبيل صيد فارادوا امتنعه فقاتلهم قتالا شديدا واستولوا على اكثر خيله ومتاعه وما بقي معه
الا ثماني افراس ونيف وعشرون راجلا من اصحابه واتى كتابه الى الامام عليه السلام يسأل
تسييره رجل من الشرف ليوصله اليه وحكى ما جرى عليه فبعث اليه الشريف هبة الله بن علي
بن المطهر العباسي العلوي فتلقاه الى بلاد بكيل ونواحيها وصحبه في طريقه وانسه ووصلوا
وقدموا الى كوكبان جميعا فبلغ العلم الى وردسار فغاظه ذلك وضاق به ولم يصدق بوصوله
حتى هبط الى شبام وبرز الى خارج المدينة وتلقاه قوم من الغز فطنوا له بالكردية واشتهر
معرفته وحكى انهم عرضوا عليه السلام الصلح وبذلوا له المال فكره ونهض وردسار الى صنعا
ونهض ابن كر للقدوم الى الامام عليه السلام فخلع عليه الامير عماد الدين وعلى بعض اصحابه
وكانوا قد وصلوا بحالة عراة وكان قدومهم الى حوث لاربع من شوال وتبعهم عشرون بين
فارس في اربعة عشر رجلا ممن كان بالدملوه فاحسن اليهم الامام عليه السلام وتلقاهم بما
هو اهله من الانصاف والانعام وجعل ابن كر مقدما عليهم واميرا فيهم وقدم له ثمانية افراس
من جياد الخيل وعشرين نصفية من بز العراق واربعة ابراد حبرة من ابراد جهة وسائر
منشور بتقديمه واشادة ذكره لتشيع ذلك ويظهر فيرغب الجند الذين بصنعا في الاياب
اليه وان يجعل له ولمن ينضاف اليه سهمة معلومة لتطمئن نفوسهم بها فكتب لهم منشور
بذلك وقرى في الجامع الشريف بحوث

قصة حصن ظفار واسباب عمارته وما يتصل بذلك

لما عاد وردسار من حرب شبام وخرابها الى صنعا
ولبث بها عشرين يوما وخرج منها الى زبيد يريد الظاهر فلما حط بريده اتاه قوم من بني
زهير مطلوبون لهم ثار لهم عند اهل بياعه من الصيد وهم حي من همدان قتلوا منهم خمسة

وردوا

يقومون لله تعالى ويحببهم مشتغلون في بلدهم لا يخطر احد منهم بباله ان احدا يصل اليهم
ولا يسطو عليهم فلما وصل الامير الى حصن ضم جبلة وهي تزيد الى الاربعين ورجاله ومن انضاف
اليهم من كل جهة ونحو من مائة وثلثمائة ونحو حمية واجتمع معه منها حماية راجل ونهض
يوم الاربعاء الثالث وعشرين ليلة خلت من رجب من سنة ثلاث وستمائة واجتهد فنزل
الحصن فاصبح سهل ظلمته قال فاردنا الحفظ على موضع يسمى صرب الحاكم فدخل صاحبه في
الطاعة وسلمه ولده رهينة فيها بيد الامير وبعث الى اهل صور يلتمس منهم ضيفة للعسكر
او صحبة فتمردوا واشتغلوا وازدادوا في اظهار المنكرات من لغة واستخفافا بالحق واهله فجمع
الامير عسكره وابلغ في وعظهم وتذكيرهم بالله تعالى وحضهم على السكينة والوقار والعمل بالصبر
في الايراد والاصدار واتباع امره في الحرب والامساك وحرضهم على الجهاد والصبر على الجلاد
فامتثلوا امره وانقادوا لحكمه

. . . .[1] الخيل والرجال، وانتشروا في أقطار المدينـة وأزقتهـا. وصرخ الصارخ، وحقـت الهزيمة فـي أصحاب الأميـر. وتعقـب في آخـر الناس يحضهم على الصبر والقتـال، فلم يلـو أحد على أحد، وقتـل منهم خمسة رجال فـي حال الهزيمـة. فلما رأى ما نـزل بالنـاس من الفشل

---

(١) بداية هذا الجزء مبتور، ولكن يبدو أن ما فقد من الأوراق قليل جداً ربما لا يتجاوز الورقة الواحدة.

وإذا استعرضنا ما دون في كتـب التاريخ التي نقلت عـن السيرة نجد أن هذه الكتـب لم تذكـر بعـد حادثـة مقتل الأمير إبراهيم بن حمزة إلا إشارة عابرة عن استيلاء الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة على حصن بكر، ثم تنتقل إلى الحديث عن مهاجمة وردسار لمدينـة شبام، والتي هي بداية هذا الجزء. وقد جـاء في هذه المصادر ما يلي: «وفي هذه السنة خرج وردسار إلى شبام تارة أخرى، فدخله وأخربه خراباً مجحفاً، وتحول الأمير يحيى بن حمزة وأصحابه إلى الجبل الذي داخل المدينة بعد حرب شديد. وكـان الغز قد حالوا بينه وبين الجبل، فركض جواده حتى لحق بأصحابه سالماً، وكان فارساً شجاعاً مقداماً لطيف الجسم».

يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، ورقة ٦٧؛ غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٨٥؛ ابن حاتم، السمط، ص ١٠٨.

انحـاز عنهم وقـد بلغـت الخيل أسناد[٢] الجبل، وكادت تحـول بينه وبيـن أصحابه، وكان سريـع العدو، خفيف الجسـم، ففاتهـم سبقاً إلى الجبل. ولـم يتيقنـوا معرفتـه في حـال انحيازه حتـى صعد إلى أصحابـه ودافـع الله تعالـى عنـه، واستقام القتـال في ذلك الموضـع وقد ملكوا المدينـة، وجعلوا المسجـد وراء ظهورهـم فأخربوها خراباً شنيعـاً. وعـاودوا للـزرع فأخـذوه، ولـم يدعـوا ممكناً من الضـرر والخراب والفساد مدة إقامتهـم، وقتـل من عسكرهـم اثني عشر رجلاً.

وفي خلال ذلك وصل محمد بن كز إلى كوكبان ـ وهو أميـر من أمراء الكـرد اليرقشية ـ وكان قـد أظهر الخلاف على السلطان سنقـر ومال إلى صاحـب الدملوة في خيل كثيرة، وأفسـد عليه في البلاد. فلبث مدة هنـاك، وطال عليـه الأمـد، وخـاف على نفسـه فنهـض فـي الخيل التي كانت معـه قاصداً إلى الإمـام عليه السلام؛ فتلقـاه قوم من العـرب وقد علمـوا خلافه على السلطـان تحت نقيل صيد، فأرادوا منعـه فقاتلهـم قتالاً شديداً، واستولـوا على أكثـر خيله ومتاعـه. وما بقي معـه إلاّ ثماني أفراس، ونيف وعشرون راجلاً من أصحابـه.

وأتـى كتابه إلى الإمـام عليه السلام يسأل تسيير رجـل من الشرفـاء ليوصله إليه ـ وحكـى ما جرى عليه ـ فبعث إليـه الشريف هبة الله بن علي بن المظفَّر العبّاسي العلوي. فتلقـاه إلى بلاد بكيـل ونواحيها، وصحبـه في طريقه وآنسه بوصوله، وقدموا إلى كوكبان جميعاً.

وبلغ العلم إلى وردسار فغاظـه ذلك وضاق به، ولـم يصدق بوصولـه حتـى هبط إلى شبـام وبرز إلى خـارج المدينة. وتلقـاه قـوم من الغز

---

(٢) السند: ما ارتفع في قبل الجبل أو الوادي والجمع أسناد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سند.

فرطنوا له بالكردية وآسوه[١] معرفة. وحكى أنهم عرضوا عليه السلام والصلح[٢]، وبذلوا له المال فكره.

ونهض وردسار إلى صنعاء، ونهض ابن[٣] كز للقدوم إلى الإمام عليه السلام، فخلع عليه الأمير عماد الدين وعلى بعض أصحابه، وكانوا قد وصلوا رجّالة عراة. وكان قدومهم إلى حوث لأربع من شوال، وتبعهم عثمان بن يُحت - فارس - في أربعة عشر رجلاً ممن كان بالدملوة، فأحسن إليهم الإمام عليه السلام، وتلقّاهم بما هو أهله من الإنصاف والإنعام. وجعل ابن[٤] كز مقدماً عليهم، وأميراً فيهم. وقدم له ثماني أفراس من جياد الخيل، وعشرين نصفية من بز العراق، وأربعة أبراد حريرية من أبراد حجة. وسأل منشوراً بتقديمه وإشادة ذكره ليشيع ذلك ويظهر فيرغب الجند الذين بصنعاء في الإتيان إليه. وأن يجعل له ولمن ينضاف إليه سهمة معلومة لتطمئن نفوسهم بها. فكتب لهم منشوراً[٥] بذلك، وقرىء في الجامع الشريف بحوث.

قصة حصن ظفار[١] وأسباب عمارته وما يتصل بذلك:

لما عاد وردسار من حرب شبام وخرابها إلى صنعاء لبث[٧] بها

---

(١) آسوة أي أصابوه. تقول العرب آس فلاناً بخير أي أصبه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أسا.

(٢) في الأصل (الصلح).

(٣) في الأصل (بن).

(٤) في الأصل (بن).

(٥) في الأصل (منشور).

يقع حصن ظفار ما بين: ٤٠ ٥٩ ١٥° شمالاً، ٢٥ ٠٩ ٤٤° شرقاً. على بعد ٣٥٠٠ متراً شمال شرق ذيبين.
خريطة الجمهورية العربية اليمنية، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1.

(٦) في الأصل (فلبث).

عشرين يوماً، وجهز مخرجاً إلى ريدة يريد الظاهر. فلما حط بريدة أتاه قوم من بني زهير يطلبون نقم ثأر لهم عند أهل يناعة[1] من الصيد وهم حي من همدان قتلوا منهم خمسة رجال بشيخ منهم يقال له علي بن ستر، وبذلوا له مالاً. فنهض مغيراً في العسكر فأحاطوا بالقرية، ووقع قتال، فمنعهم أهلها، وردوهم عنها. فقصدوا موضعاً لهم يسمى سودان[2] فأخذوه، وقتلوا من كان فيه. وعادوا جهة البون فحطوا بموضع يقال له بيت ذانب[3] يريدون الظاهر، وطلع من خيلهم جريدة فيها أسد لعنه الله وهو ممن شرك في دم الشهيد إبراهيم بن حمزة رحمه الله فأخذوا موضعاً يسمى درب اللومى[4] مما يصالي أوطان بني صريم وانتهبوا ما فيه، وصدروا راجعين إلى محطتهم. وتلاحقهم قوم من بني صاع ـ من آل يزيد حي من مرهبة ـ وقد هبطوا النقيل، فقتلوا رجلاً من

(١) يناعة قرية من عزلة خميس حرمل، ناحية ريدة، وتقع ما بين:
٣٩ ٥٤ ١٥° شمالاً،
و٥٠ ٠٥ ٤٤° شرقاً على بعد ١٢ كم شمال شرق ريدة.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣١٥؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1.

(٢) سودان قرية من عزلة بني جبر ناحية ذيبين، وهي على بعد ٥ كم جنوب ذيبين.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ٢ ص ٥١٧؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣١٠؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1.

(٣) بيت ذانب قرية من عزلة عيال يحيى، ناحية جبل عيال يزيد، وتقع على بعد ١٣ كم غربي ريدة.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣٠٨؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B 2.

(٤) اللومي قرية من عزلة عيال يحيى، ناحية جبل عيال يزيد على مسافة ١٥ كم غربي ريدة.
التسميات الإدارية لعام ١٩٨٥، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣٠٧؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B 2.

الغز قيل إنه حامل رأس الشهيد إبراهيم إلى مخلاف اليمن وأخذوا بغلته. وتبعوا أسداً فترجّل عن فرسه ونجا هرباً بنفسه، وأخذوا فرسه. وانكشف الناس من ظاهر بني صريم، ومالوا بأنفسهم وأموالهم وتعطلت البلاد.

وجاء الخبر إلى الإمام عليه السلام وهو بحوث بطلوع الغز إلى ظاهر بني صريم، فاضطرب الناس وأتوا إليه يأخذون رأيه في التميل، فلم يمنعهم. فخرج كل منهم إلى جهة. وركب الإمام عليه السلام في خمسة وعشرين فارساً قاصداً جهة العدو وقد صارت البلاد معطلة من أهلها. وأمر الأمير محمد بن كز بالوقوف في حوث بالخيل التي معه.

وبلغ العلم إلى وردسار بنهوضه عليه السلام ـ وله الجواسيس عليه والعيون ـ فنهض [من](1) محطته راجعاً إلى ريدة في اليوم الذي نهض فيه الإمام عليه السلام. ولم يستقر به القرار بريدة، فتقدم إلى شق الخشب خوفاً من البيات.

وحكى لي رجل من الصيد كانوا قد أسروه قال: كنت في خيمة السلاح مرسماً عليَّ، فكان إذا ذهب جانب من الليل حطوا خيامهم جميعاً وشدوا الرحال، وأمسيت على ظهور الإبل والغز على ظهور الخيل من شدة الخوف؛ فإذا طلع الفجر نصبوا الخيام وحطوا الرحال. وما زالوا على ذلك حتى عاودوا إلى صنعاء، ولم يحدثوا حدثاً ولا نالوا طائلاً.

ولما أمسى الإمام عليه السلام بقرية دنان(2) والبلاد خالية من

---

(1) ما بين الحاصرتين إضافة.

(2) دنان بفتح الدال والنون المشددة، قرية من عزلة دنان، ناحية العشة قضاء خمر. =

أهلها، أتـاه صبح تلك الليلة قبائل بني حيان[1] فسألوه القدوم إلى بلادهـم، فأسعـف سؤلهم، ونهـض إلى جهتهم. وبلـغ العلم بمـراح وردسار إلى صنعـاء، ففـرح الناس، وأتـى كـل بالبشارة مـن كل جهة. فنظـر عليه السلام في أحوالهـم وما قـد اعتراهم مـن الخوف والذلة، وتفـرق الأهـواء، وتشتت الآراء. وكـان ممن حضـر مجلسه الأميـر صفي الدين محمد بن إبراهيم، والشيخ عزوان بن أسعد السريحي في جماعـة من الأشراف والحاشية. وجـرى الكـلام في ذلك وفي أن النـاس لا يجدون موضعاً يمنعهم ويلجؤون[2] إليـه عند حركـة العدو إلى البـلاد، فذكـروا قلعة الإمـام أبو الفتح بن الحسين الحسني الديلمي[3]. وكـان الإمـام عليه السـلام قد هَمّ بعمارتها، وطاف إليها من شوابة، وأتاها وجه عشي[4]، ولم يصعـد أعلاها، ولا تأملهـا حـق التأمـل؛ ونظر إلى الأكمـة التي في المغربـة في عدنهـا متصلة بأعلاهـا، فعـاد وقد أضرب عـن عمارتهـا. ولم يخطـرها بعد ذلـك بباله حتـى جـرى ذكرها في ذلـك

= التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعـاء، جـ ٢ ص ٤٣٤؛ الحجري، مجموع بلدان اليمـن، جـ ٢ ص ٣٣٢.

(١) ذو حيان من قبائل مرهبة، ناحية ذيبين.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٠١.

(٢) في الأصل (يلجئون).

(٣) الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح الحسين بن ناصر بن محمد. . . . ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، وصل إلى اليمن قادماً من بلاد الديلم. وكـان قيامـه سنة ٤٣٧ إلى أن قتلته جيوش الصليحي في سنة ٤٤٤ هـ.
انظر، عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٢٤٦؛ ٢٥٠؛ الخزرجي، العسجد، ص ٥٥؛ زبارة، مباحث دينية، ص ١٢٦. مؤلف مجهول، الحدائق في أخبار ذوي السوابق، ورقة ٥٣.

(٤) تعاشيت عن الشيء تغافلت. والعشوة ركوب الأمر على غير بيان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عشا.

المجلس، فأحب الجماعة طيافها. ورأى الإمام عليه السلام إعادة النظر فيها، وكان عزوان بن أسعد من أشدهم عناية في أمرها، وكان قد طلعها وعرفها. فأجمع الرأي على القدوم إليها، فنهضوا في الحال حتى أتوها. وترجل الإمام عليه السلام وصعد أعلاها، وطاف أقطارها، وأنعم النظر في أمرها، فشاهد من المنعة والحصانة ما نقض ذلك الاعتقاد مع كونها في أوساط الجبال. فعاد منها وقد عزم على إثارة العمارة فيها، وأمر في الحال بإثبات ما يحتاج إليه من آلات العمارة، وجعل أمر العمارة المباركة فيها يوم الاثنين لعشرين ليلة خلت من شوال من سنة ستمائة.

وعاد الإمام عليه السلام إلى حوث، فأمر باستعمال الآلات من الحديد وغيره، وحمل الطعام للعمال، ولبث ثمانية أيام حتى أهب[1] ما يحتاج إليه. ونهض معه الأميران عماد الدين يحيى بن حمزة وصفي الدين محمد بن إبراهيم، وطائفة من الشرفاء، ومن يختص به من الأولياء والحاشية. ومنهم من لم يكن حاضراً يوم طافها عليه السلام، فاستشارهم فيما قد عزم عليه، فمنهم من صوّب رأيه، ومنهم من توقف. وكان رأيه عليه السلام أصوب، ونظره أثقب. فشمر عن ساق الجد، وبذل الأموال وأكثر، ووقف بالحصن وسماه ظفاراً، فكان اسماً موافقاً لمسماه. فما أسرى منه سرية، ولا جهز عسكراً إلا كان الظفر قرينه، والنصر خدينه. فأقام بها ثلاثة أشهر وستة عشر يوماً.

وابتدأ بالعمل في موضعين، أحدهما السور فقطعت له الصخور

---

(١) أهب: بمعنى أعد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أهب.

الكبار، واستمرت العمـارة فيه، والثانـي حفـر الخندق ما بين الأكمـة والحصن وكانت متصلة به.

وكـان الإمام عليه السلام يحفـر بيده ويعين علـى تقليب الحجـارة بنفسـه، ولا يستقلّ القليل مـن العمـارة رغبةً فيمـا عند الله، وتعريضاً لثواب الله ومـا يرجـوه من إعـزاز الدين ودفـع الشر عن المسلمين. وإذا أطلق العمـار آخـر النهار أتى بمـن ينضـاف إليه من أصحابـه للعمـل إلى ذهـاب جانـب من الليل، وكـان مما يرتجز بـه في حال العمل:

تمسية لنا مع الغروب.
تذهب بالأحزان والكروب.
وتؤذن الفساق بالهروب.
رموا بداء غير ذي طبيب.
ينصرنا مقلب القلوب.
على ولاة الظلم والعيوب.

ومنها:

لا يستوي من يكسب المكارما.
ويحمل الأثقال والعظائما.
ومن يكون في الحروب نائماً.

ومنها:

لا يستوي من يركب الصعابا.
ويضرب الهامات والرقابا.
ويفتح الأقفال والأبوابا.
ومن يكون وعده سرابا.
ومن إذا دعا الخنا أجابا.

ومن رجز أصحابه إذا شرع في العمل.

لئن قعدنا والإمام يحفر.

فذاك منا عمل مخسّر.

وبلغ العلم بعمارة الحصن إلى وردسار فشقّ ذلك عليه، وعظم عنده، واجتهد في تعطيله. وخرج من صنعاء في عسكر كبير في ذي القعدة فحط بحدقان[١] أياماً، فتودى إليه أهل مطرة والبو وما يتصل بهما. وقدم إليه جماعة ممن حضروا[٢] مقتل الشهيد إبراهيم بن حمزة رحمه الله؛ كما حكى ذلك الحسن بن ناصر العذري في كتاب كتبه إلى الإمام عليه السلام قال: وصل منهم رجل يسمى منصور بن زياد يطلب المادة من الغز فقتلوه، وأضرموا النار على رأسه؛ ومنهم علي بن عطاف من آل حسان[٣]، سابق جماعة من الغز على فرس له فدُقّت عنقه؛ ومنهم رجل يسمى عامر بن سليمان غُزِيَ في بلده، فقتل رجل من أصحابه، وأخذت له درع حصينة وقتل حاملها إليه، وأُخذ له قدر مايتي كيلجة[٤] طعاماً. وغزا يريد نقم الثأر من عدوه، فَقُتل رجل من أصحابه، وراح على أشر قضية، وصار خائفاً في منزله لا يخرج منه.

---

(١) حدقان مدينة أثرية خربة في آخر الرحبة من بلاد بني الحارث، شمال صنعاء. الهمداني، الإكليل، جـ ٨ ص ١٤٩؛ صفة جزيرة العرب، ص ١٥٧؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٢٦.

(٢) في الأصل (حضر).

(٣) حسان: اسم يطلق على بلاد عزلة شعب، وعزلة هزم، وعزلة الثلث، في ناحية أرحب. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٦٥؛ انظر: التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ١٨٤، ص ١٩٠ - ١٩١، ص ١٩٤.

(٤) الكَيْلَجَةُ مكيال، والجمع كيالج وكيالجة. ابن منظور، لسان العرب، مادة كلج.

ونهض وردسار من محطته بحدقـان حتـى أتـى قريـة عجاز[1] فهدمها، ثم قصـد بلاد بنـي زهير. وبلـغ علمـه إلى الإمـام عليه السلام وهو بحصـن ظفار، وقد حـط بناعط[2] وأهلها آمنون إليه مطمئنـون من جهته غيـر خائفين مـن جنبته لكونهـم بزعمهم مـن جملتـه. فعـزم علـى أخذهـم وقبـض أموالهم، وخراب منازلهم، فأتـاهم النذير فانهزموا من تحت الليل بأنفسهم وكراعهـم. وأحـاط علـى ما حوت البيـوت، وأنهبه العسكر وأخربهـا، وأراد القدوم إلى بلاد بني زهيـر ليفعـل فيها كما فعـل في غيرها. فجهّز الإمـام عليه السلام رجالاً من الديوان، ومن حضر من الأعـوان صحبة الأمير صفيِّ الدين محمد بن إبراهيم لحفـظ جبل بني زهير، وحفـظ كلمة أهله ومنابذة العدو دونه، فتقدمـوا إلى الجبـل، وفـرق الإمـام عليه السلام الكتب إلى الجهات يستنفر النـاس إلى جبل بني زهيـر للجهـاد في سبيل الله.

فلما علم وردسار انتقض ما بنى عليه وعاد إلى صنعاء ناكصاً على عقبه، فلبث بها واشتغل في دار أحدثها، فأخرب أكثر دور صنعاء

---

(١) عجاز قرية من عزلة بني حكم، ناحية أرحب، قضاء صنعاء. وتقع ما بين: ٠٥ ٤٤
١٥° شمالاً،
٠٥ ١٨ ٤٤° شرقاً.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص١٨٦؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 4.

(٢) ناعط قرية أثرية من عزلة خميس القديمي، ناحية ريدة.
وتقع ما بين:
٤٩ ٤٦ ١٥° شمالاً،
٤٩ ٠٧ ٤٤° شرقاً على بعد ١٠ كم جنوب شرق ريدة.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص٣١٤؛ خريطة ج. ع. ي، مقاس ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1.

لعمارتها. وقيل ذكر ذلك في مجلسه وكثرة الخراب في المدينة، فقال: لأخر بنّ صنعاء حتى يقال: تولّاها كرديٌّ فأخربها وما أبقى لها أثراً! ولم يحدث حدثاً بعد هذا المخرج حتى وقع الصلح بينه وبين الإمام عليه السلام، وسنذكره في موضعه إن شاء الله عقيب ما قيل من الأشعار وذكر فيها حصن ظفار حماه الله تعالى، وأعز به الإسلام والمسلمين. فمن الأشعار ما أنشد الحسين بن عزوى العصيفري قال:

أبت إلا قلى بيض العذارى ... لبيض في المفارق والعذاري
لوين سوالفا[1] عنا وكانت ... تلاحظنا بأعيان الصوار[2]
فمن ثغر الأقاح لها ثغور ... ومن ورد الخدود وجلنار
وقد زرع الشباب الغض فيها ... بماء الحسن أنواع الثمار
يذكرني الحجاز على مداه ... ضياء نجد ومنتسم العرار[3]
فأوعدني الوصال على تناء ... وما دنت الديار من الديار
وعيس هزنا شوق عليها ... إلى سوح الإمام إلى ظفار
إلى تاج المكارم والمعالي ... إلى زاكي العناصر والنجار
سليل الطهر حيدرة المسمى ... أبي السبطين من سلفي نزار
عمرت ذراه بين ذرا بكيل ... ولاة المجد أرباب الفخار
وذيبان هنالك عن يمين ... وسفيان العريضة عن يسار
ومرهبة لها قدم وصدق ... وهم فيها كواكبها الدراري

---

(١) السالفة: أعلى العنق، وقيل مقدم العنق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلف.

(٢) الصُّوارُ والصِّوَار: القطيع من البقر والعدد أَصْوِرَةٌ والجمع صِيران.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صور.

(٣) العرار: بَهارُ البر، وهو نبت طيب الريح، ويقال هو النرجس البري.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرر.

وإن كانت بكيل معاً خياراً ... فمرهبة الخيار من الخيار
دعا بك مسور[1] ودعا حقيل[2] ... معاً والمعجلى[3] إلى مسار[4]
فخذها من يريم[5] إلى تريم[6] ... وواصل من ظفار إلى ظفار
لزمنا من مودته بحبل ... متين غير ذي عقد معار
فما يخشى نوائب ريب دهر ... وإن شنّ المغار على المغار
يصم عن القبيح كأن وقراً ... وذاك الوقر من قبل الوقار
وأرعبت البناة بما تعانى ... يمينك من ملامسة الحجار

---

(١) مسور إحدى نواحي قضاء صنعاء، وفي شمالها سلسلة جبال مسور وقرية مسور. وتقع هذه الناحية ما بين ناحيتي ثلا وبني العوام. ومسور واد وعزلة في بلاد خولان العالية.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ١٤٥ ـ ١٦٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٠٨؛ خريطة ج.ع.ي ١ : ٥٠٠٠٠٠، صفحة 1543 B 3.

(٢) حقيل من أرض عيان في مغرب همدان.
مسلم اللحجى، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٣٣٩.

(٣) ربما يكون المقصود (المطحلى) وهو قاع في بلاد القحرى من أعمال تهامة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧١٠.

(٤) مسار بفتح الميم والسين، قرية وعزلة في ناحية مناخة وبني إسماعيل قضاء حراز. وبها حصن مسار المشهور الذي يطل على مدينة مناخة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٣، ج ١ نفس الصفحة، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤، ص ٧٠٧؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٤٢ ـ ٤٤.
خريطة ج.ع.ي ١ : ٥٠٠٠٠٠، قطعة رقم ١.

(٥) يريم بفتح الياء وكسر الراء، مدينة بقضاء يريم، تقع على بعد ٢٨ كم جنوب مدينة ذمار.
التوزيع السكاني في محافظة إب، جـ ٢ ص ٢٤٩ وما بعدها. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٢ ج ١؛ خريطة ج.ع.ي ١ : ٥٠٠٠٠٠ قطعة رقم ١.

(٦) تريم قرية قديمة كبيرة بحضرموت بتاء مثناة من فوق مفتوحة وخفض الراء ثم ياء مثناة من تحت ثم ميم.
الجندي، السلوك، جـ ١ ص ٤٠٥، الهمداني، الإكليل، جـ ٢ ص ٤٧.

إذا ما صخرة أعيت عليهم تشق بقدرة من غير نار
عمرت لما عمرت وأي حصن يلوذ بظله قار وقاري

وللقاضي عليٍّ بن نشوان:

أبرق بات في جنح الظلام بُعيد اللمع يومض بابتسام
كأن سناه نار في هشيم سرت أو لمع هندي حسام
نضاه[1] في الهياج كمى ريح بجيش من بني حام لهام
شعرت به وقد هدأت عيون ونال جفونها سكر المنام
فبت أخيله والليل داج إذا ما لاح في رمد الغمام
وقست مداه من حيدان وهنا على بعد المفاوز والموامى
فبات مياسر الحيين يسري إلى ثربان[2] في تلك الأكام
إلى ما فرط خرفان مجيزا بمنقله إلى حصن الإمام
محل اليمن حيث يعز ثأر ويأمن ساكنوه أذى الطغام
توسمه إمام العصر حرزا وحرزا لا يبيد على الدوام
يلوذ المسلمون به جميعاً إذا فزعوا لذي النوب الجسام
ألا يا برق هجت لي اشتياقا حشى الأحشاء من لذع الغرام
وأرقني وأقلقني وأزكى بقلبي جذوة فالقلب دامى
أَلُحْتُ يمانياً ونأيت داراً فكيف جرحت قلباً بالشآم
مُعَنًّى في الحياة بحب مولىً كثير الميل عن طرق الأثام

---

(١) نَضا الفرس الخيل نُضِياً سبقها وتقدمها، ونضا السهم: مضى. ابن منظور، لسان العرب، مادة: نضا.

(٢) الكلمة تقرأ ثربان، وثريان. وثربان من أودية مسور بخولان العالية. وثريان وطن بنو علي، قبيلة من زهير من أرحب.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ج ٥ ص ١٥٥؛ الأكوع، البلدان اليمانية، ص ٦٠؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٦٧.

لئن أمسى مقيماً في ظفار فإن القلب في ذاك المقام
كلفت بوده وبرئت ممن يخالفه ويعلن بالملام
ولِمْ لا أرتضي مولى زكيا نقي العرض من دنس وذام
إماما من بني الزهراء برا تقيا لا يرخص في الحرام
شريف الفعل من أصل شريف كريم النفس من نفر كرام
يعد محمداً جداً ويعلو بحيدر من يفاخر أو يسامى
أولئك معشر شَرُفوا وطابوا فهم أعلا الأنام لدى الأنام
يزور بيوتهم جبريل دأباً بآي الوَحْي والسور العظام
فقل لِمُفاخريهم لا تلجوا فليس يُقاسُ خُفٌّ بالسنام
ولا نجم السها[1] فيما علمنا يفاخر بالضيا بدر التمام
فداموا كابتين لكل ضد يهينون المعاند باهتضام
ودام لنا ابن حمزة ركن عز منيعاً لا يعارض بانهدام

وللشريف الأجل يحيى بن مكنى بن حمزة بن عبد الله بن محمد بن القاسم جعفر بن القاسم بن علي عليهم السلام.

شبابي جنون والمشيب وقار وشعري ليل لاح فيه نهار
تبسم فجر الشيب في ليل لمتي[2] فأشرق منه عارض وعذار
ترامى به وخط[3] القير[4] كمثل ما ترامى بمضروم النيار شرار

---

(١) السها: كويكب صغير خفي الضوء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سها.
(٢) اللِّمَّةُ: شعر الرأس، إذا كان فوق الوفرة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لمم.
(٣) الوخط: فشو الشيب في الرأس. ووخط فلان إذا شاب رأسه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وخط.
(٤) رسم الكلمة غير واضح، وربما يقصد الشاعر بكلمة (القير)، الشعر الأسود.

وما حسن روض الجرن إلا إذا اكتست بـأزهـاره مـنـه ربـا وقـرار
إذا آبيَضَّ فَوْد[1] المرء يوماً فإنه لما آبيضَّ من ضمن الفؤاد شعار
ولا خير فيمن شاب شعراً ولم يكن له الخيرُ من دون الدِثار شِعارُ
أرى البيض بيض الغانيات لشربها من البيض بيض العارضين نفار
ولم تدر أن لولا بياض خدودها لمـا كان منهـا للقلوب إسارُ
ولولا فريد الدر فوق نحورها يلوح لجين فـوقـه ونـضـار
ولا كان فيها للزبرجد وحده بهاء ولا حسن إليه يشـار
كذلك لولا الشمس يشرق نورها على البدر لم ينفك منه شرار
وآيتــه ممحــوة غيــر أنــه نقـاً ويكسى نَـوْرُهُ ويُـعَـارُ
ولا غرو إمَّا شاب شعري فإنما لدهري أصناف الخطوب مدار
وقد طال ما جربت دهري وأهله فخانت تجاربهم[2] وساء سبار[3]
وما الناس في ذا الدهر إلا عقارب «و[إلا]»[4] الأفاعي تدب كبار
يداجون بالقول الجميل وتحته رحا كيدهم بـالداهيات تدار
لجـارهم ممـا يعـاشـر منهم ويخبر من سوء الجوار جوار
وكم واحد[5] صافيت منهم مماذقا[6] ووافيت منهم من وفاه خسار

---

(١) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فود.
(٢) في الأصل (تجارب).
(٣) السَّبْرُ: التجربة. وسبر الشيء سبرا: حزره وخبره. والسبر: استخراج كنه الأمر.
ابـن منظور، لسان العرب، مادة: سبر.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة.
(٥) في الأصل (وإني).
(٦) المماذقة في الود ضد المخالصة، ومزق الود: لم يخلصه. ورجل مماذق: غير مخلص.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مذق.

وداريت منهم من تداني دياره دياري ومن لم تدن منه ديار
وعاجمتهم[1] فارتحت حين عجمتهم وقد علموا أني عدلت وجاروا
هل الليل إما جن يدريك ما به يجن فؤاد في حشاه أوار
أم النجم إما لاح يرثي لساهر يساهره أم ذا الوقوف ضرار
لقد حار فكري فيه إذ حار واقفا لآية ما حال أراه يحار
حدى بالكرى حادي السرى في قطاره وعرض منها في السماء قطار
وركب إذا ما الليل حارت ركابه سروا واستهروا مسأدين[3] فساروا
تشكي المطي العنف منهم وأنهم أكلوا عليها بالكلال وجاروا
أمال الكرى الكرى أعناقهم فكأنما أديرت عليهم أجمعين عُقار[4]
تمطى بهم أجواز كل تنوفة[5] مهارى على بر السرى ومُهَارُ
تقدمت إيعازاً إليهم فقلت والـ ـمطى بأثقال الرجال تثار
وقد رفع الحادون صوتاً بذكر من تشد رحال نحوه فيزار
سروا[6] يا أمير المؤمنين فقاربت تطير اشتياقاً لو يتم مطار
تؤم من المجد المؤثل والعلا مناراً ومن فوق المنار منار
وتقصد في حال السرى العلم الذي تلوح عليه للهداية نار

---

(١) عَجَمْتُ الرجل إذا خبرته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عجم.
(٢) في الأصل (يدري).
(٣) الإسآد: سير الليل كله لا تعريس فيه. وقيل: إلا سآد أن تسير الإبل بالليل مع النهار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سأد.
(٤) العقار: الخمر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقر.
(٥) التنوفة: القفر من الأرض، وقيل البعيدة الماء. والتنوفة هي المفازة.
ابن منظور لسان العرب، مادة: تنف.
(٦) في الأصل (شدوا).

وغـايتهـا منصــور آل محمـد — مـظفـرهــا والمستنـاخ ظفــار
فتلقى عصا التسيار ثَمَّ مريضةً — لدى ملك ضخم إليه يسـار
هلموا فهاكم من ثنائي ألوكةً[1] — بهـا الدر منـظوم بهـا ونثـار
وإمَّا مررتـم بالريـاض فدونكم — خذوا غصن ما منه النسيم يمار
فـأهدوه مـولانا الإمـام تحيـة — بها الند[2] والعود الرطيب يثار
وطوفوا على ناديه منه بمثل ما — يقسم من أرج القسيم تجار
أسيدنا المنصور والقائم الذي — له شرف سامي السنا وفخار
لك الله أما الطرف بعد فراقكم — فمـاء وأما القلب بعـد فنـار
وأما ودادي ما بقيت فخالص — وإن نزحت أرض وشط مزار
ولولا أمور لم تغب عنك لم يكن — لقلبـي على نار الفراق قرار
وقد ساءني الدهر الخؤون وآذني — فــوادح منـه لا تــزال كبـار
ومن لي على الحالات منك بنظرة — يكـون بها للحـاسدين صغـار
ودُمْ وابق في العز العزيز ولا تزل — لنا منك ملجأً صالح ومجار
ولا زال من آمـالنا ورجـائنـا — سـوابـح أطيــار إليـك تــزار

قصة الإصلاح والهدنة التي جرت بين الإمام عليه السلام وبين وردسار:

وكانت في المحرم أول شهور سنة إحدى وستمائة على رد حصن كوكبان. وكان أخذه من أسباب فتح الحروب واستمرارها، وتغازى العدو فيها مع قلة الانتفاع به، وسعة الإنفاق عليه، وانقطاع المواد من البلاد التي حواليه. وكان أهلها قد استبشروا وأظهروا المسرة بمصيره إلى الأمير

---

(١) الألوكة: الرسالة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ألك.
(٢) النِّدُّ والنَّدُّ: ضرب من الطيب يُدَخَّنُ به. ويقال للعنبر: الند. ابن منظور، لسان العرب، مادة: ندد.

عماد الدين لما كان قد أصابهم من الجور والنكال، واستباحة الأعراض، وأخذ الأموال. فأتى إليه من مشايخهم ومقدميهم[1] من جهة المغرب والمشرق جماعة، فالتزموا عن كل نفس بمد ودينار على القريب والبعيد، والضعيف والشديد باسم المعونة في شحنة الحصن والإنفاق عليه؛ وكان متعطلاً، وصدروا منه على ذلك.

وانتظرهم شهوراً متوالية فما أتى رجل منهم بمد واحد ولا درهم فرد مما ألزموه أنفسهم وأجمع عليه رأيهم. ومع ذلك ما تركوا الإلحاح في الطلب من الأمير عماد الدين؛ المادة لهم بالمال والكساء والكفايا والعطايا. وآتّسع النفاق[2] عليه وعلى سائر الحصون الثلاثة بكر وثلا وظفار مع مطالب الأجناد وفساد أهل البلاد. والعدو قريب الدار، لا يغفل عن أمره في ليل ولا نهار. مُرصِد للوثبة عليه مُجتهد في أخذه ببذل المال.

فلما بلغ الأمر إلى هذه الحال نظر الإمام عليه السلام في أمره، ووقعت المشورة في أحد أمرين إما خرابه والراحة على المسلمين من ضره، وإما رده إلى وردسار. وكان خرابه لا يتأتى لقرب العدو منه.

ولقد راجع الإمام عليه السلام الأمير عماد الدين في ذلك وأمره [أن][3] يجتهد في قوم من الروافض، وهم الذين علاجهم[4] الخراب، يعدهم بمال واسع ويحضرون لخرابه. فما تأتى ذلك، فرجع إلى الوجه

---

(1) في الأصل (ومقدماتهم).

(2) النِفاق بالكسر: جمع النفقة من الدراهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نفق.

(3) ما بين الحاصرتين إضافة.

(4) عالج الشيء: زاوله ومارسه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: علج.

الثاني ضرورة؛ وهو رده إلى وردسار على أن يسلم مالاً وبلاداً يستعان بهما[1] على دفع شره. فرجح الإمام عليه السلام الصلح والهدنة على الخراب، لأنه خشي أن يسرع في خرابه مع قوة العمارة التي عمرها سيف الإسلام في سوره، وتعطله من الشحنة ويصل العلم إلى وردسار فيأتي وقد انتفضت عزائم الديوان الذين به، فيكون ذلك سبباً لأخذه وتسليمهم له إذا يئسوا منه.

وكان قد أتى كتاب من الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح[2] يشير إليه بصلح ما بين الإمام وبين السلطان سنقر على يدي علي بن عبد الله بن عبد الوهاب، وكان صاحب الحل والعقد عنده، وكانت ولاية عدن إليه، والتصرفات في سائر البلاد من تحت يديه وعنده مفضل بن منصور بن أبي رزاح، فلم يكره أن يقع على يده لما يعلم من محبته في الإمام عليه السلام، وطاعته له، واعتقاده فيه. وسأل في كتابه تسيير رجل من الشرفاء إليه ليكون سبيل فتح الكلام في الصلح على يديه، ويكونان عوناً له على ذلك، فبعث إليه الشريف علي بن موسى العباسي العلوي، وأصحبه كتاباً إلى السلطان أنشأه في الحال. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، والحمد لله رب العالمين[3].

ولما وصل الشريف علي بن موسى إلى الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور أقام عنده أياماً، ثم نهضوا جميعاً حتى أتوا [   ][4] ودخل إلى السلطان، وألقى إليه الكتاب فقرىء عليه. وجرى الكلام في أمر الصلح

---

(١) في الأصل (به).

(٢) في الأصل (درداح).

(٣) كتب ناسخ المخطوطة في الهامش (كذا في الأم) أي أن الرسالة لم تذكر في النسخة التي نقل عنها الناسخ.

(٤) بياض في الأصل.

فيما بينه وبين الإمام عليه السلام، فطلب تسليم كوكبان وبكر جميعاً، ووجدوه بعيد المرام، واستعاد الشريف منه على غير شيء. وأشار الشيخ مفضل بن منصور بأن يكون الصلح على يد وردسار. وكان عزوان بن أسعد السريحي الصاعي حاضراً عند وصوله إلى ظفار، وعارفاً بالكلام أوله وآخره، شريك في الأمر، لا يحجب عن السر. فاستأذن الإمام لزيارة أهله ببيت مساك، فأذن له بالقدوم، فلبث هنالك أياماً. وكان صاحب نظر ورأي، وكاتب وردسار، وكان بينهما ألفة أيام إقامته عند الإمام عليه السلام، وطلب القدوم إليه متعرضاً لما يحصل له من نفع من جهته وهو يعلم مكانه عند الإمام، فأظهر المسرة بكتابه، ولم يكن في ظنه أنه يصل إليه لنفاره عن مواصلة الغز.

وعاد إليه جوابه يحضه على الوصول، وكان راغباً في صلح الإمام عليه السلام، وترجى أن يكون ذلك على يديه. فقدم إلى صنعاء بعد الإذن من الإمام عليه السلام من غير مواطأة في أمر الصلح. فلما قدم عليه بالغ في مناصفته والإحسان إليه، وأظهر المسرة بوصوله كما حكى ذلك عن نفسه، وأعطاه وخلع عليه. ثم جرى الكلام بينهما والعتاب في المثلة بإبراهيم بن حمزة رضي الله عنه، وقطع رأسه، والطيافة به في أسواق المدن، وذكره إحسان الإمام عليه السلام فاعتذر بأن الجند سبقوا عليه، وقدم مصحفين كانا بإزائه إلى بين يديه، وحلف بالله تعالى يميناً بالغة مؤكدة ما كان ذلك برضاه ولا إرادته. وأنه كان من أشقّ الأشياء عليه وأعظمها موقعاً عنده. وقال: لما جرى ما جرى علمت أنه قد انقطع ما بيني وبين الإمام فخشيت أن أمنع الجند ما فعلوه فأُتّهم عند السلطان. ثم فتح كلاماً في أمر الصلح، وابتدأ بذلك منه وقال لي: قد أتيت له؟ فأقسمت له يميناً بالله تعالى ما أُمرت له، ولكني لا أكره السداد فيما بينك وبين الإمام

عليه السلام، وتُغطى البلاد. قال: ووجدته راغباً في استرجاع كوكبان؛ فتقرر الكلام على أن يسلم خمسة آلاف دينار سبئية، ومن البلاد مطرة، وجانب من قرى الخشب، وبلاد حاشد، وبلاد بني زهير، وبلاد حصن ثلا من قرية حبابة فما خلفها، وبلاد حصن بكر وما يتصل بها، ونصف ما يحصل من مغارب كوكبان جميعاً، وصرم معه على ذلك.

وأتى إلى ظفار حماه الله، وحضر الأميران عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم فأجمع رأي الكل على نفاذ ذلك وتمامه. وبعثوا الشريف محمد بن حاتم العباسي العلوي إلى وردسار بنفاذ ما انعقد عليه الكلام بينه وبين عزوان بن أسعد، فلما وصل إليه بذلك بادر إلى توجيزه بعد أن خلع عليه، وأمر بتعديل الخمسة الآلاف الدينار بذمرمر عند السلطان الأجل جمال الدين الفضل بن علي بن حاتم حتى يسلم إليه كوكبان على ما وقع عليه الشرط، وأمر معه رجلين أحدهما من كتابه، والآخر من كبار الغز عنده لتمام الصلح، واستحلاف الأميرين عماد الدين، وصفي الدين على الوفاء والتمام.

وكان اللقاء في ذيبين[1]، واجتمع بشر كثير لما شاع الخبر بتسليم كوكبان. وعظم ذلك عند الناس، وكثر فيه القيل والقال. ووجد الروافض من الشيعة للطعن ميدان المحال، وأكثروا فيه الكلام، وأظهروه عند الخاص والعام، وقالوا إن الإمام قوَّى الظلم برد كوكبان. وحضر سليمان بن مفرح الضربوة في جماعة من مشايخ المغرب إلى ذيبين فيمن حضر، وأظهر الندامة على ما فرط منهم في تأخير ما كانوا قد ألزموه أنفسهم

---

(١) ذيبين قرية ومركز ناحية، على بعد ٢٠ كم شمال شرق ريدة. وتقع ما بين: ٤٠″ ٥٨′ ١٥° شمالاً، ٥٣″ ٠٧ ٤٤° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1.

من المعونة على كل نفس بمد ودينار، وسعوا في تأخير الصلح على تسليم شيء من المال، وغلب الظن أنهم لو سُوعدوا إلى تأخير الصلح لما سلموا شيئاً على ما جرت[1] به عادتهم، فرأى الإمام عليه السلام نفاذ الصلح وتمامه. وحضر الكاتب ومعه نسخة يمين الغز بالنذور وغيرها مما لا يجوز الحلف به فحذفه الإمام عليه السلام، واستحلف الأمير عماد الدين، وصفي الدين فحلفا على الوفاء ما استقام وردسار عليه، ولم يحدث منه ولا بسببه من الجند حدث، ولم يبق إلا تصدير من يستحلف وردسار على الوفاء بما شرط من نفسه فدعا[2] الإمام عليه السلام بدواة وقرطاس، وكتب في الحال يميناً نسختها.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

والله مكررة إحدى وعشرين مرة، وبعد ذلك الذي ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[3] وتكنّ الضمائر، السميع، العليم، العزيز، الحليم، الرحمن، الرحيم، الذي علمه بما ظهر كعلمه بما بطن، وإحاطته بما خفي كإحاطته بما علن. وإلا فعليَّ عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذ الله على نبي من أنبيائه من عقد أو عهد. وإلا فخرجت من حول الله وقوته إلى حول نفسي وقوتي، استعلاء على الله، واستكباراً عليه، وتحملت الحول والقوة من دون الله. أني من ساعتي هذه ووقتي هذا، قائم، وناهض، ومستيقظ، ومشمر في الوفاء والحظ والحياطة للإمام المنصور بالله، أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرائه، وأصحابه، وأجناده، وبلاده، وجميع متصرفاته. وكل

---

(١) في الأصل (جرى).

(٢) في الأصل (دعى).

(٣) سورة غافر، آية ١٩.

وقت حاولت نقض شيء من هذه الشروط، أو سبب من هذه الأسباب بتأويل، أو تحريف، أو إلحاد في نية أو ضمير فالله ورسوله المطالبان لي، والكفيلان على ذلك. والله تعالى المتولي لمحاربتي، وخذلاني، وإفرادي بنفسي، وحولي وقوتي من دون أن تلحظني منه رحمة، أو يمسكني من أسبابه سبب، أو يضفي علي من أستاره ستراً.

وعليَّ أيمان البيعة بحلالها وحرامها، وحجها وصيامها، وجميع شروطها. وكل مملوك لي فهو حر، وكل زوجة في عقد نكاحي فهي طالق، وكل مال أملكه فهو صدقة على فقراء مكة والمدينة.

وعليَّ لله عز وجل نذر لازم، وحق واجب إن نكثت في هذه اليمين، أو مالأت، أو أملأت، أو أسررت، أو أبطنت، أو أظهرت، أو كنيت، أو ألغزت، أو كتبت، أو أمليت بضرر على الإمام، أو على إخوته، وبني عمه، وأمرائه، وأجناده، وبلاده، وطرقاته، وأسبابه، وحصونه، ومماليكه، وسفره، وبحره، وبدوه، وحضره، صيام عشر سنين متواليات، وحج عشر حجج متتابعات، ماشياً حافياً، وعتق عشرين رقبة بالغات مؤمنات.

وعليَّ طلاق كل امرأة أعقد نكاحها في المستقبل، وعتق كل مملوك أملكه في المستقبل، والصدقة بكل ما أملكه في المستقبل على عمارة الحرم الشريف، ونفقة المتوجهين إليه بغير استثناء لشيء من ذلك، ولا مدافعة بنية ولا استثناء.

وعليَّ نذر لازم إن حنثت في يميني، وعتق أم كل ولد عقيب وضعها للولد عتقاً ماضياً. وأن يميني هذه لا ينقضها أمر سلطان، ولا غيظ جنان. وأن السلطان الملك الناصر أيوب بن طغتكين، والأتابك الأجل سيف الدين سنقر متى حاولا نقض هذه الهدنة المتقررة بيني وبين الإمام على شروطها، فأنا الضمين عليهما، والمتولي لمدافعتهما عن ذلك طلباً للوفاء.

فإن لم أفعل ذلك لزمني الحنث، وإلا فكل نذر، وصدقة، وعتق، وصيام، وحج تقدم في صدر هذه الصحيفة لازم لي، واجب عليّ. ﴿فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه﴾[١]. ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[٢]. ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾[٣]. ﴿فمن[٤] نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[٥].

وهذه الهدنة مدة سنتين متواليتين وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها منتصف شهر المحرم أول سنة إحدى وستمائة.

فلما أكملها أمرني عليه السلام القدوم لاستحلاف وردسار عليها، فامتثلت أمره. وصدرت أنا والشريف محمد بن حاتم مع الواصلين من قبل وردسار، فساقوا دوابهم من ذيبين سوقاً عظيماً، وسقنا معهم آخر نهارنا ذلك. وسروا أول الليل، وهجعوا ساعة في قرية الحطاب[٦]، ونهضوا آخر ليلتهم حتى أصبح وهم قريب من المدينة، ودخلوا، ودخلنا دار وردسار، ولم يمنعنا دونه حاجب ولا بواب، فسلمنا عليه. ولم يلبث أن قام بعد السلام إلى منظرة في وسط[٧] البستان قد فرشت، وجعل فيها أصناف

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨١.

(٢) سورة المائدة، آية ١.

(٣) سورة النحل، آية ٩١.

(٤) في الأصل (ومن).

(٥) سورة الفتح، آية ١٠.

(٦) الحطاب قرية من عزلة وادعة ناحية همدان. تقع على بعد ٢٥ كم شمال غرب مدينة صنعاء.

التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص٢٨٢؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 3.

(٧) في الأصل (أوساط).

الأشجار، وأنواع الثمار. فقعدنا قليلاً، وأتى بأصناف الطعام فأصبنا منه ما دعت الحاجة إليه.

ووصل الشريف حاتم بن علي الأقطع القاسمي الأقطع، وهو من المخالفين على الإمام عليه السلام بفرس وفهدة كان قد أمره وردسار بشرائهما له، فأتاه المشترون بالفهدة، وقدمت في الحال إليه. وفرح بها فرحاً شديداً، وأظهر المسرة، ورفع الوسادة، واستخرج كيساً، وعد منه قدر خمسمائة قيمتها وقيمة الحصان جملة. وسلم الفهدة إلى الفهاد، وعطل المكان إلا ممن يخصه، ليضاحوا[1] بحثاً، وأخبره أصحابه الواصلون بما فعلوا، ولم يبق إلا استحلافه على اليمين. واقترحنا حضور قاضي الشرع، فأمر بإحضاره فحضر، فبسطت الصحيفة بين يديه، واستحلفه عليها حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، حتى أتى على آخرها.

وبعث في الحال منادياً في العسكر بالنهوض بكرة إلى كوكبان، فلما أصبح ركب في زهاء أربعمائة فارس، سوى البغال، والأكاديش[2]، وجعل طريقه بلد بني هشام[3]. وكانوا لخذلانهم قد خالفوا لما صالح الإمام عليه السلام، فحط على بيت يرام[4]، ورعوا زرعه، وقاتلهم قتالاً شديداً آخر نهاره، وجرح من الغز قوم كثير. فأتاه عزوان بن أسعد فسأله الفسح بالتقدم

---

(١) هكذا في الأصل. وربما كان معنى (ليضاحوا بحثاً) ليتأنوا في البحث. وضحى عن الأمر بينه وأظهره.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضحا.

(٢) الأكاديش هي خيول مخصصة للحمل، وقد مر.

(٣) يتضح من النص أن بلد بني هشام تقع في ناحية بني مطر.

(٤) بيت يرام: قرية من عزلة شهاب الأعلى، ناحية بني مطر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٢٥٤؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ١ ص ٧٨.

إلى عمرو بن محمد الشهابي للصلح فيما بينه وبينه، فأذن له، وخشي أن تتمادى الحرب فينتقض غرضه في مبادرته لأخذ كوكبان، فصالحهم.

ونهض وقد رسم علينا بالكتمان لخبر أتاه لا حقيقة له بأن الإمام قد صار في ذمرمر، وأن الشريف علي بن موسى وصل بمال، وأنه لا سبيل إلى تسليم كوكبان. وقربونا من خيمته، وأمسى الحفاظ والحرس حول خيمة نصبوها لنا بإزاء خيمته، حتى أني أردت الوضوء لصلاة الفجر على غيل مسيب[١] فمنعت من ذلك بعنف وشدة، فكان ذلك أول دليل على خبثه ونكثه. وحط بين حصن العروس[٢] وكوكبان، وهو لا يصدق بأنه يصير إليه.

وكان الأمير عماد الدين قد صدر من ذيبين لتعطيل الحصن، ونقل ما بقي فيه إلى بكر، ولم يكن فيه إلا[٣] الشيء اليسير. فأمر إلى وردسار يطلب منه عمارة جمال لذلك، فأنفذ بها في الحال إليه. ولبثنا قليلاً وجاء كتاب الأمير عماد الدين يقول أنه قد فرّغ المكان، فإن أحب الأمير وردسار الطلوع فليفعل. فأقبل كبار الغز يهنئونه، ويقبلون يديه، ورجليه، فأمر الديوان بالطلوع قدامه إلى الحصن ببرق يعرفه ليكون علامة بصحة دخولهم. فطلعوا الحصن وقد صدر الأمير عماد الدين، وأتوا بعلمهم حتى أشرفوا على شرف الجبل، ونهض وفك الترسيم عنا، وطاف الحصن،

(١) تقع مسيب على بعد ١٩ كم جنوب شرق كوكبان.
خريطة ج.ع.ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 D 2.

(٢) يقع حصن العروس على بعد ٤٥٠٠ متر جنوب شرق كوكبان، وهو من عزلة العروس، ناحية بني مطر.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ خريطة ج.ع.ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 D 2.

(٣) في الأصل (إلى).

وعاد إلى المحطة آخر نهاره ـ وهو يوم الاثنين لاثنين وعشرين ليلة خلت من المحرم سنة إحدى وستمائة. وولى فيه رجلاً من الغز يقال له ابن نصر الله ـ وهو ممن شرك في قتل الشهيد إبراهيم بن حمزة رحمه الله، وقد حلف الإيمان المغلظة ما قتله، ولا جرحه؛ وكذلك أسد حلف أيضاً اليمين البالغة، وكل من نسب إليه الأمر بالغ في الحلف ابتداءً لما جعل الله في قلوبهم من خيفة الحق، وإلا فهم في جند ومنعة، فالحمد لله تعالى ـ وعاد إلى صنعاء باقي يومه ذلك.

قصة قدوم الإمام عليه السلام إلى ذمرمر في الكرة الأخرى وما كان من الحوادث مدة الإقامة، وهي ستة أشهر وأربعة عشر يوماً:

لما انصرم الصلح الأول فيما بين الإمام عليه السلام، وبين وردسار، والهدنة التي ألزمها نفسه، وحلف عليها سنتين وأياماً؛ وكان ذلك والإمام عليه السلام مستقر بحصن ظفار حماه الله تعالى. فلما انصرم الصلح نهض إلى حوث يوم الثلاثاء لست عشرة ليلة خلت من صفر سنة إحدى وستمائة، فلبث بها سبعة وعشرين يوماً. وكان ذلك في أوان الثمرة، ووقت حصادها، فقرر أرزاق الجند، وصرف كل منهم إلى جهته لقبضه، وأعطى أهل المدرسة نفقاتهم، وقضى أثمان خيل كان قد اشتراها ووعد أربابها بأثمانها عند حصول الثمار. وعزم على القدوم إلى ذمرمر مع شدة الاجتهاد في كتمان ذلك خشية مكر وردسار وكيده، وما يعلمه من قلة وفائه بما عقد من نفسه، وأعطى الله من عهده، وإقدامه على نكث الإيمان إن أمكنته. ولم يكن يدع شيئاً يقدر عليه ولا يرقب إلاًّ ولا ذمة فيما دعته نفسه إليه. وكان قد بقي مع الإمام عليه السلام من الغز قدر ثلاثين فارساً، وقد سرى فيهم الفساد، وهرب منهم جماعة بخيلهم وعدتهم من حوث إلى صنعاء من تحت الليل واحداً بعد واحد،

ولـم يقـع تمكـن من حفظهـم. فخشي فساد الباقين، وسلوكهم مسلك أصحابهـم لأنهـم منعـوا ممـا تعودوه، وتربـوا عليه من شـرب الخمور، وارتكـاب الفجور، فشـق ذلك عليهم، وإلا فـلا تقصيـر عليهم فـي نفقاتهم وأرزاقهم. وكان المقدم فيهم يومئذ محمد بن كز اليرقشي، فأمره بالنهوض بهـم إلى صعـدة لبعـد المسافة عليهم، ولا يستطيع أحد منهـم الهرب[1] مـن هنالك.

وكان الشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان قـد توفـر عنده لبيـت المال مبلـغ كثير من غلات البلاد، والأخمـاس، وغيرها، فكتـب إليه يصـرف ذلك إليهـم، ويقسطـه عليهم مدة استقراره بذمرمر؛ ففعـل ذلك، وصلحت أحوالهم مدة إقامتهم.

وتجهز عليه السلام للنهوض إلى ذمرمر لإصـلاح البلاد حوله، وإينـاس أهلها بوصولـه، وما يقـع بقربـه من صنعـاء من النفـع، وظهـور كلمة الحق، ولزيـارة أهلـه بعـد طول العهـد بهم وقـد غـاب عنهم سنتيـن تنقـص أياماً يسيـرة دون الشهر. وصبـر على الفرقـة وتحمـل أعباء المشقـة في رضا الله تعالـى وصلاح الأمـة. وكتـب إلى صنوه الأميـر عماد الدين يحيى بن حمزة، وهو يومئذ بالبلاد الحميرية ـ ثلا وأعمالها ـ يأمره باللقـاء إلى خرفان[2] من أوطـان بني صريـم ليوم عينه له، فيمن كان معه من الخيل، والرجال، فامتثل أمره.

وركب الإمام عليه السلام ضحوة النهـار من حوث يوم الاثنين لأربـع عشرة ليلة خلت من ربيـع الأول من سنة إحدى وستمائة، ومعـه الأميـر صفي الدين محمد بن إبراهيم، ومن حضر معه من الشرفـاء الحمزيين

---

(١) في الأصل (المهرب).

(٢) في الأصل (جرفان).

وغيرهـم. ووافق وصول الأمير عماد الدين بجامع الحلاة[1] الذي عمره عليه السلام، فلبثـوا به ساعة، وقضـى لناس كانوا معـه أشغالاً من أهـل البلاد، ثـم نهض إلى قرية المنقل[2]، فتعشى العسكـر، وعلفـوا دوابهـم إلى ذهـاب جانب من الليل، وركـب، وسرت باقي ليلتها سيراً حثيثاً، ونهارها ـ وما لبث إلا وقت صلاة، أو قضاء حاجة خفيفة لمن يلقاه[3] من أهل البلاد التـي يجوز فيها ـ حتـى انحدرت وادي الخارد بعد صلاة المغرب، وهي تزيد على المائة.

وتقدم الأميران عماد الدين، وصفي الدين في ثلاثين فارساً معدة، أو تزيد قليلاً، أو تنقص، وبعثا أفراساً منها تستطلع ما قدامهـا، وتستبرىء الطرقـات في أسفـل قاع الرحبـة، وذلك بعد أن انحـدر العسكر من وادي شراع[4]. فغابت الخيل التي بعثاها ساعة، ثم عادت ولم تلق أثـراً، ولا خبراً. فاستمر الناس في سيرهـم على خوف من مكيدة الغز، وأن يكونوا قـد أرصدوا لهم. وكانـت لهم العيون، والجواسيـس، والأعـوان من المفسدين بالظاهـر وغيره. فلمـا توسطـت الخيل قـاع التقاضي[5] انتشرت

---

(١) يتضح من النص أن الحلاة بلد من خرفان في أوطان بني صريم.

(٢) المنقل قرية بالقرب من السبيع.
مؤلف مجهول، أخبـار الهجرة المنصورية، ورقة ١؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ ١ ص ٢٠٢، العسجد، ص ٢٦٢؛ ابن الديبع، قرة العيون، جـ ٢ ص ٤٣ ج ٣.

(٣) في الأصل (تلقاه).

(٤) يقع وادي شراع في جنوب شرق أرحب، على بعـد ١٠ كم شمال ذمرمر، ومن قراه شراع، وبيت الزبيري الأسفل، وبيت نجاد.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 4.

(٥) يفهم من النص أن قاع النقاضي يقع ما بين وادي شراع ووادي السر. وقد ذكره الخزرجي بأنه يقع بالقرب من ذمرمر.
الخزرجي، العسجد، ص ١٦٧.

يمنة ويسرة، وتفرق العسكر. فبعث الإمام عليه السلام من أصحابه من ردوا أولهم على آخرهم، فاجتمعوا إليه، فتحدث معهم حديثاً بليغاً، وعرفهم بما يجب عليهم، وأمرهم بجمع الخيل، وأن تكون صفاً واحداً متراصة بعضها على بعض. وجعل على الميمنة الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في خيله، وعلى الميسرة صنوه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، وكان الإمام عليه السلام في القلب. وقدم الرجالة أمام الخيل، وأمر الجميع بالثبات، والاجتماع، والصبر، فامتثلوا رسمه، وعملوا بمقتضى أمره، ووطنوا النفوس على الجهاد في سبيل الله، فكفى الله المؤمنين القتال. وسارت الخيل [في][1] الطرق صفاً واحداً حتى أتت شبام سخيم[2]، وهي قرية بالقرب من الحصن وقد مضى قدر ثلث من الليل، والناس على غفلة في زروعهم، فلما وردتهم أوائل الخيل، ارتاعوا، وظنوها خيل الغز تريد أخذهم، فعرفوهم أنهم أصحاب الإمام عليه السلام، فاطمأنوا، وسكنت روعتهم. وانتشروا لأجل العلف لخيلهم ودوابهم، فأمر من يمنعهم بالشدة، فمن كان قريباً منه، ألقى ما كان معه، ومن كان بعيداً، أمره برد ما أخذه إلى موضعه، ومن وصل إلى المحطة ألزمه رد ما أخذ على مسافة بعيدة. وكان الوقت شديد البرد، فردوا ما أخذوه، وأمست الخيل تلوك لجمها على ما بها من الكلال والونى[3] وبعد المسافة مع كثرة

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (صخيم) وشبام سخيم هي الاسم القديم لقرية شبام الغراس.
الهمداني، الإكليل، جـ٨ ص ١٥٠ ـ ١٥١؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٤٤٢.

(٣) الونى: ضعف البدن. والونى: الضعف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ونى.

العلف في البلاد، وكان وقت حصاد الثمار.

فلما أصبح هبط جماعة من السلاطين أولاد علي بن حاتم من الحصن في لقاء الإمام عليه السلام، ولم يكن أكثر أهل الحصن قد علم بقدومه، فسلموا عليه، وركب، وساروا بين يديه تعظيماً لأمره، واعترافاً بحقه حتى نزل بدار الصبول. وأمسى بها وجميع أصحابه على أوفى ما يكون من البر والكرامة. فلما أصبح طلعوا الجهمة وهي قلة[١] الحصن مجمعين، ولبثوا مدة، وأمرهم الإمام عليه السلام بأن ينصرف كل منهم إلى جهته.

وجاءه كتاب وردسار يهنئه بالقدوم، ويعلمه أنه يريد لقاء السلطان سنقر إلى ذمار. وكان قد أعد لوصوله ثلاثين فرساً وعدة من الجمال موقرة خمراً، وغيره من الطرف والهدايا. وكانت الخمر تعصر عنده في البستان بصنعاء في بركة حكى من شاهدها أنه لو وقع فيها إنسان لا يحسن السباحة لغرق. فلبث عنده أياماً حول ذمار، ولم يحدثوا حدثاً إلى جهة. وأشاعوا الخروج إلى صعدة، فاضطربت الناس خوفاً، وتميل أهل الظاهر إلى أطراف البلاد. وخالف قوم من عذر يقال لهم العصيمات، وقطعوا السبيل وحالفوا[٢] أهل نجران، وتظاهروا بالفساد، ومنعوا الواجب، واستخفوا بواليهم وطردوه. ورغب الناس في الغز، وكرهوا دولة الحق، وسئموا الدعة، وطال عليهم الأمد فقست[٣] قلوبهم.

---

(١) قلة كل شيء رأسه، والقلة أعلى الجبل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة قلل.

(٢) في الأصل (وخالفوا).

(٣) في الأصل (فنست).

ولما عاد وردسار من ذمار وقد رجع السلطان إلى جهة اليمن استدعى وصول غزوان بن أسعد وكان في جملة الواصلين مع الإمام عليه السلام إلى ذمرمر، فأمره بالقدوم إليه، فلما قدم عليه ناصفه، وقربه، وأخلى المجلس له. وحكى خسارات ومغارم كثيرة غرمها للسلطان وحاشيته، وأنه ذكر له حصن بكر فغفل الأمر فيه، وقلد الصنيع عليه، وأنه رده. وكان غرضه القدوم إلى البلاد، وقال لا أعذر الإمام من المعونة، ونسي اليمين التي حلف بها وجعلها وراء ظهره، فهذا أول نكث. وأمر عزوان بن أسعد بالمطالبة في ذلك، وتعجيله، ورده إلى ذمرمر لتوجيز ذلك على الفور. فحضر بين يدي الإمام عليه السلام، وحضر من السلاطين، عمرو، والفضل، وزيد، وحنظل بنو علي ابن حاتم للمشورة في أمر وردسار، وما نجم من شره. فجرت المفاوضة بين الإمام والجميع، وآل أمرهم إلى تقليده الأمر في ذلك، والقيام معه فيما أراد من سلم، أو حرب، وجددوا البيعة على امتثال أمره. فرأى الإمام عليه السلام إقامة الحرب عليه، وشغله من كل جهة، فراجعوه في أمر أوطانهم، وزروعهم، وما يفوت عليهم بالحرب منها، فالتزم لهم بالعوض عما يفوت، وتسليمه من بلاده، وعقد لهم بذلك. وكتبوا به مشروحاً، ووضع في أعلاه خطه الكريم. وافترقوا على ذلك، واستقاموا عليه مدة لا يرون خلافه حتى عاد سنقر من اليمن في المخرج الثاني الذي وصل فيه إلى صعدة، وانتقض ما بنوا عليه، إلا القليل منهم، وذكر ذلك يأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

وكان السلطان بشر بن حاتم فيمن وصل مع وردسار إلى ذمار في لقاء سنقر بعد وصوله إليه إلى صنعاء، ورأى منه اجتهاداً ونصيحة له، وعناية شديدة في المباعدة فيما بين الإمام عليه السلام، وبين

السلاطين أولاد أخيه. وتيقن ما عنده في أمرهم، واجتهاده في ضرهم، فأحسن إليه، وملأ بالمال يديه، وأعطاه ثلث مطرة، وهي في جملة ما حلف عليه؛ لوقوع المشاكسة فيما بينهم. وجعل ذلك تأكيداً للعداوة، والمباعدة بينه وبين الإمام، وهذه ثانية من النكث في يمينه.

ولما بلغ ذلك إلى الإمام عليه السلام، بعث عزوان بن أسعد ليأخذ حقيقة الخبر، ويعلم ما عنده فيما كان قد طلبه، فنافذه[١] في ذلك وعاتبه، وأوضح له أن مطرة داخلة في الصلح، وعليها انعقدت اليمين، فلم يحفل بذلك، وطالبه في المعونة. ولبث عنده أياماً وهو يكاتب الإمام عليه السلام، ويحكي له أمور العرب واجتهادهم في الفساد، وأن وردسار يريد المعونة بخيل كثيرة، وجمال موقرة[٢] حديداً. فحضر السلاطين ورأوا أن الصلح بشيء يدفع إليه أولى، وأشاروا بذلك وتعاونوا إليه. وقالوا: يحصل بذلك منافع في عمارة ظفار حماه الله تعالى، وإنبات مناهله، وشحنه بما يحصل من الغلة، وتقوية أمره. فصوب ذلك عليه السلام وساعد إليه، ووقع الصلح على وفاء الهدنة التي انعقدت اليمين عليها؛ على تسليم عشر من الخيل، وعشر من الإبل، وخمسة أحمال حديداً. وانصرم الأمر على ذلك، وأمر له الإمام عليه السلام بحصان أصفر جواد خارج عن هذا الصلح تقريباً له، وتسكيناً لشغبه. وتقدم به الشيخ الحسن بن ناصر العذري ليكون تمام ما انعقد عليه الصلح الأخير بحضوره وعلى يديه. وكان قد

---

(١) التنافذ: أن يدلي كل واحد بحجته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نفذ.

(٢) موقرة: أي محملة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وقر.

قدم حديث فيه عند وردسار، وأوسع في أمره، وملىء غيظاً عليه بأنه سبب الاتصال فيما بين الإمام عليه السلام، وبين السلاطين أولاد حاتم، وأنه بمنزلة عند الإمام رفيعة. وكان ذلك لعلمه، ودينه، وأمانته، وكان خائفاً من وردسار، فسأله منشوراً، وأماناً على نفسه، ومتصرفاته، فأعطاه من ذلك ما سأل، ومن الأمان فوق ما طلب، فأمن ولم يعلم أنه له إساءة إليه، ولا كان ذا مال فيطالبه به، وعاد إلى ذمرمر بعد نفاذ ذلك الصلح. وكان يقرىء جماعة في أصول الفقه، وله دار في المنظر قد خرب جانب منها في حال خوفه من الغز، وغيبته عنها، فسأل الإمام عليه السلام الفسح له ليحدث بها عهداً، ويعمر ما خرب فيها فلم يأذن له خوفاً عليه. فألح في السؤال إلحاحاً شديداً، ودافعه عليه السلام، فلم يقبل، فساعده مع تخطئته في قدومه إلى المنظر. وكانت شيمته عليه السلام المساعدة للصاحب، فصدر ومعه أصحابه الذين يقرؤون عليه، وأمسوا في المنظر، فلما أصبح صدر إلى صنعاء والعيون عليه من وردسار، وقد أرصد له جماعة في خربة بإزاء السد المعروف. فخرج من المدينة على دابة له وهو آمن، ومنشوره معه حتى أتى قريباً من الخرابة، فتواثبوا عليه، فقتلوه لعنهم الله ظلماً وعدواناً بغير حق، ومضى شهيداً إلى رحمة الله. وبلغ الخبر إلى أصحابه، فمضوا متوجهين إلى ذمرمر، خوفاً على أنفسهم. وكاتب الإمام عليه السلام وردسار في شأنه فجحد، والتزم بالأخذ بدمه، ودافع وغالط في أمره، وهذه ثالثة من النكث في يمينه. وأنشأ الإمام عليه السلام شعراً يذكره فيه، ويحض السلاطين على الأخذ بثأره ممن سعى فيه، وهو:

يا دهر أطلق يديك بالمنن ... فطالما قد سمحت بالمحن

كم لك من غارة بحادثة تصدع قلب المجرب الفطن
تبري[1] بأحداثك التي عظمت[2] جسمي برى القداح[3] بالسفن[4]
ترمي بما لو رمى به حصنا لهد راسي الصخور من حصن
لا هم عفوا لقد ظننتك تبـ ـغينا بما في[5] التراب والإحن[6]
لو كنت شخصا مصوراً جسداً لقلت أخزاك الله من زمن
أم[7] هذه الحادثات كائنة عن[8] غير قصد قصدت فاستبن
وأوضح العذر فهو من شيم الـ أحرار تعقيب السوء بالحسن[9]
إن كنت تبغي انصداع مروءتنا فهي على الحادثات لم تكن[10]
فكم خطوب تحكي الجبال مضت كأنها باليقين لم تكن
نحن السنام السامي فحسبك ما تعلم عن كشف أمرنا بمن
من خذم قوم توارثوا عقب الـ صبر من المرتضى أبي الحسن

(١) في الأصل، وفي النسخة ج من الديوان (تذري) والتصويب من الديوان، نسخة أ، ب، د.

(٢) في الأصل (نجمت) والتصويب من الديوان.

(٣) القدح بالكسر: السهم قبل أن ينصل ويراش، والقدح: العود، والجمع قداح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قدح.

(٤) السفن: الفأس، والسفن: جلد السمك الذي تحك به القدحان والسهام، وقد يجعل من الحديد ما يُسَفَّن به الخشب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سفن.

(٥) في الأصل (بماء). وفي النسخة ج، د (بماضي) والتصويب من أ، ب.

(٦) الإحن: الحقد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أحن.

(٧) في الأصل (أو). والتصويب من الديوان.

(٨) في الأصل (من). والتصويب من الديوان.

(٩) في الأصل (بالحرن). والتصويب من الديوان.

(١٠) هكذا في الأصل وفي الديوان وربما كان صوابه على النحو التالي:
إن كنت تبغي صدع مروءتنا فهي على الحادثات لم تهن

شم العرانين لا يروعهم الـ	خطب وإن كان واسع العطن [1]
يـزيدهم شـر دهـرهم كـرمـا	حين تصـاب الكماة بـالـوهن
سل عن شهيد أصيب في لصف	نقى عرض عن عارض الدرن
ألم يكن همه الثبات وحسـ	ـن الصبر والحرب جمة الفتن
حتى قضى والحسام صاحبه	إذ بـان أصحـابـه ولم يبن
في معرك جل خطبه وسمـا	من أن يجاريه القرن في قرن
وكم له من أخ ومن سلف	مضوا بحكم الكتاب والسنن [2]
من كـان ذا جنة يلوذ بهـا	فـإن حسن اليقين من جنني
عجبت من قـاصـد مساءتنـا	بالمكر والغدر المحض في حسن
ويـرتجى أُلـفـة تـدوم لـه	من هدنة أسست على دخن
لا تكتموا فعلكم فقد قضت الـ	أحوال أن السر [3] كـالعلن
فـسـوف أجـزيكم بفـعلكم	أضعـافـه نحلة بـلا ثمـن
بعـون من سبح الغمـام لـه	وجـاد عفـواً بـالـوابـل الهتن
كم حادث ساقه أخو سفه	وظـنـه هيـنـاً فلم يـهـن
بعتم دمـاكم لغير حـادثـة	منـا ببيـع الخسـار والغبن
لم يبق للسيف معدل ودليل	العين أغنى من شاهد الأذن
لا دَدً دَرِّي إن كان لي شغل	بغيـركم يـا منـابت الـدمن
ما عذر أبناء حاتم وهم الأ	ملاك والغر من ذرى [4] يمن

---

(١) العطن: هو مبرك الإبل حول الحوض. ورجل رحب العطن وواسع العطن، أي رحب الذراع، واسع الرحل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عطن.

(٢) هذا البيت ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.

(٣) في الأصل وفي الديوان (الأسرار).

(٤) في الأصل وفي النسخة ج، د من الديوان (ذوي). والتصويب من أ، ب.

في جار بيت أولى[١] بمنعتهم وهم لـه كـالشعـار للبـدن
عـاشـرهم عمـره أخـائقة وصدق ود ما فيه من أفن[٢]
ونـاصحـاً في دنيـاهم لهم ودينهم لم يمن ولـم يخن
حـاطـوا أبـاه من قبله وكـذا حاطوه من كل حادث خشن
يا صيد همدان ويا جحا جحها[٣] لا تغفلوا عن هنٍ[٤] وآل هن
فـأنتم الصيـد والـوفـاء لكم رضعتمـوه شفعـاً مـع اللبن
مـا جـار جـار وآل حـارثـه ورب تيمـا[٥] وبن ذي يزن
أمنـع من جاركم فـلا تهنـوا وابغـوا بـالعـاسـلات والحصن
وكل عضب يغشى الضريبة لا يفـرق بين الهـزال والسمن
كيف ينام الفتى على ترة[٦] وتـطيـبـه لـذاذة الـوسـن
أم كيف يغضى على القذا وله منـدوحـة لـو يشـاء لم تكن
أولئكم في جـارهم[٧] سنن يجرون في حفظها على سنن
وشرع عمران بيِّن لذوي الـ ـمنع إذا شرع الغير لم يبن
والأصـل لـولا زكـاء منبتـه لمـا زكى عنه منبت الغصن

---

(١) في الأصل (ادلى). والتصويب من الديوان.
(٢) الأفن: النقص.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أفن.
(٣) الجحجح: السيد السمح، وقيل: الكريم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جحجح.
(٤) هَنٌ: وهي كناية عن الشيء يستفحش ذكره.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هنا.
(٥) تيم: اسم لعدة بطون من قبائل العرب.
انظر: كحالة، قبائل العرب، حـ ١ ص ١٣٧ ـ ١٣٩.
(٦) التِّرَةُ: الباطل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: تره.
(٧) في الأصل (جاركم). والتصويب من الديوان.

ثم نهض وردسار مغيراً في العسكر إلى جانب من بلد الصيد، وقد أذكى العيون على قوم من مرهبة يريد أخذ أموالهم. فسبق النذير إليهم، ففاتوه بأنفسهم، وأجزل أموالهم، فلم يدرك منها إلا قدر ألفي رأس من الغنم. وقصد قوماً في محل لهم وهم داخلون في صلح الإمام عليه السلام، وانعقدت عليهم اليمين التي حلفها، وأراد قتلهم وانتهاب محلهم، فامتنعوا منه، فأحاط بهم من كل جهة، فدافعوا عن أنفسهم بعد حرب شديد، ولم يتصل منهم بطائل. وقالوا إنا من جملة الإمام، وممن دخل في صلحه، فلم يحفل بقولهم. وحط عليهم وأمر للنقابين إلى صنعاء، والغوامر والعدة لحربهم. وفي خلال الحرب عقروا بغلتين، وفرساً، فازداد عليهم سعياً، وعلموا أنهم لا يقومون لحربه، فسلموا له رهينتين من أولادهم؛ ونهض محطته عنهم راجعاً إلى صنعاء.

وأتوا إلى الإمام عليه السلام فأوضحوا له ما جرى عليهم، فكتب لهم كتاباً إليه. فعاد جوابه بأنه لا بد لهم من العقوبة، وتسليم قيمة البغلتين والفرس، ولم يرقب عهداً ولا ذمة، فهذه رابعة من نقض عهده، ونكثه في يمينه. ولم يحدث بعد ذلك حدثاً، مع أنه ما ترك أمراً يقدر عليه حتى قاد الجيوش، وعسكر العساكر إلى صعدة. وسيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وهرب إليه رجل من الكرد بحصان من خيل الإمام عليه السلام، وكان العقد مشروطاً برد من هرب من جنده أو جند وردسار إن كان تركياً مملوكاً أو رد ما أخذ إن كان كردياً. فكاتبه الإمام عليه السلام وقد أخذ الحصان من الكردي، وكان جواداً، فدافع عنه وغالط في أمره. وأخذ قوم من أهل ثلا، أخذهم واليه بكوكبان، وحبسهم، وعذبهم، وأثقل عقوبتهم، فلم ينكر عليه، ولا دفع عنهم شره. فهذا ما ظهر واشتهر من نكثه، ونقضه

لعهده. ونذكر الآن الحوادث والمغازي والإمام عليه السلام بذمرمر.

قصة غزوة الحضن[1]

لما وقع الخلاف في مغارب حوث من العصيمات، وكان أهل الحضن عاكفين على ارتكاب المحارم، وإظهار الفواحش، وشرب الخمور، وفعل الفجور، وهم ممتنعون في بلدهم، ولم يجر عليهم حكم قبل ذلك لوعورة بلادهم، وصعوبة مسالكها. فجهز الأمير علم الدين سليمان بن موسى عسكراً منصوراً لغزوهم، ونهض من حوث لثمان خلت من ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة في [ ][2] فارس، ورجل كثير، وهبط نقيل السوط[3]، وحط بالعادية، فأقبلت إليه قبائل عذر على جبالها، ودخلوا في الطاعة، وانقادوا للأوامر الإمامية، وسلموا الرهائن على تسليم ما يرسم عليهم الأمير، فرسم عليهم القود معه في الحال، فامتثلوا أمره، فالتأم منهم عسكر معقود.

ونهض إلى الخموس ثم إلى دفان، وأقبلت قحطان إليه بالطاعة والامتثال، وأمرهم بالتأهب للقود معه، فسمعوا وأطاعوا. فلما مضى جانب من الليل ركب في الخيل والرجال متوجهاً جبال حبور على غفلة من أهلها وقد دنا الصباح. فتأخرت الخيل لوعورة المكان، ونفذ سرعان الرجال وخيارهم، فوافوا الحضن عند طلوع الفجر، وأحس

---

(١) في الأصل الحصن. والحضن قرية في عزلة القفلة، ناحية القفلة، قضاء خمر.
والحضن: قرية على بعد ١١ كم شمال غرب حبور ظليمة وتقع ما بين:
٠٤″ ٠٣′ ١٦° شمالاً، ٢٣″ ٤٢′ ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠ صفحة 1643D1; 1643D3.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بنو سوط من قرى ظليمة في بلاد حبور.
المقحفي: معجم البلدان والقبائل، ص ٣٣٨.

أهله بأوائلهم، فانهزموا بأنفسهم. وأحاطت جنود الحق بالمكان، فقتل منهم على ما حكى الأمير في كتابه سبعة عشر رجلاً، وانفلت الباقون في بطون الأودية ورؤوس الجبال. وتغنم العسكر أموالهم، وعبيدهم، وإماءهم، وأبقارهم، وأغنامهم، وملأوا أيديهم من الغنائم. وقتل من العسكر رجل من عذر، وآخر من عيان [1]، ورجل من الغز تقنطر به فرسه فهلك.

وعادوا بعد الاستظهار على أعداء الله، وبلوغ الغرض فيما يرضي الله فحطوا على بير الفواقع [2]، فلما أصبح نهضوا إلى المطرح فحطوا به، وهبط علي بن محمد صاحب جبل سخدا بولده رهينة على الطاعة، وتسليم الواجبات. وانهزم أهل اللحب [3] من سوقهم، وخاف أهل الظهيرة، واضطرب أهل الذنائب. ولم يكن الأمير يريد لهم سوءاً في وجهة ذلك، فكتب إليهم يأمرهم بحفظ المسافرين، وتخليتهم من المكس، وتركهم تألفاً للعطيف بن موفق صاحب الذنائب. وكان موداً للإمام عليه السلام مظهراً لطاعته، رافعاً لمعظم المنكرات في بلده. وقاد الأمير بالعسكر إلى جوعان [4]، وقد

---

(١) عيان بتشديد الياء وفتح العين، من بلاد حجة؛ وعيان بكسر العين وفتح الياء في قرى بلاد سفيان.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٣ ص ٦١٨.

(٢) يتضح من النص أن بير الفواقع من المواقع التي كانت موجودة في جبال حبور، ناحية ظليمة.

(٣) اللحب بالحاء المهملة من بلاد الشرف، وبني حملة اللحب واد بمنطقة خيران ما بين جبل عتيبة وجبل معز، قضاء الشرفين.

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1643C4؛ الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٣ ص ٦٨٣؛ الجرموزي، النبذة المشيرة، ص ٩٦، ١٧١؛ ابن الديبع، قرة العيون، جـ ١ ص ١٩٧ ح ٣.

(٤) جوعان من قرى المدان، على بعد ١٥ كم شمال الحضن، وعلى بعد ١١ كم شرق =

انهزم أهله إلى جبل الأهنوم. واجتمع بشر كثير من جبال الأهنوم، وبلاد ظليمة، وجحور، وأرادوا الحرب ومنع جوعان، وأعانهم على أمرهم راشد بن محمد الجنبي، وهو من كبار المطرفية، وأشدهم عداوة للإمام عليه السلام، وأعظمهم كراهة لأمره. فجمعهم وأغراهم بالحرب بنفسه، مسوداً لجمعهم، مكثراً لعددهم، فلما دنوا من أسفل الجبل وقد أرعدوا بأصواتهم، وأبرقوا بسيوفهم، ركبت أفراس من المخيم وقصدت نحوهم. فانهزموا يسوق آخرهم أولهم، وعلموا أنه لا طاقة لهم بالحرب، فنزلوا على حكم الأمير علم الدين. وهبط شيخهم حليح بن [1] وسقط في يديه، وسلم مالاً رسمه عليه، وأمسك عن خراب جوعان.

ونهض إلى الخموس فأصلح أمور عذر، وفرق عندهم مالاً يستعين به على أمر الجند، واستوثق منهم بالرهائن.

وجاءت الأعلام بذلك إلى ذمرمر، فأنشأ الإمام عليه السلام شعراً يذكر ذلك، ويحضه على القدومِ إلى صعدة لإصلاح أمورها، قال عليه السلام:

كذا فليكن يا قوم قود الفيالق	لإسخاط مخلوق وإرضاء خالق
ولما استبنت الرأي جاءت مغارة	كتائب شهبا من بروج المشارق
كتائب تردي في الحديد كأنها	جبال حنين في ظلال الخوافق
ولما تعدت من جحور قبائل	حدود الهدى واستحقبت كل فاسق

= شهارة، وتقع ما بين: ٤٨″ ١٢′ ١٦° شمالاً، ٠٢″ ٣٦′ ٤٣° شرقاً.

خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1643D3.

(١) هكذا في الأصل، لم يكمل الاسم،

وكانت على مر الزمان وإن طغت أشد حذاراً من دهاة العقاعق [١]

ومما دهاها أنها في شواهق ولم تدر أن البرق حتف السواهق[٢]

رماها ابن موسى الأريحي بعزمة أشد مضاء من قصوف الصواعق

وقاد لها مجراً لهاماً كأنه عوارض رضوى مرتد بالبوارق

وسار إليها وهي في عجرفية تظن وعيداً منه ليس بصادق

فخاض إليها الليل غضبان راضياً ضروب بشطر[٣] السيف شطر المفارق

فما شعرت والأمر باد وربما غشا طارقاً بالحسن أبناء طارق

إلى أن أتتها ريح عاد فأصبحت يشبهها الرائي [٤] جذوع البواسق

وقام شجاع الدين فيها بقومه مقام أبي شبلين حامي الحقائق

فلا يطمعن أهل الجبال فإنها على عزمة تحكي بطون السمالق[٥]

ومن كان في أعلا سماؤه خالق فقد صانه منه الإله بحالق [٦]

له رأى سادات الشيوخ وإنه لصافي أديم الوجه محض الخلائق

رفيقي في بابي ذمار وسنه على عظم ذاك الهول سن المراهق

ومن لم يسود في حداثة سنه فليس لسادات الرجال بلاحق

وقبل مصير الشبل ليثاً وفرسه هو الليث عاد عند أهل الحقائق

---

(١) العقعق: نوع من الغربان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقق.

(٢) السوهق والسهوق: الطويل من الرجال والشجر وغير ذلك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سهق.

(٣) في الأصل (سبطر) والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (الراى).

(٥) السملق: الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر بها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سملق.

(٦) الحالق: الجبل المنيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حلق.
والمعنى غير واضح في هذا البيت.

فلله[1] عيناً من رآها طوالعا ... جبال حبور طمحاً[2] كالبواسق

ترامى بها[3] الأسعاف[4] وهي طوامح[5] ... كعصم ثبير لم تعوق بعائق

عليها مساعيـر حماة وبينهـا ... من الرجل فتيان كرام المعارق

قساور[6] من حَيَّيْ نزار ويعرب ... إذا اخترط[7] الأقوام مثل العقائق

فقم لا تنم وانهض معداً لصعدة ... لهتك الأعادي واصطناع الأصادق

ولا تسأم الحرب العوان وكن لها ... حليفاً إذا انسدّتْ فروج المضايق

فصاحبها كابن اللبون مماطل ... وكالقرم عند الجائحات البوائق[8]

يلين ويقفو اللـين منه بشدة ... ويرمي بهاف[9] في النضار وخارق

ويعطي ويستعطي ويكبو فينثني ... على إثره فعل اللجوج المشاقق

هي الحرب فاعرفها وكن من رجالها ... وصية بـر صادق الود حاذق

---

(١) في الأصل (ولله) والتصويب من الديوان.

(٢) الطامح : كل مرتفع مفرط في تكبر، والطُماحُ: الكبر والفخر لارتفاع صاحبه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طمح.

(٣) في الديوان النسخة ج (به).

(٤) الأسعف من الخيل: الأشيب الناصية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سعف.

(٥) يقال للفرس إذا رفع يديه قد طمح تطميحاً. وفرس طامح الطرف طامح البصر، وطموحة مرتفعـة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة طمح.

(٦) القسورة: الأسد، والقسورة. الشجاع، وقيل كل شديد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قسر.

(٧) اخترط: بمعنى انقض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرط.

(٨) البائقة: الداهية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بوق.

(٩) هاف يهاف هيفاً، وفرس هيفاء: ضامرة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هيف.

ولا تبتئس[1] من مرصد[2،3] رمت فتحه بجرد بنيات الوجيه ولاحق

فلم يك ظني فيك ظناً مرجماً ولكنه من العلوم السوابق

ولا تحسباني قلت ما قلت عن هوى فقد قيل يحلو السمج[4] في عين وامق[5]

ولكن بلوناه وليداً ويافعاً وها هو في شرخ الشباب الغرانق[6]

هلموا أسابقه بأشياخ عصره فمن كان ذا سبق له فهو سابقي

دعوا الحيف واستقروا طرائق فعله ولا تتركوا تعداد غير الموافق

فإن لم يرد الثغر بيتاً محرماً فما أنا فيما نطقت بصادق

وللأمير علم الدين سليمان بن موسى [قصيدة][7] كتبها إلى الإمام عليه السلام إلى ذمرمر في غزوته:

يا صاحبيَّ دعا الملام واقصرا ثم اعذراني بعد ذلك أو ذرا

وتذكرا رمي حجوراً صيحة بالخيل تمزع[8] تحت آساد الشرا

لم يشعرا حتى أتتهم بغتة تغشى سنابكها المكان الأوعرا

---

(١) في الديوان النسخة ج (تيأسن).

(٢) في الديوان النسخة ج (تيأسن).

(٣) في الديوان النسخة ح، د (موصد).

(٤) سَمُجَ الشيء، بالضم: قَبُحَ، يسمج سماجة إذا لم يكن فيه ملاحة.
ابن منظور، لسان العرب؛ مادة: سمج.

(٥) الوامق: المحب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ومق.

(٦) الغرانق: الأبيض الشاب الناعم الجميل. وشباب غرانق تامٌ. ويقال للشاب نفسه الغرانق والغرنوق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرنق.

(٧) إضافة ليستقيم المعنى.

(٨) المزع: شدة السير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة مزع.

أضحت على الحضن المنيع عواكفاً كالطير عاكفة على أم القرى
أرخيتها خرساء[١] تعتسف السرا فصبحتهم كصباح عاد صرصرا
وتركتهم للخامعات[٢] تنوشهم وهتكت حرمتهم وعدت مظفرا
فكأنهم زرع دنا لحصاده ذاك الجزاء لمن عصى وتجبرا
وثنيتها سخدا المنيع عوابسا وحصونه في الجو شامخة الذرا
فأتت رهائنهم مخافة صولة مني وكنت بفعل ذلك أجدرا
وخلت تهامة والذنائب أقفرت وكذا السويد معاً ودوبع أقفرا
أمست خلا بعد الأنيس وأصبحت تذروا الرياح بها التراب الأعفرا
قل للذين تخلفوا عني أَلَمَّا تعلموا أني أقود العسكرا
أو أنني أرمي العدو بغارة شجوا تحسبها حريقاً مسعرا
في طاعة المنصور أشرف من علا نهداً[٣] وأشرف من مشى فوق الثرا
خير الأنام وتاج أبناء هاشم والكاشف الخطب الملم إذا عرا
القائد الخيل العتاق إلى العدا شعثاً مسومة تثير العثيرا[٤]
الخايض الغمرات في يوم الوغى والبيض قانية نجيعاً أحمرا
والمورد الخيل العراب[٥] سوالما فيعيدها والجون منها أسفرا

---

(١) كتيبة خرساء إذا صمتت من كثرة الدروع، وقيل: هي التي لا تسمع لها صوتاً من وقارهم في الحرب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرس.

(٢) الخوامع: الضباع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خمع.

(٣) رجل نهد: كريم ينهض إلى معالي الأمور.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نهد.

(٤) العِثْيَرُ: العجاج الساطع، أي الغبار والتراب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عثر.

(٥) خيل عراب، والمعرب من الخيل: الذي ليس فيه عرق هجين، وإبل عراب كذلك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرب.

بحر الرجاحة والسماحة والتقى | خيـر الأنـام مهللاً ومكبـرا
محيي شرائع جده من بعده | وأجل من يعلو خطيباً منبرا
من قام للدين الحنيف مشمرا | فـأبـان سننه وأطفى المنكـرا
لا زال محروس الجناب مؤيدا | في ظل عز غير منفصم العرا
صلى عليـه الله بعـد نبيـه | هـادي البريـة منـذراً ومبشـرا

وللقاضي عمرو[1] بن علي العنسي أبيات كتبها في صدر كتابه، فيه تهنئة إلى الإمام عليه السلام بما فتح الله تعالى على يد الأمير علم الدين سليمان بن موسى في غزوة الحضن، ويثني عليه بما هو أهله من شدة العزيمة، وحسن التدبير قال:

حدست وإن الحدس منك إذا طرا | دليل يزيل المشكلات وبرهان
وخبرت خيراً في سليمان فاغتدى | على كل حال يرتضيه سليمان
فتى إن طما[2] ليل الحوادث مظلماً | تـطلع من آرائه فيـه شهبـان
وتعرفه الأبطال في كل مأزق | إذا صدم الأبطال في الروع فرسان
ومن شملته لحظة منك أصبحت | فضـائله ينحط عنهن كيـوان
بصرت بتدبير الأمور فلم يكن | لنا بما[3] تأتي من الرأي إنسان

ولبث الأمير علم الدين بحوث مدة، وأصلح شأن الجند، وخلع على طائفة منهم، وأحسن إليهم، وأمرهم بتجهيز ما يحتاجون إليه من آلة وعدة للخروج إلى صعدة ففعلوا ذلك والمقدم عليهم من الغز شجاع الدين محمد بن كز البرقشي. ولم يحدث بعد ذلك إلا حرب شبام بين

---

(١) في الأصل (عمر).
(٢) طما: علا وارتفع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طما.
(٣) في الأصل (لنا بي بما).

الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة وبين الغز؛ وذلك أنه لما حضر زرعها، وكانفي سلامته تقوية لكوكبان والغز الذين به. فكان لا يغفل عن غزوهم وأخذ الزرع في الليل والنهار حتى أضربهم وأتعبهم، فطلبوا من وردسار خيلاً تكون راتبة في المدينة لحفظها والمدافعة عن زرعها. فبعث إليهم خمسة وعشرين فارساً مختارين، فلبثوا بشبام أياماً وهم يرصدون مواقع الفساد، وانقبض الأمير عماد الدين عنهم أياماً ليقصدهم في عسكر يستظهر به على أعداء الله، وينال من الزرع منالاً. فأغاروا إلى قرية حبابة، فاكتسحوا أغناماً من مسارحها. وصرخ الصارخ، والأمير بثلا، فركب فيمن حضره من الخيل وأغاروا في إثرهم، ففاتت الغنم لبعد المسافة. وتلاحقت خيله بخيلهم وهي ست وهو سابعهم في خمسة عشر راجلاً من سرعان أصحابه، واستطردوا لهم إلى قرب المدينة وبها رجل كثير، ثم بثوا رءوس الخيل عليهم، وبرزت الرجل من المدينة واختلط الناس. فطُعن رجل من أصحاب الأمير عماد الدين بطعنة فصرع، وأُخذ آخر لزماً، وانهزم الباقون.

فلما رأى ذلك صاح في أصحابه، وحمل على أعداء الله، وأعطاه الله النصر عليهم فهزمهم الله تعالى هزيمة ظاهرة على يديه. وكان ذلك معدوداً من الأيام المشهودة له، فاستخلص الرجل الملزوم من أيديهم، وحاز المصاب بالطعنة حتى رجع إليه أصحابه فسلم من القتل، وعادوا إلى ثلا فلبثوا أياماً.

وجاءت رتبة من صنعاء مقدمها رجل كردي يسمى الكيشي في ستة عشر فارساً، فركبت تريد الغارة، فتلقاها رجال من ثلا وفارسين من أصحاب الأمير عماد الدين لم يكن من خيله حاضراً سواهما. فوقع بينهم قتال عقر فيه فرس الكيشي، وجرح منها ثلاثة أفراس وبغلتين،

وقدر عشرين رجلاً. وأتي إليه ببغلة فلم يركبها حتى أصيب بخمسة أسهم، وصعق بأصحابه، ورمى البيضة عن رأسه ينكفهم[1] وقد انهزموا، فعادوا، حتى استخلصوه، وراحوا على كسيرة.

فلما كان بعد مدة ركب أهل تلك الأفراس الثلاث زادها الله فارساً[2]، ولم يكن الأمير حاضرهم، فطمعوا في الغز وقصدوهم إلى شبام حتى دنوا من سورها ورجلهم معهم. وبرز أهل شبام من غير خيل تكون حاضرة، ووصلت مادة من صنعاء تزيد على عشرين فارساً في ذلك اليوم. وتقدمت الخيل للقتال حتى تلاحمت الحرب بينهم، وخرجت الخيل الباقيةفحقت الهزيمة في أصحاب الأمير، فافترقوا نصفين، نصف ظاهر الجبل وحمتهم خيلهم فسلموا. ونصف قطعت عليهم خيل الغز فقتلوا منهم خمسة رجال، ولزموا مملوكاً حبشياً للأمير، ورجل من الترك كان يرمي بالنشاب فرموا به من شرف الحيد[3] قبل أن يصلوا إليه، وانفلت الباقون.

قصة المخرج إلى صعدة:

وسبب ذلك خلاف أهل المربط وفسادهم، وهم من الربيعة من خولان، قطعوا السبيل، وأخافوا المسافرين، وأخذوا قافلة من أهل الجوف، وأظهروا الفساد، وتظاهروا بالعناد. وأجلوا عن بلدهم، ولزموا درباً لهم يسمى كحلان في أواسط بلاد الربيعة، ولزموا حصن

---

(١) تناكف الرجلان الكلام إذا تعاوراه. وعور بمعنى قبّح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة نكف؛ مادة عور.

(٢) في الأصل (فارس).

(٣) الحيد: ما شخص من الجبل واعوج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حيد.

تلمص[١]. وقوى عزمهم المعاند من الشرفاء آل الهادي، وشد أزرهم المفسد من أهل صعدة، وأمدوهم في السر إلى الحصن بالمتاع والشحنة والمنافع، فأعانوهم على أمورهم، وشدوهم وآزروهم. فجمع الشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان عسكراً كبيراً وجمعاً موفوراً من صعدة وأعمالها، ومن أجابه من الربيعة. وكانت خيله زهاء ثلاثين فارساً، والرجل بشر كثير، فقصد حصن تلمص بذلك الجمع لحربهم وقتالهم والإضرار [بهم][٢]. فوقع قتال لم ينصح[٣] فيه معظم العسكر لفسادهم ورغبتهم في تقوية العدو، فلم ينل منهم طائلاً. وزادهم ذلك القتال شدة وتقوت عزائمهم، ونقلوا الماء إلى الحصن، وأمدهم أعوانهم بالطعام، وشحنوا الحصن واستعدوا لحرب الإمام عليه السلام. وظاهرهم على فسادهم طائفة من الشرفاء آل الهادي عليه السلام، وكانوا لهم سدادة وعوناً، وأمدوهم سراً خوفاً من الأميرين الداعيين إلى الله شيخي آل الرسول.

وجاءت أبيات بخط ابن نشوان وقد بلغه اجتهاد المفسد من الشرفاء آل الهادي، وأراد المعرية[٤] بذلك[٥] قال:

بني حمزة عودوا إلى أرض جدكم   وميلوا سراعاً ناهضين إلى الحقل

---

(١) تلمص: حصن في الجنوب الغربي من مدينة صعدة على مسافة ميل ونصف. إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية ص ٥٧؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ١٥٥؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) ينصح بمعنى يخلص.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نصح.

(٤) الإعراء بمعنى التباعد. وربما كانت الكلمة المناسبة هي المعايرة أي المعايبة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرا؛ مادة: عير.

(٥) في الأصل (بذلالك).

فقد طال ما زاحمتمونا بأرضنا	وفعلتم ما تنتهون[1] من الفعل
دعوا الحقل إن الحقل سبق لجدنا	حواه قديماً بالرديني وبالنصل
صبرنا ومكناكم من بلادنا	على الضيم والغبن المضاعف والدجل
فتهتم وقلتم ذاك منا تقية	وذل وهل تغضي الليوث على الذل
فإن تعقلوا فالعقل يصلح أهله	وينفعهم والعقل أولى من الجهل
وإلا أجبناكم إلى ما طلبتم	سراعاً وعرفناكم طرق العقل
لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع بالعصى	وما ضل عن رشد أخو الحلم والنبل
إذا المرء لم يصدع[2] إلى زجر زاجر	ولم ينتبه بالوعظ والزجر والعدل
فدعه فحد السيف يحسم داءه	ويسلمه[3] طوعاً إلى الخلق السهل

ولما اطلع الإمام عليه السلام على هذه الأبيات وقد نسخت في السيرة الشريفة أجاب عنها. قال عليه السلام:

أيا شاعراً رام المعاداة بيننا	بقافية دلت على دنس الأصل
تحاول تفريقاً لآل محمد	وفارقهم مثل المفرق للرسل
ونحن ليحيى بن الحسين وصنوه	ويحيى وعبدالله كالروح والعقل
فهذا إمام للبرية عن يد	وهذا له سيف على منكر الفضل
هما زحزحا عن دين آل محمد	شبيهك بالجد المبرح لا الهزل
وذادا عن الإسلام إخوانك الألى	كما ذادك النسل المبارك من نسل
فصرت كمثل الكلب يلهث دائماً[4]	حملت عليه أو تركت من الحمل
ومثل حمار بات يكدم رحله	ولم يدر أن الصحف في ذلك الرحل

(١) في الأصل (ما تنهون).
(٢) في الأصل (يروع).
(٣) في الأصل (ويسلسله).
(٤) في الأصل (ذايباً) والتصويب من الديوان.

لنا من صفى منا ومنهم ومن طغى جررناه للحبس الوبيل وللقتل

ونحن يد يا ناقص العقل عن يد نصول على أهل الضلالة والجهل

أردت اتصالاً فانفصلت ولم تكن لتدرك ما حاولت من فرقة الأهل

أولئك قومي[1] مفخري مفخر لهم ومجدهم مجدي وفضلهم فضلي

مدحتهم فازددت طولاً بمدحهم ورشت بما سننت من نبلهم[2] نبلي

فأصبحت كالباغي ضراري وإنه ليخطب جهلاً بالمرام إلى حبلي

ذممت بفيك الترب أبناء حمزة وهم كالليوث الذائدات عن الشبل

ورمت بذم القوم مدح أخيهم وذلك برهان على قلة العقل

سل الحقل عنهم يا سخين[3] وأهله غداة عدا جند الضلالة في الحقل

ألم يلجموه المشرفية والقنا فردوه مهزوماً مراجله تغلي

ولاطوا[4] له حوضاً فعاف ورده وخود[5] من حز الأسنة كالذأل[6]

وسلم سهل الحقل طوعاً[7] لفتية كرام بطعن غير هين ولا سهل

أناس إذا الحرب العوان تأججت أداموا وقود النار بالحطب الجزل

وأنت كمثل الذيخ[8] في قعر دحله[9] أتيح له عاري الأشاجع في الدحل

---

(١) في الأصل وفي الديوان د (قوم) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (مدحهم) والتصويب من الديوان.

(٣) السخين: الذي ليس بحار ولا بارد، والسخاخين: المؤذي.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سخن.

(٤) لاط الحوض بالطين لَوْطاً: طينه، ولاط فلان بالحوض، أي طلاه بالطين ومَلَّسَهُ به.
ابن منظور ،لسان العرب، مادة: لوط.

(٥) التخويد: سرعة السير.
ابن منظور ،لسان اعرب، مادة: خود.

(٦) الذأل: المشي السريع.
ابن منظور ،لسان العرب، مادة: ذأل.

(٧) في الديوان د، كرهاً.

(٨) الذيخ: الذكر من الضباع الكثير الشعر.

=

رقاه بوعد في الجراد مضلل وألقمه عوداً وجرر بالرجل
كأنك لم تسمع حديثاً مبيناً عن الرجل الرامي الكنانة بالنبل
تسامت قروم المجد إذا أنت ناظر بعيني عجوز من عرينة أو عكل[1]

ولما اشتدت شوكة المفسدين بحصن تلمص وأخافوا السبيل، وأفسدوا في الأرض وعجز الشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان عن حربهم ومقاومتهم لخذلان أهل البلاد ومظاهرتهم لهم على الفساد كتب إلى الإمام عليه السلام وهو بذمرمر يحكي له اختلال أهلها وفساد الأمر فيها، وما انتهى إليه حال المربط. وما يخشاه من تمادي فسادهم وانتشار ضررهم، وأن يتعدى أمرهم إلى مكاتبة الغز فيكون استقرارهم بهذا الحصن مقوياً لدواعيهم إلى البلاد، وسبباً من أسباب هلاكها.

وكان الشريف سليمان بن القاضي وهو من ولد الهادي عليه السلام قد خالف إلى الغز، وباين الإمام عليه السلام منذ مدة طويلة، وأقام عند وردسار واجتهد أشد الاجتهاد في قود الغز إلى صعدة. وكان يتوقع مثل هذه الحادثة فيجد للكلام عنده مجالاً، مع تواتر مكاتباته إلى أصحابه الشرفاء وأهل صعدة وقبائل نجران وغيرهم يحضهم على الخلاف، ويُقَوّي عزائمهم عليه. ولم يدع ممكناً من الفساد بالقول والفعل.

فكتب الإمام عليه السلام كتاباً إلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى يأمره بالنهوض في الجند الذين معه من العرب والغز، خيلهم

= ابن منظور، لسان العرب مادة: ذيخ.

(٩) الدحل: هوة تكون في الأرض وفي أسافل الأودية، يكون في رأسها ضيق ثم يتسع أسفلها.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: دحل.

(١) العِكْلُ والعُكْلُ: اللئيم من الرجال.

ابن منظور ،لسان العرب مادة: عكل.

ورجالهم والمبادرة إلى صعدة. فنهض من حوث منتصف جمادى الأولى من سنة إحدى وستمائة. وكتب عليه السلام إلى الأمير صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة يأمره بمثل ذلك، وكان على الأهبة لورود رسمه عليه السلام فنهض من بلد الطرف في خيل كثيرة وعساكر موفورة.

واجتمع العسكر بالدرب من بلد بني عوير بالقرب من صعدة، واجتمعت الخيل هنالك مائة وأربعين فارساً، والرجالة تزيد على الألف، سوى من انضاف إليهم من أهل البلاد. وأقبل الشيخ أحمد بن حجلان من صعدة في جمع كثير من أهلها ومن خولان. وقاد العسكر يؤم مكاناً من بلد الربيعة بدرب لهم يسمى كحلان، فأجلوا منه فراراً من تحت الليل وقد بلغهم إقبال جنود الحق إليهم، وعلموا أنه لا يمنعهم منهم، فرأوا الهزيمة منه غنيمة. فأخربه العسكر وصدروا قاصدين حصن تلمص وقد اجتمع به عسكر كثير، وهو في النهاية من المنع والحصانة. ووقعت المنازعة بين أمراء العسكر في المحطة عليه أو يكون في المدينة، وتكون الحرب منها والرجوع إليها. فأجمع الرأي على المحطة حوله ومضايقة أهله، فنصبوا خيامهم، وحطوا بالقرب منه وتأهبوا لقتالهم، وجعلوا لكل منهم شرعاً يقاتل فيه بأصحابه وديوانه.

ووقع القتال الشديد من كل جهة، والحرب التي لم يقع مثلها، والمضايقة على أعداء الله في الليل والنهار مدة ستة أيام ولياليها. وأثبتوا عليها في الليل الحراث، وضيقوا عليهم الأنفاس، وبلغوا معهم في الحرب مبلغاً لم يظن أحد من أهل البلاد أنهم يصلون إليه ولا يقدرون عليه. ووقع جراحات كثيرة بالنشاب والنبل العربية، وطلعوا عليهم وبلغوا تحت دوائر[1] الحصن. وصاروا يلقون الصخور الكبار من خلف السور

(١) الدائرة : ما أحاط بالشيء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دور.

وأعالي الجبل، فتنحدر الصخرة فتفرق الناس يميناً وشمالاً ولا تصيب أحداً، فيزداد المجاهدون عليهم سعياً ويحمون عليهم القتال حتى ضاقت بهم الحال، وأيقنوا بالهلاك والزوال. فأتى إلى الأمير عماد الدين جماعة من الشرفاء آل الهادي عليه السلام للخطاب وقد أشفقوا عليهم بتسليم الحصن وتخلية سبيلهم، فساعد إلى ذلك، وطلعوا فأخرجوهم منه وسلموا المكان. فطلع الأمير لطيافته ورتب فيه رتبة من الديوان، فوقفوا فيه يومين، ورأى خرابه أصلح فأمر بخرابه. ونهض العسكر بعد أخذه، وفرق العسكر للضيفة على أهلها، وعاقب من استحق العقوبة. وخمدت نيار المفسدين وأيد الله ﴿الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾[1]. واستقام العسكر بصعدة شهرين تنقص أياماً، والنفاق عليهم من مخازن بيت المال.

وكان الشيخ أحمد بن حجلان قد ضم من غلات البلاد حباً كثيراً، وسلم مفاتيح المخازن إلى القاضي نصر بن محمد لمعرفته بالإنفاق على الجند، وضبطه لذلك. وقد كان ضعف عن القيام بالأمر لكبر سنه، ومرض أصابه في ذلك الوقت، واشتد به حتى أشفى على التلف. وكتب إلى الإمام عليه السلام لما أبل من مرضه يسأله بالله تعالى وبجده صلى الله عليه وآله وسلم في تخلية سبيله من الولاية لضعفه عن القيام بأمرها، فساعده عليه السلام، وجعل ولاية صعدة وأعمالها إلى الأمير الفاضل مجد الدين يحيى بن أحمد بن الهادي[2] عليه السلام.

---

(١) سورة الصف، آية ١٤.

(٢) الأمير مجد الدين يحيى بن الأمير بدر الدين محمد، بلغ في العلم النهاية القصوى، وكان الإمام المنصور بالله يرى أنه يصلح للإمامة من بعده. توفي في شهر صفر سنة سبع وستمائة، وعمره ثماني وعشرين سنة. وقبره في الخموس من بلاد عذر. ابن مظفر، الترجمان، ورقة ٨٧؛ يحيى بن الحسين، المستطاب، ورقة ٤٠؛

من وفد إلى الإمام عليه السلام وما أنشىء من الأشعار والرسائل وما قيل فيه من الأشعار مدة لبوثه هنالك :

وفد إليه شريف حسيني من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله بكتاب من الشريف سالم بن القاسم بن المهنا الحسيني صاحب المدينة يستطلع الأنباء والأخبار، ويتعرض للمكاتبة والأوطار. فأمرني الإمام عليه السلام بإجابته، فصدرت الكتاب، وكتب في آخره لقد بلغنا [أن] [1] في حرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله ما يسوؤنا من الملاهي والمعاصي وشرب المسكر، وعدوان السفهاء على الزوار بسرق الأمتعة، فما عذرك وأنت وليه والقائم عليه ولك من وراثة النبوة ما يتضاعف عليك به التكليف، ويتضاعف بالتزامه الأجر. فتيقظ[2] أيدك الله بتوفيقه.

وقد بلغنا ما بينكم وبين الشريف الأمير أبي عزيز أعز الله الجميع، وجمع شملهم من قطيعة الرحم وسفك الدماء والتعرض لما يقع به التدابير والتهاجر[3]. وما هذا يليق بتلك المعارف والأصول الزكية والمنابت النبوية والمناصب العلوية. وإذا أردتم الحق جميعاً لم تختلفوا، وإذا أردتم الباطل فلا خير في الجميع لأنه لا يليق بأهل هذا البيت إلا الصلاح واقتفاء الأثر،

= الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ٧٢.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (فتيقض).

(٣) وقعت الحرب بين الأمير قتادة الحسني أمير مكة وبين الأمير سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة بذي الحليفة بالقرب من المدينة. وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها، فلقيه سالم وأجبره على الانسحاب، ثم تبعه إلى مكة وحاصره بها، فأرسل قتادة إلى أصحاب سالم من الأمراء واستمالهم إلى جانبه وحالفوه، فلما رأى سالم ذلك رحل عنه عائداً إلى المدينة، وتوطد أمر قتادة في مكة.
ابن الأثير، الكامل، جـ ١٢ ص ٢٠٥؛ عمر بن فهد، إتحاف الورى، ص ٣ ـ ٤؛ عزالدين عبدالعزيز، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، جـ ١ ص ٥٥٢ ـ ٥٥٤.

ولا تلحق الذرية الطيبة السلف الصالح إلا بذلك. قال الله تعالى: ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين ﴾ [1] . وقد تقدمت منا مطالعة إليكم، وما رجع لشيء منها جواب، وكدنا أن ننفد في ذلك وإن كانت الغيوب محتملة والظن جميلاً. واعلم أيدك الله أنه إذا اجتمع أهل البيت سلام الله عليهم؛ فقد كثرهم الله تعالى واستجاب دعوة جدهم صلى الله عليه فيهم حيث قال لعلي وفاطمة سلام الله عليهما وعلى الطيبين من آلهما: «جمع الله شملكما، وأطاب نسلكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً». فالحمد لله كثيراً نالوا أغراضهم، وجددوا معالم دينهم، وكبتوا أعداءهم، وهم لا يفتقرون إلى جند من غيرهم إذا اجتمع شملهم، فاجتهد في لم جمع الشمل ولم الأمر.

وبلغنا أنكم بدأتم [2] بداءة [3] جيدة، وفيها طيبها وشذاها، ونزهتها ومتعتها، ولكنا نخشى الجفوة وقله المعرفة بسير الآباء، وعلوم السلف الصالح من الأئمة النجباء سلام الله عليهم. فلا تقع غفلة عن طلب العلم واقتباسه فإن به يستضاء في الظلمات، وتحل الشبهات، وتفك المشكلات، وتعلو الدرجات. ولو جاء من ناحيتكم إلينا من تكون له رغبة في العلم، وحرص في طلب الخير فلا ضير. وقد قال تعالى: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [4].

---

(١) سورة الطور، آية ٢١.

(٢) في الأصل (بدوتم).

(٣) في الأصل (والبادية).

(٤) سورة التوبة، آية ١٢٢.

ومن وفد إلى الإمام عليه السلام شريف حسني يقال له يعقوب بن الولي يقرأ [1] القرآن الكريم على السبعة المقارىء، لم ير أضبط منه ولا أحفظ لكتاب الله فقرأ [2] عليه جماعة من أصحاب الإمام مدة إقامته. وكان وصوله من قلعة أعزاز [3] وأعمال حلب سفيراً إلى الإمام عليه السلام من السلطان نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب [4]، ومن ميمون القصري وهو رجل من كبار الترك خيله تداني الألف على ما حكاه الشريف. قال: وكان لهما رغبة شديدة في مواصلة الإمام عليه السلام ومكاتبته والاتصال به، لما ظهر من ألسنة الغز الواصلين إليهما من ديار اليمن عنه من الثناء الجميل والأفعال الحميدة. فانتدباه لهذا الأمر، وأصحباه كتابين يتعرضان للوصول إليه فيما أحب من الخيل والعدة والمال لنصرته، والجهاد بين يديه، ويجعل لهما الولاية على أشياء مذكورة من مدن اليمن.

فلبث الشريف مدة الإقامة بذمرمر، وتجهز للمراح لما دنا الموسم. وأعطاه الإمام عليه السلام مائتي درهم يتوصل بها إلى مكة حرسها الله تعالى. وكتب له حجة إلى المتولي قبض ما يحصل لبيت المال من هنالك ومن الحجاز مما يؤتى [5] للأشراف بمثل ذلك، وبخلعة سنية فقبضه. وأمرني بتصدير الجواب فكتبته وسلمته إليه ليضع عليه علامته الشريفة وخطه الكريم. وكتب في عقب الكتاب كلاماً نسخته:

---

(١) في الأصل (يقرى).

(٢) في الأصل (فقرى).

(٣) عَزَازُ بفتح أوله وربما قيلت بالألف. بليدة فيها قلعة شمالي حلب. ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤ ص ١١٨.

(٤) انظر، يوسف بن يحيى، نسمة السحر، ورقة ٢٨٩.

(٥) في الأصل (يؤت).

ولقد كبرت غيرتنا على ملككم، وحميتنا على أمركم أن يتحكم فيه أمركم هذا بعد ارتكابهم للأمر العظيم والخطب الجسيم في قتل سلطانهم [١]، وكشف حريمه، وضرب السهام عليها كما تقسم بنات الروم في عساكر المسلمين. وما قتلهم لمن قتلوا بعد ذلك إلا في حق نفوسهم لا لنقم ثأر صاحبهم. ولقد جهدوا في الصلح فلم يدعهم بغيهم دون أن يلبسهم [٢] الله شيعاً، وأذاق بعضهم بأس بعض. فإن عزمت بعد الاستخارة لله سبحانه على أمر قدمت فيه النية الصادقة لله سبحانه في نصرة دينه، وعترة نبيه صلى الله عليه وآله المغلوبين على حقهم؛ فقد طالما أجلوا [٣] من مياههم، وفزعوا من رياضهم، واستؤثر عليهم بفيئهم، وغلبوا على إرثهم من أبيهم وجدهم، ولم تحفظ وصايا [٤] رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم. فقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي». وروينا عن جدنا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «إن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم فأين يتاه بكم عن علم تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة. هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له. خذوا عني عن خاتم النبيين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي. إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض». واعلم أيدك الله بتوفيقه، وأعانك

---

(١) المقصود هو السلطان المعز إسماعيل.

(٢) في الأصل (لبسهم).

(٣) في الأصل (حلبو).

(٤) في الأصل (وصاه).

بتأييده أن خلافة النبوة عظيمة، وعبؤها ثقيل، وليست من الملك بسبيل.
أباحسن كيف يقود الأعمى الأعمى، أو كيف يداوي العليل العليل؟ تأمل رحمك الله بعقلك فخرج هذا الكلام فإن أمرنا صعب ثقيل. إنما الخليفة من قام مقام رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته من بعده، فعال العائل، وبسط النائل، وشهد مشاهد المسلمين، وقام بمهمات الدين، وأمر بالمعروف بقوله، ونهى عن المنكر ولم يكن من أهله. ولسنا نعد نفوسنا بالمحال، ولا نمنيها بالأماني الكاذبة. ونعلم وإن كنا أولاد الرجل الذي شرع الشرائع، وسن السنن، وأقام عمود الدين، فذلك لا يغني عنا إن عصينا من عذاب ربنا شيئاً. بل يضاعف على عاصينا العقاب، كما يضاعف لمطيعنا الثواب. ولم يفرق بيننا وبين جند اليمن إلا منعنا لهم عن ركوب المنكرات، وشرب المسكرات وإلا فهم لأمرائهم قالوا، وعليهم زارون، وإلينا مائلون. فإذا عزمت فانتخب أهل العفاف عن المعاصي، والورع عن المسكرات، واستقل واستطيب. وأبشر بفتح اليمن بين قطريه لو أتيت بمائة فارس على هذه الصفة لأنه ينضاف إليها دهماء العرب والسواد من الناس، ونحن في العدة التي يحقق لك الواصل [قدرها][1].
فغيظ عدونا منا أكثر من غيظنا. وفرع الأمر وأساسه، وعينه ورأسه إخلاص العمل لله سبحانه وصدق النية فيه. وأفضل الملك ملك يتصل نعيمه بنعيم الآخرة، ويلبس صاحبه ثياب الدين الفاخرة. فأما ملك الدنيا فهو زائل، وظلها حائل، وسنادها مائل. كم واثق بها قد خدعته، ومطمئن إليها قد صرعته، وذي تاج فيها قد أكبته لليدين والفم. سلطانها دول، وصفوها كدر. ولا وروحي محمد وعلي صلوات الله عليهما وعلى آلهما، ما كان أشر من وصول كتابك إلينا وحبسنا الرسول لأنه أتى ـ ونحن في

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

محروس حصن ذمرمر - والحرب قائمة بيننا وبين عسكر اليمن، وإلى صدور الكتاب لثلاث خلون من شوال من سنة إحدى وستمائة وهي باقية، وهي سجال ولنا فيها بحمد الله تعالى في أغلب الأحوال أكثر مما علينا. وانتظارنا لكم - أو لما يأتي منكم وفق الله ذلك أو جنس ذلك - انتظار الحبيب الغائب أو الشقيق الآيب. فافعلوا من ذلك ما يوفقه الله سبحانه.

وقدم رجل من المطرفية إلى ذمرمر يقال له عمار بن ناصر الشهابي، فحضر المدرسة المنصورية هنالك. فجرى كلام في مذاهب المخالفين، وانتهى حديثهم إلى ذكر مسألة الآلام، وذكروا على الجملة أن فرقة خالفت فرق الإسلام في نسبة أفعال العباد إلى الله تعالى، ونسبة أفعاله إلى العباد. وطال الكلام في ذلك وغيره من مسائل الخلاف للتعريف بذلك - ولئلا يغتر مغتر - وذلك الرجل قاعد لا يحير بجواب ولا ينطق بخطأ ولا صواب، وانصرف عن ذلك المجلس وقد ملىء غيظاً.

وراح إلى هجرة وقش فبث شكواه، وحكى غير ما شاهدت عيناه وسمعت أذناه. وذكر أنه دخل على الإمام عليه السلام للسلام عليه فلم يحفل به، ولا التفت إليه، ولا سأله عن الحال، ولا أحفاه في السؤال. ثم حكى ما يجري في المدرسة من السب بزعمه للمسلمين والأذية، ولم يكن إلا حكاية مذهب المطرفية ومسائل الخلاف، وكسره بالبراهين الجلية. فشق ذلك عليهم وزادهم نفاراً، وكتب إليهم الإمام عليه السلام يدعوهم فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً. وجاء كتاب الفقيه علي بن يحيى البحيري [1] معرضاً بذلك، وعاتباً فيما جرى من السب والأذى، وما خص به ذلك الرجل من الاستخفاف والبذاء. وجعل في صدر كتابه أبياتاً قال فيها:

مقام أمير المؤمنين بن حمزة أجل وأعلى أن يحيط به وصفي

(١) في الأصل (البختري).

رفعت إليه الطرف فارتد خاسئاً ولا غرو أن يرتد من خجل طرفي
وأيقنت أن الصيد ما ضمه الفرا فقلت لكفى عن كتابته كفي
على أنني في القرب والبعد عنده موالاته حصني المنيع ولا أخفي

وقال بعد السلام، والمملوك فما تأخر من الواجب عليه وأحب الأشياء إليه إلا لحال أثقلت فقاره، وأوجبت ازوراره من عسى أن يبدله الله خيراً منه زكاة وأقرب رحماً. فهو ممن أنفق من قبل الفتح وقاتل، ثم لم يتعَرَّبْ بعد الهجرة، ولا نافق بعد النصرة[1]، ولا كان كحاطب[2] يوم ألقى بالمودة، ولا كتميم يوم نادوا من وراء الحجرات، بل أقام على مكانته[3]، وأخلص في مودته. ولكن ما أوجب بعاده إلا ما قال مولانا سلام الله عليه ولا أعاده، ولا هو ممن قرب من الأحزاب واستأثر بالفيء، ولم يوجف[4] عليه بخيل ولا ركاب. وتفيأ[5] الفقيه[6] وفقراء[7] الهجرة، ومساكين الصفة تفيض أعينهم من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون. والسابقون الأولون منا ومن أهل البصيرة مرجون لأمر الله، ولعل العواطف

---

(١) في الأصل (البصيرة) والتصويب من طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين، ورقة ٥٧.
(٢) يقصد حاطب بن أبي بلتعة الذي كتب إلى أهل مكة يخبرهم بحركة جيش الفتح الذي أعده الرسول عليه السلام لفتح مكة.
انظر: ابن حجر، الإصابة، جـ١ ق١ ص ٣٠٠.
(٣) في الأصل (مكانبته) والتصويب من طبقات الزيدية، ورقة ٥٧؛ الشامي، تاريخ اليمن الفكري، جـ٣ ص ١٣١.
(٤) في الأصل (يوجب) والتصويب من طبقات الزيدية، ورقة ٥٧؛ تاريخ اليمن الفكري، حـ٣ ص ١٧١.
(٥) الفيء: الرجوع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فيأ.
(٦) في الأصل (العقبة) والتصويب من طبقات الزيدية، ورقة ٥٧.
(٧) في الأصل (فقر) والتصويب من طبقات الزيدية، ورقة ٥٧.

الإمامية، والآراء الموفقة المنصورية، أن تؤنس المملوك بكف أهل تلك الأذية. والخيار إليه سلام الله عليه من قبل أن تزيغ قلوب فريق منا، فالإنسان خلق هلوعاً. فقد كان في أول الأمر أصبح[1] الناس رحماء بينهم، لا تسمع إلا سلاماً سلاماً، وكل شيء على منتهى أمله من سكون الدهماء، وحسن الحال، وتمام النعماء، والدعاء لأمير المؤمنين بطول البقاء لما ساق الله إلى الجميع بسببه. وأجراه من الصلاح على لسانه ويده بالرفق الذي لا ضعف معه، والشدة التي لا يشوبها عنف. وعلو الهمة، وقلة الغفلة، وأحكام السياسة وصواب التدبير. فأشد الناس بعداً عنه كالقريب، وأقربهم منه في حق الله كالغريب. فما أحد يعدو قدره ولا يتجاوز حده، ولا يتكلم إلا فيما يعنيه.

ومع ذلك تزداد الأمور إلا إحكاماً، ولا عقود الدولة الميمونة إلا انتظاماً حتى انطلقت الألسن المعقودة، وانبسطت الأيدي المعقولة بعدل أمير المؤمنين. ولم يكن ينبغي لصاحبه في العموم فما شأن الخصوص، وأمير المؤمنين سلام الله عليه يعلم ما الوافر كالمقصوص. فإن رأى الإنصاف ممن تولى كبره ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾[2] ولكل امرىء منا ما اكتسب من الإثم، وليت أنا بقدر الحب نبتسم.

وهذه حكاية من استبهم عليه رأيه، واستفزته الأنفة، وحيل بينه وبين اللقاء فيكره أن يعرض ما عرض له على غير مولانا أمير المؤمنين لئلا يقترف كبيرة يعم بها أولياء الله، أو يخص بها ولد رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾[3] بل تقول

---

(١) كذا في الأصل وعند يحيى بن الحسين، طبقات الزيدية، ورقة ٥٧.
(٢) سورة يس، آية ٧٨.
(٣) سورة الإسراء، آية ٣٩، وقد أخطأ الناسخ في كتابة الآية.

﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾[1].

وفي هذه الدلالة صفة للعلة، ولعل جوابها أن يروي من الغلة[2]. وقد تضمنت فصولاً كثيرة هيج دفينها وصول الشيخ عمار بن ناصر الشهابـي، وما انقلب به من تشريف الإخوان. فالله يبقيهم والسلام.

فأمر الإمام عليه السلام الشيخ الفاضل حنظلة بن الحسن بن شعبان بإجابته. وكان في أشغال لم يتمكن معها إلا بإنشاء الأبيات الفائية التي أولها:

دعاني أبو ليلى والخيل قصفة[3] ... وللنبل خشف[4] من أمامي ومن خلفي
وكان امرأً ممن أبث سرائري ... وأمنحه محض المودة بل أصفى
فما خانني وداً ولكن تقلبت ... قلوب وأعدى الشر عادية الخلف
أحين أشاحت واستقلت رجالها ... وخاض بنوها في بحار من الحتف
وماجت بأمثال الجبال وإنها ... لأعظم مما قد تضمنه وصفي
توقف قوم حين لات توقف ... ولم أقف عنهم بل أُقرّب أو أُقفي
فإن تقبلوا فالنفع والضر واحد ... وإن تدبروا فما نزلت عن خسفي[5]
فكم زاخر طام بسطت له يدي ... وكم حادث صعب ثنيت له عطفي

---

(١) سورة الفرقان، آية ٢٧، ٢٨.

(٢) الغلة: شدة العطش.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غلل.

(٣) القصفة: دفعة الخيل عند اللقاء، والقصف: الاندفاع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قصف.

(٤) الخشف: صوت ليس بالشديد، وقيل هو الصوت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خشف.

(٥) في الديوان النسخة ج، د (على خسف).

وأية يوم قلت للحرب جنبي ... ومن أيما خطب عضضت به[1] كفي
أما والجياد الجرد تردى إلى الوغى ... بصيد كأمثال المهرية الغُضف[2]
لئن لم يقم سوق الهدى لا تركتها ... تنام إذا ربع السنام من الخف
أأشياع زيد دعوة علوية ... أجاب لها قلبي وصاحبها طرفي
هلموا إلى داع دعاكم إلى الهدى ... بصير بحط اللج[3] ميمنة القف
فما يستوى المستبصرون بدينهم ... وقوم حيارى يعبدون على حرف
ومستقدم فيما أتاه على هدى ... وكالقهقرى غاو يسير إلى خلف

وأتى جواب الفقيه يعتذر فيه ويذكر أن الشيعة لم يساعدوه على الوصول، فكتب عليه السلام كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. سلام عليك. فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى. أما بعد.

فإن كتابك وصل إلينا بتحقيق الموجب لما تقدم وتأخر من المراجعة فيما يقطع المشاحنة والمنازعة، ويؤدي إلى الألفة، ويمنع الخلفة. وتلك سبيل الصالحين، وشعائر أهل الدين. وقد كان ذلك كما ذكرت أولى، وجرت به السنن أولاً ثم نجم بعد ذلك ناجم الخلاف بالطعن والتخلف لغير حدث أوجب ذلك، ولا رأي يقبل. بل على منهاج السلف الصالح سلام الله عليهم، وسنن الحق الواضحة المبينة زادها الله على مرور الأيام

---

(١) في الديوان النسخة ج، د (على).

(٢) الغضف: الغضف في الأسد استرخاء أجفانها العليا على أعينها، يكون ذلك من الغضب والكبر. ومن أسماء الأسد: الأغضف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غضف.

(٣) اللج: اسم يسمى به السيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لجج.

ظهوراً، ورد طرف كارهها حسيراً. وهذا ولم يكن ظننا بالزيدية من بين فرق الإسلام لأنها المختصة بأهل هذا البيت عليهم السلام كما رُوي عن المتسمّي بالرشيد أنه قال: والله ما بيني وبين الإمامية خلاف، ولئن خرج إمامُهُم على صفتهم لأكوننّ أول من يتبعه، ويسلم له. وإنما عدوي هؤلاء الزيدية، كلما خرج من أهل هذا البيت خارج، تحنطوا[1] وأصلتوا أسيافهم بين يديه يطلبون الجنة. وهذه صفتهم رحمهم الله. خرج منهم بين يدي محمد بن زيد[2] خليفة محمد بن إبراهيم رضوان الله عليهم بالكوفة أربعة آلاف زيدي متحنط، فهزموا هرثمة بن أعين وهو في عشرة آلاف فارس. وحق الآخر من العترة عليهم السلام على الآخر من الأمة تولى الله رشدها، كحق الأول على الأول، حذو النعل بالنعل، والقُذَّةِ بالقُذَّةِ[3]. ومعرض الشك قائم في الجميع. وقد استوى الكل من المكلفين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في العلم بمعجزاته، فلم يعقلها إلا العالمون، ولا اهتدى بها إلا المهتدون. فكيف بمن هو دون رسول الله صلى الله عليه وآله في أدلة استحقاق دعواه فيما جعله الله سبحانه إليه. ولم نقصد بما قمنا له مع العلم بعظمه وصعوبته إلا الخروج عن عهده. فألزم المستحفظين من ورثة الكتاب المبين، وأهم الأمور علينا ما يعود على الزيدية أصلحها الله بلم الشمل وطرد دواعي الجهل. وقد كان فيما تقدم لهم عذر، فإن كان غير واضح في الاختلاف فما العذر بعد قيام قائم من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم. إنما الخلاف قبله، وعنده

---

(١) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حنط.

(٢) انظر: عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ ١ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨.

(٣) يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قذذ.

يرجع الجميع إلى رأيه، وتنقطع دواعي الفتنة بميمون نظره. ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1] فلم يخلقكم القديم سبحانه عبثاً، ولم يهملكم سدى، فله الحمد كثيراً. وقد قال صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك». ومعلوم أن أمة نوح عليه السلام هلكت إلا من ركب السفينة. كذلك هذه الأمة إلا من تمسك بالعترة، وليس لقائل يقول نتمسك بمن تقدم دون من تأخر، لأن ذلك لم يكن عذراً لليهود، ولعنهم الله في إيمانهم بموسى عليه السلام ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام مع رفض عيسى عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وعلى الطيبين من آله. وكذلك النصارى لعنهم الله في عيسى عليه السلام وإيمانهم به ومن قبله، ورفضهم لمحمد صلى الله عليه وآله، وذلك لأنهم فرقوا بين النبيين. كذلك لا عذر لمن فرق بين الأئمة الهادين سلام الله عليهم أجمعين. ودعوى من يدعي على الآخر خلاف الأول غير مخلص، لأن الكلام ذاع، ولكل نبي عدواً من المجرمين، ولكل إمام عدواً من الفاسقين الناكثين، والقاسطين والمارقين. وما نفرت من واحد فرقةإلا جعلت لنفارها علة، وتمسكت بأمر وادعت أنه الدين، وشيعت فطعنت، وربما تعدت فلعنت. وذلك لا يرد البصير عن بصيرته، ولا يلبس عليه ما تجلى من معنى مقصوده وصورته. قال صلى الله عليه وآله: إن عند كل بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً، يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين. فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتوكلوا على الله. وفي الحديث عنه صلوات الله [عليه][2] وآله: «من قاتلني في المرة الأولى، وقاتل أهل بيتي في الكرة الأخرى كان من شيعة الرجال». قضى رسول الله صلى الله عليه وآله، يكون معادي أهل بيته

(١) سورة النساء، آية ٥٩.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

من اليهود حكماً، وأن ينزه عنه لفظاً. يؤيد ذلك حديث جابر: «من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً، قال جابر: قلت يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟! قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

ولا شك عند أهل التحصيل أن الفسق من جهة التصريح لا يترجح على الفسق من جهة التأويل. وقد علمت أيدك الله أن الكل من مخالفي فرق الإسلام مجتهد في السلامة، وكل قائم من أهل البيت عليهم السلام يدعي أن دعوته باب الجنة، بيعته مفتاحها. قال صلى الله عليه وآله: «من مات وليس بإمام جماعة، ولا لإمام جماعة في عنقه طاعة، فليمت ميتة جاهلية». والحديث الظاهر: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. فعند الزيدية أن لا بد منه، ولا يخلو الزمان طرفة عين عنه، إمّا استحقاقاً وأمسك لعذر من قبل الأمة، وإما ظاهراً يدعو خلاف قول الإمامية ومن انتسب إليها. وفي المعنى الثاني من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبْها كَبّه الله على منخريه في نار جهنم. وأقل أحوال هذه الآثار الشريفة أن يظن العاقل صدقها فيقع في خوف عظيم، وقد استوى في العقل وجوب دفع الضرر المظنون، كما تقرر وجوب دفع المعلوم. فإن رأيت أن تأتي بجماعة من أهل العلم والعقل والإنصاف كما قال تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[1]. فإن كانوا على بصيرة في تأخرهم ازدادوا يقيناً، وإن كانوا على غير بصيرة فأهل التدين أولى من رجع إلى الصواب لأن غرضهم طلب النجاة، وسبيلها ضالتهم، فلا بـأس في ذلك بل هو عين الصواب. وأما ما ذكر مما كان في صعدة، فعلم الله تعالى ما علمناه إلا من كتابك، وقد بلغنا من الناحية كـلام يطول شرحه[2].

---

(١) سورة التوبة، آية ١٢٢.

(٢) جاء بعد ذلك كلمة (بيت) للتنبيه على أنه سيأتي بيت شعر. وتم حذف الكلمة.

تمناني ليلقاني لقيط   أعام لك ابن صعصعة بن سعد

الكل إلى غير ذلك أحوج.

هذه منابر آل محمد صلوات الله عليهم معطلة من ذكرهم منذ دهر طويل، وفيئهم مأخوذ، وحقهم مغصوب، وثأرهم مطلول[١]، والفرقان فيما اختلفوا فيه موجود، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم. فأما إذا لم تبق إلا المغالبة فما أحد يخبِّىء[٢] عن نفسه ما يجده كما قال ضرار بن الخطاب[٣]: وعن أيِّ نفسٍ بعد نفسي أُقاتلُ[٤]. وكان صاحب الأمر إذا اضطرته الأمر هادن، وإن قام عمودها فاتن[٥]، فأي الفريقين كان أو متى وصل الأرض قبل صاحبه. فانظر في ذلك بما يوفقك الله سبحانه ويعينك عليه. فصاحب هذا الأمر على وجهين إما أن يظهر؛ فأقبح الأمور على من ينتسب إلى الدين أن يظهر وليس معه لسان صدق. وإما أن لا يظهر وقد حق له استحقاقه؛ كانت حسرة، فأكثر الأئمة لم يطبق[٦] على إمامته إلا بعد موته. وإن لم تظهر له حجة على

---

(١) الطَّلُّ: هدر الدم، وقيل: هو ألا يُثْأَر به أو تقبل ديته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طلل.

(٢) في الأصل (يخبا).

(٣) عن ترجمة ضرار بن الخطاب. انظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، جـ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٣.

(٤) البيت على النحو التالي:

فجردت سيفي ثم قمت بنصله   وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل

الجمحي، طبقات فحول الشعراء، جـ١ ص ٢٥٢.

(٥) الكلمة غير منقوطة ويمكن قراءتها فاتن أو فانن. والفتنة: اختلاف الناس بالآراء. وفانن أي اشتد في خصومته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فتن؛ مادة: فنن.

(٦) أطبقوا على الشيء: أجمعوا عليه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طبق.

استحقاقه كان شبهة يجب أن يكون في حلها على يقين، ولم يرتكبها على الخطر ويتمسك بحبل الغرور وهو متمكن الاستبصار بالوصول إليه، والمراجع له في أموره، والسلام،وصلى الله على محمد وآله وسلم.

فلما وصل إليهم الكتاب كتموه على ما بلغ عنهم، ولم يظهروه إلى جمهور الناس. واختص به جماعة منهم، وكتموه خشية على ما عرض الإمام عليه السلام من نفسه ودعاهم. واستمروا على حالهم، وتغافلوا عن الجواب، ولم ينظروا في خطأ ولا صواب.

وقدم رجل من أهل ذمار يقال له يحيى بن علي، وكان بينه وبين الشريف أبي الفتح بن محمد العباسي العلوي ألفة وخلطة، فسأل كتاباً إليه يُقْرأ[1] بهجرة الجبجب[2]. وكانت مكاتبته قد انقطعت عن الإمام عليه السلام منذ دهر طويل، وهو يرى رأى المطرفية ويناضل عن مذهبهم. فكتب عليه السلام كتاباً نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. سلام عليك. فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد.

فإن كتابنا هذا صدر من محروس ذمرمر حماه الله تعالى لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى عن سلامة، لموليها الحمد والمنة والشكر. ولم يكن قبلنا من الإعلام إلا ما انتهى إليك من انقطاع الهدنة بيننا وبين الأجناد بصنعاء مدة محدودة، وأحوالهم على غير نظام لما يعلم من جهلهم

---

(١) في الأصل (يقرى).

(٢) هجرة الجبجب بأرض بكيل الهان؛ نسبة إلى قرية الجبجب من عزلة مخلاف ضوران، ناحية ضوران، قضاء آنس. مسلم اللحجي، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٣٠٦؛ الشرفي، اللآلىء المضية، جـ ٢ ص ٢٦٥؛ التوزيع السكاني في محافظة ذمار، ص ٣٦.

لحرمة العهود، واستخفافهم بالعقود. وكان ذلك لأمور نجمت من مردة العرب، وتعذر الجمع بين الفريقين فأجريت الهدنة لهذا السبب.

وسوى الروم خلف ظهرك روم   فعلى أي جانبيك تميل[1]

ولما بعد العهد والمكاتبة من قبلك بعثنا إليك هذا الكتاب مستدعياً إعلامك وإخبارك لوحشة تقلب الدهر وأهله، وما لحق المتسمين بالدين خاصة من الوصمة في دينهم المهلكة التي أصلها نبذ هداتهم، ومعاداة أدلتهم وأطيابهم من عترة نبيهم صلَّى الله عليه وآله، ورجونا أن يكون عندك بعض دخائل القلوب. وإن كانت الأسوة برسول الله صلَّى الله عليه وآله، وعلى الطيبين من آله فقد قال له ربه نهياً بصورة الاستفهام في لفظ الترجي ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾[2]. فنسأل الله تعالى ثباتاً في الأمور ترسخ به الأقدام في مقامات الحق، ونوراً يستضاء به في ظلمات الشك، ويقيناً في الحيرة عند ورود الشبهات ودرك المنجيات، ونجاة من المهلكات. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا مشفوعة بصحة الاعتقاد، خالصة لرب العباد.

ولما كانت الزيدية زبدة الشيعة لاعتصامهم بالصحيح من مذاهب العترة المشفوعة بالبرهان المنهي إلى العلم اليقين، ولهم سمات يعرفون بها وينازعون أهل الضلالة، منها[3] تفضيل العترة النبوية بمجرد القرابة والنسبة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله على جميع الخلق، وقام بذلك الدليل وهو علمنا أن رسول الله صلَّى الله عليه رسول إلى الجن والإنس كافة. وكان تبليغه للرسالة، ونصيحته الأمة، من أعظم المنة.

---

(١) الشعر للمتنبي.

انظر، عبدالرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، جـ٣ ص ٢٢٧.

(٢) سورة الشعراء، آية ٣.

(٣) في الأصل (فيها).

وإنقاذه لهـم من شفا الحفرة إلى غيـر ذلك مما انساق إليهم به صلّى الله عليه وآله من الخير والرحمة والبركـة. وقد ثبت عند جميع العقلاء من المسلمين والكافـرين أن تعظيم الولد يكـون تعظيماً للوالـد، ومكافأة إذا كان محسناً لمجـرد قرابته، حتى أن من كـره تعظيم ولـد المحسن كـان مسيئاً عند أهـل العقول. فهذه واحدة وهـي الأصل ضيعت فضاعـت بوهوم خارجـة عن نسـق العلوم. ومن ذلـك ما أوجبـت النصوص المتظاهـرة، والأخبار المتواترة في الفـرع إلى الهداة والرجـوع إلى الولاة من العترة الطاهرة. قال الوصي صلّى الله عليه وآله: «أيها الناس اعلموا أن العلم الذي أنزلـه الله على الأنبيـاء من قبلكم في عترة نبيكم فأيـن يتاه بكـم عن أمـر تنوسخ من أصـلاب أصحاب السفينـة، هؤلاء مثلها فيكـم، وهـم كالكهف لأصحـاب الكهـف، وهـم باب السلم فادخلوا في السلـم كافـة، وهم بـاب حطة من دخلـه غفر له. خذوا عني عن خاتـم المرسلين حجة من ذي حجة قالهـا في حجـة الوداع: إني تارك فيكـم ما إن تمسكتم بـه لـن تضلـوا من بعدي أبداً كتـاب الله وعترتـي أهـل بيتي. إن اللطيف الخبيـر نبأني أنهمـا لن يفترقـا حتـى يردا على الحوض». هذا قـول الوصيّ، قـام الدليل بكونـه توفيقاً إذ هـو خارج عن قبيل المجتهدات لكونـه غيوباً وأخباراً عن الكائنات. وهذا مـن غرر الحديـث ودرره، وما يعقلهـا إلا العالمـون، قضى بكون العلـم الأول والآخـر فيهم بأول الحديـث وآخره. وهلكـت أمة نـوح عليه السلام إلا راكـب السفينة، فكذلـك هذه الأمـة وإلا فلا معنـى للتمثيل. ولـم يعصم دين أهـل الكهف إلا دخـول الكهف، كذلك حكـم أهـل عصرهـم ومن لـم يدخـل باب السلم فليـس بمسلم. وتاهـت الأسبـاط في كـل وجهـة حتـى توجهوا بعـد المدة الطويلة إلى بـاب حطة فدخلـوه فغفر لهم. كذلك هـذه الأمة ومثلهم بالكتاب وقرنهـم به، ووقـت الافتراق بزوال التكليف، وأنهم لا يفارقـون

الحق ولا يفارقهم.

وأما قول من يقول نتبع المتقدم دون المتأخر. قالت اليهود لعنهم الله نتبع موسى ومن قبله، والنصارى بعدهم قالوا: نوالي عيسى ومن سبقه. أو كاختيار الرافضة[1] والواقفة[2] والكيسانية[3] والسبئية[4]، فهم وإن وقفوا على رضا فقد حاروا في القضا، حيث لم يطردوا الأدلة، وقيدوا حكم العلة. فمن اقتدى بالجاهلين من الجهال، وقال: أقف عند الهادي عليه السلام، قلنا: وما يخلصك من إلزام أولئك الطغام وقست على صور المسائل فكنت عين الجاهل. يا هذا إنما هو فجر أو بحر، المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيين سلام الله عليهم أجمعين.

وأنت أيدك الله ممن اختص من نفاذ المعرفة بذكاء الفطنة، إذ مجرد العلم لا ينفع مع فقد ذكاء الغريزة. وقد كان عذر الشيعة في الاختلاف متوسطاً لتمخضهم شيعة، وكل فرقة تأنف من الانقياد

---

(١) سميت الرافضة من الشيعة بهذا الاسم، لرفضهم زيد بن علي، وتركهم الخروج معه حين سألوه البراءة من أبي بكر وعمر، فلم يجبهم إلى ذلك.
نشوان الحميري، الحور العين، ص ٢٣٨.

(٢) الواقفة إحدى فرق الخوارج.
نشوان الحميري، الحور العين، ص ٢٢٩.

(٣) الكيسانية هم أصحاب المختار بن أبي عبيد، وترى هذه الفرقة أن الإمامة انتقلت بعد الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية، وكانت تقول بأنه لم يمت ولن يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.
ابن حزم، الملل والأهواء، جـ ٥ ص ٣٦؛ نشوان الحميري، الحور العين، ص ٢١١.

(٤) السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ ومن قال بقوله: أن علياً بن أبي طالب حي لم يمت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.
ابن حزم، الملل والأهواء، جـ ٥ ص ٣٦؛ نشوان الحميري، الحور العين، ص ٢٠٦.

لأختها. فما العذر بعد ظهور قائم العترة، ماضي الحجة، نافذ الفكرة، الباسط يده ولسانه بالحجة والبرهان، وكفه وذراعه بالسيف والسنان. أنقيم والضروع[1] جافلة، واللقاح[2] باهلة[3]، فلها العتمة آخر الزمان. وإذا كانت ترفض هذه الأمة، ودعاة العترة واحداً بعد واحد، فما بقي أرجا من أن يرجو على قود فعلها إلا الدجّال لعنه الله، لأن المهدي عليه السلام لا يأتي بقربان تأكله النار. إنما يدعو إلى ما دعا إليه من سبقه من طاعة الجبار، ويفتقد إلى أعوان وأنصار يعرضون جباههم لحد الشفار، فانظر في أمرهم فإن اتبعوك في الحق وإلا فلا تتبعهم في الباطل. فإن تابعوك فكن لهم كفيلاً لتجتهدن[4] لهم في إسقاط الفرضَ عنك وعنهم، بل عن الإمام والأمة بدليل واضح، فإن كان ذلك كذلك وقفوا على دليل، وعذروا عند العلي الجليل. وإن استحكمت عليهم أناشيط الحق، واستبهمت عقد الفرض، سلكوا منهاج الدليل، واتبعوا خليفة الرسول صلَّى الله عليه وآله، وكانوا من أمرهم على يقين. اقتفوا آثار المتقين ففي الرواية عن هارون المتسمّي بالرشيد أنه قال: ما بيني وبين الإمامية خلاف، والله لئن خرج إمامهم على الصفة الذي يقولون لأكونن أول من يتبعه، وإنما عدوي هؤلاء الزيدية كلما خرج من أهل هذا البيت خارج، تغسلوا وتحنطوا، وأصلتوا أسيافهم يريدون الجنة. فهؤلاء عدوي وعدو آبائي. وإنما وقفت

---

(١) الضروع: الماشية من الشاء والإبل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضرع.

(٢) اللقاح: ذوات الألبان من النوق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لقح.

(٣) باهلة: أي مهملة بغير راع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بهل.

(٤) في الأصل (لتجهدن).

الإماميـة عند المعدوم لأنهـم وصفوا إمامهم بالمستحيـل المتعـذر فهلكوا، وأهلكوا، فنعوذ بالله من مثل حالهم لنـا ولجميع المسلمين.

فلما وصل الكتاب إلى الشريف أبي الفتـح بن محمد إلى هجـرة الجبجب علـى يـد ذلك الرجـل الذماري، وأتـى به إليه والناس مجتمعيـن حوله، فلـم يتمكن كبارهـم من كتمانه. فلمـا قرىء تنازعـوا في أمـره وافترقـوا فريقيـن يتلاومون، وخطأ بعضهـم بعضاً على تثاقلهـم وتأخرهـم عن الإمـام. فأظهـروا عند عوام النـاس العـزم على القدوم إليه، والحضور بين يديـه، فانتظـر وصولهـم أو جوابهـم فلـم يقع. فلبثـوا بعد ذلـك قريباً من السنة مستمرين متغافلين حتـى جرى صلح بعـد قدوم الغز إلى صعدة، وكان علـى يـد الشريف الحسن بن عبد الله. وأتـى إلى الإمـام عليه السلام إتمام الصلح، وجرى منـه كلام في أمـر الشيعة، وأخـذ لهم منشوراً ليصـل من وصـل منهم إليه وهو آمن. وكانوا يظهـرون عند عوام الناس وجهالهم أنهم يخافـون على أنفسهم وأن ذلك هو العائـق لهم عن الوصول إلى الإمـام عليه السلام لمناظرتـه، وذلك عـذر ليبقى لهم ناموسهم عنـد العامـة.

فلما عاد الشريـف بعد الصلـح إلى وقش، جـرى منه حديث إلى الشيعـة، فأجمـع رأيهـم وكاتبوا أهـل الجبجب، وأظهروا العـزم على القدوم جميعـاً إلى الإمـام عليه السلام لمناظرتـه، ويكون اللقـاء إلى ذمرمـر أو إلى ثلا، وأشاعـوا ذلـك في الأقطـار. وكان على نيـة القدوم إلى صعدة وقد بلغـه العلم بمـا أجمعـوا عليه مـن ذمرمر. وكانـت أمـور صعدة مختلفـة عقيـب مراح الغـز منها، فلم يتمكـن من الرجـوع إلى ذمرمـر لمناظرتهم. فكتـب إليهم إن كانـوا يريدون ذلـك فليكن وصولهـم إلى صعدة، ويجري الكلام بمحضـر من الأميريـن السيديـن الداعييـن إلى الله

بالمشهد المقدس ـ مشهد الهادي إلى الحق عليه السلام ـ وطائفة من المسلمين.

ومن إنشائه عليه السلام إلى حراز، إلى بني سهل وقد أتى كتاب من الشيخ علي بن سليمان، وكان قد أعطاه ولاية حراز وما يتصل بها، وكان أهلها وبعض قرابته على مذهب الجبر. فلم يزل حتى مال إليه طائفة جزيلة منهم وصارت على مذهب العدل والتوحيد، تقيم الجمعة للإمام عليه السلام، والطائفة الأخرى تقيمها لصاحب بغداد. وكان له من العناية في أمرهم والاجتهاد ما أثر في تلك الجهات، وصار الغالب عليهم اسم الزيدية. فكتب الإمام إليهم في آخر كتاب كلاماً نسخته.

اعلموا أيدكم الله بتوفيقه أن الناس اليوم على ما كانوا عليه أمس وقد أصفق[1] على أمير المؤمنين هذان الحيان مذحج وهمدان، ثم ذراريهما على ذلك إلى الآن. إلا أن بعض همدان قد أصيبت بآفة في حب آل محمد صلوات الله عليه وعليهم وهو الغلو؛ أحبوهم حتى أبغضوهم، وفرقوا دينهم، وطلبوا معدومهم، ورفضوا موجودهم. فنسأل الله العافية، فلم تزل الآفات تصيب الناس في الأبدان والأديان وأنتم من صميم همْدان وجرائمها الشريفة.

وبلغنا أنكم تصلون جمعتين، والصواب تحكيم العقول لأنها حجج الله على خلقه. لِمَ سُمِّي ـ رحمكم الله ـ الخليفة خليفة، أليس لمقامه مقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فهل تعلمون أن صاحب بغداد قام بمقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله، أو يدعي هذا ممن لا ينكر

(١) أصفق: اجتمع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صفق.

المشاهدات. أفليس يشرب الخمر، ويضرب له بالعيدان، ويفعل ما تقف ألسنتنا عن ذكره، ولا نسلم من نقصه لمكان قرابته.

إنا رحمكم الله وإن كنا عترة رسول الله صلَّى الله عليه وآله فلا نغر نفوسنا بالأماني الباطلة، وأنَّا ندخل الجنة بغير عمل؟ بل بالعمل الصالح ورحمة الله وسبحانه في التجاوز عن الصغائر والهفوات. ومن أطاع الله سبحانه منا ضوعف له الثواب، ومن عصاه ضوعف عليه العقاب. وقرابتنا من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم توجب أن نلزم من الدين أضعاف ما يفعله المسلمون لأن أبانا سلام الله عليه وسلامه شرع الشرائع، وسن السنن، فنحن أولى الناس باتباعه واقتفاء آثاره، واحتذاء أمثاله. واعلموا رحمكم الله أن أبا حنيفة والشافعي رحمة الله عليهما كانا لا يعتقدان إمامة من هو أفضل من صاحب الوقت ممن يدعي ذلك اليوم من بني العباس، وقد كان بقي للدين عندهم جلالة. فلما قام عليه إبراهيم بن عبد الله عليه السلام، كتب إليه أبو حنيفة:

فإذا أظهرك الله بآل عيسى بن موسى فسر فيهم بسيرة أبيك في أهل صفين فإنه قتل المدبر، وأجهز على الجريح، ولا تسر فيهم بسيرته في أهل الجمل فإنه لم يقتل المدبر، ولم يجهز على الجريح. فلما قتل إبراهيم عليه السلام، وجد الكتاب، فأمر له إلى بغداد، فسُقي شَربةً. مات منها شهيداً في حبنا أهل البيت. وكان يفتي بالخروج مع إبراهيم؛ وسأله رجل عن الحج قال: أخرج إلى إبراهيم، فغزوة أفضل من خمسين حجة. فقال له رجل: لِمَ لَمْ تخرج؟ قال: ودائع كانت عندي للناس[1].

---

(١) انظر، عبد الله بن حمزة، الشافي، جـ١ ص٢٠٢.

والشافعي رحمه الله كان داعياً ليحيى بن عبد الله في عصر هارون المتسمّي بالرشيد في قصة تطول، ومالك بن أنس رحمه الله سئل عن الخروج فأفتاهم به، قالوا في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، قال: ليس على مكره يمين. وما أعلم القول بإمامة الفاسق لأحد من أهل العلم، ولا يختلف أحد من أهل العقول فضلاً عن أهل العلم في فسق شارب الخمر ومن يأتي الفاحشة - حاشا جماعة المسلمين - ولا يختلف أحد في شرب الأولين من خلفاء بني العباس وآخرهم الخمر ما خلا السفاح، وأبا جعفر المسمى بالمنصور.

وقد علمنا من حال أحدكم في شراء الشيء الهين من متاع الدنيا، لو أمر خادمه أو ولده لشراء بقل، واستكثر الطعام واستقل البقل، ضاق صدره خوف الغبن. فكيف يتساهل في ثمن الجنة، وفكاك الرقبة. وإنما يكب رحمكم الله كما قالت العامة على الضفع[1]. فأما الرجال أهل العقول فلا يكب عليهم. والغرض أن تعلموا أحد أمرين إما أن يعترف من يلازمكم، ويأمركم بالخطيئة، والشهادة على ذروة المنبر أن شهادة للعباسي بالصلاح شهادة زور، فأنتم لا تصلون إلى الصلاة إلا وقد انتقض الوضوء للقول والاستماع. وإما أن يقول ما شهد إلا بالحق، فقد غلب في الظن أنه لا ينقطع من يحج منكم في هذه السنة المباركة إن شاء الله. وأنا ألزم نفسي أن أقبل شهادة رجل عدل أو عدلين ممن يحج منكم أنتم يا بني أبي سهل، أو ممن تثقون به وتصدقونه ولا يكون ممن يحج إلى بيت الله الحرام، ويرجع في اليوم الثاني بلا تعب ولا نصب. ورسول

---

(١) الضفع: وهو النجو، أي ما يخرج من البطن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضفع، مادة: نجا.

الله صلّى الله عليه واله كان يكتري من المدينة إلى مكة حرسها الله، وخرج إلى بدر على بعير له فيه شريكان، فكان إذا جاءت عقبة نزوله قالا: اركب يا رسول الله ونحن نمشي، قال صلّى الله عليه وآله: ما أنتم بأقوى على المشي مني، ولا [أنا][1] أغنى عن الثواب منكما، فكان يمشي ثلثي الطريق ويركب ثلثها.

رجعنا إلى قصة الرجل أو الرجلين، والحديث ذو شجون، فليبحث في مكة حرسها الله، وليخبر[2] الجمع الكثير الذين لا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب، فإن أخبر بما أخبرنا، نظرتم في نجاة نفوسكم، وإن أخبر بما شهد به على المنبر فالإمامة لذلك دوننا. وهذا خط أيدينا شاهد علينا فلا يغرنكم بالله الغرور. فقد علم الله أنا ما نحب قبيلة من قبائل العرب مثل محبتنا لكم، من رَأَيْنا، ومن لم نر منكم لمحبة من شاهدنا منكم، وقسنا الغائب على الحاضر. وما نأمركم تسخوا بأموالكم، اعطوا واسخوا بما شئتم منها؛ وإنما نريد أن تسبحوا بالدين بعد انتقاده وطلب البرهان والبصيرة فيه، وبشرط أن الذي نطلب شهادته لا يكون زيدي المذهب، وإنما يكون كامل العقل، حسن البحث، صادق اللسان، لا يشترط غير ذلك؛ بل يكون شافعي الفقه. وهذه النصيحة ما بذلناها لكم حتى قدمنا النية فيها لله سبحانه، ورجونا أن تكونوا من السابقين الأولين، ويسد الله بكم ثغراً من ثغور الإسلام، وتكونوا يداً من أيدي الحق، وتذكروا. وقد ذكرتم بحمد الله وسنن آل محمد سلام الله عليه وعليهم إلى يوم الدين، فتفوزوا بشرف الدنيا والآخرة. وافهموا أن من يدعوكم إلى الضلالة لا يقول[3]: هلموا

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (وينخبر).

(٣) في الأصل (يقولوا).

إلى الضلالـة، لو قـال ذلك لمـا اتبعه أحـد، ولكن يقول هلمـوا إلى الثواب والمغفـرة، ويَلْبِسُ الحـق بالباطـل كالذي يغـش الذهب والفضـة بما يشبههمـا ـ وليس منهما ـ ثـم يبيعـه الأغمار، فيجوز عليهـم. وإذا كان كل واحد منكـم أعـرف بطريقـة أبيه ودينه، فيجـب أن يكون أعـرف بطريقـة أبي وحالـه، كذلك أبي في أبيه، والأب الآخر محمد وعلي صلوات الله عليهما وعلى الطيب من آلهما. وفينـا عارض كمـا في الناس، وقد قال الله تعالـى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنـا في ذريتهمـا النبوة والكتاب فمنهم مهتـد وكثير منهم فاسقون﴾[1]. ففسـق الفاسـق لا يمنع من وجـوب اتباع المهتدي. فاعلموا ذلك والسلام.

وأتى كتاب من أهل حراز جواب كتاب كتبه الإمـام إليهم من فقيهين لهم ضمناه شعراً، هو:

أعقد من الدر الثمين المنضد[2] تقلده بلة[3] من العين[4] خُرَّدِ[5]
أم الروض بات النوض[6] يضحك فوقه ويبكي عليه بالربـاب المردد
إذا افتر في أرجائه البرق جاوبت رعـود تبكيـه بصـوت مغرد

---

(١) سورة الحديد، آية ٢٦.
(٢) نضد الشيء: جعل بعضه على بعض متسقاً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نضد.
(٣) بَلَّةُ الشباب وبُلَّتُهُ: طراوته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بلل.
(٤) العين: عظم سواد العين وسعتها. ومنه قيل لبقر الوحش: عِينٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عين.
(٥) الخريدة والخريد والخرود من النساء: البكر والجمع خرائد وخُرُدٌ وخُرَّدٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرد.
(٦) ناض البرق ينوض نوضاً إذا تلألأ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نوض.

تعلل زهر الروض حتى تسنمت ... بأحمر من تبر على مثل إثمد[1]
وأبيض صاف ثم أصفر فاقع ... وأخضر جلاها بصورة مجسد
فغنت على أغصانها الطير واغتدت ... تريح على قلب الشجي المسهد
أم الأنجم الزهر الدراري أومضت ... ثـواقبها والليـل كالقـار أسـود
أم الأسطر اللاتي أتت من مهذب ... تفرسها هـادي البريـة مهتدي
إمام بني الدنيا وأكرمهم أبـا ... وأشرف من فوق الثرى من مسود
كفى شرفاً إن فاخر الناس أنهم ... يقولون هذاك ابن بنت محمد
رسول من الرحمن للخلق منذر ... دليل إلى الإيمان بالله مرشد
نبيٌّ كساه الله من نور وجهه ... فعترته من بعده فيه تهتـدي
وهذا فخار لا يكون لغيرهم ... على الأرض في غور بعيد ومنجد
أيا راكباً بلغ على سخطة[2] النوى ... كتابي إلى ربع الإمامة واقصد
فإن أنت قابلت الإمام فحيه ... بـأزكى تحيـات الإلـه ومجـد
وقبل بحق الله أخمص رجله ... إذا ما بدا في الحال نحوك واسجد
وصل على جديه وأحسن ثناءه ... قلوصك[3] يا هذا وقل أنت مقصدي
هناك ترى غيثاً وليثاً وصارماً ... وبحراً وكهفاً للطريـد المشرد
شهاب لهامات المعادين راجم ... وحصن الحليف الناصح المتودد
وأزكى بني الدنيا وأنداهم يداً ... إذا ما أسحت[4] من لجين وعسجد

---

(١) الإثْمِدُ: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: هو الكحل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثمد.
(٢) السَّخَطُ والسُّخْطُ: الكراهية للشيء وعدم الرضا به.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سخط.
(٣) قلص القوم قلوصاً إذا اجتمعوا فساروا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلص.
(٤) أسحت الرجل: ذهب ماله.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحت.

تـراه ضجيعـاً للحســام بليله | إذا قام من تحت الطراف المعمد
ومهضومة الكشحين يسمى بديمها | بمكحولتي مذعورة أُمّ فرقد[1]
تغار إذا ما السيف صار ضجيعه | وتبكي متى تبكي بمقلة أرمد
فلا ينثني من قولها بل يجيبها | سليني بإقدامي وصدقي ومحتدى
فآليت لا ينفك كشحي بطانة | لعضب رقيق الشفرتين مهند[2]
وقل لي له لولا العوائق زرته | وأطوي إليه فدفداً بعد فدفد
سبقت إلينـا بـالكتـاب وإنمـا | لك السبق في الأمر الرشيد المشيد
فجازاك عنا اللّه خيراً مضاعفاً | ولا زلت في بدر الإمامة مرتدي

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى عبد الله وأحمد ابني سعيد الكردي، وهما من مذحج وبلاد بني حبيش، وكانا ينتحلان مذهب الجبر، وقد حاربهما الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح[3]، وضيـق عليهما الأنفاس. وطالب أهـل بلادهما بتسليم الحقوق الواجبـة، فأتـى كتابهما يستغيثان منه ويسألان الشفاعة إليه. ويذكران بعـد ذلك أنهما يحضران معه في مقامات الحـرب، وينابذان الأعـداء من الغز وغيرهم. فكتـب إليهما في عقـب كتاب: ولقد بلغنـا محـاربتكم، والبصيرة يجب أن تقدم على القتال كمـا روي عن زيد بن علي عليه السلام أنه قـال لأصحابه: «البصيرة البصيرة ثـم القتال، إنه من قتل نفساً يشك في ضلالتها

---

(١) في الأصل (بفرقد) والشطر الثاني من البيت لطرفة بن العبد.
انظر: ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٧ ؛ مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، جـ ١ ص ٣١٣.

(٢) البيت لطرفة بن العبد.
انظر: ديوان طرفة بن العبد، ص ٣٧؛ مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، جـ ١ ص ٣٢٠.

(٣) في الأصل (رباح).

كمـن قتل نفساً بغير نفـس والأمـة مجمعة على أنـه لا يجوز القتال إلا على بصيرة». وإذا كانت إمامة بني العباس لم تجز قتال من اغتزى إليهم؛ وإن لم تروا بإمامتهم، فلا بد أن تلزموا إمامة الرضـا من أهـل بيت نبيكم صلَّى الله عليه وآله لتكونوا محقين. ومن حاربكـم باغياً قصدتموه بالحرب أم قصدكم، وهذا لا يغبي على عاقل منصف. فأما حالكما فقـد علـم الله أنا ما نسيناكما، وإن كتبنا إلى ظهير الدين مفضل بن منصور في أمركمـا متواترة لكونكما من كبـار العرب ومحل الرفعـة. ونحن نرجـو بالعـرب، ولها ما ترجـو أكثرها بنا ولنا.

ولم تزل عترة محمد صلَّى الله عليه وآله من هذه الأمـة إلا القليل مجفوة، وهي على الجفـوة صابـرة، وعلى النصـح لها مثابـرة. ولو أن محمداً صلَّى الله عليه وآله خلف بهيمة من البهائم لكـان علـى الأمـة تشريفها، وتمييـزها على سائـر البهائـم. فكيف بأقمـار دجى، وأعلام هدى، وبحـار ندى.

انظرا رحمكما الله تعالـى [فبالداعي][1] يعـرف الإمام لأنه يده ولسانه. وإذا كانت بغداد دار هجرة إمامكم، وخمرهـا لو صب لجرى نهراً، فكيف تصح الإمامـة، وهـل يقود الأعمى الأعمـى، ويداوي العليل العليل. فإنها لا تعمى الأبصـار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. أخذ الله بنواصيكما إلى الرشد، وعرفكما نهج السلامة.

فهذا ما انضبـط من إنشائه عليه السلام مدة اللبوث بذمرمر في المرة الأخرى، سوى ما شذ منها ولم أطلع عليه. وكان ينفـرد لتصدير المكاتبات وإجابتها، ويتولـى بنفسه أكثرها، فما وقعـت عليه منها علقته.

---

(١) ما بين الحاصرتين كلمة تقرأ على النحو التالي (فبالمام).

وكان له وقت يبرز فيه لقضاء حوائج الناس، وهو من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب. وفي خلال ذلك يقرأ عليه جماعة من أصحابه في الكتاب الموسوم بشمس الشريعة، ويأخذون اختياره منه. وكان المتولي لجمعه وتصنيفه الفقيه الفاضل علي بن أحمد الأكوع. وكان ذلك مستمراً مدة الإقامة، فألف من ذلك قدر كتاب مجلد سماه الاختيارات المنصورية. هذا مع سائر الأشغال، وتدبير أمور الرعية، والنظر في مصالحها حتى جاءت الأعلام بحركة الجنود الظالمة ونهوض السلطان سنقر يريد صعدة، انقطعت القراءة لأجل ذلك. وأنشأ الإمام عليه السلام شعراً يؤنب فيه قبائل العرب، ويحضهم على الجهاد، قال عليه السلام:

ما هجاني في الأيك نوح الحمام   ولا ديار الحي من دون حام
فالبير فالبيضا فأعراضها   الدنيا التي دون مسيل الأكام
فجابني نشان فالأثل في   شطى مطار باكرتها[1] الغمام
منازلاً كنا عهدنا بها   كل بطيء السير نائي القتام[2]
من حي نهم ودعام وهل   حي كنهم في الورى أو دعام
لا ترجف الغارات أجوافها   ولا تراهن يسقن البهام
ممنعات بالظبى والقنا   وكل فوهاء عضوض اللجام
يمشين هَوناً كَتَهَادي القطا[3]   مقصرات في ظلال الخيام
بل هاجني ما قد أصاب الملا   من معضل حل بهم واستقام

---

(١) في الديوان أ، ب (باركته).

(٢) القتام: الغبار.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: قتم.

(٣) القطا: طائر سمي بذلك لثقل مشيه.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: قطا.

الضد في أرض بني يعرب العظمى[1] إلى قرب ثلاثين عام
عجم نفت مذحج عن أرضها وحي همدان وصمت صمام[2]
وأقبل الناس إلى دينهم كأنما يبتدرون السلام
لهم ذمام وهو أحبولة والذم معقود بذاك الذمامْ
هل عاقل يعرف غاياتها هبّوا أأنتم عن مداها نيام
لا عيش حتى تشعلوا نارها وانظر الخيل بواجي[3] قيام
وتختليهم باترات الظبى وهم شريد كخيوط[4] النعام
ما عذركم فيهم أمن قلة أتيتم أم من حذار الحمام
فالموت حتم في رقاب الورى يعترق اللحم ويبري العظام
لا والذي طافت قريش له وابتدرت بعد الطواف المقام
ما ظنكم جبن ولكنه داء من الخذلان يحكي الهيام
عودوا إلى أحسن حالاتكم أيام سمت بيضكم[5] بالشآم
وفي خراسان وأعراضها والسند والهند وخلف الأكام
والترك والكرد لكم سبقة كأنما يكتسحون السوام[6]

---

(١) في الديوان ج (العربا).

(٢) يقال للداهية والحرب صمام، وأصلها الحية، وصمي صمام: أي داهية عارها باق لا تبرئها الحوادث.

الميداني، مجمع الأمثال، جـ٢ ص ٢١٩؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة: صمم.

(٣) في الأصل (تواجا)، وفي الديوان (نواجي).

والبائج: المثقل، وبعير بائج أي متعب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: بوج.

(٤) الخيط: جماعة النعام والجمع خيطان.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: خيط.

(٥) كتيبة بيضاء: عليها بياض الحديد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: بيض.

(٦) السوام بمعنى المال الراعي، والسوام: الإبل الراعية.

فاعذروا في الحرب أو تعذروا | فباذل الجهد بها لا يلام
روموا فأنتم جمرات الورى | في حرب هذا القوم صعب المرام
ما لشهاب خمدت نارها | وحي سنحان وفتيان يام
ومن بكيل وذرى حاشد | كل كريم الجد ليث همام
والشم من حمير[1] أهل الوفا | وسادة الأبنا ليوث الصدام
قبائل لو أقبلت نحوهم | مروا شريداً كهلهم والغلام
ما عذركم في الوقت عن حربهم | وقد سمعتم رجع صوت الإمام
وراية الإسلام منصوبة | عالية تخفق دون الغمام
إن تنصروا الرحمن ينصركم | والإثم إن لم تنصروا والغرام
قد رضع القوم[2] أخلافها | وها هم يستصعبون[3] الفطام[4]
إن شئتم أن تردوا عذبها | صبرتم فيها لمر الزحام
فكل من رام العلا بالمنى | فداؤه في الجهل داء عقام
كم راغب فيهم وهم حتفه | ورافض يلسعنا بالكلام
يقول قال الشيخ إن جاءكم | داعي الهدى قلتم له لا همام
لا بد من يوم تظل القنا | فيه هشيماً كهشيم الثمام
والخيل تشكوا نافذات الشبا | والبيض[5] والبيض به في خصام[6]
والشهب تحكي الشقر قد كلمت | جهراً وما تعرف معنى[7] الكلام

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: سوم.

(١) في الأصل (خولان). والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (الأقوام). والتصويب من الديوان.

(٣) في الأصل (مستصعبون). والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (العظام). والتصويب من الديوان.

(٥) إضافة من الديوان.

(٦) في الديوان النسخة ج، د (حطام).

(٧) في الأصل (منى). والتصويب من الديوان.

والـيـوم أيـام وفـي ظـلـه سمائم[1] الحتف وموت زؤام[2]

الـلـه مـولانـا ومـولاهـم الـ ـشيطان والنصر لنا والتمام

كـأني أنظر بـالله ذي الـطـ ـول وهم يهفون مثل الجهام[3]

والحرب قد أفنت عفـاريتهم وغـادرت كـل ددان كهـام[4]

ونحن في أعقـابهم بـالـظبى نسوقهم سوق الحمـاة الكرام

ويـرجـع الـمـلك لأربـابـه من آل يـاسين ولاة الأنـام

ويقشع الجور بـريح الهدى فهي نـسيم ولقـوم سـمـام

ويثبت العـدل على سـاقـه ويصبـح الـظلم رفـاتـاً رمـام

إن رفـع الدهـر لهم جـانبـاً فـربمـا يخفضـه[5] من قيام

فكم مـريـد طغى واعتـدى بـادره الحتف بيـوم كـعـام

يا رب شتت شملهم عاجلاً واحلل وشيكاً عقد ذاك النظام

وصـل يـا رب على أحمـد وآلـه الغـر بـدور الـظلام

وللشيخ الأَجَلّ حنظلة بن الحسن بن شعبان شفعاً لهذا الشعر وقد بـلغ إلى ذمرمر وهو يومئذٍ حـالّ هنالك:

لم لا تقـوم دعـائم الإسـلام وتـدوم دولتـه مـدى الأيـام

(١) السموم: الريح الحارة؛ وقيل: هي الباردة، ليلاً كان أو نهاراً، تكون اسماً وصفة، والجمع سمائم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سمم.

(٢) في الديوان النسخة د (الزؤام).

(٣) الجهام بالفتح: السحاب الذي لا ماء فيه، وهو أيضاً السحاب الذي فرغ ماؤه، أي لا خير فيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جهم.

(٤) الدَّدان من السيوف: نحو الكهام: هـو الذي يقطع به الشجر. وسيف كهام وددان بمعنى واحد: لا يمضي.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ددن، مادة: كهم.

(٥) في الأصل (يحفظه). والتصويب من الديوان ج، د.

وقد استبان الحق حقاً وانجلى ديجور ذاك الظلم والإظلام
وتبلجت صفحاته وتأرجت نفحاته في يمنة وشآم
ورأى غواة الحق غاية غيهم وتيقظوا من بعد طول منام
عادت عليهم من عواقب بغيهم ما حذرته سائر الأنام
خابت ظنونهم التي ظنوا وكم ظن غدا من أكبر الآثام
لا تحسبوا الإمهال إهمالاً ولا حلم الحليم لكم من الأحلام
هي فتنة للعالمين فعاطب فيها وناج دونها بسلام
ما قام عبدالله وابن نبيّه هذا المقام وكان خير مقام
إلا على ثقة وصدق عزيمة من ربه أذنت له بقيام
فمضى بأمر الله غير مقصر فيه ولا وان عن الإقدام
يغشي العجاج بنفسه في موضع زلت يديه ثوابت الأقدام
ويخوض غمرته بكل مدَجَّج من آل حمزة باسل ضرغام
يتبادرون أمامه وشعارهم الموت أجمل بي أمام إمامي
لم لا يكون النصر من أعوانه والسعد يخدمه مع الخدام
وهو الإمام الصائم القوام لا ما يدعون بصائم قوام
العالم الفذ الخبير بما انطوى عن غيره من غامض الأحكام
الزاهد الورع الذي لم يكترث في هذه الدنيا بجمع حطام
فحلالها كحرامها زهداً به أما استحل سواه كل حرام
الباسل المقدام في يوم الوغى نحو الأسنة والنحور دوامي
إن عدّ أيام الأنام فإنما يوماه يوم ندى ويوم صدام
أو عد أصحاب الرجال فما له غير الكتاب وصارم صمصام
همم الملوك مكاسب لم يدخر إلا لحالي مشرب وطعام
من قام منهم قام عن مندوحة[1] في العلم والشرف الرفيع السامي

(١) مندوحة بمعنى سعة.

وإذا تشاجرت الكماة رأيته بالمشرفي يسوق كل همام
وإذا تمكن في النداء محدثاً أزرى برائق لؤلؤ النظّام
يقري إذا غلب القتار على الكبا[1] وتواضع الداري[2] للإلحام
ويصوم أيام المصيف تواضعاً لإلهه والجو أحمر حامي
ويقوم في ليل الشتاء كأنما طعم المنام عليه فرج حرام
يحيي مآثر أحمد ووصيه ويقيم زيغ الأصيد القمقام[3]
هذي الخلافة لا خلافة معتد لسماع ملهية وشرب مدام
يمسي ويصبح لا يقيم فريضة ويقول قبل تبلج الإظلام
هاتي شراب الجاشرية[4] وامزجي صرف الصبوح لنا بماء غمام
أفعال كسرى في القديم وقيصر أضحى شعار أئمة الإسلام
أفكتمت آثار أحمد عنكم فجهلتم يا معشر العلام
قوموا بطاعتنا جميعاً وانصروا فالقوس قد ثبتت بكف الرامي
وبدا من الآيات في أيامنا ما لم يكن فيما مضى لإمام
أصلال[5] هذا[6] الناس ليس لأننا أعلا من الآباء والأعمام

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: ندح.

(١) الكبا: الكناسة والزبل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كبا.

(٢) الداري: اللازم لداره لا يطلب معاشاً. والداري: رب النعم سمي بذلك لأنه مقيم في داره. والداري: رب المال.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دور.

(٣) القمقام من الرجال: السيد الكثير الخير الواسع الفضل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة قمم.

(٤) الجاشرية: الشرب مع الصبح، ويوصف به فيقال: شربة جاشرية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جشر.

(٥) في الأصل (لصلال). وأصلال بمعنى سيوف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلل.

فالحمد لله الذي نشر الهدى وحمى حماه بفتية أعلام
وأكارم في الله قد نصروهم مثل الليوث غداة كل صدام

وللفقيه محمد بن عبد الأعلى الضميمي:

تمنيت غياً والأماني كواذب بقاء عليها والمنايا طوالب
وعيشة رغد حلوة وهي مرة الـ ـمذاق لمن صحت عليه العواقب
مكدرة الأطماع إن شئت مطمعاً ففي غنمها برق المطامع غالب
وأطمارها[1] الأسمال تستر غيها عليها فقد مدت عليها المعايب
توجعت من رزء الزمان وفجعه ولو كنت طوداً هدّ مني المناكبُ
يريني بعين العقل كنه عيونه وعين الهدى في راية العقل كاذب
فلا ترج منها غير ما في طباعها فما لذوي الرغبا تتم الرغائب
إليكم بني الدنيا نصيحة وامق[2] فهل لي منكم صاحب أو مصاحب
عليكم بتقوى الله يا قوم إنها لكم ملجأ ما ناب لله نائب
وقوموا بنصرة القائم الطاهر الذي به يكشف الغمى وتجلا المصايب
إمام الهدى عبد الإله بن حمزة فإن له أمر الإمامة واجب
فقل لبني الزهراء قوموا بحقكم فقد عميت عنه الطغام النواصب
فهذا أمير المؤمنين مشمر إلى الله في مسعائه الدين واصب[3]

= (٦) هذأ بمعنى قطع. وهذأت اللحم بالسكين هذءاً إذا قطعته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هذأ.

(١) الطمر: الثوب الخلق، وخص به الكساء البالي من غير الصوف والجمع أطمار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طمر.

(٢) الوامق: المحب المتودد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ومق.

(٣) الوصوب: ديمومة الشيء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وصب.

ليمحو بحد السيف شك غواتها ... إذا ذلفت نحو الضراب الكتائب

فيال بني الزهراء في الله شمروا ... إلى شمرى طبن منه المناصب[1]

ويال بني الهادي إلى الحق انتضوا[2] ... نفوسكم أو تستقيم المناصب

أجيبوا إمام الحق واعتصموا به ... فأنتم مواليه القدامى الأقارب

هو الآمر الناهي الذي يقتدى به ... على سنن تزدان منه المذاهب

وأعلمكم بالله والسنة التي ... أتت عن أبيكم والنصوص الغرائب

عميدكم في كل أمر زعيمكم ... رئيسكم الساعي الكمي[3] المواظب

أطيعوه تحظوا عند ربكم غداً ... إذا ما دعاكم للحساب محاسب

وقل للأولى قحطان قوموا بنصره ... وعدنان طراً تدعى الجلائب

ولا تهنوا عن دعوة طال نشرها ... يفوه بفحواها القنا والقواضب

فهذا سليل الطهر كالبدر بينكم ... وأنتم حواليه النجوم الثواقب

فإن رسول الله قال لجدكم ... على وزيري والقريب المصاقب[4]

أخي وارثي قاضي الديون الذي ارتدى ... كسائي صنوي طاب منه الضرائب[5]

كهارون من موسى تصدق راكعاً ... بخاتمة إذا جاء للخير طالب

وردت عليه الشمس بعد غروبها ... وذلك فضل أوجبته المناسب

---

(١) نصاب كل شيء. أصله. والمنصب: الأصل.
ابن منظتر، لسان العرب، مادة: نصب.

(٢) نضا بمعنى جرد. ونضا السيف: سله.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نضا.

(٣) الكَمِيُّ: الشجاع المتكمي في سلاحه، لأنه كَمَى نفسه، أي سترها بالدرع والبيضة.
ابن منظور ،لسان العرب، مادة: كمي.

(٤) المصاقب: المجاور.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صقب.

(٥) المضرب: النسب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضرب.

به باهل[1] الطهر النصارى لعلمه بأن أبا السبطين ما فيه شائب
وكان ابن عباس مطيعاً لأمره ومن وشحت أرحامه والأقارب
فثوروا على بغداد فورة واتر[2] فقد ظهرت منها الأمور العجايب
فما لبني العباس في الأمر شركة وأتباعها ما سبح الله راكب
هم تابعوا فساق آل أمية على غيهم فالكل منهم مناصب
وهم فعلوا الأفعال أيام طيبة وفخ ومنهم في المجاري تجارب
فهم بين مزمار ودف وقينة وهاتا أمور كلهن مثالب
وليس لهم سور يقيهم من الردى متى ذلفت نحو العراق الكتائب
يقودهم عبد الإله بن حمزة جموعاً تضم الأرض منها المواكب
كأنهم قطع من الليل مظلم أو البحر إذا جاش منه الغوارب
بخيل تراها الركض في كل غارة فهن عجاف كالسعالى سلاهب
بهم ننقم الأوثار[3] من كل ظالم فنحمي معانيها ونقضي المآرب

وقدم إلى ذمرمر شريف من بغداد يقال له علي بن محمد بن علي بن سالم بن يحيى بن طاهر الحسيني البغدادي وافداً إلى الإمام عليه السلام بأشعار من قوله، منها:

لولاك يا من سما الأنام أبا مات الندى يا أجل من خطبا
وكيف لا والنوال عندك يا أكرم من نال كل ما طلبا
خليفة الله يا رجاي أميـ ـر المؤمنين الذي اعتلا رتبا

---

(١) المباهلة: الملاعنة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بهل.
(٢) واتر من الوتر أي الفرد. والمقصود فورة رجل واحد.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: وتر.
(٣) الثار: الطلب بالدم، والجمع أثْآرٌ وآثارٌ. والثائر: الطالب ويجمع الآثار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثأر.

يا صفوة المصطفى محمد من ... صلى عليه من ربه اقتربا
بيا ماجداً لم يغر بعسكره ... إلا وأفنى عداته وسبى
ولا التقى في الوغى جيوش لقا ... إلا تولوا من خوفه هرباً
يا كاملاً قد حوى السعادة والنـ ... ـصر وضاهى علوه الشهبا
ناصرك الله أنت أفضل من ... للأمر بالحق قام وانتصبا
أنت الإمام الذي مؤمله ... يلقي المنى والمراد والطلبا
أنت الذي من له أطاع علا ... على الثريا ومن عصاه كبا
أنت الذي كل من إليه لجا ... نجا ومن رام خلفه عطبا
أنت الذي شاد كل مفتخر ... من الكرام الأولى حووا حسبا
أنت الذي جل قدره وعلا ... قدراً وأعلا من احتوى حسبا[1]
أنت الذي لا ينال حاسده ... مدى الليالي مناً ولا أربا
أنت الذي سبب سح[2] ساجمة[3] ... قد عم عجم الأنام والعربا
أنت الذي نرتجي السلامة إن ... يرضى ونخشى الهلاك إن غضبا
أنت الذي ما انتضى حسام وغى ... إلا أباد العرمرم اللجبا
أنت الذي جمع المحامد والشكـ ... ـر وأفنى اللجين والذهبا
أنت الذي قد حوى المفاخر والمجد ... وحاز العلوم والأدبا
أنتَ الذي لو سطا على أحد ... لا نهد من خوفه ولا اضطربا
أنت الذي شكره يشرف مبديه ... ويسمو بمدحه الأدبا
أنت الإمام الذي ثناه به ... تزهو رواة الأنام والخطبا

---

(١) في الأصل (خسا).

(٢) سح المطر والماء يسح سحاً وسحوحاً: أي سال من فوق واشتد انصبابه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحح.

(٣) أسجمت السحابة: دام مطرها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سجم.

أنت المرجى إذا الخطوب عدت كشفت عنها الهموم والكربا
يأيها الهازم الصفوف إذا صال ويعطي الألوف إن وهبا
شمس الشموس استمع مديح فتى جار عليه الزمان فاغتربا
فارق أهليه في مدينة بغـ ـداد وأمسى من جملة الغربا
وبعض أهليه في تعز[1] وهم بالفقر يخشى عليهم العطبا
وأنت يا ذا الإمام أكرم من بالفضل والجود من رجاه جبا
فاستحلها عادة مهذبة الألفاظ من قاصد من القربا
لا زلت في العز والسعادة والـ إقبال ما حب بارق سحبا
ونلت ما ترتجيه ما طلعت شمس على يثرب وأرض قبا

وله أيضاً:

كفى بدمع جفوني واكفاً وكفا حتى اغتدى كل واد منه مغترفا
وقد أرقت بدمعي كل بلقعة[2] وكل حزن لحزني رق بل رأفا
أبكى الحمام بكاي والحمى وكسا الـ ـحسان فرط جبيني السقم والنحفا
شف الهوى بدني حتى لم ألق لما قاسيت من دائه غير الحمام شفا
وما نزفت دموعي من محاجرها حتى تيقنت أن البين قد أزفا
وحملوا العيس أقماراً على غصن وسط القباب وأرخوا فوقها السجفا[3]
وأدلجوا بمهاً بيضٍ ترائبُها يَلُحْنَ كالدُّرّ مهما فارق الصدَفَا
وفي الهوادج شمس وهيً من بشر تقول إن عاينتها الشمس وا أسفا
هيفاء تحكي غزال الرمل ملتفتا جيداً وعينا وتحكي الغصن منعطفا

---

(١) المقصود مدينة تعز في سفح جبل صبر الشمالي في جنوب اليمن.
(٢) البلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بلقع.
(٣) السجف: الحجاب والستر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سجف.

تلك التي قلبها بالود كان صفا ... لي في الصبا ثم عاد اليوم وهو صفا[1]

تزودت نصف قلبي يوم رحلتها ... ظلماً فلم ألق لي من ظلمها نصفا

سألت[2] لَيْلِي ألا تأتي[3] فما فعلت ... وكيف وهي التي اختارت لي التلفا

لم أنس ما أسلفتنيه سوالفها ... والثغر في الزمن الماضي الذي سلفا

خفت فلو حملوا العود الذي حملت ... عليه ما بي غداة البين ما زحفا

هاتيك سيدة الغيد الخراد وعبـ ... ـد الله تفديه روحي سيد الخلفا

هذا ابن حمزة من نفسي فداه وإن ... قلت وكل الورى من هان أو شرفا

إمام حق حباه ذو الجلال بأو ... صاف الخلافة لما أبدع النطفا

وهو الذي وعد الله الأنام به ... بعد الوصي وكان الوعد منه وفا

والدين قد وافق الدنيا وأمرهما ... على خلافته بالحق ما اختلفا

لقد تداركت الدنيا إمامته ... والله في ظلها بالخلق قد لطفا

إنا لنشهد والدنيا برمتها ... أن الخلافة قد حازت به الشرفا

وأنك ابن النبيين الذين بنى ... رب السما لهم في الجنة الغرفا

وحجة الله في الأرض التي ظهرت ... وقوة الحق صدقاً بعدما ضعفا

لقد تلاقيت بالعزم الخلافة فار ... تَدَّتْ خروداً وكانت كهلة نصفا[4]

ولم يزوجكها إلا الإله ولم ... يكن نكاحها بغياً ولا سرفا

وكان جبريل عند العقد مختطباً ... يتلو القران وموسى يقرأ[5] الصحفا

---

(١) الصفا: العريض من الحجارة الأملس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صفا.

(٢) في الأصل (سألتها).

(٣) في الأصل (فأتى).

(٤) النَّصَفُ: التي بين الشابة والكهلة، وقيل: النصف من النساء التي قد بلغت خمساً وأربعين ونحوها، وقيل التي بلغت خمسين.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نصف.

(٥) في الأصل (يتلو).

أعادها الله فيكم وهي إرثكم … من الوصي وما أبدعتم حيفا[1]
خلافة أصلح الله العباد بها … وذاد عنها بك الأوا[2] والشظفا
لله متبعاً رام انتصارك من … عوام سائر هذا الخلق والشرفا
وليهن صيد السلاطين الأفاخر من … أولاد حاتم إذ صاهرتم وكفا
ملوك مجد سموا كل الملوك علا … بجمعهم للعلا ما زال مؤتلفا
الله جاركم يـا من محامدهم … مشهورة وهم عون لمن ضعفا
يا نصرة الأوحد المنصور سيدنا … مذل من عن طريق الطاعة انحرفا
مولى إذا أينعت هام العدا ثمرا … في الحرب ظل لها بالسيف مقتطفا
لو خالفت أمره الدنيا لأسقطت … السماء من فوقها طوعاً له كسفا
فليسم سائر من والى علاه به … وويل من عنه طرق الاعتدا اعتسفا
والله يبقي أمير المؤمنين ومن … لولاه لانهـد طود المجد وانخسفا
ثم الصلاة على المختار ما درس … القرآن فينا وودت فرضها الحنفا

ولما تواترت الأخبار بحركة السلطان سنقر من زَبيد إلى الجنَد، وصاحت صوائحه بالمخرج إلى صعدة، وأشعر الجند التأهب للخروج بزاد شهرين. وظهر ذلك على ألسن الناس ونقلوه إلى ذمرمر وسواه. وأرجف المرجفون وأظهروا المسرة، واستبشر المفسدون ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[3].

وكـان الناس في الحصن فريقين، فمن طاعن على الإمام عليه السلام وزار عليه بجهله، ومن مود صادق المودة منابذ بقوله وفعله.

---

(١) الحيف: الظلم والجور. والحيف أن يكون للرجل أولاد فيفضل بعضهم على بعض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حيف.
(٢) الأوَّة: الداهية بضم الهمزة وتشديد الواو.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أوا.
(٣) سورة الصف، آية ٨.

ووجدت الفرقة الباطنية للكلام ميداناً بزوال دولة العدل، وظهور يد الظلم، ومنوا أولياءهم بقرب قيام إمامهم. وكانوا قد صنفوا دعوة منه بزعمهم في العام الماضي، ووعدهم فيها باللقاء إلى زبيد لأيام خلت من ربيع الأول من سنة [ ][1] فمضى الشهر، ومضت السنة والسنة التي تليها، ولا عين له ولا خبر. وكيف وقد تواترت الأخبار بموته في حال الصغر. فقيل بذمرمر شعر في هذا المعنى وهو للشيخ الفاضل حنظلة بن الحسن بن شعبان قال:

جهالات أصحاب الضلال فنون ... إلى غير حد تنتهي وتبين
ومن ضل عن قصد السبيل فإنه ... حريٌّ بفقدان الأصول قمين
وكم مدع ما لا يصح ثبوته ... وتكوين ما في العقل ليس يكون
ولا كادعاء الباطنية ضلة[2] ... حياة إمام القوم وهو دفين
مضى وهو طفل بالعيان فباهتوا ... لتزوير نص قيل وهو جنين
على ذا مضت أسلافهم في انتظاره ... قرون خلت من بعدهن قرون
مجدين في دعوى الإمام وما لهم ... إمام ضلال ما ادعوه مبين
أمنتظر من للقيامة منظر ... فذلك شيطان يقال لعين
وتسري إليهم منه قالوا وساوس ... كأضغاث حلم ما لهن يقين
ويصنع بالإكسير منه نحاسهم ... ويرجع دار بالكهانة طين
يمنون جهلاً بالمحال نفوسهم ... وعقبى الأماني الكاذبات منون
وظنوا بإظهار الدعاوي لكونها ... مساوىء والمبتدي لهن ظنين
يسمونه علماً مصوناً ولو دروا ... لقالوا بأن السمع عنه مصون
نواميس لا تخفى على ذي بصيرة ... ومعتقد واهي الرباط مهين

(١) بياض في الأصل.
(٢) في الأصل (ظلة).

فلم يغترر بالقوم إلا مغفل	عليه بكتمان الغرور يمين
ومستهتر باللهو غاية سؤله	معاش وحظ في الحياة غبين
دعوا هذه الأسماء واتبعوا امرأً	يقول فيمضي قوله ويبين
ويهدي الورى طراً إلى دين جده	وآبائه فيما يرى ويدين
إمام هدى للمهتدين بهديه	وحبل لمن بغى النجاة متين
وقائم حق قام لله عندما	تقاعد ديان وعطل دين
مشاهد مشهورة ومكانة	من العلم والفضل الشهير مكين
شهيد على خلق الإله وحافظ	وراع لما استرعاه منه أمين
ربيع عفاة [1] حين يعتمدونه	وحصن لهم مما يلم حصين
غياث لمن يخشى سواه وملجأ	وغيث لمن يرجى نداه هتون
وليث عرين في الوغى ورماحها	إذا اشتجرت دون العرين عرين
فيلقى رماح الخط وهي مشجة	ويغشى عجاج الحرب وهي زبون [2]
ويبدو كبدر التم في الدشت [3] وجهه	ويشرف منه في اللقاء جبين
وإن فاه فوه ناطقاً فكأنما	تساقط در حين ذاك ثمين
ولم يستبح في ملكه فعل منكر	ولا استحسنت أشياء فيه تشين
ولا ملك أحرار ولا شرب مسكر	ولا لعب مسترذل ومجون
أفاعيل أقوام دعاة ضلالة	ينزه عنها نفسه ويصون
نشا مذ نشا في العلم والزهد جاهداً	له الفضل خدن [4] والعفاف قرين

---

(١) العفاة: الأضياف وطلاب المعروف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عفا.

(٢) حرب زبون: تزين الناس، أي تصدمهم وتدفعهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: زبن.

(٣) في الأصل (الدست). والدشت: الصحراء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دشت.

(٤) الخِدْنُ: الصديق والصاحب الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن. =

يميـز أقـوال الـورى ويبينهـا ... وهل يستوي غث بها وسمين
سبقنا به أهل المذاهب عن يد ... إلى حيث لم تبلغ إليه ظنون
وطلنا بعبد الله كـل عبيـده ... وقرت لنا بالقرب منـه عيون
سليل النبيّ المصطفى ووصيّه ... وسبطيه أشجار زكت وغصون
إمامان بالنص الصريح عليهما ... معاً فابن هذا لابن ذاك خدين
فمن زاد فيهم غيرهم فهو خائن ... ومن رام نقض البعض فهو يخون
هما عضدا الدين الحنيف فرافض ... لإحـداهما وهي اليمين يمين
وعينا علوم الشرع فضلاً وحكمة ... فـمـاؤهـمـا لـلواردين مـعيـن
بأيهما أبصرت كنت مشاهـداً ... إذا لم تغمض للعناد جفون
إذا ما دعا للحق من شهدت له ... من السيد المذكور فيه متون
ومن كملت فيه الخصال وشوهدت ... من العلم بـالآثار فيـه فنون
أجـاب معاً ابنـا أبيه دعـاءه ... سراعاً لهم نحو الجهاد حنين
يرى الموت غنماً والحياة غرامة ... وما أحد بـالروح منـه ضنين
فـأما دعـاوي ـ المبطلين فـإنـه ... سيظهر شيء طال منه كمون
فتلك أبـاطيل سـريـع زوالهـا ... تقل على أهل النهى وتهون
وتُربي على وصف الجنون وإنه ... يقصر عنها مـا يقول جنـون
لقد فاز من أوفى بعهد إمامه ... وبـاء بإثمٍ نـاكثٌ وخَؤونٌ (١)
لاي ديـانـات المنـارين مثله ... يشيـد مـا دانـوا بـه ويـزين
هلمـوا إلينـا قـولكم وأبينـوا ... وإلا فـزلوا عن مـداه وبينـوا
وهيهات منكم غوص زاخر بحره ... وهل يلتقي ضب هناك ونون (٢)

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: خدن.

(١) في الأصل (خؤن).

(٢) النون: الحوت.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: نون.

أطيعوا أمير المؤمنين فإنه كفيل بما ترجونه وضمين

قصة مخرج الغز إلى صعدة وأسباب ذلك وما يتصل به من الحوادث والحروب والنصر الذي فتح الله تعالى به على وليه وابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله:

لما عاد سنقر من ذمار في الكرة الأولى، وكان أهل الفساد قد استبشروا بقدومه إلى البلاد، فغاظهم رجوعه عنها. فاجتهدوا في عودته إليها، وتعاونوا على استقرار أمره فيها، فكاتبه طائفة من أهل صعدة يستنفرونه إلى البلاد، ويحضونه عليها وعلى المبادرة بالوصول إليها. وكاتب أهل الجوف وأهل الظاهر وردسار إلى صنعاء، ومنهم من وصل بنفسه، واجتهد كل منهم بحسب إمكانه وإحسانه في إزعاج القوم إلى بلادهم. وعرض أهل الظاهر أولادهم رهناً يكون بصنعاء عند وردسار، وضمنوا له وتكفلوا ملك البلاد واستقرار أمره فيها، واستغاثوا به والتمسوا منه النصرة.

وأتى إليه السلطان بشر بن حاتم فهيأ له أسباب البلاد وقوى عزيمته على أخذها، وطرد الأشراف منها، فساعد على ذلك واشرأبت نفسه إليه، وترك اليمين والعقود المؤكدة وراء ظهره. ثم وجدت منه كتب إلى الشرفاء آل القاسم يحمدهم على خلاف من خالف منهم على الإمام عليه السلام، ويعدهم أنهم يجتنون ثمار ما غرسوه، وتشييد ما أسسوه، ويأمرهم بالتأهب للقائه إلى الظاهر. ويقول أنه غير متأخر عن البلاد في العساكر الكثيرة، فلما حمله الناس من كل جهة بأنفسهم ومكاتباتهم، عزم على القدوم إلى الجند لإزعاج سنقر وقوده إلى البلاد. فعاقه مرض أخ له مدة أيام اشتغل فيها بمعاناته حتى هلك لا رحمة الله. وكان خبيثاً فاجراً يتظاهر بالمعاصي وارتكاب الفجور، وفعل الشرور حتى أنه أراد أخذ صبي أعجبه من والده وهو تاجر بصنعاء، فامتنع عليه، ودافع عنه حتى أخفاه في بعض المنازل،

فأخذ التاجر فحبسه، وضيق عليه، وعذبه بأصناف العذاب. فعرض عليه تسليم ماله فامتنع، ولم يقبل منه إلا إحضار ولده، فلما اشتد به البلاء سلمه إليه، فضمه إلى جملة غلمانه، ولم يمنعه أحد ولا أنكر عليه في ذلك منكر. وكان يغار عليه، ولا يريد أحداً ينظر إليه. فأعد لجماعة من الغز طعاما وشراباً من الخمر، فدعاهم إلى منزله فطعموا وشربوا، فرأى رجلاً منهم وقد ألح عينيه إلى الصبي، فسل سيفه من غمده وحمل عليه يريد قتله، فانهزم منه، فأتبعه ضربة أخذت جلدة رأسه، وأسرع السيف في كتفه فأعثره. ودافعه الحاضرون عن قتله، وحمل منعوشاً إلى وردسار للشكية إليه، وقصوا عليه الخبر. فهم بقتل ذلك الرجل المنعوش وإتمامه حتى وقعت الشفاعة فيه، وسب أخاه وذمه حيث لم يقتله. فهذا وأمثاله مما يتظاهرون به ولا يتناهون [1] عن فعله، ولا ينكره منهم منكر لعمومه فيهم، وطول أنسهم بارتكابه.

ولقد روى الإمام عليه السلام مناماً رآه بذمرمر في حال الهدنة التي بينه وبينهم في أول طلوعهم إلى اليمن، وما خطر بباله نكثهم ولا غدرهم قال عليه السلام: رأيت كأني في مكان من الأرض قائم على مزبلة، وبيدي عصا، وأنا في ناس لا أعرفهم، وإذ بأعينهم قد عمت وهو شعار لنقمتهم، فخطر ببالي أنهم قوم لوط. وإذ بجماعة فيهم سلموا من النقمة، وإذا بهم يقصدون من سلم لقتله نقما بثأر نفوسهم، فقصدني منهم ثلاثة. فصرت أطعن بعجز تلك العصا في وجوههم دفعاً عن نفسي وأنا أطلب مكاناً ألتجىء إليه. فبينا أنا في تلك الحال إذ خلفي باب فدخلته وأغلقته وفيه قوة، وهو حديد، والبيت حديد أيضاً، وإذا بهم على الباب يرومون فتحه، فقربت من الباب وقلت أنتم لما بكم - وفي نفسي نزول النقمة

---

(١) في الأصل (يتنهاهون).

بموتهم - ونحن أيضاً غير مخلدين بعدكم، فسكتوا ونجوت من الظالمين واستيقظت لا أدري من المراد به، فما لبثنا خمسة عشر نهاراً حتى بان غدرهم. وتيقظت بعد ذلك فما علمت قوماً يشبهون قوم لوط من أمة محمد صلى الله عليه وعلى الطيبين من آله إلا هؤلاء الغز، لأنهم يأتون الذكـران من العالمين بغير مخاباة ولا إنكار ولا كتمان، وباقي الأمة لو عصوا هذه المعصية فهي بكتمان وخزي إن ظهر. فعلمت أن القوم منتقمون، وما لهم إلا متعة يسيرة كما قال تعالى في قوم لوط: ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾[1].

ثم نهض وردسار بعد موت أخيه متوجهاً إلى الجَنَد لإزعاج سنقر، وقود العساكر إلى صعدة والظاهر والجوف. فلما وصل إلى الجند ومعه السلطان بشر بن حاتم وولده علوان بن بشر ومن انضاف إليهم من أعوانهم، فحكوا لسنقر أمور البلاد وإجابة أهلها، وما عندهم من الرغبة في وصوله إليها ومكاتباتهم، وما عرضوه من أنفسهم. ووعدهم باللقاء إلى صنعاء، وهونوا عنده أمر البلاد.

وحكى علوان بن بشر أنه أقسم له بعض من حضر، لو نهض في مائة فارس إلى صعدة ما حال دونها حائل، مع ما يحصل من الأموال الجليلة الأخطار [2] فرغب في ذلك، وعزم على النهوض.

وكان عبد الله بن عبد الوهاب، وزيره، وتصاريف أمور البلاد من

---

(١) سورة هود، آية ٨١.

(٢) الخطر: الإبل الكثيرة، والجمع أخطار، وقيل: الخطر مائتان من الغنم والإبل، وقيل: هي من الإبل أربعون؛ وقيل: ألف وزيادة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خطر.

عدن إلى زبيد إلى مخلاف اليمن من تحت يده، وتدبير أمورها إليه، وهو صاحب الحل والعقد، فمرض أياماً ومات. فانشغل سنقر لأجل ذلك أياماً حتى قرر أمور البلاد بعده، وولى أخاه علي بن عبد الوهاب عدن وأعمالها. وتقدم في العسكر لأخذ حصن حب، وكان صاحبه مخالفاً عليه، فقبضه وولى فيه والياً. ثم نهض إلى ذمار في عساكر جمة لم يجتمع قبلها مثلها.

وجاءت الأخبار إلى الإمام عليه السلام بقدوم سنقر إلى ذمار، وكان الأمير صنوه عماد الدين مقيماً بصعدة في الجند الذين معه، ينتظر وصول الأميرين السيدين الداعيين إلى الله يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى. وكان الوالي فيها الشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان، وكان مضطلعاً بأمرها، ساداً لثغرها، فأصابه مرض شديد أشفى منه على الموت. وكان قد أتى منه كتاب إلى الإمام عليه السلام يحكي كبر سنه وضعفه عن القيام بالأمر، ويسأله تخليته عن الولاية، والنظر فيمن يقوم بأمرها، فلم يساعده إلى ذلك. فلما اشتد به المرض، وخشي الإمام عليه السلام اختلال البلاد إن جرى عليه الموت؛ ولي الأمير مجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام. وقدم الأميران الكبيران إلى صعدة في أيام خلت من رجب وقد بلغهما مرض الشيخ أحمد بن حجلان للنظر في أمورها، وتوطيد قواعدها.

ووافق ذلك وصول سنقر إلى ذمار، فكتب الإمام عليه السلام كتاباً إلى الظاهر والجوف يعلمهم بوصول الغز، ويأمرهم بالانحياز إلى المواضع التي يأمنون فيها على نفوسهم وأموالهم. ثم كتب إلى الأمير عماد الدين سليمان بن موسى يأمره بالنهوض بمن معه من العسكر إلى بلاده. وكتب إلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى يأمره بالنهوض بالغز الذين معه إلى جهة الجوف، وإشعار أهل صعدة التميل منها، والانحياز إلى بلاد خولان

وغيرها، ونقل أولاده إلى نهج أملح[١] وبرط[٢]. فجرت المشورة بينهما وبين الأميرين الكبيرين على كتمان الخبر وتغفيله حتى تصدر العسكر من صعدة. فلما نهضا في العسكر تأخر الأميران بعدهما[٣] أياماً، وأمرا أهل صعدة بالتميل، فساعد من كان كارهاً للغز، واستقر الراغب فيهم ومن كان بينهم وبينه مواصلة ومكاتبة، وعاد الأميران وأصحابهما إلى هجرة قطابر، واضطربت البلاد، واستبشر أهل العناد.

وعاد السلطان بشر بن حاتم إلى ذمار قبل قدوم سنقر إلى صنعاء مستبشراً بما قد ظفر به من نيل المراد، وبلوغ الغرض. وكان قد قدم لسنقر حصاناً جواداً، وهو أحد ثلاثة أفراس كان الإمام عليه السلام أعطاها إياه تسكيناً [٤] لشغبه، فاستعان به على ما رامه من هلاك البلاد وتمكين الغز منها ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[٥]. فلما وصل سنقر إلى صنعاء يوم الأربعاء لست عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وستمائة بادر بالوصول إليه لإعانته وتقريب العرب منه، وليكون واسطة بينه وبينهم. وصحبه من أولاد أخيه مسعود بن علي بن حاتم، ومن أولاده علوان وسام،

---

(١) أملح: وادمن أودية بلاد شاكر في صعدة، وفيه قرى كثيرة لوائلة ودهمة. ووائلة أملح: عزلة من ناحية كتاف، قضاء همدان، شرقي صعدة. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ٩٠، التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ١٠٤.

(٢) بَرَط: جبل في شرقي صعدة، وهو جبل واسع فيه قرى كثيرة ومزارع وأودية، تتكون منها ناحية برط. وفي غربي برط مدينة سوق العنان، وهي مركز الناحية.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ١٠٨؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، حـ ١ ص ١ ـ ١٣.

(٣) في الأصل (بعده).

(٤) في الأصل (وتسكينا).

(٥) سورة الصف، آية ٨.

فخلع سنقر عليهم، وأحسن إليهم، وناصفهم، وأظهر البشرة والمسرة بوصولهم، وسأل عن صغارهم وكبارهم بأسمائهم، لمعرفة كانت قد تقدمت أيام هروبه من إسماعيل، وقد أراد قتله وقتل بكتمر، فأتيا إلى الإمام عليه السلام إلى حوث فآواهما وركبهما حصانين. فأما بكتمر فسأل الصحابة إلى مكة، فكتب له كتب، وراح إلى الشام. وأما سنقر فعاد في عسكر الإمام عليه السلام للحرب على صنعاء، ومحطة إسماعيل على كوكبان، فصالح من هنالك، وأعطاه إسماعيل الأمان، وعاد إليه.

وأتى كتاب السلطان بشر بن حاتم إلى أولاد أخيه يحكي ما شاهدوه عند سنقر، وما وقع لهم من الإنصاف والإكرام ولمن وصل إليه، ويشير عليهم بالصلح، ويمحضهم النصيحة في ترك محاربة السلطان، ويذكر كثرة جنوده، وأنه لا طاقة لهم على مقاومته ومحاربته. ورغبهم فيما يحصل لهم من المنافع بصلحهم له، وما يندفع عن بلادهم من المضار، واجتهد في ذلك أشد الاجتهاد. وكانوا قد جددوا البيعة للإمام عليه السلام التي تقدم ذكرها على القيام معه، والدخول فيما دخل فيه من حرب أو سلم. فلما أتاهم الكتاب انتقض ما بنوا عليه، واختلفوا في ذات بينهم، فمنهم من استقام على بيعته، ومنهم من رغب في صلح الغز وفيما يحصل من النفع العاجل، وسلامة زروعهم وبلادهم. وتقدم منهم السلطان مبارك بن حاتم مصالحاً، ونلاه أخوه السلطان زيد بن علي بحصان قدموه للصلح على بلادهم. وبقي السلطان عمر بن علي بن حاتم، وكان قد وطن نفسه على محاربة الغز في ابتداء الأمر، وهو أشد إخوته عزيمة على ذلك. وكان يكره الاتصال بالغز خوفاً على نفسه منهم، فبعثوا إليه رجلاً من كبارهم إلى ذمرمر ليسدوا جهته ويصلحوا شأنه، ولئلا يبقى خلفهم من يخشون مضرته في البلاد إذا قدموا إلى صعدة، فدخلوا له حيث يحب، وأطلقوا عليه بلاده

حول حصن العروس بعد أن كانوا قد أخذوا ثمارها وضايقوه فيها؛ فصالحهم.

والرجل الذي أتى إليه من الغز يقال له ابن نصر الله، وهو ممن شرك في دم الشهيد إبراهيم بن حمزة رضوان الله عليه، فطلب الدخول على الإمام عليه السلام بشفاعة من الحاضرين، فكره مقابلته، فألحوا في السؤال عليه فساعدهم. فأدخلوه إليه رغبة في أن يقع صلح على يديه، فيستوي الكل في أمر الصلح، فدخل وسلم ، وقعد بين يديه وقال: يا مولانا إنك قد أحسنت إلى الغز كبيرهم وصغيرهم، وأمنت خائفهم، وآويت هاربهم، فيجب عليهم حفظك، ورعاية حقك. وقد أتيت إليك للنصيحة لك. وأقسم يميناً ما أمرني إليك السلطان سنقر ولا وردسار، فإن رأيت أن تحقن دماء المسلمين في هذا الشهر الكريم، وتسلم لك بلادك من الخراب على أن تسلم حصن بكر. ويكون في البلاد قطعة معلومة في كل سنة مؤداة إلى السلطان. فهذا رأي رأيت عرضه عليك.

فأجابه الإمام عليه السلام بكلام بليغ لم أضبط منه شيئاً، وحكى له نكث وردسار في اليمين التي حلفها، وكتب خطه عليها، وأمر بإحضارها فأُحضرت وأوقفه عليها وقال: فبأي شيء نثق به بعد هذه اليمين البالغة، وما بقي بيننا وبين القوم صلح في هذه الفينة. وأظهر الكراهة لذلك. وعنى من حضر من السلاطين في ذلك فلم يساعد إليه ، وأضرب عن الكلام فيه. وعاد ابن نصر الله إلى صنعاء على غير شيء منه.

فهؤلاء أول من وصل إلى سنقر عند قدومه إلى صنعاء من سلاطين العرب ورؤسائها. ثم وصل إلييه بعد ذلك الشريف قاسم بن يحيى بن الحسين منَ ولد الهادي إلى الحق عليه السلام، وكان قد أفسد في بلاد الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، وظاهر المفسدين فيها، ولم يدع ما

يمكنه من قول ولا فعل، فنفاه الأمير. فذهب مهاجراً بزعمه إلى وقش، فتلقاه أهلها بالقبول والإنصاف، ولبث بها مدة على الإكرام، والإتحاف، وهو وإياهم يتربصون الدوائر ـ عليهم دائرة السوء ـ فلما أمكنتهم الفرصة أقبلوا به يزفون، ودخلوا على وردسار، وتعاونوا على أمرهم حتى عقد له بالولاية على بلاد الطرف وبني شاور وما يتصل بها من جهة المغرب. وألزم نفسه لهم ضبط البلاد، وتسليم الأموال منها، وأعطي أربعين ديناراً، وحمل أصحابه بشيء، وراحوا مسرورين بما أحرزوه من ولاية مبتهجين بقضاء حاجته، وانصرف بخدمة الغز راضياً، ولربه بالتقرب إليهم عاصياً. فلما انتهى إلى هجرة قاعة وبلاد الطرف، أقبل إليه شيعته منها وأعوانه من غيرها، قائمين بحقه، معاضدين له على أمره، يمدونه بالمنافع، ويحضرونه في المجامع، ويؤازرونه ليستقر أمره. فلبث في الولاية أياماً يسيرة حتى ولى سنقر إلى صعدة وانتقضت ولايته، وتغيرت حالته. ولم يستقر به القرار لما واثبته جنود الحق بالمغار، وضيقوا عليه الأنفاس، وتركوه في أضيق من حلقة الفاس. وكتب الحسن بن عزوى أبياتاً في هذا المعنى سماها هدية الإنصاف للمعارضين من الأشراف، قال:

قل لمن يخدم الأعاجم مهلا ... كيف تمسي مولى وتصبح عبدا
ما كذا من يعد حيدرة الطهر ... أباً والنبي أحمد جدا
كيف تختار من قيم الظلم غيا ... وتأبى من قيم الدين رشدا
كن عصاماً وحز بسيفك أرضاً ... وإذا شاد مفخراً شدت مجدا
والبلاد التي الإمام حواها ... لا تعرض لها ولا تتعدا
لك منه وجه وفي الأرض طول ... فتوسم تهامة أو فنجدا
ودع الغز كيف تطلب وداً ... عند من ليس يبتغي لك ودا
فتخير إما عصيت فهذا ... أو أطعه تزدد من الشر بعدا

أين تلقى مثل الإمام حليماً وصبوراً على الحوادث جداً
لو جهدتم أعماركم لم تؤدوا عشر إحسانه الذي لا يؤدا

وممن وفد إلى سنقر من الشرفاء آل القاسم؛ يحيى بن علي، وكان شديد الاجتهاد في توطيد أمر الغز حريصاً على ذلك. وكانت له عناية متقدمة، وفساد في بلاد الإمام عليه السلام بعد أن عزله من ولاية الظاهر في حال ولايته. ثم وصل بشر بن علي الذعفاني، وحنظلة بن قاسم بن محفوظ، وجعار بن المكم من أهل ثافت مزعجين للعسكر، مستفزين لسنقر إلى حصن ظفار، وأشاروا باغتنام الفرصة، والمبادرة بالوثبة عليه وقطع المواد عنه، وضمنوا بأخذه، ومنهم من قال: إنكم لا تصلون إليه وبه أحد. وكان ممن وصل إليهم عمرو بن المعترف الأحمدي في جماعة من أصحابه وهو من مشايخ بني يحير [1]، واجتهد كل ممن حضر في إزعاج القوم وحضهم على النهوض. وكان صاحبهم قد صاح بالمخرج يوم الاثنين، فنهضوا يوم السبت ولم يلبثوا بصنعاء سوى ثلاثة أيام.

وكان ممن وصل إلى سنقر عزوان بن أسعد السريحي الصاعي، وكان بينه وبين بني صريم حوادث من أخذ بقر وغنم لأصحابه، وذلك لحلولهم في درب الزيلتين [2]. فخشي بنو صريم تمكن البدو في بلادهم، فاجتهدوا في قطع شرهم عنهم. فأتى عزوان إلى الإمام عليه السلام إلى

---

(١) يحير بفتح الياء المثناه وكسر الحاء، اسم قبيلة وعزلة من خبان رعين، وفرقة منهم في مخلاف ذي مازن بالغرب من صنعاء.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٢، جـ٣ نفس الصفحة.

(٢) يوجد باليمن أكثر من موضع يحمل اسم الزيلة، أما درب الزيلتين فقد ذُكر بأنه موضع في طرف بلاد بني صريم.
انظر: الشرفي، اللآلىء المضية، جـ٢ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠؛ عز الدين محمد، التحفة العنبرية، ورقة ١٢٧.

ذمرمر، وأعلمه أنه يريد القدوم إلى سنقر ليقوده إلى بلاد بني صريم، ويستأصل شأفتهم، فلم يشر عليه بذلك، وأمره بالغفلة. وكان يخاف على درب الزيلتين أن يخربوه بأيدي الغز، وضمن له أنهم إن قادوا له وخربوه فإنه يخرب بلادهم، ونفره وأصحابه في الزيلتين. فكره ذلك ولم يساعد إليه، فتقدم إلى صنعاء فيمن تقدم. وقصد وردسار والتزم به لما تقدم بينهما من المعرفة في حال ذراعته بينه وبين الإمام عليه السلام في الصلح. فأظهر المسرة بوصوله بعد أن استحلفه اليمين المؤكدة على حفظه ومعونته على أمره عند سنقر، وسلامة الزيلتين من الخراب، فحلف له على ذلك.

وما كان إلا وصول الصريميين فسلموا رهائن في عشرة آلاف دينار على خراب درب الزيلتين فبعث معهم قطعة من العسكر فهدموه، وما تركوا به حجراً على حجر. ولما توجه العسكر لخرابه قال وردسار لعزوان بن أسعد، إن العسكر قد توجهوا لخراب الزيلتين فأنذر أصحابك لئلا [1] تقتلهم العسكر، ونكث في يمينه وأضاف ذلك إلى ما تقدم من نكثه وغدره.

وبلغ العلم إلى الإمام عليه السلام بأن آل المكم وجيرانهم بأثافت تظاهروا بشرب المسكر، وفعل المنكر، وصاحت صوايحهم في الأسواق بطرد الأشراف من البلاد وقتلهم وقتل خدامهم ومن انتمى إليهم أو أعان بمعونة من أهل البلاد إلى حصن ظفار، أو آوى أحداً منهم فقد أحلوا ماله ودمه. فكتب الإمام عليه السلام كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله المنصور بالله أمير المؤمنين إلى كافة المكمين أخلاف المتبرين من أولاد النبيين، سلام على من اتبع

(١) في الأصل (لا).

الهدى، وتجنب مسالك الردى، وعلم أن ﴿ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[1]، أما بعد.

فإن ﴿ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له﴾[2]. وقد بلغنا اجتهادكم في إطفاء نور الله ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [3]. وتبديل دين الله، والله مظهر دينه على الدين كله، ونحن منه على موعد ولن يخلف الله وعده. وهذا الرأيُ الذي بلغنا عنكم لم يكن بأصوب الرأيين لكم، وقد كانت الأخبار تأتينا بمكنون هذا الأمر الذي نجم من المدة الطويلة، فلم نصدق ذلك فيكم. ثم بلغنا أنكم صحتم في سوقكم بإبعاد الأشراف وطردهم، وأنكم قد صرتم من وردسار، فبئس نعم الله للظالمين بدلاً إذا طردتمونا [4]، فأين نأوي وهذا لا يحل لكم ولا يجوز. وارحمتا لكم، ما أنقص عقولكم، وأضل حلومكم، لقد غممتم وليكم، وسررتم عدوكم، وأهلكتم أنفسكم. تريدون تجديد البدعة وإماتة السنة، ولا شك أن حاتم بن المكم قد كان كتب إلينا بأن الحكم جار على أخيه جعار، وأنه قد أمر له يأتي ويحكم، فصدقناه فليت شعري قد علمتم اليوم سعيه في الفساد أم لا، وهل لما علمتم فساده طابقتموه على رأيه أم نازعتموه فيه. وقد أردنا بهذا الكتاب استطلاع ما عندكم ونعلم جوابكم. ونرجوا أن الله سبحانه لا يخذلنا ولا يضيعنا، وإن ضيعنا الناس، فنحن ذرية نبيه صلى الله [عليه][5] وآله المستضعفون في الأرض، المغلوبون على حقهم. وقد قال تعالى: ﴿ ونريد أن نمن على

(١) سورة النجم، آية ٣٩ - ٤١.
(٢) سورة الرعد، آية ١١.
(٣) سورة الصف، آية ٨.
(٤) في الأصل (طرتمونا).
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة.

الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ [١].

فلم يرجع منهم جواب، وأصروا على غيهم. وأجمع رأي الشرفاء آل القاسم على الانقياد لأمر الغز، والطاعة لهم، وفرقوا على أنفسهم وأهل بلادهم ما لا يريدون إيصاله إلى الغز، والقيام به عند وصوله بسعاية الشريف يحيى بن علي وعنايته واجتهاده في خدمة الغز ونصيحته لهم. فأنشأ الإمام عليه السلام شعراً يؤنبهم فيه ويذكرهم أفعال السلف الصالح من آبائهم وقيامهم في جهاد أعداء الله وصبرهم. ويذكر فيه أهل أثافت وبعدهم قبل وقوع ما حل عليهم وما نزل بهم. فكان شعره عليه السلام خبراً بما آل إليه أمرهم لقوة حدسه وثقته بما وعد الله تعالى أولياءه. قال عليه السلام:

بني قاسم هل يشرب الخمر ظاهراً	بثافت والأسياف لم تشرب الدما
وأنتم بنو الحرب العوان ومنكم	تعلم تكسير القنا من تعلما
وكم [٢] غارة شعوا قدتم إلى العدا	وجيشاً على نأي[٣] المزار عرمرما
فلا تتركوا دين الإله فإنني	أرى ترك دين الله حجراً محرماً
وما حق صهر هاجر الله ظاهراً [٤]	بعصيانه إلا الحسام المثلما
هم جهلوا حق النبي وآله	فكانوا بما قالوا [٥] أعق وأظلما
عفونا لهم عن هفوة بعد هفوة	إلى أن أتوا ما يستباح به الحمى

(١) سورة القصص، آية ٥ - ٦.

(٢) في الأصل (فكم). والتصويب من الديوان.

(٣) في الأصل (رأى). والتصويب من الديوان.

(٤) هذا الشطر في الديوان ح على النحو التالي (وما حق صهر جاهر الله ظالماً).

(٥) في الديوان ج، د (جاؤوا).

تعدوا حدود الله جل جلالـه وحازوا به عاراً وناراً ومـأثما

ولم يحفظوا عهد الإله وحاولوا مراماً بعيداً كالذي يرتقي السما

أيـرجون أن الله يخـذل دينه سيحسون صابا [1] دون ذاك وعلقما

بني قاسم أحيوا مآثر قـاسم فقد صار دين الله نهباً مقسما

فقوموا على أعداء دين أبيكم مقام أبيكم يوم رام المكرما

فلله در الطاهر الثوب قاسم ودر أخيـه ما أعف وأكـرمـا

لقد جاهدا في الله حق جهاده ولم يدخرا عن نصرة الدين درهما

إلى أن أقاما صعدة الدين عنوة وذكا المذاكي والوشيج المقوما

وصنوهما الزاكي وأبناء عمهم بني القاسم الزاكي الإمام المعظما [2]

ليوث وغى أسيافهم شمعاتهم إذا جن ليل في الهياج وأظلما

وكم لهم من موقف بعد موقف روايته تشفي وتروي من الظما

فلا تغفلوا عن شيد ما أسسوا لكم وحاموا على بنيانه أن يهدما

إمـامكم يدعـوكم وهـو منكم فلا يخذلنه ذو الولاء فينـدما

وضدي لكم ضد فلا يخدعنكم [3] فإن الجهول المستقيد لذي العما

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاّ ليعلما [4]

أيقلي أخاه في الشدائد ماجد ويسلم مـولاه الحميم ليسلما

أما والذي طاف الحجيج ببيته أليه [5] صدق تملأ القلب والفما

---

(١) الصاب: شجر مر واحدته صابة. وقيل هو عصارة الصبر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صوب.

(٢) هذا البيت غير موجود في الديوان.

(٣) في الديوان (يخذلنكم).

(٤) هذا البيت من شعر المتلمس (جرير بن عبد المسيح الضبيعي).
انظر، موسوعة الشعر العربي، جـ٢ ص ١٤٩.

(٥) الأل: الصياح. والإل: الحلف والعهد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ألل.

لئن لم تقم أعناقكم [١] بمواعظي ولطفي لأقرنها الحسام المصمما [٢]

فقولوا لهم عني وهبوا لنصحهم فقد تركوا [٣] المعلوم غيباً مرجماً

كأني بهم في الأرض يبغون مسلكاً وفي الأفق الأعلى ملاذاً وسلماً

إذا جاء نصر الله والفتح عاجلاً وجاش عليهم بحر هاشم أو طما

قصة الحرب على ظفار حماه الله تعالى:

لما وصل سنقر إلى صنعاء يوم الأربعاء لست عشرة ليلة خلت من رجب من سنة إحدى وستمائة، اضطربت أحوال البلاد وتعطلت من أهلها. وكانت ولاية حصن ظفار إلى الشريف يحيى بن حمزة فتساهل في عمارة الحصن[٤]. وغاب الإمام عليه السلام بذمرمر، ووقع تفريط في أمره لحال غيبته عنه، ولهدنة وقعت بينه وبين وردسار، أعطى الله تعالى فيها العهود والمواثيق على الوفاء إلى انقضائها، وكانت مدة سنتين وعشرة أيام وعشر ساعات. وطلب الإمام عليه السلام من يقوم بأمر الحصن ويقف فيه من الشرفاء وغيرهم فلم يساعده أحد منهم، وخاف كل منهم على نفسه لما علموا من قلة الشحنة فيه والماء وضعف العمارة. فعزل الشريف يحيى بن حمزة عن الولاية لما وقع منه من التفريط، وولى أمر الحصن خادمه الشيخ الأمين دحروج بن مقبل، فطافه فلم يجد فيه إلا الشيءاليسير من الحب والماء حتى أنه اشتاط[٥] ليلة وصل إلى الحصن بأربعة دنانير له

---

(١) في الديوان ج، د (أعناقهم).

(٢) المصمم من السيوف: الذي يمر في العظام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صمم.

(٣) في الأصل (ترجو) والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (المهم).

(٥) بسؤال كل من الدكتور عبد الله حسن الشيبة والدكتور إبراهيم الصلوي عن معنى هذه الكلمة افادا بأن أقدم ذكر للفعل شيط بمعنى باع، اشترى، جاء في نقش قتباني دون

وللديوان الذين معه، وقد ضاق الوقت وقـرب العدو. فقام وشمر في الأمر، ووطن نفسه على الصبر واحتمال المشاق. فنهض إلى حوث، ونقل ما كان قد بقي بها من الحبوب، واشتاط واستلف، وشرى ما لا بد منه من الشحنة التي لا يستغنى عنها في الحصون من الملح والزبيب وغير ذلك، فما كان إلا المدة اليسيرة وقد صار في الحصن ما يكفيهم مدة أشهر. وأمر بقطع الأخشاب واستعمل عرادتين، وبـلغ الماء ستة غروب[1] بدينار، وكانوا يحملونه من موضع يسمى المولدة[2] حتى صار معهم من الماء ما يكفيهم شهوراً في هذه المدة اليسيرة مع تضايق الأحوال، وفساد أهـل البلاد. وأمـده الإمام عليه السلام بمال وصل إليه من بلاد بني حبيش؛ أتى في وقت حاجة شديدة إليه وعـدم، فنفع نفعاً كـثيراً.

ونهض سنقر إلى ريـدة يوم السبت، وأطبقت البلاد معه على الخلاف بكلمة واحدة، واجتمع العرب والعجم على حرب الإمام عليه السلام. وكانت العاقبة للمتقين، فتعوق بها ثلاثة أيام وهم يتوقعون وصوله إلى الحصن يوماً[3] بعد يوم، فصرفه الله تعـالى حتى أحكموا أمورهم،

عليه قانون عرف باسم «قانون سوق مدينة تمنع» وقد استمر استخـدام هذه الكلمة حتى اليوم في العامية اليمنية. يقول المثل اليمني: «الحب الغابش يدي الله له مشتط أعمى».

مادة شيط Ricks David, Lexicon of the Epigrafic qatabanian (1982),

S.D.F. Goitein, JEMENICA - Sprichworter und Redensarten aus Zentral - Jemen, Leiden (1940), P. 58; A.F.L. Beeston, Notes on Old South Arabian Lexicography», Le Muséon, 67, pp. 311 - 322.

(١) الغَرْبُ: الراوية التي يحمل عليها الماء. والغرب: الدلو العظيمة التي تتخذ من جـلد الثور، والجـمع غـروب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرب.

(٢) المولدة: قرية من عزلة بني جـبر، ناحية ذيبين.

التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣٠٩.

(٣) في الأصل (يوم).

وعمروا ما يحتاجون إليه، وما يخشون منه العمل، ونفرت البناة والعمال منهم فتولوا أمر العمارة بأيديهم في الليل والنهار حتى أصلحوا ما يحتاجون إليه.

ونهض سنقر من ريدة فحط بموضع يسمى ظلة[1] للقرب من شظب وأعمالها ليقبض القطعة من أهلها، فأقام بها سبعة أيام. وأنزل الله عليهم مطراً في غير وقته، وبرداً شديداً لم يقع مثله على ما حكاه من كان حاضراً معهم حتى أضرّ بهم، وبدوابهم وبجمالهم، وهلك منها جملة كثيرة، ولم ينالوا طائلاً من جهة المغرب. وفي خلال إقامتهم ما انقطع الحرب عليهم والغواير في الليل، والقتل والأخذ في أطرافهم بالنهار من جهة الأمير عماد الدين. وكان الإمام عليه السلام قد كتب إليه بأن ينتخب من أبطال الرجال وسرعانهم وأهل الصبر والحمية منهم، ويكونوا على الأهبة لمحطة الغز على ظفار، وأمر الأمير صفي الدين بمثل ذلك، فكان الكل على التأهب، فدفع الله شرهم وردهم ﴿بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال﴾[2].

وأتى كتاب الشيخ دحروج بن مقبل يحكي فيه اختلال كثير من أصحابه عليه واضطراب أحوالهم، ومضايقتهم له بطلب الجرايات، وأنه يفتقر إلى المال الكثير ليسد به خللهم، وسأله المادة برجال يأنس إليهم ويستظهر بهم على من أراد المعارضة والفساد في الحصن. فطلب الإمام عليه السلام المال بالسلف من السلاطين بذمرمر، فحصل منهم شيءٌ يسير بعد خطاب كثير، فباع منهم ثلاثة أفراس من جياد خيله وأرخصها

---

(١) لا توجد معلومات عن هذا الموضع إلا ما ذكر في النص على أنه بين ريدة وشظب، وأنه إلى شظب أقرب.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٢٥.

لمساس الحاجة، وأمر بأثمانها أولاً فأولاً. والتمس الرجال من ديوان ذمرمر وغيرهم، وبذل لهم المال فلم يجبه أحد إلى ذلك ولا ساعدوه إليه. وقد قطع الناس إلا القليل منهم على أن الغز يأخذون الحصن، وأن الذين به لا يستقرون فيه لحرب ولا سواه.

فلما اشتد الخطب وأعياه الطلب شاور من حضره من أصحابه في الأمر، فانتدب الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع للقدوم إلى ظفار. وكان بالمدرسة بذمرمر جماعة من أصحاب الإمام عليه السلام، فشاورهم على التقدم صحبته فساعدوه، ولم يكن لهم سلاح. فأمر الإمام بشراء السلاح لهم في الحال من ديوان الحصن، وضاعف لهم في القيمة، وصدروا صحبة الفقيه إلى ظفار للجهاد في سبيل الله. فكان نفعهم عظيماً، وضمهم الشيخ إلى جملته، وجعلهم من بطانته مع من كان معه من الشرفاء وغيرهم ممن يعتد به، وصار في الحصن مائة وأربعون رجلاً؛ المائة منهم أهل الجرايا والديوان والأربعون مطوعون مجاهدون في سبيل الله بعد أن أخرجوا من كان يريد الخروج منهم، وأمسكوا من اختار الوقوف والصبر معهم.

ونهض سنقر من محطته بظلة يوم الأربعاء مستهل شعبان، وكان في آخر ذلك النهار آية ظهرت للناظرين وذلك قبيل رؤية الهلال والناس يتطلعون لرؤيته بذمرمر، فانقض شهاب في جو السماء إلى جهة المغرب مستطيلاً أضاءت له الآفاق، وتعقبه رجفتان تزلزلت لهما الأرض وانقطعت عينه. وبقي في موضع انقضاضه دخان ثائر في ثلاثة مواضع كقطع السحاب، ولم يزل حتى أظلم الليل عن الأبصار، واستبشر الأولياء بالنصر على أعداء الله. وحطت جنود الظالمين ببهمان[1] يوم الخميس، فلبثوا

(١) بهمان: اسم لعدد من المواقع باليمن. وبهمان المقصود في النص، موضع يقع في =

نهارهم، ثم نهضوا يوم الجمعة فحطوا بخرفان والسبيع والمنقل في عسكر عظيم متباعد الأطراف، قوي العدة والسلاح، لم يـر مع سيف الإسلام ومن قبله أقوى منه من عدتهم، ولا أشد من آلاتهم. ووافق وصولهم كمال العرادتين، فكان ذلك من أسباب النصر عليهم، والنصر من عند الله سبحانه.

وحكى الفقيه الفاضل علي بن أحمد الأكوع قال: لما كان يوم الجمعة وقد استقرت محطة الغز بجرن المنقل، أقبل منهم بشر كثير، وخيل جمة حتى بدوا من أعلى الجبل في غربي الحصن. وانتشروا في أقطاره يمنة ويسرة، فرموا بقسي النشاب والشرخ، فبلغ الشرخ إلى الحصن ومن النشاب سهم، وسائره يقطع في الهواء دون الحصن ولم يصل منه شيء. ولما علم الشيخ دحروج بإقبالهم، أمر بإخراج البيض[1] والغوامر[2] والعدة وآلة السلاح، واصطف أصحابه على أطراف الحصن. ورأى الغز[3] قلة عددهم، والحصن أسفل منهم والأكمة المتصلة بالخندق؛ تراءى لهم أنها متصلة بالحصن، فعادوا إلى محطتهم بخرفان مستبشرين بأخذه قاطعين على غلبه، حتى أن وردسار أقسم لسنقر الأيمان المغلظة لأوقف فيه أهله، ولتقتلنهم بكرة أشر قتلة.

وجهز العسكر آخر نهاره، وفرق فيهم النشاب، وأعدوا

= عزلة خيار من حاشد، جنوب مدينة حوث.

المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٩٣.

(١) البيضة بفتح الباء وهي ما يلبس فوق الرأس من آلات السلاح.

الألوسي، بلوغ الأرب، جـ ٢ ص ٦٧.

(٢) الغوامر: نوع من الدروع لوقاية الأجسام.

عبد الغني محمود، أبو فراس بن دعثم، ص ٢٦٢ ج ١٠٩.

(٣) في الأصل (الحصن).

السلاح من الغوارم والجفاني[١] والطوارق والشروخ والقياس العربية والآلات القوية، وأخربوا قرية صولان[٢] بالقرب من الحصن، وقد أذموا على أهلها، وأخذوا أخشابها، واستخدموا منها معارج[٣] يطلعون عليها بزعمهم، ومذارع[٤] يخربون بها. ولما رآهم بعض من حضر، وما أظهروا في محطتهم من القطع على أخذ الحصن، كتب كتاباً إلى الشيخ على وجه النصيحة له يأمره بتحريق ما في الحصن، وتبديد ما فيه من الحبوب وغيرها، والنجاة بنفسه وبمن معه من تحت الليل فإن القوم آخذون الحصن لا محالة، فكتم الكتاب ولم يحفل بما جاء فيه.

ونهضت المحطة على نصف من الليل، ومضوا على نقيل العقل، فلما استبطنواالوادي ضربوا الأشجار بالنيران في أسفله، يوهمون أنهم يريدون شوابة، وحطوا في شرقي الحصن. وشرعت[٥] خيلهم ورجالهم الجبل فما طلع الفجر إلا وقد تطوقوا بالحصن بالخيل والرجال، ولا علم لأهله بهم حتى أشرف رجل من قبلي الحصن فظن أن الخيل لكثرتها مَعْزٌ تريد الانحياز إلى الحصن من الغز، فاستبان بعد انتشار الضوء أنها خيل. ثم

---

(١) لم أستدل على معنى هذه الكلمة، وربما كانت مشتقة من الجفن الذي هو غمد السيف.

انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: جفن.

(٢) صولان: قرية من عزلة مرهبة، ناحية ذيبين. وجبل صولان يقع شمال وادي ذيبين.

التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأوليةلتعداد ١٩٨٦؛

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1.

(٣) المعارج: المصاعد والدرج.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرج.

(٤) مذارع: قوائم.

ابن منظور ،لسان العرب، مادة: ذرع.

(٥) شرع بمعنى دخل، وبمعنى ورد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: شرع.

ترجـلوا عنها وطلعوا الشعب الغربي، وقصد معظم العسكر وثقله جهة الجانب الغربي، فكان أولهم في المغربة قـدام الحصن وآخرهـم في موضع يسمى الطوامر[١]. وتكامـل العسكر من كل جهـة عربهم وعجمهم، وزحـفوا للقتال، وأرعـدوا وأبرقوا، وضربت الطبول، ونفخت البوقات، وارتجـت الجبال من رتيج[٢] العسكر، وانسدت الأصوات، ونصبوا الشروخ للرمي بها، وتدرعوا ودنوا للحرب، وتشرعوا للقتال، وأتي بأحمال النشاب على البغال وأكتاف الرجـال.

وتحكم أهل الحصن حول سورة، ولم يبد أحد منهم، وكان الإمام عليه السلام قد وصاهم بـذلك، وبـالغ في الوصية، وأمرهم بترك السب والكف عن الأذية، وأن يجعلوا شعارهم ذكر الله تعـالى في حـال الحرب، ففعلوا ذلك. وما زال القتال عليهم مستمراً إلى قبيل صلاة الظهـر، وكان للعرادتين نفع عظيم أبلغ من قتـال الناس. ولم يقدر أحـد أن يبلغ لقتـال خوفاً من حجارتها لأنها بلغت إلى بركة المغربة. وكان الغز قد أرادوا نصب المنجنيقات عندها، فلما بلغت الحجـارة ذلك الموضع، أمروا بـرد المنجنيقات إلى محـطتهم. وكانوا قد حملوها على الجـمال وصارت بالقرب من الطوامر، وكـان منتهى ما بلغوا إليه بعد الاجتهاد العظيم في الحرب وسط الأكمة التي هـي قدام الخندق، وما استطاع أحـد منهم الصعود إلى ذروتهـا.

وكان معظم قتالهم الرمي[٣] بالنشاب والشروخ حتى أفنوا ما معهـم،

---

(١) في أخبار الهجرة المنصورية، ورقة ١ (الطوامير) بالقرب من ذيبين.

(٢) سير رتج: سريع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: رتج.

(٣) في الأصل (المرمى).

وكان الرماة على ما حكى الشيخ محمد بن الحسن الرصاص ـ وهو ممن شهد القتال ـ بالتقدير يزيد على أربعمائة رام، وحكى ذلك غيره، وما راحوا بشيء من النشاب. ووقعت جراحات كثيرة لم يمت منها أحد تحت الحصن، وكانوا يخفون موتاهم بعد ذلك. ولما حمي عليهم النهار، وطلبوا الماء فلم يجدوه؛ أصابهم الظمأ الشديد فبلغت الشربة درهماً وأكثر، فانقبضوا من القتال، ولا سبيل لهم على محطة على الحصن، فانقلبوا خاسرين، وما أصيب من أهل الحصن سوى ثلاثة رجال صوائب خفيفة محتملة. وانحدروا من أعلى الشعب المقابل للحصن من غربيه يركب بعضهم بعضاً، وهو موضع صعب المسالك لا يكاد الإنسان يسلكه وهو آمن إلا على مشقة شديدة. وجعلوا العرب على رأس الشعب يحفظونهم من غارة الحصن، وما أيقنوا بسلامة حتى بلغوا إلى محطتهم على أشر قضية يسبون ظفار وأهله، ويتلاومون بينهم، ويلعن بعضهم بعضاً.

فلما تولوا من القتال طلب جماعة من الديوان لحاقهم بعد انحدارهم من رأس الشعب فمنعهم الشيخ دحروج من ذلك، ولم يساعدهم إليه، وأمر بإغلاق الباب خوفاً من فساد بعضهم أن يخرجوا من الحصن فلا يعودون إليه. وكان رجل منهم قد خرج وترك سلاحه قبل القتال فلم يعد، وسمح[1] بسلاحه فخشي منهم ذلك فأمسكهم، وظن أن القوم يعودون للقتال، فأمسوا في محطتهم. وانتدب الشيخ جماعة ممن يثق به، فانحدروا في الليل، وأمسوا يرمونهم ليلتهم، فلما أصبح نهضوا وهم ملازمون لهم حتى توجهوا أسفل الوادي قاصدين شوابة، فلبثوا بها خمسة أيام.

---

(١) سَمَّحَ: هرب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: سمح.

فلما يئس الشيخ من عودهم للحرب على ظفار أطلق أهل الحصن لقتالهم والحرب عليهم وقطع موادهم، وأخذ من يأتيهم من العرب بالإمداد والمنافع، وما علم أن أحداً ممن حولهم من قبائل أرحب وسفيان رماهم بسهم في ليل ولا نهار ولا ناجزهم الحرب سوى أهل ظفار حتى انحدروا إلى الجوف إلا الأمير حسام الدين القاسم بن إبراهيم بن محمد الحمزي، فإنه حكى أنه غزاهم ليلة ومحطتهم في شوابة في جماعة، فأمسوا يرمونهم من جانب، وأهل ظفار من جانب آخر، ولبثت المحطة المخذولة بشوابة ثلاثة أيام ينتظرون قدوم الشيخ عيسى بن ذعفان البختري وهو يومئذٍ من جملة الإمام عليه السلام. وكان قد أنهب الزرع، وحرق الأبيات، وأمر أهلها ومن حولها بالتميل والانحياز إلى رءوس الجبال. وكان الإمام عليه السلام قد أمره بذلك ففعله. فأتوا والبلاد خالية متعطلة، فرغبوا في إدنائه ودخوله في طاعتهم فكره ذلك وامتنع، ولم يرغب فيما رغب فيه ابن عمه عمرو بن المعترف الأحمدي، ولا أراد الاتصال بهم كما أراده. فلما يئسوا منه أخربوا درب شوابة، واجتهد في خرابه أصحابه بنو أسد لأخين متقدمة كانت بينهم، فقضوا أغراضهم، ولم ينظروا في عاقبة أمرهم. وكانوا قد عمروا دربهم الأسفل في دولة الإمام عليه السلام، وحلوه بعد خرابه وتعطله منهم سنين متوالية. ولم يقدروا على عمارته حتى ظهرت يد الحق، فلم يرعوا نعمة الله عليهم ولا إحسانه إليهم.

ولما عزم سنقر على القدوم إلى الجوف، وكان قد اجتمع عنده رهائن كثيرة من وادعة وبني صريم وغيرهم، فأراد إيصالها إلى بيت مساك، فأمر بشر بن علي الذعفاني بذلك وهو صاحب بيت مساك، وكان من أعوانه والمجتهدين في رسوخ دولته. وقد أعطاه ولاية البلاد، وجعل

ولاية ثافت وأعمالها إلى حنظلة بن قاسم بن محفوظ، وكانا متناصرين متعاضدين على توطيد قواعد الغز في البلاد وتمكينهم منها بالجد والاجتهاد، وإماتة السنة وإحياء البدعة وإطفاء نور الله ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾(١) فجهز معه قدر مائة وخمسين فارساً لحفظ الرهائن وإيصالها إلى بيت مساك.

ونهض يوم الأربعاء لسبع خلون من شعبان فحط بموضع يسمى جحدان في أسفل وادي هران، وصدرت الخيل بالرهائن حتى صارت في المولدة بالقرب من ظفار حماه الله تعالى. وهبط الشريف الفضل بن علي بن المظفر العباسي العلوي في عصبة قليلة، وكان منهم جماعة في جبل بني زهير وجملتهم تداني الثلاثين، فلما توسطت الخيل بين الفريقين قصدوها جميعاً من الجهتين. فما زالت(٢) الحرب بينهم والقتال حتى واروهم بركة مزود(٣)، وعادوا إلى ظفار على أجمل حال. وأنشأ الإمام عليه السلام هذا الشعر يذكر فيه ظفار والحرب الواقع عليه. قال عليه السلام:

ظفرت بمدح المادحين ظفار لما حمى عرصاتها(٤) الجبار
جاءت جنود الظالمين كأنها ليل وأنوار الحديد نهار

(١) سورة الصف، آية ٨.

(٢) في الأصل (زال).

(٣) بني مزود قرية من عزلة بني حكم، ناحية أرحب. وتقع ما بين:
٣٨″ ٤٢′ ١٥° شمالاً،
٣٨″ ١٩′ ٤٤° شرقاً.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 4 A 1544.

(٤) العَرَصَاتُ: جمع عَرْصَةٍ، وقيل: هي كل موضع واسع لا بناء فيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرص.

جيش تضل البلق[1] في حجراته[2] خالي المذاهب أرعن جرار
فيه الأرعاب والأعاجم عن يد والأعوجية والقنا الخطار
والفارسية فيه ترعد والقسي النبع[3] تضج[4] والخطوب كبار
والكرد تزحف كالليوث[5] وخلفها ملك سحايب راحتيه غزار
فسمت ذوائبها وأعرض عنهم منها أشم له السحاب إزار
وبها حماة من ذؤابة هاشم والمسلمون الغر والأنصار
قوم رأوا أن الجهاد فريضة فسمت لهم همم بذاك[6] كبار
ذل الأنام وأرغبوا إلاهم فالناس عبدان وهم أحرار
صبروا على الأرجاف وهي كبيرة فيما حكاه الواحد القهار
جعلوا التشكك في خلاف الحق لا عسل تشقق عنده الأبشار
رفضوا الروافض للأئمة [واعتضوا][7] بالبيض لما زاغت الأبصار
فهمت عليهم من سحاب عدوهم لما استهلت ديمة مدرار

---

(١) في الأصل والديوان أ، ب (البرق).
(٢) الحَجْرَة: الناحية. وحجرتا العسكر: جانباه من الميمنة والميسرة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حجر.
وهذا الشطر من شعر زيد الخيل الذي يقول فيه:
بجيش تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجد للحوافر
الأصبهاني، الأغاني، جـ ١٦ ص ٥٢.
(٣) النبع: شجر أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد. وكل القسي إذا ضمت إلى قوس النبع كرمتها قوس النبع. ومن أعضائه تتخذ السهام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نبع.
(٤) القوس يضبح ضباحاً: صوت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضج.
(٥) في الأصل (والليوث) والتصويب من الديوان ج، د.
(٦) في الأصل (لذاك) والتصويب من الديوان ج، د.
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة من الديوان.

فاستقبلوها بالنحور فأقشعت   عنهم وأيمان العدو قصار
فتأخروا عنهم ولا عن عفة[١]   نكصوا ولكن خيفة وفرار
لو أنهم لبثوا لكان بوارهم   في لبثهم وتقضت الأعمار
لكنهم جعلوا الفرار وليجة   والله ليس يفوته الفرار
ظلموا بني[٢] بنت[٣] النبي حقوقهم   وأعانهم في ذلك الأشرار
لله در عصابة زيدية   نزل العلا فيها وزال العار
راياتها بيض ولغو حديثها   ذكر ومدح بني النبي شعار
لا هُمَّ إن الدين دينك فاصطبر[٤]   فالحر يغضب والكريم يغار
ولك البها والعز والكرم الذي   منه البحار الخضر والأنهار
يا رب كم يحصى المعدد منة   من بعضها الأشجار والأمطار
فافتح لنا فتحاً مبيناً عاجلاً   تسمو به الأسماع والأبصار
يحيي به الدين الحنيف وينعش الـ   ـشرع الشريف وتملك الأخيار
فالناس في ظلم الضلالة والعمى   لما قلوا سبل الهداية حاروا
قد طبق الجهل العقيم قلوبهم[٥]   وعراهم عن هجره استكبار
لهم شيوخ حملوا أوزارهم   إن ضوعفت لمضلل أوزار
من كل فدم[٦] في الندى وكأنه[٧]   عجل له بين الجميع خوار

---

(١) في الأصل (رحمة) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (علي)
(٣) في الأصل (بيت).
(٤) في الأصل (فانتصر). وكذلك في الديوان د.
(٥) في الديوان (عقولهم).
(٦) الفدم من الناس: الغليظ السمين الأحمق الجافي.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فدم.
(٧) في الأصل (كأنه).

يحتاط في غسل الغبار وعنده رفض الأئمة شهده المشتار[1]
هون عليك فكل خطب هين إن لم تصبك لدى الحساب النار
أبلغ سـراة بني علي كلهـا إن أنجدت أوطانهم أو غاروا
وعصـائبـاً ميمـونـة زيـديـة نقضت عقود نظامها الأمصار[2]
إن العـدو مشمر عن سـاقـه ليخـوض لجـا غمـرة تيـار
فاستشعروا الصبر الجميل وأججوا ناراً لها بيض السيوف شرار
وصلوا السيوف إذا قصرن بخطوكم والخيل تعثر والـوشيج كسـار
وادعوا بني قحطان أنصار الهدى ونـزار يقبـل يعـرب ونـزار
فـالعجم للحيين غنـم بـارد إن أقبلوا وتمحـضت أسـرار
ما أنت يا قحطان من قحطان إن لم تغضبي كرماً وتحمي الدار
كلا ولا عدنان من عدنان إن خضعت وقـربها العـداة قـرار
صبراً فليس القوم أكفاء لكم قطعاً وقد نطقت بـه الأخبار
أفليس أمـلاك التبابـع دوخـوا أرض الأعـاجـم عنوة وأبـاروا
ومـلوك عـدنان قفـوا آثـارهم فلهم[3] بكـل بسيـطة آثـار
ملكـوا سمـرقنـد وإفـريقيـة وسما لهن على الخليج غبار
ورمت على روميـة أرواقها[4] غضبـاً وشن بها هنـاك مغار
وردت بلاد السند تقرع بالقنا منهـا كتـائب جـرحهن جبـار
وتفزعت منها جبال نفوسة[5] خـرق معـارجهـا قنـا وشفـار

---

(١) هذا البيت غير موجود في الديوان، ويوجد مكانه البيت التـالي:
لم يحفـظوا فينا وصـاة محمـد صلى عليـه الـواحـد القهـار
(٢) في الأصل (الأمطار).
(٣) في الأصل (فـلكلم).
(٤) رَوْقُ الجيش وروق الخيل: مقدمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: روق.
(٥) نفوسة: بالفتح ثم الضم والسكون: جبـال عالية في المغرب.
=

فإلى متى يغضي الكرام على القذى تخلى الديار وتهتك الأستار
والقوم[١] قُلّ[٢] فيكم ونجارهم دعر وعود قناتهم خوار
ما يوم ذي قار بغاب عنكم غطى وجوه العجم فيه القار
والقادسية قدست فتيانها فهم حماة الدين والعمار
كم وقعة لهم وراء النهر في أبناء قنطور[٣] لها إفطار
تركت بنات الترك تعرض باللقا سوماً ولم تنقد بها دينار
هبوا فقد طال المنام فإنها طخياً[٤] يعقب ليلها إسفار
والريح عائدة عليهم عاجلاً بوقائع لوقوعهن أوار
حتى أراهم خاضعي أعناقهم رعباً عليهم ذلة وصغار
ويقول أمثلهم هناك طريقة بأقرب ما فتكت بنا الأقدار
يا رب أمة صالح أهلكتها في دارها فيما جناه قدار
عقروا بها العجما فلم تنظرهم فبما يحق لهؤلا الإنظار
وأولي ضحى قتلوا ابن بنت نبيهم عمداً وعمهم له استبشار
فاصبب عليهم سوط بأسك إنهم رجس وإن بقاءهم إصار[٥]

وللقاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي:

= ياقوت، معجم البلدان، جـ ٥ ص ٢٩٦.

(١) في الأصل (فالقوم) والتصويب من الديوان

(٢) في الأصل (قيل) والتصويب من الديوان.

(٣) بنو قنطوراء: هم الترك. ويقال إن قنطوراء كانت جارية لإبراهيم عليه السلام فولدت له أولاداً، والترك والصين من نسلها. وقيل بنو قنطوراء هم السودان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قنطر.

(٤) الطَّخْيَةُ والطُّخْيَةُ: الظلمة. وليلة طخياء: شديدة الظلمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طخا.

(٥) الإصر: الإثم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أصر.

قضى لك بالتوفيق والنصر قادر فسعدك عال لا يطاول قاهر
بحشد جيش الضد من كل جانب فعاود مفلول الشبا وهو صاغر
ورام مراماً من ظفار فلم ينل منالاً وكلت دون ذاك الأظافر
أبى الله إلا أن يعاود نادماً وحدك[1] غلاب وجندك ظافر
أتاه معداً يبتغي الربح فانثنى أخا حسرة لا تنقضي وهو خاسر
وطاف به طوف الحجيج فساءه بواطن فيه ترتضي وظواهر
أسيست[2] على التقوى قواعده فما يقاس بالأحجار منه الجواهر
وطال وأمسى رايقاً بك شامخاً تقاصر عنه الثاقبات الزواهر
فلو مشت البلدان كانت جميعها إليه على بعد المزار تبادر
كما لم يزل من كل أرض ببابه طريد وملهوف وعار وزائر
جعلت ذوي التوحيد والعدل والتقي تراجع في أرجائه وتذاكر
وما زال يتلو الذكر في عرصاته الـ أكابر في حالاتهم والأصاغر
توخيته للمسلمين مراغماً فأرغم طول الدهر من هو كافر
فما حاد من فيه ولا طاش جيشه وقد ملأ الآفاق منهم عساكر
ولكن نضا من حسن رأيك صارماً غدا محجماً منه الملوك الجبابر
فولت جنود الظالمين كأنها حمير عدت فيها ليوث هواصر
إذا رمت أمراً سدد الله أمره وجاءت على ما ترتضيه المقادر
فسعى الذي يبغي عنادك خائب وسعيك مشكور وأجرك وافر
أحطت بعلم أعجز الناس نيله وناموا عن العليا وطرفك ساهر
وكم مركب صعب تجشمت قادراً عليه أخا عزم وغيرك خائر
وكم غامض في العلم أوضحت سبله لمن هو عن باب الهداية حائر

(١) حد الرجل: بأسه ونفاذه في نجدته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حدد.
(٢) هكذا في الأصل، أملتها الضرورة الشعرية.

وكم مائل عن[1] منهج الحق لم تزل تتالى إلى معناه منك الغواير
بقيت أميـر المؤمنين مبلغـاً توالى بما ترضى وتهوى البشائر
تروق بذكراك القوافي وغيرها وتشمخ بالأوصاف منك المنابر

وهذه الأبيات لعمران بن الحسن بن ناصر العذري أنشدت عند وصـول البشارة بكسر الغز وصـدورهم من حصن ظفار.

ليهن أميـر المؤمنيـن مسـرة أتت بعدما كادت تزيغ قلوب
يد اللّـه في هذا الفتوح عظيمة وأنعـامـه فيهـا عليـه عجيب
ألا أبلغا لي وردسار وقل له متى كنت في أي الأمور تصيب
حسبت حروب الطالبيين حمزة فما أثمرت يوماً عليك حروب
أتيتم بـأقـدام وعـزم وكثـرة وجيش لكم ملء الفضاء رحيب
ولم تدر أن الله ينقض عزمكم وتعجيل نصر المؤمنين قريب
فوليتم تحت العجاجـة شرداً سراعاً وأن القلب منك لحيب[2]
وهـذي وحق اللّه أول وقعة ومن بعدها يوم عليك عصيب
تقوم نساءكم حاسرات وجوهها لها عبرة بين المـلا ونحيب
تبكينكم في كل جمع ومحفل تشقق أبـراد لهـا وجيـوب
لا يقاس السام يوماً بأثلب[3] وهل يستوي عير بها ونجيب
ومن يأخذ الحصباء يوماً بجوهر وهل يستوي يوماً عصا وقضيب[4]

---

(١) في الأصل (كـم).

(٢) اللحـب: قطعك اللحـم طولاً. والملحـب: المقطع. ولَحَبَهُ ولَحَّبَهُ: ضربه بالسيف أو جرحه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لحـب.

(٣) الثلب من ذكور الإبل: الذي هرم وتكسرت أنيابه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثلب.

(٤) القضيب من السيوف: اللطيف الدقيق؛ والقضيب من القسي التي عملت من غصن غير مشقوق.

=

لقد ساءني أن ليس فيها لمعشري ونفسي ورب المرسلات نصيب

وللقاضي علي بن نشوان بن سعيد:

سما بإمامنا وعلا ظفار ولاح له على الشعرا[1] منار

وشاع له إلى الآفاق صيت عظيم بالمهابة واشتهار

وصار له على كل الصياصي علو وارتفاع وافتخار

وحق له بمولانا سمو وفخر كلما سفر النهار

فمكة والمدينة بل دمشق ومصر بها على المولى غيار

وفي أحشاء ساكنها اشتياق إليه ففي قلوبهم أوار

رأته الغز حين أتوا وداروا به فغشى رءوسهم الدوار

وأيقن كلهم أن لا سبيل إليه يرام فيه ولا مدار

فولوا عنه عجزاً واضطراباً إلى الأعراض ما بقي اختيار

وسوف يرى بباب ظفار قرباً ملوك الأرض ثم لها جوار

فمنهم مطلق يرضى عليه وجم الكفر أثقله الأسار

وسوف ترى خيول الحق تردى بمكة والحجاز لها ابتدار

عليها كل ذي حسب شريف نماه القوم يعرب أو نزار

يجر[2] الرمح معتقداً جهاداً لأهل الشرك حيث عتوا وجاروا

إذا رام الإمام بهم مغاراً على الضلال أمكنه المغار

يرون الموت يوم الروع غنماً فيحسدهم كبارهم الصغار

فيالله عيناً من رآهم بمصر والعراق وقد أغاروا

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: قضب.

(١) الشِّعْرَي: كوكب نير يقال له المِرْزَمُ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شعر.

(٢) أجررته الرمح: إذا طعنته به فمشى وهو يجره.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرر.

وشاهد خيلهم بدمشق تردى مكفرة[1] وقد ثار الغبار
كأن سيوفهم فيه بروق تسحب والنبال بها قطار
فأين مفر ضلال طغاة هنالك لا يساعفهم فرار
فقل للمسلمين ثقوا بنصر عزيز قد أطل له شعار
ولوذوا بالإمام فبايعوه من الناس الأفاضل والخيار
فدام لنا ملاذاً حين نخشى صروف الدهر والنوب الكبار
ولا زالت تقارنه سعود وتوفيق ونصر واقتدار

ولما توجه سنقر بالعسكر من صنعاء إلى الظاهر وصعدة، أثار صاحب براش الحرب والغواير على صنعاء، وهو مملوك من مماليك سيف الإسلام تركي يسمى لؤلؤ. وكان ذا مال كثير، وعند وردسار ابنته. وكان قد قطع خبزه، وضايقه في الحصن رغبة في أخذه منه بعد أن استحلفه الأيمان المشددة، فلم تمنعه منه النسبة بالصهورية، ولا الأيمان المغلظة عن الإساءة إليه والمكر به. وكان سنقر قد أراد نزوله إليه فلم يأمن، وامتنع عليه، وأظهر الخلاف، وحارب، وناصب، فتولى المحطة عليه بقرية العشة[2] من وادي سعوان[3]، ودفع الحوادث التي تحدث منه إلى صنعاء

---

(١) الكَفْرُ: تغطية الشيء وستره. والكفر: التراب لأنه يستر ما تحته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كفر.

(٢) العشة قرية بوادي سعوان من عزلة ذمرمر، ناحية بني حشيش، على بعد ٢ كم غرب قرية سعوان. وتقع ما بين:
٢٠″ ٢٣′ ١٥° شمالاً،
٥١″ ١٥′ ٤٤° شرقاً.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٣٨؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 C 2.

(٣) وادي سعوان من أودية بني حشيش.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 C 2.

وأعمالها عمران بن الذئب بن سلمة الشهابي. وكانوا قد اقتسموا، فقسم صدر في العسكر إلى صعدة، المقدم فيه من بني شهاب عمران بن محمد بن الحبير، والقسم الآخر مع عمران بن الذئب للمحطة على براش. وكان بينهم وبين وردسار منافرة ومباعدة، وأراد أخذ زرعهم وبلادهم، فانقبضوا عنه، ولم يأمنوا إليه، فاجتهد السلطان بشر بن حاتم في تقريبهم إلى وردسار حتى أدناهم إليه. فصار[1] من أخص إخوانه وأقوى أعوانه، وأنصحهم في الحرب[2] معه. فحاربهم صاحب براش في محطتهم، وقتل منهم جماعة، وطالت عليهم الحروب واتسع النفاق، فلم ير أصلح له من مظاهرة الإمام عليه السلام. فبعث إليه رسولاً إلى ذمرمر يطلب منه النصرة والمادة على حرب العدو، والمعونة على أمره. فأجابه إلى ما سأل، وكتب إليه كتاباً بما آنسه، وطابت به نفسه. فأمر رجلين أحدهما من العرب والآخر من الغز ممن يثق به ويأتمنه على سره، فوصلا وذكرا ما أودعهما من الكلام، وأنه يريد تسليم الحصن إلى الإمام عليه السلام، ويضع ولده رهينة على الوفاء بذلك والتمام، ويحلف اليمين المؤكدة على ذلك. وسأل وصول رجل إليه من الشرفاء أو ممن يكون خاصاً للإمام. ولم يكن بحضرته عليه السلام من الشرفاء إلا الشريف علي بن موسى العباسي العلوي، فأمره بالقدوم إلى صاحب براش صحبة الرجلين الواصلين منه بعد أن أحسن إليهما وخلع عليهما. وصدروا جميعاً من تحت الليل حتى أتوا براشاً، فتلقاه لؤلؤ بالإنصاف والتعظيم، وأظهر المسرة بقدومه إليه، وخلع عليه كسوة سنية، وأخلى له المجلس، وجرى الكلام بينهما. وحكى له نكث وردسار في الأيمان التي حلف له بها، وأنه

---

(١) في الأصل (فصاروا).

(٢) في الأصل (حرب).

قد عـزم على التخلي مـن الحصن وتسليمـه إليه. فاستحلفـه على اليمين التي يحلف عليهـا وردسـار في صلحه للإمـام عليه السلام، وكان الشريـف قد أخـذ نسختها فحلف وقال: هذا ولدي أسلمـه رهينـة على ما عقدت به، ويكون بذمرمر.

فجاء كتاب الشريف علي بن موسى يحكي ما انصرم عليه الأمـر فيما بينه وبيـن صاحـب براش، ويطلـب المادة والرجال، ويستورد الأمر من الإمـام عليه السلام في أمـر ولده وإيصالـه إلى ذمرمر.

واشتهر الخبـر واستفاض في البلاد القاصية والدانية، فكـره بعض السلاطيـن بذمرمر وصول الرهينـة إليهم خشية انتقاض الصلح الذي بينهم وبين وردسـار وسنقـر، فامتنعـوا من وصولـه إليهم. وظهـر للإمـام عليه السلام صدق صاحب براش في تسليـم ولده رهينـة على ما عقـد من نفسـه فأقره عنده لما علـم من كراهـة من كـره منهم، وخشي أن يردوه إذا وصـل إليهم. ولـم يكـن ممكناً من إيصالـه إلى جهـة أخـرى لانقطاع السبل والمخافـة الحادثة في البلاد بعـد صدور الغز إلى صعدة. وأمـر بطلـب الديوان فحضـروا فسلـم إليهم جراياتهـم ونفقاتهـم لمدة معلومـة، وصدروا إلى براش إلى أميـر الإمام عليه السلام.

وشاع الخبر بذلـك ونقل إلى الآفـاق، وبلـغ إلى صعدة، وتواترت بـه الأخبـار إلى سنقـر ووردسـار فعظـم الأمـر عليهم[1]. وكـان من أسبـاب تعجيـل انصرافهـم عنها لما يخشـونه من اختلال أمـور البلاد وأهلها.

وكتب الإمـام عليه السلام إلى صنوه عماد الدين بتجهيز مائة راجـل أجواد، وتسييرهـم إلى براش محمولـي المؤنة. وكتـب إلى بـلاد بني

(١) في الأصل (عليهم فيه).

حبيش بتجهيز رجال يكون فيهم رماة بالنشاب. وكان أكثرهم قد اتخذ القسي الفارسية سلاحاً، وكانوا يقاومون الغز في مواقف كثيرة، ويوفون عليهم في الرمي بالنشاب. واجتهد الإمام عليه السلام في تقوية براش من كل جهة، ورأى إيثار الحرب منه على صنعاء، والإنفاق عليه وشغل العدو بذلك. وأنشأ الحسن بن عزوي هذا الشعر لما ظهرت الأخبار بأخذ براش وانتشرت، وأمر به من المغرب، قال:

خبر أثلج القلوب العطاشا ... قيل راعي براش ودى براشا
من كمثل الإمام فيمن رأينا ... غالب السعد حاش لله حاشا
إنما عادل نفى الجور لما ... بسط العدل للعباد فراشا
ووقور عند الخطوب إذا ما ... خف من خوفها الحليم وطاشا
كلما جاشت الجيوش من الغز ... علا سعده عليه وجاشا
حد ما أبلغوه الصرارة[1] بالخيل ... سراعاً وما تعدت نباشا
وظفار فالله يعلي ظفاراً ... رجعوا عنه مدبرين عطاشا
وانثنت خيلهم وما حُزْنَ أرضاً ... والإمام السعيد حاز فراشا
ثم راحوا كأمهات من الطيـ ... ـر ذكرن الفراخ والأعشاشا
عجباً للذين بالأمس نالوا ... ثروة من عطائه ورياشا
ورأوا وجهه الصبيح منيراً ... واستعاضوا به الوجوه الوحاشا
ليفيقوا فما لهم ما يريدو ... ن ولله خالق الخلق ما شا
ويحكم لا تعرفوا الاسم العا ... رف فهو الذي براها وراشا

(١) أَصَرَّ الفرس، وذلك إذ جمع أذنيه وعزم على الشد. وصر أذنه، أي نصبها. وجاءت الخيل مصرة آذانها أي محددة آذانها رافعة لها. وإنما تصر آذانها إذا جدت في السير. والصرار: الأماكن المرتفعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صرر.

يتقـوى أمـر الإمـام بنصـر اللّه والـظلم أمـره يتـلاشـا
يا إمام الزمان إني مذ غبت من الشـوق ما ألِذّ معاشا
كل يوم أزداد وداً ولا أخشى من النـاس فيكـم لخـاشـا

ثم لم تمـض أيام يسيـرة حتـى استعاد وردسـار إلى صنعاء علـى وجـه الغارة ليستدرك أمـر صاحـب براش، ويستدخـل له فيما يريده، وانتقض شأنهـم بصعدة ولـم يتمكنـوا من الإقامـة بها خوفاً من الخلـل عليهم في البـلاد. فحين وصـل إلى صنعـاء أمـر إلى صاحب براش بالملاطفـة والمناصفة، وعـرض عليه رد[1] إقطاعـه التي كان أخذها منـه وزيادة عليها، فامتنـع عليه ولم يلتفت إليه وقال: الحصن قد صـار أمره إلى الإمـام عليه السلام، فإن أردت خطاباً كان بينك وبينه. فغاظه ذلـك وعظـم عنده. وجهز العساكـر لحربـه، وأحمـى القتال، وبذل المال وضايقهم. وزحـف للقتـال حتـى بلغ من الحصن مبلغاً لم يظنـوا أنه يبلغه، واضطربت أمورهـم فيه، وانقطعـت المواد، ولـم يتمكـن أحد مـن الوصول إليهم. فجرى بينهم وبيـن وردسـار خطاب على صلـح بزيادة بلاد كثيرة يحصـل منها منافـع إلى الحصن وتقوية أمره.

وأتى كتـاب الشريـف علي بن موسى بتحقيق ما جـرى به الكلام بينهـم، ويطلب المادة بالمال والرجال من الإمـام عليه السلام. وكان الوقت ضيقاً والمـال متقاصراً لسعـة المطالـب إلى الحصون وغيرها، فرأى نفاذ الصلـح فيما بين وردسـار وصاحـب براش أولى في تلـك الحال، ولما يقع مـن تقوية الحصن بمـا يحصل من الغلات. وكان في أوان حصـد الثمار والحصن قـد تعطـل من الطعام إلا القليل فأمـرهم بإمضاء الصلح.

---

(١) في الأصل (ردد).

وعاد الشريف علي بن موسى إلى ذمرمر بمن كان معه من الديوان، فأراد الدخول إلى الإمام عليه السلام، فمنع من ذلك وردوه من باب الحصن خشية أن يبلغ الخبر إلى وردسار بإيوائه فينتقض الصلح بينه وبين السلاطين. فقصد كهفاً في موضع حريز[1] في جانب من أسناد الحصن، فلبث فيه أياماً والعين عليه من الحصن لوردسار. وكان يريد قبضه وأخذ فرسه وكان من جياد الخيل وأسبقها، فبعث وردسار رجلاً لذلك وقد أحكم فيه الرأي. فكان من الاتفاقات وأسباب السلامة أن أنشأ الشريف علي بن موسى إلى السلطان علي بن حاتم رسالة فيها الإذن له بالطلوع إلى الإمام عليه السلام، فأذن له، وأُخذ الحصان في الليلة التي طلع فيها إلى الحصن، فشق ذلك على السلاطين أولاد علي بن حاتم وأتعبهم لما يلزمهم من حق الإمام عليه السلام، ولما وقع عليهم من السفاط[2] في حصنهم. ولم يبلغ أحد الموضع الذي أُخذ منه الحصان من نهج الغز في حال السلم ولا في الحرب. وأتوا بخمسمائة دينار سلموها إلى الإمام عليه السلام في الحصان فقبلها منهم، وحققوا له الأمور، واعتذروا إليه فقبل عذرهم.

رجع الحديث إلى تمام قصة سنقر وقدومه إلى الجوف وصعدة بعد الحرب على ظفار حماه الله تعالى ونكوصه عنه مخذولاً خائباً.

وكان قدومه لسبع ليال خلون من شعبان من سنة إحدى وستمائة،

---

(١) الحرز: الموضع الحصين. يقال هذا حرز حريز. والحرز: ما أحرزك من موضع وغيره.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حرز.

(٢) السفيط: النذل. والسِّقاط: الخطأ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سفط، مادة: سقط.

فلبث به خمسة أيام، وحط بالفجرة[1]. وكان قد وصل إليه الشريف حاتم بن علي الأقطع القاسمي من مدينة براقش إلى شوابة، وله اجتهاد عظيم في تمكين الغز من الجوف، وعنايته شديدة في توطيد أمورهم فيه. ووصل صحبته فيصل بن يحيى النهمي وهو أشد منه رغبة في ذلك، وأكثر فساداً، وأعظم اجتهاداً في تقرير يد الظلم وتثبيت قواعده. وكان قد أفسد أهل الجوف إلا القليل منهم فأجابوه وانقادوا له، وأظهروا الخلاف على الإمام عليه السلام قبل وصول الغز. وتكفلوا لهم القود إلى الظاهر في مائتي فارس، ومحاربة الإمام عليه السلام هنالك. واجتهد الشريف حاتم بن علي وفيصل في تقريب من نفر من أهل الجوف إلى الغز.

وكان السلطان جحاف بن ربيع أشد الناس نفاراً منهم، فعنيا في إيصاله إلى الغز ودخوله في طاعتهم، فكره ذلك وامتنع أشد الامتناع، وقال: إني باق على بيعة الإمام، وحربي حربه، وسلمي سلمه. فأوعدوه بخراب بلده، فقال اصنعوا ما شئتم. فلما يئسوا منه أخربوا قرية السوق[2] ودرب وحشان[3]، وهدمت دار الإمام عليه السلام بدرب فاضل.

---

(١) الفجرة: قرية من ناحية الحميدات، قضاء الجوف، على بعد ٨ كم جنوب الحميدات.
وتقع ما بين: ٤٧″ ٢٤′ ١٦° شمالاً،
٣٢″ ٢٦′ ٤٤° شرقاً.

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1644 C 2؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف، ص ٢٤.

(٢) السوق: هي قرية سوق دعام من عزلة الزاهر، قضاء الجوف. على بعد ٣ كم شمال غرب الزاهر. وتقع ما بين: ٤٤″ ١٩′ ١٦° شمالاً،
٠٣″ ٢٨′ ٤٤° شرقاً.

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1644 C 2؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد سنة ١٩٨٦.
=

ووصل فيمن وصل إلى الغز جحاف بن حميدان وهو سلطـان نهم وكبيرهـا، وكان محباً للإمـام عليه السلام، قائمـاً معـه في ابتداء الأمـر، حسن الطاعـة له فأفسده فيصـل ورغبـه في الغز وما يحصل له منهم، فرغـب في ذلك وانقاد له، وساعده فيما رآه منه. وقدم لسنقـر فرسين فأعطاه فيهما مالاً كثيراً يوفي على قيمتهما، وخلـع عليه وعلى أولاده وأصحابه، وأحسن إليهم، واستحلفوهـم على الطاعـة، ونفي الإمـام عليه السـلام من البـلاد فحلفوا وراحـوا على ذلك. وصالحهم آل[1] أبي حماد بفـرس على سلامة دربهـم من الخراب، وطلبوا منهـم رهينـة على الطاعـة فامتنعـوا، فقبلوا منهم، وكذلـك سائـر أهـل الجوف الأعلـى. وجملة ما حصـل لهم من الجـوف خمسة أفراس، ولـم يستقصوا في المطالبـة، وقبلـوا من الناس المجملة. ونهضوا متوجهين إلى صعدة. وخالفهم الأميـر علم الدين سليمان بن موسى إلـى الظاهـر في الجنـد الذين تحـت يده، وكـان بالجوف الأعلـى، فلمـا دنـت الجنود الظالمة منهم نهـض بهم إلى المراشي[2]. فلمـا استقـروا بالجوف وأمن غزوتهم، قصد الظاهـر وأهله على الخـلاف، ورهاينهـم مقبوضة عند الغز، وحنظلة بن محفوظ بقريـة أثافت في عسكر للمحاربـة، وأطبقـت البلاد على الخلاف على الإمـام عليه السلام.

وكان من كبار الشرفاء آل القاسم من استبشر بزوال دولته وتوهين

= (٣) وحشان: من قرى أرض بني دعام بالجوف الأعلى وقد جاءت عند ابن المجاور (وحسان) بالسين.
ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٠٠.

(١) في الأصل (إلى).

(٢) تقع ناحية المراشي في الشمال الشرقي لحرف سفيان، خريطة ج. ع. ى، ١ : ٥٠٠٠٠٠، قطعة رقم ١.

أمره، فمنهم جعفر بن القاسم كان يتحدث في المجامع والأسواق، فذكر في سوق حوث على ما حكي عنه ما جرى في دولة الإمام من الذل على العرب والإهانة والجور، وأن السلطان سنقر قد قام لإزالة ذلك كله، وإصلاح البلاد. وحضره الشريف علي بن محمد بن يعقوب، وتعاونوا، وانتسبوا في الخدمة إلى القاضي حنظلة بن قاسم. والشريف يحيى بن علي كان أشد منهما اجتهاداً، فكان يطوف البلاد، ويضرب الملاقي للقبائل، ويظهر النصيحة، ويجتهد في خدمة القاضي حنظلة، ولا يدع ممكناً من الفساد في الأرض بغير الحق. فلما وصل الأمير علم الدين إلى حوث لم يستقر له بها قرار لفساد البلاد وأهلها، فقصد وادي السر ببلاد بني معمر حي من وادعة [1] فحط بهم، وكانوا باقين على طاعة الإمام، وعندهم أولاده. وأتاهم الشريف جعفر بن القاسم يريد وداهم [2] على يديه إلى الغز، وأن يكون والياً على بلدهم. فكرهوا ذلك وآذوه، واستخفوا به، وصدر منهم على غير شيء. فأقام الأمير علم الدين في بلدهم أياماً لبعدها من أثافت. وكان يخشى فساد الغز الذين معه، فكانوا يحفظونهم بالليل والنهار، فهرب رجل من الغز بفرس من خيل الإمام عليه السلام إلى أثافت. وخشي الأمير فساد جماعة منهم، وأن يفعلوا كما فعل صاحبهم، فنهض بهم من وادي السر، وجعل الحفاظ عليهم في الليل، وسرى بهم حتى أصبح في قرية المنقل، وهي بالقرب من ظفار.

وكتب حنظلة بن قاسم إلى صعدة يطلب النجدة من وردسار بخيل ورجال، ويحكي له وصول الأمير علم الدين إلى الظاهر، والخيل التي

---

(١) وادعة: عزلة من ناحية حوث قضاء خمر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص ٦٠ - ٦٣.

(٢) وديت الأمر: قربته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ودى.

معه. فجاءه الجواب بأن يجعل عليهم العيون حتى يغزوهم من صعدة، فصار الأمير ينقلهم من جهة إلى أخرى خوفاً عليهم، وخوفاً من فسادهم، وهو يتردد [في] دخول حصن ظفار حماه الله تعالى وحرسه، ولقي بسببهم نصباً شديداً. فما زال على هذه الحال حتى عاد وردسار إلى صنعاء. وواثب أهل ثافت، وأقام الحرب عليهم. وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

قصة قدوم سنقر إلى صعدة:

دخلها يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شعبان، وأقام بها تسعة أيام هدم فيها هجرة دار معين، وأمر بنقل أخشابها إلى حصن تلمص، ثم هدم درب الإمام عليه السلام الذي أسس على التقوى وانتقل آل الزيدي إليه وحلوا معه فيه. وكان لوردسار عناية واجتهاد في خراب دار الإمام عليه السلام خصوصاً، واستقصى في هدمها وحمل أخشابها إلى تلمص حتى أن سنقر عنفه وذمه على استقصائه وقال على ما حكي عنه، ما في الناس أقدم منا على الدغمة [1] والفضيحة. نكافىء رجلاً آوانا وأحسن إلينا بخراب داره؟ فقال: هذا شغل الحرب، ولم يحفل بقوله. وأعانه غوغاء أهل صعدة وسفهاؤها، وأهل الفساد منهم على الخراب. وجمعوا الفواسد وآلات الملاهي، وشربوا الخمر في المصلى الذي كان يعبد فيه الرحمن، ويتلى فيه القرآن. وتمردوا على الله، وظهر الفساد في المدينة، وارتكبت الفواحش حول تلك المشاهد المقدسة. ولم يبق آمر بمعروف ولا ناه عن منكر، وعطلت الأحكام، وسب أهل البيت على منبر الهادي عليه وعليهم السلام.

---

(١) الدغمة: كسر الأنف.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: دغم.

وتولى القضاء رجل من أصحاب محمد بن نشوان، وأقام الخطبة لبني العباس. وأتى أخوه مزايد [1] بشعر يمدح فيه سنقر وأحزابه، ويطلب منه الولاية في بلاد خولان. وأثبتت دار المكس بسوق صعدة، وضمنت بجملة من المال. ودخل الناس في أمرهم طوعاً وكرهاً. وغزا سنقر ووردسار بالعساكر من صعدة إلى موضع يسمى رغافة [2]، وقد حكى لهم انحيار [آل] [3] الزيدي وغيرهم إليها بأموالهم، فرغبوا في أخذهم. فنهضوا بعد صلاة المغرب، ولم يعلم أكثر الناس أين يقصدون، فما طلعت عليهم الشمس إلا وقد أحاطوا بدرب يسمى الصلالتين على ما حكاه الأميران السيدان الداعيان إلى الله يحيى ومحمد ابني أحمد في كتاب وصل منهما إلى الإمام عليه السلام وهو بذمرمر. ولم يكن فيه عند الحرب قدر ستين رجلاً من آل نصر قبيلة من خولان، وفيهم جماعة من أهل هجرة قطابر، فقاتلوهم قتالاً شديداً، استشهد ثلاثة من أهل الهجرة إلى رحمة الله، وانفلت الباقون من الدرب بأنفسهم، وبقي فيه ثلاثة رجال من آل نصر فقاتلوا عن أنفسهم، وامتنعوا حتى قتل رجلان بالنشاب وبقي رجل منهم، فدخل عليه الغز فتعلق برجل منهم، فطعنه اثنتي عشرة طعنة حتى قتله، وقتل من بعده.

وانتشر العسكر في الوادي، وتراجع الناس لقتالهم، فقتل منهم زهاء خمسين رجلاً، وعادوا إلى صعدة آخر نهارهم على أشر قضية، وأصيب

---

(١) في الأصل (مرائد).

(٢) رغافة: قرية وعزلة من ناحية مجز، قضاء جماعة، وتقع في الغرب الشمالي من مدينة صعدة بمسافة ٣٧ كم. واشتهرت بمعدن الحديد الذي يستخرج منها.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٦؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٦٩؛ إسماعيل الأكوع، البلدان اليمانية، ص ١٢١؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٧٩؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٢٦.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

وردسار بسهم في راحته نصل [١] بين الوريدين [٢] في خصمه [٣]، وآلمه ومنعه عن الحرب والقتال مدة طويلة.

وكان الأمير مجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد بن يحيى في القد الياني يستنفر الناس للجهاد في سبيل الله ومنابذة أعداء الله، فالتأم إليه من قبائل خولان ألف راجل، وهبط بهم إلى شق النهر، وفاتهم الغز وعسكرهم في ذلك اليوم، ولم يلبثوا بعد أخذ درب الصلالتين [٤] لما تأوب الناس لقتالهم، فخافوا على أنفسهم فمضوا على إثرهم لا يـلوي أحد منهم على أحد حتى دخلوا صعدة، ولم يلبثوا بها سوى يوم واحد أو يومين. وولى سنقر الأمر فيها رجـلاً من الترك يسمى أسداً، وهو ممن شرك في دم الشهيد إبراهيم بن حمزة رضي الله عنه، وانتقى له[٥] من عفاريت الترك وشجعان الكرد مائة وعشرون فارساً بالخيل الجياد، والعدة الكاملة والآلة القوية. وأعطاه من المال ما يستعين به على أمره، ويفرقه على جنده حتى يستحكم له الأمر في البلاد. وفرغ له حسين بن غليس المنازل في الدرب المعروف بدرب الغز[٦]، وأقام أمرهم، واجتهد في توطيد قواعدهم بصعدة وأعمالها، وجلب إليهم المنافع والمواد من البلاد.

وكان للشريف سليمان بن محمد بن القاضي من الرغبة الشديدة في

---

(١) انصلت السهم أي خرج نصله.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نصل.

(٢) في الأصل (الزيدين).

(٣) خصم كل شيء طرفه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خصم.

(٤) في الأصل (الصالتين). وتم تعديلها وفقاً لما ذكره المؤلف من قبل.

(٥) في الأصل (لهم).

(٦) درب الغز: أحد الدروب التي استحدثت بمدينة صعدة في عهد الدولة الصليحية.
مسلم اللحجي، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٢١٥ - ٢١٦.

استقرار أمرهم، والعناية العظيمة في تقوية أسبابهم ما يزيد على الوصف. وكان يركب في قدر عشرين فارساً من الشرفاء آل الهادي إلى الحق عليه السلام، ويكثر سوادهم، ويتبع مرادهم، هذا مع ما يولونهم من الاستخفاف ويشاهدون عندهم من الكراهة لهم وقلة الإنصاف. ولقد وجد كتاب بخطه إلى وردسار بعد مراحه إلى صنعاء يحكي ما لحقه من الإهانة من أسد، وأنه لخدمته إلى باب منزله فيحتجب عنه. فإن أذن له في بعض الأحوال بالدخول عليه استخف به، ولم يناصفه، ولم يلتفت إليه. وهو على ما يقاسيه منهم صابر، وعلى معصية الله تعالى معين ومؤازر.

وكان أخوه عبدالله بن محمد مخالفاً له في رأيه، يستنقص عقله ويستقبح فعله. وينهاه فلا ينتهي، ويزجره على أفعاله فلا يرعوي[1].

فلما نهض سنقر ووردسار من صعدة في العسكر إلا من بقي مع أسد وقد ثبتت له الولاية، وأمره بعمارة حصن تلمص ونقل الأخشاب إليه من درب الإمام عليه السلام وغيره. وجعلوا الوالي فيه أحمد بن سعيد الأبرهي، فقام في عمارته وشحنته وإصلاح شأنه.

وصدروا بعد ذلك مجمعين إلى العين[2] التي يفضون منها إلى العمشية، واقتربوا من هنالك، فقصد سنقر جهة الخموس يريد تهامة كالمنهزم. فكان يأتيه مشايخ عذر والأهنوم يريدون التودية بالمال على بلادهم، فيخلع عليهم ويجمل أحوالهم، ويصدرون منه على أنهم يفرقون المال على عشائرهم، ويأتون به، فلا يستقر لذلك. وأتاه قوم من جبل

---

(١) الإِرْعَاءُ: الإبقاء على أخيك. وارعوى أي كف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعى.

(٢) تتوسط العين الطريق ما بين صعدة والعمشية.
ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٣٢.

الأهنوم لما حط بالخموس، فقاطعوه على بلدهم بمال، ووعدوه لصباح الليلة التي حط بها في الخموس، وعادوا فجمعوا المال باقي نهارهم وليلتهم، وعزموا على إيصاله إليه بكرة، فنهض محطته من تحت الليل، ولم يقف لمال ولا سواه. ولقد حكى بعض من حضر محطته أن صاحب مطبخه ذبح له رأسين من الغنم وسلخهما، وأراد إنضاجهما، فمنعه من ذلك، وحملا مسلوخين. وانحدر تهامة ولم يعرج على بلد، وهلك من الخيل التي معه والجمال والدواب شيء كثير لم يعلم عددها لكثرتها وتفرقها في الشعاب والأودية.

وتوجه وردسار طريق الجوف يصل الليل بالنهار، وكان قد أذكى العيون على خيل الإمام عليه السلام وعسكره، وهم حول ظفار يصدرون إلى البلاد منه ويأوون إليه. وكان في الجوف قوم من نهج غيل مراد [1] أهل تمرد وفساد، فأتى الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة بن سليمان وقد ترك عليهم العيون، يريد غزوهم وتغنم أموالهم، فقاد العسكر لهم والمقدم فيهم الأمير علم الدين سليمان بن موسى، فقصدوا القوم في صرمهم فساقوا منه مائة رأس من البقر، وستمائة رأس من الغنم، وعادوا إلى حصن غيل عمران [2]، كما حكى ذلك الأمير سليمان بن موسى في كتاب أتى منه إلى الإمام عليه السلام وهو بحصن ذمرمر. وكان بعض أصحابه قد حط

---

(١) غيل مراد: نهر من أنهار الجوف سمي باسم قبيلة مراد التي تسكن في مناطق كثيرة من اليمن. وقرية الغيل من ناحية الغيل بالجوف على بعد ١٨ كم شمال غرب براقش.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٠٣؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف، ص ٢٦؛ خريطة ج. ع. ى، ١: ٥٠٠ ٠٠٠، القطعة رقم ١.

(٢) عُمْرَان: مدينة خربة بالجوف.
الهمداني، الإكليل، جـ ٨ ص ١٥٨، ح ٥٥ نفس الصفحة؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٧١.

بعمران ووجد أثر الخيل الكثيرة بموضع يسمى الصلبة [٢]، وهو ما بين الحرف [٢] وعمران. والخيل التي وجدوا أثرها خيل وردسار قد ذهبت مصعدة إلى أعلى الوادي، وخيل الإمام عليه السلام منحدرة إلى أسفله، وما علم بعضهم ببعض، وحال بينهم سند، فمضى أولئك يمنة، ومضى هؤلاء يسرة. وما كان بينهم إلا قاب قوسين أو يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً. وكان سلامتهم من عدو الله بنهوضهم من محطتهم غازين، وكان يريد بياتهم فيها أو صباحهم، وانصراهم عنهم في الوادي، فلم يرهم ولا رأوه [٣] مع قرب المسافة فيما بينهم من الآيات، وسلامتهم من العجائب التي تشبه المعجزات. ولقد حكى بعض من حضر أنهم [٤] وجدوا غبرة الماء في مجرى الغيل، وقد خاضت فيه خيل وردسار وهم يقصون [٥] أثرها. فكان ذلك من الكرامات الظاهرة المضافة إلى ما تقدم من الألطاف والآيات التي اختص بها وليه وابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله في حفظ عسكره الذين لم يبق على وجه الأرض في وقته من يذب به عن دين الله سواهم، فدفع الله تعالى عنه شر عدوهم.

---

(١) الصلبة قرية من عزلة برط، ناحية برط وجبل الخراب.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٩.

(٢) الحرف: مركز ناحية حرف سفيان، على بعد ٢٠ كم شمال شرق مدينة حوث، وتقع ما بين : ٥٤″ ٢١′ ١٦° شمالاً، ٤٢″ ٠٥′ ٤٤ شرقاً.
والحرف: قرية من عزلة برط، ناحية برط وجبل الخراب.
خريطة ج. ع. ى، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة 1644C1؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٨.

(٣) في الأصل (يروه).

(٤) في الأصل (أنه).

(٥) القص: تتبع الأثر. وتقصص الخبر: تتبعه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قصص.

وتقدم وردسار فحط بأسفل وادي هران، وهبط الأمير علم الدين بأصحابه إلى الجوف وحط بسوق دعام حتى استنض [١] أصحابه أثمان غنائمهم، وتزودوا لغزوهم. ونهض بهم في لحاق عدوهم، ليدرك منهم غزوة، أو ينال من أطراف محطتهم منالاً. قال: فلما وصلنا هران وقعت هوشة [٢] بين رجلين أحدهما من العرب، والآخر من الغز على قعود كانوا فيه شركاء. فثبت ابن كز وهو مقدم في الغز، فوكز الرجل العربي بالدبوس، وتنادى كل منهم بصاحبه، وجذبوا السلاح، وكاد العسكر أن يفترق ويقتتل، فسعى الأمير بينهم بإصلاح، وجعل ميله على العرب، وصبر على أذية الغز وسوء أخلاقهم خشية فسادهم مع قرب العدو منهم. وكانت الخيرة من الله تعالى فيما حدث بينهم، فأخر ما كان قد عزم عليه من لحاق العدو.

ونهض وردسار من محطته بهران وقد فاته مراده، ورد الله كيده في نحره، وكفي بشره. وتلقاه عمر بن المعترف الأحمدي فقاده لقرية ثربان، وهي بالقرب من حصن ظفار، وكان بها حب كثير فانتهبه العسكر، وأخربوا جانباً منها. وكان أهلها قد انحازوا إلى جبال ذَيْبَان [٣] فلم يلحقهم سوء في أنفسهم، وبقي منهم جماعة في القرية فقتل منهم، وانتهب العسكر ما وجدوا فيها. وصدروا مجازين يريدون البون، فتلقتهم عصبة من ديوان ظفار [في] [٤] مساقط جباله، فأزاحوهم عن الطريق، وأصابوا منهم قوماً

---

(١) يستنض بمعنى يستخرج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نضض.

(٢) الهوشه: الفساد والفتنة. وهاش القوم: وقعوا في فساد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هوش.

(٣) جبال ذيبان بناحية أرحب.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٧.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة.

كثيراً. وما زالوا يحاربونهم ويضايقونهم بالقتال حتى واروهم بالبركة المعروفة ببركة أنبا، وفي حال القتال يسألونهم بالله وبحق الإمام لتتركونا نروح عنكم. وكان بهم جراحات من حرب صعدة، ووردسار لا يستطيع تحريك يده من ألم السهم الذي أصيب به، وراح إلى صنعاء وعسكره على أشر حالة، وهلك من خيلهم وجمالهم جملة. وأقام بصنعاء على تعب شديد من يده، واستبشر الناس بأن ذلك يكون سبب هلاكه، فأمهله الله تعالى كما أمهل الكافرين من قبله وهو له بالمرصاد.

ذكر الحوادث والفتوح:

بعد رجوع الغز من صعدة، وما مَنَّ الله تعالى به من النصر لوليه وابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله، وما أذال الله على أعدائه من الظفر والاستظهار الذي كان دلائله نكوصهم عن حصن ظفار. وكان ذلك عقيب شدة الامتحان في العام الذي سماه عليه السلام عام البلوى والأحزان لما قاسى فيه من فراق الأحباب، وموت الأولياء، واستشهاد الأصحاب. وكان آخره ظهور الغز على البلاد، ومظاهرة العرب لهم على البغي والفساد وكان في خروجهم إليها وعموم وطأتهم بها نفع بدا صلاحه في عواقبه، وتبين فيه العدو من الولي، والمفسد من المصلح. ورأى الإمام عليه السلام مناماً عجيباً كان من دلائل زوال أمرهم عن البلاد وذلك بعد رجوع وردسار إلى صنعاء قال: رأيت كأني أنا والصنو يحيى بن حمزة في بركة عيشان [1]، بلد في ظاهر بلد همدان وأوطان بني صريم نعرفه وكنا [2] نسير [3] فيها في مكان لا ماء فيه ولا وحل. وكان الماء ميمنتنا وهو أسود يخاله الناظر متناهياً

(١) عيشان قرية من عزلة الشط ناحية قفلة عذر.

النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٦١٩.

(٢) في الأصل (وكانا).

(٣) في الأصل (يسيراً).

في العمق، فحذرت فيه عصا في يدي أسبره، فوجدت قعره قريباً، ثم في مكان آخر فوجدته كذلك. وإذا بطائر يضرب إلى الحمرة يشبه اليعقوب [١] ويحيى بن حمزة لاو عليه يده إلى صدره، وإذ بصقر ينخرط [٢] عليه من الهواء [٣] يستنفره من حضنه، وهو يأتيه من يمين وشمال، وكل ما مر به فزع منه وكاد ينفر. وإذا بيده قد استرخت من إمساكه، فجذب نفسه جذبة كاد يخرج من موضعه فأمسكه وقد تبتك [٤] بعض ريشه، فألقيت يدي على يد الصنو يحيى بن حمزة فاستمسك الطائر، ويئس منه الصقر فيما غفلت من حاله.

فواثب الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بلاده وهي مطبقة على الخلاف، والشريف قاسم بن يحيى باق على ولايته فيها من جهة الغز، فأخذ درب بني نصر من بلد الطرف وأوطان حلملم، وبه رتبة من ديوان الشريف قاسم بن يحيى فلزمه وهدمه. وسائر البلاد مضطربة عليه حتى أخذ الإمام عليه السلام أثافت عقيب ذلك، فاستقر ملك البلاد، وانتفى الشريف عنها. فكان ذلك تأويل المنام والله أعلم.

وأمر الإمام عليه السلام بإنشاء الكتب إلى قبائل خولان بالقدود الشامية واليمانية، وإلى بني شريف [٥] براحة ويام وسنحان يعرفهم ما

---

(١) اليعقوب: الذكر من الحجل والقطا، والجمع اليعاقيب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقب.

(٢) الاخرواط في السير: المضاء والسرعة. واخروط البعير في سيره إذا أسرع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرط.

(٣) في الأصل (الهوى).

(٤) البَتْكُ: أن تقبض على شعر أو ريش أو نحو ذلك ثم تجذبه إليك حتى ينقطع فينبتك من أصله وينتتف، وكل طائفة صارت في يدك من ذلك فاسمها بتكة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بتك.

(٥) بنو شريف بضم الشين، من قبائل خولان من بلاد صعدة. =

يجب عليهم من محاربة أعداء الله، ويأمرهم بالنفير للجهاد في سبيل الله، ويحذرهم التغافل عن القيام في حرب الغز الذين بصعدة، ويعرفهم ما يخشى من انبساط أيديهم في بلادهم، وانتشار فسادهم، ويحضهم على التأهب في لقائه أو القود مع الأميرين السيدين شمس الدين يحيى وصنوه بدر الدين محمد ابني أحمد بن يحيى. وكتب إليهما كتاباً يأمرهما بالطيافة في بلاد خولان، وتجهيز العساكر من كل جهة لحرب أسد عدو الله وأصحابه، ومن شايعه من أحزابه.

وأتى من الحسن بن عزوى شعر في التأليب [١] على حرب أعداء الله، أمر الإمام عليه السلام به إلى الأميرين وهو:

طربت اشتياقاً للرحيل مع الركب ... وشيعتهم جاري المدامع من عرب
وأرقني برق من الشام لامع ... سهرت له وهناً وقد هجعت صحبي
وماذاك بي من حب مهضومة الحشى [٢] ... بعيدة مهوى القرط مفعمة القلب
ولكنني أحببت إبلاغ خدمة ... ندبت لها فكري وضمنتها كتبي
فهل أنت يا ركب الحجاز مبلغ ... كتاباً [٣] طواه الود حييت من ركب
وأزكى سلام للأميرين نشره ... كنشر قتيت [٤] المسك والعنبر الرطب
ليحيى الأمين المرتضى ومحمد ... كبيري بني الهادي الجحاجحة الغلب
وسيفي إمام العصر والقائم الذي ... يحامي على الإسلام في الشرق والغرب

= الحجري، مجموع البلدان، جـ٣ ص ٤٥٢.

(١) في الأصل (التأنيب).

(٢) مهضومة الحشى أي هيفاء ضامرة الخصر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هضم، مادة: حشا.

(٣) في الأصل (كتاب).

(٤) قتيت المسك بمعنى طيب المسك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قتت.

وقل لهما مالت مع الغز عصبة وعرب تداني الغز ليست من العرب
كأن لم يروا وجه الإمام الذي نرى عليه رواء الدين والخلق العذب
بلى قد رأوا براً رحيماً مهذباً وظنوا به ظن الكهامة بالعضب
تأنى لهم حتى استرابوا بسبقه وعما قليل يشفع الحصر بالعقب
أما صعدة بالأمس هجرة جدكم منزهة الأكناف طاهـرة الترب
أيظهر فيها الفسق والظلم والخنا ويعلن فيها بالفساد وبالشـرب
ويعلو خطيب دينه غير دينكم على منبر الهادي فيا لك من خطب
أديروا رحى الحرب العوان وأشعلوا لظاها لكيما تطفئوا غضب الرب
أرونا نهاراً واحـداً من أبيكم على أبي السبطين قطب رحى الحرب
بمعترك فيه الـرماح تشـابكت كما اشتبكت هدب العيون على الهدب
ونادوا بخولان بن عمرو جميعها فخولان حزب الله بورك من حزب
بفتيـانها الأبـطال آل جمـاعـة وصيد حتى والقبائل من شعب
أولئـك قـوم بـارك الله فيهم يحبون أهل البيت حباً على حب
فما قاد هذا الغز إلا شقاوهم وسعد الإمام الطاهر الماجد الندب
رأوا حصن مولانا ظفاراً فما رأوا والدملوة فضلاً عليه ولا حب
وشن عليهم من أعاليـه عارض من الصخر نعم الجود ما ظن بالسكب
وقـابلهم عـرادتـان كـأنـهم لما أورتا في الصخر يرمون بالشهب
وما ظفروا مما أرادوه طائـلاً ولا حصلوا إلا على سفر صعب
وراحوا وراحت خيلهم من كلالها ومن ضعفها في صورة آل[1] من[2] الحرب
وأما خراب الدرب يوماً فخيلهم بصعدة قد صارت رهائن بالدرب
وأمـا رجـاء المفسـدين فـإنـه بني على هار شفير من الكذب
فيا عجباً من تابعي كل ناعق وسيقه عاق ساقهم سيقة السرب

(١) في الأصل (إلا).
(٢) في الأصل (بنو).

تضى الله أن القوم خانوا فأبشري جماعة منهم بالغنائم والسلب
ودونكُمُ شعراً لوى العود يابسا يحيى به لاهتز بالورق الرطب

فعاد جواب الأميرين الداعيين إلى الله بتحقيق ما قد عزموا عليه من النهضة والقيام، والتشمير والاهتمام، وتصدير الكتب إلى جهاتها، وأنهما على نية الصدور في إثرها لحشد قبائل خولان، وتجييش الجيوش، والقود إلى صعدة لحرب أعداء الله، والمنابذة عن دين الله. وأتى ضمن كتابهما هذا الشعر، وهو للقاضي صالح بن سليمان الحويت [1].

أقلني فكلا ما هجرت الدمى صدا وكم ليلة خدي علا واضحاً خدا
وبت خليَّ البال بالوصل خالياً أروي الليل صمداً وأرتشف الشهدا
وعانقت غصناً[2] وهو مسك وعنبر وضاجعت أغصاناً يلنجوج[3] أو ندا
على حاله ما حل عقد لمئزر على طول وصلي وأسأل الحل والعقدا
سوى ذاك مما كنت أجلو بوصله همومي وإن منى [4] وأخلفني وعدا
وأحلى الهوى والوصل ما كان مطرفاً لديك فلا قربا إليك ولا بعدا
فلا تعجلَنِّي يا عـزيز مـلامة فلست صدوداً عن مواصلتي هندا
ولكنه أتاي الهوى ونفى الكرى مصاب برى نحضي وصيرني هدا
بـإطفاء نـور الله بعد تمـامه بصعدة مبيضاً فأصبح مسـودا

---

(١) كان إماماً في العلوم الإسلامية مرجوعاً إليه. وهو ممن دعا إلى الأمير محمد بن عبدالله بن حمزة بالإمامة وساعده.
أبو الرجال، مطلع البدور، جـ٢ ص ١٣٦.
(٢) في الأصل (عضبا).
(٣) يلنجوج: عود طيب الريح، وهو الذي يتبخر به.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لنج.
(٤) التمني: الكذب، وهو مقلوب من المين.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: منى.

ولا خير في اللذات من غير زينة | وركن الهدى في أصل دعوته هُدّا
أساس لحليفا[1] من آل أحمد | وأهل التقي أضحى كبلقعة[2] جردا
وعطل حكم الله في كل آية | فحل البغا والبَغْيُ حتى طغى الحدا
ومن أعظم البلوى ترى الأحمق الوغدا | على منبر المنصور يمتدح العبدا
ويزري على آل النبي وحزبه | ويصغي له سمعاً أولى نكثوا العهدا
فيا ليت شعري هل أرى عسكراً مجداً | وسمراً وأسيافاً وما تعرف الغمدا
ورايات عدل فوق آل محمد | تلوح ويحوي ظلها ضمراً جرداً
عليها من الأبطال كل مجرب | عليه سرابيل محكمة سرداً[3]
كهول مصاليت[4] وأشياخ نجدة | وغر كماة من مقنعة مردا
بهاليل بسامون في حومة الوغى | تخالهم فيها لعمرهم أسدا
يهزون كالأشطاب[5] تسقى دم الطلا | ومرهفة بتراً تمج الطلا عمدا
يقودهم المنصور والأسد جنده | يقدمهم جنداً ويتبعهم جندا
يؤم بهم قوماً عتوا وتمردوا | ورام عداة الله إخفاء ما أبدا
أعزوا عدواً واستذلوا موالياً | ولم يتركوا كلا إلى منكر جهدا
لمشهد يحيى بن الحسين وصحبه | ومسجده أضحى ولاه من الأعدا

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) البلقع والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بلقع.
(٣) السرد: النسج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرد.
(٤) الصلت: البارز. رجل مصلت بكسر الميم إذا كان ماضياً في الأمور.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلت.
(٥) الشطبة: السيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شطب.

فهم بين طنبور ودف وقينة وكأس سلاف[1] من معتَّقةٍ تُهدا
فيا ابن النبيِّ المصطفى يا ابن حَيدرٍ بك الله للأيام أنجزهم وعدا
بذا شهد الحبران من آل حيدر وحبران[2] من علم ولا عالم ردا
وعلم وإيمان وزهد وعفة وحلم وعزم يصدع الجلد والصلدا
أغر غارة شعواء تردى جيادها بأسْدِ شَرًى يوم الكفاح به لُدّا[3]
عليهم وأصحبها على القوم غلظة فلا آل في قوم أتوا منكراً إدا[4]
وأبدل مكان الزجر سوطاً عنيفةً وأبدل مكان السوط سيفاً لهم حدا
أزرهم أبيت اللعن عشرين دوسرا[5] وزرهم[6] بها واصدم بها بعدهم نجدا
فتأتي إلى بغداد من نجد شزبا وتعطف منها ظافرات إلى السُّدا
وترمي ذماراً ثم صنعا وعد بها إلى صعدة شطبا[7] لتطهرها حدا
بها قمر الحدبا على الأرض خير من نما وانتمى في العالمين له حدا
فلا بد من يوم بجيش عصبصب ومجريه مجرى شعوب ولا بدا
تذكر أعدا الإله بخيبر وبدر وصفين ويستنجز الوعدا

(١) السلافة من الخمر أخلصها وأفضلها. ويسمى الخمر سُلافاً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلف.

(٢) في الأصل (وحفران).

(٣) الألد: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق وجمعه لُدٌّ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لدد.

(٤) الإدُّ: العجب والأمر الفظيع العظيم والداهية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أدد.

(٥) كتيبة دوسر ودوسرة: مجتمعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دسر.

(٦) الزر: الشل والطرد، يقال هو يَزُرُّ الكتائب بالسيف.
وزره: طعنه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: زرر.

(٧) في الأصل (سصبا).

لشمس الهدى يحيى وبدر التقى أبي حسين منار طال كيوان والسعدا
ومن هذَّبا من ماجد ومتوج فأكرم بمجد الدين مكسبه المجدا
هو العلم والتقى هو الحلم والحجى هو البحر للجدوى رضيو لها مهدا
له ولتاج الدين أحمد صنوه فضائل ما ينهى لها أحد حدا
وعزم على شد المناطق بالعدى لحرب ضروس تفحم الصارم الحدا
وقود خميس للمليع[1] مكفر[2] به كل ليث لا يهاب الردى حصدا
وكل جراز[3] الحد عضب وكرضة[4] كتوم[5] طلاع الكف[6] مضمنه صردا[7]
لنصرك يا ابن الطيبين ورحض ما يدنس مما لم يزل لابساً حمدا
فبادر إمام الحق كم سائل هوى إلى الله قرب من إمام الهدى بعدا
وكم عاتبت عتباً يكيل بضاعة رويدك مولانا نعد لهم عدا
ومن كان في بحر الضلالة خائضاً فمولاك مولانا يمد له مدا

---

(١) المليع: الأرض الواسعة. والمليع: الفسيح الواسع من الأرض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ملع.

(٢) المتكفر: الداخل في سلاحه. والتكفير أن يتكفر المحارب في سلاحه. ومكفر أي مغطى بالسلاح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كفر.

(٣) الجراز من السيوف: الماضي النافذ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حرز.

(٤) الكرضة هي الفرضة التي تكون في طرف أعلى القوس يلقى فيها عقد الوتر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كرض.

(٥) الكتوم: القوس التي لا صدع فيها ولا عيب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة كتم، مادة: طلع.

(٦) طلاع الكف: أي ملء الكف، وطلاع الشيء: ملؤه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كتم، مادة: طلع.

(٧) الصرد: الطعن النافذ. وصرد الرمح والسهم يصرد صرداً: نفذ حده. وجيش صَرَدٌ وصَرْدٌ، مجزوم: تراه من تؤدته كأنه سيره جامد، وذلك لكثرته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صرد.

وسوف ترى خيل الإمام مغيرة وأسيافهم في القرب تحصدهم حصدا
إذا كان رب العالمين نصيره ومصحبه التوفيق والنصر والسعدا
وشيخا بني بنت النبي محمد وكل فتى لا يعرف الجبن والحقدا
فمن ذا لنصر الله يغلب نصره وأجناد أهل الحق سحقاً لهم بعدا
ودم سالماً يا ابن النبي بنعمة وحفظ وسعد كامل دائم رغدا

وفي مثل ذلك للشيخ فاضل بن عباس بن علي بن [أبي][1] عمرو:

بسعد إمام العصر عَذْب الخلائق إمام الهدى المنصور مولى الخلائق
سليل رسول الله وابن وصيّه وافصح ذي قول من الناس ناطق
فتى يفرج الخطب الجسيم برأيه إذا ضاعت الآراء عند المضايق
يسل سيوف الهند في كل معرك فيغمدها بين الطلا والعواتق[2]
وعزمكم يا آل بيت محمد يدين برغم كل باغ ومارق
وكل جواد مثل يحيى بن حمزة جسور على الإقدام والروع صادق
من ابنا أبيه كل أغلب ماجد سريع إلى الجلا والفضل سابق
فشدوا إلى الغارات كل مطهم قصير القرا[3] غبر الذراعين لاحقي
حديد فؤاد لا يمل كأنه إذا كر وقت الطعن لحظة بارق
وجروا طيال السمر يا آل هاشم لطعن كلى الأعداء في كل مارق
وسيروا بها نحو العدو كأنها وإياكم الآساد فوق البواسق
بخيل من تحت الدروع إذا عدت بجيش كموج اللجة المتدافق
يثير سحاباً من عجاج رعوده صهيل المذاكي والظبي كالبوارق

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.
(٢) العاتق: ما بين المنكب والعنق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عتق.
(٣) القرا: الظهر وقيل وسط الظهر.
ابن منظور ، لسان العرب، مادة: قرا.

يكون بأعلى درب صعدة موهناً مجر عواليها ومجري السوابق
محب البغاة المارقين وكل من بها من بغيض للأنام وفاسق
تسر قلوب المؤمنين بفعلها وتملأ غيظاً قلب كل منافق
فكم وقعة يثنى بها الركب عنكم وينشي بها في غربها والمشارق
كفعلكم في البون والضد ضعفكم ووقع انقضاض الخيل مثل الصواعق
وقد صبغت راياتكم من دم الطلا ومن علق الأكباد صبغ الشقائق
وفللت الأسياف من طول وقعها على ذروات البيض فوق المفارق
وأيام صدق في حوال[1] تكاثرت بأرجاء بيداها جموع الفيالق
يردد أنفاس الرياح فلن يرى لها مسلك فيها ازدحام البيارق
فأنهلتم فيها ظماء سيوفكم وأشبعتم عرج الفيافي السمالق
وكان لمولانا العماد بدارها مقام يشيب الرأس رأس الغرانق
وفي يوم حوشان[2] له حق وقعة تحامت بها الأبطال أهل الحقائق
تعانقت الفرسان فيها كأنه عناق حبيب مسعف وصل عاشق
وولت فرار تبغض الوصل بعدها وتكرهه كره النساء الطوالق
وكم مثلها من وقعة بعد وقعة تميد لها شم الجبال الشواهق
ولا زال مولانا الإمام مؤيداً بسعد وتوفيق ونصرة خالق

ولما عاد الغز من صعدة بعد تقرير الرتبة بها مع أسد وعمارة تلمص، أيقن الناس برسوخ أمرهم، ويئسوا من دولة الحق. وانتشر فسادهم، وتظاهروا بالخلاف على الإمام عليه السلام، وارتكبوا المنكر، وشربوا

(١) ربما المقصود أرض بني حوال، وهم بنو يعفر بضم الياء وسكون العين، إحدى الأسر الحاكمة في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وكانت ناحية شبام كوكبان مركزاً لهم.

(٢) حوشان: هو القاع الفسيح فيما بين شبام كوكبان ومدينتي ثلا وحبابة. المقحفي، معجم البلدان، ص ٢٠٩.

المسكر، وقطعوا الطريق، وأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها. فكان أول من حارب قوم يقال لهم بني علي حي من ذيبان، وكان محلهم بالقرب من حصن ظفار حماه الله تعالى. قطعوا سبيل المسلمين، وأفسدوا في الدين، وتعدى أمرهم إلى أخذ الصادر والوارد من ذمرمر إلى ظفار من بريد وغيره، فينتهبون ما معهم، ويعرونهم من ثيابهم.

فكتب إليهم الإمام عليه السلام ينهاهم ويزجرهم عن أفعالهم، ويحذرهم عواقبها. فلم يحفلوا بكتابه، وازدادوا تعازياً في الجناية حتى أنه جاز عليهم رجل من أهل ظفار، وهو متولي صنعة العرادتين والرمي بها يقال له ناصر بن العسقلاني، وهو ممن كان مع الغز. فأخذوا منه دنانير كانت معه، وعروه من ثيابه، وما تركوا عليه إلا ما يستر عورته. وصدر منهم على هذه الحال بعد أن عرفوه، وعلموا أنه يريد إلى الإمام عليه السلام، فأتى إلى ذمرمر على حالته، فبلغ ذلك منه مبلغاً عظيماً، وتبين الغضب في وجهه عليه السلام. وما رأيته تعب في أمر مثل ذلك اليوم غضباً لله تعالى، وأخذ قرطاساً وكتب فيه كتاباً فيه غلظة وشدة، وبعث به إلى الأميرين صفي الدين محمد بن إبراهيم، وعلم الدين سليمان بن موسى يأمرهما[1] بقصد هؤلاء المفسدين إلى محلهم، وقتالهم، وقتلهم، وخراب منازلهم، واستئصال شأفتهم، وقطع أسباب شرورهم. فنهضا إليهم في الجند، وعصبة من ديوان ظفار، فأحاطوا بهم في محلهم، فامتنعوا فيه وقاتلوا دونه قتالاً شديداً، وجرحوا طائفة من الناس. فغشوهم من كل ناحية، وأحاطت بهم جنود الله من كل جهة، فأخذوهم وقتلوا منهم رجلين، وأسروا جماعة من كبارهم إلى الحصن حماه الله تعالى، وعَفُوا عن قتل من بقي منهم، وتغنموا ما كان في محلهم،

---

(١) في الأصل (يأمرهم).

وسكـن بعد ذلك شرهـم، وخـمدت نارهم.

وقـدم عيسى بن ذعفـان إلى الإمام عليه السلام في أيـام بقيت من شعبان بعد خـراب درب شوابة. وحـكى ما فعله أصحـابه بنو أسد من الاستقصاء في خراب دربه، وطلب النصرة منه عليهم، والقيام معهم في حربهم، وهم يومئذ بالدرب الأسفل من شوابة مخـالفين مع الغز. وقد مدوهم بالمادة عند أن يحدث عليهم حادث من جهـة الإمام عليه السلام، وأعطوهم من العـدة والسلاح ما يستغنون به على حربـه. وصاروا لهـم مقدمة في البلاد، وغرساً أجث الله تعـالى جرثومته عاجـلاً.

فكتب الإمام عليه السلام إلى الأميرين صفي الـدين محـمد بن إبـراديم، وعلم الـدين سليمان بن موسى يأمرهما بالقـود مع يحـيى بن ذعفـان لحـرب المفسدين من بني أسد، وحشد من أطاعهما من قبائل سفيان، ومن أجابهما من قبائل بكيل وحاشد. فالتأم إليهـما عسكر كثير، وجـيش موفور وحضرا[1] بالقرب من الـدرب، وكان بينهـم وبين الشرفاء آل حـمزة لـزمة[2] ومودة متقدمة، فدخـل إليهم الشريف حسين بن محمد بن القاسم وابن أخـيه محـمد بن القاسم الملقـب توران للمدافعة عنهم، والحـرب معهـم. وكانوا قد أيقنوا بالهـلاك، وحـاربوا حرباً شديداً. وقد أفـاض من سرعـان العسكر جماعة على غير تعبئة، فيهـم الشريـف الحسن بن طامي الحـراني فقاتلهم ومن خـف معه من العسكر قتالاً عـظيماً حـتى بلغوا معهـم باب الـدرب، وسلبوا من سلاحهم. ووقعت بين الفريقين جراحـات لم يمت منها أحد؛ وجمهورالعسكر

---

(١) في الأصل (خـطرا).

(٢) لزمـة بمعنى مصاحـبة. جـاء في اللسان: رجـل لُزَمَةٌ: يلزم الشيء فلا يـفارقه. ابن منظور، لسان العرب، مادة: لزم.

ومعظمه، وسواد الناس لم يتحركوا للقتال. وكان غرضهم التعبئة لقتالهم تلك الليلة، فلما شاهدوا من أولئك النفر القليل ما هالهم وأفزعهم، وعلموا أنهم هالكون، عزموا على التودية.

فلما أصبح وتأهب العسكر لقتالهم عجوا بالتهليل والتكبير والتعبد للإمام عليه السلام، والطاعة والاستسلام. وسألوا الأمان لمن يخرج منهم للتودية، فلما فعلوا ذلك أمسك الناس عن قتالهم. وكان مراد عيسى بن ذعفان قتلهم، وتغنم أموالهم، وهدم دربهم، واستئصال شأفتهم، ونقم الثأر منهم بما فعلوه في دربه. فرأى الأميران تغطية أمرهم، وقبول طاعتهم، فخرج منهم أسعد بن الحسين بن مسعود الأسدي، وهو مقدمهم وكبيرهم فدخل تحت الحكم، وسلم ست رهائن من أولادهم إلى ظفار حماه الله تعالى وحرسه. وكتبوا بينهم مشروحاً جعلوه مشروطاً بما يرسمه الإمام عليه السلام من العقوبة لهم بالمال أو خراب الدرب. وصرموا الأمر على ذلك، ولم يرضه عيسى بن ذعفان، فعاد إلى الإمام عليه السلام غاضباً، فوعده بما يرضيه وطيب له نفسه، وأمره بالوقوف حتى يكون صدوره معه.

ونهض الأمير علم الدين بالجند الذين معه، ومن يخصه بعد انصراف العساكر إلى جهاتهم من درب بني أسد فحط ببهمان يريد الحرب على ثافت، وأهلها مستمرون على ضلالهم، متمردون على الله لجهالتهم، متظاهرين بارتكاب المنكر، وشرب المسكر. والوالي عندهم من قبل الغز القاضي حنظلة بن قاسم بن محفوظ. وكان قد فرق في البلاد فرقة، وأمر بقبضها، فواثبهم الأمير علم الدين سليمان وعاقهم عنها، فلم يقبضوا منها إلا يسيراً.

وكان القاضي نصر بن محمد بذمرمر مقيماً عند الإمام عليه السلام،

فأمره بالنهوض إلى الظاهر لحرب أثافت، ومضايقة أهلها، والاتصال بالأمير علم الدين، والإنفاق على الجند. وكان قد أصابهم جهد ومضرة شديدة، فامتثل الأمر. ونهض إلى الظاهر، وجمع كلمة أهل البلاد، وديون الديوان، وبذل المال، وحشد الرجال، وأنفق في العسكر. وقام مقاماً محموداً في إصلاح الدولة وتقوية أمرها، وأجابه أهل البلاد رغبة ورهبة، إذ كان المتولي عليهم من قبل الإمام عليه السلام.

ووقع الحرب على أثافت، والغواير في الليل والنهار، واستنجدوا ببشر بن علي الذعفاني فأنجدهم في عسكر من آل سعيد حي من مرهبة. وأغارت خيل من المخيم ببهمان فيها الأميران أسد الدين الحسن بن حمزة، وعلم الدين سليمان بن موسى، ومن الجند شجاع الدين محمد بن كز في أفراس منهم منن لا يخشى فساده. فأغارت حول أثافت، ولم يكن معهم من الرجال سوى خمسة عشر رجلاً من سراع الناس.

فصرخ الصارخ بأثافت، وخرج بشر بن علي الذعفاني، وحنظلة بن قاسم في خيل قليلة ورجال تداني المائتين. فوقع قتال شديد، وجراحات محتملة، وانحاز الأميران بأصحابهما، وحموا راجلهم حتى عادوا إلى محطتهم سالمين وقد وقعت فيهم هزيمة خفيفة.

وكتب بشر بن علي الذعفاني إلى وردسار بالبشارة، وأنه هزم عسكر الأشراف، وقتل منهم أربعين شريفاً، وأقلع من خيلهم خمسة عشر حصاناً، وأخذ ألف سلاح ما بين قوس وسيف. وبعث وردسار بالبشارة، وبما وقع من القتل والسلب إلى أوليائه بذمرمر ليشاركوه في المسرة. فوقع الإرجاف بذلك وأذاعوه في الحصن وفرح العدو واغتم الولي. ولم

يقع تصديق بكل ما ذكروه ولا تكذيب بكله حتى ورد البريد من الأميرين بكتاب فيه تحقيق الخبر بأنه ما قتل منهم أحد، ولا سلب لأحد سلاح، وأن محطتهم مستقرة ببهمان. فلبثوا أياماً والغواير والحرب على أثافت قائمة حتى اختلت عليهم البلاد، وانقطعت عنهم المواد، وتفرق جمعهم، وضاقت عليهم الأحوال، وأنفقوا ما كان معهم من المال ورجعوا إلى تجار البلد فالتمسوا منهم المعونة والسلف فأعانوهم وآزروهم[١]، وفتحوا مخازن[٢] الطعام، وتعاونوا على الطغيان والآثام. وبعثوا جعار بن المكم إلى صنعاء مستغيثاً بوردسار ومستنفراً له ليستدرك البلاد، ويستنقذهم من الهلاك. وكان شديد الألم من السهم الذي أصيب به بصعدة ونصل في يده؛ وأراد القطع عليه واستخراجه فلم يجسر أحد على ذلك خوف سطوته، وخشية الشلل على يده. وفي حالة الألم الشديد لم يشغله ذلك عن المقاومة والمحاربة، فجهز عسكراً كثيراً.

وجاء الخبر بأن عسكر الإمام عليه السلام قد أحاطوا بقرية أثافت، فنهض مع ما به من التعب مغيراً حتى حط بريدة، والحرب يومئذ قائمة على أهل أثافت. وقد زحفت إليهم جنود الحق وضايقوهم أشد المضايقة، وأخذوا جانباً من القرية، وأيقن أهلها بالهلاك.

وكان الإمام عليه السلام قد كتب إلى الأميرين كتاباً لما خرج وردسار من صنعاء بالعسكر بأن يلزموا حذرهم، ويكونوا على حزم[٣]

(١) في الأصل (ووازروهم).

(٢) في الأصل (مخازين).

(٣) الحزم: سوء الظن، والحزم: ضبط الرجل أمره والحذر من فواته. =

من عدوهم. فأتاهم الكتاب وهم في شدة القتال، وقد أحاطوا بالقرية، وهدموا وحرقوا جانباً منها. فكان الكتاب مؤرخاً بوقت خروج وردسار من صنعاء، ولم يعلم الكل أنه يحط بريدة، ولم يقم بها، ولو استمر في سيره لوافاهم مفاجأة، ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾[١] فلما قرأوا الكتاب أمسكوا عن القتال، وانحازوا قليلاً قليلاً حتى صدروا متوجهين [إلى][٢] وادي ورور ليظاهروا حصن ظفار حماه الله تعالى وحرسه، وانفك القتال عن أهل أثافت إلى أجل هم بالغوه، وانسروا بالسلامة.

وبعث إليهم وردسار مقدمين من كبار جنده، السنبكي ومحمد بن موسى اليرقشي في ستين فارساً ومائتي راجل، فحطوا خارج المدينة خوفاً على أنفسهم. واستقرت محطته بريدة، وتلاحقت العسكر إليه حتى لم يبق بصنعاء منهم إلا اليسير. وكانت له العيون بذمرمر [لرصد][٣] حركة الإمام عليه السلام. وقد رجعت خيله مراراً من النقاضي وغيره، وهو موضع بالقرب من الحصن، وكان مرصداً لخروجه. وكان من ألطاف الله الخفية قدومه إلى ريدة في جميع العسكر، وتعطلت صنعاء منهم.

وهبط السلطان بشر بن حاتم من ذمرمر لطيافة ضياعه بوادي ذهبان[٤]، فلما أمكنت الفرصة عزم الإمام عليه السلام على النهوض،

= والحازم: الرجل المحترز في الأمور.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: حزز.

(١) سورة التوبة، آية ٤٦.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٤) وادي ذهبان في بلاد بني الحارث ما بين الروضة ووادي ظهر، على بعد ٧ كم شمال غرب صنعاء. =

ولم يظهر سره، ولا علم أكثر من يختص به بذلك. وكان بجسمه ضعف من سعال كان حدث عليه بصعدة، ثم تمادى به واشتد عليه مع إدمان الصوم، وكان يمنعه من أكل الطعام؛ فإن أكله في بعض الأوقات اشتد عليه السعال حتى يدفعه، فلحقته مشقة شديدة. قال عليه السلام: لما رأيت اجتهاد وردسار وصبره على الألم وهو على معصية الله تعالى، قلت في نفسي ما يسعني عند الله تعالى الوقوف على هذه الحال ولو صعب علي وأنا على طاعة الله والمنابذة عن دينه.

قصة نهوض الإمام عليه السلام من ذمرمر وما يتصل بذلك:

لما كان في الليلة المسفرة عن يوم الجمعة لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان عظم الله حرمته وزاده شرفاً وجلالة، ركب بعد صلاة العشاء الآخرة والناس في الحصن على غفلة، ومعه قدر عشرين رجلاً من أصحابه. وركب معه السلطان سالم بن علي بن حاتم، والقاضي صبرة بن عمران بن علي، وهما من أشد أهل الحصن محبة وأعظمهم اجتهاداً في قوة أمره، وصحبهما خيل من همدان، ورجالة من الديوان. وسرى الكل ليلتهم حتى أصبح، وعادوا من موضع بالقرب من مدر[1]. ولم يبق معه إلا الله تعالى وكفى به ومن حضر

= خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 C 1؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٤٧.

(١) مدر: قرية من عزلة الخميس، ناحية أرحب، على بعد ١١ كم شرقي ناعط. وتقع ما بين: ١٣″ ٤٦′ ١٥° شمالاً، ٥٣″ ١٣′ ٤٤° شرقاً.

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ١٨٥؛ الأكوع، اليمن الخضراء، ص ٥٥؛ السياغي، معالم الآثار، ص ٥٨.

من أصحابه، فيهم الشريف الفضل بن علي العباسي وعيسى بن ذعفان فارسان، والشريف الحسن بن طامي معه فرس أعجف. فوصل عليه السلام إلى محصم صحوة النهار يوم الجمعة وهو يوم سوقهم. وعلم الناس بذلك فأقبلوا إليه أفواجاً من كل جهة، فورد جانب السوق وقد صار في عسكر من أهل البلاد، وفرح الناس بقدومه وأظهروا المسرة، وأقبلوا بالبر له والنذور، فحصل في تلك الحال جملة من المال.

واجتمع بشر كثير من أهل البلاد ومن ضمه السوق، وتقدم عليه السلام [في][1] أوساط الناس، فتكلم معهم بكلام بديع لم[1] أضبط منه شيئاً، ووعظهم وذكرهم بأيام الله تعالى وطاعته، وحضهم على الجهاد في سبيله، وبين لهم أمور الغز وانتشار فسادهم وظهوره في البلاد، وأمرهم بالتأهب لإجابة داعيه. فبرز كبارهم ومشايخ سفيان ومن كبار من حضر، واشتوروا وعادوا، فأجابوه بالسمع والطاعة، وسلمت كل قبيلة سهماً، وكتبت عليه اسم مقدمها على القود وقت ذلك وما دونه، وشاع ذلك، ونقله من حضر السوق على كل جهة.

وعزم الإمام عليه السلام على الصدور إلى ظفار، فتعلق به جماعة من أهل محصم وسألوه الوقوف وقد أصابه كلال ونصب للمرض الذي معه من السعال والسهر في تلك الليلة، والحركة العنيفة عقيب السكون، وطول الإقامة بذمرمر، فلم يساعدهم. وصدر فيمن بقي فيه بقية وقدرة على المشي معه من أصحابه، وتأخر أكثرهم عجزاً، فوصل ظفار على مشقة شديدة ونصب، وأصابه ظمأ شديد مع شدة الحر والصوم. وكان وقت القيظ حتى كاد يتلف، فأمسى ليلته على

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (ولم).

تعب، فلما أصبح وقد شاعت الأخبار بوصوله، جاءت إليه قبائل العرب من كل جهة. ووصل إليه فيمن وصل جماعة من بني حيان[1] حي من مرهبة، وهم حلول حول حصن ظفار حماه الله. وكان فيهم شيخ من كبارهم يقال له مالك بن سعد، شديد الكراهة لدولة الإمام عليه السلام، مجتهداً في تقوية الغز، وصل إليهم أيام حرب ظفار، وقوى عزائمهم على حربه، ورهن عندهم ولده في الطاعة لهم. وساعده أصحابه إلا القليل منهم، ومن كان متمسكاً بالدين، وما انقطعت منهم الخطايا والحوادث بعد ذلك، فتحملها لهم رغبة في رجوعهم إلى أنفسهم وصلاحهم. فأمر عليه السلام جماعة منهم وعصبة من ديوان ظفار بالغارة على الغز بأثافت، والحوادث عليهم في الليل والنهار. وأمر الأمير علم الدين سليمان بن موسى بالنهوض في الجند الذين معه من الغز والعرب من وادي ورور إلى قرية المنقل. وبعث إلى قبائل بني صريم ووادعة يأمرهم بالاجتماع، فتحشدت عليهم القبائل، وصارت الأرض على أعداء الله كفة حابل[2]. وكان عليهم مركز في جبل بني غثيمة[3]، وآخر في موضع يسمى عصافر[4]، وآخر

---

(١) ذو حيان من قبائل مرهبة، من ناحية ذيبين.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٠١.

(٢) كفة الصائد، هي حبالته. والكفة والشبكة أمرهما واحد: حبالة الصائد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كفف.

(٣) بني غثيمة: عزلة بناحية خمر، وهي تشكل تسيع من بني صريم.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٢١٧؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص ٦٠ - ٦٦؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣٩٦.

(٤) عصافر من بلاد وادعة.
الشرفي، اللآلىء المضية، جـ٢ ص ٤٥٩؛ الجرموزي، النبذة المشيرة، ص ٤٣٥. =

في سودة بهمان، ومركز في موسم ذعفان[1] وناحية أراضيه[2]. هذه المراكز في ليلة واحدة، وأسعرت النيران في رءوس الجبال، فضاقت على أعداء الله الأحوال، وقذف الله في قلوبهم الرعب وأيقنوا أنهم هالكون. ولم يصدقوا بوصول الإمام عليه السلام إلى ظفار، فلما أصبح أغارت عليهم الخيل من المنقل وبلغت قرب مسلت[3]. وصرخ بهم الصارخ فركبوا خيلهم مجمعة وهي ستون فارساً، وكانت الخيل التي أغارت من خيل الإمام عليه السلام تسعاً معدة من جيادها، فاستقرت أماكنها، فلم يقدموا عليها خوفاً وإشفاقاً على أنفسهم ممن خلفها. ودنا إليهم رجل من أهل مسلت فسألوه عن الإمام ووصوله إلى ظفار، فأخبرهم بذلك، فلم يصدقوه حتى استحلفوه فحلف لهم، واستيقنوا الخبر منه. وعادوا إلى محطتهم فاستقروا بها باقي نهارهم. فلما أجنهم الليل رحلوا أثقالهم واستووا على ظهور خيلهم وصدروا على غير طريق. فأحس بهم أهل أثافت، فخرج إليهم جماعة فيهم بشر بن علي الذعفاني وحنظلة بن قاسم يلتمسون ما هم عليه، وما قصدهم، فأظهروا أنهم يريدون بلد بني غثيمة لخرابها ـ وكانوا ممن

= ويفهم من مصادر أخرى أن عصافر بالقرب من ذيبين.
الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ١ ص ١٢١؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١ ص ٤٤٩.

(١) يوجد أكثر من موقع يحمل اسم الموسم، وأكثر هذه المواقع قرباً من مسرح الأحداث، قرية من عزلة تسيع خيار، ناحية خمر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص ٦٩.

(٢) في الأصل (أراضه) ولا توجد ناحية بهذا الاسم.

(٣) مسلت: قرية من عزلة بني قيس، ناحية خمر. وهي من أوطان بني صريم.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٢١٧.

حارب أهل أثافت، وكانت بينهم دخول متقدمة ـ فاجتهدوا في تثبيطهم حتى يخرجوا معهم فلم يساعدوهم. وعلموا أنهم يريدون الهزيمة من تحت الليل قبل شعور أهل البلاد بهم، فعاد بشر بن علي وحنظلة بن قاسم، فرحلوا قماشهم، وصدر الجميع منهم منهزمين لا يلوي منهم أحد على أحد، وقد عرض حنظلة أخاه الذيب على بعير، وكان مصاباً بنشابة من أيام الحرب، ومضوا على أقبح قضية. وقد أيقنوا بالهلاك أهل أثافت، وهم يتلاومون بينهم، وندموا حيث أوردوهم مورد الهلاك. وصدروا عنهم، وسروا ليلتهم على أثر الغز وقد مالوا عن نقيل عجيب خوفاً على أنفسهم. ومضوا إلى بيت مساك حتى أتوا محطة وردسار وهي بريدة، فلم يلبثوا بها، ونهضوا بأجمعهم إلى صنعاء. وانحاز أهل المكم وجيرانهم إلى قلعتهم المسماة بالمصنعة بعد أن طلبوا الفرار فلم يجدوا إليه سبيلاً لإساءتهم إلى من حولهم.

ولقد حكى رجل من بني حيان وقد أتى يطلب لهم الأمان على أرواحهم، أن جماعة تعلقوا به وبذلوا له مالاً على أن يخرجهم إلى مأمنهم بأنفسهم، وسمحوا بأموالهم، فلم يجبهم إلى ذلك خوفاً عليهم. فأيقنوا بالهلاك والدمار، وتبرأ منهم الأعوان والأنصار.

فلما كان بكرة يوم الثلاثاء وقد بقي خمسة أيام من شهر رمضان عظم الله حرمته، ركب الإمام عليه السلام من حصن ظفار في نفر قليل والناس يلتئمون إليه من كل جهة. وكان قد أشعرهم النفير لحرب أثافت واستئصال شأفة أعداء الله قبل ذلك، فما[1] وصل وادي خرفان إلا في

(١) في الأصل (فلما).

عسكر معقود. ثم أتى أثافت والقبائل تفد[1] من نواحيها وقد دخلوا عليهم من أقطارها، وضايقوهم بالحرب في أزقتها. فلما دنا عليه السلام من المدينة، ورأوا[2] أعلام النصر خافقة، واستحقوا به معرفة، هبط شيخهم مطهر بن المكم مستسلماً منقاداً، يلتمس السلامة لأصحابه وقد أحاط بهم الناس يريدون قتلهم، فرق لهم الإمام عليه السلام، وثنته المراحم النبوية عن[3] سفك دمائهم، فأعطاهم الأمان على أرواحهم خاصة دون المال والبلد. ففرحوا بذلك، وغشيهم الناس، فدافعوا عن نفوسهم.

وأمر الإمام عليه السلام بفك القتال عنهم فلم يتأت ذلك لكثرة العساكر ورغبتهم في هلاكهم وقد أمكنت الفرصة منهم. فبعث الأميرين صفي الدين محمد بن إبراهيم، وصنوه أسد الدين الحسن بن حمزة، وكان عنده بنت أحمد بن المكم. فاجتهد في سلامتهم، وكافأهم بالإحسان على إساءتهم، وكانوا قد اجتهدوا في هلاكه. وحكي أنه رمى في بعض ساعة من أيام الحرب عليهم وأصيب به في إحدى جانبي عدة فرسه بنيف وعشرين سهماً. وبمثل ذلك أصيب الأمير علم الدين سليمان بن موسى في ذلك اليوم وزيادة عليه، على ما حكى ذلك من نفسه. فاجتهدا في إخراج الناس من المدينة فلم يتمكنا من ذلك، ولا ساعدهم العسكر. فمال الإمام إلى موضع يسمى دماج[4] بالقرب من أثافت لعل الناس يميلون مثله فلم يفعل الأكثر، ولا

---

(١) في الأصل (تعد).

(٢) في الأصل (ورأى).

(٣) في الأصل (في).

(٤) دماج: قرية من عزلة بني قيس، ناحية خمر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٦٧؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

حموهم بالقتال حتى أشفوا على الهلاك.

وجاء الصارخ إليه أن يستدركهم وإلا هلكوا، فتقدم إلى البركة، وأمر الناس بالوقوف عنه، وتقدم بنفسه في بعض مماليكه وحامل علمه، فأعلنوا بالتهليل والتكبير من قلعة المصنعة. ودخل عليه السلام السوق وأزقة المدينة، فأزاح الناس بالشدة والغلظة حتى خرجوا كرهاً. وضرب رجلاً قد حمل باباً على قفاه ضربة بعمود من خشب فلق الباب نصفين وسلم الرجل، وضرب آخرين في سلاحهم، ورأى الناس منه الجد فانساقوا قدامه منهزمين من كل ناحية. وانفك القتال، ولولا عزمه على العسكر وشدته عليهم ما انهزموا حتى يقتلوهم. وقال عليه السلام: لقد خشيت الله تعالى فيما فعلته في العسكر، ولو علمت أنهم ينقادون بدون ذلك ما فعلته. واستحى[(١)] ممن عرف منهم.

ولما زحزح الناس من القتال، وأبرزهم إلى ظاهر البلد، ألقى أهلها الغوامر التي كانوا يتقون بها على أنفسهم واستسلموا بما بقي من أسلحتهم، ولم يرد الإمام عليه السلام التوسع لأحد في أخذها خشية أن يقتلهم الناس، فصدروا بها، ولم يقدر أحد بعد ذلك [أن][(٢)] يمد إليهم يداً بسوء. فتفرقوا في النواحي بعد أن عرض عليهم حلول القرية وأمنهم على ذلك فلم يساعدوه. وشرع الناس للخراب في الحال للمصنعة، وآثروه على خراب القرية. وكانوا قد عمروها عمارة عظيمة عالية البنيان قوية الأركان، وأعانهم الإمام عليه السلام على ذلك لما هدمها إسماعيل بن طغتكين[(٣)]. فما زال الخراب فيها حتى بلغوا الأساس،

---

(١) في الأصل (واستحل).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) قام الملك المعز إسماعيل بتخريب قرية أثافت سنة ٥٩٦ هـ.
يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٥٢.

ونقلت الأخشاب والأبواب إلى كل جهة.

وعاد العسكر بعد ذلك لخراب القرية بعد أن تغنموا ما كان فيها من الآلات والأثاث، والحبوب على أصنافها، وأهريقت الخمور، وكسرت آلات الملاهي من الطنابير والأدفاف وغيرها، وكانوا قد أعدوا من ذلك كثيراً للعيد. وأكثر من تولى خراب القرية والمصنعة بنو قيس[1] حتى تركوها خالية خاوية، واستقصوا في هدم جدرانها حتى تركوها بلقعة يستوحش فيها من جاز بها. وأخمد الله تعالى بهدمها نار المفسدين، وسكنت شقائق المعاندين، وأيد الله ﴿الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾[2].

ونهض الإمام عليه السلام إلى حوث مؤيداً بنصر الله مستظهراً على أعداء الله، فلبث بها أياماً يسيرة حتى تراجع أهلها من البلاد واستقروا في منازلهم. ووصل عيسى بن ذعفان البختري وأصحابه بنو أسد لميعاد كان بينهم في أمر الدرب الأسفل بشوابة، ووافق ذلك وصول السلطان جحاف بن ربيع الدعامي من الجوف في جماعة من آل دعام، فوقع الكلام بحضورهم، والشفاعة إلى الإمام عليه السلام في سلامة درب بني أسد، على أن يسلموا خمسة آلاف دينار.

وكان عمرو بن المعترف قد صدر منهم إلى صنعاء يلتمس المادة من وردسار إلى الدرب والمعونة في سدادتهم فيه وتقوية أمورهم على محاربة الإمام عليه السلام. وقد كان منهم ما كان من خراب درب شوابة والاجتهاد

(١) بنو قيس من قبائل بني صريم، أطلق اسمهم على عزلة بني قيس بناحية خمر. وكانت أثافت إحدى قرى هذه العزلة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢١٧.

(٢) سورة الصف، آية ١٤.

في مضار عيسى بن ذعفان وأصحابه. وكان شديد الكراهة لبقاء دربهم، فرأى الإمام عليه السلام خرابه أصلح لما يخشى من فساد أهله وقودهم الغز إليه وتطبيب نفس خليفة صاحبه، فلم يجبهم إلى ما طلبوه، ولا رغب في المال الذي عرضوه. وقال لا سبيل إلى ترك الدرب ولا بد من خرابه، فسألوه النظرة، فأمهلهم ثلاثة أيام حتى نقلوا حريمهم وفراشهم. فلما كان يوم الفطر صلى بالناس صلاة العيد، وأمرهم بالاجتماع، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، وعرفهم بظهور نعم الله عليهم، وما من به من تعجيل قطع اليد الظالمة عنهم، وذكر لهم حال الجند وصبرهم على البأساء والضراء، ومنابذتهم لأعداء الله الأشقياء، وحضهم على التوسع لهم، والقيام بحقوقهم لما تقدم من صبرهم وتحملهم المشاق. وأمر الناس باللقاء الجامع لقبائل العرب من حاشد وبكيل إلى بركة قطبين، وجعله ليوم الخميس الخامس من شوال، وأمر الحاضر بإشعار الغائب اللقاء لليوم المذكور. وعاد إلى حوث من المصلى، فجهز الشيخ دحروج بن مقبل وعيسى بن ذعفان في خيل ورجال لخراب الدرب الأسفل، فنهضوا وأمسوا بشوابة. وكان عيسى قد حشد لخرابه بشراً كثيراً من أصحابه ومن انضم إليه من داعي بكيل، فلما أصبح قصدوا الدرب وقد فرغه أهله فهدموه، واستقصوا في خرابه، وحرقوا أخشابه وأبوابه. وقضوا وطراً من أصحابهم، وحسموا مادة الفساد، وسلموا الغوامر التي أمدهم بها وردسار، فحملت إلى حصن ظفار حماه الله تعالى. وحضرت كلمة الحق ومن اعتمد عليه والتزم[1] بأهله وانضاف إليه.

ونهض الإمام عليه السلام في لقاء الناس إلى بركة قطبين، ولم يكن

---

(١) في الأصل (والنوم).

بلغ العلم باللقاء إلى أكثر الناس فحضر من بلغ العلم إليه لذلك اليوم. فكتب إلى القبائل يأمره باللقاء ثاني ذلك اليوم إلى بركة ذي قين، والبركتان جميعاً في أوطان بني صريم[1]. وأمسى في الجراف[2]، فلما أصبح نهض إلى بركة ذي قين، وأقبل الناس من كل ناحية، فاجتمع بشر كثير. وكانت خيل الإمام عليه السلام التي حضرت في ذلك اليوم تداني الثمانين، فلما تكامل الناس تقدم في أوساطهم، فأبلغ في الوعظ والتذكير بأيام الله، وبين لهم ما يجب عليهم من المعونة، والقيام والجهاد لأعداء الله. وعرفهم أن عدوهم غير غافل عنهم، وأمرهم أن يكونوا على الأهبة لوقت الحاجة، وطلب منهم المادة من أموالهم، وما يستعين به على حرب عدو الله وعدوهم، فأجابوه بالامتثال لأمره والانقياد لحكمه. وصاح صائح بكيل، فبرزوا إلى جهة، وصاح صائح حاشد، فبرزوا إلى جهة أخرى، واشتوروا في ذات بينهم وأبرموا أمرهم. وأقبل كل منهم وقد أجمعت القبيلتان على إجابة دعوته عند الحاجة، كل قبيلة في ألف راجل، وجعلوا العقوبة على من تأخر عشرة دنانير.

وكان كبارهم قد رهنوا أولادهم عند الغز، فمنهم من رهن ولده رغبة فيهم ومحبة، ومنهم من رهن خوفاً وإشفاقاً من ضررهم. والغالب على الأكثر الخبث والفساد، والرغبة في الغز بطراً وأشراً، واستقالاً[3] لدولة الحق، وسأمة للنعمة. وكان أكثرهم فساداً وأشدهم رغبة فيهم أهل بيت

---

(١) تقع أوطان بني صريم في ناحية خمر.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٢١٧.

(٢) الجراف الأسفل والجراف الأعلى: قريتان من عزلة الجراف والسنتين، ناحية خمر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص ٦٣.

(٣) تقلل الشيء واستقله وتقاله إذا رآه قليلاً. والكلمة هنا بمعنى انتقاصاً.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلل.

زود[1] وأهل يناعة.

فأما أهل بيت زود، فأمدوا أثافت أيام الحرب بالطعام والمنافع، وجعلوا بلدهم طريقاً لمن يريد الاختلاف إلى صنعاء من الغز، وآووا أهل الفساد من العرب. وانقطعت الطرق وأخافها أهلها إلا طريقهم وبلدهم فأمنوها، وحفظوا الوارد والصادر من جهة الغز. واجتهدوا في تقوية أثافت، وكانت طريق الخيل التي أنجدت أهل أثافت عندهم، وما أمنت إلا إليهم.

وأما أهل يناعة فإنهم قادوا الغز إلى بلد الصيد، ونقموا ثأراً بأيديهم عند قوم من بني زهير، وأوطأوهم[2] البلاد حتى تمكنوا منها. فحضر من الفريقين جماعة يوم اللقاء، فجرى الكلام من الإمام عليه السلام فيما أحدثوه وما كان منهم من الأفعال القبيحة، وما اختصوا به من ذلك دون سائر القبائل. فأقروا واعترفوا بذنوبهم، فألزمهم عقوبة على ما فرط منهم ليكون أدباً لغيرهم ممن أفسد في البلاد، وجعل على بيت زود ألفاً وخمسمائة دينار، فالتزموا بذلك. وجعل عند أهل يناعة ألف دينار، وخراب موضعهم، فكرهوا وأظهروا الامتناع، وتثاقلوا في الخطاب. فركب آخر النهار فيمن بقي معه من العسكر، وأمر منادياً باستلحاق الناس والوصول بكرة ذلك اليوم إلى يناعة لخرابها وقتال المفسدين من أهلها.

---

(١) بيت زود: قرية من عزلة الكلبيين، ناحية ريدة. ويبدو أنها ضمت حديثاً إلى ناحية خارف. وهي على بعد ١٢ كم شمال ريدة.
وتقع ما بين: ٤٤″ ٥٥′ ١٥° شمالاً، ٤١″ ٠١′ ٤٤° شرقاً.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص٣١٢؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A1.

(٢) أوطأوهم، أي جعلوهم يغلبون.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: وطأ.

وصدر في الخيل والرجال متوجهاً إليها. وكان شيخهم هيصم بن علي، ومحمد بن عبد الله حاضرين في جماعة من أصحابهما، فلما رأوا الجد الذي لا هزل معه، وتيقنوا أنهم هالكون. قصدوا الإمام عليه السلام في جماعة من أصحابه بالشفاعة لهم على العقوبة بما أراد، وخراب ما شاء من درب يناعة، فسألوه المسامحة على خمسمائة دينار، فرأى مساعدة أصحابه وقبول شفاعتهم. وعاد من موضعه وقد صار أوائل العسكر قريباً من موضع يسمى الشطبة[١] فأمر باسترجاعهم، وأثنى على أثره فأمسى بموضع يسمى الحلحل[٢]، وكان أهله من أعوان أهل أثافت، وممن قوي أمرهم بالمواد وحاربوا معهم في حربهم. وكان قد أمر بهدم دربهم فلم يقع من ذلك ما يريد. فلما أصبح قصد أحد الدربين فيمن كان معه من أصحابه ومن انضم إليه، وقصد بن كز والغز الذين معه ومن انضاف إليهم الدرب الثاني، فأخربا جميعاً، واستقصى في خرابهما. وأتى أهلهما بعد ذلك فطلبوا الأمان على نفوسهم وأموالهم، فأعطاهم الأمان.

وكان عليه السلام قد أمر أهل الكولة[٣] بخرابها بأيديهم، وكانوا أشد فساداً وأعظم عناداً وأكثر أهل البلاد رغبة في الغز. وكانوا يريدون أن يكون

---

(١) الشِطِبة: من عزلة بني جُبَر، ناحية ذيبين. والشطبة من قبائل حاشد.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢١٩، حـ ٣ ص ٤٥٢؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٦٥.

(٢) الحلحل: قرية من عزلة بني قيس، ناحية خمر، على بعد ٧ كم شمال شرق خمر. وتقع ما بين: ٢٥" ٠٢' ١٦° شمالاً، ٠٠" ٠٠' ٤٤° شرقاً.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ خريطة ج. ع. ي، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة 1643 D 4.
والحلحل قرية على بعد ١٢ كم شمال غرب عمران، بالقرب من قاعة. خريطة ج. ع. ي، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B 4.

(٣) الكولة: قرية من عزلة آل الحسين، ناحية خمر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٦٥.

عندهم رتبة الغز بعد خراب أثافت، كل ذلك كراهة لدولة الحق، وبغضة لأهله. فأخربوا منها بأيديهم قليلاً، فبعث إليهم لخرابها والاستقصاء في هدمها الشيخ دحروج بن مقبل في عسكر فأخربوها، ولم يدعوا شيئاً يخشوا معه مضرة. وألزم كل من رهن الغز رهينة أن يأتي بمثلها، فسلمت الرهائن إلى ظفار حماه الله تعالى. ونقل إليه من الحب في تلك الأيام مع قلته في البلاد قدر ألف مد مما حصل من العقوبة على المفسدين، والباقي فرق في الأجناد. واستحكمت أمور البلاد بعد عموم الفساد في أهلها في مدة خمسة أيام، وجرت فيها الأحكام الشرعية والأوامر الإمامية، واستعاد الإمام عليه السلام إلى حوث بعد ذلك.

وجاء كتاب الأمير صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة يذكر قدومه إلى بلد الطرف وبني شاور وبلد بني أعشب وما يتصل بها من مغاربها وقد انتشزت[٢] رؤوس أهلها، وأظهروا الخلاف مع الشريف قاسم بن يحيى بن الحسين، وأطبقت تلك البلاد عليه. فلما وقع فتح أثافت، بعث جماعة من الشرفاء العباسيين العلويين بني المحسن إلى درب يسمى درب بني نصر كان الشريف قاسم بن يحيى قد لزمه ورتب فيه رجالاً لحفظه. فأتوه يوم عيد الفطر على غفلة ممن كان فيه فأخربوه، وانقاد أهل البلاد بعد أخذه، ودخلوا في الطاعة، واستتب الأمر فيهم ونفذت الأحكام عليهم.

وأتى شعر من الشريف الأجل يحيى بن مكنى مهنئاً للإمام عليه السلام بما فتح الله تعالى من الاستظهار على أعداء الله تعالى بأثافت قال:

أسيدنا ومولانا الإماما إليك على النوى نهدي السلاما

---

(١) في الأصل (انتشرت).

وانتشزت بمعنى ارتفعت.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: نشز.

إذا لم نقم بالوصل زرنا بخير تحية ذاك المقاما
فدونكما تعل بنشر ما من ثغور الروض تبتسم ابتساما
إذا ما هزه سحراً نسيم وفتح من براعمه الكماما
وأهدى منه ما ينصاع طيبا فيحكى المسك منفوحاً ختاماً
فلا يفك طارقها مليا يلم بذلك النادي لماما
ولا خليت ربوعك من ربوع يرويها ويسقيها الغماما
كما طفقت تعاهدنا عهاد بسح يداك تنسجم انسجاما
فلم تنفك أيد منك تترى وتسقى روضنا المطر الرهاما
وكم أوليتنا مننا توالى وكم أوسعتنا نعما جساما
بها طوقتنا فغدون زينا كما زان الأطيواق الحماما
ولا ندري بأي لسان شكر نذيع الشكر نثراً أو نظاماً
فهاك ثناءنا غضاً قشيباً لنلبس منه أبراداً وساما
ومن لم يكفر النعما وأثنى بطاعته[1] فلا يخشى ملاما
وإن لنا رجاء قد جعلنا له بجميل ما اعتدنا اعتصاما
فما أبدأته فأعده كيما تكون له إعادته تماما
ودونك بعد تهنئة بما قد بلغت به من الأعدا انتقاما
أتانا الآن ما ازددنا سرورا به وأشم حاسدنا الرغاما[2]
جلوت بكل مجلو صقيل عن الإسلام في العصر العتاما
وقدت الخيل مضمرة تعادى لحلق الأطل نحسبها السهاما
عليها كل أروع ينتصيه كما في كفه سيفاً حساما

---

(١) في الأصل (بطاقته).

(٢) الرغم: الهوان، والرغم: الذلة، والرغام: الثرى والتراب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رغم.

يهـز لنجـدة فيهـز أمضـى وأبلغ من مثقفـة[1] قـوامـا
فـدوخت العـدا وبلغت فيهم بما أعطيت من نصر مراما
فـحمـداً للذي أولاك نـصراً جسيماً يشفع المنح الجساما
ودمت ولا يزال النصر يترى ويـزداد السعـود بـه دوامـا

ووصل كتاب من القاضي علي بن نشوان مهنئاً وفي صدره أبيات.

سعدك يا ابن الرسول جلى بـنـوره غـيـهـب الـشـرور
وألـبس الـنـاكـثـيـن ذلا أبـادهـم آخـر الـدهـور
واستنـزل الآفـكيـن قـسـرا عن رتب الـملك والـقصـور
بغـوا وصـدوا فمـا أعينـوا عـلى خـلاف ولا نـفـور
فـأصبحـوا خـاسرين بعـدا لـكـل ذي بـدعـة جسـور
فليهنـك النصـر يـا إمـام الـزمـان يـا متعس الكفـور
عـلى بـغـاة أولـي نـفـاق وظـاهـر كـاذب وزور
عـفـيت آثـارهـم فـأمسـوا يـدعـون بـالـويـل والثبـور
ومـن ينـاصبـك من عـدو صـار إلـى أرذل الـمصيـر
ومـن ينـاصحـك من ولـي يصيـر إلى الأمن والـحبـور
فـدمت ركنـاً لنـا شـديـداً في عصـرك النـاعم النضيـر
يخـدمـك السعـد في مسـاء يمضي من الـدهر أو بكـور

وأنشد للقاضي زكي[2] الدين عمرو بن علي العنسي:

تبلج صبـح نصرك واستـطارا فألبس من طغى عاراً ونـارا

---

(١) الثقاف: حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج. والثقاف: العمل بالسيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثقف.
(٢) في الأصل (ركن).

حميت ذمـار دين الله ممن غـدا ظلم الأنام لـه شعـارا
ورشت بني الزمان برود أمن وقلدت الـطلى منـاً كبـارا
وكم من جاحد نعماك أمسى طـريداً ليس يـأمن أين دارا
أضـل الـرأي حنـظلة وبشـر وعن نهج الهدى حادا وجارا
وجـدا في محـاربـة ولمـا يروما غير حفظهما الوجارا[١]
وذادهمـا ليوث الغـاب ذوداً أعـاد الربـح ربحهما خسـارا
ولمـا جد منـك العزم طـارا كما ولى عن الصقر الحُبارا
وحـاد معاشـر عن كل خير وتـوفـيق بـطاعـتهم جعـارا
وظن جعـار الغـاوي ظنـونـا كـواذب حين تـابـع وردسـارا
ومـنـاهـم ومـنـوه غـروراً وخـلاهـم وغـيـهـم وسـاراً
وخـالوا أن مـا عهـدوه بـاق وليث الغاب قد ملك الديارا[٢]
إمـام من بني حسن كـريم يحاكي الزبرقان[٣] إذا استـدارا
يبـدد مـالـه في كـل حين ويشجي حـاسداً ويعز جـارا
سيشرب وردسار كؤوس صاب وتـورثـه خـيـانـتـه دمـارا
أيحسب أن حرب بني علي مـزاجـاً أو قمـاراً أو غمـاراً
ألم يـذكـر معـاهـدة بصنعـا وقـد ولى وخـلاهـا قفـاراً
ويـوم ذمـار حـاد ولم يعقب وقـد مـلأت جيـوشهم ذمـارا
فمن عليهم المنصـور عفـواً وأطلقهم وقد صاروا أسـارى

---

(١) الوجر: الطعن بالرمح. والوجر: الخوف. والوجار: سرب الضبع، وجحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وجر.
(٢) في الأصل (الدثارا).
(٣) الزبرقان: القمر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: زبرق.

ويـوم البـون ولى غيـر وان وأمعن في بني حسن فـراراً
ألم يذكر أيـادي منك بيضـا أعـادت ليله الـداجي نهـارا
أيـطمـع ثـافت تبقى لـظلم وللعـدل الإمـام بني ظفـارا
هـو الكنف المنيع لكـل بـر وللطاغي الخؤون غـداً تبـارا
تـوالى نحـوه الأجنـاد طـراً فلمـا عـاينـوه بقـوا حيـارا
وولـوا خاسـرين ولـو أقـامـوا أذاقـهـم الإهـانـة والـبـوارا
ومـا خـابت كمـاة فيـه شم غدت في كل مكـرمة تبـارا
ملكت ابن النبي فنون فضل سمت من أن تُساما أو تُجارا
فعـد ترث الأقـاصي والأداني وتنتهـك البـراري والـقفـارا

وأنشأ الإمام عليه السلام هذه القصيدة والغز يومئذ بصعدة.

أحب فاطم [١] وابنيها ووالدها وزوجها حب مشغوف ومفتون
وحب من كان مشغوفاً بحبهم ديني المصحح إن فتشت عن ديني
وليس حبي لهم إذ منهم سلفي وإنمـا حبهم للرشـد يهـديني
وآلهم من حسين الغر أو حسن أهل الصفا والوفا [٢] شم العرانين
إن المفرق فيما بينهم دعر [٣] مثل المفرق ما بين النبيين [٤]
هم الدعاة وهم سفن النجاة وهم مـاء الحيـاة لـدنيـانـا وللدين
فمن غدا قاطعاً من بغضهم سبباً يجـذ حبـل وريـديـه بسكين

---

(١) في الأصل (فاطمها) والتصويب من الديوان.
(٢) هكذا في الأصل وفي الديوان ح أما في الديوان أ، ب (أهل الوفا والصفا).
(٣) في الأصل (ذعر). وذعر بمعنى فزع.
ورجل دُعَرٌ: خائن يعيب أصحابه. وقيل: الدُّعَرُ الذي لا خير فيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دعر، مادة: ذعر.
(٤) هذا البيت غير موجود بالديوان.

ذرية بعضها من بعض فاعتبري | يا أمة بعضها مثل البراذين [١]
بعض الفرائض ما عون سأبذله | إذ ليس مثلي يرضى منع ماعون
أنا ابنهم فمتى لم أشج ضدهم | قلم يعيب بنات الطهر تبريني
إن لم أسيرها إلى الأعداء ساهمة | قب البطون تبارى كالسراحين [٢]
تردى بكل طويل الباع منبته | في [٣] طينة المجد لا طين البساتين
في مارق مثل صدع الرمح مضطرم | فرسانه بين مضروب ومطعون
تلقى به الخيل كالمرضى مكلمة | مما يحكم فيها كل مسنون
وماجد قد أطار السيف هامته | فهات في سابغ[٤] الأعطاف[٥] موضون[٦]
من فاسق ضل بالتأويل مذهبه | رفض الأئمة ذي مكث وتلوين
وجاهرٍ بفنون الفسق يعلنه | يظل يركض منه في ميادين
وكافر جاهل ترتيب خلقته | وإن مبدأ خلق المرء من طين
فلا حملت حسامي ضارباً [٧] قُدَماً | في كبة [٨] الخيل والآجال تحميني

---

(١) البِرْذَوْنُ: الدابة والجمع براذين.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: برذن.
(٢) السرحان: هو الذئب، وقيل: الأسد. والجمع سراحين.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرح.
(٣) في الأصل (من) والتصويب من الديوان.
(٤) شيء سابغ أي كامل واف. وسبغ الشيء طال إلى الأرض واتسع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سبغ.
(٥) العطاف: الإزار، والعطاف: الرداء والجمع عطف وأعطفة. والعطاف: السيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عطف.
(٦) وضن الشيء وضناً: ثنى بعضه على بعض وضاعفه. والموضونه: الدرع المنسوجة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عطف.
(٧) في الديوان ج، د (صارماً).
(٨) الكبة: الحملة في الحرب، والدفعة في القتال والجري.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كبب.

فكم فتى صدّعني إذ ذكرت له ... وقال رأي شيوخي عنه يُغنيني

وناكث بعد أيمان مؤكدة ... لشبهة لم تؤيد بالبراهين

وخابط خبط عشواء ضل سائقها ... عنها وضلت فلم تأذن لتأذين

فويلهم يوم يدعى للحساب غدا ... أهل الخطاب ويدعى [1] بالموازين

ميزان صدق [2] فلو ألقيت معتبراً ... عين البعوضة باتت أي تبيين

والله يعلم ما تخفي ضمائرهم ... عني ويعلم أيضاً كنه مكنون

وجدنا الخصم والأملاك شاهدة ... ما بيننا ورسوم الحق تعليني

وذلك الحوض رجاف [3] بسلسلة [4] ... يسقى به الطهر أتباعي ويسقيني

وكل من صدعنا بعد دعوتنا ... فإن مكتوبه في قعر سجين

هبوا أأنتم نيام إنها نعم ... ونقمة لأناس لم يلبوني

طوائف صدفت[5] عني فقلت لها ... عليك دينك إني تابع ديني

ألم أقم ورسوم الحق طامسة ... والناس غاشون في ظلم أفانين

وهجرة الطهر يحيى بن الحسين بها ... من الفواحش ضعفاً[6] ما بحبرون[7]

وكل أرض بها للفسق مأثرة ... مشهورة عندهم بالخرد العين

---

(١) في الديوان ج، د (ويؤتى).

(٢) في الأصل والديوان د (قسط). والتصويب من الديوان أ، ب، ج.

(٣) الرَّجَّاف: البحر.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: رجف.

(٤) السلسل: الماء العذب الصافي.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلسل.

(٥) الصدوف: الميل عن الشيء. وصدف عني أي أعرض.

أبن منظور، لسان العرب، مادة: صدف.

(٦) في الأصل (ضعفي). والتصويب من الديوان.

(٧) حَبْرُون: هي قرية الخليل بالقرب من بيت المقدس. ياقوت، معجم البلدان، جـ ٢ ص ٢١٢.

فزال ذلك عن كل البلاد بلطـ ـف الله ربي وتشديدي [1] وتلييني

قصة الحرب على ذيبين وما يتصل بذلك بعد فتح أثافت:

لما عاد وردسار إلى صنعاء قدم إليه بشر بن علي الذعفاني يطلب منه المادة بعسكر للغزو والحرب على الظاهر، وتجهيز العسكر للمخرج عقيب ذلك، فساعده إلى ما التمس منه. وجهز معه خيلاً ورجالاً ونهض بها من صنعاء إلى الخشب ثم إلى ريدة. وسرى من ريدة والناس على غفلة يحصدون الزرع، فقصد موضعاً يسمى صلالاً في طرف من الظاهر فقتلوا طائفة من أهله بعد الذمة عليهم والأمان لهم، وأشرعوا السيوف والرماح في ضعفاء الناس والمساكين والمتكسبين من الزرع، وقتلوا في الجملة امرأتين لتكثير العدد. وكان القتل نيفاً على الأربعين - حكى ذلك غير واحد - وعادوا إلى ريدة. ووقع عقيب هذه القتلة اضطراب وخوف شديد في البلاد.

ونهض وردسار من صنعاء فحط بريدة يريد اغتنام الفرصة عقيب هذه الحادثة وقد غضب منه [2] الناس ورهقتهم الذلة.

ونهض الإمام عليه السلام من حوث في لقاء عدو الله وردسار، وقد بلغ العلم بأنه يريد ذيبين لخراب دروبها وقطع عيونها، ونقم الثأر بما جرى بأثافت، فقصد بلد بكيل. وجاءت العيون إليه بأن وردسار قصد ذيبين، فركب عليه السلام إلى هنالك وهو يوم الخميس لعشرين ليلة خلت من شوال سنة إحدى وستمائة. والتأم إليه سرعان الناس ومن قرب من أهل البلاد. فوقع القتال في ذلك اليوم، وكان يوماً شديداً على أعداء الله، هلك

---

(١) في الأصل (ترشيدي). والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (من).

منهم جماعة لم نتيقن عدتهم، ووقعت جراحات في الفئتين لم يفت[1] منها من أهل الحق نفس، وعاد كل منهم إلى محطته. وباكر الناس للقتال، وكان يوماً هائلاً، يدع فيه الظالمون شيئاً يقدرون عليه مع كثرة عَدَدِهم، وقوة عُدَدِهم. وهموا بعرقة ذيبين وقاتلوا عليها قتالاً شديداً فردتهم جنود الحق عنها خائبين، وهدموا [في] [2] غربي البلد دروبه، ومنازل أرادوا هدمها فمنعوا منها، وهموا بقطع الأعناب وخرابها فأزاحهم الناس عنها. وكثرت فيهم الجراح والقتل، وراحوا إلى محطتهم على أشر قضية. ولم يقتل من جنبة المحقين إلا رجل واحد من الصيد. وفي خلال ذلك وجنود الحق متواترة من كل ناحية، والمواد متصلة من كل جهة. فلما عاينوا من ذلك ما بهرهم نهضوا من محطتهم بليل متوجهين إلى صنعاء لا يلوي أحد على أحد. ولم ينقطع منهم الموت مدة لأنهم راحوا بجراح عظيمة متلفة. ولبث وردسار بصنعاء بعد ذلك شهراً ويوماً، وبعث إلى اليمن وتهامة يلتمس المادة بالجند، وانتظر وصولهم إليه هذه المدة. وخرج بعد ذلك في عسكر عظيم يريد صعدة فحيل بينه وبين مراده، فعاد من الظاهر لحرب ذيبين، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وعاد الإمام عليه السلام إلى حوث بعد حرب ذيبين. وكان قبل قد أعطى الأمير علم الدين سليمان بن موسى ولاية الجوف وأهله مطبقون على الخلاف على الإمام عليه السلام، وجحاف بن حميدان باق على خلافه يترقب وصول الغز، وفيصل بن يحيى كذلك مجتهداً أشد الاجتهاد في فساد البلاد وقود الغز إليها، وهم يعدونه ويمنونه. ففرق الله شملهم وألقى

---

(١) موت الفوات: موت الفجأة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: فوت.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

بينهم العداوة، فذهبوا فريقين وجرت الحرب بينهم، فكان جحاف بن حميدان وأصحابه ينتظرون [1] المادة والنصرة من الغز، وعزان بن فليته وأصحابه ينتظرون المادة والنجدة من الإمام عليه السلام، فكانت يد الحق أقوى وكلمته أبقى.

فلما هبط الأمير علم الدين سليمان بن موسى إلى الجوف وقد انضم إليه خيل ورجال، أحسن سياسة أهله، وشد على المفسد، وأحسن على المصلح، وقبض الحقوق من أهلها على تعصب منهم. فأخذهم باللين والشدة حتى فتح الله على يديه بالاستظهار على رتبة صعدة. وهذا موضع ذكر ذلك.

قصة الرتبة التي كانت من الغز بصعدة وما فتح الله تعالى به من النصر عليها.

وكانت مدة استقرارهم بصعدة بعد مراح سنقر ووردسار عنهم شهرين وعشرين يوماً، ولما بلغهم فتح أثافت اضطربت عليهم أمورهم، وأخذوا في شحنة حصن تلمص، ونقل الماء إليه، وتقويته بكل ما يقدرون عليه، وبسطوا أيديهم في درب الأشراف آل الهادي عليه السلام، وسخروا جيرانهم ودوابهم لحمل الماء والعلف، واستخفوا بأحوالهم ولم ينفعهم حلفهم لهم ولا التزامهم بهم. وتقاصرت على أعداء الله المواد من البلاد، واختلت أمورها، وخالف عليهم أكثر أهلها. وكان حسن بن علس [2] من المجتهدين في جلب المنافع إليهم، شديد العناية في تقوية أمرهم. وقد قدموه وجعلوه واسطة بينهم وبين أهل البلاد لأخذ أموالهم، فلم يدع ممكناً

---

(١) في الأصل (ينتظر).

(٢) هكذا في الأصل (علس) وربما كان الصواب هو (عليش أو عليس).

في خدمتهم والتقرب إليهم بمعاصي الله تعالى.

فلما تضايقت عليهم الأحوال قصدوا من حولهم من أهل القرى، فطالبوهم بالمال وأنزلوا بهم النكال والوبال. وخرجوا بموضع في البطنة [1] يسمى درب آل وقيش [2] وقد طالبوا أهله بشيء، فهموا بالامتناع عن من دفعه، فأحاطوا بهم في دربهم، فقتلوا منهم أربعة عشر رجلاً وامرأة، وانتهبوا ما وجدوا في محلهم. ولم يبق لهم مطلب إلا ما يحصل من المكس بالسوق. ثم عادوا لأخذ الإبل التي يحمل الناس عليها الحبوب وغيرها من البضائع، أخذها أهل تلمص وقد طالبوا أسداً [3] بجراياتهم، فأمرهم يأخذونها. فأخذوها من أسناد تلمص، وكانت ترعى هنالك، ونحروا منها ناقة أكلوها، وأتى أهل الإبل فتفادوا إبلهم منهم بأثمانها.

وخالف عليهم أهل درب الحناجر وهم حي من همدان، وامتنعوا في دربهم وأظهروا الخلاف، فخرج إليهم أسد في الجند الذين معه ومن أجابه من أهل البلاد مع أهل صعدة، فحاربوهم حرباً شديداً. فامتنعوا في دربهم ولم ينالوا منهم طائلاً، فانثنوا لأعنابهم وأشجارهم فقطعوا جانباً منها. وعادوا إلى صعدة والخلاف باق عليهم بعد أن قتلوا من أهل الحناجر رجلين. ثم خرجوا عليهم كرة أخرى يريدون أخذهم وقتلهم، فوقع قتال شديد بينهم وجراحات خفيفة، وهزموا الغز ومن معهم هزيمة فاضحة إلى

---

(١) البطنة: من أودية صعدة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٤.

(٢) آل الوقيش: عزلة بناحية شذا، قضاء رازح، محافظة صعدة؛ وآله الوقيش: عزلة بناحية ساقين، قضاء خولان، محافظة صعدة.
التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٦١ - ٦٢، ص ٧٢ - ٧٤؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة، ص ١٧٩ - ١٨١؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

(٣) في الأصل (أسد).

أعلى الخانق [١]. واشتدوا بعد ذلك، وكانوا قد كاتبوا الإمام عليه السلام وأعلموه بخلافهم على الغز، وطلبوا منه المادة بخيل ورجال يحدث الحوادث بصعدة ومن حولها، ويأوي إليهم، ويقطع المواد عن الغز، وكان على تجهيز من يصدر إليهم.

وجاء كتاب الأميرين شمس الدين الداعي إلى الله شيخ آل الرسول يحيى بن أحمد وابن أخيه مجد الدين الدين يحيى بن محمد بن أحمد يذكران قدومهما في طاعة الله وطاعة الإمام عليه السلام إلى بلاد خولان والقد اليماني، وقدوم الأمير بدر الدين محمد بن أحمد إلى القد اليماني لاستنفار قبائل خولان، ويحققان إجابتهم له بأجمعهم بعد عناية طويلة، واجتهاد شديد. ويذكران اجتماع العساكر من جهتهما من بني جماعة [٢]، وبني حي [٣] والأبقور [٤]، ووادعة فيمن انضم إليهم من سائر القبائل، وأنهما على نية القود إلى صعدة.

وأجابهما الإمام عليه السلام عن كتابهما وقال: إن اقتضى الرأي التوقف وتأخير القود إلى صعدة حتى يجتمع خيلنا والجند الذين معنا، ويكون الميعاد لأجل معلوم، فذلك هو الصواب. وأعلمهما بأنه كتب إلى

---

(١) الخانق: من أودية ناحية سحار، جنوب صعدة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣، ص ٢٢٤؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٠٣؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢١٦.

(٢) بنو جماعة: من قبائل خولان بن عمرو، لهم بلاد واسعة من أعمال صعدة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٢؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ١٩١.

(٣) بنو حي: من قبائل خولان بن عمرو بصعدة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٥؛ ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٥١.

(٤) الأبقور: قبيلة من سحار في بلاد صعدة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ٥٤.

صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة وإلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى إلى الجوف يأمرهما بالنهوض على المبادرة، وحقق لهما كون العساكر بمجز [١]، فتثبط الأميرين أياماً في جمع الخيل وتجهيز عسكر قوي لحرب العدو.

وفي خلال ذلك قدم جماعة إلى الإمام عليه السلام وهو مستقر بحوث من مشايخ أهل صعدة، فيهم علي بن قاسم من الحدادين وعلي بن ثواب، وذلك في أيام بقت من شوال وقد أحسوا بما عند الغز الذين بصعدة من الخوف. فأرادا تقديم أمر لهم يكون من أسباب السلامة، وتقرباً إليه لما فرط منهم من الإساءة، وطلبوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وبلدهم. فأجابهم إلى ما سألوه، واشترط عليهم في الغز الذين عندهم أحد أمرين لم يجعل لهم توسع في سواهما. إما أن يتولوا قتلهم بأيديهم بصعدة في منازلهم، وحفظ ما معهم من خيل وبغال وجمال وسلاح وعدة وآلة حتى يؤدوا ذلك إليه أو إلى مأمون. وإما حفظهم إذا لم يتمكنوا من ذلك، ويكون عليهم تسليمهم عند وصوله بخيلهم وآلتهم، ويكون له الحكم فيهم بما أراه الله تعالى من قتل أو مَنٍّ. فالتمسوا منه وجهاً ثالثاً وهو أنهم يخرجونهم من بلدهم في وقت معلوم، ويبعثون إليه رسولاً قبل ذلك الوقت حتى يأمر من جهته من يأخذهم حيث يتوجهون. فلم يساعدهم إلى ذلك، وشدد عليهم في أحد الأمرين، فلم يروا بُدّاً من الامتثال لأمره والدخول في حكمه. فالتزموا ذلك وتكفلوا، وانصرم الكلام عليه. وكتب عليهم بذلك مشروحاً، وشهد فيه طائفة من المسلمين، وكتب لهم منشوراً بالأمان على النفوس والأموال، على ما التزموا به، وإبلاغ ما يجب عليهم من حق الله

---

(١) مَجْز: بسكون الجيم، قرية وعزلة في بني جماعة من بلاد صعدة فيها مركز ناحية بني جماعة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن جـ ٤ ص ٦٨٩، التوزيع صعدة، ص ٢٨.

تعالى، ولمن طلبه منهم من سائر أهل صعدة.

وسألوا الإمام عليه السلام أن يعطيهم سيفه المشهور لتطمئن قلوب أهل صعدة بمعرفته وتسكن إليه نفوسهم. فأراد إعطاءهم سيف سواه لإشفاقه عليه وضنته به، فلم يقبلوا ذلك. وتشفعوا بالحاضرين من أصحابه إليه، فقبل شفاعتهم، وسلمه على الوفاء بما شرطوه على أنفسهم. ثم سألوه رجلاً يصدر من قبله معهم حتى يسلموا الأمر إليه في البلد. فأمر[1] خادمه الشيخ الأمين دحروج بن مقبل بالقدوم فيمن حضر معه من ديوانه، وأمر معه الشريف هبة الله بن علي بن المظفر العباسي العلوي. وتقدم الصعديون بعد قضاء أوطارهم، ونهضا وديوانهما على آثارهم حتى أتيا موضعاً يسمى العفرة[2] وقد فاتهم الصعديون. ووافاهما الخبر بأن الغز كسروا جيش الأميرين شمس الدين وابن أخيه مجد الدين على صعدة. وشاع الخبر بذلك وصح، فلم يروا أولى من الإقدام والوصول إلى درب الحناجر على الخطر عقيب هذه الحادثة، فلم يلقوا سوءاً. وكان وصولهم إلى الحناجر من أسباب النصر على أعداء الله.

قصة مخرج الأمير شمس الدين الداعي إلى الله شيخ آل الرسول يحيى بن أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام:

لما تكاملت الجيوش والسواد العظيم إليه وهو بقرية مجز، وعظ الناس وذكرهم بالله تعالى، وحضهم على الجهاد في سبيل الله، والقيام

---

(١) في الأصل (وأمر).

(٢) العفرة: قرية من عزلة ريشان، ناحية العشة.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص ٥٥.

بما أوجب الله وحذرهم الطمع المهلك لأوائلهم مع السلف الصالح من أهل البيت عليهم السلام. فأجابه كبارهم جواب من لم تخلص نيته وتصدق سريرته، فحملهم على العوج، وجدد عليهم البيعة والأيمان المؤكدة والعهود المشددة كما حكى ذلك الشيخ محيي الدين محمد بن أحمد النجراني في كتابٍ أتى منه. ونهض في العسكر حتى وفوا من البطنة فحط بموضع، وحط الأمير مجد الدين يحيى بن محمد بالصعيد[1]. وافترق العسكر للضيفة، وأقبل أسد في خيله قاصداً حربهم، وكان قد انحاز من العسكر فرقة بعد قتال وقع بين الفئتين وحرب شديدة استشهد فيها ثلاثة رجال من المسلمين ورجلان من خولان. وتلاحم القتال وطمع الغز في أخذ الباقين وقتلهم وقد طلعوا أكمة التجؤوا إليها، وكانت سهلة المأخذ من جهة غير جهة القتال. فبيناهم كذلك إذ أقبل الأمير مجد الدين يحيى بن محمد من جهة الصعيد، ولا علم لهم بالقتال فيمن كان معه من الأبقور وبني رائم[2] وقوم من آل أبي البراهل بقطابر[3]، وجماعة من الزيدية المخترعة ووادعة وبني حي، وكانوا قدر الربع من العسكر، وخذل الباقون. فلما رآهم أسد وأصحابه في القاع المستوي، أضربوا عن قتال الأكمة ومن فيها، وبثوا رءوس الخيل إليهم، ورغبوا فيهم فكان سبباً لسلامة الجميع بلطف الله سبحانه فقصدوهم فاستعدوا للقتال، ووقعت حرب لم ير مثلها. وحاد من حضر تلك المعركة مع الأمير مجد الدين، فحموا حوزته وعرضوا نفوسهم دونه، وكان فارساً، فكان يحميهم

---

(١) الصعيد: بلدة في العوالق العليا من عزلة حشبة، ناحية قطابر، قضاء جماعة. المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٩١، ص ٤٧٧.

(٢) لم استدل على نسب أو موطن بني رائم.

(٣) في الأصل (قطابر).

ويحمونه. فلما اشتد الأمر وغشيتهم[1] الخيل من كل ناحية ترجل عن فرسه، ووقع أمر ليس بالهزل، ولزم ترساً، وقاتلوا أعداء الله قتالاً شديداً، وعقروا فرساً من خيلهم، وردوهم ناكصين، وعادوا إلى صعدة.

والتأم العسكران بعد ذلك إلى القهرة[2] إلى الأمير شمس الدين، وأمر بدفن الشهداء. وأراد الوقوف بموضعه ذلك ليتراجع إليه الناس وتسكن قلوبهم، فلم ينتظم له من أمرهم شيئاً، وفاتوه هرباً، وتفرقوا بعد اجتماعهم أيدي سبأ. فاجتمع[3] إليه من بقي من العسكر، وحملوه على النهوض إلى قهرة في طرف البطنة[4] تسمى القهرة الحمراء فوقف بها، ومر الناس به مجتازين لا يلوي أحد منهم على أحد، وبقي معه عدة يسيرة، فقالوا له إن العسكر قد افترق وما بقي بيدك منه شيء إلا من حضرك. وإنا[5] نخشى العدو أن يثب علينا وعليك من ساعتنا هذه. وكان الفساد قد سرى في العسكر، والمال قد دس من أهل صعدة إلى كبارهم على ما حكي ذلك، وجرت به العوائد المتقدمة فيما بينهم وبين مشايخ خولان. فلما رأى الأمير ما حلّ بالناس من الذلة والفساد، وقد ثبت ثبوت مثله بعد أن أوردوه مورد الهلاك كما فعل المارقون بآبائه الطاهرين من قبله، ولم يخشوا الله تعالى في أمره وكبر

---

(١) في الأصل (وغشيهم).

(٢) القهرة: اسم لعدد من القرى بمحافظة صعدة، ويبدو أن الموضع المذكور في النص هو قرية من عزلة بني عباد، ناحية مجز، قضاء جماعة.
انظر التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، ص٧، ٨، ٢٦، ٨٨.

(٣) في الأصل (فاجمع).

(٤) البطنة أحد أودية صعدة. وقد مر.

(٥) في الأصل (فإنا).

سنه؛ نهـض منحـازاً إلى هجـرة قطابر، وما كان لبوث أسد عـدو الله وأصحـابه بعد ذلك سوى عشرة أيـام وأدال الله عليهـم بالنصر

ولما وصل أهـل صعدة بسيف الإمام عليه السلام، واشتهـر خـبره، واستفاض العلم به عند أسد وأصحـابه اضطربوا اضطراب الأرشية[٢]، وضاقت عليهم الأرض بما رحـبت، وأعملوا النظر في الخـلاص بأنفسهم ودوابهـم مع إظهـار الشدة عقيب كسرة جـيش الأميرين. وزادهم خـوفاً وصول الشيخ دحـروج بن مقبل إلى درب الحـناجر، وتواتـرت إليهم الأخـبار بـأن الإمام عليه السلام على الأثر في عسكر عـظيم. وكان الشيخ دحـروج قد كـاتب أهـل صعدة وطالبهـم بـما التزموا به وصعـب عليهم الأمر، واشتـد حـزم الغز على أنفسهم، فـلما أيقنوا بالهـلاك أجـمعوا إلى أسد فحـلفوا له، وأمسى معه منهـم في منزله قـدر أربعين رجـلاً يحـفظونه ليلتهـم. ورحـلوا أثقالهم، واستووا على ظهـور خـيلهم، ولبسوا لأمـة حربهـم.

فلما أصبح نهضوا مظهـرين أنهم يـريدون قصد الحناجـر لحربهم وقد برزوا إلى ساحـة المدينةوقصدوا درب الأشراف آل الهـادي، فتلقوهم بالبشر والكرامة، وأضافوهم، وأحسنوا إليهـم. وأمروهم بالتماس رجـلين لهم يصحبانهـم حـتى يتجـاوزوا إلى مأمنهـم، فبعثوا الرجـلين من الربيعة، أحـدهما يسمى الهرش بن جعفر الربيعي، والآخـر أحـمد بن البراغش. وركب معهـم الشريف سليمان بن محـمد القاضي وهو حليفهـم مصحباً لهم. وتوجهـوا يـريدون تهـامة وقد أودعوا الشرفاء ما ثـقل من سلاحهـم وعدتهم وآلاتهـم، وتجـردوا على ظهـور الخيـل. وكانت

---

(١) الرَّشَأُ: الظبي إذا قـوي وتحـرك، والجـمع أرشـاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رشأ.

خيلهم يومئذٍ تزيد على مائة وعشرين كلها معدة، خيلها وفرسانها. فلما انتهوا إلى موضع يسمى غديرة[1] وصاروا في بطن الوادي وقد أجنهم الليل، وهو موضع صعب المرتقى ضنك المسلك صرخ عليهم صارخ الربيعة وبني معاذ[2]، ولزموا لهم مسلك الوادي ورءوس الجبال، وهابوهم فلم يقدموا عليهم، فمنعوهم من الجواز في بلادهم، فلما عظم عليهم الخطب، وانسدت الطريق، وصاروا في أضيق من حلفة الفأس لا يقدرون على الإقدام أمامهم، ولا يأمنون خلفهم، لم يروا إلا العود على إثرهم. وأنزل الله سيلاً في تلك الليلة فأمسوا يخوضون فيه، وقطع منهم أربعين فارساً، وحال بينهم وبين الاتصال بأصحابهم. فذهب كل منهم جهة، فمضت الأربعون إلى بلد الأزقول[3] فأخذوا خيلهم وسلاحهم وثيابهم، وخلوا سبيلهم عراة حفاة. فصدروا على وجوههم حتى لحقوا بقافلة تريد تهامة، فسقوهم وأعاشوهم حتى تودوا إلى تهامة على أشر قضية. وبقي أسد في ثمانين فارساً، فألقوا أكثر تجافيف خيلهم اثني عشر تجفافاً، وعادوا والصوت

(١) الغدرة، قرية من عزلة ولد نوار، ناحية حيدان، قضاء خولان. بمحافظة صعدة؛ وجديرة: قرية من بلد خولان بن عمرو من أعمال صعدة. أما غديرة فلم أعثر عليها في المصادر المتاحة.

التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٥٣؛ الجرموزي، النبذة المشيرة، ص ٥٠، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ١ ص ١٨٠.

(٢) بنو معاذ من قبائل بني مالك؛ وعزلة بني معاذ من ناحية صعدة، قضاء سحار. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٤٧٤؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٩٢.

(٣) في الأصل (الأرقود). والأزقول بطن من بني كليب من قبائل سحار؛ وعزلة الأزقول من ناحية صعدة، قضاء سحار.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٤٧٤؛ التوزيع السكاني في محافظة صعدة، ص ٩١.

عليهم من كل ناحية، وللناس منهم هيب، فلم يقدم أحد على قتلهم.

وبلغ الخبر بهم إلى الشيخ دحروج وهو بدرب الحناجر، ولم يكن معه فارس سوى الشريف هبة الله بن علي العلوي، فركبا فيمن حضر معهما من الديوان ومن أجاب الصوت من أهل البلاد فعارضوهم وهم يريدون حصن تلمص. ووقع طراد، ولم يصل إلى أحد سوء. وقدم دحروج وأصحابه فحطوا بموضع يسمى درب حريس[1]، وطلع أسد وأصحابه الحصن.

قصة قدوم الأمير علم الدين سليمان بن موسى لحرب أسد عدو [الله][2] وأصحابه وما فتح الله به على يديه من النصر والاستظهار عليهم:

لما كتب الإمام عليه السلام وهو بالجوف يأمره بالنهوض واستنفار من أطاعه إلى صعدة فانتظم له ستون فارساً، فيها الجحاف بن ربيع من آل دعام، وسائر أهل الجوف من نهم وغيرهم باقون على الخلاف. فنهض إلى بلاد وائلة، وكان كبيرهم مدرك بن علي عظيم الفساد، شديد العناد، كارهاً للحق وأهله. وكان قد أتى إلى سنقر أيام قدومه إلى صعدة، والتمس منه القود إلى بلده، وتمكينه من أولاد الإمام عليه السلام، وكانوا قد انحازوا إلى أملح وهي بلده، فخشوا مكره وخيانته لما تقدم من الغز، فنهضوا إلى جبل برط فتلقاهم أهله بالإكرام والإنصاف، وحفظوهم في الليل والنهار، وعطلوا لهم المنازل،

---

(١) يفهم من النص أن درب حريس على مقربة من حصن تلمص الذي يقع في جنوب غرب مدينة صعدة.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

وآنسوهم، وتباركوا بقدومهم إليهم، وفعلوا معروفاً في حقهم. وما برحوا من بلدهم حتى عادوا إلى صعدة.

ولما وصل الأمير علم الدين بلدهم في العسكر الذين معه، التأم إليه منه ثلاثون رجلاً مع شيخهم عمرو بن غيلان، وقادوا معه إلى صعدة للجهاد[1] في سبيل الله. وكان وصول الأمير علم الدين يوم الأربعاء لست عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من سنة إحدى وستمائة فحط بالمربط وهو في أسفل وادي الخانق بحيث يرى درب صعدة وحصن تلمص ويرونه منها، فأمسى ليلته بالمربط. فلما أصبح ركب أفراس من خيله يستطلع أمر القوم، فهبطت منهم أفراس، ووقع بينها طراد وعاد كل إلى مستقره.

فلما كان بكرة يوم الجمعة هبط أسد في الخيل التي[2] معه يسترق بها الطرق وقد صفوها للقتال ووطنوا النفوس على الموت. وركب الأمير في خيله، ووافق ذلك وصول اثني عشر فارساً من جهة الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، فكثرت عدتهم، وغلظت سوادهم، واجتمعت خيلهم نيفاً وثمانين فارساً، منها نيف على العشرين معدة، وباقيها معارى.

وكان الإمام عليه السلام قد جهز محمد بن كز في العسكر الذين معه من حوث، وأنفق فيهم مالاً، وأمرهم باللحاق فتثبطوا في طريقهم ولم يحضروا ذلك اليوم. ولما أقبل أسد في الجنود الظالمة، عبأ الأمير علم الدين أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً، وجعل في الميمنة الشريف الحسن بن طامي الحرابي الحسني، وجعل على الميسرة الشريف

---

(١) في الأصل (الجهاد).

(٢) في الأصل (الذي).

هبة الله بن علي العلوي. وكان الشيخ دحروج وديوانه وهم سبعون راجلاً أجواداً قدام الخيل. ودنا أسد، وكان في صفه الشرفاء آل الهادي عليه السلام قبل الوقعة، وخيل الغز ما يرى من فرسانها إلا حدق العيون.

ولما تدانت الفتيان، برزت أفراس من خيل الأمير وطاردت أوائل الخيل، وحملت الخيل حملة واحدة قاصدة الأمير علم الدين سليمان بن موسى[1] وقد جالت الخيل بعضها في بعض، وثار بينها العجاج. وانحازت خيل الجوف عند حملة الغز مقبلة إلى الأمير وخيل الغز في إثرها تسوقها سوقاً عنيفاً، فتلقاها فيمن كان معه فرد أولاها على أخراها، وأعطاه الله النصر على أعدائه فولت خيلهم هزيماً. وزرق[2] ربيع بن معتق الدعامي فرس أسد بحربة، وطعنه أيضاً حاتم بن عمرو بن بشر الشهابي فحمله إلى أسفل تلمص ومات هنالك. وكانت الهزيمة فيهم من موضع خلف موضع يسمى غراز[3] إلى أسناد جبل تلمص. وترجلوا عن خيلهم بعد أن عقر منها فرسان، واقتلع[4]. فرسان، وضايقتهم جنود الحق، وتلاحم بينهم القتال، فساقوا خيلهم قدامهم. ووقع قتال شديد بعد نزولهم من خيلهم، ورموا بالنشاب، ودافعوا عن أنفسهم وخيلهم، فرُمي زيد بن عمرو الشهابي

(١) هذه الجملة فيالأصل على النحو التالي (قاصدة علم الأمير سليمان بن موسى).

(٢) زرق بمعنى طعن أو رمى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: زرق.

(٣) غراز بضم الغين وفتح الراء قرية من عزلة غراز، ناحية سحار.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صعدة، ص ٣١؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٨٥.

(٤) اقتلع بمعنى استلب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلع.

بنشابة، ورُمي منصور بن سليمان الجنبي بنشابة ماتا منهما بعد الوقعة ومضيا شهيدين إلى رحمة الله تعالى.

وحط الأمير علم الدين عقيب المعركة في سفح الجبل عند المسجد، وضايق أعداء الله وحصرهم حصراً شديداً. وكتب إلى الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أحمد وقد صار في بلد الربيعة في جمع عظيم من خولان أهل القد اليماني. وكان له في جمعهم عناية شديدة، وكانوا قد أقبلوا بأجمعهم معه حتى وقعت الكسيرة في عسكر صنوه الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد فغضّ ذلك منهم، واضطربت أحوالهم، وتثبّطوا حتى جاءهم العلم بالوقعة في أعداء الله على يد الأمير علم الدين سليمان بن موسى فأقبلوا بين يدي الأمير بدر الدين مجمعين. ووصل بعدهم الأمير محمد بن كز في الغز الذين معه، وأحاطت الجيوش بأعداء الله من كل جانب، وأقبل العدو[1] والصاحب وحصروا أعداء الله سبعة أيام، فأَضَرَّ بهم الجوعُ والعطشُ، وكادت خيلهُمُ تتلف من شدة الظمأ، وحرست الطرق عليهم من كل جهة، وضاقت عليهم الأحوال. وهبط من ديوان الحصن ثلاثة رجال من تحت الليل يريدون الماء وهو عند المسجد والحرس عليه، فوثبوا عليهم، فقتلوا رجلين واحتزوا رأسيهما[2] وانفلت الثالث، واستبد بأعداء الله البلاء. وكانوا ينتظرون وردسار، وقد كاتبوه ولطخوا صدور الكتب بالنيل لما عظم عليهم الخطب على ما حكي ذلك عنهم. وقطع أسد بعض شعره وجعله في الكتاب لأن الكتاب وقع في أيدينا فشاهدناه على هذه الصورة، وهي أمارة لهم في استدراك الهلاك، ولا يلطخها إلا

(١) في الأصل (العد).
(٢) في الأصل (رءوسهما).

من أشفى على التلف. فصبروا حتى بلغ الصبر منتهاه، وجهدهم العطش خصوصاً، فالتمسوا الخطاب وراموا السلامة. وكان الأميران على رهق من غارة وردسار، فرأى الأمير بدر الدين محمد بن أحمد توديتهم وخروجهم من الحصن بخيلهم. وكان الإمام عليه السلام قد عهد إلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى امتثال أمر الأمير بدر الدين محمد بن أحمد، وإمضاء ما أمره به، والطاعة له فيما رآه وأشار إليه، فامتثل أمره وصوب رأيه. وجرى الخطاب بينهم على[1] سلامة أرواحهم وخيلهم وما عليهم، ولم يكن أسد يصدق بالسلامة لما تقدم منه من الإساءة والشركة في دم الشهيد إبراهيم بن حمزة رضوان الله عليه. فكان شديد المخافة من الأمير علم الدين على روحه لا يظن أنه يسلم منه، فأخذ الوثاق لنفسه من الأمير بدر الدين وأخذ سيفه وخطه، وهبط حتى سار في أسفل الحصن. ووافاه البريد بكتب وردسار فرمى بها وجهه وسبه وسب وردسار، ولم يفضض له ختماً، ونزل من الحصن إلى المخيم ذليلاً حقيراً يائساً من نفسه فمثل بين يدي الأميرين وقال: أنا مملوككم تقتلوني فاقتلوا، فطيبا له نفسه وأمناه على روحه وأصحابه، وكتبوا بينهم وبينه كتاباً باعترافه بالمنة منهم وإطلاقهم له بعد القدرة عليه، وأعطي الكتاب ليضع خطه في أعلاه ويكون شاهداً عليه فلزم على القلم ويده ترتعد كالسعفة في الريح العاصف. فقال له بعض من حضر طب نفساً وضع يدك على ركبتك، فوضعه عليها وكتب علامته مضطربة على تعب، وحلف ما أهرق للأمير إبراهيم بن حمزة دماً، ولا أصابه بحد إلا طعنة على درعه في حال القتال. ولما سقى أصحابه خيلهم مات منها طائفة في الحال عقيب

---

(١) في الأصل (علا).

شربها الماء، ثم لم يزل الموت فيها حتى هلكت إلا القليل منها، وباعوا منها ما سلم بالرخص.

وركب الأميران لتوصيلهم[1] إلى مأمنهم، والوثاق لهم في طريقهم حتى انتهوا معهم إلى جبل بني عوير[2]، وصدروا سالمين مسلمين. فلما أفاق أسد وأمن على نفسه من القتل، فض كتب[3] وردسار وقرئت عليه، وفيها أنه قد صار في العسكر العظيم في الظاهر، وأنه على إثر كتابه، ويحضه على الصبر، والمسافة التي بينهما مسافة البريد ـ ليلتين ـ فلما عرف ما في الكتاب ندم وَلَاتَ حين مندم. وعرض على ابن كز شيئاً من خيله وما معه على أن يرده إلى تلمص وكان باقياً في يد الوالي من قبله، وهو أحمد بن سعيد الأبرهي والديوان الذي معه، فلم يساعده إلى ذلك وقال: إن علم الأشراف منك لهذا الأمر قتلوك في الحال فاغفل عنه، ولا يسمع منك حتى تعود إلى سلطانك، فإن قتلك كان أولى بقتلك، وإن أطلقك كانت المنة منه عليك. وجعل ذلك له على وجه النصيحة فقبل منه. وكان قد أعطاه الأبواق والنقارات وأكثر الآلات التي كانت له، ولم يبق معه من الخيل إلا الشيء اليسير. وصدر ناطقاً بالشكر معترفاً بالوفاء بعد الإشفاق على نفسه لما قدم من الإساءة التي لو كان أيسر منها إليهم ما رقبوا فيها إلًّا ولا ذمة.

وعاد الأمر إلى ما كان عليه من العدل، ورفع الفساد الظاهر، وانصرف كل إلى جهته من الأجناد والعساكر. ولبث الأمير علم الدين

---

(١) في الأصل (لترليجهم).

(٢) تطل جبال بني عوير على العمشية جنوباً، وشمالاً على سهل المهاذر، وهي جنوب صعدة على بعد ٢٥ كم.
الويسي، اليمن الكبرى، ص ١١٤.

(٣) في الأصل (كتاب).

سليمان بن موسى بصعدة أياماً حتى استقرت أمور البلاد، وترك الجند مع ابن كز هنالك وعاد لإصلاح بلاده.

قصة مخرج وردسار لاستخراج الغز الذين بصعدة وحربه في الظاهر وذيبين وما يتصل بذلك:

نهض من صنعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة بعد أن جهز عسكراً عظيماً من العرب، وأجابته قبائلهم التي حول صنعاء من همدان وبني شهاب وسنحان وسائر الناس. وأعد النقابين والمخربين، واستعمل شرماً[١] ومقاصر[٢] لقطع أعناب ذيبين، وأظهر ذلك. وجاءته مادة من جند اليمن مقدمها أسد الحصيبي في أربعين فارساً، ومادة من جند ذمار مقدمها أبو العشائر الشيباني في أربعين فارساً، وجنده زهاء أربعمائة فارس. وطلع الظاهر، وكان الإمام عليه السلام قد أمر أهله بالتميل بنفوسهم وأموالهم والتأهب لحرب العدو ففعلوا ذلك. ونهض إلى ظفار حماه الله تعالى، وجاءت أوائل الأخبار بالنصر على أعداء الله بصعدة، وانتشرت في الأقطار فصدق[٣] وردسار، [وتقدم نحو البون][٤] وظاهر بني صريم جهة مغاربه فهدم درب كحل[٥] ودرب الميقاع[٦]،

(١) الشريم في العامية اليمنية: المنجل.

(٢) واضح أن المقاصر من آلات القطع.

(٣) صدق بمعنى توعد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: صدق.

(٤) إضافة ليستقيم المعنى والنص.

(٥) كحل: قرية من عزلة مرهبة، ناحية ذيبين، على بعد ٣ كم شمال غرب ذيبين، وتقع ما بين: ٤٦″ ٥٩′ ١٥° شمالاً، ٣٤″ ٠٦′ ٤٤° شرقاً.

خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1544 A 1؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛=

وأراد أخذ موضع يسمى العظيمة[1] بالقرب منه فامتنع أهله فيه، وردوا جنود الظلمة منه فعاد[2] وقد أضرب عن حربه والقتال عليه. فحط بموضع يسمى دماج وكان الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة بن سليمان في تلك الناحية، فجمع جمعاً من آل شريح وبني يعموم حيان من أحياء مرهبة زهاء مائة وخمسين قواساً[3] وقصدوهم قرب المحطة، فانتشر العسكر لقتالهم، وطمعوا في قلة عددهم، فقاتلوهم قتالاً شديداً. وكان الأمير أسد الدين راجلاً، وكان ذلك اليوم من جملة أيامه المشهودة. ولما استحق وردسار معرفته صعق[4] في الغز والمماليك فأغراهم به فجعلوه لهم غرضاً وقصدوه بالنشاب، ووقع أمر عظيم، وجرت سحجة[5] بين الفريقين، وقتل رجل من بني شعموم[6] وحازه الغز فاحتزوا رأسه، وعقر من خيلهم فرسان، ووقعت فيهم جراحات قاتلة

= النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٥٢.

(٦) الميقاع بكسر الميم: قرية من حاشد في بني صريم غربي خمر.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٨؛ ابن الديبع، قرة العيون، جـ٢ ص ٤٣ ج ١.

(١) العظيمة حصن في بلاد حاشد على مقربة من خمر، في مواجهة حصن الميقاع.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص ٦٠٦؛ ابن الديبع، قرة العيون، جـ٢ ص ٥٣ ج ٢.

(٢) في الأصل (واستعاد).

(٣) في الأصل (قايسا).

(٤) الصَّعِقُ: الشديد الصوت، وصعق الثور يَصْعَقُ صُعاقاً: خار خواراً شديداً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صعق.

(٥) السَّحْجُ: أن يصيب الشيء الشيء فيسحجه، أي يقشر منه شيئاً قليلاً، والسحج: من جري الدواب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحج.

(٦) لم أستدل على نسب أو موطن بني شعموم.

لم يعلم من مات منها، وما زال القتال بينهم حتى فرع بينهم الليل. وأمسوا في محطتهم على خوف ونصب، ولم يستقر لهم بها قرار فانتقلوا إلى الأحووض[1] فأمسوا بها. وصبحوا بلد بني مالك فأخربوا دوراً بمشوط، وأرادوا قطع الأعناب فمنعوهم منها وقاتلوهم قتالاً شديداً قتل فيه رجل من بني شبيب[2]، واضطروا من عدم العلف لخيلهم فنهض بهم بكرة يوم السبت لإحدى وعشرين ليلة من ذي القعدة فحط على بركة المصرع[3] وكان بها ماء والبلاد متعطلة من العلف والحبوب، والماء قليلاً، والسنة جدبية فكادت خيلهم تتلف جوعاً، فأمسى ليله، فلما أصبح انتخب من شجعان العرب وفرسان الغز زهاء ثلاثمائة فارس وألف راجل، وهبط فيهم بنفسه إلى حوث لهدمها، والمحطة مستقرة مكانها. وجعل على بركة الشجرة[4] ثلاثمائة راجل يحفظون العسكر من خلفهم. وتقدم فهدم دار الإمام عليه السلام، وطالما زفت

---

(١) لا يوجد موضع باسم الأحووض. وربما كان المقصود الأحواض من قرى عزلة الجراف والسنتين.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ١ ص٦٣.

(٢) بنو شبيب بطن من بني أود وموطنهم بالدثينة، وبنو شبيب عزلة من ناحية حبيش قضاء المخادر، محافظة إب.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٧٧، ١٧٩، ١٨٩؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٣ ص٤٤٥؛ التوزيع السكاني في محافظة إب، جـ١ ص٧٨ - ٧٩.

(٣) المصرع بفتح أوله: بلدة بالقرب من أثافت في بلد السبيع، وتقع على وادي خبش ناحية خمر.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٦٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص٢٢٥.

(٤) يتضح من النص أن بركة الشجرة بالقرب من بركة المصرع. وذكر ابن حاتم أن هذه البركة تسمى بركة الهجرة.
ابن حاتم، السمط، ص١٢٨.

إليه منها الحسنات، وقيدت إليه من الخيل الجياد، وأكرم فيها بأصناف الطعام. هدمها وما حولها، واستقصى في خرابها وتحريق أخشابها وأبوابها. وأتاه جعار بن المكم يسأله الإذن في خراب الجامع الشريف المنصوري فقال له لا أمنعك ولا آذن لك، ودخل رجل من الغز الجامع الشريف فركض المنبر برجله، وكسر جناحيه، وثلاث مواطىء من أسفله فخر من ساعته صعقاً. ودخل ابن خالة السلطان فسب الله جل جلاله، وآذى رسوله صلًى الله عليه وآله، وسب الإمام عليه السلام، ثم خرج من المسجد ليعين على خراب داره، فانقض عليه وعلى فرسه جدار من جدرانها، فمات فرسه، وحملوه منعوشاً إلى المحطة ومات إلى لعنة الله وسخطه. وأخربوا الجانب الغربي من المدينة المتصل بدار الإمام عليه السلام لأن وردسار قصدها بنفسه، ومال الناس معه حيث مال.

وأغار الأمير أسد الدين على الثلاثمائة الذين كانوا على بركة الشجرة، فكشفهم عنها وهزمهم. ووقعت الهايعة، وصرخ الصارخ، فانهزم وردسار ومن كان معه بحوث. وجاءوا والحرب متلاحمة بين الأمير أسد الدين وأصحابهم، فوقع قتال شديد أصيب فيه من أصحاب الأمير خمسة رجال صوائب محتملة، لم يفت منها أحد، ووقعت في الغز وأعوانهم جراحات كثيرة لم يعلم من مات منها. وعادوا إلى محطتهم على أسوأ حال، وأمسوا على أشر قضية.

وتواترت الأخبار وصحت عندهم بما جرى على أسد وأصحابه من الكسيرة، ومراحهم على الحالة التي تقدم ذكرها. فانتقض ما أبرموه، وانهدم بنيانهم الذي كانوا قد أحكموه. ونهض بهم وردسار من بركة المصرع فحط بقرية مسلت وقد شغله الله سبحانه بما جرى

على أصحابه بصعدة، فلم يخرب منها إلا أربع دور أو خمس. وكان أهلها يظنون أنه لا يدع فيها جداراً لما فعلوه بأثافت من الخراب الشنيع، وفي أعنابها من القطع الفظيع، فرفع الله شره، وما قطع من أعنابها سوى أصيل واحد.

ووصل الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة مغيراً في الليلة التي حط بها وردسار بمسلت في مائتي راجل من آل يزيد حي من أحياء مرهبة، ولم يكن معه من الخيل سوى فرسه فأمر به إلى ظفار حماه الله تعالى وحرسه. وترجل مع أصحابه لبيان العدو في محطتهم والغزو عليهم في الليل والنهار. وأراد الوقوف في جبل بني حيان[1] وأوطان المرقان[2] فامتنعوا عليه وقالوا أتى قوم من الغز وبيننا وبينهم صلح، فنريد منكم الانتقال من بلدنا، ولا تحدثوا حدثاً من جهتنا، ولم يقابلوهم بمقابلة جميلة ليظهر للغز بذلك طاعتهم، ويزدادوا عندهم قرباً. وكان شيخهم مالك بن سعد شديد الكراهة للحق وأهله، متصلاً بالغز مكاتباً لهم، راغباً في تقوية أمرهم، فانقاد له أصحابه وساعدوه على الخطأ.

وقد كان الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم نهض إليهم من ظفار في جماعة قليلة فلم يعرضوا له في ابتداء الأمر، ولا منعوه من الوقوف في بلدهم، فلما وصل الأمير عماد الدين ظهر منهم ما كانوا يخفونه، فنهضا بأصحابهما عنهم إلى درب يسمى دبر[3] فأمسوا هنالك، فلما

---

(١) ذو حيان من قبائل مرهبة من ناحية ذيبين. وربما سمي الجبل باسمهم.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٠١.

(٢) مرقان من قبائل شاطب وأعمال ذيبين.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٤ ص ٧٠٥.

(٣) يفهم من النص أن درب دبر يقع في شمال غرب ذيبين.

أصبح أقبل عسكر وردسـار خيله ورجلـه لخراب موضـع يسمى موسم ذعفان، فأخربوه وقطعوا أعنابـه، ولـم يتعدوه إلى غيره، ولا حاربهم أحـد دونـه لفساد المرقـان ومنعهم لعسكـر الحـق مـن القتـال عليه. وعادوا إلى محطتهم بمسلت، فنهضـوا من ساعتهم متوجهين نقيل أثافـت، وأتوا بركـة قطبين فحطـوا عندها، وظهـر من الكلام أنهم يريدون بلاد الأمير عماد الدين. فخشي أصحابـه آل يزيد على أهلهم وأموالهم فاستأذنـوه، فأذن لهم، فسـروا ليلتهم إلى بلدهـم.

ونهض وردسار محطته مـن تحت الليل، وانحدروا نقيل عجيب والنـاس يظنون أنه يريـد بلاد الأمير عماد الدين. ودارك أعقاب عسكره جماعة من آل سريح قدر ثلاثين رجلاً في أسفل النقيل، فقتلـوا رجلين من العرب، وأصابـوا رجلين من الغـز، وعقـروا بغلة. وحـط وردسـار بريدة يوم الخميس، فلمـا كان يـوم الجمعـة جاءت الأعلام بنهوضـه في العسكر إلى ذيبين، يريد اغتنـام الفرصـة عند تفـرق عسكر الإمـام وقلة الناس معـه لينـال غرضاً أو يشفي غيظاً، أو يـدرك بعض ما طلبه. فحط على بركة مزود.

وأتى كتاب الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة من عرقة ذيبين[1] إلى الإمـام عليه السلام يلتمس المادة بالرجال، والمادة بالنبل، وحشـد الناس للقتـال. فبعـث إليه صنوه الأميـر عماد الدين فيمـن حضر من الديوان والأنصـار. وكان في جملـة الصادريـن الشريف الفاضـل جمال الدين حاتم بن جعفر بن محمد بن جعفر الحمزي في جماعة من أهـل المدرسة، حضـر القتال وكان له في ذلـك اليوم موقف مشهود على حداثة

(١) العرقة: محلة من قرية ذيبين عزلة بني جبر، ناحية ذيبين.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣٠٩.

سنة مع بلوغه في العلم المنزلة العليا في الأصول والفروع، ونصبه الإمام عليه السلام للقضاء والفصل بين الناس، وتنفيذ الأحكام. وكان يتولى إجابة المسائل الواردة إلى الإمام عليه السلام من الجهات عند تكاثف الأشغال عليه.

وفرق الإمام عليه السلام الكتب إلى القبائل حوله يستنفرهم للجهاد ومنابذة أعداء الله، فاجتمع عسكر بارك الله فيه وأمده بالنصر من عنده. ففرقه الأميران في جنبتي وادي ذيبين. وزحف وردسار للقتال بغيظ وحنق، وقد طمع في أخذ الوادي وخراب منازله وقطع أعنابه. وجعل العرب الذين معه قدام الخيل وساقهم الغز للحرب سوقاً عنيفاً، وأتى بأحمال النشاب، وترجلت الغز، وفتح أسفاط[1] الثياب من الملاء[2] والمآزر الحرير والكتان وخلعها على الناس قبل القتال، وأتى بأمر قد قدر. فوقع في ذلك اليوم على ما حكاه الثقات ممن حضره حرب لم يقع قبلها مثلها، وكان يوماً هائلاً كثرت فيه الجراحات من الفريقين جميعاً، لم يعلم حقيقة عدتها لكثرتها. فقيل أصيب من جنود الحق ما يزيد على المائتين، واستشهد منهم أربعة رجال الشريف معتق بن محمد بن قاسم الحمزي وكان معروفاً بالإقدام والشجاعة مشهود المواقف، رمي بنشابة في رقبته مات منها في اليوم الثاني إلى رحمة الله، وثلاثة من أهل ذيبين. وأكثر هذه الصوائب كانت بالنشاب لأن القوم بذلوه ونقلوه من المخازن أحمالاً حتى أن الإنسان لو أراد أن يملأ حصنه مما حوله لم يمتنع عليه ذلك لكثرته. وكان مبلغ أعداء الله على ما وقع

---

(١) السفط كالجوالق والجمع أسفاط. والجوالق: وعاء من الأوعية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سفط؛ مادة: جلق.

(٢) المُلاءُ بالضم والمد: جمع مُلاءَةٍ، وهي الإزار والريطة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ملأ.

منهم من شدة الحرب أن وصلوا قدر ربع الأعناب، فأخذ كل واحد منهم ما أكل أو حمل على فشل ووجل، وعادوا على إثرهم ما قطعوا منه سوى أصيل واحد وبهم جراحات كثيرة وقتلى لم يعلم عدتها. وعقر من خيلهم فرس بين العسكرين، وحازه جند الله، وانفلت راكبه، وأمسوا في محطتهم وقد يئسوا من قطع الأعناب وخراب العرقة.

فلما أصبح باكر الناس للقتال وتأهبوا للحرب. ونهض وردسار في السواد الأعظم ممن جمعته المحطة من العرب والغز والغلمان والزباعة[1] لعقر الزرع الذي هم قادرون عليه ومتمكنون من أخذه فجعلهم صفوفاً بين مساقط الجبلين، وأخذوا في خراب الزرع والعود، والسوط في أكتاف العرب، وهم يسوقونهم سوق الغنم حتى أتوا على أكثر الوادي عقراً بالسيوف والشرم والمقاصر والأيدي حتى انتهوا إلى الغرب يريدون إلحاقه بالزرع، وقد تأهب العسكر المؤيد بنصر الله لحربهم دونه فهبطوا من الجنبتين جميعاً، ووقع القتال ومنعوهم منه، ورمى رجل من كبار الغز رمية على حلمة ثديه مات منها مكانه إلى غير رحمة الله فانسالوا[2] عليه وفتر حد قتالهم وافترقوا بعد ذلك. وكان آخر القتال في ذلك اليوم وعادوا إلى محطتهم، وأقبلت مواد الإمام عليه السلام من كل ناحية، وشاع الخبر بوصول جند الحق من صعدة. وبدت أعلام أوائلهم على رءوس الجبال بعد انفكاك القتال. وكان الأمير علم الدين قد وصل في ذلك اليوم. ونهض وردسار من وقته ذلك

(١) يبدو أن الكاتب يقصد بالزباعة: أوباش الناس، لأن كل فاحش سيء الخلق متزبع. ولما كانت الكلمة غير منقوطة فيمكن قراءتها أيضاً الرباغة أي الكثير من كل شيء. انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: ربغ، مادة: زبع.

(٢) في الأصل (فأسالوا).

متوجهاً إلى صنعـاء مكظوماً بغيظه، لم ينـل مراده ولا أدرك غرضـه فلبـث فيها يومين أو ثلاثاً.

قصة السيل الذي أنزله الله تعالى بصنعاء نقمة على عدو الله وردسار:

لما كان ليلة الثلاثاء لسبع خلت من ذي الحجـة آخر شهور سنة إحدى وستمائـة أتاهـم أمر من الله عـز وجل سيل عظيم لم يـر الراوون قبله مثله، ولا حكاه الأكابـر من أهـل صنعاء وغيرهـم ممن حولهم إلا ما حكي في عصر الهادي[1] عليه السلام فإنه نـزل سيل عظيم من بلاد نارجة فبلـغ مبلغاً كبيراً. ولـم يقع فيه مثلما وقـع من هذا السيل. وذلك أن الله تعالـى أنزل مطراً عظيماً على بلاد سنحان بالقـرب من صنعـاء فأتـى المدينة قبيل صلاة المغـرب وأعداء الله علـى غفلة لاهون على المعاصي من شرب الخمـور وارتكاب الفجور.

وكان سيف الإسـلام قد عمـر سور المدينة عمارة عظيمة، وجعـل لمجـرى السيل عند مدخلـه ومخرجـه في طرفـي المدينـة في كل موضع ثلاثـة أبواب محكمة البناء بالصخـور الكبار، وأفرغـت عليها النورة[2] والرماد. وبنيت فوقهـا عقود مدارة بالآجر والقص محكمة الصنعة، ونصـب البناء عليها بالطين. وعملت على المجاري الثلاثـة شبابيك من أخشـاب قوية، وجعـل لها مجاري إلى أعلـى السور، وعلامـات يجذب بها إذا أتى

---

(١) السيل الذي حدث قبل ذلك كان في سنة ٢٦٢ هـ أي قبل قيام الهادي.
انظر: يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣؛ الخزرجي، العسجد، ص ٣٣؛ زبارة، مختصر أنباء اليمن، ص ٣٩.

(٢) النورة: الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نور.

السيل في أوقات المطارات، وترد في سائر الأوقات، وعليها حراس وحفاظ. ففاجأهم السيل فلم يتمكنوا من رفع الشبابيك، فأخذهم فيمن أخذ، ولما وصل أوله بالغثاء سد خروقها فردت أوله على آخره، وكثرت مادته، وتراكم بعضه على بعض، وفاض وانتشر في الجنبتين يميناً وشمالاً حتى بلغ الخربة المعروفة بقرة العين في عدني المدينة، ولم يبق له منفذ حتى بلغ شرفات السور فوق المجاري فحطم السور من أساسه، وأخذ دار وردسار وكانت على شاطىء السائلة في الجانب الغربي. والسور من هذه المجاري متصل بها، وكانت محكمة البناء، عالية الغرف، قوية الأساس، مبنية بالحجارة المحكوكة والأخشاب القوية، نقلها من دور أهل صنعاء. وكان قد أخرب بها عدة من الدور أكثرها ألفية[1] وعمر بها داره. وأنفق أموالاً جليلة في عمارتها. وكانت قريبة العهد بكمال العمارة، ولم تطل مدة حلوله فيها.

وكان عند وصول السيل في حمام له قدام هذه الدار قد أجري فيه غيل البرمكي ومعه امرأته، وولد لها من غيره. فدخل الماء عليهم الحمام فخرج منه يخوض الماء وقد حمل امرأته وولدها على عاتقه. وصدر يتورط [2] في البستان بين الطين والشجر حتى أتى باب السبحة وهو الباب الغربي من المدينة، وأمسى هنالك ليلته.

وأخذ السيل الدار بما فيها، وجعل عاليها سافلها، وذهب بما احتوت عليه من المخازن والآلات، وجميع ما كان بها إلا الخيل فإنها سبحت فيه وسلمت. ثم انقض الماء بعد كسر السور وهدم الدار والجدار، وانحدر مجتمعاً فأخذ ما كان قدامه من الدور التي في جنبتي السائلة بما فيها من

(١) يبدو أن المعنى المقصود هو أن أكثر الدور قد بلغ كلفة الواحدة منها ألف دينار وأكثر.

(٢) الورطة: الوحل.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ورط.

أهل ومال. وأتى الخندق الأسفل، فردته الشبابيك التي في مجاريه، فماج في الجنبتين، وأخذ قرية بني غانم ومساكن بني الطماح في غربي السائلة فهدمها على ما فيها وهلك من الناس والبهائم خلق كثير لم تعلم عدتهم. وبلغ في مسجد الصومعة من داخله ما يزيد على قامة الرجل وهو في موضع عال، وأحاط الماء به من جوانبه حتى صار في وسطه كالسفينة في البحر اللجي وما هدم منه شيئاً. وقد أخذ ما خلفه وقدامه، ثم كسر السور من موضع المجاري، وفاض بعد أن أتلف النفوس والمنازل والأموال. ولم يظن أحد أن سد صنعاء المشهور يمسكه ساعة لعظم أمره، فمر على أعاليه وهو ملآن ماء، ولم يكسر فيه شيئاً. ولو كسره لدمر الرحبة بما فيها.

وكان هذا السيل [1] من الآيات الظاهرة التي عرف المخالف والموالف من العجم والعرب أنها نقمة من الله تعالى أنزلها على من هتك حرمة ولية وابن بنت نبيه في خراب منزله. وما بين خراب وردسار لدار الإمام، وخراب الله سبحانه لداره إلا تسعة أيام. وإن ذلك من جملة الآيات التي شهدت له [2] بالفضل المبين، وأنه لله تعالى في خلقه ناصح أمين.

ومما قيل من الأشعار وذكر فيه السيل شعر للشيخ حسن بن عزوي العصيفري قال في ذلك:

أرأيتم ذا الصنع في صنعاء   يـا معشر العقـلاء والأدبـاء
ورأيتم هـذا الإمـام ونصـره   فيمـا يشيـده مـن العليـاء

---

(١) ذكر ابن الأثير في أحداث سنة ٦٠١ هـ عن وقوع سيل بمدينة هراة يشبه في شدته وعنفه سيل صنعاء فقال « وقع الثلج بمدينة هراة أسبوعاً كاملاً فلما سكن جاء بعده سيل من الجبل خرب كثيراً من البلد.
ابن الأثير، الكامل، جـ١٢ ص ٢٠٦.

(٢) في الأصل (لها).

ما رام يرميه العدو ببغيه ... إلا رماه الله بالأرزاء[1]
نقم شبيه المعجزات تحثها ... دعواته أبداً على الأعداء
لما أبت سنحان نصر إمامها ... وتصدرت في خدمة الخبثاء
مطر الحيا سخطاً على أجبالها ... مطراً حقيقته من الأسواء
فكأن مقلة كل واهية العرى ... مما تفرغه فم العزلاء[2]
سيل مضى بعقارها وكرومها ... وأعاد منحدراً على صنعاء
لم يدر وهو على الملاهي عاكف ... يحسوا مدامته مع الندماء
طرق المعاند وردسار بقصره ... علم الضلالة كافر النعماء
حتى تراكض موجه وتدافعت ... لجج عليه بلجة الظلماء
فمضى بمجدله المشيد وملكه ... واقتاد كل جنينة وبناء
ومضى بجنته وحسن ثمارها ... فتبدلت بالخمط[3] والطرفاء[4]
ونحى لأخرى غيرها لا يحسبن ... كانت سلامته لطول بقاء
نكث العهود وقوم نوح كذبوا ... نوحاً فكان هلاكهم بالماء
فاسأله هل ربحت تجارته التي ... زادته طول شقاوة وعناء

---

(١) الرزء: المصيبة والجمع أرزاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رزأ.

(٢) العزلاء: مصب الماء من الراوية والقربة، سميت عزلاء، لأنها في أحد خصمي المزادة.
والعزالى جمع العزلاء، وهو فم المزادة الأسفل، فشبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عزل.

(٣) الخمط: ضرب من الأراك. والخمط في قصة أهل سبأ كما جاء في تفسير الآية شجر قاتل أو سم قاتل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خمط.

(٤) الطرفة: شجرة، والطرفاء جماعة الطرفة. والطرفاء من العضاة، وقد تتحمض بها الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طرف.

أم هل وفي أسد بنذر في لقا ... آل الرسول له وأي لقاء
صدمته خيلهم وولت خيله ... هرباً وكان الغلب للشرفاء
وانحاز منزوياً برأس تلمص ... يبغي النجاة ولات حين نجاء
نادى الخيار وقد تضعضع عزمه ... رهباً فكان الفضل للكرماء
ما كان يقبل منه لكن معشر ... غلبت عليهم شيمة الآباء
من مبلغ عني أميري عصرنا ... بقطابر شيخي بني الزهراء
الناصرين لدين آل محمد ... وبنيهما لله من أبناء
شكراً على تشميرهم وجهادهم ... في الله لا طلباً لحسن ثناء
ردوا رماح الخط كالألقاب عن ... كنني بكل كتيبة شهباء
ما كنت في هذا المقال بكاهن ... لكن صدقن مخايلي ورجائي

وأنشد للقاضي ركن الدين عمرو بن علي العتبي [1].

غلبت سعادتك العدو الأغلبا ... وغدت عساكر كل جبار هبا
وأطاعك الأمر العصي فمن جرى ... لمساءة لك عاد عنك وقد كبا
حاولت أمراً كان عنه مقصراً ... فهم الورى وغدوت فيه مسهباً
أرغمت حاسدك الجهول فلم يزل ... متندماً وفؤاده متلهباً
وبلغت ما تبغي وصار عدوك الـ ... ـغاوي أخاخسر يعض الأثلبا [2]
جردت عزمك في العدا فتفرقوا ... شذراً وما يجدون عنك المهربا
وتلاهم منك الدعاء فضرمت ... منه السيوف الابن منهم والأبا
أفنى دعاؤك طغتكين وبعده إسـ ... ـماعيل واجتاح المعاند بوزبا
وستغتدي في جمعهم متصرفاً ... تصريف ذي الإعراب لفظاً معرباً

---

(١) يبدو أن الاسم الصحيح هو: زكي الدين عمرو بن علي العنسي .

(٢) الإِثْلِبُ والأَثْلَبُ: التراب والحجارة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثلب.

وتلى السهول مع الحزون [١] وتظهر   الدين الصريح مشرقاً ومغربـاً
لك سر علم في المكارم غامض   لا يـرتقيه من أطـال وأطنبـا
وفضائل كالمعجزات تـرد من   ناوأ كليل الحد مفلول الشبا
جنحوا لسلمك إذ رأوك عليهم   سمـاً تبيـدهم وليثـاً مغضبـا
وافى إليهم من دعائك بغته   سيل حكى السيل الذي أفنى سبا
هدم الإله بدور أهل العدل دو   ر معطلين بها المدامة تستبا
كفر الجحود فضائـلاً لك قشعت   أنـوارهن الـواضحـات الغيهبـا
أحييت مـا سن النبي محمد   وشرحت من دين الإله المُغْرِبا
وأبحت ثغر المجرمين وسؤته   وجعلت ثغر الدين يبسم أشنبا
ولــرب مشكلة تغلق بـابهـا   وتوعرت أوضحت فيها المذهبا
ولــرب معنى شـارداً دنيتـه   وجعلته من كل شيء أقـربا
ولرب مأسـور فككت ومدقـع   وافى ذراك فعاد منك أخا حُبا [٢]
ولرب غاو حاد عن سنن الهدى   صبحته بمقانب تحكي الـدبا
تعدو جيادك كـالقصور بـوادنا   فتعود أمثال الحنـايا [٣] شزبا [٤]
ولـرب ملحمة ضـوار أسدهـا   غادرت منها كـل ليث ثعلبا
ولرب ذي غدر تركت مغيلا [٥]   تسفي نواظره الدبور مع الصبا [٦]

---

(١) الحَزْنُ: ما غلظ من الأرض والجمع حُزُون.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حزن.
(٢) الحِبَاءُ والحُبَاءُ: ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه، والحباء: العطاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حبا.
(٣) الحنية: القوس والجمع حنى وحنايا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حنا.
(٤) الشازب: الضامر اليابس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شزب.
(٥) الغائلة: الحقد الباطن.

خذها مثقفة المعاني حلوة ... الألفاظ نفحها الوداد وهذبا

حسنت بمدحك فهي رائقة ترى ... عند البصير أجل من ومض الربا

لم أخشها زور النسيب ولا أرى ... لي غير مدحك يا ابن حمزة مأربا

أدعوا لمدحك خاطري فيجيبني ... فإذا دعي لسواك في مدح أبا

ومما قيل في معنى ما تقدم على ترتيب الحوادث وذكر المعاندين من فرق الضلال لمصنف السيرة.

يا رب نصراً من لدنك معجلا ... فالدين قد أضحى غريباً مهملاً

وتحزبت فرق الضلال لهدمه ... وقفى الأخير على العناد الأولا

هذا تراه بما لديه معجبا ... قد هد دين محمد وتأولا

متستر بولاء عترته فإن ... فتشت باطنه وجدت معطلا

ويكن أسراراً ويوهم باطلا ... ويهز رأساً حشو باطنه خلا

ومشبه قال الفواحش من قضاء ... الله جل وعن عقيدته علا

قد ضل ثم أضل قوماً عن رشا ... دهم وجار عن السبيل فأوغلا

فاستحقبوا فعل القبائح وهو قد ... وطًا لهم سبل الضلال وسهلا

ومهاجر هجر الصلاح بعزلة ... يدعى بعلم وهو من جهل الملا

ينفي عن الجبار جل جلاله ... أفعاله فيما تفضل وابتلا

ويضيف أفعال العباد إليه من ... جهل فكان من المشبه أجهلا

ويقول قد خلق الإله طبائعاً ... لتحيل قيل وتستحيل وعدلا

وتراه في ظل المساجد عاكفاً ... يبدي خشوعاً ظاهراً وتبتلا

تجبى إليه من البلاد ثمارها ... فيضمه ما مرًّ منه وما حلا

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: غيل.

(٦) الدبور: ريح تهب من نحو المغرب، والصبا تقابلها من ناحية المشرق. ابن منظور، لسان العرب، مادة: دبر، مادة: صبا.

تركوا أصول الدين واتبعوا الهوى ... جهلاً وعادوا من يحق له الولا

آل النبي الشم أعلام الهدى ... سفن النجا الأطهار أعلى من علا

رفضوا إمام زمانهم لا قدسوا ... الصادق البر التقي الأفضلا

القائم المنصور بالله الذي ... نعش الهدى وأقامه فتعدلا

ودعا إلى الحق المبين بحجة ... غراء كالشمس المنيرة في الجلا

فاستمهلوه لدفعها ولحظ إ ... زار الجهاد عن الظهور فأمهلا

وأتاه قوم آخرون فأظهروا ... نصحاً فأعطى الصافيات ومولا

فبغوا عليه وشايعوا أعداءه ... نكثا وغدراً ظاهراً وتسللا

وتكفلوا ملك البلاد لسنقر ... ما بين ريدة والصعيدة تكفلا

وأعان جهراً وردسار بجهرة ... نكثاً لعهد في الصلاح وما ألا

فطغى وقادوا مجمعين كتائبا ... مثل الجبال تعض أقطار الفلا

حتى استقرت في أزال فماج مسـ ... ـكوب الصعيد بصعدة وتزلزلا

وأجاب خولان السحول وكندة ... جمعاً وسنحان وهمدان الأولا

وأتت بكيل وحاشد ورسائل ... من صعدة يستنفرون معجلا

وتكاملت جند الضلال وخيمت ... ما بين ريدة والقريات العلا

صدمت جبال الظاهرين صبيحة ... وطغت فكاد يميل من رعب ثلا

وتوجهت تلقاء بهمان معا ... ثم انثنت خرفان تبغي المنقلا

حطت به وأفاض من سرعانها ... عصب لينزل من ظفار منزلا

فرآه صعباً وردسار وأنه ... لا يستطاع من الجبال فأسهلا

حتى أناخ بورور أثقاله ... وتوقل الهضبات ليلاً أليلا

ما لاح ضوء صباحه إلا وقد ... أضحى ظفار بجيشهم متسرولا

فسمعت يوم السبت وقع صواعق ... ورأيت من لمع الحديد سحجلا (١)

---

(١) في الأصل (سحنجلا). =

وحماة دين الله في شعفاته [1] كالأسد تحمي في أجام أشبلا
صبروا ونشاب العدو عليهم كالعارض المطار أنجم مسبلا [2]
حتى انجلا عنهم فبورك فيهم من عصبة صبروا وبورك معقلا
رد البغاة بغيظهم وولاتهم كل لفرط الغم يحرق أنملا
هموا بتعجيل التأخر بعده وتوهموا كون التقدم أجملا
فمضوا إلى الجوفين ثمة [3] صعدة بهدية من حقها أن تقبلا
كرد وترك كاليوث وفيهم أسد ومرجلهم بشر قد غلا
وأتت جنود الله مقبلة تؤم إليه في اليوم العصيب وأقبلا
لما التقوا وبها سليمان بن مو سى كان للنفس الكريمة أبذلا
في عصبة كالأسد من حيي نزا ر ويعرب من نارهم لا يصطلا
فتصادمت غرر الفوارس فانثنى أسد لوقع المشرفية مجفلا
ومضى هزيماً يستحث جواده حتى ارتقى بتلمص وترجلا
قد كان ليث الغاب لا تنمى فريـ ـسته فأصبح في وجار [4] فرعلا [5]
يبغي الأمان لنفسه ولصحبه فأتى المخيم خاضعاً متذللا
أعطاه بدر الدين أمناً إذ أتى بالله جل وحده متوسلاً

= والسحجلة: دلك الشيء أو صقله.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحجل.

(1) شعفة كل شيء أعلاه، وشعفة الجبل رأسه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شعف.

(2) السبل: المطر، وأسبل المطر إذا هطل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سبل.

(3) في الأصل (ثمت).

(4) الوَجارُ: جحر الضبع والأسد والذئب ونحو ذلك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وجر.

(5) الفُرْعُلُ: ولد الضبع. والفرعل: نعجة من الغنم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فرعل.

فمضوا أمير المؤمنين بأمنه طلقاً وقد[1] وردوا نميراً[2] سلسلا
هذا وقبل كرهت هدم أثافت ونهيت عن سفك الدماء تفضلا
وعفوت عن آل المكم تعطفا والبيض تشحذ للمفارق والطلا
كفروا الصنايع ثم راموا نجدة من وردسار فسار يزجي الجحفلا
لخراب ذيبين وقطع كرومها فغدا شبا تلك الجموع مفللا
لقيته فئة تعد قليلة غلبت بإذن الله جمعاً محفلا
مثل الجراد نواشراً لقيتها ريحا بها رعباً[3] عقيماً شمألا
عصفت بهم تلقاء صنعاء وفا جا السيل فاجترف الديار وعطلا
أمسى يخوض بنفسه في موجه حتى تخلص منه فرداً أعزلا
واجتاح ما يحوي وكانت آية للناظرين وعبرة بين الملا
ولكم رأى من آية مرت به صفحاً وعاد لظلمه مستقبلا
ومفكر قد حار في إمهاله لما رأى إسرافه واستعجلا
قد كان في فرعون أعظم آية فطغى فمد له الإله ومهلا
لا تعجلن فكل حي فميت حتماً وجدته تصير إلى البلا
فاصبر لحكم الله مأجوراً وقل يا رب خذه بما جناه معجلا

وعاد الإمام عليه السلام إلى حوث بعد حرب ذيبين والنصر على عدو الله وردسار، فأقام بها مدة لتجهيز العسكر للخروج إلى الجوف، وإثبات دار الضرب بها. وأنشأ هذه الأرجوزة في العشر الوسطى من ذي الحجة آخر شهور سنة إحدى وستمائة على تراكم الأشغال، ونظره في أمور الناس، وما يعود عليهم من الصلاح في أمر دنياهم وأديانهم. قال عليه

---

(١) في الأصل (قد).

(٢) النمير: الماء.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: نمر.

(٣) في الأصل (رعب).

السلام وذكر فيها جملاً من الحوادث من ابتداء الأمر إلى هذا التاريخ :

نحمد من جاد علينا بالنعم ... واختصنا[1] بالجود منه والكرم
وجعل الإحسان في خير وشر ... إلى جميع الحيوان والبشر
فنعمة الشر بدار الآخرة ... ونعمة الخير لدينا حاضرة
وفيها سر عجيب للفكر ... يعرفه أهل الذكاء والنظر
ثم صلاة الله خصت أحمدا ... وآله الغر مصابيح الهدى
سئلت[2] أن أشرح بعض الصورة ... من كل ما جاءت به الضرورة
من ابتداء الأمر إلى هذا الأنا ... وما علينا فيه أو كان لنا[3]
ولست أحصي كل ما قد كانا ... وإنما نذكر منه شانا
فاذكر عجيباً فيه [قد][4] كان العجب ... وكل أمر حادث له سبب
قدنا إليه عصباً كالنمل ... والعجم قد غطت سهوب السهل
وكلنا[5] في عسكر جرار ... والنار قد شبت إزاء النار
والعسكران كالجراد المنتشر ... وكلنا مراده أن لا يفر
فخالفت مرادنا الأعارب ... والحادثات فلها[6] أسباب
فانحدروا[7] كالسيل من رأس الجبل ... والبيض والبيض عليهم كالشعل
فجاشت العجم إليهم كالدبا[8] ... يقودهم في يوم ذاك بوزبا

---

(١) في الأصل وفي الديوان ج، د (وعمنا).
(٢) في الأصل وفي الديوان ج، د (سألت).
(٣) هذا الشطر وفقاً لما جاء في الديوان النسخة أ، ب أما في الأصل (وما علينا كان فيه أولنا). وفي الديوان ج، د (وما عليه فيه كان أو لنا).
(٤) إضافة من الديوان ج.
(٥) في الديوان ج (وكلها).
(٦) في الديوان ج (قبلها).
(٧) في الديوان ج (وانحدروا).
(٨) الدبي: الجراد قبل أن يطير. وقيل: الدبى أصغر ما يكون من الجراد والنمل. =

فصرت في أمر عظيم هائل   لا أستطيع ردد القبائل
فلم أجد عذراً سوى الإقدام   مستهوناً[1] لمورد الحمام
وكل من حولي يعذلوني[2]   وهم بعذلي في الوغى يعروني[3]
ونحن نحو القوم نهوى شوسا   والجيش عنا قد ثنى الرءوسا
ونحن في سبعة فرسان نجب   كأنهم يوم الوغى بيض الشهب
فأوجب الرأي انحياز الكل   منًا ولا عن فشل وذل
بعد تولي الناس عنا طراً   من كل من كان يروم الكرا
فهذه حادثة قد كانت   أبانت الأمر لنا وبانت
فعُفْت بعد هذه أمر العرب   حتى استبان الفرض عندي ووجب
فصرت أدعوا الناس جمعاً جهرا   وابتغي في عرض ذاك العذرا
فأقبل الناس إلينا عن يد   جاهلهم فيما نرى والمهتدي
وبايعونا بيعة الإخلاص   مطيع من شاهدنا والعاصي
فلم نقم إلا ليال قلة   حتى استبان[4] في الكثير الذلة
فنكثت عصائب التطريف   واعتمدت فيه على التحريف
إلا نفوساً منهم قليلة   ما وجدت إلى التولي حيلة
وخذل البعض من الزيدية   ولم يؤيد فعلهم بنية
فلم نزل نقصد بالنفوس   جند العدا على الرخا والبوس
فكان في صنعاء ما قد شاعا   يوم بسطنا نحوها الذراعا

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: دبي.

(١) في الديوان ج (مستهوياً).

(٢) العذل: اللوم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عذل.

(٣) المعرة: الأذى.
ابن منظور ،لسان العرب، مادة: عرر.

(٤) في الأصل (استبانت). والتصويب من الديوان.

ويوم كان الجيش في ذمار أيام خضنا لجج الشفار
ملاحماً تشهد بالثبات قد شفعت بباهر الآيات
يعرفها حقاً ذوو الإيمان بأوضح اليقين والبرهان
والممتري في غمرة يخوض كأنهم من جهلهم بعوض
فكان في صنعا حديث الطير وقصة النشاب عند السير
وجيئة الخيل بغير هادي كأنها من ساكني البلاد
وفي ذمار ظهرت دلالة كانت بلا شك ولا محالة
ريح رمتهم بالتراب والحصب فاعْجب ومهما عشت عاينت العجب
قالوا وجاءتهم جنود هائلة كأنها من كل ربع سائلة
ونحن دون جمعهم يقينا وإنما كان الثبات فينا
وحملة منا عليهم منكرة ونحن في الجملة دون العشرة
فلم نزل حتى اتقوا بالباب وهم كمثل عارض السحاب
فهذه من أكبر الفضائل في بعضها يحار[1] لب[2] العاقل
وبعد هذا قصص كثيرة قد ضمن الكل كتاب السيرة
فلم نزل نغزو ونُغْزَى ونكر قد لبس الكل لنا[3] جلد النمر
وكان منا الغزو في تهامة فأجفلت من ذاك كالنعامة
وجاشت الخيل إلى بيحان ومأرب كالأسد من خُفَّان
حتى رأوا حي على خير العمل من أفضل القول ومن أزكى العمل
وقدموا مولى الورى عليًّا العالم المقدم الوَصِيًّا
وآله الغر مصابيح الظلم أهل العفاف والوفاء والكرم
ثمت أقبلنا إلى نجران لنقم ثأر العالم الرباني

(١) في الأصل وفي الديوان ج، د (يحور) والتصويب من الديوان أ، ب.
(٢) في الأصل (قلب) والتصويب من الديوان.
(٣) في الديوان ج (منا).

فكم بهـا من غـارة وغـارة ورايـة عـليهـمُ مـواراة
وعسكـر وعسكـر كـالـليـل وغـارة نـافـذة كـالـسيـل
فتـارة صابت وأخـطت أخرى وهي عليهم بـالعـذاب تـترى
ولا كيوم انحدرت[1] ذات علي فصحبتهم بـالعـذاب المنـزل
وحـازت الأهـلـيـن والأمـوالا ثـم أحـلت بـهـم الـنـكـالا
وضمت[2] الأدراع والأفـراسا ودمغت من الـطغـاة الـرأسا
ولففت أسـرابهـا حمـر النعم فشت شمل جمعها رأي العجم[3]
ثم عفـونـا عـنهـم للبـاري لمـا تفـادوا خيفـة الشفـار[4]
وأقـبلوا لـلتـوب مـظهـرينـا واستشـعـروا سكـينـة ولـينـا
فسكنت من بعدها أرض العرب ما بين نجد فحريب[5] فخلب[6]
وكثرت خيرات هذي الأرض وعمـرت في طولهـا والعرض
وفي خلال الأمر جاءتنا العجم من سطوة الليث الفروس الملتهم
فـوردسـار جـاءنـا وسنقـر وكلهم بـوصلنـا مستبـشـر
جاءوا[7] فشاركناهم فيما حضر وما أفاد الدهر من خير وشر
وبـايعـونـا بـالعهـود الجمـة وكـل إنسـان لـديـه همـة

---

(١) في الديوان ج (أنجدت).

(٢) في الديوان ج، د (فضمت).

(٣) في الديوان ب (فشت شمل رأيها جمع العجم).

(٤) هذا البيت ساقط من الديوان ج.

(٥) حريب: بفتح الحاء وكسر الراء ناحية بالقرب من مأرب.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٢٥٧.

(٦) خلب: وادي من أودية تهامة شمالي حرض.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٧؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ٢ ص ٣٠٨.

(٧) في الأصل (فجاوا) والتصويب من الديوان.

فـهـمـنـا الـوفـاء والـمـودة ودفـع كـل حـادث وشـدة

عنهم وإن نفـديهم[١] بالنفس من كـل جني وكـل إنسي

وهمهم أن يثـبـوا بـالـغـدر عنـد الكمـال وانتـظام الأمـر

فمكن الله الجميع أو ملك فصار للإمهال لا يخشى الدرك

فنكثـوا عهـداً عقيب عهـد وقـابلوا إقبـالـنـا بـالصـد

قد نسوا[٢] ما كان من قبل سلف وأنكروا فضل الولاء والشرف[٣]

ونحن نـرجـوا منهم الإنـابـة إلى صلاح الدين والإجـابـة

وكـلمـا قـلنـا زمـان مـرا ازداد ساعيهم علينا[٤] شـرا

ثمت قـامت بيننا الحـروب وكـل عقـد شـرطـه مكتـوب

فدارت الحرب علينا في لصف بما جرى في حكم منهاج السلف

فـطاح إبـراهيم بين الخيـل وهتفت فـرسـانـه بـالـويـل

ومـثـلوا بـجـسـمـه ورأسـه وهـدموا الإسـلام من أساسـه

ولم يكن مثل الذي كان وقع ممن له حلم وإن غاب الورع

إلا من الكفـار والفـراعنـة وأمـة السوء الـطغاة الـطاعنـة

واعتذروا والعذر في أمر جلل وصـاح داعيهم إلينـا حيهـل

وأقـسـمـوا بـقـسـم مـخـسـر يؤذن تـاليـه بمـوت أحمـر

ما كان ما قد كان منا[٥] برضا وإنمـا ذلـك خـطب عـرضـا

وإنهم[٦] طول الزمان الجاري يمشـون في كتـائب الأنصـار

---

(١) في الأصل (نفدهم) والتصويب من الديوان ج، د.

(٢) في الأصل (ونسيوا).

(٣) في الأصل (والسلف). والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (عليها). والتصويب من الديوان.

(٥) في الديوان ج، د (منهم).

(٦) في الديوان ج (فانهم).

فكان منا أن قبلنا القولا ... ولم نقل فيما أتوه لولا

فبان للأمة غدر القوم ... ما لم يكن في خطرات النوم

وجمعوها من زبيد وعدن ... كتايباً يرتج منهن اليمن

وأقبلوا بعزمة كالنار ... تقتلع الأمصار والبراري

وكان قد شاع الفساد وانتشر ... في البدو من أهل البلاد والحضر

ورغبوا في دولة الأعاجم ... ورفضوا قول النبي الهاشمي

واختلف الأشراف والأشرار ... وامتلأت بذلك الأقطار

وشذ قوم من شرار الشيعة ... وارتكبوا طريقة شنيعة

وجاءهم من صعدة رسائل ... وكتب فيها قضاء عاجل

فرتبوا فيها وفي سواها ... وراجعت نفوسهم بلواها

وصاح داعيهم بكل سوق ... وضربوا بطبلهم والبوق

وأشعروا بطرد الأشراف ... ثم أبانوا خطة الخلاف[1]

وقال أهل الزيغ والضلال ... يا لك من سعد ومن إقبال

وأنسِيَ القوم حديث المحنة ... وأنها من موجبات الجنة

فصمدوا للحصن من ظفار ... في عسكر مثل الدبى جرار

وزحفوا[2] بعارض جم الجنن[3] ... كأنه أركان رضوى أو حضن

وكان فيه فتية أخيار ... حب الميامين لهم شعار

فصبروا والصبر خيل منتحل ... وأظهروا حي على خير العمل

وانقشعت عنهم جنود الظلم ... وقوس أهل الحق فيهم ترمي

---

(١) هذا البيت غير موجود بالأصل، والإضافة من الديوان.

(٢) في الديوان ج، د (ورجعوا).

(٣) الجنة بالضم: ما واراك من السلاح واستترت به منه، والجنة: السترة، والجمع الجنن.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: جنن.

وكان[١] منهم في خراب الدور ما كان من فعلهم المشهور
غدراً[٢] ونكثاً بالعهود وطمع وجرأة على الفعال[٣] المبتدع
وكرروا[٤] الغارات والعساكر إلى المقامات بأرض الظاهر
فكلما راموا طلوعاً نزلوا خذلاً وباب النصر عنهم مقفل
حتى إذا جاءت ليالي العشر المسفرات عن صباح النحر
جاء إلى ناديهم سيل العرم كأنه ا لفيل العضوض المغتلم[٥]
فأخذ الديار والأموالا وزال عنهم بعدما أزالا
وخرب الله ديار[٦] المخرب لمنزل ساكنه آل النبي
فعجب الناس لهذا الشأن ولج أهل الظلم في الطغيان
وصار لا يعرف إلا الظلما فتاه كالأعمى يقود الأعمى
وخالفت في ثافت آل المكم وكفروا بالعارفات والنعم
وأنكروا صنائع الإمام وما نفى عنهم من الغرَّام
جاءوا وقد ضاقت عليهم دارهم وخمدت يوم الهياج نارهم
وأجمعت عليهم العشائر ودوخت أرضهم العساكر
فحل في دارهم العذاب وطاحت[٧] الزوع والأعنات
فحاطهم من كل شر حادث وصابهم من كل خطب كارث
فأمنوا وانتشروا في الأرض واستمتعوا بنفلها والفرض

(١) في الديوان ج، د (فكان).
(٢) في الأصل (عدواً) والتصويب من الديوان.
(٣) في الديوان ج (الفعل).
(٤) في الديوان ج، د (وذكروا).
(٥) المغتلم: الهائج المضطرب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة غلم.
(٦) في الديوان ج (دار).
(٧) في الأصل، وفي الديوان ج (فطاحت).

وكثــرت خيـراتهم فـطالـوا[١] ثم اعتدوا طورهم[٢] وصـالوا
وتـابعـوا شيـخهـم جعـاراً فـالبس الكل الـردى والعـارا
فـأسخـطوا الخـالق للمخلوق وسلكـوا مسـالـك العقـوق
ورتبـوا وأرجفـوا ومخـرقـوا وأرعـدوا من جهلهم وأبرقـوا
فقامت الحرب عليهم شائعة وصفعتهم وهي شـر صـافعـة
وحين جئنـا أجفـل الـطغـام وحـق من جـمعـهم انـهـزام
ثم قصـدنا ثـافتاً بـالـدهم[٣] والجيش من كل مكان يهمي[٤]
فأيقنوا أن الحمـام قد نـزل بهم وأن النكث من شر العمل
فكـان منا العفـو عندالقـدرة فلم نـرق من الـدماء قـطرة
والتهم الجيش اللهـام المـالا وسـلم الـنـفـوس والـعـيـالا
وكـل مـا يحمـل من نفيس منعته جوداً ليـوث الخيس[٥]
وقـلت كـل مـحـرز حرام من مســه حـل بـه الأثـام
فاحتكم الجيش فما مدت يد إليهم والجيش بحر[٦] مزبد
صـنيعـة يعـرفهـا الأخيـار حقـاً كمـا ينكـرهـا الفجـار
ومـثلهـا كـامنـة مكـمنـة لمن جـرى سيئـة بحسنـة
ونحن نرجوا الله رب الناس أن يقلع الظلم من الأساس

---

(١) في الأصل(فضلوا) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (أطوارهم) والتصويب من الديوان.

(٣) الأدهم: الأسود، يكون في الخيل والإبل وغيرهما. والعرب تقول: ملوك الخيل دهمها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دهم.

(٤) في الأصل (ينهمي). والتصويب من الديوان ج، د.

(٥) الخيس: بالكسر: الشجر الكثير الملتف. والخيس: موضع الأسد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خيس.

(٦) في الأصل (نجم). والتصويب من الديوان.

وأن يـذيق الـظالمين الفجـرة عـذابـه فهـو عـظيم المقـدرة

وبأسه بـأس شديـد إن وقع بـظالم هـد الجبـال واقتلع

أهلك عـاداً وثمـود الـطاغيـة وقـوم نوح والقـرون الخـاليـة

وهــذه الأمـة جــاءت منكـراً وقـد عتـا طـاغيهم واستكبـرا

فاصبب عليهم بأسك الشديدا فقد عصوا وجـاوزوا الحدودا

فمذ علا ضلالهم[1] واستحكما ولبس النـاس جلاليب العمـا

وتـابعـوا الجبـار والعنيـدا جهـلاً وشيـطانهم المـريـدا[2]

فـزعت نحو الـواحـد الجبار ونعم من يأوي[3] إليه السـاري

ونحو شمسين من آل المصطفى قـد ثبتا على الـوقار والـوفـا

وسبط بـدر الـدين مجـدالـدين مـرسـخ[4] بـالعلم والـيقـين

فـافتـرقـوا على ذرى خـولان شـآميهـا الغـورى واليمـاني

ووعـظوا، وذكـروا الـعبـادا وألهـموا التـوبـة والـرشـادا

وعرفوا حق الإمـام المفترض وحذروا من الفساد والمـرض

واستنهضوا الكل إلى المدينة فجعلت تمـوج كـالـسفـينـة

واضطربت فيها الجنود الظالمة وأيقنـوا بالعنقفيـر[5] القـاصمـة

فنـزل الشيـخ الهمـام الأكبـر وتـلاه[6] سبط أخيـه الأزهـر

كـالنيـرين في جنــود الشـآم تنهـال مثـل قـزع[7] الغمـام

---

(١) في الديوان ج (ظالمهم).

(٢) في الأصل (جهـلاً وسطا بهم المزيدا). والتصويب من الديوان

(٣) في الأصل (ما يلوي). والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (مرشح).

(٥) العنقفير، الداهية. وعقفرته الدواهي: صرعته وأهلكته.
الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل العين، باب الراء.

(٦) في الأصل (وتلوه).

(٧) القزع: قطع من السحاب. وقيل: القزع السحاب المتفرق.

فصار ذاك الجيش وسط الحقل ... ومرجل الأشراف[1] فيه يغلي
وشاع مكنون الفساد. ففسد ... إلا الأقل الكل[2] من ذاك العدد
وصاح بالقوم العداة صائح ... مغرر. وهو لديهم ناصح
فنفروا عن قائد الصلاح ... وقد لحاهم[3] لو أطيع اللاحي
حتى إذا صاروا دوين القهرة ... صارت عليهم في البقيع قترة
فانحرفوا جرياً على الأعقاب ... قد رضيوا من الغنم[4] بالإياب
وكان فيهم فئة كرام ... ثنتهم الخشية والإسلام
فصبروا حتى أذيقوا الموتى ... ولم يروموا هرباً وفوتاً
وجاء مجد الدين يهوي مسرعاً ... وأفضل المجاهدين من سعى[5]
هذا وقد أيقن بالهلاك ... من كان في شك وفي ارتباك
فمذ رآه القوم حاشوا قدماً ... كأنهم يبتدرون مغنما
فاجتاز[6] منهم جانباً وقام[7] ... صبرا وحامى دونه من حامى
وكان يوم هائل مهيل ... يصد عنه لو رآه الفيل
فصبر الأخيار من جماعة ... ومن حيي عصبة نفاعة
ومن بني رائم والأبقور ... فتيان صدق شبه الصقور
وأكثر الجيش ذليل خائن ... كما حكاه عندنا المعاين

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: قزع.

(١) في الديوان ج (الأشرار).

(٢) هذه الكلمة غير موجودة في الديوان أ، ب.

(٣) لحا: لَامَ وعَنَّفَ.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: لحا.

(٤) في الأصل (مثل غنم).

(٥) في الأصل (مرسعا). والتصويب من الديوان.

(٦) في الأصل وفي الديوان ج (فامتار) والتصويب من الديوان أ، ب.

(٧) في الأصل (وقاما).

والمجد كالليث لدى الأشبال مستبسلاً للقتل والقتال
حتى إذا ما الأمر صار صعباً وباشر الأرض يريد الوثبا
ولت جنود الظلم عنه رقصاً[1] تفحص كذان[2] الأكام فحصاً
واجتمع الجيش[3] إلى شمس الهدى وقد رأى من أمرهم ما قد بدا
فجددوا الأيمان والعهود فجعل الصبح لهم موعوداً
ووطن النفس على القتال كالليث يحمي حوزة الأشبال
فحين أرخى الليل جانبيه لم ينحرف أكثرهم إليه
فاستشعروا[4] الذل المبين والهرب كأنهم ليسوا لهاميم العرب
فصار في إثرهم تتبعا وبات يبغي منهم الممنوعا
وكان بدر الدين ذو الإيمان مستنفراً في الجانب اليماني
فانكسر الناس من الكسيرة وفسدت في الأكثر السريرة
وأيقنوا أن العدو قد رسخ وأن عرنين[5] الضلال قد شمخ
وقد بعثنا قائداً مظفراً ليثا فروساً أصيدا[6] غضنفرا
سليل موسى ذو الجهاد الأكبر شم المعادين عفيف المئزر
وشيخنا الموفق الأمينا ليث الحروب الفارس الميمونا
في فتية جحاجح أخيار من صيد قحطان ومن نزار

---

(١) الرقص: سرعة السير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رقص.
(٢) الكَذَّان: الحجارة التي ليست بصلبة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كذن.
(٣) في الديوان ج (الناس).
(٤) في الديوان ج (واستشعروا).
(٥) العرنين: الأنف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرن.
(٦) في الديوان ج (أسدا).

فيهم حماة الروع من فرعَي علي   شمّ الأُنوف في المقام الأطول
وقد جرى في الرتبة المخذولة   ما سد عنهم وجه كل حيلة
فـرجعـوا إلى ذرى تـلمص   والبيض في أيمانهم مثل العصي
فحين فاضت خيْلنا في الخانق   والبيض في الأيمان كالعقائق
حـاش[١] إليهم أسـد وجنـده   وحــد مـطرور العــرار حـده
في عصب الترك وفي الأكراد   يعصـون بـالمـران كـالآسـاد
فاجتمع الجندان وسط القاع   والكل يرجو الفوز في القراع
حتى تـلاقت غـرر الجيـاد   وانصاع أهل الظلم والفساد[٢]
هـزيمة عنـد التـلاقي مجلية   والبيض في أكتافهم كالأعصية
حتى علوا بالصافنات[٣] الطود   بعض رقى سوقاً وبعض قودا
وجاء بدر الدين في العساكر   عصـائبا مثـل الجراد النـاشـر
من شعب حي ومـن الأديم   وغيـرهم كل كـريم الخيم[٤]
فحصروا[٥] الأعداء حصراً كاملاً   حتى تمنوا منه مـوتاً عـاجلاً
وشيمـة العفـو لنـا سجيـة   يعـرفهـا الكـل من البـريـة
كم ملك رام لنـا القتـالا   حتى فككنـا دونـه الأقفـالا
فـافترقت أجناده أيـدي سبـا   إلى الجنـوب هاربين والصبـا
فمذ[٦] رأينا حـاله قـد حالا   وصار منه الماء يحكي الآلا

(١) حاش بمعنى تأهب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حوش.
(٢) في الأصل (العناد). والتصويب من الديوان.
(٣) الصافنات يراد بها الخيل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صفن.
(٤) الخِيم بالكسر: الشيمة والطبيعة والخلق والسجية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خيم.
(٥) في الديوان ج (فحصر).
(٦) في الديوان ج (قد).

لطنا[1] له حوضاً نميراً مزبداً مـــروة ورحـــمـــة وســؤددا
ولـو شـرحنـاه لـطال الشـرح والعين لا يغبى عليها الصبح
فسلم النفس[2] لنـا والخيـلا وشـد للمـوت هنـاك الـذيـلا
فحين بـــانت قـدرة عفــونـا ومــذ تـوالى عــذرهم وفَيْنـا
وراح في أمن[3] يبث الشكرا ولم يكن عفـو الكرام نكـرا
والحـرب بين الفيلقين دائـرة لطالب الدنيـا وراجي الآخرة
كـل مجـد في قتــال ضـده والثور يعطى روقه عن جلده
قد طرا على العدو ما طرا والصيد كل الصيد في جوف الفرا
ونحن نرجو نصرة[4] من الملك وإن حبـل الـظالمين ينبتـك
حتى نرى صنعاء دار هجرة ويـظهـر الـدين لنـا والنصـرة
وينتشر العدل[5] بأقطار اليمن مستحكماً من مكة إلى عدن
وتخفـق الــرايــات بـالشـآم ونـحتــوي مـديـنـة السـلام
والشـرق والغـرب فغيـر نكـر أن يصبح الأمر لأهـل الأمر
آل الـنـبـي ســادة الـبـريـة أهـل التقى والسِيَر المـرضية
فهم[6] ولاة الأمر دون الناس من آل حـرب وبني العباس
وقد نفاهم جور هذي الأمـة كــأنهم ليســوا لـهم أئـمـة
وحطت الحرب العوان رحلها[7] إذ ثبتـوا فيها وكـانـوا أهلهـا

---

(١) لاط الحوض أي طلاه بالطين وأصلحه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لوط.

(٢) في الديوان ج (الأمر).

(٣) في الأصل وفي الديوان ح (أمر).

(٤) في الأصل (قدرة) والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل (الحق) والتصويب من الديوان.

(٦) في الديوان ج (منهم).

(٧) في الأصل (نحرها). والتصويب من الديوان.

وانقشع الجور وزال الظلم ودفن الجهل وحيا العلم[١]
وسار في نور الهدى من سارا والليل صار يشبه النهارا
فذاك ما نرجوه عن قريب من المليك غافر الذنوب
فسائل[٢] الرحمن لا يخيب فهو قريب ربنا مجيب
ومنه نرجوا الفضل والإحسانا والمن والرحمة والغفرانا
وأن يوفقنا لإصلاح الأمم من عرب أكارم ومن عجم
وأن يعز الدين والإسلاما ويبطل الإشراك والإجراما
وأن يصلي ثانياً على النبي وآله أهل الفعال[٣] الأطيب

قصة المخرج إلى الجوف:

لما جرى على الشهيد إبراهيم بن حمزة رضي [الله][٤] عنه ما جرى، ولى الإمام عليه السلام صنوه الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة. فلبث أياماً في ولايته، وشرى الفساد في أهل الضلال من أهل الجوف، وبطروا النعمة، وسئموا العافية لما تواترت عندهم الثمار، وكثرت الخيرات، وأمنوا من الشرور والحوادث في ذات بينهم، واتسعت عليهم الأرزاق، فقدم من كبارهم فيصل بن يحيى، ورمضان بن جحاف بن حميدان إلى صنعاء يستنهضان وردسار إلى الجوف، ويرغبانه فيه وفيما يحصل منه. فأجابهما إلى ما سألاه، وعادا إلى الجوف في خدمته مجتهدين في الفساد، مظهرين للعناد، وخلع عليهما، وأحسن إليهما، ووعدهم ومناهم، ولم يرقب إلا ولا ذمة، ولا حفظ عهداً، ولا وفى بعقد، ووعدهما اللقاء إلى شوابة.

(١) هذا البيت ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.
(٢) في الأصل (وسائل). والتصويب من الديوان.
(٣) في الديوان أ، ب (العفاف).
(٤) إضافة ليستقيم المعنى.

ونهض يريد القدوم إلى صعدة، فحط بشوابة، فتلقاه من أهل الجوف الشريف حاتم بن علي الأقطع القاسمي، وفيصل بن يحيى. وكان الشريف ممن نكث البيعة واجتهد في الفساد بحسب الطاقة، وعنى في تمكين وردسار وتوطيد الأمر له في الجوف، فأوقعه الله تعالى في يده بعد مراحه من صعدة. فأتاه إلى صنعاء بخيل برسم الهدية يطلب عليها الجزاء والعطية، فأخذ بالإدْلال على وردسار، وعاتبه وبكّته بالكلام في إرساله لأحلافه بالجوف. وغرضه دوام الحرب بين الإمام عليه السلام وبين وردسار لتستقيم له المنافع عنده، فاستخف به استخفافاً عظيماً وسبه وآذاه أذية شديدة إذ أبصر به في مجلسه، وأمر بجلد أصحابه، وأوعده بالقتل لئن أمسى بصنعاء ليلته تلك، فخرج على خوف شديد، وما أيقن بسلامته حتى أتى حصن ذمرمر.

ولما وقع اللقاء لوردسار إلى شوابة، وساروا في خدمته إلى الجوف حتى نزلوا بواد في أعلى الجوف يسمى فجرة، وأقبل سلاطين الجوف جحاف بن حميدان، ومنيع بن فليح، وعبد الله بن منيع بعد أن أشعروا من كان بالجوف من أصحاب الإمام، ومن كان باقياً على طاعته الانتقال، ونفروهم من البلاد، وأظهروا الخلاف، وتواصوا بنفي الأشراف، وأعلنوا بطاعة الغز، وأنهم قد صاروا من جملتهم، وأن البلاد بلادهم، وأطبقوا على ذلك إلّا جحّاف بن ربيع الدعامي في جماعة من أصحابه وجيرانه، فإنه استقام على طاعة الإمام عليه السلام. وخشي عاقبة الأمر ولم تطب نفسه بملاءمة[1] الغز، فرحل من دربه وأصحابه، وعطل بلده، وانحازوا إلى الجبال، فأخرب الغز قرية السوق ودرب وحشان، وصدروا إلى

---

(١) الملاءمة: الموافقة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لوم.

صعدة، فعاد هو وأصحابه إلى بلده فأجمع عليه أهل الجوف.

واشتغل الإمام عليه السلام عن مادته بحرب الغز في الظاهر، فألجاوه إلى الخلاف معهم والكون من جملتهم في طاعة الغز فساعدهم، فطلبوا منه اليمين، فصعب عليه الأمر وقد وقع في أيديهم، فحلف مكرهاً، واستثنى أنه إن ظهرت يد الإمام عليه السلام فإنه بريء من اليمين. وأجمع أهل الجوف على الخلاف، آل دعام، ونهم سوى عزان بن فليتة وولده مبارك فإنهما أظهرا الخلاف وحالفاهم، وباطنهما مع الإمام، ومكاتباتهما[1] لم تنقطع عنه. فلما استظهر الإمام عليه السلام على البلاد، ونفى رتبة الغز من الظاهر، واستقر أمره فيه، وطرد الغز الذين كانوا بصعدة عنها، ونفذ أمره فيها، ولم يبق في البلاد مخالف من أهلها إلا أهل الجوف فإنهم استقاموا على الخلاف واجتهدوا في ملك الغز لبلادهم.

وكان فيصل بن يحيى يختلف إلى صنعاء لإظهار طاعة الغز، ويتردد ما بين صنعاء والجوف لتقرير أمرهم به، وإيهام أهله نفاذ الأمر فيه لهم. ولما بلغهم بأن الإمام عليه السلام في تجهيز المخرج إلى الجوف، نهض إلى صنعاء يلتمس المادة من وردسار لحرب الإمام.

واختلف أهل الجوف في ذات بينهم وافترقوا. فبقي جحاف بن حميدان وأصحابه على الخلاف مع الغز، وأظهر عزان بن فليتة وأصحابه طاعة الإمام عليه السلام والميل إليه، وقامت الحرب بينهم على ساق، ورماهم الله بالخذلان والافتراق.

وقدم جحاف بن ربيع إلى الإمام عليه السلام إلى حوث يلتمس المادة، وفيصل بن يحيى يطلب من الغز الغارة والنجدة، فسبق عسكر الإمام عليه السلام، وقد كان مجتمعاً حاضراً. وقدم فيه الأمير صنوه

(١) في الأصل (مكاتبتهما).

عمادالدين يحيى بن حمزة، ونهض يوم الثلاثاء لسبع وعشرين ليلة خلت من ذي الحجة آخر شهور سنة إحدى وستمائة، فأمسى بخيوان، ثم ارتحل إلى الباطنة [1] فنزل بها حتى مضى جانب من الليل، وسرى بهم باقي ليلتهم حتى أدركوا صلاة الفجر على غيل الخارد. وبقوا على سيرهم حتى أتوا درب مقعد بغيل مراد وأهله باقون على الخلاف ـ وهو درب حصين عليه سور عظيم وخندق. كانت طريقهم عليه محمولة على أخشاب فهدموها ليتحصنوا في دربهم فلم يغن عنهم شيئاً. وكانت لهم عيون، وعندهم صروخ، وجمع كثير من بواديهم، فجاءهم العين قبل قدوم العسكر فَزِعاً مرعوباً، فأقبلوا إليه فقالوا: ما وراءك؟ فقال: الخيل والرجال قد سدت أرجاء الوادي، وشهد لهم برؤيتها، وأقسم الأيمان على ذلك على ما حكاه من حضر، فاضطربوا اضطراباً شديداً، وتفرقت صروخهم عنهم، وصدر آخر صروخهم [2] قبل وصول العسكر إليهم. وكانوا قد قطعوا مادة الغيل من أعلى الجبل، وأخربوا مجاريه حتى ذهب في الجهات.

ووصل العسكر وقد أضر بهم التعب والظمأ، وبعد عنهم الماء مع شدة الحر. فبيناهم على هذه الحال وقد صعب عليهم الأمر إذ أتاهم الله تعالى بسيل من جبال مطرة إلى محطتهم فشربوا وسقوا دوابهم، فكانت آيةً لمن اعتبر، ونعمةً لمن شكر. وقد جرت بذلك العادة الجميلة من الله سبحانه في عسكر الإمام عليه السلام [في].[3] أسفارهم [4] عند شدة

---

(١) الباطنة: قرية على وادي سريرة، على بعد ١٨ كم جنوب شرق سوق دعام. وتقع ما بين: ٤٩″ ١٧′ ٤٤° شرقاً، ١٥″ ١٧′ ١٦° شمالاً.
خريطة ج. ع. ى ١: ٥٠٠٠٠ صفحة C2 1644.

(٢) في الأصل (صرخهم).

(٣) ما بين الحاصرتين اضافة.

(٤) في الأصل (أسفاراً).

الأمر من الظمأ، وقد تقدم ذكر ذلك في مواضعه. فلما استراح الناس تأهبوا للقتال على الدرب ، فحاربوهم حرباً شديداً، فامتنعوا في دربهم، فأمر الأمير منادياً في العسكر بقطع الأخشاب، وحمل الحجار، وكبس الخندق، فانتشر الناس من كل ناحية، وجاؤوا بالشجر والحجر وكبسوا جانباً من الخندق، وضايقوا أعداء الله بالقتال، ووقع أمر ليس بالهزل. وبلغوا معهم مبلغاً عظيماً، وشاهدوا من حربهم خطباً جسيماً، فصبروا وانتظروا النجدة من أحلافهم والغارة إليهم من جهة الغز ومن أهل الجوف، فانقطعت عنهم المادة. فلما يئسوا من ذلك، وسقط ما في أيديهم أعلنوا بالتهليل والتكبير والطاعة للأمير، فأمر الناس بالكف عن القتال. فسألوه إيصال رجل من أصحابه إليهم ممن يثقون به ـ وقد أيقنوا بالهلاك ـ يتودون على يديه، فبعث إليهم فلاح بن أبي حماد الدعامي، وحاتم بن عمرو بن عطوة الشهابي، فسلموا إليهما رهينتين من أولادهم فيما رسمه الإمام عليه السلام عليهم. وشُرط عليهم خراب أعالي الدرب وقصابه[1]، فأخربت في الحال. وتسليم مال رجل يسمى ابن وضيح، كان عظيم الفساد شديد العناد، يتقلب في الحرام، ويربي في أموال الناس، ويكسب الآثام، ولا يؤدي حقاً واجباً، فأمر الأمير بقبض ما كان له في ذلك الدرب، فتناهى إلى ألفي فرق براً ومائتي دينار، ففرق ذلك في العسكر ونقل بعضه إلى ظفار ـ حماه الله تعالى ـ وعوقب بعد ذلك بألف دينار بعد شفاعة من الأمير علم الدين سليمان بن موسى وجماعة من أهل دعام. وسلم صاحب الدرب فلاح بن أحمد مولى مراد وأصحابه خمسة آلاف دينار، وهي بعض ما يلزمهم من حقوق الله سبحانه، وحسنت طاعتهم بعد ذلك. وعزم الأمير عماد الدين على النهوض إلى درب الخلق في أسفل الجوف ـ وهو درب

---

(١) القصب: مجاري ماء البئر من العيون. والقصبة: جوف الحصن، يبنى بناء هو أوسطه. ابن منظور، لسان العرب، مادة: قصب.

جحاف بن حميدان - ومن انضاف إليه من المفسدين من نهم وجيرانهم لحربهم - فدخل عليه جماعة من السلاطين آل دعام وهو في خيمته وتشفعوا إليه في إقرار محطته سواد تلك الليلة، فأسعف سؤالهم. فانصرفوا ليبعثوا رسولاً إلى جحاف بن حميدان يحضونه على المثول إلى الأمير والدخول في طاعته، واستدراك ما فرط من الخطيئة بالتوبة والإقبال. فبينا هم على أمر ذلك إذ أقبل جحاف بن حميدان قاصداً مخيم الأمير منقاداً إليه، ساقطاً في يديه، طائعاً لأمره، منيباً من خوفه، معترفاً بخطيئته، تائباً من ذنبه، معتذراً بأنه غلب على أمره، ولم يساعد إلى رأيه، وأن فيصل بن يحيى دلاه [1] بغرور، ولم يغن عنه عند تضايق الأمور، فقبل الأمير اعتذاره، وصفح عنه، وحفظ فيه وصية الإمام عليه السلام التي أوصاه فيه عند التمكن منه لما سلف من مودته، وحسن سيرته وقديم صحبته. فجرى الكلام والذراعة على العقوبة تسعة آلاف دينار، فاستسلم لذلك واحتكم، وساعد الأمير وسلم ولده بشر بن جحاف رهينة في الطاعة وتسليم المال، واشترط عليه الأمير إعادة مائة رأس من البقر وحصاناً ودرعاً وسيفاً كان قد أخذها في حال الحرب وهي لآل دعام، فالتزم بإعادة ذلك كله، وغطى جهته. وكان قد انفصل من أصحابه قدر ثلاثين فارساً ورجل كثير، وقصدوا درب حمض [2] للفساد في الأرض، وقطع السبل. وهم يأوون إلى ذلك المكان، وأهله قوم مستضعفون، لا يقدرون على منعهم من الفساد، ولا دفعهم عن الوقوف في بلدهم. فعزم الأمير على غزوهم وقد صار بمدينة

---

(١) دلاه بغرور أي دله في المعصية بأن غره وذلك كما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿فدلاّهما بغرور﴾. وفي تفسير آخر: فدلاهما فأطمعهما.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دلا.

(٢) حمض بفتح الحاء: واد في شرق خولان العالية.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤.

براقش، فسبق النذير إليهم فانهزموا مصعدين إلى جبال خولان خوفاً على أنفسهم، ولم يبق إلا أهل حمض على انفرادهم.

فلما وصلهم الأمير لم يعرض لهم ولا أحد من عسكره بسوء، لعلمه بضعف حالهم، وأنهم مقهورون، فأخرب مساكن المفسدين والمواضع التي حصنوها ليمتنعوا فيها ويأووا إليها. فأقر أهل حمض في بلدهم، وأمنهم على نفوسهم وأموالهم. واستعاد بالعسكر إلى براقش فلبث بها يومين، ثم ارتحل عنها إلى الجوف الأعلى، فنزل به واستقر فيه أياماً، وكشف عن أمر المفسدين والمتمردين، وعاقب من استحق العقوبة ومن أظهر الفساد بجملة من المال، وفرقه في الأجناد، وتمهدت البلاد وسكنت شقاشق أهل البغي والعناد.

وانصرف الأميران عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم بمعسكرهما كل إلى جهته. واستقر الأمير علم الدين بالجوف وأعماله على ولايته في خيله التي كان قد تكفل مؤنتها [(١)] والقيام بها بما يحصل من الحقوق الواجبة في الجوف، وهي من الخمسين إلى الستين، فأمضى الأوامر الإمامية والأحكام الشرعية، وأزال الفساد، وأخذ على أيدي المفسدين وقطاع السبل. فأجري حكم السيف والسوط على من وجب عليه بحكم الله تعالى، ودانت البلاد: بدوها وقرارها، وسهولها وجبالها، وأخذ زكاة الإبل والغنم من داعي نهم على العموم، ولم تجر بذلك عادتهم ولا ظن أحد أنهم يدينون لذلك لما هم عليه من الشدة وكثرة العَدَدْ، وقوة العُدَدْ. وأمنت البلاد وسكنت عفاريتها، وغلت شياطين الإنس فيها وغواتها؛ حتى إنه ضل تيس عن الراعي في مقطعة من الأرض بين موضع

---

(١) في الأصل (مونهما).

يسمى إبر ودرب مقعد [1] فأقام بها ثمانية أيام لم يعرضه أحد حتى وجده قوم سيارة، وأتوا به إلى الأمير، وقصوا له قصته. فكتب بذلك إلى الإمام يُعَجِّبُهُ من أمره.

وذكر في كتاب آخر أنه أمر رجلاً من أطراف من معه وأضعفهم سطوة لقبض عقوبة ألزمها رجلاً من خذيمة وقد استحقها فقطع الفرط [2] ثم المنهرة [3] في إثره، وأدركه في موضع يسمى خب [4] فسلم العقوبة، وعرضت عليه خذيمة قبض زكاة أموالها فامتنع خوفاً عليها أن تتلف لبعد المسافة. ووصل جحاف بن حميدان بعد طاعته وتسليم ولده رهينة في العقوبة التي التزم بها إلى الإمام عليه السلام وهو بحوث، فأكرم مثواه وناصفه لكبر سنه ومكانه في قومه، ولما تقدم من مودته قبل خلافه، فطلب المسامحة في العقوبة، والتزم ممن [في] [5] مجلس الإمام عليه السلام الشفاعة والمعونة، فجرى الكلام في أمره، والشفاعة له، فسامحه بألف دينار. ودخل عليه بعد ذلك فجثى على ركبتيه، وقبّل يديه ورجليه، وبكى حتى فاض الدمع من عينيه، وسأله المسامحة بألف آخر، فساعده الإمام عليه السلام إلى ذلك، وأسعف سؤله وحقق آماله، ورضي واستسلم بعد إظهار التوبة على ما فرط منه والندم.

وكان ذلك تصديقاً لمنام رآه الإمام عليه السلام ورواه لأصحابه قبل

---

(1) هذه المواقع بغيل مراد. وقد سبقت الإشارة إليها.

(2) يبدو من النص أن الفرط موقع في ناحية خب بالجوف.

(3) يتضح من النص ومما كتبه الهمداني أن المنهرة موقع في ناحية خب بالجوف.
انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٠، ١٦١، ٢٨٢.

(4) خب بفتح الخاء قرية ناحية خب والشعف قضاء الجوف.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة الجوف، ص ١٥.

(5) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

وصول الغز إلى البلاد قال: رأيت كأن أهل الجوف فسدوا كما كان منهم في اليقظة، وكنا [١] أخذنا شبيب بن هشام وفيصل بن يحيى أسيرين فسقتهما بين يدي ولا رابع معنا، ونحن نسير وأنا أعجب من تحكمهما، فبينا نحن نسير إذ بنا في بلاد معمورة باللبن عمارة حسنة وكأنه تراب أحمر، وإذ بمطر قد وقع ونحن ندخل تلك البيوت لنسكن فيها. فكلما دخلنا بيتا خشينا منه الانهدام فنخرج منه إلى غيره إلى أن دخلنا بيتاً وأنا أسير في الأول وشبيب خلفي وفيصل خلف شبيب. فخطر ببالي حسن طاعة أهل الجوف وتحكمهم، وقلت هذان اثنان وأنا أسوقهما للإسار ولا يحدثان إليّ شراً، فما أتممت خاطري حتى وثب شبيب فالتزمني، فاجتردت خنجري، فجعلت أهيب به عليه ولا أريد قتله، وأنا أجريه عند عينيه وحلقه، ونقول له: أرسل [٢] لا تفعل، لو أردت قتلك قتلتك، وهو لازم والمكان ضيق في درجة لم تمكن صاحبه من معونته. فبينا نحن كذلك إذ الحسن بن حمزة قد بدا علينا، فسقط ما في أيديهما وأرسلني، واستسلما للأمر. فقلت في خاطري: ويحكم [٣] يا أهل الجوف إذ بدا خبثكم. أخبراني ما أردتما. قالا أردنا لزمك وإنزالك الجوف، وقد كنا أمرنا لأصحابنا يلقونا إلى هذا المكان. قلت لحسن بن حمزة فما قصتك؟ قال: طلعت وطلع معي أصحابهم، ولا علم بما في نفوسهم فأمرنا مفلح بن منصور طليعة، وأتيت إلى ها هنا فوافقتكم على هذه الحال. فعجبنا عجباً عظيماً من الاتفاق وقلت في نفسي أَمِّن عليهما، قلت: لا أصلح [من] [٤] أن نتعون منهما بسبعة آلاف دينار تصرف إلى بيت المال. فلما

---

(١) في الأصل (وكـأنا).

(٢) أرسل الشيء: أطلقه وأهمله.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: رسل.

(٣) في الأصل (مدحكم).

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

وقعت العقوبة عليهم استقرت على ما رآه في منامه عليه السلام بسبعة آلاف دينار من غير زيادة ولا نقصان.

وصدر جحاف بن حميدان إلى الجوف بعد أن خلع عليه الإمام عليه السلام وعلى ولده المرهون. وكتب معه إلى الأمير علم الدين كتاباً بما انصرم عليه الأمر من المسامحة، وسلم الباقي كافة. ثم لم يلبث إلا أياماً يسيرة ومرض مرضاً كان منه وفاته.

وأنشأ الإمام عليه السلام هذه القصيدة يذكر فيها فتح أثافت وصعدة والجوف:

قامت دلائل دولة الإسلام ... وبدت[1] شواهدها بهذا العام
وعلا منار الدين بعد خموله ... متألقاً[2] في يمنةٍ وشآم
ظن الملوك الظالمون بأنني ... أُغضي ولي ثأر على الأيام
كلا ومن عمرت قريش بيته ... قسماً يميل بسائر[3] الأقسام
حتى تظل الأعوجية في الوغى ... تشكو على الفرسان بالحمحام
وتعوم فتيان الوغي من هولها ... في زاخر شخب[4] الجوانب طامي
ويموت بين الفيلقين طوالها ... بأكف بيض في الحروب كرام[5]
وترى السيوف على اختلاف مقالها ... في الدين تسجد في الطلا والهام
كانت بثافت آية مشهودة ... والآية الأخرى بجوف دعام

(١) في الأصل (بهت) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (متولفا).
(٣) في الديوان ج (سائر).
(٤) في الديوان (صعب). والشخب: الدم. وانشخب: سال. ابن منظور، لسان، مادة: شخب.
(٥) هذا البيت ساقط من الأصل، والإضافة من الديوان.

وتصعدت [١] لطغاة صعدة شزباً   كالطير تحت خوافق الأعـلام
بمقـدمين [٢] نجار هـذا منتم   ساما وأصل نجار ذا من حام
لم يثنيا رأسيهما حتى انثنى   رأس العدو بمردس [٣] صدام
مسترعفين [٤] بفتية [٥] أحسابهم   جعلت نفوسهم كنفس عصام [٦]
رجموا بها أسداً فأصبح ثعلباً   يرجو المقام ولات حين مقام
ما كان أسرع هدم ما قد شيدوا   من فسقهم والنقض للإبرام [٧]
زعمـوا بأن الله يخـذل دينه   كـلا وموجب حـرمة الإسـلام
لا بـد من يـومٍ يميـل بثقله   عـدلاً على متحـامـل الآثـام
تشكو العظام[٨] به الكهام[٩] كما اشتكت   صم العظام به من الصمصام[١٠]
ويـظل عرق السمهـريِّ كأنـه   في أذرع النجبا هشيم ثمام

(١) في الأصل (وبصعدة).
(٢) في الأصل (لمقدمين).
(٣) المرداس: الصخرة التي يرمى بها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ردس.
(٤) الرعف: السبق والتقدم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعف.
(٥) في الأصل (لفتية).
(٦) هو عصام بن شهبر الحرمي حاجب النعمان بن المنذر. وفي المثل كن عصامياً ولا تكن عظامياً، يريدون بها قوله:
نفس عصام سودت عصاما   وصيرته ملكاً هماما
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عصم.
(٧) في الأصل (والإبرام).
(٨) في الأصل (الكهام). والكهام: السيف الذي لا يقطع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كهم.
(٩) في الأصل (العظام).
(١٠) الصمصام: السيف القاطع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صمم.

وترى الجياد إلى الجـ ـاد مشيحة | تشكو الأسنة والنحور دوامي
الأمـر لله المهيمن وحـده | يمحـو ويثبت ما يشا بتمام
إن شاء ملكني جبال نفوسة | فـالقيروان فـأذرعات الشـام
والشرق حتى تستمر أوامـري | فيـه وراء النهـر سير العـام
وإذا أراد طوى حبال إرادتي | وإذا قنى في الحال كأس حمام
لا نوم لي حتى تزور فوارسي | بغداد في جيش أجش لهام
نبغي بـه ثـأراً لآل محمـد | من آل عبـاس بني الأعمـام
بـأكارم شم الأنـوف أفـاضـل | صُبُـر غـداة الكـر والإقـدام
بيض إلى سلفي عليٍّ تنتمي | أكـرم بمنتميـاتهـا والنـامي
قوم هم ورثوا الكتاب وفهموا | تـأويله وفـواصـل الأحكـام
ولهم بحـاميم المعظَّم آيـة | قالت لهم حوزوا الولا بسلام[1]
يتفـاخـرون بلذة في مـطعم | أو صوت مسمعة وكأس مدام
ومجـالس معقـودة مـا زينت | إلا بمحضـر قيـنـة وغـلام
هذي نهاية بعدهم يا بعدها | من هم مجتهـد أغـر همـام
ثبط[2] العزيمة في مصالح أمة | غفل القلوب عن الصلاح نيام
يرعى سوامهم ويحفظ سرحهم | أبـداً ويحمي دونهم ويحامي
ويعـول عائلهم ويكفـل عنهم | ضعفـاء أراملهم مـع الأيتـام
لا زال كهفـاً للطريـد وملجـأ | لـلخـائفـين حـوادث الأيـام

---

(١) بعد ذلك سقط من الأصل ستة عشر بيتاً تبدأ بالبيت التـالي:

من قام منهم قام عن مندوحة | في العلم والشرف الرفيع السامي

وتنتهي بهذا البيت:

فـأكـارم في الله قـد نصـروهـم | مثـل الليوث غـداة كـل صـدام

انظر الديوان.

(٢) في الأصل والديوان (فقط).

وعلى المقام ومن به من رهطه أزكى السلام وأطيب الإلمام
وسقى ربوعكم الحيا يا من بهم قامت دلائل دولة الإسلام

قصة دار الضرب وإثباتها وعمل الدرهم المنصوري فيها:

وكان ابتداء العمل في ضربه في ذي الحجة آخر شهور سنة إحدى وستمائة. وعليه نقش ابتداء تاريخه.

لما نظر الإمام عليه السلام في أمور المسلمين وما يقع عليهم من النقص في أموالهم، والتفاوت في نقودهم. وكان دينارهم يومئذٍ السبئي الذي ضرب في دولة علي بن محمد الصُليحي، ودرهمهم ضرب الغز، وهما جميعاً مشوبان بالنحاس. وكان الدينار أكثر ما في أيدي الناس. فمنه ما هو جائز في وقت لتراضيهم به، ثم يأتي وقت آخر فينقصونه من قيمته قدر النصف والثلث والربع فما بين ذلك.

قال: حدث في الجائز ثلمة لطيفة مما لا قيمة له، أو حك انتقص هذا القدر المذكور على الزيادة والنقصان، وذهبت فيه أموال المسلمين. وكان عليه السلام قد عزم على ضرب دينار ودورهم بصعدة، وأمر بنقش السكة، واستعمال آلات دار الضرب فوقعت حوادث من الغز في صنعاء، ونقض للصلح الذي كان بينه وبينهم. فأزعجه ذلك عن قصده، ولم ينتظم له ما أراد في ذلك الوقت. فوقع الاشتغال بالحرب ومنابذة العدو مدة طويلة، وهو مع ذلك في التماس الثقة المؤتمن الذي تطيب به النفس، ويطمئن إليه القلب بحفظ مال الله من الخيانة والغش.

وكان للأمير عماد الدين يحيى بن حمزة عناية عظيمة واجتهاد شديد في إثبات دار الضرب، ومكاتبات إلى الإمام عليه السلام متواترة،

ورغبة فيما يقع بذلك من النفع العام، فلما وصل إلى حوث يريد المخرج إلى الجوف في ذي الحجة آخر شهور سنة إحدى وستمائة ومعه من ينقش السكة ويطبع الدرهم. هيأ[1] أسباب العمل فيه، وأتى بفضَّةٍ منه وممن يخصه لفتح باب العمل، ونقشت السكة على سطح مربع، وطبع عليها دراهم قليلة أخذ الأمير عماد الدين شيئاً منها إلى الجوف، فأنفقه هنالك.

وكان الإمام عليه السلام يريد أن يكون نقش السكة مخالفاً لسائر النقوش، فرسم وهو بصعدة رسماً في ورقة بيده المباركة، وجعله مثلين يقطع بعضهما بعضاً. وقال للنقاش هل يمكن أن يكون نقش السكة على هذا التقدير؛ لظنه أنه لا يتسع للكتابة، وأجمع الحاضرون على ذلك. فلما نقشت هذه السكة المربعة، ولم تعجب النقاش الآخر؛ نقش سكة على رسم الإمام عليه السلام الذي كان قد رسمه له بصعدة فجاءت على حسب الغرض موافقة لمراده. واجتمع رأي الكل ممن حضر على الطبع عليها ومحو السكة الأولى، وطبع عليها أول درهم، وجعل وزنه نصف درهم قفلة[2] وثمن قفلة. وأتي به إليه فأعجبه وقال: اللهم بارك فيه، وحببه إلى خلقك، وانفع به الإسلام والمسلمين. بحقك يا ذا الجلال والإكرام وصل على محمد وآله. وجعل أمر دار الضرب في البيع والشراء والحفظ على العمال إلى الشيخ علي بن حسن الصعدي، وهو من بني النجار، صاحب دين رصين، وأمانة وثقة، صابر مجاهد مع الإمام عليه السلام من ابتداء الأمر ووقت القيام. فاستمر

---

(١) في الأصل (وهيأ).

(٢) الأوقية تساوي عشر قفال.

انظر: يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١ ص٣٨٨ ح ٤.

العمل، ونقشت سكة لـدرهم صغير صرف كل أربعة منه بدرهـم كبير لينتفع الناس به في معاملاتهـم وقضاء حوائجهـم. وكان عندهـم في ابتداء خروجهـما نفار من قبضهـما لقلة الأنس بها، وانقباض عن البيع والشراء لأجلهـما مع ما حـصل من البركة يوم خـروج الدرهم الكبير. فـإن الأسعار رخـصت في ذلك اليوم واستقامت، ووقع مطر غزير في غير وقتـه على قرية حـوث وأوطانها، واستبشر النـاس بالخير والبركة بسببه.

ولما بـلغ إلى الإمام عليه السلام يومئذٍ نفـار الناس عن قبضه بحوث وأعمالها، وقد نصب محتسباً للشدة على من رده، والعقوبة لمن امتنع من قبضه، فكتب الإمام عليه السلام كتاباًمختصراً قـرىء في السوق على النـاس، نسخـته بعد السلام عليكـم:

إنـكم لا تجهـلون اجتهادنا في مصالحـكم في دنياكم وآخـرتكم. وكـانت دراهم الظلمة ودينارهـم تأتينا وإيـاكم مخلوطة بالصفر والغش، فلا نجـد بـداً من قبولها. ولم نـر إلا أن نضرب للمسلمين نقداً طيباً مبـاركاً، فبلغنا أن الدرهم المبارك خـرج ووقع منه بعض نفـرة من المفسدين. ونحـن نعيذكـم بالله سبحـانه أن تعرضوا للعقوبة في مصـالح نفوسكم فتخسروا أموالكم لغير موجـب. قوموا في نفـاذ درهمكم ديناً ومنعـة. فبالله ـ قسماً صادقاً ـ لـئن رد الظلمة درهمنا، أو منعوا منه لا قـبل درهمهم في بـلادنا إلا من يـكون منهم نأخـذ ماله، ونـضرب رقبته، ونهتـك ستره، ونخـرب بـلده، وإن كان تاجـراً أخـذنا بضاعـته.

فانظروا لنفوسكم نظراً مخلصاً فالأمر جـد، ولا تظنوا أني أعاملكم في الـدرهم بالهوادة ولا الرفق؛ وإنما هو السيف والسوط والحـبس وأخـذ المال. فمن صدقنا فليجـزم، ومن كـذبنا فليقدم. فقبضه النـاس في ابتداء الأمر رهـبة بعد أن عوقـب على رده قوم كـثير، وحـبس آخـرون حـتى أنس

الناس به. فما كان إلا المدة اليسيرة وقد صاروا يختارونه على سائر النقود، ويطلبونه ويرغبون فيه، ويتباركون به. ويأخذه السفر[1] إلى بلاد الغز ويأتون به، وانتشر في البلاد قليلاً قليلاً حتى استقام أمره، وأحبه الناس، واستجاب الله فيه دعوة الإمام عليه السلام.

وأنشد للقاضي المكين عمروبن علي العنسي شعر ذكر فيه الدرهمين قال:

حفظت المكارم من كل شين ... وما زلت بالمال سمح اليدين

ففاضت أياديك في العالمين ... لتنفي كل ضلال ومين

فطوراً تغير إلى المشرقين ... وطوراً تغير إلى المغربين

وقدمت فيها بني هاشم ... ليوث الكفاح لدى المارقين

كراماً أقامت قناة الهدى ... بضرب الحسام وطعن الردين

فتعجم[2] بالسمر ما تشتكي ... الصوارم في ملتقى الفيلقين

يحامون عن دين خير الأنام ... بالمقرنات[3] وبالمرهفين

إذا عاند مال عن حجة ... أقاموهما دونه حجتين

يعود العدو إلى هدنة ... وقد رام ما لم ينل كرتين

وعمت نعماك يا بن النبي ... بأمرك للناس بالدرهمين

باسم النبي وآل النبي ... صارا بهيين كالنيرين

نقيين من كل ما يستراب ... مليحين فازا بمحض اللجين

---

(١) السفر: المسافرون.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سفر.

(٢) عجم السيف: هزه للتجربة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عجم.

(٣) القرنة: حد السيف والرمح والسهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قرن.

أمرت بضربهما المخلصين فجاءا كمثلهما خالصين
أهانا نقود جنود الضلال وكانا بغيهما شاهدين
ولاح اسمك المرتضى فيهما فعزا وطالا على الفرقدين
وكانا كحلم أجل الورى بسيفك عند الورى نافذين
حرمت إلى غايةمن يرم لحاقاً بعد ذا كلال ومين[1]
وحُطت ذرى الدين عن ضدهم حياطة أجفاننا الناظرين
تطور المنابر إمّا ذُكِرْتَ وتعلى مفاخرك الخطتين
وكم منة لك في العالمين! يفرج خيراتها الكاتبين

وكان العمل قليلاً في ابتداء الأمر لعدم الفضة. فحكى أهل الديوان بدار الضرب أن الحساب انفصل في شهر واحد على خمسة وعشرين ألف درهم. وجلبت الفضة من مشارق الأرض ومغاربها، وأتى التجار بها من زبيد أُلوفاً من القفال مؤلفة، وعليهم نصف العشر لبيت المال، ومنه أجرة العمال. وحصل للمسلمين نفع عظيم بضرب هذا الدرهم، وبورك لهم فيه. وانتشر في الآفاق وتموله الناس، ورفضوا درهم الغز والدينار السبئي ذا النحاس.

وضرب الدينار بعد ذلك ذهبا خالصاً غالباً، يحك في المحك بدينار الهادي عليه السلام، وجعله ثلاث سكك، المثقال الكامل، والنصافي وهو نصف مثقال، والرباعي وهو ربع مثقال. وخرج في جميع الأقطار، وحمل من مكة ـ حرسها الله تعالى ـ إلى الآفاق، أحد وجهيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله، وفي دوره التاريخ بالسنة والبلدة. والثاني فيه: الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين، وفي دوره: عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي دور

---

(١) هكذا البيت في الأصل.

المثقال بعد علي ولي الله: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[1].

وأنشأ الإمام عليه السلام هذا الشعر وقد أتاه حكاية ولده علي - وهو لم يره - يحضه على مكارم الأخلاق. وكان قدومه من صعدة إلى الجوف في جمادى الأولى من سنة ستمائة وهو حمل في بطن أمه الشريفة الفاضلة فاطمة ابنة يحيى بن محمد الأشل من ولد الهادي عليه السلام، ووضعته في ليلة أسفرت عن يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب المعظم من سنة ستمائة. فلم يتمكن الإمام عليه السلام من النظر إليه ولا الزيارة لأهله وأولاده، ورأى إيثار رضا الله عز وجل ومنابذة أعدائه، والجهاد في سبيله. وكانت مدة الإقامة من وقت صدوره من صعدة إلى وقت رجوعه إليها ثلاث سنين وخمسة أشهر تنقص أياماً. فلقيه يوم قدومه إلى صعدة راكباً وهو اليوم الثالث من عيد الأضحى من سنة أربع وستمائة. قال عليه السلام:

أبا حسن والغيب رجم ظنون ... ولكنني أقضي به ليقيني
حكاك لنا الحاكون إذ قذفت بنا ... بحار ركبناها بغير سفين
قلائد في الأعناق لم نستطع لها ... فكاكاً وشأن قائد لشئون
لوازم شرع تقتضيني ديونها ... فأكرم بدين فيه حملة ديني
جهاد ولاة[2] الظلم في كل وجهة ... وقود زبون في الوغى الزبون
إذا قيل يوم الروع أين ابن حرة؟ ... يكشف ظلماها بضوء جبين
ومن يصطليها في العجاج إذا التقت ... وجوه المذاكي تحت أسد عرين
أقول عليّ يعتلي هام صيدها ... بأبيض ماضي الشفرتين سَنين

---

(1) سورة المائدة، آية ٥٥.

(2) في الأصل (بلاد) والتصويب من الديوان.

فتى بين يحيى بن الحسين وحمزة — أصول نمت للدين خير غصون

كأني به والخيل تشكو من القنا — بحمحمة[1] يوم الوغى وأنين

وقد صار كبش القوم يعني مكانه — ويدعو بصوت وهو غير مبين

يجمعها بالمشرفي ويعتري — ومنها عرين يتقي بعرين

وقد ماتت البيض المواضي كلالة — وخان عهود الصبر كل أمين

وتحمي[2] عليها والمحامون جنح — وقد سمحوا فيها[3] بكل ثمين

وتقري إذا عز القرى وتحملت — شمال تبدي شخص كل دفين

وتجري[4] العلوم الغامضات بفكرة — تُريكَ مثال الغيب عين يقين

وتهدي إمام القوم ليلة لا ترى — يمينك إلا [أن][5] تقول يميني

وخصم أتوا مسترعفين[6] بصيلم[7] — أصم كثعبان الحزوم[8] حرون

جثوت له حتى استبان عثاره — بمنتقدات من سهام فنون

وتحمي ذمار الجار غير معذر[9] — وتخلط تشديداً هناك بلين

وترمى. وترمى دون قومك إن غدوا — على دينكم والقول رب شجون

---

(١) في الأصل (بحمحة) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (أتحمي) والتصويب من الديوان.

(٣) في الديوان أ، ب، ج (بها).

(٤) في الأصل (ويحوي) والتصويب من الديوان.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من الديوان.

(٦) رعف: تقدم. والرعف: سرعة الطعن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعف.

(٧) الصيلم: السيف. والصيلم: الداهية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلم.

(٨) في الأصل (الحزون) والتصويب من الديوان.
والحزم: ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته والجمع حزوم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حزم.

(٩) في الأصل (معرد) والتصويب من الديوان.

وتهمي نوالاً[1] للسؤال أخ الولا بمنهمر داني الرباب هتون
واعط لوجه الله وامنع لوجهه ولا تك فيما تعطه بمنون
وهب ساحة المحظور لا تقربنها وشب خفة في تركه بسكون
وكن تارة كالفحل يصرف[2] نابه وأخرى على الحالات كابن لبون[3]
وصرف وجوه الرأي حتى تصيبه وشب للورى جدأبماء مجون[4]
وعظم جلال الله جل جلاله ولا تلق سأْلاً بوجه حزين
وشاور رجال الرأي في كل حادث ولا تشركن في الأمر كل مهين
وكن مثل أجداد نمتك عروقهم إلى شامخات في العلا وحصون

وكتب عليه السلام إلى سليمان ابن أخيه الشهيد إبراهيم بن حمزة رضوان الله عليه في مثل ذلك وهو يومئذ في الكُتَّاب. قال عليه السلام:

يذكرني أباك خطوب دهر ينسي المرء صاحبه الحبيبا
فتى إن قاد زحفاً كان ليثاً وإن شن الغواير كان ذيبا
يرى السمهري بها حطيماً وحد السيف مثلوماً خضيبا
سل الخيلين في لصف جميعاً وقل لعن الإله بها[5] الكذوبا
ألم يك أربط الجمعين جأشاً؟! إلى أن زاد معتمداً شعوبا
فذكرنا بمهبطه عميراً وأنسنا بعزمته شبيبا
فكم[6] يوم له والسن غض غداة الروع قد كشف الكروبا

(١) في الأصل (نوال) والتصويب من الديوان.
(٢) الصريف: صوت الأنياب. وصريف الفحل تهدره.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صرف.
(٣) ابن لبون: ولد الناقة إذا كان في العام الثاني ويقال: إذا استكمل سنتين.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لبن.
(٤) هذا البيت غير موجود في الديوان ج.
(٥) في الأصل (به) والتصويب من الديوان.
(٦) في الديوان د (وكم).

وركب كابدوا ليلاً بهيماً ... وقد نفت الشمال به الجنوبا
أتوه مرملين فقال رحباً ... وأنزلهم به سوحاً رحيبا
ومشكلة من الحدثان إذ عد منا من يكون لها طبيبا؟!
تحملها أبو إسحاق عنا ... وجلل شخصها برداً قشيبا
فكن كأبيك أو كأبيه تغلب ... على هذا الورى كرماً وطيبا
فأنت أبا الربيع لهم سليل ... ومن عد النجيب غدا نجيبا
فصدق ظن عمك فيك تصبح ... لباغي الخير مرتبعاً خصيبا
وكن للخيل يوم الروع طوداً ... إذا غدت الكماة لها دروبا
وإن ولت حميت على التوالي ... ورويت المثقف والقضيبا
وشمر للعلوم وخض[1] حماها ... لتصبح فوق منبرها خطيبا
وكن للضيف بحراً ذا أواد ... وللباغي الندى غيثاً سكوبا
وحام على رسوم الدين وانصب ... لعامر عوده ركناً صليبا
وكن عند الخصام أخاً وقار ... لتصمي في المجادلة القلوبا
ولا تسأم مقارعة الأعادي ... وكن في لج غمرتها رسوبا[2]
وكن للسلم بساماً طليقاً ... وللأعداء هراراً[3] قطوبا[4]
وعادِ الظالمين ولا تسالم ... بعيداً كان ذلك أو قريبا
ووال الصالحين وإن جهلت ... القبائل من أبيهم والشعوبا
وأدِّ فرائض الرحمن طوعاً ... وكن للموبقات فتى هيوبا

---

(١) في الأصل (وحط).

(٢) سيف رسب ورسوب: ماضي يغيب في الضربة.

ابن منظور، مادة: رسب.

(٣) هراراً: ذابا.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: هرر.

(٤) القطوب: العبوس.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: قطب.

وإن نـزلت قوارع مجحفـات فـأمـل بعـدهـا فـرجـاً قـريبـا
ولا تجـزع ولا تنـظر لخيـر وخذ من كل مكـرمة نصيبـا
وكن جذلاً[1] لمحتك[2] بشرٍ وللبـاغي الندى غصناً رطيبـا
ولا تغفـل مشـاورة المـوالي وخص بـذلك الـرجل اللبيبـا

قصة ولاية الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في جهة المغرب والمغازي التي وقعت فيها وما حصل بذلك من الصلاح:

وولاه الإمام عليه السـلام أمر مغارب حوث من شعب عذر إلى بلاد الأهنوم: سهلها وجبالها، وظليمـة وحجور وما يتصـل بها إلى حيث تمتـد يده، وينفتح من البلاد على يديه، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة إحدى وستمائة. وكانت هذه البلاد مختلة وقد انتشرت رءوس أهلها عقيب مراح الغـز من صعدة، فقطعوا السبل، ومنعوا الحقوق الواجبـة، وأفسدوا في البلاد، وغنمـوا الفرصـة في اشتغال الإمـام عليه السلام بحرب الغـز فلم يدعوا ممكناً من الفساد. فهبط الأميـر صفي الدين من حوت ليتفقـد أمورهـا وإصلاح أحوالها، والشـدة على المفسديـن فيها، وقـد تحمل كفايـة خمسين فارساً والقيـام بما يصلح شأنهم بما يحصـل من خراجها.

وتقدم فيمن انضم إليه من الخيل والرجال فقصد سهل ظليمة[3] فهبط إليه أهـل جبالها مظهرين للطاعة، وقـد جرت مشورة بين أهـل السهل والجبل علـى الإيقـاع بـه وبأصحابـه بخديعة. وبلغـه الخبر بذلك فركـب وأمـر أصحابـه بالأهبة، فلبسـوا لأمـة حروبهم، وركبوا خيلهم،

---

(١) في الأصل (خذلاً) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (لمحتبك) والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل (ضليمة).

وصفـوا في مقابلة عدوهـم. وأقبل إليهم منهم بشر كثير يوفون عليهم أضعافاً، فلمـا رأوا الأمير وأصحابـه على أهبـة الحـرب هابوهـم، وقذف الله في قلوبهم الرعب بعد أن وقع بيـن الفريقين عنـد مقابلة الصفين مهاوشـة أرادوها سبباً للقتال، فحمـل رجل من فرسـان الأمير فوكز ذلك الرجـل بعقب الرمـح، وفرغ بينهما.

فلما علموا أنه لا طاقـة لهم بالحرب أظهروا الطاعـة، وتقدم من كبارهـم جماعـة فبايعهم الأمير على طاعـة الله تعالـى وطاعة الإمـام عليه السلام، وتسليم الحقوق الواجبـة في أموالهم، فبايعـوا وسمعوا. وبايعهـم على امتثال الأوامـر الإماميـة، وتأديـة الحقوق الواجبـة، وعاد الجميع منه وقـد طابـت نفوسهم بما وجدوه عنده، وما شاهدوه من لين جانبه وحسن سيرتـه، ثم نهض بعد إصلاح أمورهـم إلى بلاد قحطـان وحجور، وكانت الحـرب بينهم قائمة، وأموالهم داثرة، والشرور فيمـا بينهم متصلة، وقد خربـت بلادهم وتعطلـت من الزرع أوطانهم، وانقلـع أهلها. فلـم يزل حتـى أصلح أمرهم، وهدم الإحن التي تقدمت بينهم. وعـاد كل منهم إلى محله وصلحـت أحوالهم بعد ذلك وكثرت خيراتهم، وسلمـوا ما يجب عليهم من حقوق الله تعالى. وفي خلال ذلك صرخ الصارخ، وأغـار الناس، وركـب جماعة من أصحابه لإجابـة الصوت. فوافوا رجلاً قد مـات صاحبه وأراد دفنه، فعرفـه أهل البلاد. وكان ثالث ثلاثة بوادي مور[1] مفسدين في البلاد، يقتلون عابـر السبيل، ويأخذون أموال النـاس وهـم مشهورون بذلك. فأمسكه أصحاب الأمير بعد دفـن الميت وأتوا به إليه،

---

(١) وادي مور: يعتبر أطول واد في اليمن، تبدأ شبكته في الظهور من غرب منطقـة صعدة. وهو الوادي الوحيد في حوض البحر الأحمر الذي يجري من الشمال إلى الجنوب. شاهر جمال، جغرافية اليمن الطبيعية، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

فسأله عن شأنـه وأخباره بعد أن شهـد أهـل البلاد بفساده وخبثه، فاعترف بقطع السبيل، وقتـل النفس التي حرمها[1] الله ظلماً، وأخذ أموال الناس. فأمـر بضرب عنقه، وأراح الله الناس من شره على يديه، وخمدت نـار المفسدين في البلاد، وخشي كل منهم على نفسه، فرفعوا أيديهم من الفساد، ثـم قدم إليه صاحـب جبل سخدا فسمع وأطاع، وسلم الواجبـات في بلده. وكـان عنده وعند أهـل تلك البلاد نفـار ووحشةٌ عقيب غزو الأمير علم الدين سليمان بن موسى إليهم. وكان قد أخذهـم بالشدة والغلظة في ابتداء الأمـر، والغـزو في بلادهم. فآنسهم الأميـر وألان لهم جانبه فانقادوا له بأجمعهم.

وأتـاه العريف صاحب الظهيرة مطيعاً سامعاً، فأمره برفع الفساد في بلده، وتنفير الفواسد منها. وكانت قرارة الفساد فامتثل أمره وأزال معظمـه، ثم أتى إلى شعب[2] فأتاه رجل يستغيث وقد أخذه قوم من عذر يقال لهم العصيمات، وفسادهم كثير. فأمـر الأمير بقبض شيخ عذر قاسم بن جبر، ورجل مفسد منهم أيضاً كان يأخذ متاع الناس، ويسرق العبيد الإماء. وأتـى بهما إلى ظفار ـ حماه الله تعالـى ـ وقيد ذلك الرجل المفسد، فاضطربت أمور عذر من لزمهما، وخافـوا خوفاً شديداً. فأمـر الإمـام عليه السلام بإطلاقهما، والإحسان إليهما بعد قبض الرهينـة الوثيقـة منهما. والتزما برد ما أخذا وضمنا بما يحدث في المستقبل، ففعلا ذلك. فأمنـت السبل، واستراح الناس، ولم يهتم أحد منهم بعد ذلك بنهب أحـد ولا اعتراض إلى مسافـر. وكذلك فعل بقوم من بني جبير حي من وادعة،

---

(١) في الأصل (حرمه).

(٢) يوجد أكثر من مكان يحمل اسم شعب في أرحب، وفي ساقين غربي صعدة. ولكن الموقع المذكور كما هو واضح في النص يقع في بلاد عذر.

وكانوا قد تجنبوا في الطرقات ما بين حوث وصعدة. فقبض جماعة منهم إلى ظفار وعاقبهم بخمسمائة دينار، وأطلقهم بعد الوثاق منهم والضمانة بما يحدث من حادث في بلدهم على عابري السبيل. فصلحت البلاد وغلت أيدي المفسدين.

ثم عاد الأمير صفي الدين من ظفار حماه الله تعالى فجهز عساكر الغزوة، فقصد بها قوماً من عذر في موضع يسمى حبطاء[1]، كانوا ينتهبون أموال الناس، ويقطعون السبيل، ويأوون إلى هذا المكان، ولا يؤدون حقاً واجباً، ولا يدينون لطاعة. فغزاهم وهم على غفلة لا يظنون أن أحداً يصل إليهم، ولا ينبأهم[2] في صرمهم، فاجتاح أموالهم بأسرها وقسمها في العسكر، للفارس سهمان، وللراجل سهم بعد إخراج الخمس منها، وبعد أن أتت إليه امرأة من المأخوذين فارتبطت بعمود الخيمة، فمن عليها بثمانين رأساً من الغنم، وأتاه قوم آخرون منهم فأعطاهم من الخمس إلى العشر. وعاد إلى الخموس فجهز غزوة أخرى لقوم يقال لهم بنو سلمة من خولان بمكان يقال له ذات غبار بالقرب من حيدان والقد اليماني من بلاد خولان.

وركب بعد العصر يوم الخميس في العسكر فساقوا سوقاً عنيفاً

---

(١) حبطاء: قرية من عزلة السواد، ناحية العشة، على بعد ١٢ كم شمال غرب قطبين. وتقع ما بين: ٥٣″ ٢٨′ ١٦° شمالاً،
١٣″ ٣٩′ ٤٣° شرقاً.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٤٤٠؛ خريطة ج. ع. ي ١: ٥٠٠٠٠ صفحة 1643 D 1.

(٢) نبأت على القوم إذا طلعت عليهم. ويقال نبأت من الأرض إلى أرض أخرى إذا خرجت منها إليها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نبأ.

باقي نهارهم وليلتهم، فما طلعت الشمس إلا وقد أحاطوا بهم على وعث بلادهم ووعورتها. فغنموا أموالاً جليلة من الإبل والبقر والغنم، وصدروا بها سالمين. فأخرجوا أخماسها للإمام عليه السلام، واقتسموا الباقي على مقتضى الكتاب والسنة.

وأنشد للقاضي مفرح بن مسعود شعراً[1] ذكر ذلك فيه، وهو حاضر الحديث وراويه قال:

أوميض برق في عريض ساري	حتى طلوع الفجر ذات غبار!
في لجة نَقْعُ الجياد سحابها	يغشى الوهاد بفيلق جرار
نسج الحديد لباسها وعصيها	بيض الصوارم والقنا الخطار
زارت على بعد المزار عدوها	تحت اللوا المحفوف بالأنصار
يا حبذا من هاشمي قادها	شم الجنان مهذب مغوار
ما اعتاد إلا شيمة علوية	كسب المكارم أو رضا الجبار
قاد الخميس من الخموس فظفرت	يوم الخميس يداه بالفجار
زم[2] الجياد على ابتعاد مزاره	والعزم يسبق حلبة[3] الإنذار[4]
ورأت عساكره الغنيمة جمة	فتداعت الأحرار بالأحرار
وغدت منازل ضده قد أقفرت	منهم وأذن أهلها بدمار
وليهن مولانا صفي الدين هذا	الفتح والتمليك للأمصار

---

(١) في الأصل (شعر).

(٢) الزم مصدر زممت البعير إذا علقت عليه الزمام وهو المقود.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: زمم.

(٣) الحلبة: الدفعة من الخيل. ويقال للقوم إذا جاءوا من كل أوب للنصرة قد أحلبوا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حلب.

(٤) الإنذار: الإبلاغ، ونذيرة الجيش طليعتهم الذي ينذرهم أمر عدوهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نذر.

مسرى سرت فيه السعادة خدمة وأعانه الملك العزيز الباري
وعليه من برد المهابة جنة قد وشحت بسكينة ووقار
يحكي هلال التم إن عاينته وبنو أبيه حليتيه[1] دراري
قد قال قبلي قائل في مثلهم والشعر منتزع من الأشعار:
أسد - ولكن يؤثرون بزادهم - والأسد ليس تدين بالإيثار
فليهنهم نيل الغنيمة والعلا ومغار سعد فاق كل مغار
قد راع خولانا وفرت دهمة خوف الهلاك ولات حين فرار
فعلى النوى بلغ عزيز تهامة عن ليث معركة هزبر ضاري
ألا نجاة سوى الخضم لهارب فحذار من ليث العرين حذار

وكانت هذه الحوادث بعد الهدنة فأردت جمعها في موضع واحد لتكون متصلة.

قصة الهدنة التي جرت بين الإمام عليه السلام وبين وردسار:

وذلك عقيب الحروب التي تقدم ذكرها بالظاهر وذيبين، والاستظهار على أسد والجند الذين كانوا تحت يده بصعدة، وما تعقب ذلك من السيل بصنعاء بعد مراحه إليها الذي كان فيه عبرة للناظرين، وآية للمخالفين والموالفين.

وكان الإمام عليه السلام قد أضرب عن صلحهم، وشمر عن ساق الجد لحربهم لما جرى منهم من النكث بالإيمان المؤكدة، ونقض العهود المشددة التي تقدمت في الصلح الأول. فنهض إلى ظفار - حماه الله تعالى - من حوث بعد إثبات دار الضرب مستهل المحرم أول شهور اثنتين وستمائة وقد دنا حصاد الثمار في البلاد، وقد مس الناس

(١) في الأصل (حيلتيه).

ضـر وخوف من فوات الثمرة. فكان ينتابـه من كبـار أهـل البلاد ومشايخهـم من يشير عليـه في الصلح فيما بينـه وبين الغـز على أنهم يتحملون في أموالهـم ما حملهم على استقرارهـم في منازلهم وسلامة زرعهم. وكانـت البلاد المتصلة بحدود الغز قد حملت[1] بثمرة عظيمة، فكانـوا يخشون فواتها ويودون أن يسلـم لهم النصف منها، ويدافـع الإمـام عليه السلام بالنصف الآخـر لما لحقهـم من المشقة عقيـب الحروب وتعطـل البلاد وخراب ما خرب منها.

وكان الإمـام عليه السلام لا يرى للصلح وجهاً لما عرف من نكـث الغـز وغدرهـم وقلة وفائهم بعهدهم، وأنهـم لا يدعـون أمراً يمكنهم فعلـه، ولا يرقبـون فيه إلاً ولا ذمة. وكان ممن عنـي في الصلـح واجتهد فيـه عزوان بن السريحي الصاعي، وكـان بمكـان عند الإمـام عليه السلام لمـا علم من نصحه ومحبته، فبعـث من قبله رسولاً إلى الشريف الحسن بن عبد الله القاسمي وهو يومئذ بسر[2] بني حبيب من أعمـال صنعاء. وكان بينه وبين وردسار صحبـة وألفة، وكان يرى لـه ويقدره لصنيـع كان أسداه إليه أيـام قدم إلى الإمـام عليه السلام هارباً من إسماعيل ـ وقد أرصدت عليه من قبله العيون، وبذلـت فيه الأموال لقبضـه وهلاكه، فوافقـه الشريـف الحسن بن عبد الله بموضـع يسمى آنس فآنسه فيه، واستصحب له من أهـل البلاد وعرفهم بحالـه، وأنـه يريد القدوم إلى الإمـام عليه السلام ـ فحفظ تلك الصنيعة، وكان يقدره لأجلها. وكتـب إليه عزوان بن أسعد وسأله التقدم إلى وردسار والتماس ما عنده، وهـل له

---

(١) في الأصل (هوت).

(٢) سر الوادي: أكرم موضع فيه، والسر وسط الوادي، وسر كل شيء جوفه. ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرر.

رغبـة في صلح الإمام عليه السلام أم لا؟

فأتى الرسول والجواب بما وجـد عنده من الرغبـة الشديدة والإقبـال إلى الصلح والشهوة إلى الهدنة، وأمـر معه بخاتمه ذمة لمن يصـل إليه للصلح. فلما وصل الخاتـم وجواب الشريف، وكـان بحضرة الإمـام عليه السلام صنوه الأميـر عماد الدين يحيى بن حمزة، والأميران صفي الدين محمد بن إبراهيم وعلم الدين سليمان بن موسى في جماعـة ممن حضر من الشرفـاء وغيرهـم. فجـرى الكلام في أمـر الصلح، ورجحوا إنفاذه وتعاونوا علـى إمضائه. فلـم ير الإمـام عليه السلام بداً من المساعـدة بعد تعويـل عليه وإلحاح في السؤال إليه، والتمسوا من الشرفـاء من يوجهوه لذلك. وكـان الشريف منصور بن علي بن الحرب العباسي العلوي حاضراً فندبوه لذلك في الحـال، فنهض إلى صنعـاء، وتلقـاه الشريف الحسن بن عبد الله القاسمي فدخلا عليه ـ وهو بدار البستان ـ فأحسن مناصفتهما، وأخلى المجلس لهما إلا ممـن يخصه لمفاوضتهما.

وجرى الكلام في أمر الصلح على حدود البلاد، وشرائط الصلح الأول، وخلاص الرهائن التي قبضوها من بني صريم وبني شاور والأقهوم ووادعة وبكيل. وكانوا قد سلموا من أولادهم نيفاً على ثلاثين رهينة في الطاعة للغز، وتسليم المال. فساعد إلى ذلك على أن يسلم له الإمام عليه السلام على هذا الصلح في مدة عشر سنين متوالية وعشرة أيام وعشر ساعات. وأعطاهم الإمام خمسة عشر [1] فرساً سنة واحدة على تخليص الرهائن. وأراد وردسار تخليص ذلك في كل سنة خمسة عشر فرساً وخمسة عشر بعيراً. وكان هذا الشرط على الهدنة في هذه المدة من وردسار رغبة على ما ظهر منه في المسالمة والموادعة.

---

(١) في الأصل (خمس عشرة).

وكان قد حضر بشر بن علي الذعفاني، وعمرو بن المعترف، وجعار بن المكم واجتهدوا في المباعدة وفسخ الصلح. وقال بشر بن علي كما حكى عنه الشريف منصور بن علي العباسي: أن السلطان بشر بن حاتم قد خاطب في الصلح على تسليم ثلاثين فرساً، وأربعين بعيراً موقرة حديداً. وتعاون الحاضرون من المفسدين على الإثم والعدوان. وكلما استبنت أمراً ووقع العقد عليه اجتهدوا في نقضه. وبعث الشريفان لأجل ذلك وأمسكا عن الخطاب، لعلمهما أن الإمام عليه السلام لا يساعد إلى ذلك ولا يفعله، ولما شاهداه من اجتهادهم في المباعدة وكراهتهم للصلح. فحين رأى وردسار منهما الانقباض، وعلم أن كل من حضر من المفسدين يريد صلاح نفسه، وأن يبقى لهم النفع من عنده ما استقامت الحرب، فأنفذ ما توسط به الشريفان، وجعل كلام أولئك بمعزل. وصدرا منه على مشورة الإمام عليه السلام، ولم يكن أراد الخطاب إلا على عشرة أفراس.

وقدما إليه وهو بحصن ظفار ـ حماه الله تعالى ـ فحققا ما تقرر عليه الحديث وما وقع من المنازعة، وما انتهى الجميع إليه فاستشار أصحابه ومن حضره، وأجمع رأيهم على الصرم والنفاذ، وتسيير من يحلف وردسار، ويقع التمام على يديه. ولم يجسر أحد على القدوم إليه خوفاً من غدره، وما يعرفونه من نكثه ومكره.

وكان الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم يومئذ غائباً لتجهيز العمل والمتصرفين في ولايته في جهة المغرب وأعمال الخموس، وقد دنا حصاد ثمارها، فبعث الإمام عليه السلام بريداً بكتاب إليه يأمره بالوصول، ويوضح له ما تقرر عليه الكلام في أمر الصلح والحاجة إلى قدومه ليكون تمام ذلك على يديه. فنهض واستخلف من يقوم مقامه، وأتى إلى ظفار ـ حرسه الله تعالى ـ فأمره الإمام بالقدوم إلى صنعاء، وأمر معه القاضي نصر

بن محمد بن إبراهيم بن كليب، وهو يومئذ متولي أعمال الظاهر، وخلع على الشريف الحسن بن عبدالله، وحمله على فرس جواد، وصدروا إلى ذمرمر. وتلقاهم أخ لوردسار يقال له شمس ورجل من كبار الغز وأعلاهم منزلة عنده يقال له [ ] [1] فوقف رهينة بذمرمر لتطيب نفس الأمير صفي الدين بذلك. ولما وصلوا إلى صنعاء تلقاهم وردسار بالإكرام والمناصفة، والبر والملاطفة، وخلع على الأمير صفي الدين وعلي القاضي نصر بن محمد، وأقاموا عنده مدة أيام، وأمضوا الصلح على الهدنة المتقدم ذكرها في المدة المعلومة، واستحلفوه على اليمين التي حلف عليها آنفاً في الصلح الأول. وأخذوا خطه على درج كتبت فيه اليمين بعد أن تليت عليه من أولها إلى آخرها، فحلف وأعطى الله العهد على الوفاء والتمام. وأمر كاتبه بنسختها واشترط استحلاف جماعة بأسمائهم عنهم له الحاضرون، وحلول رجل منهم بحريمه وأولاده ببيت مساك. وكتبوا أسماءهم في قرطاس، وأمر القاضي الأشرف ـ وهو كاتبه وصاحب سره، وأرفع الكتاب منزلة عنده ـ بالقدوم لاستحلافهم على يمين الإمام عليه السلام التي حلف عليها.

وكتب الأمير صفي الدين إلى الإمام عليه السلام بذلك فنهض في لقائهم إلى حوث، واتفق وصولهم عند صلاة الجمعة في الجامع الشريف بحوث ومعهم بشر بن علي الذعفاني، فحضروها. وركب الإمام عليه السلام بعد صلاة العصر إلى القرية وقد عطلت لهم منزلة فنزلوا بها، وأمر لهم بما يحتاجون إليه فيها، فأمسوا ليلتهم، فلما أصبح قدموا إلى بين يديه وطلبوا استحلاف الجماعة المذكورين بأسمائهم وهم الأميران عماد الدين يحيى والحسن ابنا حمزة بن سليمان، والأميران صفي الدين محمد وصنوه

(١) بياض في الأصل.

حسام الدين القاسم [١] ابنا إبراهيم بن محمد، والأمير علم الدين سليمان بن موسى، والأمير تقي الدين القاسم بن الحسين بن القاسم الحمزي، والأمير سنان الدين الحسين بن الحسن. وكان الأمير عماد الدين قد تقدم لطيافة بلاده، فكتب إليه الإمام عليه السلام يأمره بالنهوض ويحضه على المبادرة بالوصول، وأعلمه بعجلة الواصلين من جهة وردسار، وما يخشون منه أن يثبطوا، فركب بغلته وساق [٢] سوقاً عنيفاً، وأتى إلى حوث وقد مضى جانب من الليل، وخلف أصحابه وخيله بعده. ووصل الباقون ممن اشترط استحلافهم إلا الأمير علم الدين سليمان بن موسى فلم يصل لأنه كان بالجوف، وبعدت عليهم المسافة لانتظاره.

فلما كان اليوم الثاني حضر الكل بمجلس الإمام عليه السلام، واستحلفهم القاضي الأشرف فحلفوا له على الوفاء ما استقام عليه وردسار. ولم يحدث منهم حدث، ولا من الجند المقطعين في حدود البلاد. فإن حدث منهم حادث أنهوه إليه فإن أزاله وإلا فلا إثم عليهم فيما يحدثون من الأحداث في بلاده. وكتبوا بذلك مشروحاً مقيداً بالشروط، وبقي الكلام فيمن يحل منهم بيت مساك. ووقعت المنازعة فيه وهابه الكل وقد وقع عليه الشرط، واعتذر كل من الأمراء الحاضرين بعذر، وطال الشرح فيما بينهم والمنازعة مدة يومين. وصعب عليهم الأمر، وأرادوا ضرب القرعة، ولم يتهيأ لهم ذلك، ولم يرد الإمام عليه السلام القطع على رجل إلا بمراضاتهم. وأعلمهم أنه لا عذر لهم من ذلك، فانتدب له الأمير حسام الدين القاسم بن إبراهيم بن محمد، وكان عنده امرأتان، فنقل إحداهما

---

(١) خلط الناسخ بين اسم الأمير صفي الدين وأخيه حسام الدين، وتم كتابة الأسماء صحيحه بالمتن.

(٢) في الأصل (وساقه).

إلى بيت مساك، وانفصل الأمر فيما بينهم.

ولما عزم القاضي الأشرف على المراح إلى صنعاء سأل الإمام عليه السلام إخلاء المكان له على انفراده ليقضي وطراً من مشافهته في خلوته، ويسترشد منه في أمر دنياه وآخرته. وكتب إليه قرطاساً في صدره هذه الأبيات وهي:

يؤمم منك الناس بحراً فكلهم ... لـه مـورد عـذب ودر ميسـر
وإني إذ أسميتك البحر باخس ... لحظك إذ يمناك للجود أبحر
شكرناك للدين الذي قيل والتقى ... وغيرك للإطراء والمدح يشكر

صلوات الله وبركاته، ونوامي زكواته، وأفضل سلامه وتحياته على مولانا وسيدنا المنصور بالله، القائم بأمر الله، أمير المؤمنين، وعلى آبائه الطاهرين صلاة باقية دائمة إلى يوم الدين. المملوك يقبل الأرض، ويخدم بالأدعية الصالحة التي لا تقطع وظيفته منها ما دار لسانه في لهواته عقيب صلواته، وأوقات خلواته. وينهي أن العلم الشريف محيط بالسبب الموجب لمثوله بالأبواب الشريفة، ويسأل صرف شطر من الهمة العالية في إنجاز ما وصل بسببه فهو متعين لإصلاح ذات البين بين المسلمين. فأوقات مولانا عزيزة لما هو بصدده في مصالح المسلمين.

وقد كان المملوك منذ وصل إلى اليمن يقصد الوصول إلى الأبواب الشريفة، ويعمل الحيلة في ذلك لعدة أسباب. أولها: وهو أهمها، قضاء أمر الواجب من خدمة مولانا ومتابعته ومشايعته. وثانيها: السؤال عن مشكلات عليه في أمر دينه يجلي عن الشك فيها بمشيئة الله تعالى ما يوضحه له بحر علمه. وثالثها: الاستضاءة بسعد بركته في أمر دنياه. ويحتاج في ذلك خلوة ساعة من الزمان ـ إن أمكنت ـ يكون الاجتماع فيهاعلى الانفراد ليصرف عنه ما هو عليه من شك وحيرة. لا زال مولانا

يقلد المنن ويشد المنن والسلام.

فأخلى له الإمام عليه السلام المكان، وأمره بالقدوم إليه، ورفعت عنه حوائج الناس ومطالبتهم حتى ذهب أكثر النهار، ولم يطلع أحد على مكنون حوائجه، وتبين له ما كان ملتبساً عليه، واتضح له ما اشتكل من الأمر الذي قصد إليه. وكان ذا علم ومعرفة. وجمل الإمام عليه السلام أحواله وأحوال الواصلين معه. فراح وقد أثلج الإمام عليه السلام صدره، وعم بالولاية والمودة قلبه حتى أن وردسار بعد مراحه إليه أمره بإنشاء كتاب إلى الإمام عليه السلام في حاجة عرضت. فبالغ في وصفه وتعظيمه وكثرة ألقابه، وأتى بالكتاب يعرضه عليه فغاظه ذلك وضاق به ذرعاً، فأراد أن يسطو به، وسبه وآذاه، ولم يكن بالقرب منه إلا الدواة فأخذها، وأراد أن يضرب هامته بها حتى حال دونه بعض من حضر، وأمر بإخراجه والاستخفاف به. وكان ذلك من أسباب نفوره عن خدمته ورجوعه إلى بلده. وكان ذا حالة جليلة عند الغز ومنزلة رفيعة. ومزق الكتاب الذي كتبه، وأمر كاتباً آخر بإنشاء غيره، فكتبه كما أراد. كل ذلك كراهة للحق وأهله، وبغضة دلت على خبث نفسه وفساد أصله. يريد وضع ما رفع الله بقوله، وإطفاء نور الله بجهله ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [(١)].

ولما انصرم الصلح وكان محمد بن كز اليرقشي قد قصد الإمام عليه السلام إلى ظفار - حرسه الله - يطلب الفسح منه وقد تفرق عنه الأجناد الذين تحت يده لسوء عشرته، وقبح معاملته، فنفروا عن خدمته وراحوا إلى صنعاء بعد أن أذن لهم الإمام عليه السلام. وشفع بالأمراء والحاضرين في التماس الفسح له، فدافعه أياماً، فألح في المطالبة والسؤال. فلما رأى أنه لا بد له مما قصد تصوره وقام في نفسه، وأن المدافعة لا تغني عنه،

---

(١) سورة الصف، آية ٨.

وإنما أراد بذلك له المصلحة، وخشي عليه سطوة سنقر ووردسار إن تمكنا منه؛ إذ لم يبق لهما معارض من الكرد سواه، فأذن له، وكتب له بذلك منشوراً، ولبث أياماً حتى أبل من مرض كان قد أصابه. ووافق ذلك وصول القاضي الأشرف وبشر بن علي الذعفاني للصلح، فعزم على القدوم معهما إلى صنعاء. فعوذه الإمام عليه السلام من الإقدام على الخطر، وضرب له الأمثال، ووعظه وذكره، فأصر على رأيه، ولم يقبل المشورة، ولا نفعته الموعظة.

وكان قد جمع عشرة رؤوس من الخيل الجياد المنتقاة، وبقي عليه شيء من أثمانها ودين كان قد استدانه، فتحمله الإمام عليه السلام عنه، وخلع عليه وعلى الباقين من أصحابه تفاصيل حريرية، وجمل أحوالهم. وصدر الجميع ناطقين بألسنة الشكر، والثناء الجميل حتى قدموا على وردسار، فما كان إلا المدة اليسيرة وخرج من صنعاء يريد القدوم إلى سنقر، فرسم علي بن كز، وأمر بحفظه، وحفظ دوابه، حتى صار إلى سنقر فقبض الخيل والدواب، وما كان معه. وأمر به إلى السجن بحصن التعكر من حصون مخلاف اليمن. فلبث به مدة طويلة حتى أشفى على التلف، وأطلقه بعد ذلك على أشر قضية.

ولما نفذ الصلح وطابت نفوس الرعية بما جرى من الهدنة، وأمنوا من شر الغز، انبسطوا لحصد الثمار وتحصيلها. وفرق الإمام عليه السلام العمال والمتصرفين لقبض الحقوق الواجبة فيها. وأتاه رجل من أهل صنعاء يستغيث وقد نهبه قوم من آل منصور حي من ذيبان، وقد أتى يريد العلم والدراسة في المدرسة المنصورية، وعنده محبة أكيدة، ورغبة شديدة. خرج من وطنه وأهله وهم على مذهب الباطنية، فشكا عليه ما نابه وحكى ما أصابه. وكان ذلك عقيب حوادث منهم في قطع السبل وأخذ

المسافرين، ومنع الحقوق الواجبة، وقتل رجل بسوق محصم ظلماً وعدواناً. فطالبهم الإمام عليه السلام عند إقبال الغز إلى صعدة بإحضار القاتل للقصاص منه وهو في بلدهم، فامتنعوا عليه وجحدوا كونه عندهم. فطالبهم بألف دينار عقوبة لهم، فكان امتناعهم أشد لقرب الغز. فأمهلهم حتى انقضى أمر الغز، ولزم جماعة من مشايخهم بعد أن أخافوا السبيل، وأفسدوا في البلاد، ونهبوا المسافرين. فطرحت في أرجلهم القرم والخشب، وعاقبهم بألف دينار، ورد ما أخذوه، حتى قطعة من زنجبيل كانت في جيب أحد المأخوذين. وسلموا الحقوق، واستمروا بعد ذلك، وحسنت طاعتهم.

وكان المتولي عليهم الشريف أبو هاشم بن محمد، ولم يكن قوي العزيمة في مطالبتهم بحقوق الله تعالى، بل كان يأخذ منهم ما تيسر، ولا يريد إتعابهم فعزله الإمام عليه السلام عن الولاية إلا في طرف من بلاد ذيبان فإنه أبقاه على ولايته. وولى ابن أخيه القاسم بن إبراهيم بن محمد عليهم. وأمر منادياً يسوق حوث لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من سنة اثنتين وستمائة فحط بقرية أثان [1] وأقبل أوائل العسكر، ولم يكن معه من الخيل إلا زهاء أربعين فارساً، لتفرق الناس في البلاد في أوان الثمرة. وبلغ الخبر إلى قبائل ذيبان، وتقدم إليهم الشيخ عيسى بن ذعفان البحيري، وطالبهم برد قماش الرجل الصنعاني، فدافعوه وغالطوه. ونهض الإمام عليه السلام إلى المنقل، وأمسى هنالك وبلغ اليهم العلم بقربه فسألوا عيسى بن ذعفان الشفاعة، ونظرة يومين حتى يجمعوا القماش من آخذيه. وكانوا قد تفرقوا في جهات مختلفة، ثم أتوا مجمعين إلى المنقل،

---

(١) يفهم من النص أن قرية أثان بالقرب من حوث، والمفروض أن تكون إلى الجنوب من حوث لأن قبائل ذيبان تقع مواطنها في بلاد أرحب.

فأظهروا الطاعة والانقياد للأمر. وسلموا القماش، وبقيت دنانير وقعت المنازعة فيها، وراحوا على تسليمها. والتزموا فيما يجب عليهم من أعشار أموالهم بشيء عينوه، ورأى الإمام عليه السلام قبول ذلك منهم لنفارهم عن الحق وقلة أنسهم بتأدية الواجبات. وغطى أمرهم على عوجهم.

ونهض إلى ظفار - حماه الله تعالى - وأقام به ستة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وأمر بالعمل في الخندق، وعمارة مخازن الحبوب. ونقل إليه في هذه المدة عدة آلاف من أنواع الحبوب، وكان الحب فيه قليلاً، والشحنة من الأصناف التي تفتقر الحصون إليها هينة. فما انقضت هذه المدة حتى صار فيه ما يقوم بأهله سنين متوالية من الماء، وأصناف الحبوب والشحنة.

وابتدأ بالعمارة في جامعة الشريف في أيام خلت من جمادى الآخرة. وأسست الدار، وقدرت مساكنها بحضوره عليه السلام. والجوامع المشهورة التي أمر بعمارتها إلى هذا الوقت جامع حوث، وجامع الحلة من أوطان بني صريم، وجامع أثافت، والجامع بالجوف الأعلى بهجرة سوق آل دعام [1]. والأشعار التي أنشأها بظفار - حماه الله تعالى - في هذه المدة مع وظيفته من قراءة القرآن الكريم صدر كل نهار، وجمعه الآيات التي ردتها المطرفية، وكذبت بها وهي أربعمائة آية وسبع وثلاثون آية محكمة لا تحتمل التأويل. وقضاء حوائج الناس والطيافة على العمال وإجابة ما يرد عليه من المسائل وإنشاء الرسائل مع إجابة الكتب الواردة من الجهات على

---

(١) يبدو أن هجرة سوق آل دعام هي درب فاضل التي أصبحت فيما بعد قرية الزاهر. ذلك أنه لم تذكر قرية الزاهر في مصادر تلك الفترة إلا في سنة ٦٤٧ هـ.
انظر: يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١ ص ٤٣٣.

القرب والبعد. فمن ذلك أبيات كتبها إلى السلاطين آل حاتم بذمرمر وقد بلغه قيامهم وتفقدهم لحصنهم، وإزالة المنكرات منه والشدة عليه. قال عليه السلام.

أتتني في ظفار مشوقات ... إليكم ذكرها يُرضي ويُسْلي
تضوع [1] في الندى إذا أعيدت ... كفار المسك [2] يوم ندى وطلٍّ
تذكرني مواقفكم قديماً ... وفعل سراتكم في كل حفل
تسابقت القبائل للمعالي [3] ... فكان جوادكم فيها المجلي
ففتم من يروم لكم لحاقاً ... بجد في المكارم لا بهزل
عمرتم مجدكم وفضلتموهم ... وأنتم بين عمران وفضل
نهيتم عن مناهي الشرع جهراً ... فأرضيتم بها سلفي وأهلي
حكى سعد لنا سعداً [4] قديماً ... غداة قُريضة [5] البر المصلي
محلى بالمكارم والمعالي ... وأحسن ما يكون السيف محلى
نماكم للعلا العالي علي ... وبشر الماجد السامي المحل
رجمت [6] الباهشين [7] إلى علاكم ... وينقلبون كالنعم المولى

---

(١) تضوع: تحركت. والضوع: تضوع الريح الطيبة، اي نفحتها. وضاع المسك وتضوع أي تحرك فانتشرت رائحته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضوع.

(٢) فار المسك يفور فواراً: انتشر. وفارة المسك رائحته. ابن منظور، لسان العرب، مادة: فور.

(٣) في الأصل (والمعالي) والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (سعد) والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل (فضيلة). والتصويب من الديوان.

(٦) راجم عن قومه: دافع عنهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رجم.

(٧) البهش: المسارعة إلى أخذ الشيء.

فلو رخصت لأحرزها سواكم ولكن بائع العليا مغلي
فدى لكم المقصر عن مداكم ولست أقول راحلتي ورحلي

ومنها جواب قصيدة جاءت من السلطان علوان بن بشر بن حاتم، وقد أصيب بموت امرأة له، وكانت حظية عنده. وهي ابنة عمه علي بن حاتم. فأجاب عنها بهذه القصيدة بعد صلاة العصر بمدة إلى غروب الشمس مع أشغال تعرض في حال ذلك. قال عليه السلام.

نبكي على عابر الدنيا وسالفها وما ننكر من رسم ومن طلل
وكلما قذفت فينا بأسهمها ونحن في دعة بتنا على وجل
فما تزال مراميها مقرطسة [١] في أكبد القوم واللبات والمقل
نسعى ونركد لا حزماً ولا كسلا حتى نفوز بين الحزم والكسل
وكلما امتد من آمالنا أمل طواه من غير رفق حادث الأجل
أستغفر الله قد أبغضت بهجتها فما أقول لشيء ليت ذلك لي!
نحن النيام وإن قمنا لعاجلها لئن [٢] غفلنا بها عن صالح العمل
يا باكياً لحبيب كان يألفه ابك الذنوب بمذروف ومنهمل
وكن على حذر مما فتنت به فربما جاءت اللذات بالعلل
بينا نرى المرء في الأحياء مغتبطاً إذ قيل مات فلان ثم قيل بَلي
ترمي الليالي فتشوينا وترشقنا بمؤبدات [٣] فتصحي مهجة البطل

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: بهش.
(١) القرطاس: أديم يُنْصب للنضال ويسمى الغرض قِرْطاساً، فإذا أصابه الرامي قيل: قَرْطَسَ، أي أصاب القرطاس، والرمية التي تصيب مُقَرْطِسَةٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قرطس.
(٢) في الأصل (لأن).
(٣) الأبدة: الداهية تبقى إلى الأبد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أبد.

ونبصر السم[1] في بيضاء شهدتها[2] فنشرب السم من حرص على العسل
تذكي بأكبادنا[3] من قدحها شعلا تزيد حراً على وقادة الشعل
رفقاً فقد يدرك الناجي منيته وإن مضت عنه أحياناً ولم تسل
فلو نجا لنجت عصماء[4] عاقلة تفرعت[5] ببراح[6] ذروة الجبل
تزجي من الغفر[7] خرقاً[8] لاقوام له ترجو له أن يملأ عيشة الوعل
أو أحقب[9] مضمر الكشحين ذو جُدَد[10] يستاق[11] سمرا[12] كأمثال القنا الذبل
لما توقدت الجوزاء هاج له شوق إلى نطف[13] زرق[14] بذي الوشل[15]

---

(١) في الأصل (الصم) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (مهجتها) والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل (بأكبادها) والتصويب من الديوان.
(٤) العصماء من الماعز: البيضاء اليدين.
(٥) الفروع: الصعود. فرعت في الجبل، صعدت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فرع.
(٦) في الأصل (بفراج) والتصويب من الديوان.
وبراح موضع في ثنية الحرة، وفيه تكثر حمر الوحش.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٨٣.
(٧) الغفر: ولد البقرة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غفر.
(٨) الخرق: الدهش. وخرق الظبي دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرق.
(٩) الأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حقب.
(١٠) الجُدَّة: الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جدد.
(١١) في الأصل (يشتاق).
(١٢) في الأصل (سراً).
(١٣) نطف الماء إذا قطر قليلاً قليلاً. والنطفة: القليل من الماء. ابن منظور، لسان العرب، =
مادة: نطف.

فساقها [1] وهي ترمي في جحافله	بنافذات كحذف [2] الأعسر العجل
وكلما بردت أذكى مواسمه [3]	على شواكلها بالقلخ [4] العضل [5]
وكل[6]هذي رماها الدهر عن عرض	بمصميات[7]همت[8]في عاد الأول
منها بنان [9] وأظفار مؤلله [10]	وغيرها بأماني [11] من الخطل [12]

(١٤) في الأصل (زرقا). والتصويب من الديوان.

(١٥) الوشَلُ: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً. والأوشال: مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وشل.

(١) في الديوان ج، د (فاستاقها).

(٢) الحذف: الضرب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حذف.

(٣) الميسم: هي الحديدة التي يكوى بها. واصله موسم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وسم.

(٤) القلخ: الضرب.
ابن منظور ، لسان العرب، مادة: قلخ.

(٥) العضل: الشديد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عضل.

(٦) في الأصل (فكل).

(٧) أصميت الصيد إذا رميته فقتلته وأنت تراه. ومعنى ذلك أنها الدواهي التي تسبب الموت السريع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صما.

(٨) في الأصل (رمت). والتصويب من الديوان. وهمت بمعنى صبت ابن منظور، لسان العرب، مادة: همى.

(٩) في الأصل وفي الديوان (بنات).

(١٠) مؤللة: محددة. وأللت الشيء حددت طرفه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ألل.

(١١) في الأصل وفي الديوان (بامنيات). والتَّمَنيّ: الكذب. وفلان يتمنى الأحاديث أي يفتعلها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: منى.

لو فاز بالخلد مخلوق لعزته	لعاش جداي قبلي أحمد وعلي
أتتني [١] من علوان مأكلة [٢]	ضاقت وساد فتى بالحادثات ملي
فـذكـرتني أرزائي بـرزئكمـا	كالطل يبدو أمام الوابل الهطل
فقدتما جوذري [٣] رمل كأنهما	بدران [٤] في هالتي موشية الحلل
وقد شركتكما في مثل رزئكما	بخاذل كقضيب الجوهر الخضل
ونلت دونكما ما لم ينل بشر	بفارس غير هيـاب ولا وَكل
يغشى الأسنة والأبطال ناكصة	كأنه شابك الأنياب [٥] في علل
ورد هريت يحامي دون أشبله	بمذريات لأسباب الردى [٦] رسل
لاقى الفوارس يوم السبت في لصف	فظل في عمل والموت في عمل
ما مات حتى حمى بالسيف مهجته	عن أكثر الجيش والأيام تشهد لي
مهذب لم يدنس عقد مئزره	سحر [٧] الفواتن بالألحاظ والكحل
حامي الحقيقة يستسقى بسنته	بحر يفيض على العافين بالنفل
يعطي الحسام غداة الروع منيته [٨]	وعامل الرمح من عل ومن نهل

= (١٢) الخطل: فحش الكلام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خطل.

(١) في الديوان (أتى).

(٢) مألك من الألوك وهي الرسالة.

(٣) الجؤذر والجوذر: ولد البقرة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جذر.

(٤) في الأصل (بدرين) والتصويب من الديوان.

(٥) الشابك: من أسماء الأسد. وأسد شابك: مشتبك الأنياب مختلفها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شبك.

(٦) في الأصل (الذرى) والتصويب من الديوان.

(٧) في الأصل (سحن) والتصويب من الديوان.

(٨) في الديوان ج، د (بغيته).

له حليفان: هندي ومطرد [١] غداة يهتف داعي الموت حبهل
فذلك الـرزء لا هيفاء نـاعمـة الأطراف تمشي هوينا كالوجي الوحل
كأنها درة الغـواص بـاكـرها شخت[٢] العظام تبيت الليل في شغل
فانحط في لجة خضراء طامية كصخرة قذفوها من شعاف [٣] علي
ففك عنها حجاجي[٤] حوية[٥] جمعت نفساً على حَبَل ناهيك من حَبَلِ
فحين كشف عنها خر مبتهلا عبادة لم تكن من عادة الرجل
لما رأى الملك في أثناء قبضته افتر عن قلح [٦] باد وعن ثعل [٧]
أو بيضة بين روضات معممة بالزهر تبرق عند الشرق والطفل [٨]
بات الظليم يصليهـا ويلحفها بوافر كبجاد الشيخ من عكل
أو جؤذر ظل ريق الشمس يغسله بمستجير على المتنين مشتعل

---

(١) المطرد بالكسر: رمح قصير يطرد به.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طرد.
(٢) الشخت: الدقيق. يقال للدقيق العنق والقوائم شخت. والشخت: النحيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شخت.
(٣) شعفة الجبل: رأسه، والجمع شَعَفٌ وشِعَافٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شعف.
(٤) الحَجَا: الستر. والحجا: الناحية. وأحجاء البلاد: نواحيها وأطرافها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حجا.
(٥) الحوية: مركب يهيأ للمرأة لتركبه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حوا.
(٦) القلح: صفرة تعلو الأسنان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلح.
(٧) الثعل: السن الزائدة خلف الأسنان. أو دخول سن تحت أخرى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثعل.
(٨) الطِّفْلُ: الشمس عند غروبها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طفل.

وسنان في ظل أرطاة[1] بمهلكة ترى بها الحسل[2] بادي الشخص كالجمل
أو دمية صورت في وجه مرمرة يظل يعبدها من قال بالأزل
صبراً فدى لكما رحلي وراحلتي فالموت حتم على الأنام عن كمل
من لم يمت عبطة[3] حتماً يمت هرما فأفضل الموت بين البيض والأسل

ومنها أبيات عارض بها ابن المعتز[4] قال عليه السلام:

بني عمنا إن يوم الغدير يشهد للفارس المعلم
أبينا[5] على وصي الرسول ومن خصه باللواء[6] الأعظم
لكم حرمة بانتساب إليه وها نحن من لحمه والدم
لئن كان يجمعنا هاشم فأين السنام من المنسم[7]

---

(١) الأرطى: شجر ينبت بالرمل، واحدتها أرطاة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أرط.

(٢) الحِسْلُ: ولد الضب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حسل.

(٣) مات عَبْطَةً أي شاباً، وقيل: شاباً صحيحاً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عبط.

(٤) قال ابن المعتز:

بني عمنا أرجعوا ودنا وسيروا على السنن الأقوم
لنا مفخر ولكم مفخر ومن يؤثر الحق لم يندم
ورثنا وأنتم نبي الهدى وذا المجد والشرف الأعظم
فأنتم بني بنته دوننا ونحن بني عمه المسلم

هذه الأبيات غير موجودة في ديوان ابن المعتز.
انظر، عبدالله بن حمزة، كتاب الشافي، جـ٢ ص ٧١؛ يوسف بن يحيى، نسمة السحر، ورقة ٢٥٣.

(٥) في الديوان ج، د (أبونا).

(٦) في الأصل (اللوى).

(٧) المَنْسِمُ، بكسر السين: طرف خف البعير.

=

وإن كنتمُ كنجوم السماء ... فنحن الأهلة للأنجم

ونحن بنو بنته[1] دونكم ... ونحن بنو عمه المسلم

حماه أبونا أبو طالب ... وأسلم والناس لم تسلم

وقد كان يكتم إيمانه ... فأما الولاء فلم يكتم

وآي الفضائل لم يحوها ... ببذل النوال وضرب الكمى

قفونا محمد في فعله ... وأنتم قفوتم أبا مجرم[2]

هدى لكم الملك هدى العروس ... فكافأتموه[3] بسفك الدم

ورثنا الكتاب وأحكامه ... على مفصح الناس والأعجم

فإن تفزعوا نحو أوتاركم[4] ... فزعنا إلى آية المحكم

أشرب الخمور وفعل الفجور ... من شيم النفر الأكرم

قتلتم هداة الورى الطاهرين ... كفعل يزيد الشقي العمى

فخرتم بملك لكم زائل ... يقصر[5] عن ملكنا الأدوم

ولا بد للملك من رجعة ... إلى سالك المنهج الأقوم

إلى النفر الشم أهل الكسا ... ومن طلب الحق لم يظلم

يغشون[6] بالنور أقطارها ... وتنسل عن ثوبها الأسحم[7]

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: نسم.

(١) في الأصل (ابنته) والتصويب من الديوان.

(٢) يعني أبا مسلم الخراساني.

المحلي، الحدائق الوردية جـ ٢ ص ١٨٣.

(٣) في الأصل (وكافأتموه) والتصويب من الديوان، ومن كتاب الشافي، جـ ٢ ص ٧٢.

(٤) في الأصل (فإن فزعوا نحو أوتارهم) والتصويب من الديوان، ومن كتاب الشافي، جـ ٢ ص ٧٢.

(٥) في الأصل (فقصر) والتصويب من الديوان ومن كتاب الشافي، جـ ٢ ص ٧٢.

(٦) في الأصل (ويغشون) والتصويب من الديوان ومن كتاب الشافي، جـ ٢ ص ٧٢.

(٧) الأسحم: الأسود.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحم.

ومنها ما لا تعلق له بالسيرة الشريفة، ومنها ما يذكر في مواضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى. ومما أتى إليه من القصائد وهو عليه السلام بحصن ظفار - حماه الله تعالى - في هذه المدة المذكورة قصيدة للقاضي عمرو بن علي العنسي. وكان قد وقع ببلاد الهراثم وجحدان من أوطان سهل وادعة محل وقلة من الماء فتعب الناس لأجله. فسألوا الإمام عليه السلام الدعاء إلى الله تعالى أن يسقيهم، فدعا لهم دعوة مباركة، فأنزل الله سبحانه عليهم خاصة مطراً هنيئاً[1] مريئاً[2]، ملأ مناهلهم، وسقى أوطانهم، فقال القاضي عمرو بن علي:

إمام الهدى فازت ظفار وأصبحت	تطول على كل البلاد وتشرق
سموت بها بدراً وليثاً ضبارما[3]	وبحراً على راجي الندى يتدفق
أقمت بها فالكل ينظر نحوها	ولم تزل الأحداق بالخير تحدق
أغرت بها البلدان فهي مشوقة	وكل مكان لم يعاينك شيق
فلو مشت البلدان جاءتك كلها	فما إن لها إلا بوجهك رونق
إذا غبت عنا فاسأل الله صبرنا	فكل فؤاد من فراقك يخفق
دعاؤك يدني كل قاص ويرتوي	به الشجر الذاوي اليبيس ويورق
دعوت لجحدان بغيث فجاده	سحاب غدت منه المناهل تفهق
شفعت له فاختصه الله بالحيا	وأنقذه والله بالقصد يرزق
فكل مكان لم يشاهدك ممحل	وكل رحيب لم يجاورك ضيق
فيا ناشر العدل أقسم الوصل إنما	بعادك يشجي المبعدين ويخنق

---

(١) في الأصل (هنيا).

(٢) في الأصل (مريا).

(٣) فرس ضِبِرٌّ أي وثاب. والضبر شدة تلزيز العظام واكتناز اللحم. وفرس مضبر الخلق أي موثق الخلق. ومنها يقال أسد ضبارم وضبارمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضبر.

بقيت تعز الدين يا بن مُعزه وتشجي معاديك الغوى وتشرق
وزارك منا كل حين تحية هي المسك بل أذكى وأعلى وأعبق

ومنها للقاضي علي بن نشوان، وكان أخوه محمد بن نشوان باقياً على المعارضة والخلاف فأراد تعريف حاله ومباينته لمن خالف الإمام عليه السلام، وأنه باق على طاعته قال:

أنت الإمام فمن عصاك فقد غوى ضل السبيل فحاد واتبع الهوى
كملت خصال الفضل فيك جميعها يا بن النبي فما يضرك من لوى
شابهت جدك حيدرا في قصده سبل الرشاد فأنتما فيها سوى
ونصبت أعلام الهدى ورفعتها فغدت معالمه منيفات الصوى [1]
ونفيت ظلماً في البلاد وباطلاً فجميع أرباب الضلالة في الهوى
فليهن أهل العصر عدل شامل في ظل دولتك التي نفت الجوى
وليهن كل موحد وموالف ما نال في عز بعصرك أو حوى
أمنت وأخصبت البلاد فلم يعد في الأرض زيغ في زمانك محتوى
فالناس في دعة وأمن دائم وسعادة ضمنت لكل ما نوى
يا من له نصر وحسن بصيرة يدري بها فإذا استهان بها هوى
هذا ابن حمزة قائم الحق الذي يروي فما كذبت روايته من روى
هذا هو المنصور غير مدافع محيى الشريعة مؤمن الفقر القوى
شهدت بذاك ملاحم ودلائل جاءت بمولانا الإمام على سوى
فالنصر والتوفيق من خدامه واليمن من قرنائه حيث انتوى

---

(١) الصوى: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها. والصوة: حجر يكون علامة في الطريق، والجمع صوى. ابن منظور، لسان العرب، مادة: صوى.

والسعد في حركاته خدن[1] له ... إن سار سار وإن ثوى أبداً ثوى
ما بال أقوام تماري دائماً ... في فضله وعلاه موثقة القوى
هيهات قولهم غوى باطل ... هل ينقص البدر الغوى ممن غوى
إني لمعتقد إمامته - على ... علم - وإن صد المعاند والتوى
ومناضل عمري لجاحد فضله ... حتى يعود إلى الصواب من انزوى
أرجو بطاعته جزاء دائماً ... ومثوبة ممن على العرش استوى[2]

[ومن القصائد التي وصلته أيضاً][3].

وَحُطّا على الرمضاء رحلي فإنها ... مقيلي وخفّاقُ البنود خيامى
ولا تتركا لي خفض عيشٍ فإنما ... بلوغ المعالي صحّتي وقوامي
ففي العِزّ تلقى عيش كل مغامر ... على المجد لا في مشربٍ وطعام
عداني أن ألقي المذلة صارم ... جريء على الأعناق غير كهام
وطِرْفٍ نُضاريٍّ إذا ما امتطيتُهُ ... فأقرب شيءٍ منه بُعْد مرام
حبيك[4] القرا[5] رحب اللبان مؤمن الـ ... ـعثار إذا يجري صليب حوامي
يجيب إشارات الضمير سلاسة ... فيغنيك عن سوط بها ولجام

---

(١) الخِذْن: الصديق والصاحب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خدن.

(٢) يبدو أن القصيدة انتهت عند هذا الحد. وقد ترك الناسخ باقي الصفحة بيضاء وكذلك ورقة كاملة، وكتب في الهامش (أظن من هنا ساقط ورقتين من الأم).

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة ليتم التمييز بين القصيدتين. والشعر التالي جزء من قصيدة لم يعرف مؤلفها.

(٤) المحبوك: المحكم الخلق، ودابة محبوكة إذا كانت مدمجة الخلق، وفرس محبوك المتن والعجز: فيه استواء مع ارتفاع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حبك.

(٥) القرا: الظهر، وقيل: وسط الظهر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قرا.

ودين وإسلام شددت عراهما بصدر رحيب صدره وقوام
هو الملك لا عرض له بمحلل مباح ولا معروفه بحرام
قطار[1] ونار حين يتلو جلالة يسرك في يومي ندا وخصام
مكارمه للمعتفي[2] غير قدة[3] وضربته في القرن غير قوام
ركوب لأنياح[4] الحتوف كأنما يجول بها في غارب وسنام
إذا ما اجتنى يوم السلام كأنما يُحَدِّثُنا عن يَذْبُلٍ[5] وشِمام[6]
كأن رباط الخيل حول قبابه عذارى خدور في ملاء شآم
يغير بها ملس المتون جسيمة ويرجعها بالكر غير جسام
إذا طرق اليوم العصيب ولثم الـ ـغبار محيا شمسه بلثام
وحام الجريء الشهم من سورة الردي وقل نصير[7] ذائد ومحامي
فرأى الإمام الحق صفوة حمزة لفك أسير أو لفل الهام

وأنشأ عليه السلام كتاباً إلى أهل لصف في جمادى الآخرة من

---

(١) القطار: جمع قطر وهو المطر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مطر.
(٢) العافية والعفاة والعُفَّى: الأضياف وطلاب المعروف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عفا.
(٣) القد: القطع:
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قدد.
(٤) ناح: اشتد. نَيِّحٌ: شديد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نيح.
(٥) شمام: اسم جبل من باهلة، ويعرف باسم أذني شمال.
الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٢٣٦، ٣٨٢.
(٦) يَذْبُل: اسم جبل ببلاد نجد لبني قشير، ويعرف الآن باسم صبحاء.
الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٢٣٤.
(٧) في الأصل (بصير).

سنة اثنتين وستمائة وقد بلغه جفوتهم لصنوه الشهيد في سبيل الله إبـراهيم بن حـمزة رضوان الله عليه، واستخفافهم بحـقه، فما عظّموا حرمته، ولا زاروا قبره، ولا عرفوا حـقه. وصدهم عن ذلك روافض الشيعة المطرفية الـذين هم حـلول بلصف بين ظهرانيهم، ونفورهم عن زيارته والتبارك بتربته. فعزم عليه السلام على نقله عنهم إلى الجـوف، ونسخة الكتـاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين إلى كافة الساكنين بلصف من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم.

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هـو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحـب ويرضى. أما بعد.

فقد بلغنا جفوتكم للشهيد الذي تُوُفّي بين أظهُركم، وحط رحـله بين أفنيتكم، وجاد بنفسه دون بلادكم، واستقبل بوجهه العدو صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصار فشلاً، وبلغت القلوب الحناجر وجـلاً، وظن قوم بالله الظنونا جزعاً، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحاناً، وزلزلوا بالحادثة اختباراً، فرخص عنده من الموت ما غلا عند غيره. وغلا عنده من الفرار ما رخص عند سواه. وعـلم القصد فتمم العزم ومضى على البصيرة على مناهج السلف الصالح، مستقبلاً لكثرة العـدو عزمة، ومستصغراً لعظيمه نجـدة. فبلغنا أنكم هاجـرون لقبره، قالون لمصرعه، قد صغّرتم منه ما عظّم الله سبحـانه، وجهلتـم ما علم الصالحـون خـبره. وكأنكم[1] لم تسمعوا قـول محـمد صلى الله عليه وآله فينا أهـل البيت خـاصة؛ أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حـمزة وجعفر رجـل منا أهـل البيت خـرج بسيفه

---

(١) في الأصل (وشكا كأنكم).

فقاتل إماماً ظالماً فقُتل. فهلا - رحمكم الله - استسقيتم بتراب مصرعه من الأدواء، وسألتم بتربة مضجعه رفع الأسواء، واستمطرتم ببركة قبره من رحمة ربكم طوالع الأنواء، وعظّمتم حاله كما يعظّم حال الشهداء، وأوجبتم من حقه ما ضيع الأعداء. وعمرتم على قبره مشهداً، وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصداً، ونذرتم له النذور تقرباً، وزرتموه تودداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وإلينا وتحبباً. فقد روينا عن أبينا رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث فيه بعض الطول أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه فبكى فهابه أهل المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال: ما يبكيك يا أبتِ. فقال: يا بني إني سررت بكما اليوم سروراً لم أُسَرّ به قبله مثله، فجاءني جبريل فأخبرني أنكم قتلى وأن مصارعكم شتى. قال يا أبت! فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قال: قوم من أمتي يريدون بذلك بري وصلتي. إذا كان يوم القيامة أتيت حتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها.

ألا فاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنَّا قد قلينا له جواركم، ورغبنا به عن داركم، وعملنا[1] بعد الخيرة لله سبحانه على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقه، ويتيقن فضله وسبقه. فلو رعيتم له حرمة القرابة، وفضل وراثة النبوة لعلمتم حرمة ذلك الدم الزاكي، وكثر عليه منكم الباكون والبواكي. فإن كان ذلك من غرضكم فإنا نفعله إن شاء الله تعالى. وإن لم يكن من إرادتكم فلسنا نتركه بتوفيق الله سبحانه والسلام والحمد لله وصلواته على محمد وآله وسلم.

---

(١) في الأصل (وعلمنا).

قصة المخرج إلى المعدن وبلاد خولان في جهة المشرق:

لما امتنعوا عن تسليم الواجبات، وتمردوا على الله تعالى، وفعلوا المنكرات وذلك عقيب إتيان الغز إلى البلاد، فقدم الشريف أحمد بن محمد السراجي وهو الوالي في بلادهم إلى الإمام عليه السلام إلى ظفار - حماه الله تعالى - فحكى تمرد القوم وامتناعهم عليه، وطلب القود إليهم.

وكان الأمير علم الدين سليمان بن موسى قد عزم على الخروج إليهم لتأديبهم والشدة عليهم وذلك بعد المخرج إلى الجوف، فأصابه مرض شديد أشفى على التلف. ومَنّ الله تعالى بعافيته لسد ثغر وإصلاح أمر. وكان الإمام عليه السلام قد وجد عليه وجداً شديداً، وأتعب المسلمين ما أصابه لكفايته في الإسلام، وقيامه بحمل الأمور الجسام، فكتب إليه وقد أَبَلّ من مرضه أبياتاً يهنئه بها. قال عليه السلام:

تبسمت الدنيا وأشرق نورها ... وعاد عليها يمنها وسرورها
وزالت دياجيها ببرء[1] مهذب ... يتوق إليها تاجها وسريرها
سليل ابن داوود مقدم هاشم ... سليمان مولى هاشم وأميرها
أصابته أوصاب. فكادت قلوبنا ... تزول ولولا الله كان مطيرها
فَحَمْداً لمن عافاه برأب صُدعها ... ويحمي به في كل أرض ثغورها
رضيع العلا سيف الخلافة ليثها ... حلاحلها[2] المفضي إليه أمورها
تحمل أعباء المكارم ناشئاً ... ولما يلح في عارضيه[3] شكيرها[4]

(١) في الأصل (ببرو).
(٢) الحُلاَحل: السيد في عشيرته، الشجاع الركين في مجلسه. وقيل هو الضخم المروءة. ابن منظور، لسان العرب، مادة: حلل.
(٣) عرض الشيء: جانبه. يقال. نظر إليه بعرض وجهه. ابن منظور، لسان العرب، مادة: عرض.

=

إذا الخيل بلت بالنجيع[1] محالها ومجت[2] بأمواه الصدور نحورها
حماها[3] ابن موسى الألمعي بعزمة له حسب من حيدر يستنيرها
إذا كانت الألقاب تلقى لعلة فأنت سوار المكرمات وسورها
على الله إتمام الذي منه برؤه بعافية فيك استمر مريرها

فلما زال معظم ألمه واشتد جسمه - وقد بقي معه عقابيل[4] حمى - جرد العزم للقود إلى الأعبل من بلاد خولان، وأهله باقون على الخلاف والامتناع عن تأدية الواجب. وكان عندهم ثمرة قد آن حصادها، فجهز عسكراً خيله تداني المائتين، وكان رجله قليلاً. واستعمل منجنيقاً صنعه رجل من أهل الغرب كان قد نفر من الغز إلى الإمام عليه السلام، وأقام عنده وأحكم صنعة المنجنيق الذي عمله، وأتى فيه بما لم يأت به صناع الغز. يجذبه القليل من الناس من العشرة إلى العشرين، وينقل من موضع إلى موضع. وهو مركب بحسب إرادة صاحب الأمر، وهو مع ذلك في الحمل الخفيف.

وبعث الأمير إلى الإمام عليه السلام - الشريف علي بن موسى العباسي العلوي - لاستيراد أمره فيما قد عزم عليه من الخروج إلى المعدن[5]، وطلب المادة برجال. فأمره بالقدوم على اسم الله تعالى،

= (٤) الشكير: ما نبت من صغارالشعر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شكر.

(١) النجيع: الدم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نجع.

(٢) في الأصل (وثجت) والتصويب من الديوان.

(٣) في الأصل (حماه) والتصويب من الديوان.

(٤) العقابيل: بقايا العلة. وقيل هو الذي يخرج على الشفتين غبَّ الحمى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقبل.

(٥) قرية المعدن سميت بذلك لاستخراج معدن الفضة منها، وهي بوادي الرضراض. =

وأنجده بمائة راجل ممن حضر على المبادرة. وكان قد وصل إليه خمسة عشر رجلاً من مذحج من بلاد بني حبيش سلاحهم القسي الفارسية، وهم يجيدون الرمي بالنشاب. أتوا قاصدين للجهاد في سبيل الله، والمواساة بأنفسهم في رضاء الله، فأمروا بالقدوم في جملة الصادرين، فبادروا إلى امتثال أمره عليه السلام، ونفعوا حيث توجهوا نفعاً عظيماً.

ونهض الأمير علم الدين سليمان بن موسى من الجوف الأعلى في العسكر يوم السبت لسبع خلت من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وستمائة، وقد بقي معه من الحُمّى ما يشغله في بعض الأوقات، فلم ير بداً من تحمل المشقة بعد اجتماع العسكر. فحط بمدينة بارقش. ثم نهض بعد ذلك إلى وادي الأعبل حتى أتى أسفله، وأتى إليه أهله بالطاعة والانقياد خوفاً على زرعهم، فرسم عليهم تسليم الرهائن من أولادهم على استمرار الطاعة، وتسليم الواجبات التي عليهم في أموالهم. فسلم أهل كل درب من دروبهم رهينة وثيقة، وبقي درب من أعلى الوادي لم يسلم أهله رهينة ولا دخلوا في [صلح][1] ولا تظاهروا في يومهم ذلك بمعصية.

وفي خلال ذلك أمروا لصروخهم من البلاد حولهم، ولم يحدثوا حدثاً حتى دنا الليل، وأقبلت إليهم أوائل صروخهم وموادهم. فبعث الأمير إليهم محمد بن حجاف بن حميدان النهمي لإبلاغ المعذرة، فدعاهم إلى الطاعة والدخول فيما دخل فيه أهل الوادي فأبوا، واستوى

= وكانت حداً بين نهم من همدان ومرهبة، ومراد وبلحارث وخولان العالية. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤.

(١) ما بين الحاصرتين إضافة لإتمام المعنى.

الأمير والمأمور. فلما أصبحْ أرسل إليهم رسولاً فعرض عليهم ما عرضه بالأمس من الطاعة فامتنعوا وتأهبوا للحرب، وبرزوا دون دربهم للقتال. فنهض الناس لحربهم على غير تعبئة، فأحاطت بهم جنود الحق من كل ناحية فهزموهم حتى بلغوا معهم الباب ولاصقوهم، وعدموا في الحال الآلات التي يهدمون بها، فلم يصنعوا شيئاً. وصار[1] أهل الدرب يحاربون من وراء الجدران ويمنعون أنفسهم. وطال القتال ونصب عليهم المنجنيق بعد أن فتر الناس وتعبوا، فرموا به على فترة فأصاب امرأة أهلكها، ووقعت جراحات كثيرة في الفريقين وقتل منهم جماعة.

ودنت الشمس إلى الغروب، فعاد الأمير إلى بطن الوداي، وجاشت صروخهم وموادهم من أقاصي المشرق فاجتمع في ذلك الدرب بشر كثير مع صعوبة المكان وضيق مسالكه. فأمر الأمير بحط المنجنيق ورحله خوفاً عليه. فلما أصبح ولم يبق طريق إلى قتالهم في الدرب لكثرة عددهم، انتشر العسكر لرعي الزرع وخراب البثار[2]، فنالوا من ذلك منالاً كثيراً. فهبط أهل الدرب ليزيحوهم من الزرع والخراب، فوقع قتال شديد، ورغبوا في العسكر لما مالوا عن الزرع وطمعوا فيهم، فنادى الأمير في جماعة من أصحابه فحملوا معه حملة واحدة. فطعن رجل من أعداء الله، قتل إلى غير رحمة الله، وساقوا الباقين من الوادي حتى علقوهم أسناد الجبال. ولم يبق للخيل عمل في الوعر، ووقعت صوائب متلفة في الخيل والرجال لم يفت منها أحد بحمد الله ومنه. فلما شاهدوا تلك الحملة انقبضوا في رءوس

(١) في الأصل (وصاروا).

(٢) البثار: الأبار الكثيرة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: بأر.

الجبال، ولم يهموا بعدها بهبوط الوادي، وحط الأمير من الوادي بحيث لا يخشى مضرة منهم.

فلما أصبح قدم إليه سلطانهم وهب بن فلاح سامعاً طائعاً، ممتثلاً للأمير، منقاداً للحكم. فبايعه الأمير على الطاعة وتأدية حقوق الله الواجبة - وهو قائد خولان لا ينقض أحدهم ما أبرم ولا يتعدون أمره، ويتحكمون لحكمه - فسأل رد الرهائن إلى أهلها، وتشفع عند الأمير بالحاضرين، وضمن وتكفل ما يجب عليهم وما يطلب منهم. وعلم الأمير تمكنه مما يريد في عشيرته، وأن ذلك أقرب إلى طاعتهم، فشفعهم وسلم إليه الرهائن. وأمر الشريف أحمد بن محمد السراجي بمطالبتهم فيما يجب عليهم.

ونهض بعد استقرار أمورهم يريد مأرب فاشتدت عليه الحمى، فاستعاد إلى الجوف. وكان قد بعث إلى أهل مأرب - عبد العزيز بن عقيل الجنبي - يلتمس ما هم عليه من طاعة أو معصية، فلما وصل إليهم أظهروا الطاعة والانقياد لأمر الإمام عليه السلام. وأتى منهم جماعة إلى الأمير وهو بالجوف فسمعوا وأطاعوا، وسألوا قاضياً من قبل الإمام عليه السلام يقيم الجمعة والأذان، ووالياً يقبض منهم حقوق الله تعالى، فأمر معهم الوالي، وجاء كتابه إلى الإمام عليه السلام في طلب القاضي، ولم يكن بحضرته من يقوم بذلك في الحال.

وأتى كتاب وردسار يذكر فيه الإصلاح وما انعقدت[1] عليه الشروط وتضمنه المشروح الذي كتب بينه وبين الإمام عليه السلام. وذكر أنه بلغ إليه أن عسكره قدموا إلى بلاد خولان، وجرى عليهم الكسيرة والخذلان.

---

(١) في الأصل (انعقد).

وأنها لم تذكر في جملة ما صدر في الكتاب وكذلك مأرب وبيحان فإنها من جملة ما قد أنعم به عليه السلطان واستعف من الحركة إليها والمعارضة فيها. فأمر بإجابته عن كتابه بأن خولان المشرق امتنعوا على الوالي من تسليم الواجبات، وأنه عليه السلام سير عليهم من يقبضها منهم، فإن سلموها وإلا حاربهم. وأما مأرب وبيحان فإنك تعلم استقرار أمرنا فيها، ومخرجنا إليهما قبل ولايتك لصنعاء. وكتب بخطه الكريم في آخر الكتاب، ورجاؤنا فيك متمكن وأن تقع نصرة هذه الدولة النبوية على يديك، وأن يأخذ الله إلى الخير بناصيتك، وأن تحكم عقلك على هوى[1] نفسك. وتعلم أن الدنيا طريق الآخرة، فأسعد الناس بها من تزود التقوى وربح الجنة، والخلود في دار النعيم والبقاء. والإنسان لا يدري متى يدعى إما إلى منزلة السعداء، وإما إلى دار الأشقياء. فانظر لنفسك ـ أرشدك الله ـ نظراً مخلصاً، وعلى قدر همتك وشرف نفسك في طلب الدنيا يكون ذلك في طلب الآخرة. ولولا ما يلزمنا من حق النصيحة، وما يلزم من قادم رعاية الصحبة لأضربنا عن هذا الحال لأن هذه بضاعة كاسدة في زماننا هذا، فالله المستعان.

وأما ما ذكرت من الخذلان فإن الخذلان معصية الله سبحانه ومخالفة أمره، فأما الدنيا فليس الظهور فيها دلالة الرضا ولا الغبن دلالة الغضب، لأن المبطل قد يغلب والمحق يُغلب. وقد قتل علي عليه السلام، وغَلب معاوية الحسن، وقَتَل يزيد الحسين. وهذه الدنيا دار امتحان وبلوى على الصالحين، وإمهال وتخلية للظالمين، فلا تنظر إلى هذا الأمر، ولا يغرنك بالله الغرور. فليس بين الله سبحانه وبين أحد قرابة، ولا خلقهم إلا للطاعة، فإذا ظاهر عليك نعمه فكافئه بحسن

(١) في الأصل (هواء).

طاعته، واستدم ما أتاك من إحسانـه بحسن عبادتك. واصبر من المشتهيات التي أقبحها عاقبة الخمـر مفتاح كل شر. واعلـم أنا نريد لك ما نريـد لأنفسنا، ونكره لك ما نكـره لها لوجـوب ذلك علينا، فإن لم تعلمـه فالله يعلمه، وإن رددت به فالله سبحانـه يقبله.

وكتب الإمـام عليه السلام إلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى بعد مراحـه من المعدن [كتاباً][1] فيه آداب وحكم في سياسة الأمـر، وفي صدره كلمات من أقوال الحكماء نسخته.

سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله لنا ولـك التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فإنك غبت ولم يغب عن القلب ذكرك والاشتغال بأمره، وقد صرت في أمـر عظيم يهون مع الصبر ومعونة الله سبحانه، فرأيت أن أكتـب إليك بأمور بلغـت إليَّ من آداب الملوك لتعتمده فينفع به وينتفـع إن شاء الله تعالى.

قال بعض الملوك لبنيه استعينـوا بالأشراف ولا تستعينوا بالسفلة، فإن النعمـة على الأشراف أبقى، وهي بهـم أليق، والمعـروف عندهـم أشهر والشكر منهم أكثر. وقالت الحكماء لا ينبغي للسلطان أن يحقـد لأن خطره قد عظـم عن المجازاة، ولا أن يحسد لأن شرفـه أعلى عن الحسد إلا أن يحسد ملكاً على حسن التدبير في رعيته فيعمل مثل عمله، ولا أن يغضب لأن الغضب والقدرة إذا اجتمعـا فيمـن لا يملك نفسه وقـع الهلاك. ولا يكذب لأن أحداً لا يقدر على استكراهه. ولا أن يبخـل لأنه أقـل الناس خوفاً للفقـر، إذ ماله سلطانه وهو معه. ولا يمنّ على رعيته بالإحسان إليهم

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

بحسن التدبير لأنه نفع بذلك نفسه، وحَلّى ملكه، كما لا يمن السلطان على ذاته لجلية سرجه ولجامه وركابه. ولا يتسرع بالإساءة إليهم لأن الإساءة إليهم تكدر ما قبلها من الإحسان، ولا يدع النظر في لطيف أمر رعيته اتكالاً على الاشتغال بحسبها، فإن صلاح كل واحد منهما لا يغني عن صاحبه. ولا تبدل أمراً فعله الصالحون قبلك، وانعقدت عليه الألفة، ورضيت به العامة. ولا تضع سيفك مكان سوطك، ولا سوطك مكان سيفك فإن لكل واحد منهما موضعاً إن ترك صاحبه فيه فسد الآخر. ولا تغفل مذاكرة العلماء في تثبيت سنن العدل. واعلم أن القضاء عمود الأمر، فاحفظ صاحبه لأن الناس لا يستغنون عنه ولا يصلحون إلا به، فإن حفظه يحيي الحق ويميت الباطل، وذلك علامة الحق وبرهانه. وتفقد أمور من يتولى خدمتك في جليل الأمور وحقيرها ليكون على معلوم في الإساءة، والتأديب للمسيء، والبر والإحسان إلى المحسن. ولا تجاوز الحد في العقاب ولا في الإحسان لأن لكل شيء حداً إذا تجاوزه فسد. وأشهر لمن تحت يدك أنك لا تعجل بالعقاب ولا بالثواب، فإن ذلك أدوم، الخوف والرجاء بهما تستقيم الطاعة. وبادر بعمل كل يوم بما فيه، ولغد ما يحدث في غد. وعليك بالعدل فمن حُرمه فلا خير فيه ولا للناس في سلطانه. ولا تعجل إلى تصديق الرعية، ولا تغفل عن إنصافهم، وأسرع إلى الاستماع منهم، وعدهم بحسن[1] الإنصاف لهم، وكافىء المحسن على إحسانه، وأجز[2] المسيء. وتثبت عندما تقول وعندما تفعل، وعندما تعطي وعندما تمنع. والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطاء، والإقدام بعد التأني أحزم من التأني بعد الإقدام. ولا تكل إلى غيرك من الأمور ما لا يقوم به سواك

(١) في الأصل (وعدهم وف لهم بحسن) وتم الحذف ليستقيم المعنى.
(٢) في الأصل (وتجزى).

فإن ذلك يفسد السياسة. واعلم أن الظفر ينال بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، وملاك الرأي تحصين الأسرار. وأدّب على الظن وعاقب على اليقين. واعلم أن الملك والدين أخوان لا يفترقان لأنك لا تجد ملكاً إلا وهو ينتسب إلى دين حق أو باطل لأن الدين أساس الملك، والملك حارس الدين، وقد أصبت من الدين أصحه بحمد الله، فابن عليه أمرك، وأشغل[1] بحفظ حدوده فكرك، وأعد للأمور[2] أقرانها قبل نزولها. وتفقد أمر نفسك فمن كان الناس أعرف منه بعيب نفسه فهو عاجز جاهل. وليكن أبغض الرعية إليك أكشفهم لعيوبهم عندك إلا أن يذكر أمراً يتعلق بدولتك فذلك ناصح[3] وليس بكشاف. وما تغطي فلا تكشفه فإنما عليك ما ظهر، وعلى الله ما بطن. وخص[4] سرك، واختر للمشورة أهل الرأي والحزم كما ذكرنا في عهد الولاية. وقد كنت ذكرت أمراً كالناقد فيه، وأغفلت عن الجواب عنه وهو أنك تشتد وتلين[5]. واعلم أن الملك لا يستقيم إلا بذلك لأنه لا بد للناس من منفس، فإذا فتحت الباب أغلقت، وإذا أغلقت فتحت ليجد الناس في أمر سلطان الأمر مسلكاً فيترددون فيه لأنك إن أَغْلَقْتَ وأَغْلَقْتُ، طلبوا في غير البابين طريقاً. ولكن إن لِنْتَ شَدَّدْتُ، وإن شَدَّدْتَ لِنْتُ. فليكن رجوع الناس من الحق إليه، ولا تعد ذلك نقضاً لما أبرمت، فإن قطعت على تصويب أمر فأمضه وإن أشرت بخلافه، فكما أن فرصته إذا أمكنتك عملها وإن لم يتقدم بها عهد. فهذه حكم قد خصصناك بها لمكانك منا فاتخذها قبلة، واعمل بمقتضاها

---

(١) في الأصل (واشتغل).

(٢) في الأصل (الأمور).

(٣) في الأصل (نصح).

(٤) ربما كانت هذه الكلمة في أصل المؤلف (وصن).

(٥) في الأصل (والين).

ترشد إن شاء الله تعالـى. والسلام عليك بقدر شوقنا إليك، ولا تخلنا من إعلامك والسلام.

قصة القاضي نصر وأسباب هلاكه وتعجيل النقمة من الله تعالى له:

لما نجم نفاقه بعـد انكتامه، وظهر نقصان دينه بعد تمامه، وكان قد بين النصيحة وأظهـر المودة الصحيحة، وتبرأ من مذهب الباطنية الذي نشأ عليه، وكان منتمياً إليه. وتظاهـر بعداوتهم، وانتصـب لمناظرتهم، ونصح في الخدمة، وأحسن في أوائل أمـره سياسة الرعية. واستخـرج الحقوق الواجبـة من أهلها، وضبط قوانينهـا من أصلها حتـى تمكنـت وطأته، وزادت[1] لفحته، واستحكمـت أوامره في البلاد، ولـم يبق لـه معارض في الإصدار والإيراد. فحينئذ بسط يـد العدوان في الأمـوال، وانتقـل من حـال إلى حـال. ثم تعدى أمره إلى الفساد فـي الدولة والاجتهـاد في زوال الأمـر في السر والجهر. فحكـى حاتم بن المكم أنه حض أصحابـه أهـل أثافت على الخلاف، وأمرهـم بالقدوم إلى وردسار، وأعانهـم بحصان وجمل، ومناهم بما لم يبلغـوا إليه حتى كان خراب أثافت وقلعة آل[1] المكم على يديـه وبأسبابـه.

ولما جهز الإمـام عليه السلام محمد بن كز في الجند الذين معه إلى صعدة، وركـب في تشييعهم من حوث، وعاد إلى داره بحوث، وجاءه الخبر بإقبال وردسار إلى ذيبين - في العسكر الذي كسر الله جنده وفل حده - فقدّم إليه طعاماً[2] ليأكـل منه فردّه وما كشـف له غطاء. ونهض في

---

(١) في الأصل (إلى).

(٢) في الأصل (طعام).

تلك الحال في لقاء عدو الله وليس معه شيء من المال. وأمر نصراً في التماس شيء لإنفاقه[1] في العسكر. فلبث أياماً والإمام عليه السلام يعد الناس لوصوله، ويأمرهم بالسلف والرهانات. فجاء بعد مدة وعنده أموال الناس محتكرة، وأقبل العسكر من كل ناحية يطلبون قضاء الديون واستخراج الرهون، فأدخل يده في جيبه، فاستخرج منه خمسة دنانير واعتذر بأنه ما وجد شيئاً سواها، يريد تصغير الأمر وانفضاض العسكر. فتعمدها الإمام عليه السلام، وأمر برهن درعه في شيء فرقه على العسكر. ولما قدم صحبة الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم إلى صنعاء لصلح وردسار، قال الأمير: بايع وردسار بحضوره، واستوثق منه على نفسه مع ما ظهر من الكلام بأنه عقد له بالولاية في البلاد واستحلفه على ذلك. ونَفَّر الغز الذين كانوا مع مبارز هلدري ومع ابن كز وضايقهم حتى طيرهم من البلاد. وفرق [أهل][2] المدارس بسوء عشرته وخبث ولايته، وكانت نفقاتهم على يديه. وكان سبب انتقال الشيخ العالم محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد إلى صعدة، فدعا عليه دعوة وافقت إجابة في نفسه وولده وأحبائه؛ فما كان إلا المدة اليسيرة حتى مات ولده ولم يكن له ذكر سواه، وذهب ماله، وهلك لا رحمه الله، وتفرق أحبابه. وكان إذا علم بأمر فيه نفع يعم الإسلام اجتهد في قطع أسبابه بإمكانه ومبلغ إحسانه.

ولما أراد الإمام عليه السلام ضرب الدينار والدرهم كان ذلك من أعظم ما نزل به، وكان يسخر ممن يذكره ويستهزىء به، ويهون الأمر فيه ويصغره. وجعل الإمام عليه السلام مسعود بن الأقحف الصنعاني

---

(١) في الأصل (لنفعه).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

محتسباً بحوث وأعمالها في إجازة الدرهم والشدة على من رده، والمصالح التي يعود على المسلمين نفعها في تفقد الميزان والمكيال، وإنصاف المظلومين من الظالمين، وإمضاء الحكم، وقبض زكاة التجار، وأخماس الحديد، ومنافع الحصن[1]، وشراء ما يفتقر إليه. وجعله شاهداً في دار الضرب، حافظاً لدخلها وخرجها، فقام في ذلك مقاماً محموداً، ونصح فيه لله تعالى. فوقع عند نصر من ذلك المقيم المقعد، واجتهد في نفيه من البلاد وهلاكه، ومنعه من قبض الزكاة من كل وارد وصادر، ومن الباطنية خاصة. وأظهر الغضب عليهم والمدافعة عنهم. وكان يأمر خدامه يرمونه بالليل بالحجارة إلى منزله، ويرصدونه في أوقات خروجه للصلاة. فخرج ذات ليلة يريد الصلاة فوثبوا عليه، فأصيب بحجر خر منها مغشياً، وأرادوا قتله فأسرعت الغارة عليه. فتقدم إلى ظفار للشكية على الإمام عليه السلام، وصحبه الشيخ الفاضل محمد بن الحسن الرصاص والعيون عليهما حتى صارا إلى موضع بالقرب من بلد تسمى الحبلة[2] فخرجوا عليهما مفاجأة، فضرب محمد بن الحسن ضربة اتقاها بسيفه، فأخذت بسيفه وأحدثت فيه ثلمة، ووقعت فيه جراحة خفيفة. ودافعا عن أنفسهما حتى أغار من كان بالقرب منهما، فوصلا وقصا خبرهما ونصر حاضر، فالتزم بالإنصاف والرضا، ولم يفعل شيئاً من ذلك، فتغافل الإمام عليه السلام عنه. وصدر من الحصن يتمادى في طغيانه، وعظم فساده، وظهر عناده.

---

(١) في الأصل (الحصى).

(٢) الحبلة: قرية من عزلة خيار، ناحية خمر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٦٩؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣٩٧.

وعزم الإمام عليه السلام على قبضه وأشياعه وأتباعه، فكتب إلى الأميرين صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم يأمرهما بالقدوم إلى ظفار - حماه الله تعالى - في ديوانهما وأعوانهما لحاجة بدت له. وكتب إلى القاضي نصر بمثل ذلك، فوصل الجميع إلى الحصن وأمسوا ليلتهم، فلما أصبح أمر بقبض القاضي ومن كان معه من أعوانه وديوانه، وأخذ خيلهم ودوابهم وسلاحهم، وأسورة فضة كانت في أيديهم، وأدرجت أرجلهم في القيود والقرم المعمولة من الخشب. وأمر به فسجن في الدار التي عمرها، واستحفظ به. وشاع الخبر في البلاد فعظم عند الناس ولم يكد أحد يصدقه لمكانه عنده عليه السلام، وتمكنه في البلاد. وأمر منادياً في الأسواق من كانت له مظلمة عند القاضي نصر فليصل إلى ظفار ليأخذ حقه. فمن الناس من وصل - وهم الأقل - ومنهم من توقف خوفاً من عاقبته. وأقام في السجن مدة وأيقن بالهلاك، وطلب الشفاعة والخطاب على يد السلاطين آل حاتم، وكان بينه وبينهم سالف مودة، وله عند الباطنية خطر جسيم وحظ عظيم. فطلبوا من السلاطين الشفاعة في فكه من الاعتقال، وألحوا عليهم في المطالبة والسؤال، فأجمع رأيهم على توجيه السلطان الأجل سالم بن علي بن حاتم لعظم حقه عند الإمام عليه السلام. فقدم إليه فتلقاه بما يستحقه من التبجيل والإكرام، وكان في جملة الكتب الواصلة صحبته كتاب في صدره هذه الأبيات.

إلى باب مولانا الإمام نيمم	وفي سوحه الرحب الخصيب نخيم
وعن هديه يهدي البرية إن عَمُوا	ومنه يرجى العفو إن زل مجرم
وما هالك يرجو النجاة وسالم	شفيع له إلا وينجو ويسلم
أدل بما تدلى من الود إنه	يشفَّع فيما رامه ويعظم

تطلع أبصار الذين تخلفوا إليه بمأمن فضل عفوك يقدم
ولو عظم الذنب الذي قيل إنه عظيم ولكن منه عفوك أعظم
سجية آباء أباة تقدموا إليها ومنها العالمون تعلموا
عليك أمير المؤمنين تحية من اللّه تترى دائماً وعليهم

واجتهد السلطان سالم بن علي في فكاك نصر من الاعتقال والكفالة بما يجب عليه من المال. وكان الإمام عليه السلام قد علم وجوب تخليده في السجن ومطالبته بمال الله، وآثر رضا الله تعالى على رضا خلقه، وقال للسلطان سالم بن علي لو وجودنا طريقاً للخلاص من عهدة ما يلزمنا لله لهان علينا خلاصه في حقك. فسأل الفسح من مكاتبة الأميرين السيدين يحيى ومحمد ابني أحمد، وطلب الفتوى منهما، لعله يجد سبيلاً إلى خلاص نصر فأذن له في مكاتبتهما. فعاد جوابهما بمثل جواب الإمام عليه السلام وأشد منه تضييقاً. فعاد السلطان إلى قوله فجرى الخطاب في تسليم الأمر على ستة عشر ألف دينار منها أربعة آلاف معجلة، واثني عشر ألف مؤجلة إلى خروجه عند أن يرى الإمام خروجه ويأمن من فساده. وعاد السلطان سالم بن علي راضياً بما فعله الإمام عليه السلام، وأخذ عقداً لنصر من القتل إلا أن يحدث منه ما يوجب ذلك. وسلم الأربعة الآلاف من حلية النساء والأثاث؛ وأظهر العدم، وتشدد بخطاب السلاطين عليه وشفاعتهم فيه. واجتهد إخوانه من الباطنية في أمره، وألحوا في الطلب على السلاطين في شأنه وخلاصه، فعزموا على القدوم إلى الإمام عليه السلام للخروج معه إلى صعدة والمطالبة في فكاكه. فعلم الله تعالى بالأصلح فعجل انتقامه، وجعل سبب هلاكه برياح القولنج على ما قيل، وكانت تعتاده في الوقت بعد الوقت. وأراح الله على المسلمين من شره، وعلى الدولة من فساده. وضيع أموال الله في أوقاته، وأودعها قوماً لم

يؤدوها إلى من خلف بعد وفاته، ولا استنفع بها في أيام حياته، فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين [١].

قصة الحوادث بصعدة بعد الاستظهار على الغز ونفيهم عنها وما يتصل بذلك:

لما صدر الغز من صعدة على الحال التي تقدم ذكرها، اضطربت أمور المفسدين من أهلها الذين شايعوهم وبايعوهم على ارتكاب الفجور، وفعل الشرور، وشرب الخمور. وكانوا قد تظاهروا على ذلك وأظهروه، وتمالأوا عليه ولم ينكروه. فأصبحت المشاهد المقدسة بصعدة ـ صلوات الله على ساكنيها ـ مهجورة، ومراتع الفجار بالفساد معمورة، وأيدي الصالحين مقبوضة مقهورة. وظنوا أن يد الظلم قد رسخت، وأن دولة العدل قد نسخت، فأوعث السفهاء، وارتكبوا الفحشاء، ولم يبق آمر بمعروف ولا ناه عن منكر حتى دهمتهم جنود الحق فأزالت بلطف الله سبحانه ولاة الفسق. وهبت رياح النصر للأولياء، وعصفت ريح الخذلان بالأعداء، فأصبح الضد مقهوراً، والولي منصوراً، والمشهد المقدس بعد الهجران مزوراً. وقال أهل العناد انظرونا نقتبس من نوركم، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، وصاروا يتوقعون موارد الحمام عند قدوم الإمام عليه السلام. وطالت إقامته عنهم لما كان بصدده من حرب الغز ودفع شرهم عن المسلمين واشتغاله بتقوية حصن ظفار ـ حماه الله تعالى ـ وعمارته وشحنته حتى صلحت أموره وتقوت أسبابه، فوقعت الهدنة بينه وبين وردسار.

وفي خلال إقامته عليه السلام لم تنقطع المكاتبة إليه من الأميرين السيدين الداعيين إلى الله يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى، ومن

---

(١) انظر سورة الحج، آية ١١.

صالحي أهل صعدة يستدعونه ويحضونه على المبادرة للشدة على المفسدين بها، وإصلاح ما اختلّ في أطراف البلاد. وقد امتنع أهل نجران من تسليم الحقوق الواجبة، وطردوا الوالي، وتظاهروا بالفساد. وخالفت يام في جهة القبلة وقطعوا السبيل، وأوعثوا في البلاد، ولم يمنعهم من الفساد في الأرض مانع، ولا دافعهم مدافع، وأخذوا المسافرين، ونهبوا الصادرين والواردين. وتعدى أمرهم إلى أن أخذوا جماعة من أهل هجرة قطابر - حرسها الله تعالى بالطاهرين - وفيهم رجل من عباد الله الصالحين يقال له قرة بن عدنان، فأخذوا ماله بعد أن أصابوه. وقتلوا رجلاً يقال له ابن الرعبة، وصارت صعدة مهملة مرسلة، وأموال الله تعالى فيها مضيعة، والبلاد حولها مختلة فاسدة. وكان الإمام عليه السلام قد جعل الولاية فيها وفي أعمالها إلى الأمير مجد الدين محيى بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الهادي عليه السلام لعلمه أنه يقوم بأعبائها، ويسد ثغورها، ويصلح أمورها. فكره والده له ذلك، وأراد له الزيادة في العلم والمواظبة على الدرس. وكان قد بلغ في العلم منزلة عالية، وأدرك فيه إدراكاً برز فيه على أبناء جنسه، فلم ينتظم للإمام عليه السلام مراده فيه، ولا ساعده والده إلى الولاية والاشتغال بها. فبقيت البلاد سائبة، والناس فوضى بعد موت الشيخ أحمد بن حجلان رحمه الله، وكان من الكفاة الوفاة، فقد مكانه، ولم يقم أحد مقامه. واشتغل الإمام عليه السلام عن طيافة البلاد، وعاقته [١] العوائق، ورأى إيثار المهم من الأمور، وما يعم نفعه في الإسلام. وجاء كتاب قرة بن عدنان يشكي ما جرى عليه من يام ويستغيث بالإمام عليه السلام، فكتب إليهم هذا الشعر.

أمعشر يام منهج الحق واضح   فإن تجهلوه أوضحته الصفائح

---

(١) في الأصل (عاقه).

أتانا على نأى الديار بأنكم فعلتم أموراً كان عنها منادح [1]

قطعتم سبيل المسلمين ضلالة ولم ينهكم عن ذلك الفعل صالح

فأين بكم يايام عند وصولنا إذا امتلأت بالدارعين الأباطح

وجاشت بفتيان الصباح كأنها جوارح الجأها إلى الوكر بارح [2]

عليها كماة من نزار ويعرب بهاليل طعانون شوس جحاجح

رويدكم لا تستطيلوا مقامنا فما أحد منكم [3] لدى الحرب رابح

ألسنا نزيل الملك من [4] عقر داره ونجتاح من تطغى عليه الجوائح

وكم فيلق كالبحر قدنا إلى العدا فرحنا وقد قامت عليهم نوائح

وكم غارة شعواء قدنا رعالها بمنقودة [5] منها رباع وقارح [6]

على عارفات باللقاء عوابس فهن غداة الروع قب كوالح [7]

بها كل سام في اللجام إذا طغى فلا هو شماس [8] ولا هو جامح

---

(١) الندح: ما يستغنى عنه أو ما يستغنى به عن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ندح.

(٢) البارح: الريح الحارة في الصيف. والبوارح: الرياح الشدائد التي تحمل التراب في شدة الهبوات، واحدها بارح. والبوارح: الأنواء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: برح.

(٣) في الأصل وفي الديوان ج، د (منا) والتصويب من الديوان أ، ب.

(٤) في الديوان ج، د (عن).

(٥) القود: الخيل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قود.

(٦) قرح الفرس: إذا انتهت أسنانه، وإنما تنتهي في خمس سنين، لأنه في السنة الأولى حولي، ثم جذع، ثم ثني، ثم رباع، ثم قارح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قرح.

(٧) الكلوح: تكشُّر في عُبُوس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كلح.

(٨) الشِّمِسُ والشَّمُوس من الدواب: الذي إذا نُخس لم يستقر. وشمست الفرس: شردت=

كأن يديه والجياد سوابح ... يدا ماتح سنا له الجذب مائح [(1)]

تَنَاهَبُ [(2)] بالأيدي الفجاج كأنما ... سوابحها تسطو بهن الروامح

من الآلفات الجري حتى كأنها ... سفين على الأمواج جون طوافح

تكل الرياح الهوج وهي نواشط ... فهن بين الدارعين موارح [(3)]

عليها صميم من لؤي بن غالب ... ومن غيرهم بيض خفاف مراجح

يقومون يوم الروع للبيض والقنا ... إذا خف من وقع السيوف الوحاوح [(4)]

لهم وقعات شاع في الناس ذكرها ... وأسيافهم للمقفلات مفاتح

سلوا عنهم الجنات أيام حربها ... وبالحقل لما صاح في الناس صائح

ويوم تمشت في العواهل شزبا ... تنافر عنهن الظبي الشوائح

ومأرب أوبيحان أو أرض طرطر [(5)] ... غدية لاحت في العدا اللوائح

وعندكم يايام منها مشاهد ... دلائلها للناظرين لوائح [(6)]

فما عذرنا في قصدكم في دياركم [(7)] ... وقد ظهرت منكم خطوبٌ فوادحُ

= وجمحت ومَنَعَتْ ظهرها.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: شمس.

(1) الماتح: المستقي من أعلى البئر. والمائح: الذي يملأ الدلو من أسفل البئر.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: متح.

(2) في الأصل (تناهت) والتصويب من الديوان.

(3) فرس مروح وممراح: نشيط.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: مرح.

(4) رجل وحوح: شديد القوة، ورجال وحاوح.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: وحح.

(5) وادي طرطر: يقع على الطريق بين جرش في رأس وادي بيشة وبين صعدة.

انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٠، ٢٣٥.

(6) في الأصل (لوامح) والتصويب من الديوان.

(7) في الأصل (لدياركم) والتصويب من الديوان.

نكثتم عهوداً جمةً تعرفونها [١] | لها طالبٌ فيها [٢] الثنا والممادحُ
نطحتم جبالاً[٣] راسيات أصولها | تصدع منهن القرون النواطح
وأنسيتم الإحسان والعفو عنكم | ليالي ضاقت بالقلوب الجوانح
بشيخين من آل الرسول عليهما | ثياب تقى مادنستها الفضائح [٤]
هما نهانا عنكم غير مرة | بحلم له وزن على الشم راجح
وأملاك همدان سلاطين [٥] حاشد | رفونا [٦] وردوا قول من هو كاشح [٧]
وقالوا هبونا قومنا وفنوبهم | لعل زناد السلم يوريه [٨] قادح
فغيرتم وجه الصنيع وكنتم | كباحث ظلف حين أعوز ذابح
فلا بد من يوم عليكم عصبصب | ففي السيف برهان مع الحق واضح
هنالك ينسى الشيخ فيها صبوحه | إذا طلعت في رؤوسهن المصابح
ويحدث أمر لا يُنادي وليدُهُ | تعطل عنه الشائلات اللواقح
وتنسى به المقلاة غابر نسلها | ويحجر فيها كل من هو [٩] نابح
فإن لم تنيبوا قبلها فتوقعوا | مدمدمة[١٠] تبيض منها المسابح

(١) في الأصل (تعلمونها) والتصويب من الديوان.
(٢) في الديوان د (فيه).
(٣) في الديوان ج، د (صخوراً).
(٤) هذا البيت ساقط من الديوان ج.
(٥) في الأصل (سليمان).
(٦) الرفاء: السكون والطمأنينة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رفا.
(٧) الكاشح: العدو المبغض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كشح.
(٨) في الأصل (يرويه) والتصويب من الديوان.
(٩) في الأصل (أهرت) والتصويب من الديوان.
(١٠) دمدم: أهلك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دمم.

وقدم الشيخ سليمان بن غنيمة الزيدي إلى الإمام عليه السلام، وكان هو وأصحابه من آل الزيدي قد مالوا من درب الإمام عليه السلام عند إقبال الغز بأنفسهم وأموالهم، وكان قد أمرهم بذلك. فلما هدمت داره طالبوهم بتسليم مال على سلامة دورهم فامتنعوا عن ذلك، ورضوا بأن يكون لهم أسوة بالإمام عليه السلام في خراب داره، فهدمت منازلهم. وغنم الفرصة في الاستقصاء في هدمها أصحابهم أهل صعدة من الحدادين وسواهم، وأخذوا أخشابها وأبوابها واستقصوا في خرابها.

وأقام آل الزيدي ببلاد خولان مدة طويلة في أيام الغز وبعد الاستظهار عليهم، ولم يخالطوهم ولا أنسوا إليهم مع رغبتهم فيهم وفي رجوعهم إلى صعدة. فصبروا على فراق الوطن وانقطاع المواد والمنافع حتى ظهرت يد الحق وفتح الله تعالى لوليه بالنصر، فأتى الشيخ المذكور يطلب النجدة على المفسدين من أهل صعدة، وأخذهم بما يجب عليهم بحكم الله تعالى فيما فعلوه في منازلهم. فأجابه الإمام عليه السلام إلى ما سأل، وعاقت الأشغال عن المبادرة. فلبث مدة، وجاءت مكاتبة من أصحابه وشعر يحكون فيه أحوالهم، وما نالهم من المشقة وطول الانتظار، والشعر للفقيه يحيى بن أحمد الملقب بالنور الزيدي:

كتبنا وقد ضاقت علينا المذاهب	وأعيت علينا في البلاد المطالب
سئمنا حياة نحن فيها وعيشة	مكدرة قد نغصتها النوائب
ولا عيش ما لم ترقل الخيل في الدماء	وينصب ما بين الدروب المضارب
وتنشر رايات الإمام بصعدة	وتجري على الباغين فيها المصائب
وينفك برج نحن فيه وتنجلي	من الظلم والتوبيخ عنا الغياهب
لحا الله دهراً شتتنا شئونه	وأردفت الأضداد فيه الأقارب
وصرنا به تدمى كلام قلوبنا	ويرحمنا فيه العدو المحارب

وطال أمير المؤمنين انتظارنا إليك ولم ينجح إليك المآرب
تناسيتنا يا ابن النبيّ محمد ونصرك للمظلوم والجار واجب
علام سليمان لديك مخيم له مدة يرجوك والحق لازب
وأطفاله في كل فج طرائح دموعهم شوقاً إليك سواكب
وأنت بحمد الله حي وقادر وسعدك يا خير الخلائق ثاقب
وقد قيل لم يقبل سليمان ما بدا من العذر قلنا إن ذا القول كاذب
أمن حسن ما قدمتموه إلى الذي أسنته تشتاقكم والقواضب
إمام الهدى لاغيبتك يد الردى ونفديك منها عجمها والأعارب
أجب دعوة الملهوف وانصر معاشراً مودتهم ما شابها الدهر شائب
وجرد حسام العزم وابعث كتائبا مجردة ضمت إليها كتائب
أغر غارة شعواء يا بن محمد على الفور حتى لا يفوتك هارب
وخرج أسود الغاب أبناء حمزة فإنهم شم الأنوف الكواكب
هم الناقمون الثأر من كل مارق وأسد الشرى والمارقون ثعالب
أليس عماد الدين يحيى بن حمزة أخاك الذي قد حنكته التجارب
هو السيف والغيث الذي ليس مثله سواك هو الليث الهصور[1] المواثب
إذا حضر النادي فبدر دجنة وإن جاد لم يدرك نداه السحائب
وللحسن المفضال صنوك رتبة من المجد لا تدنوا إليها المراتب
له همة تعلو ونفس شريفة وليس له إلا العتاق مواهب
وذو الشرف الأسنى محمد لم تزل مكارمه تحدو بهن الركائب
خليل أمير المؤمنين وسيفه ومن خضعت طوعاً لديه المغارب
وإن سليمان بن موسى لصارم لأعداء مولانا الإمام مناصب
له شهدت في كل يوم كريهة بطعن الكلى سمر القنا والسلاهب

---

(١) في الأصل (الحصور).

وكل موالينا بني حمزة لهم سوابق فضل في العلا ومناقب
فناديهم يا حجة الله عنوة فكلهم سيف بكفك قاضب
ولا مظل بعد اليوم للدين لامرىء له أشهر تحت الركاب مطالب
وأنفسنا ترجو وبرق رجاؤنا يخلب والأيام فيها العجائب
ودم وابق في العلياء ماذر شارق وما دب فوق الأرض سار وسارب

فعزم الإمام عليه السلام على النهوض إلى صعدة. وكتب إلى الأمير صنوه عماد الدين يأمره بتجهيز العسكر للقود إلى صعدة. وأمر الأميرين صفي الدين وعلم الدين بمثل ذلك، فتأهب الكل وحشد كل من كان في جهته حتى أتى كتاب الأمير بدر الدين محمد بن أحمد من صعدة يحكي ضعف البلاد، وعدم الأعلاف فيها. وأشار إلى التوقف مدة لدنوالثمار، فرأى الإمام عليه السلام المساعدة والتأخير للمخرج إلى وقت آخر. وكان قد كتب إلى الشرفاء آل الهادي إلى الحق عليه السلام وقد بلغه اختلال أمورهم، وما وقع منهم من الأمور التي لا يرضاها الله تعالى وصار منهم قوم يأوي اليهم المفسد فيأوونه، ويلتزم بهم فيمنعونه، ولا ينكرون الفساد في دربهم ويتظاهر[1] به أهله فلا يزجرهم زاجر، ولا يحول بنيهم وبين مرادهم حائل. وكثر ذلك في ناديهم ولم ينكره الصالح منهم، وتهاونوا في الأمر حتى عم الأكثر، وصار المفسدون يسرقون أموال الناس وعبيدهم ويأخذون أمتعتهم، ويأوون إليهم فيمنعونهم ويدافعون عنهم، وسلكوا في ذلك ما لا يليق بمثلهم. وتواترت الأخبار إلى الإمام عليه السلام من صلحاء أهل البلاد وسواهم. فكتب إليهم كتاباً[2] من فداحة ما نسب إليهم نسخته.

(١) في الأصل (ويتظاهرون).
(٢) في الأصل (كتاب).

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله المنصور بالله أمير المؤمنين سلام عليكم.

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد وسلوك مناهج السلف الصالح من الآباء والأجداد الذين نزلت فيهم البشارة إلى أبينا محمد صلى الله عليه بقوله سبحانه ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾[1] أما بعد:

يا أولاد خير الناس في عصره فلا بد لنا ولكم من مقام تندى فيه جباهكم وتنبس شفاهكم. فقد بلغنا سلوككم مسلكاً لا يليق بأصلكم سلوكه، له عند أبيكم سلام الله عليه ورضوانه حكم لا بد فيه من نزوله. اعلموا أن طهارة الوالد لا تعصم الولد من أن يليق به سوء عمله، ولا يصغر عند أهل البصائر عظيم ذنبه بل ذلك مما يعظم جرمه، ويكثر نقصه، ويلمه. قال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ﴾[2]. فما ضركم لو شيدتم ما أسس آباؤكم الطاهرين وسقيتم ما غرس أسلافكم الصادقون فكنتم كما قال ابنُ جعفر[3]:

إنّا وإن آباؤنا شَرُفَتْ ... لسنا على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلُنا ... تبني ونفعلُ مثل ما فعلوا

---

(١) سورة الرعد، آية ٧.

(٢) سورة الحديد، آية ٢٦.

(٣) ينسب هذا الشعر لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب كما ينسب كذلك إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد جاء البيت الأول في ديوان عبد الله بن معاوية على النحو التالي:

لسنا ـ وإن كرمت أوائلنا ـ يوماً على الأحساب نتكل

انظر، شعر عبد الله بن معاوية، ص ٦٣.

أخبرونا ما الفعل الذي اختص به المفسدون في بلادكم؟ ورفعتم نفوسكم عنه ليبقي لكم مرتبة الشرف، وفضيلة ولادة النبوة والإمامة. أفلستم جند أسد؟ - ألها تكون معه حرمة ذلك البلد؟ - المشاركون في أذية تلك المشاهد المقدسة المكرمة، والأرواح المطهرة المعظمة. ما كان عذركم إلى أبيكم صلوات الله عليه وعلى الطيبين من آبائكم ومنكم لو بعثه ربه؛ فهو على ذلك قدير، وأنتم على باب أسد مكفرين[1] في السلاح بتلك الخيل الحسان، والرماح الصلاب الطوال، تنتظرون إذنه لخدمته وصباحه. والمعاصي والمنكرات قد سكت مسامع أبيكم عليه السلام، ومسامع الطيبين من آله، ونطقت[2] مسجده، وأحاطت بمشهده. أفتظنون أن أمير المؤمنين ينساها لكم؟ أو يسوغكم ما يجب من الحق لأنفسكم على أنفسكم؟ أو يبدأ بإقامة الحق على غيركم؟ لو فعل ذلك لنا نظلمكم، واستحقب عظيم وزركم وإثمكم. لا بد من عض التفاف[3]، ليأخذ من فرعكم لأصلكم، ويقوم ما مال من ظلمكم، ويؤدي ما يجب من حرمة جدكم سلام الله عليه ورضوانه، الذي[4] استضأنا بنوره من ظلم الشبهات، وببركة سعيه تسنمنا عالية الدرجات. فكنا ومن سلك منهاجه من ذريته الطيبين سلام الله عليهم أجمعين أولى به منكم بشهادة الكتاب وحكم رب الأرباب، قال الله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم

---

(١) الكفر: التغطية. يقال للابس السلاح كافر، وهو الذي غطاه السلاح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كفر.

(٢) النطف: التلطخ بالعيب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نطف.

(٣) التف: وسخ بين الظفر والأنملة؛ وقيل: هو ما يجمع تحت الظفر من الوسخ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: تفف.

(٤) في الأصل (الذين).

للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾[1] وقد بلغنا تخبط سفهائكم على الرعايا وسرق عبيد المسلمين وأمتعتهم، فما أنكر المسلمون ولا غير الصالحون، أفهذا فعل أولاد النبيين، وذرية الأئمة الهادين؟ وعند الاتفاق إن شاء الله ينجو الصادقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وينزل بأهل الضلال عقوبة تنسيهم العذاب الأكبر بالعذاب الأدنى. هذا وقد بلغنا توبة من تاب، وإنابة من أناب، ولكن لا توبة في عصرنا إلا بتشمير في الجهاد، ومباينة لأهل الفساد. إنما بايع رسول الله صلّى الله عليه وآله الرجال مع النساء في العقبة الأولى؛ فأما البيعة الأخرى فعلى حرب الأسود والأحمر، والأمر بالمعروف والنهيْ عن المنكر. فبذلك عز الإسلام، وقامت قواعده، وظهرت أدلته، وبانت شواهده. فعند ذلك وجب على الرجال غير المعذورين التجرد للنضال، والركوب للأهوال في طاعة ذي الجلال، والاستهداف للقتل والقتال. فمن تأخر عن ذلك منهم وقام بسائر الفرائض غيره ظهر عصيانه، وفسد إيمانه، واتضح خلله، وبطل عمله. فانظروا لأنفسكم نظراً مخلصاً، وارجعوا إلى قديمكم لتفوزوا مع الفائزين اليوم وغداً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فلما بلغ إليهم الكتاب، وقرأوه، واستوضحوا ما فيه، ضاقت مبايضهم، وأتعبهم، ولم يقر بهم القرار، وبادروا بالقدوم إلى الأميرين السيدين إلى هجرة قطابر يلتمسون ما عندهما؛ فوجدوا غلظة شديدة في طاعة الله تعالى ورضا الإمام عليه السلام. وهبط الأمير بدر الدين معهم إلى دربهم بالجبجب[2] وكان فيه دور للفساد والمفسدين، فأمر

---

(١) سورة آل عمران، آية ٦٨.

(٢) الجبجب: محلة من قرية زبون، عزلة بني ذويب، ناحية حيدان. التوزيع السكاني في محافظة صعدة.

بهدمها، وتنزيه الدرب ممن يأوي إليه ويفسد فيه. وأمر الشرفاء بحلق رءوسهم، وكانوا قد سلكوا في تطويل أشعارهم مسلك العامة، وحضهم على الصلاة، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولم يدع ممكناً في تأديبهم وتقريبهم إلى الخير والصلاح، وهم له قالون، وعنه صادون. ولبث فيهم مدة، وولى صعدة وأعمالها الفقيه صالح بن سليمان وصرف ولده الأمير مجد الدين يحيى بن محمد عن الولاية، وكره ذلك له. فعاد إلى هجرة قطابر، وأقام بها أياماً حتى بلغه الحادث بين الشرفاء بني سليمان بتهامة، والحرب التي قامت بين الأميرين المؤيد بن المؤيد بن القاسم[1] وبين الأمير قاسم بن محمد بن غانم، واستنصر عليه بالغز حتى أجلى من بلده بعد وقعات بينهم قتل فيها من مواليهم ثمانية عشر رجلاً، وعقر فرس، وتفاقم الحرب بينهم. فنهض الأمير مجد الدين للصلاح فيما بينهم، وتغطية أحوالهم، فوافق إقبال الغز إلى البلاد، فلم ينتظم له ما أراد، فعاد إلى قطابر بعد أن أصابه مرض.

ولما بلغ إلى الإمام عليه السلام قدومه جهز الحسن بن زايد السحامي بكتاب إلى كافة الشرفاء بني سليمان يأمرهم فيه بالرجوع إلى الألفة، وقطع مادة الشر في ذات بينهم، وترك الضغائن والإحن المتقدمة، وأصحبه هذا الشعر. قال عليه السلام:

سعاد وكانت دارها أمماً وخالفتك لأرض تنبت السلما[2]

عهدي بهم في رياض الجوف دارهم ما بين حام إلى الشطين من هرما

(١) يبدو أن الاسم الصحيح هو: المؤيد بن القاسم الذي كان أميراً على حرض والهلية. توفي سنة ٦١٦ هـ.

ابن حاتم، السمط، ص ١٧٤؛ الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ٧٤.

(٢) السَّلَمُ: شجر من العضاه، وورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم. =

من كل فاترة الألحاظ فاتنة ... الألفاظ تحسبها من حسنها صنما

دع عنك ذكر مغانيهم[1] ودارهم ... واذكر لأبناء أبيك البأس والكرما

هذي[2] سليمان أعلى قومنا حسباً ... لا يصدرون رماح الخط وهي ظما

قوم إذا اصطفقت[3] صم[4] الرماح ضـ ... ـحى خاضوا بأسيافهم بحر الردى قدما

جاءت إليَّ أحاديث مرجمة ... بأن قرن شقاق الأهل قد نجما

فبت مرتفقاً أرعى النجوم إذا ... بات الخلي يرعى الشاء والغنما[5]

يا قوم مهلاً هداكم من أنالكم[6] ... مجداً تليداً يغشى العرب والعجما

إن الضغائن والأحقاد من علقت ... من معشر ألحقتهم عاجلاً إرما

لكل داء دواء قال والدكم ... يا معشر الآل إلا السأم والهرما

داووا الضغائن والأحقاد واحتسبوا ... صبراً فأنتم أعز العالمين حما

قد فوق[7] الضد سهماً وهو يرصدكم ... فإن تمكن من ظل النفوس رما

بني سليمان إن السلم جنتكم ... فمن غدا عارياً منها فلا سلما

يا قوم طاعتنا فرض وقد وجبت ... فيكم ومن حرم التقوى فقد حرما

إن التقاطع في الأهلين مهلكة ... فحاذروا شرها[8] أن يحلم[9] الأدما[10]

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلم.

(١) في الأصل (غوايتهم) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (هذا) والتصويب من الديوان.

(٣) اصطفق: اضطرب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صفق.

(٤) في الديوان ج (سمر).

(٥) في الديوان ج (والنعما).

(٦) في الأصل وفي الديوان ج، د (أقالكم).

(٧) أفقت السهم: وضعته في الوتر لأرمي به.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فوق.

(٨) في الأصل (فعلكم) والتصويب من الديوان.

(٩) في الأصل (تحكم) والتصويب من الديوان.

مالي أرى سيفكم قد سل بينكم وبحركم قد ترامى موجه وطما

وأنتم الصيد من علياء بني حسن ومن بهم تكشف الغمي والظلما

كم موقف لكم في الحرب شاع وقد أحيا بحسن ثناه الأعظم الرمما

فإن رأيتم نأى العلياء فلا عجب وكيف نعجب إن جوب[1] السماء هما

أبوكم الصالح الهادي الصلاح ومن يشبه أباه على حال فما ظلما

سائل علياً ويحيى حيث قد لعجا[2] بالحرب ما جهلا منها وما علما

وأسأل سليمان جمعاً في محافلها هل أرضت اللّه في العدوان والرحما

شيدوا بألفتكم[3] للمجد مأثرة تبنون منها على أفق السماء سما

فأنتم الناحرون الكوم[4] مغبطة إذا الدخان يغشى الأشمط البرما

والضاربون وبيض الهند ضاحكة والسمر ترعف[5] بين الفيلقين دما

وجايد منكم لما هما كرماً أنسا بإحسانه [يوم][6] العطا هرما[7]

= والحَلَمُ: الفساد. والحَلَمَةُ دودة تقع في الجلد فتفسده.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حلم.

(١٠)الأدمة: القرابة والوسيلة إلى الشيء. والأديم الحَلَمُ: الذي أفسده الحَلَمُ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أدم.

(١) الجوبة: الفرجة في السحاب. والجمع جوب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جوب.

(٢) في الأصل وفي الديوان ج، د (لهجا).
واللاعج: الهوى المحرق. واللهج بالشيء: الولوع به.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لعج؛ مادة: لهج.

(٣) في الأصل (بالفتهم) والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل (الكرم) والتصويب من الديوان.

(٥) ترعف: بمعنى تسيل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعف.

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة من الديوان ج، د.

(٧) يبدو أن المقصود هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري الذي اشتهر بالكرم.

وصادق البأس يوم البأس قلت له صيرت عنترة العبسي منكتما
شبهته ورماح الخط شاجرة السيل ملتهماً والفيل مغتلما[1]
لا أضحك الله سن الدهر إن ضحكت والحرب بينكم قد ألحقت ضرما
بني النبي أدام اللّه دولتكم ما ضركم لو نصبتم بينكم حكما
يحيي سلالة بدر الدين إن له حقاً عليكم وإن نادى فلا صمما
وزاركم طلباً[2] في ذات بينكم صلحاً ليعمر منكم كل ما انهدما
هبوا لبيعته[3] واستيقظوا شرفاً لا غرو أن تقبلوا منه ولا جرما
لولا عوائق من لا تجهلونهم لقد نصبنا قريباً فيكم العلما
لكنهم عاملونا بالخداع ولم نجد سوى السمر مما حاولوا أجما
وزاحمونا فقبلنا جباههم بنا فذات تحاكي الأنجم الرجما
خاضوا وخضنا وكان الموج زاخرة[4] لنا وصار الذي جاءوا به حلما
ظنوا بأن الذي نرجوه يخذلنا فعاد جمعهم خزيان منهزما
سائل بهم يوم ذيبين وقد دلفوا بزاخر يعتلي الحزان والأكما
وهم أعدّ وكنا معشراً صبراً لا نسأم الحرب إن مستكره سئما
فأقبلونا جباه الخيل ضاحكة ورددوها غضاباً تعلك اللجما
واسأل بصعدة عما كان من[5] أسد لما التقى العسكر المنصور معترما
ونحن والقوم في سلم وسلمهم كالحرب لا يرقبون إلاًّ والذمما

فرجعوا إلى الصلح، وتغطت أحوالهم مدة.

---

(١) اغتلم: هاج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غلم.
(٢) في الديوان ج، د (طالباً).
(٣) في الأصل (لبيعتكم) والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل (زاجرهم) والتصويب من الديوان.
(٥) في الأصل (في) والتصويب من الديوان.

وهذا جواب بني سليمان تولاه الأمير المؤيد بالله بن القاسم بن غانم حيث قال:

يارائد الحيّ حَيّ الهضب[1] والهضما[2] وخص بعد ضميرات الأضا[3] إضما[4]

وانظر كميأً[5] على مرقومة[6] سمة من النضارة منفضًا ومنختما

واستبطن[7] الأجرع[8] الموشيَّ[9] إنَّ به أزكى نسيم قسيم كلما نسما

وخلة لبني زيد العجاج حمت تلك الفجاجَ وبرَّتْ في العصا قسماً

وحاط أرباعها حيطان أربعة مرد[10] وجرد[11] وأفضال[12] وسفك دما

---

(١) الهضب: اسم لعدد كثير من المواضع، تذكر مضافة لاسم الناحية أو البلدة أو الجبل. انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣ وغيرها؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص ١٥٨، ١٧٥، ٢٠٩ وغيرها.

(٢) الهضم: موضع في ديار ربيعة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٦.

(٣) الأضاة: الغدير، والجمع أضا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أضا.

(٤) إضم: أحد أودية الحجاز.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٩؛ الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٢٦٦.

(٥) الكِمُّ: وعاء الطلع وغطاء النَّوْرِ. والجمع كمام وأكمام وأكاميم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كمم.

(٦) الرقم: خز موشى. والرقم ضرب مخطط من الوشي.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رقم.

(٧) تبطنت الوادي: دخلت بطنه وتجولت فيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بطن.

(٨) الأجرع: الأرض السهلة المستوية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرع.

(٩) أوشت الأرض: خرج أول نبتها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وشى.

(١٠) فرس أمرد: لا شعر له.

نيارنا فوهاتها بالجدا نهراً ... للواردين وسيلاً بالردى عَرِما
وإن أضاءت بها أقمارها سحراً ... رجّلن من كل دَجْن فاحم ظُلَما
أو مِسْنَ حرّكن حقف الرمل محتقبا ... والبانَ أهيفَ والبرديَّ والعَنَما[1]
ما في منا فاه ضد ضده عجب ... وإنما حرما الحد كيف نما
أمشرفي بلعاب الهضب هل عزه ... ترون كثبانها والجرع والعلما[2]
وإنْ بدتْ[3] طَلَحاتُ[4] الدوح لأعـ ... ـضدت[5] وقِلْتموها فارضوهن مستلما
فطالما قَـالَ[6] في أفنائها عرب ... هيف[7] وردن صبحا ماءها السيما
من كل ظاهرة الأنوار طاهرة ... الأزرار أقبل ريم كيف ريم رما
إن حسنت لحظات خضبت جفرا[8] ... في حين يصتك مياساً ومرتكما[9]

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: مرد.

(١١) فرس أجرد: قصير الشعر.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرد.

(١٢) ربما كانت الكلمة الصحيحة هي (أنصال) على أساس أنه يأتي بعدها (وسفك دماً).

(١) العَنَمُ: شجر لين الأغصان لطيفها يشبه به البنان.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عنم.

(٢) العلم: الجبل.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: علم.

(٣) في الأصل (بدات).

(٤) الطلح: شجرة حجازية، منابتها بطون الأودية.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: طلح.

(٥) عضد الشجر: قطعه بالمعضد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عضد.

(٦) المقيل والقيلولة: الاستراحة نصف النهار.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: قيل.

(٧) الهيف: كل ريح ذات سموم تعطش المال وتيبس الرطب. وهاف الرجل: أصابته الهيف فعطش.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: هيف.

(٨) الجفر: من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، ويقال إذا بلغ أربعة أشهر، وفصل عن أمه، وأخذ في

من أسرة أسروا في الروع وافتتحوا غلب الثغور وإقليم الإمام حما

الناطق الحق عبدالله من وجدت[1] به البرية عند الله معتصما

أحيا شريعة خير المرسلين كما أمات ملة أهل الجور واصطلما[2]

تدارك الله سرح المسلمين به فساس في المسرح[3] السرحان[4] والغنما

مادام مأربة إلا وسل لها من مشبك العزم سيفاً صارماً خذما[5]

ولا يحسر[6] والهيجاء[7] معلمة إلا وفلق من فيلوقها القمما

يقظان أتعب في الحالات أربعة الوفر والسيف والخنذيذ[8] والقلما

= الرعي.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: جفر.

(٩) ارتكم الشيء إذا اجتمع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ركم.

(١) في الأصل (نجدت).

(٢) الاصطلام: الاستئصال.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلم.

(٣) المسرح: المرعى.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرح.

(٤) السرحان: الذئب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: سرح.

(٥) المخذم: السيف القاطع. وسيف خذم وخذوم: قاطع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة خذم.

(٦) الحاسر: خلاف الدارع. والحاسر: الذي لا بيضة على رأسه.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: حسر.

(٧) الهيجاء: الحرب.

ابن منظور، لسان العرب؛ مادة: هيج.

(٨) الخنذيذ: الجيد من الخيل، ويقال الطويل، وكل ضخم من الخيل خنذيذ. والخنذيذ: الشاعر المجيد. والخنذيذ: الشجاع.

والخنذيذ: السخي التام السخاء. والخنذيذ: العالم بأشعار العرب وأيام القبائل.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: خنذ.

وافت إلينا أمير المؤمنين ضحى ... منك الطروس[1] عروساً أثمرت كلما
قلدت سالفة الأوراق رائقة ... درين منتثراً رطباً ومنتظما
صحائفاً بالهدى مشحونة عظة ... كأنما المصطفى أوصى[2] بها الأمما
ترهبت[3] بقريع[4] محافظة[5] ... على النجاة لنا ديناً وملتزما
فكنت أرأف ذي حجر بنا عطفت ... به الأواصر لا نألوا بما اتسما
صلى عليك الذي أحيا بمنعتك الـ ... إسلام محدثه يا يوشع القدما
وقلت في النظم والأنباء صادقة ... يا بن النبي ويا بن السادة العُظَما
وزاحمونا فقبلنا جباههم ... بنافذات تحاكي الأنجم الرجما
فاهتز عطفي وماست ذُبَّلى طربا ... وارتاح طرفي وسيفي هب مبتسما
لله من حركات قد ظمئن إلى ... يوم يدسع[6] أفواه الكماة دما
وهاك أجوبة المسطور منك لنا ... يا با محمد في الخطب الذي نجما
جاشت عليَّ سليمان ولا سبب ... إلا نهوضي لدار الحرب منتقما
وبيعة لم يشبها مذ نهضت بها ... نقض، ولا اعْتَضتَ من موجودها العدما
جرت إليَّ جموعا بعضها خدمى ... من أعوذته ذرى سام دعا العجما
فإن أعنها فبعضي أحببته إلى ... بعضي وإن أك ممليها فلا سأما

---

(١) الطروس: الصحيفة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طرس.
(٢) في الأصل (وحى).
(٣) ترهبت: توعدت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رهب.
(٤) القريع: السيد. يقال فلان قريع الكتيبة وقريعها أي رئيسها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قرع.
(٥) يبدو أن هناك كلمة قد سقطت من هذا الشطر، فأخل ذلك بالوزن والمعنى.
(٦) دسع: قاء. ودسع: امتلأ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دسع.

ولست عنها وإن جدت مكابرة   بقاطع رحمة عنها ولا رحما
وكيف والقوم قومي يحسنون على   تلون الحادثات الكر والكرما
لكنها نابذتني وهي عالمة   أن العدو علينا والسيوف ظما
أبني علاها، وتبغي الهدم عن شنأ   كم بين من شاد علياها ومن هدما
وهبتها الخيل قبا والدلاص[1] أضا[2]   والعبقري[3] رياشاً والقيان دما[4]
وردتها من عقارات[5] البلاد ندى   ولم أحلها عناداً يكفر النعما
وإن أردها بسوء فهو ما اجترحت[6]   من الجرائم أو تستشعر الندما
وإن صفحت ولا عجز فشنشنة   محمودة برة في الأهل وهي نما
وأفضل الحال في خفض الجناح لما   حث الإمام عليه في الذي رسما

ثم جرت بينهم هدنة على دخن لم تطل مدتها، وعادوا إلى الحرب والمنافرة. وكان الأمير المؤيد مستظهراً عليهم، فأعملوا المكيدة، وجمعوا خيلاً، وقدم بها الشريف قاسم بن محمد بن غانم إلى الغز وقادوهم إلى بلاده فأزاحوه عنها إلى الجبال، فمات أكثر خيله، وتفرق عنه أصحابه. واستقر أمر الغز وتمكنوا في البلاد، ثم عطفوا لبني سليمان عطفة الناب الضروس، فقبضوا على أكثر خيلهم، ونفوهم من بلادهم.

---

(١) الدلاص من الدروع: اللينة. ودرع دلاص: براقة ملساء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دلص.
(٢) الأضاة: الغدير. أي أن الدروع لامعة مثل صفحة الغدير.
(٣) العبقري: الطنافس الثخان والبسط الموشية. والعبقري: الديباج.
(٤) يقال للمرأة: دمية. والتشبيه بالدمية للمبالغة في الحسن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دمى.
(٥) عُقْرُ القوم: محلتهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقر.
(٦) اجترح: كسب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرح.

وجاء كتاب المؤيد على يد العريف بن عيسى بن سالم يستصرخ بالإمام عليه السلام، ويلتمس منه النصرة على الغز. وكان بينه وبين وردسار هدنة إلى أجل، فلم ير إلا الوفاء حتى تكون البداية بالنقض منه كما جرت بذلك عادته الرديئة.

وحكى لي حسن بن زايد التهامي وكان الإمام قد سفره إلى بني سليمان، وأصحبه الشعر إليهم قال: اتفقت بالأمير منصور بن داود بحرض وقد نفاه الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس في جملة الأمراء بني أبـي هاشم من مكة وأشياعهم، وتفرقوا في أطراف الأرض. فأتى منهم إلى الإمام عليه السلام نيفاً على المائة ما بين ذكر وأنثى، صغير وكبير، فآواهم، وأجرى عليهم النفقات صلة للرحم، وقياماً بما يلزم من حق القرابة. وكان قد جرى بين منصور بن داود وبين [أبي][1] عزيز حوادث، وحرب، ومنافرة، لم يستقر به قرار في البلاد بعد ذلك. فنهض في خيل كانت معه إلى حِلى، يريد إلى الإمام عليه السلام، فعاقت عوائق عن ذلك. ونفرت خيله عنه فجعل قدومه إلى سنقر، فعظم حاله وأكرمه، وأعطاه ولاية حرض.

وكان منقبضاً من ولاية الإمام خوفاً من الغز، فلما وصل إليه حسن بن زايد، وعرفه بقدومه من جهة الإمام عليه السلام، واعتذر إليه عن تأخير مواصلته لما يخشى عليه. فعاد جوابه وأصحبه هذا الشعر.

منع النوم لـذة التهـويم[2] وأطـال الغـرام مـطل الغـريم

فضياء الرجاء في ظلمة اليأ س عليه من جنح ليل بهيم

طمست فتكـة المظالم والغي وبغى البـاغي عيـون النجـوم

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) التهويم: النوم الخفيف. والتهويم: أول النوم وهو دون النوم الشديد. ابن منظور، لسان العرب، مادة: هوم.

فنهار الإسلام ليل وليل المسـ ـلم الحر مثل ليل السليم[١]
لا رحيم ولا مجيب يلبي في دجى الليل صرخة المظلوم
فإلى من؟ وكيف ينتظر الحر أبا لائم [وأم][٢] يتيم؟
وذليل الآمال في حيرة التيه متيم عن وخده[٣] والرسيم[٤]
إن وصل السرى إلى لجة الموت لذيذ من دون قطع الرسوم[٥]
أنا لولا[٦] حكم الأناة لأظهر ت مصوناً وقلت غير ملوم
لا لعالي إن لم أقم قاعد الحق بعزم يفل جيش الخصوم
في مقام يزول فيه إذا عاين كي البراء داء السقيم
لا يرى فيه غير إقدام مأثو رٍ كمى برأي كهل حكيم
وتظل الخرصان في ثغر الأبطال فوضاً يشربن شرب الهيم[٧]
يسمع الصيح للثعالب في الجيـ ـش كترداد صيحة العلجوم[٨]
فعل من طلق الحياة ولم يرض بكادح الدنيا بعيش ذميم

---

(١) السَّلْمُ: لدغ الحية. والسليم: اللديغ. والسليم: الجريح المشفي على الهلكة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلم.

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) الوخد: ضرب من سير الإبل، وهو سعة الخطو في المشي.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رسم.

(٤) الرسيم: من سير الإبل. والرسيم: ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض.

(٥) الرسم: الأثر والجمع رسوم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رسم.

(٦) في الأصل (لولاه).

(٧) الهيم: الإبل الظِّماءُ، وقيل هي المراض التي تمص الماء مصاً ولا تروى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة هيم.

(٨) العلجوم: ذكر الضفدع؛ والعلجوم: البط الذكر. والعلجوم: التام المسن من الوحش، والعلجوم الظبي الأدمُ. والعلجوم من الإبل: الشديدة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: علجم.

يتمنى برد النسيم وقد صو ح[1] روض المنى بحَرِّ السموم

ظاعن الرأي عن ديار رأي الهو نَ به وهو في ثياب مقيم

خص منه قوادم العزم عذر قاطع وصل كل جرم زعيم

أحرجته حوادث الغبن حتى أخرجته إخراج أهل الرقيم

فغدا هائماً به لوعة الظا مي إباء ورعدة المرهوم

عجب يضحك الزمان وتبكي كل عين دماً بدمع سجوم[2]

كيف لا يملك ابن حمزة عبد الله جبر الكسير والمحروم

ويقيم الإسلام في الشرق والغرب لثأر الشهيد والمسموم

ويرى الناس عند ذكر شهيد الطف صرعى ضغائن وهموم

يتأسون بالنبي عن السبط أسا مضمراً لكل عظيم

وهي الفتنة التي غاض[3] منها الـ ـماء حتى ذوت رياض النعيم[4]

وتوالت أيدي المحول[5] وعزال غيث سخطاً وطاب كل الهشيم

كيف يشكو حر المظالم حُرٌ في حماه من ظالم وغشوم

وهو نجل النبي ذو البأس والسؤ دد والجود والتقى والعلوم

كالأب البر للورى والأخ المشـ ـفق للود والصديق الحميم

عرف النسك منه ما ألف الفتـ ـك سطا ضيغم وزهد عليم

---

(١) تصوح البقل إذا يبس. وصوحته الريح: أيبسته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صوح.

(٢) السجم: سيلان الدمع، وانسجم الدمع، أي انصب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سجم.

(٣) غاض الماء: نقص أو غار فذهب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غيض.

(٤) في الأصل (الحميم).

(٥) المَحْلُ وجمعه محول: احتباس المطر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: محل.

تنظر العين منه في السلم والحرب ... لبذل الندى ومنع الحريم
جرة[1] الأسد ضمن جرة بحر ... وتقى عالم ولطف حليم
ذو[2] أناة مهيبة الفتك يخشى ... بطشها كل ليث غاب غشوم
كل أيام أملته ربيع ... عطر النشر عنبري النسيم
أيها العالم الذي جوده الفا ... ئض يحيي موت العظام الرميم
لا أبث الشكوى ولو هان بالمنـ ... ـع عزيز وعز بذل كريم
بيد أنا في حلة الحجل[3] الوا ... مق ملقى وحسرة المحروم
كل يوم تدمى جرائم قلبي ... ليت شعري كيف اندمال الكلوم
فمتى يستقيم عزمي إلى نهـ ... ـج صراط من الهدى مستقيم
وأراني في نشوة الشكر من شكـ ... ـر الأيادي أفض مسك الختوم
ساكناً في مكارم الخير عبد اللـ ... ـه لا زال في رياض النعيم
يال قومي أنتم أولوا الأمر في العال ... لم والمقتفون آي العلوم
فإلى[4] كم تطغى اللئام وكم يحـ ... ـكم في الأكرمين كل لئيم
كم يطيع الأمير للناس مأمو ... راً ويعصي الإمام للمأموم
يا بن أم استمع وقم في رضا اللـ ... ـه لإحياء ميت دين قويم[5]
آن أن تنهل الظبى والعوالي ... دم شيطان مخرب[6] ورجيم[7]

---

(١) الجُرَةُ: وهي الجرأة، وذلك بعد أن تترك همزتها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرأ.
(٢) في الأصل (ذوا).
(٣) الحجلة: هو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار، والجمع حَجَلٌ وحِجَالٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حجل.
(٤) في الأصل (إلى).
(٥) في الأصل (قديم).
(٦) في الأصل (مخرباب).
(٧) في الأصل (رجيم).

نحن آل النبي والعترة الأطها ر لا كل معتد وأثيم

لا ينال العهد المطهر من أشـ ـرك بالله في الزمان القديم

إنما العهد والأمانة فينا ولنا لا لكل غِر[1] زنيم

أمنا فاطمة البتول وكم من ذي أوام عن مائها[2] مفطوم

قم بنا نحتلى حسان الأماني فالمنايا في وقتها المحتوم

وأرى العلم لا يؤثر أمراً زايداً يا بن أمٍّ في المعلوم

قصة خروج الأمير علم الدين سليمان بن موسى إلى نجران:

كان الإمام عليه السلام قد أعطاه سهمة من خرابجه يستعين بذلك على تقوية أجناده. وكانت السنة جديبة، والقحط عاماً، وقد أصابهم الضر. فبعث يحيى بن عمرو إلى أهل نجران يلتمس ما عندهم من طاعة ومعصية. وكانوا على الخلاف في ولاية الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أحمد، طردوا عماله، وأظهروا فعل المنكرات، ومنعوا الحقوق الواجبات. فلما أتاهم يحيى بن عمرو، وسار فيهم بالملاطفة، وسلك مسلك المناصفة، وألان لهم جانبه، وأدنى كبارهم وآنسهم حتى دخلوا في الطاعة، وانقادوا للأوامر الإمامية.

وبلغ العلم إلى الأمير بدر الدين، ووجد المفسد من الشرفاء آل الهادي عليه السلام وغيرهم من العمال وأهل البلاد السبيل إلى الكلام، ومدخل للفرقة ما بين الأميرين السيدين وبين الإمام عليه السلام. وعظموا الأمر، وراموا فتح باب الشر، وثنوا الكلام بالخلاف، ونشروه في الأطراف حتى إن الأمير بدر الدين أظهر الكلام بإهدار دم هذا الوالي، وتنفيره من تلك الأوطان، فثبت ولم يتزعزع.

---

(١) في الأصل (عبر).

(٢) في الأصل (ما مائها).

وكتب المفسدون من أهل صعدة إلى الغز بما جرى من الخلاف، ورغبوهم في البلاد[1]. واجتهد سليمان بن القاضي وابن الفاكهة، وهما من آل الهادي عليه السلام في إظهار الخلاف ونشر الكتب إلى الغز، وأنهم متمسكون لحصن تلمص للسلطان إلى وصوله. فلم يكن إلا المدة اليسيرة حتى وفد بريد بكتاب من سنقر إلى الأميرين؛ فيه شرح طويل، وأنه قد تصدق عليهما بصعدة وأعمالها لوجه الله تعالى بشرط نفي الإمام عنها ومحاربته دونها. واستبشر بذلك المفسدون، وأذاعه في الأقطار المرجفون ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون﴾[2].

وجاء كتاب الأميرين إلى الإمام يستوردان أمره بما[3] يكون الجواب. فأمرهما أن يجيبا أنا لا نتعدى أمر إمامنا، فكيف نمنعه من بلاده؟ ونحن ولاة فيها عن أمره. وكتب إليهما رقعة أدرجها في كتاب أتى إليه وأراد إطلاعهما عليه.

نسخة الكلام الذي في الرقعة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

أحببنا إطلاع الخواطر الزكية الشريفة على هذا الكتاب المدرج طي هذه الصحيفة لتعلموا أن كيد الفاسقين قد عظم، فاذكرنا ما روي عن كعب بن مالك رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هجره ومنع المسلمين من كلامه لأنه أحد الثلاثة الذين تخلفوا قال: كنت أدور [في][4] الأسواق، وأصلي في المسجد، وأسلم على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وعلى المسلمين فلم يسلم عليَّ أحد. فكان أعظم ما نزل بي أني

(١) في الأصل (ورغبوهم في البلاد بعد الناس) وتم الحذف حتى يستقيم المعنى.
(٢) سورة الصف، آية ٨.
(٣) في الأصل (ما).
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة.

ذات يوم في السوق وإذا برجل يسأل عن كعب بن مالك، فأرشد إليّ، فأعطاني كتاباً ـ ففضضته ـ فإذا هو من قيصر ملك الروم. أما بعد فإنه بلغنا أن صاحبك هجرك وأقصاك؛ فأقْبِلْ إلينا فلن يضيق عليك ما وسعنا! قال: فقلت وامصيبتاه انتهى بي الحال إلى أن طمع فيّ المشركون! فسجرت[1] التنور وألقيت الكتاب فيه. فقد انتهى الحال لقلة التشديد على المفسدين ممن يعتري إلى الشرف، ومن يكون منهم إلى أن طمعوا في لبس الحق بالباطل وأشاعوه في الآفاق، ونشروا الكتب ولا سيما سليمان بن القاضي وابن الفاكهة. فإن رأيتم تدارك الدين بالغضب على المفسدين الذين منعنا من تأديبهم وتحذير غيرهم بما ينزل بهم من ارتكاب فعل فعلهم خوف غضبكم وتضييق صدوركم. فانظروا في ذلك نظراً يخلصكم عند الله عز وجل، ونسأل الله النجاة لنا ولكم وللمسلمين.

ثم جاء كتاب السلطان سنقر إلى الإمام عليه السلام مضمناً شكره، والثناء عليه وبحمده، على تمام الصلح بينه وبين وردسار ويقول: إنه قد أنفذ ذلك وأمضاه، وأن رضاه منوط برضاه؛ إذ هو قائم مقامه، ونائب منابه، وأنه واف بما عقد، غير ناقص بما ربط. فأمرا الإمام عليه السلام بإجابته، وكتب بخطه الكريم في آخر الكتاب كلاماً نسخته:

ونحن أهل عافية من الله سبحانه، فله الحمد حتى يرضى. نريد لكم الخير في الدنيا والآخرة، وأنتم لنا على الضد بذلك. فنحن وإياكم كما قال علي عليه السلام متمثلاً بقول أخي مذحج في خليله المرادي.

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُراد[2]

---

(١) سَجَرَ: أوقد؛ سَجَرَ التنور: أوقده وأحماه.

ابن منظور، مادة: سجر.

(٢) الشعر لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.

وذلك أنكم كتبتم إلى الأميرين الفاضلين الداعيين إلى الله شيخي آل الرسول عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام بهبتهما[1] البلاد بشرط أن لا أدخلها، ولا ينفذ [لي][2] أمر فيها. وأعلم - أرشدك الله وهداك فرشدك وهدايتك أحب إليَّ من حمر النعم، وأعده من جلائل النعم، إن لم تعلم ذلك فالله به أعلم - إنه لولا أمري لم يستحلا فيما بينهما وبين الله سبحانه أن يتصرفا هنالك برفع سوط ولا سيف ولا قلم. أفتظن أن يحيى بن أحمد نزل الحقل على كبر سنه وضعف جسمه طالباً للدنيا ومنافساً فيها؟ إنما نزل لكتاب أمرت به من ذمرمر ألزمه فيه النزول ليطهر تلك المشاهد المقدسة من المعاصي. ولولا أمري لم يستجز القتال، ولولا أمري بأمان أسد وأصحابه ما استجاز الأمير بدر الدين محمد بن أحمد - أيده الله - ما فعل لهم، وبذلك أمرنا سليمان بن موسى، فإن كفر الجميع ذلك فالله تعالى لا يكفره، وإن لم يشكره [أحد][3] فالله تعالى يشكره.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس[4]

وأما قولكم إذا جمعنا الله وإياكم وسألنا لما عاديناكم وحاربناكم؟ قلنا لهم: إخواننا بغوا علينا فحاربناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله بترك المنكرات ورفض المسكرات. فما قولكم، لعل هذا فأنتم أهل لغير

= انظر: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص ٦٥؛ شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص ٩٢.

(١) في الأصل (بهبته).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٤) الشعر للحطيئة.
انظر، ديوان الحطيئة، ص ١٠٩.

هـذا. فليس إلا الأمر بالقسط والنهي عن المنكر، وإقامة عمود الدين وحراسة سرح الإسلام. فـإن أمرتمونا بـذلك فسمعاً سمعاً، وشفعاً شفعاً. ولعل بعضكم أرضى بنا بعضاً، والله ورسوله أولى بالرضـا. أنتم تطلبـون آثار رسول الله صلى الله عليه وآله في العود والحـجر والمدر، فنحـن لحـمه ودمه وعترته وذريته. فـإن علمتم أنه يسوؤه ما ساءنا فأطيعوه بنـا، وأطيعوه لنا فـإنا قد روينا عنه صـلى الله عليه وآله،وروت الفضلاء من الأئمة أنه قـال لنا: «أنا حـرب لمن حـاربكم، وسلم لمن سالمكم».وفي حـديث آخـر: «من حـاربني في المرة الأولى، وحـارب أهـل بيتي في المرة الثانية كان كمن حـارب مع الدجال». وغير ذلك من الآثـار، ونحـن عائذون بالله منكم فـإن عصيتمونا فمستعينون به عليكم. وقد أظهـر لكم الآيـات فجعلتموها من حـوادث الأيـام. عزمت على الحركة إلينا فمات صاحـبك، وقـتل خليلك أخي فمات أخـوه، وخـرب دارنا فخـرب الله تعـالى داره. وقلتم: الموت في رقاب الناس وهكذا تفعل السيول الكبـار، فـإذا لم تـكن الواقعة في النفس فعند ذلك يغلق الذهـن ولا تغني النـدامة. والسعيد من وعـظ بغيره، والشقي من وعـظ بنفسه. فالله الله في نفسك اجعلها أعز الأنفس عليك، وحصنهـا من عـذاب الله تعـالى بطاعـته. وكما رغبت بهـا عن ذل الـدنيا فعصيت من هـو فوقك؛ ارغب بها عن ذل الآخـرة واعص من هو دونـك. وتوكل على الله في أمـورك كلهـا لتفوز مع الفائزيـن غداً وتنجـو مع الناجـين السعداء. وقد أكثرنا وجلبنا بضاعة نـرجو من الله نفاقها، فـإن كسدت فلله سبحـانه جلبناها، ورحـمته طلبناها امتثالاً لقول الباريء المصور ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾[1] ومن الله سبحـانه نستمد التوفيق لنا ولكـم.

---

(١) سورة الغاشية، آية ٢١.

مرجع الحديث إلى تمام قصة نجران:

قد كان الأمير علم الدين سليمان بن موسى جهز عسكراً، وأراد غزو المفسدين بمأرب ليدرك منهم غرضاً ويصلح شأن البلاد، ويستخرج للجند ما يسد به حالهم. وأتاه محمد بن الصعيب بن منصور اليامي [ ][1] والتأمت خيله زهاء مائتي فارس، ونهض بهم جهة السهل ليأتي وادي نجران من أسفله. فلما توسط الغائط[2]؛ أصابهم حر القيظ وشدة الظمأ، وبعدت عليهم المسافة، ولم يلقوا بأساً. فلما قدم نجران أقبلت إليه قبائل بني الحارث[3] وقبائل كهلان فسمعوا وأطاعوا، وانقادوا لأمر الله.

وقدم إليه الصعيب بن منصور اليامي وكان أصل الخلاف بنجران على يديه وبسببه، فقربه الأمير وأحسن مثواه، ولاطفه وبالغ في مناصفته، وآنسه حتى دنا من مراده، وتألفه حتى قطع مادة فساده. ثم فرق على أهل الوادي ـ للعسكر ـ عشرة آلاف دينار، ولبث حتى استنضها وفرقها في الأجناد. وأعطى منها أهل القود معه من نهم وآل دعام. واستدعى خيلاً من كهلان، ووادعة للنهوض معه إلى الحقل فأجابوه، ونهض بالعسكر إلى صعدة.

---

(١) مساحة بيضاء في الأصل تتسع لأربع أو خمس كلمات.

(٢) الغائط: المتسع من الأرض مع طمأنينة أي انخفاض. وتطلق كلمة الغائط على فلاة اليمن.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤ ـ ١٦٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة: غوط.

(٣) في الأصل (بلحرث) وتكتب هكذا في المصادر وقد تكتب أيضاً بلحارث.
وهم بنو الحارث بن كعب، من مذحج.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٦٥؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ٧٣٤ ـ ٧٣٥.

ولعبد العزيز بن عقيل الجنبي هذه الأبيات ذكر فيها مراحلهم من الجوف إلى نجران قال:

عجبت لدهما وابن موسى يقودها ... فتى طيب الأنساب غير ذليل

إذا ظلت الخيلان يقرع بينها ... دم صانع للمانعين وشيل

وملقى مقاوا[1] قد تبلوا قلائصاً ... تسير[2] الخلا من بكرة ومقيل

وترويحة يدعون في عمر مانع ... عطاه إذا اغتر الزمان جزيل

غدت من فروع الجوف تبغي مبيتها ... بلاد المراشي والنهار طويل

وثانية بتنا [ ][3] وجيشنا ... يعم الوطا والوعر غير قليل

وثالثة بتنا بأملح بعدما ... غشينا بأيدي الخيل كل نقيل

ورابعة بتنا قضيباً[4] ولم نعج[5] ... وللحصن[6] في الوادي الصميم صهيل

ورحنا على رشد وباتت جيادنا ... [ ][7] ومحض الوالدين ذليل

وكنا طلوع الشمس في ملك أتيس[1] ... ومنا البوادي في البلاد حقيل

---

(١) هكذا في الأصل. وربما كانت الكلمة مشتقة من (القِيُّ) وهي الأرض المستوية الملساء، وهي الخوية أيضاً.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: قوا.

(٢) في الأصل (يسير).

(٣) بياض في الأصل، وهو موضع لكلمة ناقصة تحمل اسم موضع أو بلد.

(٤) القضيب من أودية الجوف.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٢، ٢١٨؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٣٥.

(٥) العج: رفع الصوت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عجج.

(٦) الحصان: الفحل من الخيل والجمع حصن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حصن.

(٧) بياض في الأصل.

(١) أتيس: واد في وائلة من أعمال صعدة. =

وجزنا على المائين شرقاً ولم نعج ولم نثـن في واديها لمقيل
وجاءت تشل الخيل مال آل قاسم وللبيض من وجـد عليه عويل
فرداه منّا أميرنـا بالغ الهدى وَهُو لا يَنِي كساب كل جميل
وجاءت طريق الهلب[1] والخيل شزب تماسى المطايا سيرهن عجيل
وخـامسـة بتنـا بكـواه[2] ليلة وسـادسة وادي قـرى ونخيـل
ونجران[3] في الوادي الذي قابل الشرى برود الصوادي من ظما وغليل
وقابلنا بالبر سلطان مذحج فتى في الرخا والعسر غير بخيل
غلام مـداني بـه الخير تتقي وعند المقاوا[4] والزمان محيل
وإن لنا في حقل صعدة حاجة تســر أحبـانـا وكـل خليـل

وكان الإمام عليه السلام قد كتب إلى الأمير إذا قضيت أوطارك بنجران فعد إلينـا على طريق الجوف ليكون القدوم إلى صعدة واحداً، فخشي على العسكر الهلاك في طريقها التي قد عرفها، فـرأى ممضاه على صعـدة أرأف بهم وأصـلح لهم. فنهـض بالعسكر حـتى أتى الحـقل بصعـدة، وحـط على البير البيضاء بالقرب من نسرين[5] يوم السبت لسبع ليـال خـلت من شـوال سنة اثنين وستمائة في جـيش متباعد الأطراف ملأ

= الحجـري، مجـمود بلدان اليمن، جـ ١ ص ٥٦.

(١) نجـد الهلب: من قرى الجوف الأعلى.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢١٩.

(٢) في الأصل (مكـواه). ويبدو أن كـواه اسم موضع.

(٣) في الأصل (نجـران).

(٤) أقـوى الرجـل :نفذ طعامه وفني زاده.
ابن منظور، لسان العرب، مادة قـوا.

(٥) نسرين: بتفحـات موضع شمـال صعـدة.
الهمـداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣؛ الحجـري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٤٧٢.

قلوب المفسدين رعباً لكثرة خيله ورجاله، وأقبل إليه مشايخ صعدة للسلام عليه، وسألوه نقل المحطة إلى صعدة فلم يساعدهم. وفرق عليهم معونة للعسكر وضيفة فامتثلوا أمره، وفرق على من يليه من بني مالك وغيرهم من أهل الحقل فرقاً احتسبوا فيه على مغارمهم؛ على كل رجل بالغ أربع صغاير طعاماً ـ يأتي علوق فرس واحد ـ وذلك في مخيم الأمير في مجمع حضره وطائفة من المسلمين. وكان رجل من بني مالك يدعى[1] مريداً عظيم الفساد شديد العناد، كارهاً لدولة الحق، وكان له تعلق بالأميرين السيدين انهزم وعطل محله المعروف بالقهرة، فقصدها أهل البلاد لخرابها وأخذ أخشابها قوم يقال لهم[2] بنو نغيش وولد عبد الله وبنو حمزة، فبعث الأمير سرية من خيله فمنعوهم عن الخراب.

وحضر الفقيه صالح بن سليمان وهو المتولي بصعدة وأعمالها عن أمر الأمير بدر الدين ـ والثقة عنده ـ فسأله[3] الأمير علم الدين عن حال مريد فنطق في محضر جمع طائفة من المسلمين بأنه متمرد، وأنه طلب منه تسليم الحق الواجب عليه فامتنع من تأديته، فأشهد عليه الحاضرين، ومنع عسكره من دخول القهرة وأخذ شيء منها خشية أن يرفع عنه كلام من أهل البلاد إلى الأميرين فيضيق لأجله صدراهما. وفي خلال ذلك؛ الكتب متواترة إليهما بتعظيم ما فعل الأمير سليمان بن موسى من أصناف الجور، وأن سيف الإسلام ما فعل مثل فعله في البلاد. فوقع ذلك بموقع عندهما وصدقاه ممن جاء به لصدقهما وصحة طويتهما،

---

(١) في الأصل (ادعى).

(٢) في الأصل (له).

(٣) في الأصل (فسأل).

وأغراهما أهل العناد في أمره. فجاء كتابهما إلى الإمام عليه السلام يذكران فيه أن سليمان أثقل المغارم على الرعية، وعمل بخلاف السنة النبوية، وأنه فعل أفعالاً لم تفعل في دولة سيف الإسلام. وأنه قد أقدم على نقض الذمة في أمر مريد ويربوع، وخراب القهرة. وقاد كهلان إلى البلاد وآنسهم بدخولها وهم أعداء للشرفاء[1]. فأجابهما الإمام عليه السلام عن كل فعل بما أسرعا لقبوله، وتيقنا علم جملته وتفصيله، والتزما طاعة الله تعالى باتباع ما أشار إليه وحض عليه.

نسخة الجواب إلى الأميرين. قال عليه السلام:

نحقق لحضرتهما النبوية أني لم أكتب بما في التذكرة، وأنا أجهل أن الجواب ما أتى، ولكن أردت التذكير كما قال تعالى ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[2] وعلينا لله سبحانه حق، وعندنا منه عز وجل وعد. فأما حقه فأن لا تأخذنا [في الله][3] لومة لائم، ولا نواد من حاد الله ورسوله صلى الله عليه، وأما وعده لنا فأن يجعل العاقبة لنا في الدنيا والآخرة، وأن يظهر ديننا على الدين كله.

فأما ما ذكر بدر الدين أيده الله من أنه لم يقصد بكلامه ما يفهم من ظاهره، فهذا بخلاف ما الكل عليه من حمل الألفاظ على ما تحتمله لغة وعرفاً. والمعلوم من المفسدين أنهم يعرفون المفسد من الكلام، فكيف ما لا يحتمل مرادهم؟ وإن كان المقصود سواه. وليس كل هذا الحرص والمكاتبة خوفاً على إنكار إمامتي لأن تعبدي[4] فيها منوط

---

(١) في الأصل (للشرف).

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٥.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٤) يمكن أن تقرأ هذه الكلمة (تعبدي أو تغبري).

بعلمي فيما[1] يجب علي. وظني فيما يحريني[2] فيما أظن غيره[3]. ولو أجمع الناس على أني الإمام فذلك فرضهم فيما يظهر، وإن علمت خلاف قولهم من حال نفسي لم يجز لي الرجوع إلى قولهم. ولا أحرى بي[4] في تقلد الإمامة فيمابيني وبين ربي ولو أجمع أهل هذه البلاد علماؤهم وجهالهم على رفض الإمامة ـ وأنا على يقين من أمري ـ لم يضرني ذلك. وإنما مخافتنا على دينكم الذي ارتضاكم الله له وارتضاه لكم أن تهدم قواعده الفرقة، كما شيدت بنيانه الألفة. ولا بد من أحد أمرين إما باشرتم أموركم بأنفسكم، وشددتم في أمر الله عز وجل على القريب قبل التشديد على البعيد. فقد ادعينا عليكم أنا فعلنا هذا في جهتنا، فإن كان لا يثبت هذا الكلام لكوننا مدعيين، أنفذتم من أولياء الله قبلكم من يقبل قوله بأن يتفقد الأمور في جهتنا، أما ونحن عالمون أو غير عالمين. وكان لا يأتي إليكم من هذه الجهات إلا من يأتي للمعونة في أمر الله فهذا يجب، وإما يقع الإجماع على من يرتضيه الجميع، وكان الكل أعوانك على الحق.

وأما ما ذكراه ـ أدام الله عزهما ـ من التغريم بخلاف السنة، فلو اعتقدناه خلاف السنة لما أقررنا سليمان عليه ولا حابيناه في حق الله لو كان يملك لنا الأرض. ولكن عندنا أن التغريم للجنود المحقة جائز،

= وعبد بمعنى حبس. وعبد به: لزمه فلم يفارقه. والغبر: البقاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عبد؛ مادة: غبر.

(١) في الأصل (فيها).

(٢) الحَرْيُ: النقصان. والحَرَى: الخليق. يقال فلان حري بكذا أي جدير وخليق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حرى.

(٣) هذه الجملة موجودة هكذا في الأصل.

(٤) في الأصل (أحرابي).

وأنتما الشاهدان الصادقان لنا على أهـل الحقل بأنا كتبنا إليهـم، وإلى أهـل صعدة أن يرفعوا ولا يخالطوا الظالمين فخـالفوا الأمر، وكانوا يـداً ورجـلاً لأعـداء الله.

وأما الـذمة ليربوع ومريـد فـلم يقع خـلاف في ذمـة كبـار المسلمين وأمرائهـم فكيف وأنتم في الـدين قدوة، ودعاة رشد وأئمة هـدى. وأما أنه لم يُفعل مثل هـذا في دولة سيف الإسلام لعنه الله! فـإن كـان المراد أنه أكثر فلا يمتنع هـذا، وأن يـدفع المحـق أكثر مما يـدفعه المبطل. والحـديث هـل يجـوز التغريم أم لا يجـوز؟ فأما الفعل في قهـرة يربوع وقهـرة مريـد؛ فـما أوجـبه شرع النبي صلى الله عليه وآله بحكمكم أو حـكم من تنصبونه على سليمان بن موسى. فـما وجـب لم يقدر على الامتناع في روحه ولا عسكره، ولو كان في ألـف فارس لم يمتنع منكم من صـاحب العصا فيما يـظن.

وكتب الوالي صالح الذي عذلتموه متواترة في الثناء على المذكور في حسن السيرة. ووجه الحق وقاح لا يستحيي من أحد. ولو وجب عليكم حق لحملناه ديناً ومنعاً، لو تعبنا فيه وتلفت فيه نفوسنا، نريد بذلك رضاكم لله. ولكن لا تعجلوا حتى تبينوا، ونحن نأمر سليمان بما لزمه هان أم عسر لم يتأخر عنه. ولكنه كتب إلينا بأنه سألهم شيئاً فكرهوا، وأخلوا مكانهم، وخربته الرعية. وسأل الوالي عن خراب القهرة فأجازه. وعن مطالبته لأهل البلاد بمـا سألهم من الغرم فقلله، وهو يترقى[1] جنب ما يلزمهم، وعندنا خطه بتصويب الفرق وتقليله. وسأله هل خراب هذه القلعة منقود،

---

(١) هكذا في الأصـل. ويبدو أنها بمعنى إضافة أو زيادة. وربما يوضح ذلك ما جاء في حديث استرقاق السمع: ولكنهم يرقون فيه، أي يتزيدون فيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رقا.

فقال: لا منقود؛ وهي مغصوبة، ومريد متمرد عن الحقوق ويستحق الإهانة. فابحثوا عن هذا، ولا بد من أحد أمرين إما إمضاء حجة سليمان والوالي ومصادقتهما وإما الشهود بينهما، فمن وجب عليه أمر لم يرحمه منه.

وأما أولاد الهادي عليه السلام وكونهم في حصن تلمص بأمركم فلم تجروا إلا الصلاح، ولكن الظاهر على ألسنتهم خلاف ذلك. والكتب منتشرة عن سليمان بن القاضي خاصة بأننا خالفنا على الإمام وأنا لازمون الحصن للسلطان، فعل الله له وصنع. وأن البلاد بلاده حتى قد أطمعوا أعداء الله فيها؛ وإن كانت محمية بجند الله عز وجل ونصره لأوليائه.

وأما كهلان وسواهم من المعاندين فالله تعالى يجعلهم تحت جران الحق إلى يوم الدين. آله[1] المحقين، فإن رفعوا رؤوسهم فنحن الذين يعرفون، رجونا أن يدمرهم الله تعالى بأيدي المؤمنين، ولسنا إن شاء الله تعالى نعذر اليامیين مما فعلوه فيما تقدم، ومن قطع النخيل، ومما يلزمهم. ولا يعصمهم منا في ذلك عاصم. فليست المعرفة تنفع فينا من الحق، ولا الصحبة، ولا النسبة. أهل الدرب الأسفل بشوابة قلعناهم وهم أنساب، وأهل أثافت كان أشد الناس لهم حرباً الحسن بن حمزة. وكذلك لو تجور عندنا إنسان ما جورناه من الحق. حريم القاضي نصر يترددن[2] إلى بيوتنا بالكبار والصغار حتى مات إلى لعنة الله عز وجل، ونهضت عجوزه الكافرة إلى ذمرمر ودخلت إلى امرأتي وهم يظنون أن حب النساء ينسينا حب الله سبحانه. فأمرنا إليها إن أقرت تلك الملعونة كان حذماً[3] بيننا، لأنا خشينا

---

(١) واضح أن هناك بعض الكلمات سقطت من النص قبل كلمة (آله).

(٢) في الأصل (يترددون).

(٣) الحَذْمُ: القطع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: حذم.

أن تعلمها المذهب، فأخرجتها. فتجورت بالسلطان سالم بن علي فكان من أمره ما علمتموه، فلم يتأخر عن أمر الله.

وهذه الحكايات نريد بها تحقيق ما غاب عنكم مما يعلمه الله سبحانه، وتعلمه الدهماء من أهل جهتنا هذه. وقد علم الله تعالى اشتياقنا إلى لقياكم ولكن بقينا في أمر لا يعلمه إلا الله تعالى. العدو قريب الدار، كثير الأنصار، وذمتهم بلا [1] ذمة. كنا على النهوض على وجه المبادرة، فلما عزمنا جاء العلم بتجهيزهم عسكراً عظيماً، وأنهم أظهروا إرادة نقض الصلح وقصد بلادنا، فلم نر إلا التوقف. فإن طلبوا الحرب حاكمناهم إلى الله عز وجل، ورجونا أن يحكم لناعليهم. وقد طولنا فلا تنقدوا، وتعلموا أنا نحن نسركم فيما يرضي الله، ونرضيكم فيما صعب وهان. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وكتب الأمير علم الدين إلى الإمام يستورد أمره في الإقامة بصعدة أو الحركة إلى بين يديه، ويحكي له انحياز سليمان بن القاضي إلى جهة المغرب عند قدومه إلى الحقل. ورسالة أتت منه يلتمس الشفاعة إلى الإمام عليه السلام، والقصد إلى بابه، والتوبة إلى الله تعالى فيما سلف من الخطايا، والدخول فيما يرضي الله تعالى ويرضيه، والضراعة في العفو والصفح عنه. فأمره الإمام عليه السلام بالوصول إلى حوث، وأذن له في الأمان لسليمان بن القاضي والمصيرية إليه، وقبل الشفاعة فيه. فانصرف كل من [في] [2] العسكر إلى جهته، ولم يبق مع الأمير إلا خيله ومن يخصه من حاشيته. وأمر لسليمان بن القاضي ليكون من جملته، وأعلمه بقضاء حاجته ونجاح طلبته. وكان قد رمي كلام عنه أنه شرك في دم الشهيد

---

(١) في الأصل (كلا).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

إبراهيم بن حمزة رضي الله عنه وأرضاه، وظهر ذلك ونقلته الألسن والأفواه. فحضر بين يدي الأمير علم الدين بمسجد الهادي إلى الحق عليه السلام فحلف بالله تعالى اليمين البالغة المؤكدة، والعهود المغلظة المشددة ما حضرت مهلك إبراهيم بن حمزة، ولا شهدت مصرعه، ولا ناله من يدي حد سيف ولا سنان. وإني بريء مما نسب إلي من قتله، والشركة في دمه.

ولما وصل صحبة الأمير إلى حوث أظهر التوبة عما سلف من الخطايا، وعرض اليمين عما نسب إليه من قتل إبراهيم، فقبل الإمام عليه السلام منه ما أظهر من التوبةوالرجوع إلى الله. وأمره بتأخير اليمين حتى يحضر الأميران صنواه عماد الدين يحيى والحسن ابنا حمزة، والأمير صفي الدين. وصرف أمره إلى الأمير علم الدين وجعله من جملة أجناده، وخلع عليه وأحسن إليه. فلما حضر وأحلف بالله تعالى ـ يوم عيد الأضحى ـ على ما حلف عليه بصعدة، وأنه بريء مما نسب. وذلك في مجمع الناس بعد صلاة العيد.

قصة المخرج إلى الجوف وخلاف من خالف من أهله وما انتهى إليه أمرهم:

أجمع رأي نهم على الخلاف على الإمام عليه السلام سوى محمد بن جحاف، فإنه امتنع عليهم وباينهم، وهو يومئذ المقدم فيهم بعد أبيه، وحفظ وصيته عند موته. فإنه كان قد أوصاه بالالتزام بالإمام، وترك معارضته، والميل إلى جنبته. وحاربوه فأظهره الله عليهم، فلما يئسوا من دخوله معهم فيما عزموا عليه؛ نهض منهم فيصل بن سياع وعبد الله بن منيع برهينتين من أولادهم إلى الغز. ونهض لمعونتهم الشريف الأقطع حاتم بن علي القاسمي حتى أتوا ذمرمراً، وقصدوا السلطان بشر بن حاتم

فوضعوا الرهينتين عنده. وكانت له عناية شديدة في خلافهم على الإمام عليه السلام، واجتهاد عظيم في معارضته على مرور الأيام. فاستبشر بوصولهم، وركب معهم إلى صنعاء، ودخل بهم على وردسار وهو على الإصلاح والهدنة فيما بينه وبين الإمام. وقد حلف اليمين المتقدمة على الوفاء والتمام إلى الأجل الذي اقترحه وهو عشر سنين، وعشر ساعات، فلم تمض من هذه المدة سوى عام واحد وزيادة أيام حتى نكث باليمين. فظاهر المفسدين وأمرهم بالخلاف على الإمام عليه السلام، ووعدهم بالنهوض على إثرهم. وصاحت صوائحه بصنعاء في العسكر بمحضرهم بالمخرج إلى الظاهر بزاد شهرين، وانصرفوا عنه مسرورين بما وعدهم من النصرة. فنهضوا إلى ذمرمر وقد دنا عيد الأضحى، فلم يلبثوا للعيد، ونهض معهم السلطان بشر بن حاتم لقبض رهائن أهل الجوف ليحظى عند وردسار بالزلفة، ويغتنم الفرصة في تفريق الألفة.

وكتب الإمام عليه السلام إلى السلاطين أولاد علي بن حاتم إلى ذمرمر في ذلك، وقد كان شرع في نفي المطرفية، وقتل من أمكنه منهم. وبلغ إليه العلم أنهم يريدون القدوم إلى ذمرمر. ونسخة الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله. سلام عليكم. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد. أما بعد:

فإن السلاطين الأجلاء ـ أدام الله علوهم ـ من أعرف أهل عصرهم بوجوب حق القائم لهم عليهم، ولهم سوابق في هذا الأمر محمودة. وقد كان بلغنا أن الكافة في تلك الجهة بايعوا لنا، وأن الحصن حماه الله تعالى بالصالحين قد كان باسمنا، فإن كان ذلك كذلك فمن موجبات هذا الشأن أن لا يأويه المفسد علينا، ولا تقف فيه الرهائن في توهين أمرنا. وإن كان

من في الحصن حماه الله تعالى على طائفتين، طائفة منا، وطائفة علينا، والتي منا لا تقدر على القيام بمقتضى أمرنا صبرنا لحكم القضاء.

وأنا أعطي الله عهداً يطالبني بالوفاء به لئن مكنني الله سبحانه من الأمر، لا جاورني من عاداني في أرض ينفذ لي فيها حكم، وأنا على معهود من ربي ولن يخلف وعده.

وكذلك بلغنا أن المطرفية الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار يتوسمون الوصول إلى الحصن المعروف. وإذا كنا نعادي ـ وأنتم توالون ـ اختل التقدير وفسد التدبير. ونحن نروي لكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً». فإن اعتقدتم أنهم أهل بدعة، وأن محمداً صلى الله عليه وآله صادق فانتهروهم وصغروهم كما صغرهم الله سبحانه. وما أمرناكم لأمر يخصنا دونكم ولكنا نريد كمال أديانكم، فقد صارت رجالكم معدودة في رجالنا، وأموالكم في جملة أموالنا. وذلك من فضل الله عليكم إن حفظتموه، والظن بكم فوق ما سألناكم، وذلك فرض عليكم وحقه عندكم.

وأنشأ الإمام عليه السلام شعراً ذكر فيه محمد بن جحاف واستقامته، ومباينته لأصحابه، وذكر في آخره طرفاً من أمر المطرفية فقال:

يا[1]نهم ليس الحرب يقوى لحملها[2] فتى يمتري من بانه درة[3]العضل
ألم يأتكم أن الملوك وإن طغت ممالكهم يمسون[4]مني[5]على وجل

---

(١) في الأصل (أياً) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (لأهلها) والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل (رده) والتصويب من الديوان.
(٤) في الأصل (يمشون) والتصويب من الديوان.
(٥) في الأصل (منها) والتصويب من الديوان.

جهلتم وكان الجهل فيكم [١] سجية	فحاولتم نطح الريود [٢] من الجبل
رويدكم فالطيش لا يستفزنا	ولا العجل المخطى الصواب ولا الملل
فكم ملك قد أنزلته سيوفنا	على حكمنا فانقاد للأمر وامتثل
أما والذي طاف الحجيج بيته	عصائب شعثا بين ماش وذي رمل
لئن لم يقم لي أمركم لأقومن	إليكم صدور المشرفية والأسل
وتأتيكم يا نهم في عقر داركم	كتائب في أعناق فرسانها فتل
بها كل جحجاح كريم نجاره	طليق المحيا غير نكس ولا وكل
من الصيد من فرعي علي وهاشم	إذا ركبوا كان العدو لهم نفل [٣]
ومن حي عدنان وقحطان فتية	بهاليل طعانون في ساعة الوهل [٤]
ألم ينهكم مما فعلتم مجرب	يباعدكم عن صورة البغي والزلل
لعمري لقد شاد ابن جحاف مفخراً	سما فوق أبراج المجرة والحمل
دعاه إلى خلع الولاء مغرر	فخالفه إذ كان في رأيه خطل [٥]
وأمسك [٦] بالحبل المتين ومن يرد	سبيلاً سوى سبل الرشاد فقد وأل [٧]
وقال بما قلنا ودان بديننا	وأيد منه القول في ذاك بالعمل
ونحن أناس علمتنا جدودنا	إذا حميت نار الوغى الضرب للقلل

---

(١) في الأصل (منكم) والتصويب من الديوان.

(٢) الريد : الحرف الناتىء في الجبل، والجمع أَرْيَادٌ. والجمع الكثير رُيودٌ.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ريد.

(٣) في الأصل (كفل) والتصويب من الديوان.

(٤) الوَهَلُ: الفزع.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: وهل.

(٥) في الأصل (الخطل) والتصويب من الديوان.

(٦) في الأصل (فأمسك) والتصويب من الديوان.

(٧) وأل: نجا.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: وأل.

إذا الحرب أبدت ناجذيها وأبرقت ... وجردت البيض الصوارم كالشعل
وصار الفتى يدعو أخاه فلم يجب ... وبينهما قاب الرديني في المثل
عدونا[1] بسمر من رماح ردينة ... طوال بأيد لا يلم بها الفشل
ونضرب بالبيض الخفاف ونعتري ... إذا صار طعم الموت أحلى من العسل
وننكر[2] يوم الروع أجياد[3] خيلنا ... من الطعن حتى في المحاجر والمقل
ونلوي على أخرى الخميس جيادنا ... إذا هام رعباً كل ضرغامة بطل
ونرمي بهامات الجياد أمامه ... إذا صار وجه اليوم أصفر كالطَفَلْ
واعجب من نهم دعاة مطرف ... فقد ضل من يعزى إليه وقد أضل
هم جحدوا القرآن كفراً مصرحاً ... وقالوا جهاراً ما أتانا ولا نزل
وعندهم أن الحوادث هذه ... مكونة من موجبات من العلل
وقالوا رسول الله صير نفسه ... نبياً ولم يخصصه عزّ بها وجل
ولم ينزل الغيث المغيث إلهنا ... ويحيى به من شاء في السهل والجبل
وكفرهم كفر صريح وإنني ... سأوضحه بالرمح والصارم الأَفَل[4]
إذا شاء منشي الجاريات بلطفه ... على الماء تقديراً عجيباً لمن عقل
فلا لوم في إطعامهم ذبل القنا ... فكل مقام دون كفرهم جلل
فيا عاذلي فيهم جهلت مقالهم ... فبالغت في كثر الملامة والعذل
ألا رب مغرور بظاهر أمرهم ... أضافوه بالمكر الخفي إلى هبل
يقولون إن الله أغفل خلقه ... وصيره لا دَرَّ دَرُّهُم[5] همل[6]

---

(١) في الديوان ج، د (عطونا).

(٢) في الأصل (وينكر).

(٣) في الأصل (أجناد) والتصويب من الديوان ج، د.

(٤) الْفَلُّ: الثَّلمُ في السيف. والفل: واحد فُلُول السيف وهي كسور في حده. وسيف أفَلُّ أي مُنْفَلٌّ.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: فلل.

(٥) لا دَرَّ دَرُّهُ: لا زكا عمله. وبمعنى لا كثر خيره.

=

وهمهم هم الغراب لبطنه إذا صار[1] شبعا[2] من حشي جيفة حجل
يلوكون أعراض الأئمة جهرة ويعزون اتباع الهداة إلى الزلل
فهم مثل خاصي العير ما حاز مفخراً وراح بوجه لم يصب أرضه بلل
فإن لم أزرهم كالجبال كتائباً فلا ضربت كفي الكمي بلا مهل

فلما صار السلطان بشر بن حاتم في الجوف الأعلى عند آل دعام، أرعد وأبرق، واستخفهم، وأرجف عليهم بأن وردسار قد صار حاطاً بشوابة، وأنه قاصدهم لا محالة حتى صار إليه أكثر المحب له رغبة، والكارة مخافة منه. وأمرهم بتقديم عبدالله بن منيع فيهم، وكان طريداً للإمام عليه السلام، وإدخاله الدرب المعروف بفاضل، وكانوا قد أخرجوه منه، وقدموا فيهم ابن عمه منيع بن فليح. وكان محباً للدولة داخلاً في الطاعة، فأخرجوه وركبوا بعبدالله بن منيع وقدموه، فلم تبلغ ولايته سوى ليلتين.

وتواترت الاخبار بأن وردسار نهض بالعسكر إلى مأرب، وبإقبال عسكر الإمام عليه السلام إلى الجوف، فانتقض ما أبرموه، وانهدم ما أسسوه، وولوا جميعاً خائبين، وعلى أعناقهم ناكصين.

قدوم العسكر من ظفار حماه الله تعالى يوم الأربعاء لست عشرة ليلة خلت من ذي الحجة آخر شهور سنة اثنتين وستمائة:

لما التأمت جنود الحق من كل ناحية، وعدة الخيل مائة فارس،

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: درر.

(٦) الهمل: السدى المتروك بلا ثواب ولا عقاب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: همل.

(١) في الأصل (صاد) والتصويب من الديوان ج، د.

(٢) في الأصل (شعباً) والتصويب من الديوان ج، د.

والرجل سبعمائة راجل، والمقدم فيهم يومئذ الأمير عماد الدين يحي بن حمزة. وهبط الإمام عليه السلام من الحصن مشيعاً لهم حتى حط بهم على درب حبران من شوابة. وكان الزاد معهم قليلاً، والقحط في البلاد عاماً، فطلب الحب للعسكر فلم يوجد لشدة السنة، فأمسى أكثر الناس على غير شيء وأصبحوا كذلك. ونهضوا ضحوة النهار يسوقون سوقاً حثيثاً يريدون أخذ أموال المخالفين من نهم. وكان صرمهم بموضع يسمى جحومة، فأتوا موضعاً يسمي كمنا [1] وهم على السير الحثيث وقد عبأوا [2] عسكرهم وجعلوه ثلاثة صفوف، كل صف يتلو الآخر. وإذا برجل يهوي إليهم يقال له عدنان بن حسن، فقالوا: ما وراءك؟ فأعلمهم أن بني منبه أخربوا الخلق، وهو درب حليفهم محمد بن جحاف، وأن الغز قد طلعوا من مأرب وقد صاروا ببراقش. فارتج العسكر، وانتقضت التعبئة، وكثر الإرجاف. وأتاهم محمد بن جحاف، وتواترت الأخبار بمصير الغز بمدينة براقش، فمال الأمير بعسكره إلى درب يسمى مقعد فحطوا به ساعة. وأرجف المفسدون، وتواترت الأخبار بقرب الغز، ولا أمان من فساد الموالف من أهل الجوف. فحضر الأمراء عماد الدين يحيى وأسد الدين الحسن [3] ابنا حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم، وعلم الدين سليمان بن موسى، فاشتوروا فأجمع رأيهم على التأخر والرجوع إلى حوث. ونهضوا في الحال حتى أتوا حوثاً. واستحال خبر الغز ومصيرهم إلى براقش، فلما عادوا تقوى فساد أهل الجوف، وأجمعوا على الخلاف. وجرى الخلف من نهم وآل دعام على الميل إلى جنبة الغز وقودهم إلى

---

(1) كمنا: محلة من قرية المقاشب، عزلة همدان، ناحية حزم الجوف.
الهمداني، الإكليل، جـ ٨ ص ١٧٥؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

(2) في الأصل (عبوا).

(3) في الأصل (عماد الدين وأسد الدين يحْيى والحسن).

البلاد. وقدموا أفراساً لوردسار على ذلك. فكتب إليهم الإمام عليه السلام كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. سلام عليكم. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، أما بعد.

يا معشر آل دعام فإن لكم في ود آل محمد صلى الله عليه وعليهم نصيباً وافراً، وسوابق مشهورة، وهفوات نكث لم يحمد من فعلها؛ بل قطع الله أثره، ومحي رسمه، وجعله عظة لمن اتعظ من خلقه. وفيكم مع ذلك أهل صفاء ووفاء لم يشب وفاءهم غدر، ولا يعكر صفوه كدر. فالصالح خير من الطالح، والعذب أزكى من المالح، فاقتدوا بالمرشدين ولا تقتدوا بالمفسدين. وقد علمتم ما في أعناقكم من الإيمان والعهود، وهي لا تبلى بمرور الأيام. ونحن راغبون في عمارة بلادكم، وصلاح أرضكم، وكثرة أموالكم، وتشييد دياركم؛ والله على ما نقول شهيد.

وقد بلغنا أمور من جهتكم، فإن كانت حقيقة فارجعوا عنها فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وإن كانت مستحيلة فهو الظن بكم. بلغنا أن نهماً حلفواوردسار أيمانهم إليكم، ولسنانكره أن تكونوا قادة لجميع العرب في طاعة الله وطاعتنا، ولكنا نعلم أن هذا الأمر لو كان لنفع عاجل، أو ثواب آجل ما قدموكم فيه، فلسنا نعلم من محبتهم لكم وشفقتهم عليكم ما يوجب ذلك. ولكن أرادوا أن تحقنوا بدمائكم دماءهم، ويصونوا ببلادكم بلادهم. فلو رجع الناس فوضى وخرجوا من ولاية هذا الأمر، لرجع أمرهم إلى نفوسهم، وشغلوكم بنفوسكم، وألطاف الله سبحانه في خلقه أدق من نتائج نظرنا، وتدبيره في عباده لا تنتهي إليه غوامض فكرنا.

وقد كتبنا هذا الكتاب إعذاراً وإنذاراً فإن كنتم على ما بيننا وبينكم

فأعلنوا ذلك، [وناصروا] [١] أولياء الله، ونابذوا أعداء الله، ولا تخلفوا عنا لنراجعكم في الأمور بما يعود صلاحه على الجمهور. وإن كنتم على غير ذلك فشدوا حيازيمكم [٢] للحرب من السماء والأرض، وتوقعوا مصارع البغي وعواقب النكث. ومن الله نستمد التوفيق لصالح الأعمال، والهداية في الأفعال والأقوال. وقد أصدرنا إليكم هذا الكتاب شفقة عليكم ورعياً لما يلزمنا من حقكم. ولعل من لو شئنا لذكرناه. وسوف نذكر الحديث مشافهة إن شاء الله تعالى في أبغض الأوقات إليه، وأحبها إلينا بعون الله ومشيئته.

تقول ما كتب الإمام إلينا إلا مخافة سطوتنا، وجبناً من حربنا، ولسنا نكره العافية. والله سبحانه يعلم حقائق الأمور، فلا يكون الجواب إلا أنتم أو جواب منصرم. وقد كتبنا إلى كل درب بالجوف لإبلاغ الحجة إلى ربنا، والمعذرة إلى خالقنا. وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار. وقد رحمنا أهل الجوف لما في بلادهم من الضر والجدب عند أن أردنا المعونة منهم في الخيل التي صالحنا عليها الغز، ولم نعلم أن معهم هذه القدرة على تسليم الخيل إلى عدوهم ليستعين بها. فما أعجزهم عن الخير، وما أقواهم على الشر، ولو ساعدنا نفوسنا على تركهم وهجرانهم لندموا عاجلاً على فراق دولة الحق ومنابذة كنف الأمر والسلام.

فلما وصل هذا الكتاب إليهم وقرىء عليهم، أثَّر عندهم، واستقبلوا ما استدبروا من أمرهم، وعلموا أنهم هالكون إن لم يرجعوا من قرب،

---

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل.

(٢) الحزيم والحيزوم وسط الصدر وما يضم عليه الحزام. واشدد حيزومك وحيازيمك لهذا الأمر أي وطن عليه.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: حزم.

ويدخلوا في الطاعة، وينقادوا للأوامر الإمامية. وقد كان الإمام فرق الكتب، وجهز العساكر والجنود من كل جهة لدمار الجوف وأهله لو استقاموا على الخلاف. فقدموا رجلين منهم على وجه المبادرة، أحدهما وتير بن ربيع والآخر الحصن بن أبي حماد فأقاما عند الإمام مدة. وأشاع أهل الفساد ومن يريد المباعدة والتنفير من أهل الجوف بأن الإمام عليه السلام لزمهما واعتقلهما، يريدون الفرقة بينه وبين آل دعام، وأن يحدثوا حدثاً حتى يلتئم [1] أمرهم على الخلاف مع بني منبه.

واجتمع العسكر إلى حوث، فأقبل الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة من البلاد الحميرية في جيش متباعد الأطراف من خيل ورجل، وصلحت أحوال آل دعام، وأجمع الرأي على قصد نِهْم إلى صرومها، وأخذ أموالها، وخراب دروبها. وكان اجتماع العساكر يوم النصف من شهر المحرم من سنة ثلاث وستمائة. وعند ذلك وصل من دعام جحاف بن ربيع وخلاد بن أبي حماد وجماعة منهم وهما [2] المقدمان فيهم، ومن نهم مبارك بن عزان بن فليتة وهو يومئذ كبيرهم ومقدمهم، ومعه معتق بن فهد فسقط الكل على الإمام عليه السلام وشفعوا بالحاضرين من أصحابه وحاشيته، والتمسوا العواطف النبوية، والمراحم الإمامية، وبالغوا في الشكية ممن أولجهم في الخطيئة. ولم يزل بهم التردد حالاً بعد حال، وتجديد سؤال بعد سؤال حتى رهن مبارك بن عزوان نفسه عن نفسه وعن جميع أهل الجنايات من كافة نهم؛ ودخول علي بن هديان، وآل سناع، وفيصل بن يحيى، وشبيب بن هشام، وعبدالله بن منيع فيما يرسمه الإمام عليه السلام هان أم صعب؛ وعلى رضا حليفه محمد بن جحاف، وورد

(١) في الأصل (يلتام).

(٢) في الأصل (وهم).

نقائصه وما أخذوه لأصحابه، وحلف هو وأصحابه على الوفاء والنصيحة لله تعالى في السر والعلانية، وموالاة الولي، ومعاداة العدو. وأنهم قاطعون لمن طلب الفساد، قائمون عليه في جميع أقطار الجوف من الجوف والقرار. وكتب بذلك مشروحاً وشهد فيه الحاضرون من الأمراء والأشراف وكبار حاشد وبكيل، وانصرم الأمر عليه.

وأمر مبارك بن عزان لابن أخيه يضعه رهينة مكانه، وكتب إلى أصحابه أنه التزم عليهم بما يرسم الإمام عليه السلام، فالتزموا ذلك. فرسم تسليم سبعة آلاف دينار، فامتثلوا أمره، ولم يتعدوا حتمه [1]، وأشعر الأمراء عراضة العسكر، وبرز إلى الميدان في خيله ومن يختص به من الأنصار والأعوان، وجاشت العساكر كتائب مكتبة بالعدة والسلاح والآلة القوية. فأقبل الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة في خيله وديوانه ومن كان معه من حمير [2] وبني شاور [3] ومن حضر من مرهبة، وتلاه الأمير صفي الدين في مثل ذلك، وتبعه الأمير علم الدين سليمان بن موسى وهو يومئذ أكثرهم خيلاً وعدة. ثم أقبل على إثرهم الشيخ الأمين خادمه دحروج بن مقبل في عسكر كثير العدد من الديوان وأهل العطاء ومن انضاف إليهم من قبائل بكيل ووادعة وبني صريم، فاجتمع عسكر عظيم متباعد الأطراف. وخيله تداني المائتين، ليس فيها عار عن العدة الكاملة إلا القليل، والرجل

---

(١) الحَتْمُ: القضاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حتم.

(٢) حمير: شعب عظيم في اليمن من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٥٠؛ الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٨٢.

(٣) بنو شاور من قبائل همدان ويمتد نسبهم إلى كهلان من قحطان. ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٤٧.

عدد كثير لم يجتمع عسكر مع الإمام مثله في كثرة السلاح والزانة والقوةوذلك لحضور أهل الجوف، فشاهدوا منه ما أفزعهم وأرعب قلوبهم، وعلموا أنهم كانوا هالكين لو لم يستدركوا أمرهم. وبلغ علم تلك العراضة إلى صنعاء، فعظم الأمر بها. ولقد حكى الثقة أن علمها انتهى إلى زبيد وازداد الأمر بها قوة وهيبة في قلوب الظالمين.

ولما اجتمع العسكر بالميدان، تقدم الإمام عليه السلام في أوساط الناس وقد أحاطوا به حلقاً متراصة، ففتح الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله. ثم تحدث فأسكت الناطقين، ووعظ فشفى قلوب المتقين، وحض الناس على التوبة والإقبال على الله سبحانه، وأمرهم بأوامره، ونهاهم عن زواجره، وحكى لهم إقبال أهل الجوف إليه وسقوطهم في يديه، وما أظهروه من التوبة والإنابة، وما توجهوه من سلوك منهج الإصابة. ثم تقدم كبارهم فأعلنوا بالتوبة، واعترفوا بالخطيئة، وندموا على ما فرط منهم من الزلة. وانصرفت الناس من ذلك المقام، وقصد كل جهته. فنهض الأمير علم الدين إلى الجوف فقبض المال وفرقه في الأجناد، وتغطت أمور البلاد، وسكنت شقاشق أهل البغي والفساد خوفاً من سطوة الحق. فلم يكن إلا المدة اليسيرة حتى نجم نفاقهم وظهر شقاقهم وعادوا لماتابوا منه. وأجمع المخالف والموالف من نهم وآل دعام على الخلاف، وذكر ذلك يأتي في موضعه إن شاء الله. وجاءت مطالعات الأمير علم الدين سليمان بن موسى قبل خلافهم هذا وقد تبين له فسادهم، وطلب من الإمام عليه السلام القود إليهم، والشدة عليهم قبل تمادي فسادهم وظهور عنادهم، فلم يساعده رغبة في صلاحهم ودفع الشر عنهم، وهم يتسرعون إلى الشر بأقوالهم وأفعالهم. وأنشأ الإمام هذا الشعر يذكر فيه طرفاً من أمرهم وقد سمع منهم الأذية والمنة قال:

إني أرقت لضوء البارق الساري ... وهنا فغاضت مآقي دمعي الجاري
وبت أرقبه أرعى تألقه ... وفي الحشى من عظيم الوجد كالنار
وما شجتني حمامات مطوقة ... تبكي الهديل على أغصان أشجار
ولا ديار خلت من بعد ساكنها ... ولا ربوع عفاها صوب (١) أمطار
ولا أقول وركب الحي معترض ... عوجوا نحيي لنعم دمنة (٢) الدار (٣)
لكن شجاني قوم قال قائلهم ... إفكاً وما فيهم خير لمختار
ويضحكون بجهل من سفاههم ... ويرقصون على دف ومزمار
يا قائل الفحش لا حييت من رجل ... وقاري الزور لاحييت من قاري
أينكروني فإن العرب كلهم ... والعجم ما أنكرتني فضل مقداري
وهل يضر نباح الكلب ليث شرى ... جدل الذراع هريت الشدق كرار
فإن يريدون نقصي من جهالتهم ... فقد يكون المعادي ذكر أخباري
وإن عرضت له بالليل آرقة ... فكر وبلبل في فكر بتذكاري
لأنني منجب من نسل منتجب ... أبي الوصي وجدي صاحب الغار
وكالجراز (٤) غداة الروع مختبر ... قد يعرف القوم إيرادي وإصداري
والقوم تعرف من عرب ومن عجم ... أني غداة الوغى كالضيغم الضاري

---

(١) الصوب: نزول المطر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صوب.

(٢) دمنة الدار: أثرها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دمن.

(٣) الشطر الثاني من البيت مقتبس من مطلع قصيدة للنابغة الذيباني يقول فيها: عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار.
انظر: ديوان النابغة الذيباني، ص ٢٠٢؛ ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ ١ ص ٢١٧.

(٤) الجراز من السيوف: الماضي النافذ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرز.

أقدم الجيش نحو الجيش مطلباً كسب المفاخر ياخوانة الجاري
واهزم الجمع لا أعبأ بكثرته بعـزمـة وفؤاد غـيـر خـوار
وأمنع الجار أحميه وأكنفه مما يحاذر من خوف وإعسار
وأضرم النار أعلى ذروة الجبل العالي ليهدي ضياها الطارق الساري
أقول يا نار إن لم تجلبي كرماً ضيفاً يلم فلا بوركت من نار
أيفخرون على ما كان في أسد والخيل في الحقل تحكي فيض تيار
فخضتها وشبا الهندي منحطم وخيلهم قد ثنت عني لإدبار
والقوم قادهم بشر فما نفعوا ولا أعاضوه من مال بدينار
وهم غداة الوغى في الشعب من لصف ولوا وما فيه من بكر لأبكار
ويوم رحبان [١] ولوا عن حرائمهم ولم يحاموا حفاظاً خشية العار
ويوم قدنا إلى الجنات خيلهم كطالب ودكاً من رأس مسمار
فأجفلت خيلهم للوعر قاصدة والطعن ما بيننا أحمى من النار
ولـو نعدد أيـاماً لهم سلفت لما بلغنا إلى عشر لمعشار
وإنما هذه في الدهر تـذكرة تبقى بـألسن ركبان وسمـار
فإن يعودوا إلى ما قال قائلهم ويـرجعون إلى فسق وإصـرار
أرخيتها نحوهم جرداً مسومـة تردي بكل طويل الباع كرار
تنمى إلى الشرف الأعلى مناسبه لدى الكريهة ماض غير فرار
من شم عدنان أهل الفضل إن ذكروا وغلب قحطان أعواني وأنصاري
فيا مغذا على عيهامة [٢] أُجُدٍ [٣] موارة [٤] الضبع [٥] وجنا [٦] عبر أسفار

---

(١) رَحْبان: من أودية صعدة، يقع في بلاد سحار جنوب مدينة صعدة.
الهمداني، صفة جزيـرة العرب، ص ٢٢٤؛ الحجري، مجموع بـلدان اليمن، جـ ٢ ص ٣٥٩.

(٢) ناقة عيهامة: ماضية سريعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عيهم.

=

بلغ بني حسن عني مغلغلة — وإن نأت عن تداني دارهم داري

وقل لقائمها المنصور أشرفها — وأشرف النار من قار ومن قاري

الضارب الهام والأرواح طائشة — بكل صاف رقيق الحد بتار

وقائد الخيل منكوباً [1] دوابرها — يا كاسب الحمد بل يا ناقم الثأري

ومن غدا في عباد الله كلهم — للناظرين كمثل الكوكب الساري

كم لا تزال توافيكم مطالعة — مني صريح بمنطوقي وأشعاري

ولا تجيبون لي صوتاً لحادثة — حتى كأني أنادي صم أحجار

قودوا الجياد إلى الأعداء ساهمة — وكل جيش كمثل الليل جرار

واعملوا السيف إعمالاً ولا تهنوا — وشمروا لثواب الخالق الباري

ودوخوا الأرض أو تحكي وقائعهم — يوماً بصفين أو يوماً بذي قار

وإن نهضتم إلى حرب مؤججة — فليقْفُ قائلكم قول ابن سيّار[2]

يال المكارم إن الطعن في ثغر — خير وأجمل من طعن بأدبار

= (٣) أُجُدٌ: ناقة أجد أي قوية موثقة الخلق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أجد.

(٤) ناقة موارة: سهلة السير سريعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مور.

(٥) ضبعت الخيل والإبل إذا مدت أضباعها في سيرها، وهي أعضادها. وفرس ضابع: شديد الجري.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضبع.

(٦) الوجناء: الغليظة الصلبة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وجن.

(١) النكب: أن يصيب الحجر ظفراً أو حافراً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نكب.

(٢) حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي الذي قاد العرب في وقعة ذي قار وحقق النصر على الفرس.
انظر، محمد جاد المولى، أيام العرب، ص ٢٩.

قصة غزوة الوشيح:

وهو واد في بلاد عذر وعر صعب المسالك، لم يذكر أحد من أهل الوقت ولا أخبرهم مخبر أن أحداً وصل إليه من سلاطين العرب، ولا ملوك العجم غازياً ولا محارباً. وكان يأوى إليه قوم من عذر يقال لهم العصيمات، ومن يشايعهم على الفساد وقطع السبيل، وأخذ أموال المسلمين فيمتنعون فيه، ولا يستطيع أحد الوصول إليه، ولا الاستظهار عليهم. وكانت مضرتهم عامة، وفسادهم ظاهراً. فكتب الإمام عليه السلام كتاباً عاماً إلى كافة البدو منهم والحضر نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله. سلام عليكم، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى أما بعد:

يا معشر البدو والحضر من قبائل عذر فإن لكم سوابق محبة في هذه الدولة النبوية، والكلمة المباركة الزكية فعددتم بذلك من السابقين، وقدمتم في ذكر مفاخر المسلمين. وقد وصل منكم من وصل إلينا، ودعونا الغائب والحاضر، وقد اخترنا لكم ولم نأل جهداً أن وليناكم أفضل من قدرنا عليه من أهل الحق بعد أن بلونا سيرته واختبرنا سريرته وهو الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، فأطيعوا أمره، وانقادوا لحكمه، وامتثلوا مراسمه. واعلموا إن ما أخرجتم من قليل أوكثير فإنه لا يضيع لكم عند الله، لأنه يقبل الصدقات، ويعفو عن السيئات. فكونوا عند الظن بكم، وليعرف عاقلكم جاهلكم، وليقرع حليمكم سفيهكم. واستظلوا بظل الله عز وجل الذي لا يضحى[1] من استظل به. واستنزلوا البركة بحسن

---

(١) الضِّحُ: الشمس. وقيل ضوءها. وقيل هو قرنها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضحح.

الطاعة، وفروا إلى الله منه. واعلموا أنكم بعينه، وأن الشعاب لا تنجيكم من سطوته، والجبال لا تحصنكم من بأسه. ولا تنسوا حقه فينساكم من فضله، فإنه سبحانه يذكر من ذكره، ويجزي من شكره. فأخلصوا النية له فيما تفعلوا من خير فهو لكم، وله وقت، وبه شهيد. فأحبوا الله لنعمه، وأحبوا جدنا صلى الله عليه وآله لحب الله، وأحبونا لحبه صلى الله عليه وآله، ولا تكونوا من الذين آمنت ألسنتهم وكفرت قلوبهم، ولا من الذين ﴿قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾(١).

فأطاع أهل الحضر منهم خوف السطوة. أما أهل هذا الوادي فتمردوا على الله، واستمروا على الفساد والمعصية. فانتخب الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم أربعمائة راجل من خفاف الناس وأهل الشدة والبأس، وقطعة من الخيل. ونهض غازياً لهم من تحت الليل من حوث، فأظفره الله تعالى على أعدائه، وأحاطوا بأموالهم وما شذ منها إلا القليل وساقوها. وصرخ صارخهم، فاجتمع منهم بشر كثير، ولزموا أفواه الشعاب ومضايق الأودية. ووقع قتال شديد، وجراحات كثيرة بين الفريقين؛ وجراحهم أكثر كما حكى ذلك من حضر. وما زال القتال بينهم حتى خرجوا بالمال من مضيق الوادي، وتلقتهم الخيل حيث وقع لها المحال فانقلبوا خائبين، ولم يطمعوا بعد ذلك بشيء من المال. فقسمه الأمير بعد أن أخـرج منه مائتي رأس من الغنم خمس ما حضر منه، فأعطى الفارس سهمين، والراجل سهماً. وقد كان وقع من بعض العسكر خيانة في أخذ جانب من المال، فقسم ما حضر، ولم يتمكن من التحكيم عليهم فيما أغبوه.

وعاد العسكر غانماً سالماً، وخمدت نار المفسدين. ولم يكن أحد

---

(١) سورة الأنفال، آية ٢١.

منهم يخطر بباله أن أحداً يصل إليهم، فنصر الله عليهم، ودخلوا في الطاعة بعد ذلك وكفوا أيديهم عن الفساد مدة.

قصة المطرفية ونجوم نفاقهم وظهور شقاقهم وما آل إليه أمرهم:

لما جرت الهدنة بين الإمام عليه السلام وبين وردسار، وخلا خاطره بعض الخلو عن حربه، التفت إلى تفقد البلاد وأهلها، وصلاح أمورها، وإزالة شرورها، وكشف أحوال الولاة والعمال فيها. والعدل في الرعية والنظر في مصالحها، وإمضاء الأحكام على مقتضى الشريعة الطاهرة المرضية لتستقيم أمورها في دينها ودنياها. فنصب علي بن سليمان البكيلي قاضياً ملازماً حضرته، فأمضى الأحكام، وأنفذ الأوامر على الأمير والشريف، والقوي والضعيف. وحض الناس على الصلاة بالشدة واللين. وامتلأت المساجد، وكف أيدي الناس من المحارم، وأنصف المظلوم من الظالم. فاتسقت الأمور، وصلح الجمهور، وأمنت السبل مع شدة القحط وغلاء الأسعار، وعاش الضعيف في جنب القوي، وانتظمت أمور دنياهم.

ثم نظر عليه السلام في أمور الدين، وما وقع من التلبيس فيه على المسلمين من هذه الفرقة الضالة المضلة، وخروجها على الملة، فكان ذلك من أهم الأمور عنده وأولاها بالنظر. ولما طال دأبه[١] لتلاوة[٢] كتاب الله تعالى وتدبره لمعانيه، وملازمته لقراءته في أيامه ولياليه، جمع من آياته الكريمة أربعمائة آية وسبعاً وثلاثين آية محكمة، لا تحتمل التأويل، كلها ناطقة بخلاف مذهب هذه الفرقة، ومبنية على بطلان اعتقادهم؛ منها في أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، وأنه تعالى جعله معجزة لنبيه صلى الله

---

(١) في الأصل (بدأ به).

(٢) في الأصل (لتلاوته).

عليه وآله. ومنها أنه المتولي لتدبير العالم، وأنه لم يخل منه طرفة عين. ومنها أن الله تعالى فاضل بين عباده في الأرزاق وغيرها، وأنه رازق للعصاة من خلقه والكفار من بريته. ومنها أنه يمتحن خلقه بالأسقام والآلام ويعيضهم[1] على ذلك. ومنها أنه ينزل الأمطار والبرد، ويرسل الصواعق فيصيب بذلك من يشاء ويصرفه عمن يشاء. ومنها في إثبات الميزان والكتاب ويوم القيامة؛ وكل ذلك نطق به صريح القرآن الكريم.

وهذه الفرقة تنكر ذلك وتدين بخلافه، وتجادل على ما ذهبت إليه. وقد جمع الشريف الفاضل جمال الدين حاتم بن جعفر الحمزي عن أمر الإمام عليه السلام، وأضاف كل آية إلى ما هو من جنسها، وسماه: «المجموع من آيات القرآن الشريف المبطلة مذهب الطَّبْيْعِيَّة أهل التطريف».

وحكى الشريف نظام الدين الفضل بن علي العباسي العلوي عن رجل من كبار المطرفية وشيوخهم أنه ناظره بقرية ثربان من أوطان سفيان في المفاضلة فانتهى الأمر إلى أن قال هذا الرجل واسمه علي بن موسى الفتلاني: إن الله تعالى ساوى بين النبي واليهودي، وما اختص نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بفضل ولا اجتباه لرسالة، وأظهر ذلك وهو المعلوم من مذهبهم. فلما حكى ذلك للإمام عليه السلام وهو متمكن من إنفاذ حكم الله في هذه القرية أمر في الحال جماعة من الشرفاء فعتلوه[2] إلى ساحة القرية، وضرب أحدهم عنقه لكفره وجحده ما أنزل الله تعالى، ومضى إلى لعنة الله. وقد كانت نزلت به آية عظيمة لم يتعظ بها، وذلك أنه حكى لي

---

(١) في الأصل (ويعيظهم).

(٢) عتله: جره جراً عنيفاً وجذبه فحمله.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عتل.

عدة من الثقات الأخيار أنه أتى إلى قرية تسمى الراسين من بلاد بني عبيد من أوطان وادعة[1] فطلب أهلها شيئاً من الزكاة وقالوا: إنا قد سلمنا زكاة أموالنا إلى الإمام، فأطلق لسانه بالسب الفظيع، والأذى الشنيع ثم انصرف عنهم إلى جانب من القرية مغضباً، فقعد في موضع وبالقرب منه كلبة رابضة يجوز عليها الصغير والكبير، والغريب والأهيل فلا تهيج أحداً بشر، فلما استقر في مجلسه قصدته خاصة دون الناس، فوضعت يدها على كتفه، وهرت في وجهه، واستخرجت لسانه من بين الأضراس فشدختها[2] بأنيابها، ولم تعرض لأحد بعده ولا قبله فيما حكاه الحاكون. وأغار الناس وقد تركته عبرة يلوك لسانه في فيه، فحملوه، ولبث مدة عليلاً يتململ من شدة الألم على الفراش، ولا يسيغ المعاش. وأنتن فمه حتى عاف الناس قربه، ونفروا عن مجالسته. ولما ظهرت هذه الآية وتناقلها الناس في الجهات، وبلغت إلى المغارب والمشارق، جاء كتاب من الشيخ الحسن بن عزوى يعجب مما بلغ إليهم من هذه الآية، وفي صدر كتابه هذه الأبيات:

اسمع أمير المؤمنين قضية	أضحى بفضلك ذكرها مشهوراً
أخبر بالراسين كلب مسلم	سميته لوداده قطميرا
سمع الذي أطرى عليك بسبه	فجرى يعض لسانه تحذيرا
هاتلك معجزة غدا لك ذكرها	في بطن كل صحيفة مسطورا

(١) بني عبيد: من أوطان وادعة بظاهر بلد همدان.
حميد المحلى: الحدائق الوردية، جـ ٢ ص ١٥٣؛ الجرموزي، النبذة المشيرة، ص ٢٢٣. ودرب عبيد: محلة من قرية الحورى من عزلة وادعة، ناحية حوث، قضاء خمر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ١ ص ٦٠.

(٢) الشدخ: الكسر في كل شيء رطب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شدخ.

فلما قتل لا رحمه الله، وشاع خبره في هجرة المطرفية، عظم عندهم الأمر وضاقوا به ذرعاً. واضطربت أحوالهم وتكاتبوا وأظهروا ما كانوا يخفون، ونجم نفاقهم الذي كانوا يكتمون، وأعلنوا بالسب في البلاد، وسلقوا بألسنة حداد، وحبروا الأشعار بالهجو في الإمام عليه السلام، ولم يدعوا ممكناً من الفعال. وأتى رجل منهم يسمى حابس بن مالك لعنه الله إلى حصن ذمرمر [فألقى على][1] بعض من حضر أبياتاً للإمام عليه السلام كان قد أنشأها في حال الصغر بحجة، وقبل الدعاء والقيام وهي:

وكم مدع[2] للعلم جاء مصمماً ينازعني في مذهبي ويماري
يقول حكى أشياخنا عن شيوخهم بأن انهمال المزن فضل بخار
وصعَّر خداً ثم كشر ضاحكاً كمثل حمار شم بول حمار
فقلت له ترباً لفيك وجندلا ألست لآيات المنزل قاري
فقال ومن هل أكفرن[3] وإننا من السمع للقرآن أهل نفار
فقلت له بعداً لكم ولدينكم كما أبعد الرحمن أهل وبار

فأجاب عنها كما وجدته في نسخة الجواب للفقيه علي بن يحيى البحيري قال:

لك الله نكب عن سبيل تعارى ولا تضرب الأمثال فهي عواري
ولا ترسل الأقوال تلق جوابها ملاقاة حاسي الحمن[4] ضر حمار
ولا تهج الآساد في أجماتها تأخر ففي التأخير ألف خيار

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) في الأصل (بدع).

(٣) في الأصل (اكفرت).

(٤) الحَمْنُ: صغار القردان، والقراد: دويبه تعض الإبل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حمن، مادة: قرد.

أعيذك من فتح لباب عداوة لعز توالى في التقى وتباري
ندين بدين الفاطميين إنه لديها يصدق في أمين قرار
أتطمع في تليينها بقساوة ولم يجتمع ماء وجذوة نار
وكم طالب ربحاً فآب لجهله أحاشيك عن جهل ببخس خسار
وأقبل كبران يكابر من يرى كبار الذي غير كبار
وما أنت وسنان الفؤاد انتباهة بقرع العصا أو حر لفحة نار
وهذا جواب لا ابتداء تمارى كضرب نحار سادة لنحار

وهذه الأبيات الأخيرة لحسن بن علي النساخ:

لك الويل تفري عرض كل موحد بزور صريح آفكٍ وتعاري
تساجل من لا يصطلى بنياره ومن لا يرى بحراً له بغبار
نسخت بتمويه شريعة أحمد لطخت بياض الحق منه بقار
وهبتك يا مسكين عفواً لأجهر[1] بقولي أن أصليك لفح شرار
أنحن حمير يا كلاب بزعمكم فأنتم كلاب بالهرير ضواري
على ميتة الخنزير أنتم عكفتم فبشراكم من ربكم ببوار

فأجاب عنها الشريف الفاضل يحيى بن مكنى بن حمزة القاسمي ردأ عن الإمام عليه السلام وعن شعر آخر قال في صدر جوابه ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾[2] وقال:

أتعلم من ذا لو عقلت تجاري ومن ذا بمضمار السباق تماري
أبيت لك الويلات إلا تعرضا بمن أنت لا تجري له بغبار

---

(١) الكلمة يمكن قراءتها (لأحمر) وكذلك (لأجهر). والأجهر من الرجال: الذي لا يبصر في الشمس.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: جهر.

(٢) سورة الشورى، آية ٤١.

تعرض حمى ندى الروق أو كما تبدت لليث الغاب ذات عشار[1]
أتحتك بالأفعى بعلمك عقرب وهل برزت شاة لأهرت ضاري
أتنطح طود العز منك بهامة وتسبح في لجي موج بحار
وأنت قصير الباع عما ترومه وتسمو بأبواع كذاك قصار
وليس المجلي[2] كالمصلي[3] بحلبة فحل سكيناً ذاعياً وخسار
وليس الكعيت[4] كالكميت[5] إذا جرى ولا هو منه لاحق بأثار
حلوت فحليت اللسان لشأنه ولم تنهه من زلة وعثار
ولو حضرتكم عصبة هاشمية نأى عن تعاطيكم سهل عشار
وأين الثريا من يديك وأين من تغاريت في بغصاه كل تغارى
أنفتم زعمتم حين قال مشبهاً لبعض أعادي دينه بحمار
وقد ضرب الرحمن جل لمثله به مثلاً والقول فهو عواري
وساء لعمر الرحمن ذا مثلاً لمن يقابل علماً بالعمى ويماري
وقلت ولم تستحي من قول ريبة ولا من كلام فاضح بعوار
نسخت بتمويهٍ شريعةَ أحمد لطخت ثياب الحق منه بقار
عليك بها ما تستحق أمثل ما تقول تغطي وجه شمس نهار

(١) العشار من الإبل، التي أتى عليها عشرة أشهر. وعشر الحمار: تابع النهيق عشر نهقات.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عشر.
(٢) المجلي: السابق في الحلبة.
الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل الجيم باب الواو والياء؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة: جلو.
(٣) المُصَليّ من الخيل الذي يجيء بعد السابق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلا.
(٤) الكعت: القصير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كعت.
(٥) الكميت: من أقوى الخيل وأشدها حوافر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كمت.

أمن هو من أحيا شريعة أحمد وجلى عن الإسلام كل غبار
وجاهد في الرحمن حق جهاده ونابذ أهل الظلم غير مداري
ووالى وبارى في الإله وقل من يوالي على حق الولا ويباري
ألم نثخن الأعداء في كل بلدة بقتل وأخذ مؤلم وأسار
وأنت كفأر قد أدب بجحره وليسك في عرض الأكارم فاري
وإلا فسل صنعاء عنه وسل به ليخبر عنه بعد يوم ذمار
وسائل بنجران وسائل بمأرب وبيحان هل قد زارها بمغار
وصعدة والجوفين أو سرو حمير[1] ومغرب همدان وسهل كرار
وسل خيله بالغور غور تهامة وما حولها من ربوة وقرار
وما زال في آل النبي مناضل عن الدين يحميه حمى وذمار
وإن لكم منه ليوماً عصبصبا سيزر[2] داركم منه بشر مزار
إذا قادها تردى بكل سميدع كآساد غيل هممت بزوار
فيفري الطلي منكم بكل مهند يخال إذا ما شيم شعلة نار
إلى أن تفيئوا نحوه وتفوا له ببيعتكم أو تؤذنوا بصغار[3]

وله أيضاً جواب عنها قال:

أبى الله ما المولى بأهل تغاري ولا بسريع نحو واصم عار
ولا هو بالمولى ولياً له إذا[4] ولكن يوافي في التقى ويباري
وقد كان يرجو أن يشايعه على الهدى شيعة مثل الأسود ضواري

---

(١) سرو حمير: هي المنطقة التي يطلق عليها يافع في الشمال الشرقي من عدن.
المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٣٢٠، ٧٥٣.
(٢) في الأصل (سين).
(٣) الصغار بالفتح: الذل والضيم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صغر.
(٤) في الأصل (لـراء ذا).

فكان قصارى أمرهم أن جفوه[1] لـذنب جفـا معقبـاً بنفـار
وقـال غشـوم ظـالم متعسف شرير غليظ القلب خدن شرار
وقالوا رأينا سيرة لم يسر بها أئمتنـا مـاذا لهـم بشـعـار
ولا وأيهم ما الحديث كما حكوا ولكن خـذوهـا حجـة لفـرار
ولا وأيهم لو دعاهم لغير ما دعـاهم لجاءوا نحـوه ببـدار
فما نقموا شيئاً سوى أن دعاهم إلى بـذل أرواح وترك ديـار
وإيثار ما تبقى على دار بقلة فمـا هذه الـدنيا بـدار قـرار
وبيـع نفـوس والنفيس بجنـة هي الثمن الأوفى بغير خسار
فعز فراق المال والأهل عندهم وعادوا معاً في لومة بتعاري
وغيـر مليم من يلومون إنمـا المـلام على مستعصم يحتار
فخصمهم يـوم القيامـة جـده ومـا لهم من ملجأ ومجـار
وإن لهم في سيفـه ولسـانـه إذا لم يفيئـوا وازعاً بصغـار
فما عز هذا الدين إلا بزعمة مجـردة في الله ذات شبـار
كما جرد الأخيار من آل أحمد عزائم أمضى من ظبى وشفار
وقفـاً على آثـار آبـائـه أبـو محمـد لم يحرم سبيـل أثار
فشيـد مـا أسـوا بسـل وارم وحـرفنـا يـوم الهيـاج جـرار
وقود العناجيج[2] الجياد كأنها كـواسـر عقبـان رمت لمطار
فأوطاهاالهامات في كل معرك وعاد من السمر القنا بكسار
وشيعتـه يأوون ظـل مساجـد فمن بين دراس هناك وقاري
وقد أكثروا هجر الكلام وأوسعوا اغتيـاباً سيصليهم لـوافح نـار
ولم يدعهم إلا لإعزاز دينهم ونقمـهم مـن واتـريـه بثـار

---

(١) في الأصل (حبوه).

(٢) العنجوج: الرائع من الخيل، وقيل: الجواد، والجمع عناجيج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عنج.

وأحيا بهم منه رميماً أماتـه الطغاة وغطوا منه شمس نهار
فلبوا وعادوا ناكثين لبيعة وقالوا نظرنا قائد لنظار
ولو نظروا ما ناصفوا في حجاجهم وما زادهم في الحق غير تماري
وقد أُمروا لو يعلمون بطاعة لقوم سراة في الأنام خيار
فلو ركبوا سبل النجاة من الردى لما هلكوا في طاميات بحار
ولكن قليلاً قيل ما عاد رافض ولله حكم في البرية جاري

ومما أجيب به عن شعر الفقيه وابن النساخ لمصنفها أبي فراس بن دعثم:

نطقت بزور وارتديت بعار وما أنت عن فعل القبيح بعاري
هجوت أمير المؤمنين وإنني أصون بعرضي عرضه وأماري
وليس يضر البدر كلب إذا عوى ولا يستفز الليث صوت حمار
تقول تنكب عن سبيل تغاري ولا تضرب الأمثال فهي عواري
وقلت لفيك الترب أمر بلا تقى وحكم على غير الشريعة جاري
وقد نسخت جهلاً شريعة أحمد ولطخ ثوب الحق منه بقار
وعوذته في فتح باب عداوة لعز توالي في التقى وتباري
وحذرته أن يصطلي بنيارهم ومن لا يرى يجري لهم بغبار
وقلت كلام بالهرير ضواري وواعدتهم من ربهم ببوار
لترضى لا قدست آل مطرف بما قلت من زور وتسخط باري
فمن ذا الذي أحيا شريعة أحمد سواه وشال الحق بعد عثار
ومن مد ثوب العدل بعد طيه ونفر أهل الجور أي نفار
وسل في أزال[1] يوم فرق جمعهم إذا كنت ذا جهل ويوم ذمار

(١) أزال: اسم كان يطلق على مدينة صنعاء قديماً، ولا زالت تعرف به حتى اليوم. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٠٢.

وسل في حراز خيله وبمأرب وبيحان والعبلا ويوم عقار[١]
بعزم يهد الراسيات وفتية كأسد الشرى من يعرب ونزار
وجرد عتاق كالسعالى ضوامر سوام أعدوها لكل مغار
وسمر كأشطان الركايا[٢] ذوابل تقل نجوماً في سماء غبار
وبيض رقاق مرهفات بواتر تخال إذا سلت بروق سوار
بذلك قام الدين فارتع ولا تقل تأخر ففي التأخير ألف خيار
تذم ولي الله وابن نبيه فلا بد أن أصليك لفح شرار
تعديت طور المارقين تقحماً على الإثم قصداً يا شبيه قُدار[٣]
أتثلم عرضاً أصله من محمد خلعت ردا الإسلام خلع عذار
وذمك من لا يستحق دلالة على خبث فرع من خبيث نجار
أتبعث من بعد المنازل بالأذى وتنبح سراً من وراء جدار
فأوضح لنا من أنت إن كنت باسلاً كما قلت لا يفري أديمك فاري
وسل سيف حسان بن نعمة هلى فرى فأروي الثرى منه بأحمر جاري
وإن كنت من هذي الأسود بمنعة وعن توالي فيهم وتباري
فإنك قد أضحكت بالمدح فيهم ورمت لهم ربحاً فعد بخسار
فهل فيهم سيف يسل بغارة وهل لهم إلا العصي غوار

---

(١) عَقَار: قرية من عزلة عيال حاتم، ناحية جبل عيال يزيد. ووادي عقار بنفس المنطقة في الشمال والشمال الشرقي من قارن.

التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣٠٦؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ٢ ص ٤٧٧؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ خريطة ج. ع. ي ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B 4.

(٢) الركية: البئر والجمع ركايا.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ركا.

(٣) القدار: الحية؛ والقدار: الثعبان العظيم.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: قدر.

وعندهم المذموم من شد وسطه ورب الثنا من كان رخو إزار
ومن يعرك الأذنين بعض نهار ويلبس للتلبيس سحق صدار
فيا ربح من عادوه إن أقبلت بهم قرا فيحهم[1] من يمنة ويسار
لها رجل من كل شعب ومورد ووقع شديد مثل رجم حجار
ويا ويح من والاهم من طلابهم ومن حرب تنمي المتاع كبار
لقد دس في الإسلام كفر مطرف وأتباعه إخوان أهل وبار
وها أنت بالتدليس تنصر دينهم وتستر كفراً ظاهراً وتواري
وتنكر لما قيل صغر خده وكشر منهم ضاحكاً كحمار
ولو قيل خنزير وكلب لما عذى له قاذفاً من قاله بصعار
وهل حرمة فيما علمت لمشرك يقول بأن الغيث فضل بخار
وأن نبات الأرض فعل إحالة يجادل في تصحيحه ويماري
وأن الإله الحق أهمل خلقه ولم يرزق العصاين لعقة شار
ولا زاد في خلق تعالى ولا ابتلى بخوف ولا جوع ونقص ثمار
ولم ينزل الفرقان قال ولو يشاء لأمسى نبياً في مكين قرار
هبلت أهذا دين أبناء فاطم لقد تهت من يهماء[2] ذات عثار
وأعشاك نور الحق حتى هجرته كما هجر الخفاش ضوء نهار
ولا بد من يوم عليكم عصبصب يظل عليكم شره بدمار

وللشريف الفاضل يحيى بن مكني جواب عن شعر آخر من أشعار المطرفية:

---

(١) يقال للغارة فيحي فياح وذلك إذا دفعت الخيل المغيرة فاتسعت. والغارة هي الخيل المغيرة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فيح.

(٢) اليهماء: الفلاة التي لا ماء فيها ولا عَلَمَ فيها ولا يهتدي لطرقها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: يهم.

حاشا لقدر إمامنا المختار من ذم شيعة جده المختار
لو أنهم عرفوا حقيقة فضله وعظيم ذاك الحق والمقدار
واستمسكوا بهداه واعتصموا به من ذلة في دينهم وعثار
ورأوه بالعين التي أهلها فيمن يرى بجلاله الأخطار
ولو استناروا في الظلام بنوره واستبصروا بحقيقة استبصار
واستصبحوا بسراجه واستوضحوا بحجاجه حقاً بغير تماري
ولو أنهم قبلوا مواعظه ولم يلقوا وضوح الحق بالإنكار
أَوْلَوْ وفوا بالبيعة العظمى التي وجبت على البادين والحضار
وله بها انعقدت مع استحقاقه فيهم إمامته بغيرخيار
أيرونها كانت هنالك فلته ولهم تمام النقض والإمرار
كلا وحقك ما لهم في الأمر من حق بإيراد ولا إصدار
لكن هم الأتباع ما اتبعوا الهدى فإذا أبوا فلهم عذاب النار
حكماً به حكم المهيمن واجباً لأئمة مستنخبين خيار
من آل أحمد معدن الشرف الذي هو من نضار في صميم نضار
قوم بأيديهم مقاليد الهدى وبهم يدور الأمر كل مدار
ولديهم فصل الخطاب وعندهم تلقى الهدى والرشد للمحتار
ولهم برغم الضد مفروض الولاء والملك في الدنيا وعقبى الدار
وهم الذين ودادهم وسؤالهم فرض أكيد مثقل الآصار[1]
ومَنْ المطهر من خبيث الرجس غير المصطفين السادة الأطهار
لهم الوراثة والإمامة فيهم محصورة أبداً أشد حصار
من يستبد برأيه وبعلمه في الأمر دونهم يعد بخسار
لم تخل أرض منهم من حجة لله في قطر من الأقطار

(١) الإصر: العهد الثقيل؛ وجمعه آصارٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أصر.

وأبو محمد حجة العصر التي طلعت لأهل العصر بالأنوار
نادى إلى التقى وأعلن دعوة وجبت إجابتها بلا استكبار
ما كان أقمن شيعة تعزوا مذا هبها إلى آبائه الأخيار
إن تقبلوها طائعين وتؤثروا مفروضها بحقائق الإيثار
كانوا حقاً بها وكانوا أهلها لو بدلوا الإنكار بالإقرار
ما أنكروا نكراً من السير التي كانت لأهل البيت والآثار
لكنها عميت عليهم فانثنوا بعمى من الألباب لا الأبصار

وله أيضاً شعر أصحبه الأول اعتذر فيه، وحكى شرح حاله. وكان قد أصابه مرض أقعده عن الحركة:

عرضي لعرضك جنة ولساني سيفي الذي أسطو به وسناني
إن عاقني عن نصرة الإسلام بيـ ـن يديك بعض عوائق الحدثان
فأنا الذي كانت له الهمم العلا في نصر دين الله والإيمان
فثنتني الأيام عن شأو العلا وقصرن من شيد الفخار عناني
وكففت حدي عن بلوغ إرادتي وقبضن من دون المرام بناني
وإذا حرمت السير في نصر الهدى في الروع عند تناول الشجعان
فلأنصرن الدين بالحجج التي تعلو عن الأضداد بالبرهان
ولأدفعن عن الإمام بمنطقي وبحد لسني حد كل لسان
ولأعملن عوامل الكلم التي من دونهن عوامل المران
فلربما ناب اليراع عن القنا لبروز فرسان إلى فرسان
فهي الأنابيب استوت في غيضها ووشيجها المستسلم المتداني
لا غرو أن خضبت بأسود فاحم يوماً وإن خضبت بأحمر قاني
كل له صنع بكف صناعة بحد بنان أو ضياء بناني
ولسوف أعمل مقولاً أمضي شبا من ذي شبا ماضي الغرار يماني

ردّاً عن المولى وذبا دونه | من كل ذي بغض وذي شنآن
وحماية عنه بما أستطيعه | ويكون تحت الطوق والإمكان
وأنا الفتى الموفي بهمته على | العيوق في العلياء والدبران
ولكنت[1] أرجو أن أفوز بفوزة | يعلو بها ذكري ويعظم شأني
فأنال إحدى الحسنيين وإنها | إما منايا أو بلوغ أماني
فأعز موت للفتى إن حم ما | بين الصوارم والقنا المتداني
والخيل تقرع بالفوارس والقنا | بأكفهم تهتز كالأشطان
وكأن مختلف الأسنة في الوغى | شعل الذبال تشب في الخرصان
والبيض ترعف بالدماء وما لها | ورد سوى الأبدان في الأبدان
فالموت خير للفتى في عزة | من عيشة في ذلة وهوان

رجع الحديث إلى تمام قصة المطرفية:

ولما أمر الإمام عليه السلام بقتل الخبيث علي بن موسى ـ لا رحمه الله ـ قدم منهم جماعة إلى حوث يريدون بزعمهم الحج وهم مكتمون لأمورهم. فأمر بإحضارهم إلى الجامع الشريف، فسألهم عن حالهم واعتقادهم، فجحدوا مذهب المطرفية بالكلية، ولعنوهم، وتبرأوا منهم. وحلفوا على ذلك الأيمان المغلظة، وبايعوا الإمام عليه السلام على الطاعة وامتثال أمر الله، وأكد عليهم بالخروج عن مذهب المطرفية فأعطوا الله العهد على ذلك. وكتب لهم كتاباً فيه أسماؤهم، وصفاتهم، وشياتهم مخافة أن يطلبوا بصعدة أو غيرها فيجرى عليهم حكم المطرفية.

وكان فيهم رجل قد كتم نفسه ولم يحضر البيعة، ولا دخل في

---

(١) في الأصل (والكنت).

طاعة. ورأى أنه قد فاز على أصحابه بالحيلة، وأحرز بذلك الرتبة الجليلة. فوقع خبره إلى الإمام عليه السلام، فلما حضر بين يديه سأله عن شأنه فقال: إني قد حضرت بالأمس وبايعت، فكشف عن حاله فلم يوجد لذلك أصل، ولم يفعل فعل أصحابه من التبرؤ[1] من مذهب المطرفية ولا بايع. فلما ظهر كذبه وامتناعه عن البيعة، وشهد الشهود بأنه مطرفي المذهب باق على الكفر، أمر الإمام به فضربت عنقه.

فلما بلغ علمه إلى المطرفية اشتد جزعهم عليه وعظم عندهم الخطب فيه، وأيقنوا بالهلاك. فأنشأوا الأشعار، وبثوا الكتب في الأقطار، ونكفوا[2] القبائل، وبعثوا الرسل إلى الآفاق بالرسائل، فأتوا بصفقة خاسرة، وتجارة بائرة. وأشاعوا أن هذا الرجل المقتول ناظر الإمام فاستظهر عليه فقتله لذلك، وأنه عرض عليهم تسليم ديته، ثم كاتبوا الشريف أبا الفتح بن محمد العباسي وهو يومئذٍ كبيرهم وعالمهم، وسألوه الوصول إلى هجرة وقش ليعينهم على أمرهم وما قد نزل بهم، فوصل إليهم، واجتمع رأيهم على القدوم إلى وردسار، والتماس المعونة منه والانتصار به. فنهضوا إليه في الحال بعد أن جمعوا له شيئاً من المال فسلموه إليه، وسألوه القيام، ومحاربة الإمام عليه السلام، ويكونون ردءاً له عند الناس، ويجيب دعوتهم دهماء الناس.

ولما حضرت صلاة الجمعة بجامع صنعاء دخلوا للصلاة مع الشافعية، فارتج المسجد بلعن باغض الصحابة لما يعلمون عندهم من بغضهم واعتقادهم وجوب سبهم، فصلوا معهم، وأظهروا أنهم منهم

---

(١) في الأصل (التبري).

(٢) النكف: قول السوء.

ابن منظور ،لسان العرب، مادة: نكف.

فزادهم ذلك بخساً، وعلموا نفاقهم. وطلبوا من وردسار المعونة على خراب هجرة سناع، فسخر بهم واستخف بحالهم، وقال: اذهبوا أنتم فاخربوها بأنفسكم، وناظروا الإمام فمن فلح كنا معه، وانصرفوا منه بغير شيء، وسقط ما في أيديهم فعادوا إلى تأنيب الناس بالأشعار والمكاتبات، ووشحوها بالسب والأذى. وقالوا فيما بلغ عنهم: نحن عشرة آلاف. يأتي كل رجل بدينارين، فيجتمع لذلك عشرون ألفاً، ونحارب الإمام حتى لقد قال شاعرهم:

فإن كف عنا من أقمناه شره ... فجد المسمى بالإمامة شاعر
وإلا رميناه بجيش عرمرم ... يضيق به حافاته والظواهر

فأنشأ الإمام عليه السلام هذا الشعر [و] قال:

ضجت مطرف من سيف أعد لها ... ضجيج حاملة[1] وقراً على دبر
وفرقت كتباً تدعو لنصرتها ... أهل الغواية بدو ومن حضر
يا ليت شعري من أدعو فيخذلني ... ومن يجيبك يا خوانة الأزر
إن المماثل ما بيني وبينكم ... مثل المماثل بين التاج والنفر
أنا بن أحمد ما مجدي بمنكتم ... في العالمين ولا عودي بمنكسر
أضحكتموني بذكر عسكر لكم ... كالبحر يقذف بالألواح[2] والدسر[3]
من أي جيش أبينوا لي عساكركم ... من شم قحطان أم من رافدي مضر
أم من ربيعة أهل البأس من ظهرت ... أيامهم كظهور الشمس والقمر
لهم بذي قار يوم الفرس ملحمة ... وفي خزاري[4] على أجيادي نفر

(١) في الأصل (عاملة) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (بالأمواج) والتصويب من الديوان.
(٣) الدِّسارُ: خيط من ليف تشد به ألواح السفينة؛ وقيل: هو مسمارها، والجمع دُسُرٌ. ابن منظور، لسان العرب، مادة: دسر.
(٤) خزاري: جبل في نجد. ويوم خزاري: أحد أيام العرب. =

يا ليت أن إله الخلق يجمعنا في قاب قوسين[1] أو في علوتي وتر
وأنتم نملة[2] طارت ولو منحت سعادة الحذ[3] لم تنهض ولم تطر
العير تحمل قال الناس كلهم على الغضنفر من خوف ومن ذعر
ما النبع[4] إن عصفت ريح وإن نسمت عندي بملتبس بالمرخ[5] والعشر[6]
قل لي لهمدان والأنباء سائرة يا أطعن الناس يوم الروع للثغر
وقل لمذحج أهل الجود والكرم الصافي وأرباب قود العسكر الذفر[7]
وقل لكندة أهل البأس إن ذكرت والعين تغنيك[8] عن كشف عن الأثر
وشم قحطان أهل الصبر من قدم في كل ملحمة مسطورة الخبر
وغلب حمير في شآم وفي يمن أهل الحفاظ وطعم الموت كالصبر
لا يغلبنكم على أديانكم نفر لا بارك اللّه فيه اليوم من نفر

= الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٩؛ جاد المولى، أيام العرب في الجاهلية، ص ١٠٩ - ١١٠.

(١) في الأصل (رمحين). والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (من). والتصويب من الديوان.

(٣) الحذ: السرعة والخفة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حذذ.

(٤) النبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي. ويقال أيضاً: النبع شجر أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد، ومن أغصانه تتخذ السهام.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نبع.

(٥) المرخ: من العضاة وهو ينفرش ويطول في السماء حتى يستظل فيه. وليس له ورق ولا شوك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مرخ.

(٦) العشر: من العضاة وهو من كبار الشجر، وله صمغ حلو وهو عريض الورق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عشر.

(٧) كتيبة ذفراء أي أنها سهكة (لها رائحة غير طيبة) من الحديد وصدئه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سهك.

(٨) في الأصل (تنبيك) والتصويب من الديوان.

فكم صريع لهم في قعر مظلمة ... دلوه فيها بأمراس من الغرر
صدوا البرية عن آل النبي بما ... مانوه فيهم وساقوهم إلى سقر
فصار تابعهم كالثور يضرب إن ... عافت من الماء جبناً حومة البقر
وليس يتبعهم إلا أخو عمه ... لا يعرف الفرق بين الدر والبعر
إني قرأت كتاب اللّٰه ملتمساً ... عذراً لهم في مثاني الآي والسور
فقالت الآي لي بالحكم أنهم ... في القول بالطبع كالعباد للحجر
فشم عليهم حساماً صارماً ذكراً ... واغمده في قلل الهامات والقصر
وإن بدت شوكة فيهم فسبيهم ... أحل من شرب ما يهمي من المطر
قل للشهابي ذي العليا وسيدها ... وقل لأهل الحمايا من بني مطر
وقل لمرهبة حيث التقيت بها ... وقل لأهل الوفا والبأس من عذر
هل يعطفون على قوم يرون لهم ... فضلاً على عترة من أفضل العتر
جاءوا إليَّ كأن الطير فوقهم ... لا يعرفون خشوعاً شاخصي[1] البصر
فبايعوني اختياراً ضل سعيهم ... في نكث بيعتهم بالغدر والعذر
حتى إذا ما نأت داري ودارهم ... تذرعوا لشقاقي فروة النمر
فحل لي قتل من أدلى بحجتهم ... ممن غدا بالغاً للحلم من ذكر
يا من تحير من شك لقتلهم ... أذكر وكن ذا حفاظ قصة النهر
قالوا تقدس بارئهم وخالقهم ... من أن يمس الذي نختار بالضرر
وينشيء السحب في جو السما فتسقي ... ما يشاء بجود منه منهمر
يزيد في الخلق ما يرضى زيادته ... ويبتلي بإنقاص كل مصطبر
ويرزق الخلق طراً من عوارفه ... وما العطا الذي يعطي بمحتظر
آي الكتاب بما تحكيه شاهدة[2] ... وكلما روت الأخبار من أثر
وأن كل الذي لا نستطيع له ... فعل من اللّٰه ربي باريء الصور

(١) في الأصل (شاحص) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (شهادة) والتصويب من الديوان.

فأي لوم على الرامين حوزتهم   وآخذيهم بعدل أخذ مقتدر
كأنني بهم والسيف يقسمهم   بين المنايا وهم كالشاء والبقر
وأربط القوم جأشاً كالمبرسم[١] قد   أعيت عليه سبيل الورد والصدر
بعون من سبح الرعد الجهير له   وصير البرق تخويفاً لمعتبر

ثم أنشأ عليه السلام هذه القصيدة:

أكل دار تراها فهي دارهم   فاذكر معالمها اللائي تجليها
عهدي بها والربا بالزهر مشرقة   والعين تمشي الهوينا في نواحيها
وكل يوم كإبهام القطاة بها   قصراً وكالبيض أنواراً دآديها
والعيش غض وعين الدهر نائمة   والبيض كالبيض حيدت في أداجيها
والمقربات تداعي[٢] بالصهيل وتختال   اختيال العذارى في أواريها
دع عنك ذكر أمور لست طالبها   واذكر قنا الخط إن دقت أعاليها[٣]
في مأقط مثل صدع الرمح ملتحم   لا تبصر العين فيه[٤] كف داعيها[٥]
ونثرة مثل جلد الأيم[٦] سابغة   لطت عليك فما تبدو مساويها
وصار ما مثل لون الملح ذا شطب   يضيء كالبرق إن طمت دياجيها
وسابحاً مثل تيس الربل[٧] ذا عقب   يهدي الهوادي إذا مالت هواديها

(١) البرسام: علة معروفة. وقد برسم الرجل فهو مبرسم.
ابن منظور اللسان، مادة: برسم.
(٢) في الأصل (تدعى) والتصويب من الديوان.
(٣) في الأصل (عواليها) والتصويب من الديوان.
(٤) في الديوان أ، ب (فيها).
(٥) في الأصل (اعيها). والتصويب من الديوان د.
(٦) الأيم: الحية. ويبدو أنه شبه الدرع في ملاستها بجلد الحية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أيم.
(٧) الرِّبْلُ: ما تربل من النبات في القيظ، وخرج من تحت اليبيس منه نبات أخضر. والربل: ضروب من الشجر ينمو من غير مطر، يقال منه: تربلت الأرض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ربل.

كأنه سود نيق فوق مرقبة ... يكفكف النفس والأطماع تغريها
مالي أرى لائمي دامت ملامته ... فما لها[1] ذائد[2] للخوف يحميها
قل لي لقحطان والأنباء سائرة ... وعم بالقول قاصيها ودانيها
ألم أقم دافعاً عنكم وقد بلغت ... نفوس أكثركم جهداً[3] تراقيها
أزلت بالسيف عنها شر تابعها ... إذ قيل من هو شافيها وراقيها[4]
ولم أكن وكلاً بل خضت غمرتها ... وأي غمرة شر لا أجليها
ما عذركم في أناس بان كفرهم ... ونكثهم بيعة ألقت مراسيها
قوموا لها فكتاب اللّٰه أهلكها ... وسيفه بيمين الحق يفنيها[5]
إني أهم بأفعال لها نبأ ... أكاد لولا انتظار الأمر أخفيها
بعون من أخرج المرعى بقدرته ... ومن له الشم أرست مراسيها
أنا ابن من نسخت آي الكتاب له ... ملاءة غمرت جسمي حواشيها
رضيع ثدي الهدى من صدر محصنة ... تنمي إلى المصطفى أغصان ناميها
نشأت والذكر بربي لا أنازعه ... حتى عرفت من الذكرى معانيها
قد أحسن اللّٰه صنعي حين عرفني ... مناً محاسن فعلي من مساويها
لا أعرف الخمر إلا يوم أهرقها ... ولا الفواحش إلا حين أنفيها
فإن تباهت بتكذيبي مشايخها ... فقبلها كذبت جدي مواليها
ما قولهم ليت شعري يوم أجلبها ... قبا أياطلها[6] شعثاً نواصيها
معقدات إلى الهيجاء سبائبها ... تصطك عند زحام الصيد ألحيها

---

(١) في الديوان أ، ب (لهذا).

(٢) في الديوان أ، ب (يد).

(٣) في الأصل (جهلاً) والتصويب من الديوان.

(٤) هذا البيت غير موجود في الأصل، والإضافة من الديوان.

(٥) هذا البيت والبيتان التاليان غير موجودين في الديوان.

(٦) الأيطل: الخاصرة والجمع أياطل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أطل.

تقل أسداً غضاباً من بني حسن　　وهاشم حين يعطى القوس باريها
لو كان في الألف منهم فارس ودعوا　　من عاطف لم يحاذر شركة فيها
إنا لترخص يوم الروع أنفسنا　　وفي مقامات هجر القول نغليها
شوساً نقود جنوداً كالجبال إذا　　سارت أوائلها حلت تواليها[1]
لانخفض الصوت في أرض نلم بها　　ولا يضل عن[2] النيران ساريها
كالليل طبقت الدنيا كتائبه　　لولا الذي شهرت منه مواضيها
كالبحر يرجف بالأقطار زاخرة　　ويملأ الأرض عفواً من سواقيها
إذا طاف بأرض الظالمين نأى　　عنها وسافلها بالهدم عاليها
سل يوم ثافت عنه من يشاهده　　والخيل تمزع[3] والفرسان تمريها[4]
وفي ربا الجوف لما بان نكثهم　　وطاوعت للتمادي أمر غاويها
أينشد الشعر والأصوات ضاحكة　　في ذمنا ونفاقاً في قوافيها
أم تستمر على الإنكار مقسمة　　ما كان ملجمها منها[5] ومسديها
ومظهر الغدر الممقوت صاحبها　　ويستغش الذي قد كان يغريها
أما مطرف فالأيام قد خبأت　　به لها يوم شر سوف يخزيها
فريضة حربهم مثلي يقوم بها　　وطاعة أنا مختار أؤديها
زكيت نفسي بحرب الناكثين وقد　　خاب المضل لها أو من يدسيها
يا فرقة قذفت جهلاً بأنفسها　　في هوة بعدت عنها مراقيها

---

(١) الشطر الثاني من هذا البيت في الأصل وفي الديوان ج، د على النحو التالي: (حلت أوائلها سارت تواليها).

(٢) في الأصل وفي الديوان ح (على).

(٣) المزع: شدة السير.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: مزع.

(٤) مريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: مرا.

(٥) في الأصل (منا) والتصويب من الديوان.

كم قائل قال دعها فهي جاهلة وبعض ما قلت فيها اليوم يكفيها[1]
فقلت لست بضاج[2] عن مساءتها حتى تفيء إلى أحكام مبديها[3]

ثم مالوا بعد ذلك إلى التدليس والكذب، وجحدوا اعتقادهم الذي يعتقدونه، وأسروا من دينهم الفاسد ما كانوا يبدونه. ووافقوا في مسائل الخلاف، وأظهروا ذلك على رءوس الأشهاد. وكتبوا كتاباً وقرأوه في البلاد على الخاص والعام بأنهم على مذاهب الأئمة عليهم السلام، وأشعارهم ناطقة بخلاف ذلك. قال الحيدرة في جواب شعر للإمام عليه السلام الرأي الذي أوله:

ضجت مطرف من سيف أعد لها ضجيج حاملة وقرأ على دبر
كفى بقولك عنا أننا جحد لمنزل الذكر ما أفراه من خبر
ودينا أن رب العرش أنزله وأنه اليوم موجود فلا تحر
في القلب حفظاً وفي الأفواه إن نطقت لفظاً ولحظاً يرى في كل مستطر
والخلق من فعل بارينا زيادته ونقصه فتعالى منشيء الصور
والرزق ما قل أو ما جل رازقه رب العباد ذوو الإيمان والكفر
وكل ذي عاهة يوماً فعاهته فعل المهيمن ممن مس بالضرر
والموت في الطفل فعل اللّه إن نزلت مصيبة الموت قبل الشيب والكبر

وفي مثل ذلك ما قاله:

اللّه خالقنا واللّه رازقنا ومنه ما كان من موت وإنشار
ومنه ما كان من رزق ومن برد وموت طفل ومن حرب وأمطار

---

(١) هذا البيت غير موجود في الأصل، والإضافة من الديوان.
(٢) ضاج عن الشيء ضيجاً: عدل ومال عنه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضيج.
(٣) في الديوان د (باريها).

وما جحدنا نزول الآي بل نزلت آي الكتاب بأنباء وأخبار

وهذا خلاف مذهبهم. وقد قال شاعرهم وعالمهم حسن بن النساخ في أرجوزة عارض بها أرجوزة الإمام عليه السلام ما يدل على كذبهم واعتقادهم الكفر خلافاً لما قاله الحيدرة قال:

إذا ضل هذا العالم المسمى بالحبر المأثور قولاً حلما
أربعة منها الهوى والماء والريح والنار هما أتما
والفضل بالسبق إليه أمما من قال بالفضل لعينيه العمى

ومنها[1]:

لو فضل الباري بخلق ونسب كنا من الفخار أصلاً والذهب
لكننا أشباه من أم وأب أفضلنا ألزمنا لما وجب
أفضلنا أكرمنا أتقانا دعوا الجدال واقرأوا القرآنا
لم يرتضي خلقاً وخلقاً يكرهه يلد هذا ولهذا يكرهه
يفعل هذا جائز تشبهه أقواله عن قولكم تنزهه
لو حكم الحاكم جوراً لا نتفى قد جور الباري صراحاً مَنْ كَفَى
من أنكر الفضل بعلم وعمل والخلق والرزق وبعنان الأجل
ضل عن الحق الصريح وأضل وصار في مهيع[2] دحض وزلل

ومنها[3]:

ثواب من يعمل بالفروض ينفي مقال باطل التعويض
للأخرس الأعمى وللمريض أعواضهم تضرب للتعويض

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هيع: هاع يهيع: جبن وفزع.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هيع.

(٣) هكذا في الأصل.

ثم أقرأ أن ربي واحد عدل وعدل الفعل منه شاهد
وأنه ساوى ببسط رزقه ولم يحاب أحداً في خلقه
ولا أزاح مؤمناً من حقه نص بهذا وحيه من نطقه
إذ وضع الأرض لنا جميعاً وما أراد ربنا وضيعاً

وهذا خلاف ما جاء به الحيدرة في شعره، وإنما الأرجوزة قبل أن يجري فيهم حكم السيف. فأنكروا مذهبهم خوفاً من سطوة الحق، وقد فعلوا مثل ذلك في أيام الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن الهادي إلى الحق عليهم السلام. وأنه لما ألحاهم[١] بالمناظرة بعد أن أباح دماءهم، وأمر بقتلهم، ولم يتمكن من ذلك تبرأوا[٢] من مذهبهم في المجمع المشهود ببلاد جنب. وهذه سيرتهم عند قيام القائم من أهل البيت عليهم [السلام][٣].

ولما تمكن الإمام عليه السلام من قتلهم أمضى فيهم حكم الله تعالى، وقال: أريد أن أجعلها سنة باقية يعمل بها من قام ودعى من أهل البيت فيما بعد إن شاء الله تعالى. وأتى برجل منهم إلى حوث، وهو من أكثرهم فساداً وأخبثهم اعتقاداً، وهو معدود عندهم في العلماء يقال له: حسان بن نعمة. فأمر الإمام عليه السلام به فضربت عنقه - لا رحمه الله - وكانوا قد بعثوه إلى مكة والحجاز ليغرس مذهب المطرفية في تلك النواحي، فلم يزل يتلطف بمحاله وزخرفة أقواله حتى اتصل بالشريف أبي عزيز قتادة بن إدريس، وصارمن جملته وأهل حاشيته. ثم

---

(١) لحاه الله لحياً أي قبحه. والملاحاة: الملاومة والمباغضة.
ابن منظور، لسان العرب؛ مادة: لحا.
(٢) في الأصل (تبروا).
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

انتهى به الأمر إلى أن صار معلماً لأولاده محيطاً لوداده. فأتى من حكى له حاله وخبث اعتقاده، وما يخشى من فساده، وأنه من المطرفية الذين قتلهم الإمام عليه السلام، وأجرى عليهم الأحكام. فأتى للشريف قتادة للسلام عليه على جاري عادته، فانتهره أبو عزيز، واستخف به، وأوعده بالقتل بعد ثلاثة أيام إن وجده في بلاده. فخرج من مكة هارباً، وللسلامة طالباً. فأتى به إلى حوث الحين والقدر، وعجل الله بروحه إلى سقر لا رحمه الله.

فلما بلغ خبره إلى المطرفية زادهم وجلاً وشقاقاً، فاجتمعوا في وقت الخريف واشتوروا، فعملوا بعد إظهار القساوة على التقرب والتلطيف. فقصدوا حصن ذمرمر في مائة وخمسين رجلاً ومقدمهم الشريف أبو الفتح بن محمد العباسي والشريف يحيى بن منصور بن مفضل[(١)] من ولد الهادي عليه السلام، وكانوا قد بايعوه ونصبوه إماماً، وداروا به في البلاد. وطلب البيعة من الناس فامتنعوا عليه، ولم ينتظم له مراده، ولا مراد أصحابه، ولم يكن الغرض بذلك إلا معارضة الإمام عليه السلام.

وحكى الشريف سليمان بن الحسن الحمزي قال: أتى الشريف يحيى بن منصور إلى سوق في المشرق بقرية مجلى[(٢)] من بلاد مرهبة،

---

(١) الأمير يحيى بن منصور: كان عالماً زاهداً خيراً، شديداً على الظالمين، ومحاربة أعداء الدين. ويقال إنه كان على مذهب الأئمة ولكنه كان لا يرى تكفير المطرفية الأمر الذي أغضب الإمام عبد الله بن حمزة، وتعدى عليه أبو فراس مؤلف هذه السيرة ونسبه إلى التطريف.

الهادي بن إبراهيم، تاريخ بني الوزير، ورقة ٩٠ ـ ٩٢؛ ابن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ ٤ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١؛ إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية، ص ٢١٨.

(٢) مجلى: قرية من عزلة مرهبة، ناحية بني حشيش.

التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٤٤.

فاجتمع إليه الناس فتكلم معهم بأن هذا الشريف - ولم يذكر الإمام - قتل المسلمين وأباح دماءهم، وطول في ذلك ثم دعاهم إلى البيعة. قال: فوثبت عليه وقلت له: لمن تريد هذه البيعة؟ لنفسك أو لغيرك؟ فلجلج الكلام، وتأخر الناس عن بيعته في ذلك المقام. وحكى غير واحد أنه لما عاد إلى وقش ضرب رجل من المطرفية له خادماً فغضب عليهم وتأخر عن الإمامة، ونزع نفسه من التقدم والزعامة.

فلما وصلوا إلى سوق ذمرمر وقد أظهروا للخواص والعوام أنا نريد مناظرة الإمام عليه السلام، وأرادوا الكلام في السوق والتلبيس على الناس وكانوا قد أتوا صنعاء وأظهروا ذلك، فخرج من أهلها معهم قدر خمسين رجلاً ما لهم حاجة على ما حكي عنهم إلا معارضتهم وقطع كلامهم بسوق ذمرمر. وكان السلطان بشر بن حاتم موالياً لهم، راغباً في تقوية أمرهم، مجتهداً في استظهارهم على الإمام عليه السلام، راجياً إجابة العامة لهم لإظهارهم شعار الدين وتسميتهم باسم المسلمين. فلما بلغه علم وصولهم تجهز للنزول إليهم في طائفة من الباطنية. وتجهز السلطان جمال الدين الفضل بن علي بن حاتم في طائفة من الزيدية العدلية[1]، ثم هبط الجميع إلى السوق. أولئك يريدون تقوية المطرفية، وهؤلاء يريدون توهين أمرهم. وعزم قوم من أهل الحصن على رجمهم في السوق، فلما بلغهم ذلك تأخروا عن دخوله، وأتوا بعد ذلك إلى الحصن وقالوا: قد وصلنا إلى منزل الإمام عليه السلام ومكانه - وعظّموا أمره، ونشروا فضله - ومرادنا الشفاعة إليه، وطلب عواطف رحمته، والتماس هدنة ومسالمة مدة من الزمان، وتأخير المناظرة في هذا الأوان، ليتبصر الجاهل، ويستقيم المايل.

---

(١) العدلية هم القائلون بالعدل والتوحيد وتطلق التسمية أساساً على المعتزلة.

وسألوا السلاطين العناية لهـم في ذلك، والاجتهـاد في تغطية أمرهم، ودفع الشر عنهم، والأمان لهـم.

وجـاء كتاب للسلاطين إلى الإمام عليه السلام بـذلك فـلم يـره صواباً ولا ساعد إليه. فهبطوا قبل وصـول جوابه إلى مشارق ذمرمر للخـريف، وأشعروا النـاس أنهـم جاءوا لمناظرة الإمام وأنه وعـدهم لـذلك إلى ثلا ليوم عينوه. وأنه إن لم يلقهـم لـذلك اليوم سقطت الإمامة، واعتـرف لهـم، بأنهـم على الحـق. وبسطوا ألسنتهـم بالـكذب والزور، ونشروا كتاباً قـالوا أتى إليهـم من الأميرين السيدين الداعيين إلى الله شيخـي آل الرسول يحـيى ومحـمد ابني أحـمد أيدهـما الله تعـالى يحـذرانهم من الوصول إلى الإمام عليه السلام ودخـول بـلاده، وأنهـم إن فعلوا ذلك قتلهم. وأشعروا النـاس خلافهما عليـه، وتأخرهما عـن طاعتـه، ورفض إمامتـه. وأمروا من كـان من المطرفية بالمشارق بالتأهـب لذلك الميعـاد إلى ثلا. وعادوا إلى وقش بعد قـضاء الأوطار من الخـريف، وبثوا الكتـب إلى المشايخ الأجـلاء بني الضربوه[1] بحـصن ثـلا، وإلى شيخهـم وكبيرهم الـذي علمهـم الكفر راشد بن الجـنبي[2] إلى بـلد الأهـنوم، وإلى إخـوانهم بهجـرة الظهراوين بشظب وحضوهم[3] على جـمع أهـل البلاد، والحـديث في الأسواق.

---

(١) بنو الضربوه أصحـاب حصن ثلا سلموه طوعاً إلى الإمام يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، ورقة ٥٨.

(٢) راشد بن محمد الصقري الجنبي له كـثير من الإضافات إلى مذهـب المطرفية حـتى أنه يعـد المعلم الثـاني لهـم بعد مطرف بن شهـاب.
انظر، عبد الله بن زيد العنسي، التميز بين الإسلام والمطرفية الطغام، ورقة ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٦ وغيرهـا.

(٣) في الأصل (وحضورهم).

ولما نـزلوا من ذمرمر أمسوا بهجـرة روسح بوادي السر، فاستبشر بوصولهـم أهـل الهجـرة ومن حـولها، ورجـوا أن الله تعـالى يسقيهم ببركة قدومهـم إليهم فاستدارت سحـابة عليهـم فأصابهـم الله تعـالى منهـا ببرد خـاصة دون سائر البـلاد التي حـولهم، لم تـدع شيئاً من الزروع والأعناب. فنهضوا وأمسوا عند شريف من ولد العباس بن علي في الرحبة في موضع يسمى القفـار[1] فأصاب تـلك البلدة خاصة مثلما أصـاب أهـل هجرة روسح. ولما وصـل أهـل هجرة الظهراوين بشظب ومن يتصل بهم ممن يـرى رأي المطرفية للمشورة فيما نزل بإخـوانهم من القـتل، وأطلقوا ألسنتهـم بالسب والأذى، رماهم الله تعـالى في موقعهـم ذلك ببرد فاجـتاح أعنابهـم وزروعهـم خـاصة دون أهـل شظب، وكانت عبرة لهـم وازداد من خـالفهم بصيرة في مباينتهم.

وأتى منهـم جماعة بكتـاب فيه عقيدتهم بزعمهـم، ووافقوا في مسائل الخـلاف في كتابهـم ذلك يـريدون التلبيس على العامة، ولو أظهـروا مذهـبهم لنفر النـاس عنهـم. وأرادوا قـراءة الكتـاب بسوق السودة وهو سوق مخـلاف شظب الجـامع، فمنعهـم يوسف والحـرمي ابنا النفيل من قراءته، واستخفا بهـم، وأخـذا منهم الكتـاب، وأمـرا به إلى الإمام عليه السلام. وكـانا مخلـصين في مودته، متمسكين بطاعته، فكتـب إليهـما كتاباً قـال فيه بعد السلام عليهـما: فهمنا ما ذكـراه في كتابهـما من وصول المطرفية بالكتاب، وما وجـدنا فيه كلمـة من اعتقادهم في إنزال المطر على بـلد دون بـلد، ولا الابتـلاء بنقص الزرع بالضريب والجـراد

---

(١) في الأصل (القعـار). والقعار قريةعلى بعد ١٠ كم شرقي شهارة.
خريطة ج.ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحـة 3 D 1643.
والقفار: قرية من عزلة بني الجرموزي، ناحـية بني الحـارث.
التوزيع السكاني في محافظة صنعـاء، جـ٢ ص ٢٢٨.

والبرد، وإماتة من شاء كبيراً ومن شاء صغيراً، والزيادة في خلق ما يشاء، والنقص من الخلق لما يشاء، والتوسيع في الرزق على من يشاء، والضيق على من يشاء كما قال تعالى: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾[1]. وهذا الذي كفروا بإنكاره والإمامة فرع عليه، والقوم ما بقي لهم فكاك من السيف إلا أن يحضروا ويبينوا حجة تخلصهم من الشرك بالله تعالى والإلحاد في أسمائه، والنكوص عن أوليائه. ولا بقينا نواليهم، ولا نوالي من يوالهم، ولا نرفع السيف عنهم ولا عمن قدرنا عليه من المعينين. فشمرا حزماً أو سألومكما[2] فإنه الجد دون الهزل إن شاء الله. وقد وصل لهم كتابان ما صلوا فيهما على محمد صلى الله عليه وآله. وأما قولهم أن سبي المطرفية إذا ثبتوا على الكفر لا يجوز، فهذا خلاف دين الله؛ لأن بني حنيفة كانوا يشهدون أن محمداً صلى الله عليه وآله بعد الاعتراف بأن لا إله إلا الله فكفروا لاعتقادهم أن مسيلمة نبي.

والمطرفية على ما نعرف من اعتقادهم يزعمون أن كل من أراد النبوة كان نبياً، ولا يمنعه إلا عجزه، فزادوا على كفر بني حنيفة وغيرهم من الكفار. وفي مثل ما أصابهم الله تعالى من البرد في هذه المدة ما رواه مرزوق بن يحيى الجوري، ويحيى وقاسم ابنا محمد الفطيح، وصحح روايتهم الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بما نقل إليه الثقات. قالوا: لما جرى على المطرفية حكم السيف من الإمام عليه السلام أنكر ذلك راشد بن محمد الصقري الجنبي وهو يومئذٍ ببلاد الأهنوم وقد استحكم أمره في سهولها وجبالها، ونشر مذهب المطرفية

---

(١) سورة الرعد، آية ٢٦؛ سورة الإسراء، آية ٣٠.
سورة الروم، آية ٣٧؛ سورة الزمر، آية ٥٢.

(٢) في الأصل (سالمكما).

فيها، ومال إليه أكثر أهلها. وهو شيخ أهل القحفة الذين قالوا: إن الله خلق العالم قفحة واحدة، وجعل بعضه يحيل بعضاً، ولم يبق له تدبير في خلقه، ولا نظر في بريته. فضرب للناس ملقى جامعاً إلى موضع يسمى الحريمات من بلد بني عبد العزيز من بلد الأهنوم. فشرح عليهم ما نزل بأصحابه المطرفية من النكال والقتل وإباحة الأموال. وحضهم على الصبر والاستقامة على مذهبهم، والمدافعة عن دينهم، والمحافظة على عقيدتهم. وقوى عزائمهم على محاربة الإمام عليه السلام، فأجابوه إلى ذلك، فلما افترقوا من مقامهم ذلك حتى أنشأ الله سبحانه سحابة، ورماهم منها بنقمة لم يقع مثلها في ذلك الوقت؛ انحط عليهم صاحب[1] من برد لم يتعد حدود البلد التي هم فيها، فأخرب الأموال، واستأصل الزرع والأعناب والأشجار والثمار. وكانت آية ظاهرة لأهل البلاد فتطيروا به، وعرفوا أنهم ما أصيبوا إلا بسببه. ولبث البرد على ما بقي من الأشجار في تلك الناحية ثلاثة أيام، فتاب طائفة من أهل البلاد، واعترفوا بفضل الإمام عليه السلام. ثم لم يلبث فيهم ذلك الخبيث إلا أياماً ونفوه من بلادهم.

ولما أتى كتاب المطرفية إلى المشايخ بثلا يحكون فيه رغبتهم في مناظرة الإمام عليه السلام، وأنهم يخافون سطوته بهم، وأن يلحقهم بأصحابهم. وسألوا - على أيديهم وبعنايتهم - أن تكون المناظرة عندهم بثلا، أو حيث يأمنون على أنفسهم بسمور، أو في جهة السلاطين بحصن ذمرمر لما علموا تعذر وصوله عليه السلام إلى هذه المواضع لما يخشاه من جهة الغز، واشتغاله بصلاح البلاد.

---

(١) الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحصباء؛ وقيل هو ما تناثر من دقاق البرد والثلج. ويقال للسحاب الذي يرمي بالبرد والثلج: حاصب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حصب.

وقد كان وقـع خـلاف من أهـل الجوف، وتقدم منهـم جـماعة إلى وردسار يطلبون منه النصرة والمادة والقـود إلى الجـوف. وذكر ذلك يأتي في موضعه إن شاء الله تعالـى. فكتـب الإمام عليه السلام إلى المشايخ جـواباً عن كتابهـم عما سألوه في أمر المطرفية نسختـه بعد السلام عليهم قـال:

فهـمنا ما ذكروه من شأن المطرفية المرتـدة، وما جـاء في كتابهـم من رغبتهـم في المناظرة فذكرونا[1] بما قـال الشاعر:

تـمـنـانـي ليـلقـانـي لـقـيط أعام لك ابن صعصعة بن سعد[2]

وما سألوه من أن المناظرة تـكون بذمرمر أو ثـلا أو مسور، وتـلك ديار لا نـكره وصولها، ولا تنسى حلولها، ولكننا نبني على أصـل وهـو وجـوب وصولهم إلينا، وذلك لا يـزول بإنكارهـم. وأما المخـافة منا التي جعلوها عذراً لهم في ظاهـر الحـال، فالحـال لا يغبى على عقـلاء الرجـال. يكفي في زوال الخـوف أن يظهـروا للناس إنا وفدنا للمناظرة، فـإن قتلتهـم وأقمـت القتل مقـام المناظرة بـأن لأمـة محـمد صلى الله عليه وآله بـطلان ما أنـا عليه، والعاقل لا يغرِّرُ بجاهه إن لم يعقل أمور الآخـرة. ولو جـاء الكفـار وفـداً ما استجزنـا قتلهم. وقد جـاء رسول الله صـلى الله عليه وآله رجـلان من قبل مسيلمة الكـذاب لعنـه الله، فسألهما صلى الله عليه وآله عن نفسه فقـالا: نشهد أنك رسول الله، فقـال صلى الله عليه وآله: ما قولكـما في مسيلمة؟ فقـالا نشهـد أنه رسول الله . فقـال صلى الله

---

(١) في الأصل (فأذكرونا).

(٢) تكرر استشهاد الإمام عبد الله بمن حـمزة بهـذا البيت في كـثير من رسائله دون الإشارة الى اسم قـائله.

انظر، عبد الله بن حـمزة، الشافي، جـ٢ ص١١٣، جـ٤ ص ٢٠.

عليه وآله: لو كنت قاتلاً وفداً لقتلتكما. فثبت من دينه صلى الله عليه وآله أنه لا يجوز قتل وفود الكفار، ولا اختلاف في ذلك بين علماء الأمصار من الأئمة عليهم السلام وعلماء الأمة. فالذمة منا لهم مبذولة، يشهد بها في الجوامع، ويصيح بها في الأسواق، فهذه واحدة. والثانية أن يرفقهم منكم جماعة، ومن السلاطين بذمرمر، ومن السلاطين بمسور، ومن بني صاع، وشيوخ حمير ومن اقترحوا من الشرفاء يحيى بن حمزة فمن دونه، فالصحابة ثابتة الحكم في دين الإسلام، وقد نطق بها العزيز العلام بقوله: ﴿والصاحب بالجنب﴾[1]. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين: تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم. فكان شرع هذا الخبر جواز ذمة العبد والمرأة، وهما أدنى المسلمين، فكيف بكم وأنتم رؤساء الدين وأفاضل المسلمين؟ فهذه الثالثة. والرابعة وهي القاطعة النافعة الجامعة المانعة أن تقع روابط ما قدمنا ويشفع ذلك بمن اقترحوا ثمن الرهائن من نفوسنا وإخواننا وبني عمنا ومن الشرفاء والعرب الذين[2] تحت أيدينا وثيقة لهم مع الذين ذكرنا. ويحضر أكابر أهل الدنيا والدين من كل قبيلة شهوداً علينا ولنا، فإن ظهر أن المطرفية على الحق أفدينا[3] بمن قتل منهم إلا أن يختار[4] أولياؤهم الدية؛ ألزمنا نفوسنا رضا المطرفية في أصحابهم بالدية، وتبنا إلى الله سبحانه، وأشهدنا على أنفسنا بالخطأ على أعيان الملأ. وهذا أمر لمن كان على بصيرة يخاطر على مثله بالنفوس؛ لأن الإمام يشهد للمأموم بالفضيلة، وهذه مرتبة جليلة. فهذه لهم، والذي

---

(١) سورة النساء، آية ٣٦.

(٢) في الأصل (الذي).

(٣) في الأصل (أفدنا).

(٤) في الأصل (يختاروا).

عليهم فإن دخلوا في دين الله تعالى وتابعوا عترة رسوله صلى الله عليه وآله، وسمعوا كلام الله تعالى؛ قبلنا ذلك وحمدنا. فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وليس بمسيء من أعتب. وإن تمادوا في الطغيان، ولجوا في العصيان كان منا لهم الأمان إلى أن يبلغوا مأمنهم. ثم طلبناهم بعد ذلك بحكم الله تعالى، وقتلناهم بكتابه، قال تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾(1).

وهؤلاء إلى الآن ما تابوا إلى الله من خلاف إمام الحق، ولا أقاموا الصلاة الواجبة في عصره وهي الجمعة، ولا آتوا الزكاة الواجب تسليمها إليه مع ما بينا من ارتكابهم لأنواع الكفر بخلافهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وأئمة الهدى سلام الله عليهم. ورأينا في كتابهم ما لا يحتمل كتابنا الجواب عنه لنوجهه إلى جنابكم الرفيع، ولكن عن ذكرهم ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(2). فزادنا بصيرة في جهلهم بكتاب الله تعالى لأن هذه الآية قبل نزول [آية] (3) السيف والتعبد بالجهاد. فآية السيف نسخت كل آية هذه صورتها، ولكنهم قوم يجهلون. أفلم يسمعوا قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (4). فإن سلكوا منهج الصحيح وإلا ألزمناكم التشمير إن التزمتم طاعتنا في حرب القوم وقتلهم، وإنزالهم حيث أنزلهم ربهم، فقد تعين

(1) سورة التوبة، آية ٥.

(2) سورة النحل، آية ١٢٥.

(3) ما بين الحاصرتين إضافة.

(4) سورة التوبة، آية ٧٣.

عليكم الفرض ولزمتكم الحجة. وإن أبوا إلا المناظرة هنالك فكل رجل من المخترعة [٢] يعلم ويدين الله تعالى بأن علمه بعض علمي فليناظروا في ناحية ذمرمر الفقيه أحمد بن محمد المحلي فإن ظهرت حجتهم عليه التزمنا الخطأ، وهذا لا يخطر به عاقل جاهه ودينه إذا علم أن لهم شبهة قوية فضلا عن دليل قاطع، وإن أحبوا في جهتكم أنفذتم للمذكور، ولا تعذروا القوم من أحد الوجوه وإلا فالحرب والمنابذة في الله سبحانه. ولولا حوادث قد بلغتكم في ناحية الجوف وغيره تأخرنا عنها يقذع في الإسلام لبادرنا في الحال. وعلى كل حال لا بد من وصول الجهة والإقامة فيها مدة حتى ترسخ قواعد الدين، ويعلو منار اليقين عند الإمكان إن شاء الله تعالى.

ولما انتهى إلى الأميرين السيدين الداعيين إلى الله شيخي آل الرسول يحيى ومحمد ابني أحمد بما نسبته المطرفية. إليهما من الكذب والمحال والزور المزخرف بالمقال من الخلاف على الإمام عليه السلام، وتأخرهما عن طاعته، وتحذيرهما لهم من الوصول إلى جهته، وافترائهم الكذب عليهما، وقراءة الكتاب على الناس، ونسبته إليهما، ولا أصل لذلك إلا ما يعتقدونه من وجوب الكذب في نصرة دينهم حتى أن الثقة روى أن رجلاً منهم دخل موضع المتوضي في بعض أماكنهم فقال لأصحابه: إني كذبت اليوم في السوق كذبة لوجه الله. والله تعالى يقول ﴿ لَعْنَتَ الله على الكاذبين ﴾ [١]. فأمرا الأمير مجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد بإنشاء كتاب إلى الشرفاء آل الهادي عليه السلام وغيرهم من بني العباس

(١) المخترعة هم الذين يقولون باختراع الله الأعراض في الأجسام. يحيى بن الحسين، طبقات الزيدية، ورقة ٣٧؛ الشامي، تاريخ اليمن الفكري، حـ ٣ ص ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران، آية ٦١.

وقد كتبها الناسخ على النحو التالي (ألا لعنة الله على الكاذبين). وتم حذف كلمة (ألا). ويحدث ذلك كثيراً ويتم التصحيح دون الإشارة إلى خطأ الناسخ.

الذين يرون رأي المطرفية ويذهبون مذهبهم يعرفونهم بقاؤهما على طاعة الإمام عليه السلام ويحذرانهم خلاف أمره، ويوضحان فضله وما أوجب الله تعالى على الكافة من امتثال أمره، ونسخة الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. كتابنا هذا إلى كافة الشرفاء الأجلاء الزلفا النبلاء. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد.

فإنا نحمد الله تعالى إليكم على ما أولانا من سوالف نعمه، وعواطف فضله وكرمه، ونسأله لنا ولكم الهداية إلى سبيل الحق المبين، واقتفاء الأسلاف الطيبين، وأن يوزعنا وإياكم شكر ما أولى من جوده وامتنانه، ويفيء لنا ولكم بالزلفة لديه في دار كرامته وأمانه. وأن نصلي على جدنا الأمين محمد وعلى آله الأخيار الأكرمين. وسوى ذلك فغير خاف عليكم ما خص الله تعالى به أهل بيت محمد صلى الله عليه وعليهم من خلال الفضل، وشرف النصاب والأصل. جعلهم الشهداء على عباده، والأمناء في بلاده، والحفظة لدينه، والمظهرين لبراهينه. واصطفاهم منصباً للإمامة، وقضى لهم برتبة الزعامة، وقرنهم بكتابه المبين، وافترض مودتهم على كافة العالمين. وأوجب النجاة لمن اعتصم بحبلهم. وسلك نيرات سبيلهم. بذلك سطعت آيات الكتاب، وتلألأت سنة النبي المجتبى من لب اللباب ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [1]. ولما أن ختم الله تعالى باب الرسالة، وقشع سبحانه ديجور الجهالة، وأخمد جل جلاله نار الضلالة بمحمد نبيه صلى الله عليه وآله، عقب ذلك بأن جعل في أهل بيته الأطهار المنتجبين وعترته الأخيار الطيبين ـ دون من عداهم من العالمين ـ من ينفذ أحكام شريعته، ويوضح أعلام طريقته،

(١) سورة الحديد، آية ٢١.

ويحمي بيضة ملته منّة منه سبحانه على عباده ولطفاً لهم، ليسلكوا سبل مراده، فله الحمد بجميع محامده على جميع نعمه. فلم يزل فيهم بحمد الله سبحانه في كل عصر من يقوّم من هذا الدين عوجه، ويبين للسالكين منهجه. وينفي عنه تحريف كل غال[1]، وانتحال من ينحل من ذوي الأبطال، وتأويل كل جاهل ضال حتى انتهت الحال المقرونة بتأييد ذي الجلال إلى قيام مولانا الأجل المنصور بالله عز وجل أمير المؤمنين، وابن رسول رب العالمين، القائم بالحق المبين، سيد الأمة، خلف الأئمة، أبي محمد عبدالله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. ولم يقم سلام الله عليه إلا بعد أن شهدت له الصولات والدفاتر، وعنت له الصهوات والمنابر، ورجع إليه الأصاغر والأكابر مع تقمصه بحلل السخاء الغامرة، وارتدائه بملاءة الفضل الفاخرة، وطهارة منشئه، وعفة مئزره مع التقى والعبادة والورع والزهادة، والمنصب الذي على النيرات الثواقب نوره، وختم على سمك المعالي العالية قصوره لتردده بين النبي المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء صلى الله عليه وعلى آلهم النجباء.

ولما أن قام إلى الله تعالى داعياً، وفي مرضاته ساعياً، ولدين الإسلام راعياً؛ أجابه علماء أهل البيت الطيبين وفقهاء شيعتهم المنتجبين، وجمهور من في اليمن من المسلمين، وعامة من قبائل العرب والعجم مجمعين، باذلين لطاعته، منخرطين في سلك إرادته. وكان أول سابق إلى بيعته، ومعلن بالشهادة على صحة حجته، واستقامة محجته؛ الأميران الكبيران الأجلان شيخا آل الرسول وحجتا ذوي العقول، بحرا الجود والعلم، المرتديان بالورع والحلم، تاجا الفخار، ساطعا المنار شمس

(١) غال بمعنى ضال.

انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: غول.

الدين وبدر الدين الداعيان إلى الحق المبين يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام. ولم يكن ذلك منهما سلوكاً لمداحض التقليد، ولا طلباً لعلو في دار الفناء أو مزيد لكن عن بصيرة أوجبها الاختبار الشاهد له سلام الله عليه بقوة الوطأة، وجودة المعرفة في علم أصول الدين الذي عليه دارت أبنية الحق اليقين، وبه خمدت نار ضلالات المبطلين، وبالفهم لمعاني كتاب الله عز وجل ما بين دفينه من أوامره وزواجره، وخصوصه وعمومه، ومجمله ومبينه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وقصصه وأخباره، وعبره وأمثاله. وبالتبحر في علوم السنة الشريفة النبوية زادها الله شرفاً وفضلاً. والانتهاء في علوم أصول الفقه وفروعه، وعلم اللغة العربية. ومعرفة البيان وفصاحة اللسان إلى الذروة العليا، والغاية القصوى، مع جمعه لسائر خصال الخلافة النبوية، وبلوغه المراقي الشريفة العلية. وهما إلى الآن موقفان أنفسهما على البيعة التي سبقا إليها، والطريقة التي دلا عليها.

وقد كانت هذه الفرقة المطرفية المرتدة الغوية ممن تواتر إليها من أمير المؤمنين الدعاء إلى صراط الحق والتلطف ليستنقذها من مهاوي الشق. فأظهرت في بادىء الأمر ما أظهرت من الدخول في بيعته، والتمسك بمتين عروته. فتلقى سلام الله عليه ذلك منها بالقبول، ورجا أن أمورها إلى الرشاد تؤول. فلما اشتد عليها المجال، وطال بها الطوال نكصت ناكثة للعهد على أعقابها. وبدا منها لذوي الألباب ما طال استتاره من صُبأئها، فعالجها معالجة المداوي الحميم للدواء [1]، المستقيم الأليم، ولم يعالجها بمهلك سطوته اتباعاً منه لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسيرته. فلما تبين له أن التأني والدواء لا تأثير لهما في برء دائها.

---

(١) في الأصل (للدوى).

وأن داءها مع المتاركة لا يقتصر على من أصمته به من خلطائها، وعلم أنه قد توجه عليه من الله سبحانه ما توجه على جده الأمين في قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ [١]. لم ير بعد ذلك إلا الكشف عن مكنون حالها، وتبيين فساد اعتقادها ومقالها (ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيٍّ عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾ [٢]. والآن فقد حكم فيها بحكم أهل الشوكة من المرتدين، واتبع في حكمه فيها بواهر الأدلة والبراهين، ورأى أن سبيل نجاته عند رب العالمين في الاجتهاد في إخماد نارها، وهدم منارها ليكون ممتثلاً لما ألزمه الله تعالى من إقامة دينه وإظهار براهينه. فالله تعالى يعز نصره ويشد بالتأييد المكين أزره، ونصلي على محمد وعلى آل محمد.

وقد أصدرنا إليكم هذا الكتاب عن عوارف من الله كثيرة، ولطائف جمة غزيرة، فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلاً. والموجب لإصداره إليكم ما ألزمنا الله تعالى من حقكم من إهداء النصيحة، وإيضاح المحجة الصحيحة لما خصنا الله به عز وجل من المشاركة في النسب الشريف، والمنصب الزاهر المنيف. وإنها للمنة العظيمة التي تصغر المنن في جنبها، والنعمة الجسيمة التي يقصر الشكر عن مكافأة حق ربها، فله الحمد أولاً وآخراً. وها نحن ندعوكم إلى الطريقة التي من تنكبها [٣] زلت به القدم، وحل به في الآخرة التحسر والندم. ومن استنهجها حاز الخير والكرامة وفاز بالأمن والسلامة. ندعوكم إلى الأئمة الهادين المرشدين، والاقتداء بهم في الأصول التامة بقيمات البراهين التي تتفرع منها أغصان

---

(١) سورة التوبة، آية ٧٣.

(٢) سورة الأنفال، آية ٤٢.

(٣) تنكبها أي مال عنها.

ابن نظور، لسان العرب، مادة: نكب.

الدين. ويتفتح من أكمامها أزهار الحق اليقين، ويحيى من أزهارها ثمار الخير المبين. ونحذركم اتباع الأهواء وخبط العشواء، والتعامي والأعيان بصيرة، والتقليد والأدلة ساطعة منيرة. وقد علمتم حال إمامكم سلام الله عليه، وتواتر دعائه لكم إلى سبيل رشدكم. فما عذركم فيه عند ربكم إذا حضرتم للحساب عند أحكم الحاكمين، وكان الشهود الملائكة المقربين، والخصم جده محمد خاتم النبيين صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين. أبالشبه تعتذرون؟ فلا عذر لكم من ذلك وقد قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1] أم بالعصبية تحتجون؟ فلا حجة لكم بها، وبها ضل المضلون. أم بالتساهل والتغافل؟ فكيف ذلك والخطر عظيم، والخطب جسيم!. ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم. ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ﴾[2]. ﴿ إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ﴾[3] وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وأنشأ الإمام عليه السلام رسالة عامة إلى كافة الناس صرح فيها بكفر المطرفية وردتهم في دار الإسلام، فنشرت في الآفاق، وقرئت في المجامع والأسواق، ونسخت من ذمرمر عشرين نسخة وظهرت في تلك البلاد، وعرفها الحاضر والباد. وعرفوا فساد مذهب المطرفية وبطلان اعتقادهم، ثم نسخت إلى مكة والحجاز، وبلاد مذحج وتهامة، وانتشرت في أقطار اليمن مع المقصورة التي أنشأها عليه السلام في أمر المطرفية أيضاً، وهي عقيب هذه الرسالة. ثم صنف تصنيفاً في الرد على المطرفية وخروجهم من

(١) سورة النحل، آية ٤٣.

(٢) سورة الأحقاف، آية ٣١، ٣٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٦.

مذهب الزيدية، والاحتجاج على ما رماهم به من الكفر والردة سماه « الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة » وهي في المجلد الثالث من مجموعاته وتصانيفه التي صنفها في فنون شتى من ابتداء قيامه عليه السلام إلى هذا الأوان وهو آخر هذا الجزء الثالث من سيرته الشريفة الذي آخره سلخ رجب ومستهل شعبان من سنة ثلاث وستمائة، مع سعة أشغاله، وما يقاسيه من حرب العرب والعجم، وكثرة فسادهم، وشدة عنادهم.

نسخة الرسالة العامة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. سلام عليكم . فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، أما بعد.

فإن للخير أسباباً، وللدين نصاباً. آل محمد صلى الله عليه وعليهم أربابه، وودهم نصابه، هم الأدلة على الدين، وهم هداة المسلمين . لهم عليهم حق الولاية، ومرتبة الزعامة، فما نجم قرن ضلال إلا ومنهم قاصمه، ولا بحر طغيان إلا ومنهم واصمه. وهم سفن النجاة، وسفن ماء الحياة. وقد علمتم ـ يا معشر المسلمين ـ بالعيان دون أن نخبر إنساناً [(١)] أن الشيعة المطرفية أول من أجاب دعوتنا، وأعطى بيعتنا، وشهد في السر والجهر بإمامتنا. فإن كانوا صدقوا في الابتداء فقد كذبوا في الانتهاء، وإن كذبوا في الابتداء فما المانع أن يكونوا في كلتا الحالتين كاذبين سواء؟ ولما قمنا بعد أن مرجت أسباب الدين، ووهت قواعد اليقين، وغلب شقاق النفاق، وأوقدت [(٢)] نيران الضلال، وظن قوم بالله الظنونا، وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً. ففقأنا عين الفتنة، وأخمدنا نار الضلالة

(١) في الأصل (إنسان).

(٢) في الأصل (وسطعت) وكتب فوقها صوابه (أوقدت).

بعزمة علوية، وعصمة نبوية راكضين [1] في الجولة ثابتين في الصولة . إن جاش جيش لجيش كنا أثبت الناس في موجه أساساً، وإن عصفت ريح سلطان ضلالة كنا أكثر الناس فيها عناء ومراساً. هذا وقد عددنا المطرفية من التائبين عند ظهور القائم، المجردين في مرضاة الله، شداد العزائم لإظهارهم محض الطاعة، وانخراطهم في سلك الجماعة. وكان معنا منهم بمدينة شبام مرابطة من أفاضلهم قدر أربعين، فلما زال الزبد عن الصريح [2]، ولم يبق إلا أن نغلب فنريح، أو نموت فنستريح. فوجهنا الوجوه تلقاء صنعاء مقدمين على الهول المهيل، ناهضين بالحمل الثقيل. فتسللوا عنا لواذاً بأصول البرقوق [3] مائلين إلى الخذلان والعقوق، إلى أن جاءونا إلى صنعاء مهنئين، فسألناهم عن الحال، فتناقض اعتذارهم، وبان اختبارهم، وظهر فرارهم، فعذرناهم، وقلنا ضعفاء. جبنت قلوبهم عن الصدام، وكرهوا مفاجأة الحمام، فاجتمعوا إلى صنعاء جمعة عامة، فجدد شيوخهم البيعة، وانتشروا ولاة في الآفاق. فخانوا الأمانة، وركبوا متن الخيانة، فقلنا فقراء أرادوا الابتلال بالمال، وأن يصلحوا به الحال. فمشينا بهم كما يمشي العليل بدائه، ويرسل على جرحه فضل ردائه. فلما صعبت عليهم الأمور إن أظهروا اعتقاد الإمامة لامهم الخاصة والعامة في خذلان الإمام، وإن رفضوا لغير علة مقتهم الصغير والكبير من الأنام، فداووا خرفاً بخرم، وغسلوا إثماً بإثم. وقالوا اطعنوا في إمامة الإمام ليكون لكم عذراً في التخلف عند العوام، فسبوا برياً [4] وجاءوا شيئاً فرياً. وقالوا كان وكان،

---

(١) في الأصل (راكدين).

(٢) يضرب هذا المثل عند انكشاف الأمر وظهوره. وأصل المثل: أبدى الصريح عن الرغوة. الميداني، مجمع الأمثال، جـ١ ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) هكذا في الأصل ولم أصححها إلى (بريئاً) حتى لا يختل السجع.

وأخبرنا فلان عن فلان، وصلوات الله على الهادي عليه السلام وعلى الطيبين من آله الكرام، يوهمون أن الصلاة عليه تنقص من بعده، وتبطل إمامة غيره. ولو كان حاضراً لخذلوه ففي قلة نصره في كل أوان وهو عليه السلام كان جذل الطعان، وحليف السيف والسنان. وإنما يظهرون للعوام أنا لا نكره الإمام، ولهذا ترون محبتنا لمن مضى من الأئمة الأعلام. مكيدة يعرفها فضلاء الرجال، وتجوز على الأغمار والجهال. قلنا هلم إلى المناظرة، فإن كنتم على يقين، ظهر للناس صحة ما أنتم عليه، وعذرتم عند الله وعند الصالحين. وإن كنتم على ضلالة رجعتم إلى الحق المبين، وانخرطتم في سلك الصالحين، وعددتم من أنصار الأئمة الراشدين. فكرهوا ذلك وذاك بعد أن استقام لهم شيخ آل الرسول في ثلا، فطلبوا لجفوته عللا، فقاتلهم الله أني يؤفكون. أشاهد بعد أحمد بن يحيى يريدون، ودليلاً بعده إلى الرشد يبغون. ثم إني لما قرأت كتاب الله تعالى متأملاً، وجعلته لي شغلاً لأنه حياة القلوب، وشفاء الكروب، وجدتهم قد كذبوا منه وردوا أربعمائة آية وسبعاً وثلاثين آية محكمة لا تحتمل التأويل. لو أن من تحت أديم السماء كذبوا بآية واحدة منها لكانوا بحكم الله سبحانه من الكافرين، ووجب جهادهم على جميع المسلمين، فكيف بمن كذب بمجموعها!!

فأما كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وكلام الأئمة من ولده فهم له رادون، وعنه صادرون. وإنما الأصل كلام الله فإن صدقوا صدقوا ما بعده، فهو فرع عليه، وإن ردوه طاب الجلاد، وتعين فرض الجهاد، وغزوناهم كما يغزى الكفار، وأوقدنا النار إزاء النار. فإن ظهرنا عليهم بنصر الله قتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وبعنا النساء والعيال كما يفعل بالمشركين. ولم يكن عندنا لكل حالم إلا السيف ؛ لأن هذا حكم الله

وحكم رسوله، لأن هذا حكم المرتدين من العرب . وقد تعللوا بالمخافة. والذمة بين المسلمين ثابتة، والله سبحانه قد أمر بجوار المشركين حتى يسمعوا كلام الله، وظهور حجج أولياء الله على أعدائه. وإن تمردوا عن ذلك وذاك لا ناظروا ولا يأمروا فما بقي عندنا لهم إلا السيف وكفى به ناصراً للمظلوم، ومنتصراً من الظلوم. فإن الخوارج على أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أشد من هؤلاء القوم وطأة في الإسلام، فرسان الخيل، وعباد الليل، وحملة القرآن، وأحلاس الطعان. فخالفوا علياً عليه السلام في ثلاث مسائل؛ الأولى منها لِمَ حكّم؟، والثانية لِمَ محا نفسه من إمرة المؤمنين؟، والثالثة لِمَ لم يَسْبِ يوم الجمل؟. فقتلهم عليه السلام قتل الكلاب، وصب عليهم سوط العذاب.

واعلموا يا معشر المسلمين رحمكم الله أن الكافر يحل قتله ضعيفاً كان أو قوياً، وأن ضعفه مع الكفر لا يعصمه من القتل شيئاً. بل إذا قد حل لنا قتله فأحب الأشياء إلينا أن يكون ضعيفاً، لأن القوي يتعبنا علاجه، ويصعب علينا اعوجاجه. فتأملوا الأمور بعين الفكرة، وتأهبوا للقيام والنصرة. فلو خذلتمونا خذلانهم، ما عز لله دين ، ولا حمى سرح الإسلام. وبلغنا أنهم يقولون وأين الجهاد؟ فقلنا كما قيل في المثل المنتشر هان على الأملس يما لاقى الدبر [1]. أين أنتم عن نجران وبيحان والجوف وغزو تهامة!!، وما ظهر في الجنات وشبام للخاصة والعامة من المواقف التي حضرتها رجال حمير، وما كسبوا فيها من أجر ومفخر. وأنتم منحجرون انحجار الضباع، مترددون بين الدراعة [2] والقناع [3]. تأكلون

(١) يضرب هذا المثل في سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ٣ ص ٤٧٩.

(٢) الدُّرَّاعَةُ: ضرب من الثياب، وقيل: جبة مشقوقة المُقَدَّم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: درع.

الحار والبارد، متفيئون في ظل المساجد. لا لله تتقون، ولا من محمد صلى الله عليه وآله تستحيون. قد خذلتم ذريته بأنفسكم، وخذلتم الناس عنهم بمكركم، فشركتم في دمائهم، وعددتم من أعدائهم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حرمت الجنة على من أبغض أهل بيتي، وعلى من حاربهم، وعلى المعين عليهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم». وقال صلى الله عليه وآله: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل عداوة لي ولأهل بيتي لم يرح رائحة الجنة». وقال: من حاربني في المرة الأولى، وحارب أهل بيتي في المرة الثانية كان من شيعة الدجال». وشيعة الدجال هم اليهود لعنهم الله. فانظروا معنى هذه الأخبار ومن اختص بها، تجدوهم القوم لا محالة. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته: «قدموهم ولا تقدموهم، وتعلموا منهم ولا تعلموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا. فقد خالفوا وشتموا، وأنتم الشاهدون، فضلوا وكفروا بشهادة الصادق الأمين. فإن لم تقوموا عليهم فمن القائمون!.

ومن عجائبهم - وإن كانت لا تحصى - أنهم قالوا لا ينبغي للإمام أن يعمل الحصون ويشحنها قوة للمسلمين، ومراغماً للفاسقين. قلنا فأين أنتم عن قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [1]. وما أخرجنا الأموال الجليلة التي صارت إلينا إلا في هذين الوجهين. أفليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا جهال خندق على نفسه خوفاً من المشركين وهو في ثلاثة آلاف من الأنصار والمهاجرين؟

---

(١) القناع: الطبق الذي يؤكل عليه الطعام. والقناع طبق الرطب خاصة. ابن منظور، لسان العرب، مادة: قنع.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٠.

وكل واحد منهم يحب أن يموت قبل صاحبه ـ وكل واحد من أهل عصرنا يحب أن يموت صاحبه قبله ـ ومعه الملائكة مسومين. فأين أنتم عن الآثار النبوية؟! يا أجهل العالمين!، لا بكلام الله صدقتم، ولا كلام رسول الله ابتعتم فأين تريدون؟. قلنا فما الصواب؟ قالوا يبرز الإمام إليهم إما قتلوه وإما قتلهم. قلناوهذا[1] الذي تريدون أن يلقى العدو بغير مكافأة فيقتل فتستريحون. لا لعمر الله بل يطرق إطراق الشجاع عند عدم الناصرين، ويثب وثوب السباع عند وجدان المعين. ولا يزال شجى في حلوقكم، وقذى في أعيانكم وأعيان إخوانكم الفاسقين حتى نطهر الأرض منكم أجمعين بالتائبين من العاصين والمستحبين من المؤمنين، والأعوان من المسلمين. ونستنجز في ذلك وعد رب العالمين ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾[3]. هرب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الغار خوفاً من المشركين، وانحاز في شعب أحد حذراً من سطوة الكفر حتى قال شاعرهم[4]:

فلولا صعود الشعب غادرن أحمدا ... ولكن نجا والسمهري شـروع

ولم يزل صلى الله عليه وآله إن أمكنته فرصة وثب، وإن خاف طغيان المشركين احترز حتى كانت العاقبة للمتقين. قلنا: وما تنقمون على

---

(١) في الأصل (وهذه).

(٢) سورة التوبة، آية ٣٣؛ سورة الصف، آية ٩.

(٣) سورة القصص، آية ٥، ٦.

(٤) الشاعر هو ابن الزبعري.

انظر، ابن هشام، سيرة النبي، جـ٣ ص ١٠٦.

الإمام؟ قالوا: عاقب. قلنا: أفلستم تعاقبون؟ قالوا: رحل الناس من بيوتهم. قلنا: أفلستم ترحلون؟ قالوا: غرم. قلنا: فأنتم تغرمون من لا يجب عليه من الحقوق شيء، وأقل أحواله أن يكون مثلكم يجوز له ما يجوز لكم. قالوا: أعطى أموال الله العصاة. قلنا: أفليس أعطيتم أموال الله إسماعيل الكافر اللعين؟ قالوا: مداراة. قلنا: فإذا جاز إعطاء العصاة أموال الله مداراة، جاز إعطاؤها من يعصي الله سراً، وإذا جاز لعامة المسلمين - ولا ولاية لهم - جاز لأمير المؤمنين، فله ولاية عامة على الخاصة والعامة في النفوس والأموال. فتيقظوا يا معشر الجهال فما بقي إلا الفجر أو البحر [١]، فقد عدمتم اللب، وأعييتموني كما قيل في المثل السائر من شُبٍّ إلى دُبٍّ [٢]. وإنما نذكر من يذكر أعييتني فكيف بدردر!

وهذا مثل في امرأة حمقاء قبَّل زوجها ولده منها قبل نبات أسنانه فقال: بأبي دردرك. فغدت فكسرت أسنانها ودخلت إليه فقالت: كل أهلك دردر. فنظر فإذا ليس في فمها واضحة فقال: أعييتني بأُشُرٍ فكيف بِدُرْدُرٍ [٣]. معناه وأسنانك تبوشير الحداثة، فكيف بدردر. أعيوني في حال ما وافقوني، ونافقوني فكيف بعد أن ناصبوني وكاشفوني! قالوا: فعل الأئمة كذا وكذا. قلنا أتخبروني عن ضب احترشته [٤] وبئر نبشته؟. أفلسنا

(١) يضرب هذا المثل في الحوادث التي لا امتناع منها.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ١ ص ١١٧؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة: فجر.

(٢) يضرب لمن يكون في أمر عظيم غير مرضي فيمتد فيه، أو يأتي بما هو أعظم.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٣) معنى المثل أنك لم تقبلي الأدب وأنت شابة في أسنانك، فكيف الآن وقد أسننت!.
انظر: البكري، فصل المقال، ص ١٨٣؛ أبي فيد، الأمثال، ص ٩٨ - ٩٩؛ الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٤) يضرب المثل في مخاطبة العالم بالشيء من يريد تعليمه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حرش.

أولاد الأئمة؟، وأولى الرجال الذي نحن أعرف بدينه، أفلسنا أهل البيت؟ وأهل البيت أعرف بما نزل فيه. ولكنكم كما قيل في المثل لا يعجز مسك السوء عن عرف السوء [1].

لما خبث اعتقادكم ظهر فسادكم، ضيعتم الخير البارد، ولقيتم السهم الصارد. فكنتم كما قيل في المثل الشارد تجنب روضة وأحال يعدو [2]. اخترتم الشقاء على الراحة، والخفة على الرجاحة. ومن أمثال العامة، قيل للشقي هلم إلى السعادة قال حسبي ما أنا فيه.

وقد دعونا القوم إلى الله سبحانه، فإن أجابو قبلنا، وإن أبو جليناهم بالساعد الأشد، وصبناهم بحاصب البرد، وكنا كما قال الشاعر:

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى   ولا المجد إلا من قنا وسيوف [3]

ولو كانت لنا رخصة في المتاركة لعملنا كما قيل في المثل دع امرأً وما اختار [4]. لكن منع من ذلك خوف النار في ترك طاعة الحكيم تعالى ومراده، والعمل بقوله سبحانه ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ [5] فلا نوم ولا غفلة حتى تفيئوا إلى أمر الله عجلاً أو نكرع السيوف فيكم عللاً ونهلاً [6].

---

(١) يضرب هذا في الذي يكتم لؤمه وهو يظهر بخلافه.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ١٨٥.

(٢) يضرب لمن اختار الشقاء على الراحة، وأحال، أي أقبل. الميداني، مجمع الأمثال، جـ ١ ص ٢١٥.

(٣) الشعر لليلى بنت طريف في رثاء أخيها الوليد بن طريف الشاري. انظر: الأصبهاني، الأغاني، جـ ١١ ص ٨.

(٤) يضرب لمن لا يقبل الوعظ.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ١ ص ٤٧١.

(٥) سورة الحج، آية ٧٨.

(٦) اذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النهل، والثانية العلل. =

وهذه نصيحة لزمنا فرضها فشهرناها، وكامنة من معالم الدين أثرناها. فما أولئك القوم أكثر عبادة، ولا أعظم حرمة من أصحاب النهر فذاقوا مس سقر. وقتلهم خير البشر. فانظروا في ذلك معشر المسلمين ولا ترخصوا للقوم، والسلام.

ونسخة المقصورة التي في أمر المطرفية التي أنشأها الإمام عليه السلام.

هل تعرفن الدار في شط الحمى ... بين هضاب الأبرقين فالتقى
جررت الريح بها أذيالها ... جر ذوي الخال ثياب الخيلا
رأت بها أشعث مشجوج القنا ... فعصبته برماد المصطلى
عهدي [1] بها والدهر غر أبله ... والعيش غض لابس ثوب الصبا
عرفتها لأياً بلأي بعدما ... أنكرنها بالسلمات في اللوى
كالرقم في الكف أو الترقيش في ... الأوراق سداة السجل ووحى
منازلاً ما بين شحاط إلى الحبونن [2] ... من مجزر فالشهب البيضا
ففيض حام فعوالي هرم ... فجانب البيضا فشطي كمنا [3]
دع ذكر ذا فأنت ذو مندوحة ... عن ذكر أسباب التصابي بالتقى [4]
واذكر مصاب الدين بعد أحمد ... بصرف هذا الأمر عن أهل الكسا

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: علل.

(١) في الأصل (هدى) التصويب من الديوان.

(٢) حبونن بفتحات: واد فيما بين نجران وتثليت، وهو ما يسمى اليوم حبونه. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤، ح ٦ نفس الصفحة، ص ٢٢٦.

(٣) هذه الأماكن تقع في الجوف. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٠؛ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٠٠.

(٤) في الديوان ح (باللقا).

قــامت بــه أميــة بــزعمهــا | وخلفت للنــاس منهـا خُلفـا
فغيــرت ديـن الإلــه جهــرة | وقتلت سبط النبي المصطفى
ثم دعـا زيـد إلى منهــاجـه | وبين الـدين وأسباب الهـدى
فــرفضتــه فــرقــة ملعــونــة | تعزىٰ إلى الشيعة من أهل الولا
فـعيــروا لــرفـضـــه روافضــا | إلى خروج الناس من تحت الجثى [1]
وسبط زيد قام يدعو شـاهراً | لسيفه حتى قضى في أرغوى
فمذ تناهى الخطب في أمية | وتاه منها من تمادى واعتدى
صب عليها من بني العباس | تسليط [2] ناس [3] سافكون للدما
فشــردوا بقتلهم من خـلفهـم | وصيـروهم مثل مبثـوث الهبا
ثمت عـادوا للهداة عـدوة [4] | أفـرط فيها من تعـدى وبغى
فقتلوا المهدي في طيبة والها | دي أخــاه في أداني نينـوى
ثم الحسين بن علي محرما | في عصبة تحكي مصابيح الدجى
وركبوا [5] في أمر يحيى موبقا | من بعد آيات رآها من رأى
وسم إدريس بـأرض الغـرب | لم يصعب عليهم كيده لما نأى
وكم أعــد من قبيح فعلهم | ومن تمـادي ظلمهم لـلأوليا
وأصل هذا الأمر فاعلم كله | رفض الهداة الكاشفين للعشا
هذا على المجتبى المحيي الهدى | في عصره أفضل من تحت السما
قـد كفرتـه فرقة كـانت لـه | يوم الهياج كالحسام المنتضى

---

(١) الجثى: التراب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جثا.
(٢) في الديوان (تسليط).
(٣) في الديوان د (أناس).
(٤) في الديوان ج، د (عودة).
(٥) في الأصل (فركبوا) والتصويب من الديوان.

فحكم السيف فأفنى جمعهم قبل مصير الظل من تحت الحذا
وهم خيار صحبة في نسكهم ورفضهم زهداً للذات الدنا
عباد ليل فإذا ما ركبوا لم يهربوا خوف الممات والفنا
ثم الغلاة نجموا في عصره وهم من الشيعة قالوا في الذرى
فاجج النار وألقاهم بها حتى انزوى جلد الجباة واشتوى
وكان في وفاته مقالة أسسها الخب الجهول ابن سبا
وانتشرت في الشيعة الأخيار أقوال ضلالات روتها العلما
لابن جرير والفتى ابن صالح قول وللجارود أقوال سوا
وإن من أطرفها مقالة[1] ما حاكه مطرف وما حكى
في[2] سنة الخمسين والأربع لم يسبق إليها قبله رب حجى
فتابعته فرقة ضليلة ميلاً عن الحق وقولاً بالهوى
أنكرت القول بأن الله قد أنزل قرآناً سماه شفا
قالت وهذا بيننا حكاية لغائب فوق السموات العلا
وأنكروا التفضيل قولاً واحداً لمن يريد ربنا ومن يشا
والرزق مبسوط بغير قابض يقصد هذا حكمة منه وذا
قالوا ولا يفعل ما يريده فينا ولا يرزق قصداً من عصى[3]
هذا وقد أخبرنا بأنه يمد عمراً هؤلاء وهؤلا
فحظروا عن خلقه عطاءه والله ذو المنة لم يحظر عطا
وإنما يحرزه أربابه بالحرص قالوا في الطلاب والدَّها
وكم بها من دابة لا تحمل الرزق عطاها فضله فيمن عطا

---

(١) في الأصل (حكاية) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (وفي) والتصويب من الديوان.

(٣) هذا الشطر في الديوان د على النحو التالي . (فينا ولا يرزق جل قصداً من عصى). وفي باقي النسخ (فينا ولا يرزق جل من عصى).

وهــذه مــقــالــة أنــكــرهــا جميــع أولاد النبي الفضــلا
والغيث قالوا من بخـار ثائـر لم ينشه الرب ابتداء في الهوى
ولـم يَسُقـه ربـنـا بـلطفـه بل ذاك من فعل الجنوب والصبا
ولم ينـزل بـرداً مـرَّاكـمـاً على الزروع فتنة لمن درى
ولو أثار الزرع في المغصوب قالوا كان عوناً ظاهراً لمن طغى [١]
قلنـا أمخـذولـون أنتم بينـوا من يفلق الحب هبلتم والنوى
ويخـرج الحب من الخضراء والغبراء أنيقاً من خصاصات الثرى
قالوا وليس الموت دون غاية من فعله بل لاختلاف في الغذا [٢]
ومن أراد أن يكـون مرسـلاً براً نبياً [٣] فليبالغ في التقى
قلنـا فقـد أخبـرنـا إلهنـا بـأنـه فضـل بعض [٤] الأنبيا
وأنــه اخــتــصــهــم بــمــنــة وزادهم فضلاً وأعلى واجتبى
والألم النـازل بالنـاس من الأخلاط لا من خالق الناس ابتلى
ومن بـدت في خلقه زيـادة فتلك عـوارض لا تـهـتـدى
والله قد ينقص من [٥] شاء وقد يزيد في الخلق تعالى ما يشا
وعـنـده صحتنـا وسقمنـا والفقـر للحكمـة منـه والغنى
قـالوا وعقـل المرء منـا قلبه قلنا فإن نـام بقي أم انتفى
قالوا ولم يهب ذكـوراً بعضا ولا يخص آخـرين بالنسـا [٦]

---

(١) في الديوان ج، د (عتا).
(٢) هذا البيت غير موجود في الديوان.
(٣) في الديوان ج (تقيا).
(٤) في الأصل (بين) والتصويب من الديوان.
(٥) في الديوان ج، د (ما).
(٦) هذا البيت في الأصل على النحو التالي:
قـالـوا ولم يهب رجـالاً بعضنـا ولا يخص بـالـذكـور من يشـا
وفي الديوان ج، د.
=

قلنا فجاهرتم صريح قوله ... بالرد إفراطاً وجهلاً وعمى
قلنا وهل من خالق غير الذي [1] ... يرى تعالى حده ولا يرى
ومن له في ظلم الأرحام ... تدبير نبئونا يا أولا
وكنت قد أنكرت أقوالاً لهم ... ديناً ولم أقصد سباباً وبذا
وقد ظننت قبل ذاك أنهم ... يخفون عني كفرهم بغض الخفا
فتسلقوا [2] وأظهروا من قولهم ... ما كان غطاه النفاق والرجا
وحبروا الأشعار في مضمونها ... محض السباب المستبين والهجا
والشعر يا جهال غير معجز ... يقوله سود العبيد والإما
وإنما للشعر بحر زاخر ... قد قل من يسلم منه إن طما
والفعل صعب والمقال هين ... والناس في القول سوى الفعل سوا
إذا ذكرت أنني ليث الشرى ... قلتم وها نحن معاً أسد الشرى
هذي لعمري لفظة خفيفة ... والفعل كالنوم على جمر الغضا
وإن تهددت ببيض وقنا ... تهددوني بالحراب والعصا
وإن ذكرت الجرد تعدو شزبا ... قلتم وهذي الأتن فينا كالقطا
مقومات سوقها جوامر ... بكل مقدام على ما في الإنا
كل خداري [3] قصير خطوه ... مطا من السيسا مجزول المطا
أنطقكم فهونوا في سيركم ... إن حال فيما بيننا زرق العدى
فويلكم إذا بدت رعالها ... كمثل أركان ثبير وحرا

= قالوا لم يهب رجالاً بعضنا ... ولم يخص آخرين بالنسا

(١) هذا الشطر في الديوان ج على النحو التالي (وهل علمتم خالقاً غير الذي).

(٢) السلق: رفع الصوت.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلق.

(٣) خداري: أي شديد السواد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: خدر.

يقـدمهـا مشيـع من هـاشم لا يحمد النوم ولا يشكو الونا
وهي كمثل البحر يطفو موجه تقذف بالبوصى في الأرض القوى
وحشـوهـا كتـائب زيـديـة تسبيحها ضرب الرقاب والطلى
لا يسأمون الحرب إن سئمتم كف القبيـح والسباب والأذى
كيف جرت ألسنتكم بسب من قال أبي ردت له شمس الضحى
وبـات جبريـل بـأمـر ربـه يخدمه حتى تـوضى واستقى
وإن تلاقت ضمر الخيل عصا بسيفه وإن ردى الموت ردى
وإن تعمى في العلوم مشكل يبينه حتى يحـاكي بن ذكـا
ويبـرم الأمـر بـرأي محصـد وينقض العقـدة تعيي الأربـا
وإن يقـل هـأنـذا فـراجعـوا أذهـانكـم يـخـزه هـأنـذا
ألم[1] نزر صنعاء في رجراجة كـأسد خفـان[2] بآجـام القنا
فكاع[3] ذاك الجيش لولا عزمة لما انشظى باب الضلال وانفنى[4]
وفي ذمـار بعضكم شـاهـده ألم يقف بالباب والجيش ورا
وكم مقـام هـائـل قـد قـامـه لو قامه الفيل لسار القهقرى
ويـوم بيحان[5] وهـران وفي عجيب لولا جهلكم ما قال ذا
كـأنني أنظر بـالـرحمن ذي الطول وأنتم طافحـون كالغثـا
تبغون فيها[6] نفقاً من تحتكم أو سلماً لو كان صعب المرتقى

---

(١) في الأصل (ان لم) والتصويب من الديوان.

(٢) خفان: مأسدة بين الثِّنى وعُذيب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خفن.

(٣) كاع: أحجم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كعع

(٤) في الأصل (وانفا). وفي الديوان ح (واتقا).

(٥) في الأصل (ذبحان) والتصويب من الديوان.

(٦) في الأصل (منها) والتصويب من الديوان.

فذاك يوم ليس فيه خلة ولا شفيع لفتى لا يرتضى
ويحكم أما عقول كمل تفرق ما بين الوهاد والربا
لا لو غدت فيكم عقول محضة لفرقت بين الضلال والهدى
وكيف أرجو منكم إنابة وهذه أفعالكم مع من مضى
كم من إمام قد رفضتم جهرة حتى هويتم في مضلات الهوى
لستم ترون بإمام حاضر لو رأيتم ملكاً يرقى السما
فطاعة الحي عليكم صعبة وطاعة الميت أوطى منتما[1]
قد كان أولى بكم من صدكم إن تنفروا نحوي جميعاً وثبا
فصدكم عني هلاك عاجل وطاعتي أبدى وأولى بالرضا
غرستم الشر[2] فلا تستوبلوا غرسكم فإنه مر الجنى
نبهتم صلاً[3] صليلاً[4] نائماً له رضاب لا يداوى بالرقى
جعداً[5] سحامياً[6] هريت شدقه منشاته بين الحزوم[7] والصوى[8]

(١) في الأصل (منثوى) والتصويب من الديوان.
(٢) في الأصل (الشرى) والتصويب من الديوان.
(٣) الصِّلُّ: الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة : صلل.
(٤) في الأصل (ضئيلا) والتصويب من الديوان.
وصل أصلال أي حية من الحيات.
ابن منظور، لسان العرب، مادة صلل.
(٥) الجعد إذا كان على وجه الذم تعني القصير وتعني الغليظ وتعني القبيح.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جعد.
(٦) السحم والسحام: السواد. وكل أسود أسحم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحم.
(٧) في الأصل (الحزام) والتصويب من الديوان.
والحزم: الغليظ من الأرض، وقيل المرتفع وهو أغلظ وأرفع من الحزن والجمع حزوم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حزم.
(٨) الصوى: ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

لو عض في حرفي صفاة نابه   لخذها كخذ أزميل الحذا
قد باشر الحرب حديثاً سنه   وها هو اليوم مذك قد عسى
وجرع الضد ذعافاً قاتلاً   وعاين الموت مراراً ونجا
فلم يكشر ضاحكاً لما أتى   كلا ولا أجهش خوفاً بالبكا
فأين أنتم عن[1] مساعيه التي   ألقت عداه خسراً دون المدى
وغادرت كل جواد قائماً   في ظله ينفخ من جوف هوى
لم يسأم الحرب وليداً يافعاً   بل نام في أفنائها منذ نشا
كالهندواني الصليب متنه   يزيد عند الضرب حداً ومضا
الحرب لا يرجى بها هوادة   والصيد كل الصيد في جوف الفرا
ونحن في تشييد أركان العلا   فالجرد تقنى والسيوف تجتلي
والسمر كالأشطان في إيماننا   مراصدات للعيون[2] والكلا
قولوا وها نحن كما قلت لكي   يضحك من ضلالكم كل الورى
هجوتموني[3] من سفاه رأيكم   والبحر لا يطرقه ضرب الدلا
لو بال كلب بين بحرين لما   أثر في ذاك ولا في ماء ذا
وأنا [ما][4] بين فاطم وشبر   حقاً وبين المجتبى والمصطفى
فكيف يرجو أن تشق مروتي   أعيقد[5] بأنفه إذا عوى
قمت وحبل الدين واه متنه   ثمت ها هو حمل صعب القوى
رأيت أسباب الهدى قد مرجت   والناس من خوف العدى على شفا

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: صوى.

(١) في الأصل (من) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (للثغور) وفي الديوان ح (للنحور).

(٣) في الأصل (هجرتموني) والتصويب من الديوان.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من الديوان.

(٥) الأعقد: الكلب لانعقاد ذنبه.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقد.

فقمت لله تعالى غاضباً بعزمة صادعة صم الصفا
مشمراً عن نصف ساقي قاصداً لله ربي في القيام والدعا
فجاءني كل بني مطرف تقودهم شيوخهم شمط اللحى
فبايعوا فقلت هذي توبة قد طمست من فعلهم ما قد مضى
فلم يكن إلا ليالي قلة ثم استدار أمرهم دور الرحى
واستبدلوا بالرشد غياً ظاهراً وبالجنان المستسرات[1] لظى
فقلت يا قوم هلموا مالكم يا قوم مهلاً ما عدا مما بدا
أنتم عن الحرب ضعاف فاربعوا فالليث لا يذعره صوت الحدا
ولا الجواد كالإتان فاعلموا ولا قطى في الأمور كقطا[2]
ولا الصهيل كالزفير ضحوة ولا الزئير في العرين كالضغا[3]
نحن الذين إن بدت نار الوغى خضنا لظاها واغتسلنا بالجذا
وإن نأت[4] أسيافنا عن مضرب في ماقط الموت وصلنا بالخطا
أبناء من أحيى الهدى ببأسه وعلم الرشد ومن سن القرى
وكل من صلى بغير ذكرنا فإنها يا أجهل الناس مكا[5]
رميتم نفوسكم من مقولي بنافذات مصعقات للأسا
وكنتم كباحث عن حتفه بظلفه فذاق مكروه التّوى[6]

---

(١) في الأصل وفي الديوان ج، د (المستنيرات).
(٢) ليس قطاً مثل قُطَيٍّ : أي ليس النبيل كالدنيء. ويضرب في خطأ القياس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قطا؛ الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ٩٣.
(٣) الضغاء: صوت الذليل. والضغو: صياح الذئب والثعلب والسنور وكذلك الكلب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضغا.
(٤) في الديوان أ، ب (نبت).
(٥) المكاء: الصفير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مكا.
(٦) التوى: الهلاك.

=

ألـم ينـبئكـم لبـيـب عــارف بــأننـا نثبت في ظــل اللوا
وكم مليــك حمتــه جنـــوده قلنا له سامح وقـدناه ضحى
وفــارس منـــا كبــا جــواده فأعمل الرمح طعاناً أو قضى
وفـاتـك لاقى غـلاماً فـاتكـا منـــا فـألقــاه حليفـاً للثـــرى
نحن الـذين جدهم وجـدهم قد أنزلاهم في منيفات الذرى
ومن بهم يستدفع الخلق الأذى ويستـدر الناس بقيـات الحيـا
ومن هم عدل الكتاب المحتذى ومثل شهب النيرات في السما
لنـا وفينا[1] كلمـات ظهـرت تعدادها أصعب من عد الحصى
لنـا الحطيم والمقـام والصفـا والمشعر الأعلى وجمع ومنى
والمسجد الأدنى الرفيع سمكه والمسجد الأقصى وجمرات الحصى
وفي مثاني عـرفــات مـوقف كــرمــه خــالقنــا لمــا دحى
وللولي الحب شهــد نــافــع وكـالذعـاف والقزام[2] للطغى
ومـزبـد لمـا حنقنـاه[3] رغى والـزبـد الـظاهـر يـرتـد جفـا
مشى مدلاً يتهادى الخير[4] لا عنى فلمـا سقته خـرّ لقا[5]
يعــرك أذنيــه كــأن فيهمــا صرايراً[6] من نقب لم يهتنا[7]

= ابن منظور، لسان العرب، مادة : توا.

(١) في الأصل (وفيها). والتصويب من الديوان.

(٢) القزام: الموت.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: قزم.

(٣) في الأصل (خلقناه). والتصويب من الديوان.

(٤) الخير: الهيئة.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: خير.

(٥) اللقى : الأوجاع، واللقاء من قولك رجل مَلْقُوٌّ إذا أصابته اللقوة. وهي داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق.

ابن منظور، لسان العرب، مادة. لقا.

(٦) في الديوان أ، ب (صراير).

=

وعنده رفض الهداة[1] عدة   عند القيام للحساب والقضا

يا ويله عند سؤال أحمد   ماذا فعلت في وداد القربا

إن قال أحببت الهداة قبلنا   ثم رفضت القائم الحامي الحمى

قيل له فرقت جهلاً بينهم   كمثل تفريق اليهود الأنبيا

ظننت إحساناً لصنع فغدا   فعلك بطلاً كسراب في فضا

قس من مضى بمن بقي من آله   ومن دنا من نسله بمن نأى

فإنها ذرية شريفة   شبيهة بالماء[2] إن قست بما

فإن يكن ساءك داعيك فقد   كان أبوه لمحاكيك أسى

وان يكن أغضبك الفضل لهم   فالله لا يرضيك إلا بالمدى

أين أبو نهشل[3] من ثعالة[4]   أين من النسر الغراب والحدا

وأين من أم حبين[5] خندف[6]   وأين جرى العير[7] من جرى العصا[8]

---

(٧) هكذا في الأصل. وفي الديوان (تهشا).

(١) في الأصل (العداة). والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (كالماء). والتصويب من الديوان .

(٣) النهشل: الذئب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: نهشل.

(٤) ثعالة: الأنثى من الثعالب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثعل.

(٥) أم حبين دويبة كالحرباء عظيمة البطن، إذا مشت تطأطىء رأسها كثيراً وترفعه لعظم بطنها.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: حبن.

(٦) الخندفة: مشية كالهرولة، ومنه سميت خِنْدِفُ امرأة إلياس بن مضر.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: خندف؛ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١ ص ٤٠.

(٧) العير: الحمار: أيا كان أهلياً أو وحشياً.

ابن منظور، لسان العرب، مادة : عير.

(٨) العصا: فرس كانت من سوابق خيل العرب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: عصا.

والآنك [1] والأسرب من سبيكة | حمراء تزداد على السبك صفا
وأين ديك خاضب أظفاره | فيما علمت من عقاب في الهوى
وأين ذات الطوق من دجاجة | جاثمة فوق رماد في فنا
وهل ترى الصيفي [2] كالرمثى [3] وا | لجنثى [4] كالداري [5] إن ثار الكنى [6]
ما حيلتي أن فاضل الرحمن بين | خلقه يا مشبهاً عير الفرا [7]
حملتني الأوزار في أفعاله | وهو حكيم عادل فيما أتى
يفعل ما شاء لمن شاء ويختار | وليس الاختيار للورى
كلفك الصبر كما كلفني | الشكر فمت أو فارض منه بالقضا
عجزت أن تقول قول نملة | يا أيها النمل الحوا [8] سود القرى
خوفاً لعمى أن تلس جنده | جسومها لس الحميم المختلى
احتكت العقرب بالأفعى ولل | قرعى استنان كالحريق في الأشا

(١) الآنُكُ: الأَسْرُب وهو الرصاص. وقيل: هو القزدير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أنك.
(٢) الصيفي: الكلأ الذي ينبت في الصيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صيف.
(٣) الرمث بالكسر: مرعى من مراعي الإبل وهو الحمض.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رمث.
(٤) الجنثى: الحداد. والجنثى: السيف. والجنثى: الحديد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جنث.
(٥) درى السيف: تلألؤه وإشراقه.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: درر.
(٦) الكنية أن يُكْنَى الرجل باسمه تعظيماً وتوقيراً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كنى.
(٧) عير الفرا: الحمر الوحشية.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٨٣.
(٨) في الأصل (نحواً). والتصويب من الديوان. وألحوا بمعنى الزموا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لحح.

الله أعلى منظراً سبحانه ... من أن يخلى الناس في الأرض سدى
لا بد من أئمة يهدونهم ... عند اختلاط الأمر منهاج النجا (١)
ويمنعون سرح دين الله من ... طلس(٢) لغاويس(٣) كسيدان(٤) الغضا
ويقرعون من تعدى طوره ... من ناكث وقاسط قرع الوجى
ومارق قد أثر السجود في ... جبهته يحيى الليالي بالبكا
قَوَّمهم آل النبي محمد ... بالسوط والسيف الجراز والعصا
قولوا ليبقى الدهر منكم ضاحكاً ... وأهله نحن وإياهم سوا
كيف وأذكار الصلاة ذكرهم ... وأنتم لا تذكرون في الحُدا
حسبي بذي العرش تعالى حاكماً ... ما بيننا فحكم ذي العرش رضا
هبوا إلى التوبة قبل وقعة ... تحسكم(٥) حس الحريق في الأبا(٦)
إن تبتم قبل ظهور قدرتي ... تاب عليكم ذو الجلال وعفا
وإن تماديتم وناقضتم كما ... ناقض همام سليل الخطفى (٧)

---

(١) في الأصل (الهدى). والتصويب من الديوان.

(٢) الأطلسي: الأسود. وذئب أطلس: في لونه غبرة إلى السواد. والطلس: الذئب الأمعط.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طلس.

(٣) اللغوس: الذئب الشره.
ابن منظور، لسان العرب، مادة لغس.

(٤) في الأصل (لسيدان) والتصويب من الديوان.
والسِّيد: الذئب. والسيد: الأسد. والجمع سيدان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سيد.

(٥) الحس: القتل الذريع. وحسسناهم أي استأصلناهم قتلاً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حسس.

(٦) الأَبُّ: الكلأ. وعبر عنه البعض بالمرعى.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أبب.

(٧) بنو الخطفي باليمامة. والخَطَفَى، هو لقب عوف جد جرير الشاعر. الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٢٦٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة: خطف.

لم أنطق الشعر إليكم بعدها	وكان شعري بالرماح والظبى
هل غاضب من صيد قحطان لنا	ففي ذري قحطان أطواد علا
من حمير كل كريم أصيد	ومن ذرى همدان فتيان اللقا
ومذحج كل حميد فعله	ليثاً إذا صال وغيثاً إن همى
من معشر إن حاربونا قهروا	ولن يضروا أمرنا إلا أذى
قال اليهود في زمان جدنا	بأنهم أعرف منه بالنبا
فحدثت عمرو بن عوف دونه	والأشهليون وفتيان قبا
وظفر [1] وواقف [2] وخطمة [3]	والشم من فتيان حي جحجبي [4]
فشيدوا ما أسسوا من قبلكم	من نصرة القائم تحيوا ما مضى
واغتنموا القائم فهي فرصة	يرزقها من لم ييسر للقا
نعوذ بالله من الخسران إن	رضيتم من الوفاء باللقا
وفيكم كل حمى أنفه	لو بارز الليث دحاه بالعرى
هل ينصفنكم في إمام عصركم	فدم [5] له كر شبيه بالوقا
إن يسل عن مشكلة أصغى لها	وقلب الرأس مراراً واجتبى
وقال ما لا يستطيع عاقل	أن يجعل الميل إليه منتمى

(١) بنو ظفر: بطن من بطون الأوس.
ابن رسول، طرفة الأصحاب، ص ٤٦.

(٢) واقف: بطن من الأنصار من بني سالم بن مالك بن أوس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وقف.

(٣) بنو خطمة: بطن من بطون الأوس.
ابن رسول: طرفة الأصحاب، ص ٤٦.

(٤) الجحجبي: حي من الأنصار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جحجب.

(٥) العذم من الناس: العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: فدم.

كل لئيم لا يبالي في الوغى إن كلَّ حد سيفه أو نبا

إني إن أفزع إليهم القهم [١] ودارهم مطموسة الآي خلا

فشايعونا فالدليل واضح وعسكر الحق كأسراب الدبى

والله مولانا ومولى لهم وكل من شايعه حاز العلا

ويل لقردان دعته نفسه بأن يحاسي الموت ليثاً ذا قوى

يا جاهداً في سترهم بين لهم فإنهم قد خالفوا سبل الهدى

كيف تواري كفرهم بحيلة هل تستطيع ستر شيء قد بدا [٢]

قد أبقت [٣] الأيام في أنبائها يوماً عليهم يبلغ السيل الزبى

إن طلبوا حربي فجدي سيفه أردى به أهل الشقاق والخنا

كم بازل [٤] صار أفيلاً عندنا وقسور صار لدينا مزدرى

وطالب جوداً غمرناه حباً وثالب حل عليه ما جنى

من دوحة بورك فيها دوحة كمثل ما بورك في آية لا [٥]

ومن شام علماً نافعاً من غيرنا فإنه يشيم ما لا يرتجى

شم العرانين كأسد بيشة عليهم الجدل [٦] الوساع كالأضا [٧]

معتقلين لصلاب ذبل سمر كأشطان الجرور [٨] ذي الحيا

---

(١) في الأصل (انفهم).

(٢) هذا البيت غير موجود في الديوان.

(٣) في الأصل (انفت). وفي الديوان، ب (القت).

(٤) البازل: البعير الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بذل.

(٥) هذا البيت غير موجود في الديوان.

(٦) درع جدلاء ومجدولة: محكمة النسج، والجمع جُدْلٌ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جدل.

(٧) الأضاة: غدير الماء ويجمع أضا. وتشبه بها الدروع للمعانها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أضا.

(٨) الجرور من الركايا والآبار: البعيدة القعر. =

وكل مطرور الغرار صارم يرضي الذي يعصى به [1] يوم الوغى
تحملهم جرد عتاق ضمر كالطير تنجو من رذاذ وعمى
بنات كل سابح في جريه لو سابق الريح كبت وما كبا
من كل عزام تخال عنقه جذعا منيفاً عالياً إذا ردى
يرجع الصهيل في رحيبه أرجاؤها [2] تحكي الطوى المحتفا
وساع أشداق وفي أعيانها ظهور أعيان مسنات المها
يقدمها نهد طويل باعه يحمل ليثا إن دنا الموت دنا
أعد للجري جناناً واسعاً ومنحراً رحباً ونسراً [3] كالنوى
قد جنبوهن إلى ضوامر يدعون جداً شاعراً رحب الخطى
تحملن بز الدارعين رقصاً سوامي الأحداق تحسن المشي
بهن نعطي الضد بعض ما أبى وننزل الناس على حكم الرضا
ذاك العتاد لاعتاد معشر سبوا ولاة الحق أعلام الهدى
وأنكروا أن يجعل الله لهم فضلاً سماوياً على كل الورى
يا بؤس للقوم ألما يعلموا أنا بمن آمن كالماء الروى
وأننا [4] للفاسقين غصة معروضة تحت الوريد كالشجى
عرضت أن يناظروني فانثنى عني منهم كل شيخ والتوى
وصد عني كالملاقي حتفه وقال قلبي أغلف وقد عشا [5]
قالوا نخاف سطوة من سيفه قلت هلموا ذمة لمن أتى
العقد للمشرك فرض واجب وفاؤه ممن هدانا واجتبى

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرر.

(١) في الأصل (في) والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل (رجاوها). والتصويب من الديوان.

(٣) في الأصل (وستراً). والتصويب من الديوان.

(٤) في الديوان ح (وأنا).

(٥) في الأصل (قسا) والتصويب من الديوان.

ونحن لا نـرفض حكم ربنا كـلا ولا نفر كفـراً إن طرا
وإن تـرفقتم حمـاة حـميـر أو غلب[1] همدان فللكل جدا
وإن كرهتم فأذنوا بالحرب من ليث إذا ما ضيم ذكى وفرى
علمه والده ضغم[2] العـدى وأن يـروي ظفره من الـدما
لـه حليفـان حسـام صـارم واسمـر مـطرد مثـل الـرشـا

فلما انتشرت هذه المقصورة مع الرسالة العامة في الآفاق، سقط أمر المطرفية عند الخاصة والعامة. وصاروا بين الناس أسوأ حالاً من اليهود، يكتمون أنفسهم، ويجحدون النسبة إلى هذه الفرقة الضالة المضلة. وظهرت عليهم كلمة الكفر في الأقطار، واستخف بهم أهل البادية والقرار حتى أن الرجل إذا أراد المبالغة في سب صاحبه قال له: يا مطـرفي. وكانت هذه النسبة عند العامة نسبة عالية، فصار له من الشناعة عند الناس ما حملهم على إخفائه والتبرؤ منه. وترافع الناس بالقذف بالنسبة إليهم إلى الحكام. ووقع أمر ليس بالهزل، ونفرهم أهل المغارب من بلادهم، وقطعوهم من موادهم من الأهنوم إلى حجة وعيان وميتك وأدران[3]. وهذه البلاد كانت لهم مستقراً ومستوطناً، يأخذون منها أموال الله، فنفوهم من أسواقها حتى إن الواحد منهم إذا أراد دخول بعض الأسواق لم يدخل إلا متكتماً، أو في ذمة، أو جوار.

---

(١) في الديوان أ، ب (وغلب).

(٢) الضغم: العض الشديد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضغم.

(٣) أدران، وهو ما يسمى الآن دروان: محل من قرية قدم، عزلة قدم حجة. من توابع مدينة حجة.

الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٥، ح ٢ نفس الصفحة؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٢٣. التعداد السكاني التعاوني لمحافظة حجة، ص ١٤.

وقد كان نفى منهم رجل بحجة اسمه أسعد بن عبدالله المعلم، وصاحب الأمر بها والمقدم فيها علي بن حجاج، وله عناية شديدة في تنزيه حجة من هذه الفرقة. وقد أمره الإمام عليه السلام بذلك، فأمر لهذا الرجل يريد إمضاء الحكم عليه، فتبرأ من المطرفية ولعنهم، وأشهد على نفسه أنه معتقد اعتقاد الإمام عليه السلام، وخارج مما كان يعتقد من اعتقاد المطرفية، موال لمن والاه، معاد لمن عاداه. وأن جميع الأجسام خلق الله وصنعه، وكذلك جميع الصفات الضرورية فعله عمداً وقصداً بغير فطرة ولا تركيب. وكتب خطه بيده بذلك، وحلف عليه، وأقسم بصوم عشرين سنة محذوفة التأويل على صحة اعتقاده، وما أظهر خلاف ما أبطن. وأشهد على نفسه بذلك شهوداً، وأمر بهذا الشعر إلى الإمام عليه السلام، وقد بلغه وعيد منه على استقامته على مذهب المطرفية قال:

كنت بلوت بها وعيداً قاسي ... فغدوت منها للهموم أقاسي
وعرفت خط بنان مولانا الإما ... م بها أمين الله أمن الناس
فازداد ما بي من ضنى وتوجع ... وعظيم بلوى ماله من آسى
إلا أمير المؤمنين بعطفه ... فعلى مودته بنيت أساسي
أخليفة الرحمن لم أك للوداد ... ولا اعتقادي ما يدين بناسي
لكنني في بعض أوقاتي أرا ... جع جاهلاً بالجهل من أجناسي
فيما تقدم لا تقل في وقتنا ... هذا تقضى وانقضى وسواسي
فلقد عفى عن كعب جدك أحمد ... بعد الأياس وشدة الإبلاس
ولباسه ثوب الكفور وإن ثو ... ب الدين يا بن الطاهرين لباسي
فكساه حلته التي ضربت بها ... الأمثال إنعاماً فنعم الكاسي
صلى عليه الله ثم عليك ما ... سح الحيا وماس غصن الآس
أرضي إمام العصر إبعادي فإ ... بعادي صواب ما به من باس

أم رجعتي فلقد رجعت وما أظن الضرب بالأخماس للأسداس
أنا تائب لا أرتضي بتكبر إن التكبر شيمة الأنكاس [1]

ولما تعطلوا من هذه البلاد واختفوا فيها، بقيت لهم جهة شرق البياض [2]، وبلاد حجور [3] وما يواليها، وبلاد مسور ونواحيها، والبلاد الحميرية [4] وفيها هجرة قاعة وهي التي يأوي إليها كبارهم. وتفرعت الهجر في أقاصي البلاد منها، وكان لهم فيها شوكة واستظهار. فكتب الإمام عليه السلام إلى أهل حجور وشرق [5] البياض في آخر كتاب كلاماً من أسباب قطعهم عنها ونفيهم منها نسخته.

قال عليه السلام في أمر المطرفية : وهم ينكرون مذهبهم ولا يظهرونه إلا لمن اتبع ملتهم، فلهم شبه بالباطنية، وتعلق بالأقوال الردية، فحذار معشر المسلمين حذار، ونذار إلى نفيهم من دار الإسلام نذار قبل أن تشب النار بإزاء النار. فنزل بهم وبمن تعلق بكفرهم ودافع عنهم البوار

---

(١) الأنْكاس: جمع نِكْس. والنكس من الرجال المقصر عن غاية النجدة والكرم. والنكس أيضاً الرجل الضعيف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نكس.

(٢) البياض الأعلى، والبياض الأسفل: قريتان من عزلة مسور، ناحية خولان الطيال. والبياض: قرية من عزلة الربع، ناحية همدان. والبياض من قرى مخلاف قدم والجبر.
انظر: التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٧٣ ؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٢٥ ، التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ ؛ مسلم اللحجي، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية، ص ٤٥ ب.

(٣) حجور بلد واسع من همدان سمي باسم حجور بن أسلم وتقع هذه البلاد داخل محافظة حجة.
انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٢.

(٤) المقصود بالبلاد الحميرية هنا ناحيتي ثلا وكوكبان.

(٥) في الأصل (وشرف).

والدمار. فأنتم كماة العرب ولهاميمها، وسراتها وصميمها، ولكم المآثر في نصرة الدين، والسبق إلى علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فاعمروا ما درس وجددوا ما انطمر، وخذوا من أعداء الله بالنفس. واقتبسوا من إمامكم ما من علم آبائه الطاهرين اقتبس، فإنه يريد لكم الكرامة، ويدعوكم إلى دار السلامة في الدنيا ودار المقامة. ولا وزوجي محمد وعلي سلام الله عليهما وعلى الطيبين من أهلهما، لولا تيقننا لكفرهم، وعلمنا بفساد أمرهم لما تعرضنا لهم بمضرة، ولا نلناهم بمعرة. ولكننا خفنا عقوبة الإهمال وتبعة الغفلة، ونحن المستحفظون في هذه الأمة، وحماة سرح الدين من سباع المعتدين. واعلموا رحمكم الله أن من اللصوص من سلاحه جراب وعصا، وسجادة وكتباً، وأن سارق الدين أعظم مضرة من سارق المال. فاحرموا من سارق الدين من أعداء ذرية النبيين فإنهم لو مدحوا لكم الإمام للمأموم في التخلف عنه فذموه لكم لتأنسوا بذلك في خذلانه، وتعذوهم في رفضه. فتيقظوا وتحفظوا، ولا تنسوا وصية الله في مودة ذوي قربى نبيه صلى الله عليه وآله. فنفوهم من بلادهم، ولم يُقِرُّوهم فيها بعد ذلك، وصاحت صوايحهم بطردهم في أسواقهم.

وكتب الإمام عليه السلام إلى صنوه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بمضايقة أهل هجرة قاعة، وقطع أسبابهم، وقتل من أمكنه منهم. فلم يتمكن من قتلهم لقيام أهل مدع [١] معهم وتعصبهم على مذهبهم.

---

(١) مدع بضم الميم وتكتب أحياناً مداع: قرية من عزلة المصانع، ناحية ثلا، على بعد ٤ كم جنوب غرب هجرة قاعة؛ ١٣ كم شمال غرب مدينة ثلا. وتقع ما بين:
٢٠″ ٣٧′ ١٥° شمالاً، ١٥″ ٤٧′ ٤٣° شرقاً.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٢٣، ح ٥ نفس الصفحة؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٧٥؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٢٠٥؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠ صفحة 1543B4.

وكانوا قد استجاروا بهم، وأحالوا طائفة منهم فاعتقدوا اعتقادهم، فقطع الأمير موادهم، وأخافهم في طرقاتهم وحول هجرتهم حتى سألوه أن يجعل لهم حداً لأمانهم، فمن تعداه فلا أمان له. ففعل لهم ذلك بشفاعة الحميريين، وكاتبوا إخوانهم بهجرة وقش وهجرة الجبجب بما لحقهم من المعرة، وما هم فيه من المضرة. فجاء منهم شعر يحكون فيه ما نزل بهم، ويحضون حمير على المدافعة عن جيرانهم. والشعر:

صرنا وكم مثل بين الورى جاري ... كمن يفر من الرمضاء إلى النار
أو مثل سار سرى ليلاً فقيل له ... أبشر فحتفك عند الصبح يا ساري
فقال يا ليت ليلي مظلم أبداً ... وليت صبحي لم يسطع بأسفار
قلنا يقوم إمام نستجير به ... فمن يجورنا من جورة الجار
هذا الإمام وهذي بيضة خضبت ... ما حرام دم والحاكم الباري
ما في ظبى علم الدين الأمير دم ... منا ونحن لديه أهل إقرار
فأعجب لنا ملك الأكراد يكرمنا ... وبني النبي علينا أي جبار
ونحن أنصاره الحامون حوزته ... فمن لأنصاره يوماً بأنصار
وقال نحن ذوو كفر وقد علمت ... هذي البرية أنا غير كفار
الله خالقنا والله رازقنا ... ومنه ما كان من موت وإنشار
ومنه ما كان من برق ومن برد ... وموت طفل ومن جدب وأمطار
وما جحدنا نزول الآي بل نزلت ... آيُ الكتاب بأنباء وأخبار
ليت الإمام رعاه الله يجعلنا ... كمن عفا عنه من زان وخمار
والأرض محشوة فسقاً وعندهم ... ما قام إلا لثوب أو لدينار
فصار يؤثرنا بالقتل دونهم ... إنا لفي فلك بالنحس دوار
وسَبَّنا ودعانا بالخنا وملأ ... منه القراطيس من نثر وأشعار
وأي كفر لدى من تلقهم أبدا ... ما بين قار وفود الضيف أوقاري

أو راكع وجناح الليل منسدل يدعو المهيمن في جهر وأسرار
تتابعت كتبه تبغي مناظرة وقال لسنا نجاريه بمضمار
فلم نزل ترتمي خوض الركاب بنا حتى أنخنا بباب القصر والدار
قلنا لدى داره يا من يناظرنا فقال لا بد من وعد وإنظار
من مبلغ حمير السادات في مدع وبيت أبذر[1] أهل الجود والجار
لنا ودائع قد صارت بأرضكم ولا يضيع وديع عند أخيار
تخيرت حميراً طراً ودارهم داراً وكم بلد حلت وأقطار
فليهنهم أمنهم ما بين أظهركم من كل خطب وإقتار وإعسار

فأجابه الحسن بن عزوي العصيفري رحمه الله قال:

من أوضح السبل إذ لا ضوء للساري لما تجلى وحلاها بأنوار
ومن به عاد روض الدين مبتسما بعد الذبول ومفتراً بأزهار
ذاك الإمام الذي أحيا بدولته شرائع الحق في بدو وحضار
كلامه ومحياه لناظره إذا بدا قيد أسماع وأبصار
يا قائل الشعر لم هذا تقول به كمن يفر من الرمضاء إلى النار
ونحن من جوده فينا ورأفته وعلمه بين جنات وأنهار
يا شيعة هيئة العباد ظاهرها وتحت أثوابها أرواح فجار
أبغض آل رسول الله عندكم به جرى مثل بين الورى جاري
قام الإمام فبايعتم بمعرفة منكم بما كان من علم وآثار
ثم افترقتم ولاة في البلاد معاً لقبض بر وأخماس وأعشار
وبعد ذاك نكثتم عهد بيعته فكان منكم جحود بعد إقرار

---

(١) بيت الأبذر: قرية من عزلة بني العباس ناحية ثلا، وتقع على بعد ٣ كم جنوب مدع. التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص٢٥٨؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ خريطة ج ع ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543 B 4.

ثم اعترفتم وعذرتم بثانية وقلتم العفو قد تبنا إلى الباري
فتاب عنكم وقد قمتم بجمعتكم شهراً وعدتم إلى كفر وإصرار
وقلت ليت إمام العصر يجعلنا كمن عفى عنه من زان وخمار
أليس في حوث والأنباء تخبركم عما طرى عند شرب الخمر من طاري[1]
ألم يحد أمير الغز ويلكم وكان ذا خطر فيهم وخطار
هذا وكم بين مرتد ببيعته وبين من حده ضرب بأسيار
حملتم صحفاً لا تعملون بها كمثل ما قال في حمال أسفار
وقلتم ملك الأكراد أكرمنا وابن النبي علينا أي جبار
ونحن أنصاره الحامون حوزته يا ليت شعري متى كنتم بأنصار
وأي يوم صبرتم تحت رايته وقد أدارت رحاها أم صبار[2]
في الصدق مندوحة تغنيك عن كذب أما علمت بما في الكذب من عار
وقلتم لم يزل خوض الركاب بكم وأي خوض ركبتم ذات أكوار
أمن بنات جديل في مناسبها وشدقم أم بنات الأثل والغار
وللخريف وصلتم غير أنكم قرنتموه بتمويه وأخبار
لم تعلموا أين مولاكم وسيدكم حتى أنختم بباب القصر والدار
من ذا الذي حين ناديتم أجابكم فقال لا بد من وعد وأنظار
عجبت من ضب قفر قال مفتخراً أنا النظير لربان وبحار
وذي صبابة ماء من جهالته مساجل لعظيم الموج تيار

(١) طرا طرواً: أتى من مكان بعيد. وطرى إذا أتى، وطرى إذا مضى، وطرى إذا تجدد، وطرى إذا أقبل، وطرى إذا مر.
ويقال رجل طاري: أي غريب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: طرأ، مادة: طرا.
(٢) أم صبار: الداهية والحرب الشديدة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صبر.

نار الحباحب[1] للسارين ناركم ليست بنار التي يسري بها الساري
آل النبي هم الأخيار يا عجباً ممن يشبـه أشراراً بـأخيـار
وصار من ينحى عنهم ويمنعهم كمثل من يشتري فلساً بدينار
كمن يجالس قيناً دون صاحبه الداري وكم بين حداد وعطار
ثوب الرياء الذي أمسى بطانتكم شفعتمـوه بثوب الـذل والعـار
عريتم إذ عريتم في لباسهما ورب كاس وفي المعنى هو العاري
مدحتم حميراً كي تستقيم لكم تلك النواميس من وقت وأعمار
وقد سقطتم وقد بانت خيانتكم فليس يلزم فيكم حرمة الجار
بئس الودائع وقد صارت بأرضهم تقودهم إن أطاعوها إلى النار
أما الشريفان إذا سارا أمامكم فانكروا ما اعتقدتم أي إنكار
حاشاهما أن يبيعا دين جدهما وعنـدنـا منهـا مكنـون أسـرار
صار الإمام وصرتم في فسادكم وصغركم عنده كالليث والفار
قد دعاكم دعاء نوح وعالجكم فلم يجد فيكم حظاً لمختار
فبينت عجزاً إذا قيل احملي عجزت ولم يزل مثلاً بين الملاجاري
مثل النعامة لا طير ولا جمل[2] وقيل طيري فقالت بنت موار
أما الذي وجناح الليل منسدل منكم يُسَبِّح في وهن وأسحار
ففي الخوارج من في النسك منشأه فما يجاريه من يعنى بمضمار
من لا يجيب لأهـل البيت واعية يكبه الله في قعر من النار

---

(1) نار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار، في الهواء، من تصادم الحجارة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حبحب.

(2) يضرب هذا المثل فيمن لا يعرف له مذهب؛ ولمن لا يحكم له بخير ولا شر. وفي الشيء الذي لا نفع فيه.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ٢٩٣؛ محمد عبد الغني، من أمثال العرب، ص ٢٥١.

فحين ضاقت بالمطرفية بهجرة قاعة الأنفاس، وصاروا من الحصار في أضيق من حلقة الفأس مع فشل قد لحقهم، وخذلان قد أرهقهم، وتلاوم في ذات بينهم فيما سلف منهم من الإجماع، والقدوم إلى وردسار، وطلب المعونة منه والانتصار، وضياع المال الذي سلموه إليه. ولم يغن عنهم شيئاً، بل زادهم عند الناس سقوط منزلة، وظهور كلمة سيئة.

وكانوا قد نقموا على الإمام عليه السلام استخدام من يفر إليه من الغز، وأعطاءهم مال الله للمدافعة عن دين الله، فسلموا إلى وردسار المال في محاربة الإمام، وهدم ركن الإسلام. وصار الشريف أبو الفتح بن محمد العباسي ـ وهو كبيرهم وعالمهم ـ مقدمه لقود عساكر الغز إلى المغرب لأخذ أموال الناس وسفك دمائهم.

وهذا الشعر للقاضي سليمان بن عواض بن علي الحويت ذكر فيه الشريف أبا الفتح بن محمد، وجمعه للمطرفية إلى قاعة لحرب الإمام عليه السلام:

لا تعجبن لكافر بادي العمى	واعجب لمن قرأ الكتاب وأسلما
كتب الشريعة درسه وعلاجه	وإذا أتاه الوفد بر وأكرما
ويصوم ثم يقوم أكثر ليله	حتى إذا صلى الصباح وسلما
نشر المواعظ في الذين يلونه	ورمى فأصمى بالمواعظ من رمى
وروى علوم الدهر من أهل التقى	واحتج بالقرآن فيه وحكما
دأباً يكرر ليله ونهاره	يثني بمدح من اهتدى وتعلما
لكنه يختار أهل شقاوة	ممن تحير في الضلال وأقدما
ما اختارهم جهلاً بقبح مقالهم	إلا ليرفع عنهم ويعظما
أبلغ أبا الفتح الشريف وقل له	لله درك هاشمياً معلما

قدت الجياد لأهل مقرى[1] قاصداً — حتى بلغت صباحه والأريما[2]
وطردت روحاً والرحيس لظلمهم — والكرد كانوا أعق وأظلما
وخدمت في حال العبادة ظالماً — ما كان أهلاً أن يعان ويخدما
ولقد جفاك وخان عهدك مسرعاً — وأذل من واليته وتهضما
واليته ونسيت بيعة صادق — كانت مؤكدة تؤد الأعظما
وقفوت طلحة والزبير مواليا — للناكثين وكنت فيهم مغرما
ولقد جمعت لنصر قاعة عسكرا — لو لم يصرح نكثهم لتكتما
لم يغن عنهم جيشهم بل أسلموا — واستسلموا ولقد نجا من أسلما
وأزيح عنهم من تبين كفره — ممن تمسك بالهوى واستعصما
فارجع وقم بوفاء عهدك جاهداً — من قبل أن ترد المقام الأعظم
والله خصمك والنبي وآله — أخلق بمن عاداهم أن يخطما[3]
شهدت له علماء آل محمد — بالفضل لما كان منهم أعلما
ولقدشهدت مع الشهود بفضله — وحملت عهداً يوم ذاك معظما
فمتى وفيت له هجرت عداته — ومتى وصلتهم رفضت المحكما
حاشاك أن ترضى الخبيث بطيب — بدلاً وبالإصباح ليلاً مظلما
لم يعدل الله الجهول بعالم — أبداً ويعدل بابن حمزة جهضما[4]
وبمثل يحيى والأمير محمد — شر العباد مطرفاً ومسلما[5]

---

(١) في الأصل (مقر).
(٢) الرِّيم: آخر النهار إلى اختلاط الظلمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ريم.
(٣) في الأصل (يخصما). وخطم الإنسان أنفه. وخطمه: ضرب مخطمه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خطم.
(٤) الجهضم: الجبان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جهضم.
(٥) يبدو أن المقصود هو: مسلم بن محمد اللحجي، صاحب كتاب أخبار الأئمة من أهل =

اسمع فـإن تختر أولاتها ولا بَدَلاً فلست عن الجحيم محرما
دع عصبة غضب الإمام عليهم حتى أباح المال منهم والدما
نكثـوا ببيعتـه وخـانـوا عهـده ورماه بالبهتان منهم من رمى
جحدوا فضائل أهل بيت محمد وبجحدها جحدوا الكتاب المحكما
وهجوا إمام العصر هجواً فاحشاً فتسـربلوا عاراً بـذاك ومـأثمـا
فانظر ترى عجباً وتسمع آية نبحت كلاب الأرض أبراج السما
والكلب لو نبح الكواكب جاهداً طول الزمان فلن ينال الأنجما
شاهدت وجوه الناكثين وألقمت أفـواه سادتهم سعيـراً مضرمـا
من كل من رضي الهجاء أو قاله أو كان عند سماعه متبسمـا
يا من يخط بهجو آل محمد خطأً بأوراق الضـلال محكما
إن كان فرضاً سب آل محمد كـان المؤدي للصلاة مـذممـا
إذ من فرائضها الصلاة عليهم من بعدما صلى الإله وسلما
من تاب من أهل الضلالة وارعوى[1] قبل الممات منادياً أو يندما
قبـل الإلـه متـابـه وأثـابـه خيراً وأصبح في الجنان مكرما
ومن استحل خلاف آل محمد سفهـاً وتابـع غيرهم وتـوهمـا
إن الرشاد يقول من عاداهم أودى به بحر الجحيم إذا طما

فلما ضاقت أحوالهم بقاعة بعثوا صريخاً إلى وقش، فأتى إلى مسجدهم وهم على اجتماعهم، فكسر عصاه، ومـزق جرابه وقـال: أدركوا إخوانكم وإلا فهـم هالكون. وحـكى لهم ما انتهى إليه أمرهم، وأنهم

= البيت عليهم السلام وشيعتهـم باليمن. وهو أول من ألف عن أعـلام الزيدية وجعلهـم طبقات؛ واهتم بالتعريف بأهـل مذهبه من المطرفية.

انظر الشامي: تاريخ اليمن الفكري، جـ٢ ص ٣٠١ ـ ٣٠٨.

(١) ارعوى فلان عن الجهـل، وهو نزوعه وحسن رجوعه. وارعوى أي كف. ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعى.

طلبوا الـذمة من الأمير عماد الدين يحـيى بن حـمزة؛ وقد كان استورد في ذلك أمر مولانـا الإمام عليه السلام، فأمـره بأن يصالحهـم على وضع الزنـار ليكون علامة لهـم، إذ الجزية لا تثبت على مشركي العرب. فـلما بلغهـم ما حـل بأصحابهم من الخـزي والنكال، تكاتبوا، وأجـمع رأيهم على الغارة إلى أصحـابه. فاجـتمع منهم بشر كـثير إلى ستمائة أو يـزيدون من هجـر المطرفية، وممن كانوا قد أمروه بالتأهب للقاء إلى ثلا لمناظرة الإمام عليه السلام من جهـة الشرق والمغرب. ونهضوا إلى ثلا مظهريـن للناس أنا نـريد المناظرة، فانضاف إليهم من أهـل البلاد من يـريد الاطلاع على أمرهم، والمقدم فيهـم الشريـف أبو الفتح بن محمد العباسي، والشريـف يحـيى بن منصور بن مفضل وهو الـذي عقدوا له البيعة بالإمامة، وأخوه محمد بن منصور الملقب بالمشرقي[1] وهو أشدهم تعصباً لمذهب المطرفية، وأعظمهم بغضة للإمام عليه السلام لا يكاد يكف لسانه عن السب والأذى. فحكى سليمان بن محمد بن عليان وهو من الثقات أنه جـرى بين هذا الشريـف المشرقي. وبين الشيخ سليمان بن مفرح بن منصور الضربوه بثلا مراجعة في أمـر الإمام عليه السلام، وطـال بينهما الجـدال، وانتهى بهمـا الحال إلى أن قـال وهو يريـد بذلك الإمام عليه السلام: من كفرنا ـ ونسب نفسه إلى المطرفية ـ فهو كافـر، ومن سار بغيـر سيرة أهـل البيت فهو فرعـون من الفراعنـة. قـال: ثم دعينا للغذاء عقيـب هذه المجادلـة فخرجنا من المنزل الذي كنـا فيه فزلت به رجلـه فعصفهـا وخـر مغشياً عليه، وحمـل إلى المسجد منعوشاً، وأتـى له بما فرش عليه. فلمـا أفاق قلـت مستهزئاً في نفسي: كتبت هذه القصة في السيرة.

---

(١) الأمير محمد بن منصور، كان يـرى خطأ المطرفية ولكنه كان يـرى أيضاً عـدم الإكفار بالتأويل والإلزام، فـلم يقبل الإمام ذلك. وتصدى الأمير محمد للدفاع عن المطرفية. الهـادي بن إبـراهيم، تـاريخ بني الوزير، ورقة ٩٠ ـ ٩٢.

وأمسى ليلته تلك أليماً، وورمت رجله ورماً عظيماً، وما زال يصيح ليلته ونهاره مدة خمسة أيام ولياليها حتى انفجرت رجله بالقيح من مواضع كثيرة، وأقام يسيل ثلاثة أيام. ولبث على فراشه قدر أربعين يوماً فلم يعتبر بما أصابه، ولا ازداد إلا استكباراً وعتواً عن الحق ونفاراً.

ولما حضروا للكلام مع الناس بثلا وقد اجتمع خلق كثير تكلم الشريف أبو الفتح بكلام جميل، وذكر الإمام باسمه وأظهر أنهم يريدون مناظرته، ثم تلاه الشريف يحيى بن منصور وقال: إن هذا الشريف عبد الله بن حمزة وتحور عن ذكر الإمام، وذم أعوانه وقال في أثناء كلامه: ونحن نرجو أن يشبع بنا البطون الجائعة، ويكسو الجيوب العارية، وأن يجعل رايتنا فوق رايتهم، وأقدامنا فوق أقدامهم، ورءوسنا فوق رءوسهم. وصار بذلك أضحوكة، وجعلوا كلامه عليه نادرة حتى أن رجلاً قال: ليت أنه أشبع امرأته التي هجرها من زمان طويل. فأجابهم المشائخ أهل ثلا عن كلامهم وقالوا: إنا قوم نميل مع الحق حيث مال، فليس غرضنا إلا السلامة من عذاب الله تعالى، فإن كنتم تريدون مناظرة الإمام فانهضوا إليه، وإلّا لِمَ تغرون[1] [بين][2] الناس وتلبسون[3] باجتماعكم وكثرة عددكم على العوام؟ وامتنع جماعة من المشايخ من إدخالهم منازلهم وضيفتهم خيفة التنجس برطوباتهم على ما حكى ذلك الثقة الذي حضرهم.

وكانوا يعدون أنهم من أنصارهم، وأقوى أعوانهم على مرادهم، فانصرفوا منهم وقصدوا بجمعهم ذلك هجرة قاعة. فلما كان يوم السوق

---

(١) في الأصل (تغروا).

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٣) في الأصل (تلبسوا).

عند بني موسى بقرية قاعة نهضوا مخلفين مع من انضاف إليهم من قبائل العرب. وقد كان الأمير عماد الدين أمر الشريف محمد بن حاتم بن الحسين العباسي في جماعة من بني عمه الشرفاء بني المحسن في لقاء المطرفية، وإجابتهم على حديثهم. وأوضح لبني موسى أمورهم وتلبيسهم على الناس وكفرهم، وما عرض عليهم الإمام عليه السلام من المناظرة والأمان لمن قدم منهم إليه لذلك. وبين لهم اشتغاله بتجهيز العسكر إلى الجوف، وأنه لا يتمكن من الوصول إلى البلاد لما هو بصدده من ذلك.

فلما دخلوا السوق شرحوا شرحاً طويلاً، والتمسوا الجوار[1] لأهل قاعة من قبائل حمير وداعي مرهبة. فأجابهم الناس أنا لا نجيركم إلا أن تقدموا إلى الإمام وتناظروه، فمن كان على الحق تبعناه. فلما انصرم الكلام ولم يجدوا لهم مدخلاً، طلب رجل من أهل الربح[2] السجادة منهم فامتنعوا عليه، ووقعت بينهم وبينه منازعة، فماج الناس في السوق يريدون الاطلاع على ما هم عليه، فاضطربت أحوالهم، وضاق مجالهم، وخافوا على أنفسهم، فانهزموا يركب بعضهم بعضاً من غير شيء حتى أتوا هجرتهم فلبثوا فيها حتى حضر سوق مدع وأهله متعصبون معهم، قائمون في أمرهم، مقلدون لهم. ونهضوا من هجرة قاعة، وتلقاهم الأمير عماد الدين إلى هنالك في جمع كثير حضره المشايخ أهل ثلا. واجتمع الناس من كل ناحية، بدرهم بالكلام فأسكت الناطقين، وشفى قلوب المؤمنين.

---

(١) في الأصل (الجبار).

(٢) الكلمة غير منقوطة، ولا يوجد مكان يحمل هذا الاسم أو مشتقاته. وربما كان معنى (أهل الربح) أي من المخالفين للمطرفية.

ولقد حكى من حضر ذلك الجمع؛ لقد تمنى من سمعه أنه لا يسكت لعذوبة منطقه، وغزارة ألفاظه، وحسن تصرفه في فنون الكلام من الوعظ والتذكير والبيان، وتعريف الناس ما أوجب الله عليهم من طاعة الإمام عليه السلام، وما يلزمهم من مباينة من خالفه. وذكر وصول المطرفية وعرض عليهم القدوم عليه والأمان لمن أراد ذلك بما تطمئن نفسه إليه. فأجابه الشريف أبو الفتح بكلام جميل، فقال إنا لا نأمن ولا نتمكن من ذلك خوفاً على أنفسنا من القبح الذي جرى على أصحابنا، ولكنا نقترح رهائن تطيب بها قلوبنا، وتسكن إليها نفوسنا، فجعل لهم ذلك. فذكروه بنفسه، والأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، والأمير أسد الدين الحسن بن حمزة، والأمير علم الدين سليمان بن موسى بن داود؛ فأجابهم إلى ذلك، فقالوا: تكون هذه الرهائن في بيت يرام عند عمرو بن محمد الشهابي وهو يومئذ مايل ميلة الغز، محارب معهم، مجتهد في إقامة دولتهم، وحرمه وأولاده عند وردسار رهائن. فعرف الأمير عماد الدين الناس العذر في ذلك فعرفوه، وعرض أن تكون هذه الرهائن في جهة أخرى حيث لا يكون للغز يد ظاهرة، فامتنعت المطرفية، ولزمت على ما اقترحت؛ فالتفت إلى كبار الناس واستشارهم فأبوه، ونفروا من مقالتهم واستخفوا بحالتهم. وقالوا لهم إن كنتم تريدون التقوية بالرفاقة منا والرهائن من جهتنا فعلنا لكم ذلك، فلم يساعدوا إليه، فعرف الناس جميعاً دفاعهم وميلهم عن طريقة الحق.

وتقدم بعد ذلك الشريف يحيى بن منصور للكلام فشرع فيه، فسخروا به وقطعوا كلامه برفع الأصوات، واستخفوا به وبأصحابه. وتفرقوا بعد ذلك، وقطعت بهم الأسباب، وكان ذلك الموقف عليهم

وبالاً، ولم يزدهم اجتماعهم إلا خبالاً، وكانوا يرجون فيه الاستظهار وإجماع الناس معهم، فانصرفوا إلى هجرتهم راجعين ومما رجوه خائبين، وأشاعوا أن الإمام عليه السلام طلب منهم الغفلة عن[1] المناظرة والمجادلة، وتأجل منهم إلى فاء سنة كاملة، افتراء عليه وكذباً ظاهراً نسبوه إليه﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[2].

ولما انصرف كل منهم إلى جهته تواصوا بإذاعة ما نسبوه إلى الإمام من النظرة في المشارق والمغارب، وإظهار خلاف الأميرين الداعيين إلى الله في الأباعد والأقارب حتى ظن الناس الظنون، وأنهم على الكذب لا يجمعون. ولما بلغ العلم إليهما أمرا بإنشاء كتابين بعد أن وضعا عليهما خطهما؛ أحدهما إلى كافة الأشراف باليمن المتمسكين بمذهب المطرفية، والثاني إلى كافة المسلمين. ونسخة الكتاب الذي إلى الأشراف من عبدي الله داعيي أمير المؤمنين يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلَّى الله على محمد وآله وسلم. سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى. أما بعد:

فإنكم من نصاب شريف، وبيت رفيع، وقد شتتكم جور الظالمين، وعدوان الجبارين تحت كل كوكب، وحملكم على أوعر مركب. وقد نجمت في الدين نواجم، وهجمت على الإسلام هواجم من أهمها وأطمها كفر المطرفية المبرز على كفر سائر البرية. وقد صرتم بين أظهرهم حلولاً، وفي أوساطهم نزولاً، والتبس علينا الحال

---

(١) في الأصل (من).

(٢) سورة التوبة، آية ٣٠؛ سورة المنافقون، آية ٤.

فيكم وأرباب كثير من المبطلين بسببكم. ولبست هذه الفرقة الضالة على كثير من العوام لأجلكم، وأوهموهم اعتقادكم لكفرهم، وانقيادكم لأمرهم. وقد ظهر الحق وعلت كلمته، ولاح فجره، واتضح أمره بقيام قائم آل الرسول، الداعي إلى الحق، والآمر بالإيمان والصدق. وهذا أمر قد طلب منا، وكرر أسفاره علينا. وجاءت كتب المطرفية وغيرها من منتحلي الإسلام والمحققين مطردة، ورسلهم متواترة مراراً يطلبون القيام منا، ويعدون النصرة لنا، وبذل الأرواح والأموال بين أيدينا. فلما رأينا الرخصة في الوقوف، والعذر عند الله سبحانه في الإمساك، لم يستفزنا طلب الدنيا ولا حب الرئاسة والملك بعد أن بذلت لنا الملوك ممالكها، وعرضت ذخائر كنوزها، فأعرضنا عن ذلك أعراض الزاهدين في الدنيا، الرافضين لها، التاركين لزخارفها، فلو أردنا الرئاسة في هذه الدنيا لأدركنا الأمر بغير واسطة.

فلما تعين الفرض علينا بدعاء القائم بعد إبدائنا العذر، واجتهادنا في سقوط فرض هذا الأمر لا زهداً في الحق، ولا رغبة عن الدين والصدق بل لعلمنا بعظم الأمر وما يتعلق به من الامتحان والضر، فلم نجد عن الحق معدلاً، ولم نلق إلى الإخلاد إلى السكون معولاً، ولا رأينا رخصة في الوقوف إلا بالخروج عما جاء به محمد صلّى الله عليه وآله وسلم، وسائر أئمة الهدى من ذريته الطاهرة عليهم السلام. فبايعنا على بصيرة، وأنقذنا عن برهان بعد تكرير السؤال والامتحان، وقمنا وقعدنا وهببنا وركضنا[١] وانحدرنا وأصعدنا في طاعة إمامنا ورضا ربنا، متعرضين لموارد الحمام وقود اللهام إلى اللهام. فلم ندع فرصة للعدو إلا انتهزناها، ولا رتبة للظالمين إلا كبسناها، فتارة لنا، وتارة علينا.

---

(١) في الأصل (راكدين).

لا نستظهر الاستظهار بطراً، ولا تُحْدِ؟ت فينا غلبة الظالمين انكساراً، على منهاج السلف الصالح يجري آخرنا على سنن سبيل أولنا حتى نلقى الله سبحانه على عهده، وجدنا صلى الله عليه وآله متقدمين وصيته حافظين له في أمته مؤدين لأمانته.

ولما جرى من الإمام عليه السلام ما جرى من أحكام الله سبحانه على المطرفية المرتدة، وصلنا كتابه يذاكرنا في أمركم، ويأمرنا بنصيحتكم، فتعين علينا فرض ذلك. فإن كنتم منا وإلينا نسباً ومذهباً، رجعتم إلى دين آبائكم، ومذاهب سلفكم، وطهرتم أنفسكم من دنس الشرك وريب الشك. وذلك هو الظن بكم والأليق بطريقة أسلافكم الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين. وإن تماديتم على الضلال، وجبنتم من ميادين المحال، ضررتم أنفسكم وهدمتم شرفكم، وجرى حكم الله سبحانه فيكم بما جرى به الحكم على أهل الردة، ولم يبق لكم الانتساب إلى النصاب الشريف عدة، ولا ينقض عنكم من أناشيط الكفر عقدة. قال تعالى: ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾[1]. وقد ملك رسول الله صلّى الله عليه وآله عمه العباس رضي الله عنه بالأسر، وأطلقه بالفدا. فانظروا لأنفسكم ولا يغركم غار من أحزاب الشيطان المتسمين بالتشيع المنتسبين إلى العترة، فإنهم في دعواهم على غير يقين. وقد خرجوا بإنكارهم حكمة الله سبحانه في خلقه من دائرة المسلمين، وانخرطوا في سلك المرتدين المجرمين، وذلك أنهم أنكروا وجود كلام الله سبحانه لخلقه وحكمته في زيادته ونقصه، وأضافوا الحياة والموت إلى غير أمره، وإنما جعلوا ذلك بإحالات الأجسام وتأثيرات الطبائع جرياً على مذهب الطبائعية والمعطلة والثنوية.

---

(١) سورة القمر، آية ٤٣.

وهذا مخالف لديننا ودين آبائنا عليهم السلام، إذ من رأيهم تعطيل دين المبطلين، وإذهاب قول المعطلين، ومنابذة الكافرين[1]، ومباينة الفاسقين. وقد صرتم في تلك الجهة، وأموركم علينا مهمة، لا نحن نتمكن من دفع يد الحق عنكم، ولا رفع سطوتها منكم، ولا نفوسنا تسمح بترككم تجري عليكم أحكام الله سبحانه كما تجري على الكافرين؛ وأنتم من عترة النبي الأمين وذريته الأئمة الطاهرين، فيكون لكم بذلك شبهة باليهود المعطلين، والنصارى المتأولين، فإنهم ذرية النبيين وعباد الله الصالحين. فضربت عليهما الذلة والمسكنة، وطرى عليهم الرق والإهانة بعد العز والجلالة ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[2]. فانظروا في أنفسكم، واحفظوا لنا منصبكم، ولا توقى في الإهانة من قبلكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ونسخة الكتاب الذي إلى كافة المسلمين في أقطار اليمن:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم، سلام عليكم. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد.

يا معشر المسلمين في جميع أقطار اليمن فإنا أهل البيت الذين فرض الله عليكم طاعتهم وولايتهم، وأمركم بسؤالهم[3]، والرجوع إليهم فقال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[4]. فنحن أهل الذكر، ومهبط الوحي، وولاة الأمر. وقد عرفتم إقبال الناس إلينا، وطلبهم للقيام منا، وبذلهم نفوسهم وأموالهم بين أيدينا، فلما رأينا الرخصة في الوقوف أمسكنا، ولم تشرب الدنيا نفوسنا، ولا ترغب في

(١) في الأصل (الكفرين).

(٢) سورة فصلت، آية ٤٦.

(٣) في الأصل (بمسئلتهم).

(٤) سورة النحل، آية ٤٣؛ سورة الأنبياء، آية ٧.

حطامها قلوبنا. فلما دعا الإمام الأجل المنصور بالله عز وجل أمير المؤمنين، القائم بفرض رب العالمين عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، طلبنا لنفوسنا العذر وللأمة في التخلف عنه لما نعلم من مشقة الجهاد، وتعب التجرد لحرب أرباب العناد، إلى أن بلغنا الغاية القصوى في السؤال والاستقصاء فوجدنا الضالة التي أضللناها، والبغية التي طلبناها، ورأينا فرضاً لا يسع المسلمين تركه ولا يحل إهماله. فقمنا على كبر من السن، وضعف من الجسم، وقلة من الأعوان ودعونا إليه في الشرق والغرب، وجاهدنا في البعد والقرب، وعادينا الأقارب والأولياء، وواليناالأباعد والأعداء طلباً لرضا الله عز وجل ومنابذة عن دينه الذي ارتضاه لجدنا محمد صلَّى الله عليه وآله الطيبين من ذريته. ونحن كل يوم نزداد في إمامنا بصيرة، وفي الحق يقيناً، كلما سمعنا هايعة طرنا إليها كما علم الخاص والعام. صمدنا [في][1] نجران وبلاد يام فخربنا المعاقل، وهدمنا المنازل، وشردنا الطغاة من معاقل الطغام[2] ومقاول العظم. ثم قصدنا الجوف بالجنود المنصورة المشهورة فهدمنا دروبه ودوره، ثم كان من الغز ما علمتم في صعدة فجاءنا أمر الإمام عليه السلام بالقيام عليهم، فلم ندع في ذلك جهداً، ولم نأل إمامنا نصحاً، فنزلنا إلى الحقل - على عسكر مجر من الخيل - بجند متدان[3] ضعيف، طالبين لإحدى الحسنيين. فكان ما علمتم، وعلى بصيرة من أمرنا ووثيقة في ديننا.

ثم قد كان من هذه الفرقة المرتدة الطبيعية ما علمتم من الإقبال إلى إمامنا بالبيعة بعد ابتسام فجره وظهور أمره، وعقد الفضلاء من علماء آل

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.
(٢) في الأصل (البغام).
(٣) في الأصل (متدانب).

محمد سلام الله عليهم وأتباعهم من فقهاء أشياعهم له بالإمامة وتسليم البيعة. فقبلهم، وقربهم، وأدناهم، وقبض بيعتهم، وتولاهم. وظن الكافة منه عليه السلام ومنا، أنهم قد وافقوا أو تابعوا عترة نبيهم عليه وعليهم السلام في الاعتقاد، وطابقوا، فلما[1] طال عليهم الأمد ظهر نفاقهم، وبان شقاقهم، واتضح فساد اعتقادهم بما نجم من عنادهم فرفضوا الإمام السابق بنكث بيعته، وكذبوا النبي الصادق صلّى الله عليه وعلى الطيبين من عترته في إخباره لنا بأن هذا القرآن الموجود بين أظهرنا حجة لنا وعلينا، كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله دون أن يكون كلاماً له ولا لغيره من المتكلمين، وردوا صريح آيات القرآن المبين، وجحدوا حكمة رب العالمين في زيادة خلقه ونقصانه، ومحو ما شاء من تدبير أمره وإثباته. وجعلوا نزول الأمطار، ونمو الثمار، وتقسيم الأرزاق، وعوارض الأسقام، وبوادر الحمام مضافاً إلى إحالات العالم، وتأثيرات الطبائع، ونفوا ذلك عن الحكيم الصانع. فشابهوا الطبيعية، والمعطلة، والثنوية، والدهرية، والمجسمة في نفي هذه الحوادث عن الله تعالى. وأشبهوا اليهود والنصارى في إنكار أن يكون هذا القرآن كلام الله سبحانه، فبانت ردتهم وظهرت زبدتهم.

وبلغنا ما أجرى إمامنا عليه السلام عليهم من الأحكام بالقتل لمن وجد منهم من غير ذمة ولا جوار في دار الإسلام، وفي جواز قتلهم، وقتل مقاتليهم إن كانت لهم شوكة. وهذا رأينا ومذهبنا، وهو الصحيح من مذهب آبائنا عليهم السلام، فإن علمنا أو غلب في ظننا توبة أحد منهم، فتوبته مقبولة، ومن تاب عند مفاجأة القدرة - فقد كنا علمنا منهم وقت المخالطة أن الكذب لدفع الضرر وقوة المذهب واجب - فلا تقبل

---

(١) في الأصل (فما).

توبة تائب منهم، والحال هذه، فاعلموا ذلك معشر المسلمين، واعلموا أنا لولا خفنا من الله سبحانه في ترك نصيحتكم، والبيان لكم لما كتبنا إليكم هذا الكتاب لما قد تحققنا من جفوة هذه الأمة لهذه العترة. فقد علمتم قرب من قرب منا إلى حصن ثلا فما شافهه أكثر من كان يظهر الرغبة ولا سأله من وجب عليه أن يرد الأمر عليه. ولكن ذلك لا يمنعنا من تجديد مخاطبتكم، وتكرير مطالبتكم في نجاة نفوسكم من عذاب الله، وتمسككم بعترة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وانقيادكم لأمر الله سبحانه. وقد أفتيناكم بما أفتى به إمامنا عليه السلام من تحريم أمانهم والذمة لهم، وتسليم شيء من الواجبات إليهم، وأبحنا قتلهم، وسلبهم، وذمهم وذلك حكم الله سبحانه فيهم وفيمن كان منهم. فإن أرادوا المناظرة أو المراجعة ليتضح للناس عذرهم في خذلان الإمام عليه السلام أو الرجوع إلى الحق بالبرهان، وكانت عليهم المخافة، كنا نأمر بعض أولادنا تصل إلى طرف بلادنا ونؤمن من وصل منهم لذلك لقطع عللهم. فإن فعلوا ذلك فذلك هو المراد، وإن كرهوا فالحكم فيهم ما ذكرنا. فمن تمكنا منه فيهم أمضيناه، وما تمكن منه مولانا عليه السلام أمضاه فليست حميتنا تكون بأكد من حميتنا على ولد الإمام أحمد بن سليمان[1] عليه السلام، فلما قتله الحق قلنا أبعده الله، ولو قدرنا عليه لقتلناه. فتفهموا ذلك معشر المسلمين، والسلام

(١) هو الأمير يحيى بن الامام أحمد بن سليمان، كان من المخالفين على الإمام عبدالله بن حمزة، وقتله أعوان الإمام في سنة ٥٩٥ هـ.

يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

والإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان.... بن الناصر بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين. دعا إلى نفسه في سنة ٥٣٢ هـ. ومات بحيدان سنة ٥٦٦ هـ. انظر: عبدالله بن حمزة، الشافي، جـ ١ ١ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٥؛ الخزرجي، طراز أعلام الزمن، ورقة ٣٨؛ مؤرخ مجهول، الحدائق في أخبار ذوي السوابق، ورقة ٥٣، ٥٤.

عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأمر الإمام عليه السلام بالكتابين إلى ثلا، ثم نقلا وقرئا في البلاد الحميرية، ثم نقلا إلى بلاد المطرفية فازداد الناس يقيناً لما اطلعوا عليها وتيقنوا كذب هذه الفرقة الغوية. وبلغت [١] نسخة الكتابين إلى البلاد الحبيشية [٢]. وقد كان الإمام عليه السلام أوصى الصادر بهما بحفظهما وقراءتهما على الناس ليزول الشك عن أهل الريب والالتباس، وخشية أن يقعا في أيدي المطرفية فيكتمونها، ففعل ذلك. ولم يجيبوا عنهما بجواب لا خطأ ولا صواب، ومالوا إلى الهجاء والسباب من البعد، وهو الذي استطاعوه، ولو تمكنوا من غيره لفعلوه. وكان فيهم رجل يسمى علي بن سليمان الحيدرة ـ شاعر ـ وكان ممن سبق إلى الإمام عليه السلام، وشايع ودخل في الطاعة وبايع، ولبث معه بكوكبان حتى فتح صنعاء فنكث البيعة بعد ذلك، وتقحم بنقض العهد في المهالك، وأفصح في هجو الإمام عليه السلام في شعر جعله جواباً عن الشعر الذي أوله: ضجت مطرف من سيفٍ [٣] أُعِدَّ لها ـ فكان شعره زاده إلى النار. ولم يلبث بعده إلا مدة أيام يسيرة ومات نصفه، وصار عبرة لمن اعتبر، ثم مات بعد مدة لا رحمه الله.

ورأى رجل من أهل ذمار يقال له علي بن فريح بن علي مناماً قال في كتابه: رأيت كأن قائلاً يقول أنت قد علمت خبر الحيدرة، قلت لا وما خبره؟ قال إن الإمام أخذ رأسه، وكان حالفاً ليأخذن رأسه فأخذه. فبينا أنا أتعجب من ذلك وإذا بقطعة من لحم وسخة دنسة يميل لونها إلى السواد

---

(٢) في الأصل (وبلغه).

(٣) الحبيشية في الجنوب الغربي من رداع.

الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٢٨ ؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ١٦٦.

فقلت ما هذه؟ قال هذه قلب الحيدرة. فأخذتها بيدي ورميت بها في جدار فوقعت على الأرض، وبقيت ملقاة عليها. فقال صاحب هذا المنام هذه الأبيات وقد سمع قوماً يذهبون مذهب المطرفية وهم في مسجد منيف بن علي بذمار يسبون الإمام عليه السلام.

أقول لنفسي وقد أصبحت قاعداً ... إلى جنب من يزري على آل أحمد
ويخدش [(١)] أعراضاً لهم طاب ذكرها ... ويؤذيهم من كل ناد ومشهد
أيا نفس ما هذا صواب فجاهدي ... بإحدى الروايات الثلاث وجددي
على البعد من قوم بغاة تجمعوا ... على سب أولاد النبي محمد
ولا تصحبيهم إنهم شر عصبة ... وأعداء أهل البيت من شر محتد
ويا راكباً عيرانة شد نية [(٢)] ... مضبرة الضبعين [(٣)] موارة اليد
تحمل هداك الله مني تحية ... تروح على الليل البهيم وتغتدي
كنشر الصبا هبت على أرض بكرة ... فأهدت نسيم العنبر المتوقد
إلى العالم الفذ الإمام بن حمزة ... كريم المساعي طاهر الجيب واليد
إمام له كسب المكارم عادة ... مورثة من سيد بعد سيد
يجود على خصب الزمان وجدبه ... ويعلم أن المرء غير مخلد
وبلغه أني في ذمار مجاهد ... لكل جهول بالضلالة مرتدي
لأقوام سوء كالحمير أراذل ... وما منهم إلا عدو ومعتدي

وهذا الشعر للشريف الفاضل العالم نور الدين الحسن بن يحيى بن

---

(١) في الأصل (ويحدث).
(٢) شَذَنٌ: فحل باليمن، وإلا بل الشدنية منسوبة إليه. ويقال أنها تنسب إلى موضع باليمن يسمى شدن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: شدن.
(٣) الضَّبْعُ، بسكون الباء: وسط العضد، وقيل العضد كلها.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضبع.

عبد الله بن سليمان بن الهادي إلى الحق عليه السلام جواباً عن شعر علي بن سليمان الحيدرة قال فيه :

أطع دعائك هذا أنفع الحذر ... أما النباح فلا ينجيك من قدر
ولا انتصارك بالكذب الصراح لما ... يـدين إلا قبيح شـر منتصـر
تحرف الحق عمداً من مواضعه ... للصد عن عترة [1] من أفضل العتر
أملت أفعالهم عن قصد وجهتها ... لينفث الجاهل الخباط بالشرر
أجلت بجندك لا سلطان منك سوى ... على من استحوذ الشيطان بالغرر
والناس بين شقي فهو بقتله [2] ... قاصد الحق لم يهلك ولم يحد
لكن جهلت بأن الزور عائدة ... عليك ترجع في عقباك بالضرر
ظننت كتمان كفر باطل وزراً ... ومالك اليوم من ملجأ ولا وزر
ورأيت بعضاً فجاء البعض مشتهداً ... وكله غير خاف من ذوي النظر
أي الأئمة تعنى بالحويسر هاتا ... وجدها الكفر فاترك غيرها وذر
لكنما قد جرت أحكام أولنا ... شرعاً لأولكم بالكفر وهو حري
ثـلاثـة وإمـام العصـر رابعهم ... تطابق الكل في الأحكام والسير
وهم قرينوا كتاب الله حكمهم ... كحكمه في جميع الورد والصدر
سفن النجاة ولكن للخطاب من الـ ... حكيم عز لأهل السمع والبصر
حبل متين إلى الرحمن معتصم ... قطعت عنه قوى ثابت المرر
تؤذي إمام الهدى كيما تبرد يا ... مرتد من حر غيظ منك مستعر
فمت بغيظك يا ملعون متصلا ... حر السيوف بحر النار في سقر
سيف الإله الذي أبدى فضائلنا ... من فيك باللطف تبياناً لمعتبر
نشرت يا حاسداً فضلاً ولم يـك لو ... لا ما أردت به نقضاً لمنتشر

---

(١) في الأصل (غيره).

(٢) في الأصل (بقبله).

الحلم ممن بقي والزهد في عرض | ومن سوى الله عن قصد بذاك يرى
والبيع ممن مضى نفسيهما ببقا | ء الربح إن بيع للفاني عمي وشري
القتل والمثل في الرحمن عادتنا | وأي كسر لديه غير منجبر
أظهرت ما كنت تكنيه وتستره | عن الرعاع فأضحى غير مستتر
يا با غضا عترة المختار إنك قد | شركت في دمنا بالناب والظفر
ظفرت أنت وهم بالسوء إن لكم | خصماً أبونا فما أدناه من ظفر
وذاك يوم يكون النطق منتفياً | والنون عنك ولا إذن لمعتبر
جادوا بأعمارهم لله إذ خرص الـ | ـمغتر في لهوه شحا على العمر
قاموا بنصرة دين الله ما نكلوا [1] | عن الأعادي ولا ولوا على الدبر
ولا الذين بقوا جبناً ولا جزعوا | بل ينظرون ليوم خير منتظر
ولن يجور امرؤ منا على أجل | محدد في كتاب الله مستطر
لما رأوا أن دين الله منطمر | فدوه بالمال والأرواح والصور
وإن تعديتم عن حده سئموا | حياتهم بينكم يا أظلم البشر
ولا تحسبنهم موتى وإن قتلوا | بل يرزقون [2] وأحياء [3] على سرر
يسقي الإله بترب باشروه ذوي | البلوى فيا حبذا المدفون في العفر
كم بين هذا وحكم في مقابركم | وبعده البطشة الكبرى لمقتدر
إذا غضبتم لدنياكم فهم غضبوا | لله نهج أبيهم غضبة النمر
منهاج آبائهم يمضونه قدماً | ما قال هاديهم التالي على الأثر
هل أنجم الأرض لما تذهبوا أبداً | ما دام نجم سما غير منتثر
لكل قوم هداة ليس ينفر عن | هداته الدهر إلا أخبث النفر

(١) نكل عن بمعنى جبن، وبمعنى انصرف.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نكل.
(٢) في الأصل (يررون).
(٣) في الأصل (وأحيان).

ما ينقمون عليهم مثلما نقم ... الأشباه منكم على آبائنا الزهر
حتى أذيقوا على التقى القنا صبراً ... بما جنيتم فيالله من صبر
وما تضعضع مولانا لمعضلة ... وما استكان وما يلقى بمنكسر
كان المصاب على دين الإله فلم ... يقل لأحوال هذي الحادثات فرى
ما هاله ما يقول الجاهلون ولا ... ما يفعلون وإن كانت من الكبر
فكيف يردعه من أمر خالقه ... نبح الكلاب هريراً من ورا جدر
ألهاه عن غضب في حقه غضب ... لله هذا بيان الحق فاعتبر
لكن خذلت فما بأساً عليك إذا ... وقد أتيت شنيعاً أنكر النكر
أشبهت في تلك إخوان القرود وأشـ ... ـباه الخنازير والأمثال بالحمر
في محكم النص والتنزيل لا كذب ... مني ولا شبهة واقرى تجد خبري
غرست للمصطفى في سب عترته ... غرساً فدل عليه طلعة الثمر
أذاك أجر رسول الله منك ومن ... أشباهك الطلس يا شيطان فافتخر
فما يحاربنا إلا اليهود ومن ... في حكمهم لظهور النص والخبر
والله لا سعدت نفس تصر على ... هذا وأسيافنا من أول القدر
جند الإله بنو بنت النبي على ... [جياد] [1] كحريق النار للشعر
شيخاهم عترة الهادي وصفوته ... الصافين عن عيبكم صفواً بلا كدر
ومن كمثلهما أو مثل نجلهما ... وليس أبين من شمس ومن قمر
الحافظوا علم آباء لنا سلفوا ... وليس ينكره خلق ذووا نظر
يهدوننا بهداهم عن أب فأب ... إلى أبينا فصاراه فلم نحر
إن المخالف منا الطيبين هو ... الخبيث حين تدلي هوة الخبر
إن شد منا إليك اليوم شاردة ... فلا يرى لهامل حكم في الزبر
لن يغفر الله شركاً لا وليس لنا ... عن هلكها عنده عذر لمعتذر

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

حتى تفيء إلينا إن قدوتنا … الآباء للمحكم المتلو في السور
لا لمحبة والله العظيم ولا … كنا أخذنا إليه ثاقب الفكر
وكل آل رسول الله أجمع في … إمامهم غير محبور ومقتهر
فعند هذا اقتدينا بالإمام ولم … نلوي الرؤوس إلى كبر ولا صغر
نعم المطهر من رجس الآثام أتى … الذكر الحكيم به ذكرى لمدكر
فحجة الخارق الإجماع داحضة … لمنصف عقله مطموسة الأثر
طاب الضراب على الحق المبين بلا … شك ولا شبهة فيه ولا خطر

وللشريف يحيى بن مكنى القاسمي جواباً عنه أيضاً.

كن من شبا ذلك الصمصامة الذكر[1] … إن كنت بعد تعرفه على حذر
وسوف تعرفه إن كنت تجهله … بما ستعرف من عين ومن أثر
لو كنت شاهد حسان وصاحبه … ومن تلاه عرفت الصدق في الخبر
أو لو رأيت عياناً ما رآه أبو … وهان منه عياناً بعد لم يقر
لكن بعدت عن القوم الذين سقوا … منه بكأس كريه شربها مقر[2]
وأهل قاعة لما استسلموا سلموا … من حد أبيض مطبوع على ظفر
ولست أبعد شأواً في الإباء ولا … أشد عقد قوي منهم ولا مرر
ما سيف شاور مما قد أصاب بني … الزهراء ظلماً يبدع لا ولا نكر
فلا بمستنكر في جنب خالقنا … نرجوا النجاة به والفوز من سقر
مضى الأفاضل من آل النبي على … هذا ونحن على حذو من الأثر
فما ضعفناولا منا استكان لما … أصاب في الله ذو وهن ولا خور

---

(١) الذكر من الحديد: أشده وأجوده، وبذلك سمي السيف مذكراً، ويقال: ذهبت ذكرة السيف، أي حدته. وسيف ذو ذكرة أي صارم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ذكر.

(٢) المَقِرُ: المر، ويقال للصبر: المقر. وقيل: المَقِرُ السُّمُّ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مقر.

بكربلاء وبباخمرا وغيرهما كم من دم للنبي المصطفى هدر

وبالكناسة أو بالجوزجان وفي فخ وطيبة كم ثأر لمثأر

لنا بهم ولمن أودي لذي لصف حق التآسي وما عزم بمنكسر

يا قاتل الله من أمسى يعيرنا بما هو الشرف الأسنى لدى البشر

فأشرف الموت موت المرء بين شبا السمر العواسل والهندية البتر

لنا الحفاظ ونحن الصابرون لدى الهيجاء وحيث طعم الموت كالصبر

بعنا من الله بالفردوس أنفسنا وبعت نفسك يا مغرور بالخسر

أنت الحويسر بل أنت الخويسر فاستـ ـقن وأبشر بخسر غير منجبر

ما أنت حيدرة بل أنت حيذرة سمتك أمك تصحيفاً على غرر

أحق منك بهذا الاسم لو شعرت سليل طاهرة من نسوة طهر

سمت فكان كما سمته ما كذبت كذب أخرى لكاع[1] كافت[2] فجر

ونحن أبناء من يسمى بحيدرة وأنت حشو كحشو الحش من قذر

لكن عطفنا ولو شئنا لساعدنا باع[3] وانا عفونا غير مقتدر

وقولكم قد أخذنا العجف من بقر من واجب الكذب أو محظورة الخطر

وقولكم أم حسام فل في لصف أليس بالحقل أعتقناه بالخفر

وليس في القتل من عار ولا ضعة والعار في سمعكم للدف والكبر

وثأرنا أن نروي من جماجمكم بيضاً وسمراً فأنتم أهزل الجزر

وقولكم قد أجرنا الخيل مع إبل حق ولا دفعنا الودع في البدر

كهدم ثافت لما ضل ساكنه وهدم مقعد لا خوف من الضرر

---

(١) الكاع: الضعيف العاجز، وهو الناكص على عقبيه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كعع.

(٢) الكافت: المتقلب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كفت.

(٣) الباع: السعة في المكارم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: بوع.

وقولكم بسيوف الهند نوعدكم ... رفقاً فسوف تدب الهام بالبتر

وما لكم من شبا السيف المعد غدا ... إن شاء منشينا الخلاق من وزر

أو قولكم قتل مسكينين أكسبنا ... فخراً وقتلهما من أعظم الظفر

والحق يقتلكم طراً كقتلهما ... مسكينكم وقوى الجسم ذي النظر

وبالدماء التي قلتم غدت هدراً ... رءوسكم نحن سيل وهي كالبعر

وقولكم أنكم في الناس تاج علا ... إذا صدقتم شرينا التاج بالبقر

وتاجكم مثل بيت العنكبوت على ... بيوت ما لم يكن يصطاد بالغرر

ولن يساوي خلق بيننا أبداً ... قليم فقلنا ما الشهد كالصبر

ولا الدراريع أكفأ الدروع وإن ... رمت بخيط على الحقوين من شعر

وقولكم والتقى والعدل سيرتكم ... أضغاث أحلامكم في رقدة السحر

وإنها في طلوع غير صادقة ... لا سيما حينما يلقون بالأزر

يقول يا سيدي أو بسط أوقية ... مأوى الكتان تلاقوا أسد ذي عفر

وبالجباة التي اسودت لقد طمحت ... نفوسكم ينطحون النطح عن صغر

وقولكم بيتنا خير البيوت ولم ... تأووا إليه مقال غير مغتفر

وقولكم فيه خشق[1] ذاك تعصبه ... منا موالفكم حسن لمفتقر

وبابن نوح الذي قلتم لكم عبراً ... إذا عقلتم وأين العقل في السكر

أليس ترون عن آبائنا خبراً ... أجلى من الشمس والإسناد في الخبر

سفينة الحق آل المصطفى فيها ... ينجو الولي ويهوى الضد في سقر

وقد عددتم لنا من ليس يعرفكم ... من القبائل كالباني على نهر

وما نزار وقحطان بن هود ولا ... سواهما قومكم يا معدن النكر

سادات حمير والأنصار مذحج يا ... عمي القلوب لنا كالعين للبصر

وكندة وذرى سنحان ليس لكم ... في أيهم نسب فالكل صار يرى

---

(١) الخوشق من كل شيء: الرديء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خشق.

علقتم اليوم أيديكم بروحتكم　　مثل القرود التي تشتد بالشجر
وما قبائل تطريف إذا اجتمعت　　إلا قبائل فئران على غُدُرِ
حيناً نطالع من أدحالها[1] فإذا　　هب النسيم انثنت تجري على حذر
وما الأمور التي قلتم تكفكفكم　　عنا وأنتم نعاج جلن في الإصر
من قائم من بني الهادي يساعدكم　　قلتم ويحيى أباكم وهو في نفر
فقدتم الماء يجري في مساجدكم　　لتظهروها فهذا فعل موتمر
وقد قرأنا كتاب اللّه من صغر　　حتى انتهينا إلى التأويل في الكبر
فلم نجد فيه إلا قتل بالغكم　　وقتل ما دونه في الآي والسور
وكم إمام تولى من بني حسن　　يجود في حربكم في النفس والعشر
أي الدنانير أنهى إنها سحت　　وسوف تعطونها في آخر العمر
هذا إذا ما طمعتم بالسلامة مع　　تسليم حربتكم إذ جاء في الزبر
وسوف نسبي ذراريكم ونملكها　　ونشتري الخيل بالأنثى وبالذكر
أخزاكم اللّه في دنيا[2] وآخرة　　هلا اعتبرتم بمن دسنا من البشر
في قادم الدهر والباقي سنطحنكم　　فيه ولكن كدق الملح بالحجر
فقولنا فعلنا لسنا نزيد ولا　　نختار مصرعكم إلا على الحضر
وقد سمعنا أشعاراً لكم ظهرت　　أهديتموها كمهدي الطل للمطر
أبا الحصين قفاهم حين قيل له　　من أحسن الخلق قال ابني بلا خبر
أو كابن جارية سوداء أعجبه　　ورم بمقلتها لم تدر بالحور
مطرفية أنتم مثل واردة　　جاءت إلى البحر لم تعرف إلى صدر
أما الخيول التي قلتم بأن[3] لكم　　منها سوابق من شث ومن أثر

(١) الدحل: نقب ضيق فمه ثم يتسع أسفله حتى يمشي فيه، والجمع أدحال.
والدحل: هوة تكون في الأرض وفي أسافل الأودية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دحل.

(٢) في الأصل (ديني).

(٣) في الأصل (فإن).

ومن أراك ومن برح ومن ظبة وعوسج وهي من طلح ومن سمر
فالشقر من صبة صفراء فاقعة ومن أراك وطلح تلك للفطر
والدهم عوسجها المعقود ناصيه والشث والسمر المحمود للعذر
ومرجها خضرها تهدي لراشدكم أو للفضيلى أو للحيدر الذفر
فهم مشاهير حرب العصف إن حملت وإن كبت قصدوها قصد مفتقر
ومن جهاليكم أن قال أكذبكم أنا بخور ونستعدي على الهجر
وأين هجرتكم بل أين سيرتكم فنحن أعرف بالآثار والسير
وكل فعل فعلناه بمعرفة جهلتموها وداء العين في العور
والشعر يحسن ما لم يسترك وما في شعركم لفظة من طيب الثمر
أما الخنا فمع الأشرار أكثره وليس في ذاك من فخر لمفتخر
قد كان ساسان أعطاكم وصيته وهي العصا وجراب الزاد للسفر
وكان أبصر منكم بالأمور فلم تعصون والدكم يا أخبث البشر
ليس البعوض إذا طنت تروع ولا تزعزع الأرض والأطواد بالإبر
ولا الطهاة إذا جاشت مراجلها مثل البحار التي تطمي على الدسر
ولا النسور التي في الجو سامية تدري بما يصنع الديان في القدر

وللشيخ حسن بن عزوي في ذم المطرفية وتعريف مذهبهم الذي جحدوه:

أعد نراكم ناظر غير مبصر واقصر من الشكوى فلست بمقصر
ألم تر قوماً خالفوا الدين والهدى بإنكار معروف وتعريف منكر
ملجون في تعظيم دين مطرف لجاج كثير في الهوى وبن معمر
وقالوا هم زيدية يحيوية وكم كاذب منهم عليه ومفتر
أمنتحلين الدين عمن سمعتم من السادة الأخيار من آل حيدر
فقلتم بأن الله لم ينزل الضنى ولم يتوف الطفل ما لم يعمر

ومن مات من دون الهنيدة منكم — فذلك من ضعف الغذاء المعذر
وما الزيد في الأجسام والنقص خلقه — وهل غيره من خالق أو مصور
وقلتم فأما القول في زيد إصبع — فمن بضعة مالت إلى عرض خنصر
وتعتبرون النقص من فعل أمة — به حملت ثقلاً ولم تتوقر
وكم غادة مقصورة في خيامها — على الفرش في روض من العيش أخضر
أتى في ابنها نقص وأخرى شقية — من الكد في شعب وعيش مكدر
فجاءت به أدماً سوياً منعماً — على قبحها أبهى وأحسن منظرا
ولم ينشىء اللّه السحاب زعمتم — ولكن بخارات من الأرض تنشر
ولم ينزل الغيث الرهام وإنما — تولد من نزل السحاب الكنهور[1]
أطعتم شيوخاً منكم وعصيتم — أولى الأمر من آل النبي المطهر
فإن قام من بيت النبوة قائم — لبستم له ثوب الرياء والتكبر
فما بالكم عارضتم الدر بالحصى — ضلالاً وزيتون الشام بعرعر
وما كل بان ينبت البان ويحكم — ولا كل مشموم بمسك وعنبر
سمعنا عجوز بالشعاب فجئتم — بأشنع من قول العجوز وأنكر
وأضيع خلق اللّه جاهاً ومنزلاً — لديكم شريف ساكن بين أظهر
يقولون قدم يا شريف شيوخنا — ومنهم تعلم راغباً وتبصر
فإن جاءكم أمراً تخافون خطبه — تقولون قم يا بن النبي فأنذر
وإن مر ذاك الأمر قلتم توقفا — عليك حرام أن نسير بعسكر
ظلمتم فكم أخرتم من مقدم — لديكم وكم قدمتم من مؤخر
فأما أمير المؤمنين ابن حمزة — فقد حاز في نصر الهدى كل مفخر
وقام بأعباء الإمامة وحده — ولم يتحمل منة من مقصر

---

(١) الكنهور من السحاب: المتراكب الثخين؛ الكنهور: العظيم من السحاب.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: كنهر.

وطهرها ما بين شحرا[١] فمأرب فنجران فالأجيال من بعد حضبر[٢]
فلا شارب خمراً ولا مظهر خنا ولا تسمع الآذان صكة مزهر
وقلتم بما جاء الإمام وما الذي أتيتم به إلا بجور ومنكر
فأما الذي من غَدٍ لكم في دياركم فإني ولا عدوان عنكم بمخبر
فمنكم أناس يعتدون لهذه الزكاة كما تعدوا التجار لمتجر
ومنهم له شيخ بإشراك وعظه يرتع فينض الجهل في كل محضر
ومنهم له الفراش في كل مجلس ومنهم له مال كر ودفتر
وراحوا بكم من صرة في جيوبكم ويا رب ثوب في المخالي محرر
فإن زارهم من كان زار[٣] ومن غدا عليه لهم كم من صنيع مكرر
أتوا ذلك المسكين في ظل بيته يقولون قم هات القرى وتصبر
وهات لنا في الحال كبشاً مصللاً[٤] وبراً نقياً من تراب وحندر
وأولاده تمسي خماصاً وربما قريتم ولم يحضر ولم يتسور[٥]
فهل يستوي هذا الغني وعزمه وعزم عديم للدراهم معسر
وإن جاءكم عاص غني يزوركم فكم فارح منكم به ومبشر
وادخلتم المقصور من غير ريبة وإن كان مذ شهرين لم يتطهر
وقلتم عظوه فهو يملك هكذا من المال من زرع وتبر وجوهر
وقريتم خير التقي وصبغه[٦] من السمين واللحم العريض المزعفر

(١) في الأصل (سحراً).

(٢) حضبر بالفتح والسكون؛ موضع شمال صعدة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣، ح, نفس الصفحة.

(٣) في الأصل (زاروا).

(٤) صلى اللحم: شواه. والصلاء: الشواء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلا.

(٥) السور: الطعام، لغة فارسية.
ابن منظور، لسان العرب، مادة سور.

(٦) صبغ اللقمة: دهنها وغمسها، وكل ما غمس فقد صبغ. =

وكم من سم خانه الضعف والطوى فلم يستطع يعلن بصوت[1] ويجهر
قسمتم فضالات الموائد بينكم ولم تذكروه في مغيب ومحضر
وإن جاءكم من سائر الناس مؤمن تقي نقي معسر غير موسر[2]
فعدتم بما تلقونه من بشاشة وقلتم تخفف خارجاً وتكرر
وأمسى مساء الأرذلين وعيشه على مثل ما يعتاده عيش مقتر
متى سرتم بالعدل حتى نقمتم بعدل أمير المؤمنين المظفر
ودان له بالطوع أشراف ينبع ومن حل بالصفرا وسكان خيبر
فلا تعجبوا للقتل منكم والسبي فما ذاك من فعل الإمام بمنكر
أليس علي والخوارج عندما جرى الشك منهم وامترى كل ممتري
وكانوا ذوي تقوى وزهد وفكرة وكم قانت منهم وكم من مكبر
فأفناهم بالنهروان وقبله دعاهم إلى الإيمان مدة أشهر
وإن عدتم عاد الإمام بحلمه وإلا تجادلتم لأمر مقرر
فلا بد من يوم عليكم عصبصب لبادين من أهل البلاد وحضر

وللشيخ محمد بن حاشد في مثل ذلك:

جنيتم حرب دائرة زبون لكم فاستيقنوا بعذاب هون
وخنتم بعد ذاك نبي صدق أتانا بالكتاب المستبين
وضللتم بنيه معاً جهاراً وما دنتم له أبداً بدين
وأظهرتهم شعار الخير فيكم لأوباش الورى فعل المهين
ولبستم على الأنام طراً بنسككم على مر السنين
تسميتم رياء أحزاب زيد وليس الغث يخلط بالسمين

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: صبغ.

(١) في الأصل (مصوت).

(٢) في الأصل (معسر).

وبايعتم إمام العصر طوعاً بلا ثقة هناك ولا يقين
وأكننتم له البغضا يقيناً فحينئذ بدت من بعد حين
وعدتم ناكثين بلا دليل لبيعته بماذا أخبروني
وقد شهدت له بالفضل حقاً بنو حسن ذوو الفضل المبين
وشيخاً آل أحمد لم[1] يهنا فعال [ ][2] المستكين
وأحكام الشرائع أمضياها ودانا بالإمامة خير دين
وأهل العلم قد دانوا جميعاً بطاعته مع الورع الرصين
وأنتم في المساجد تعمروها بزعمكم بإكثار الأنين
تصفُّون الدفاتر تقرؤوها بلا عمل سوى نظر العيون
ولستم تهتدون بها لرشد لكم ودوين ذا قطع الوتين
وأرباب الخنا ألفيتموهم كمثل الخدن يلطف للخدين
دعوتم عند كل صلاة وقت لهم بالنصر والعز المكين
وهذي بدعة أحدثتموها تولى كل خوان لعين
أجل وفعالكم هذا جميعاً لرفضكم بني الطهر الأمين
وقد قال الإمام كقول موسى أعوذ بربكم أن ترجموني
وإن لم تسمعوا البرهان مني على دعوى الإمامة فاعزلوني
فقلتم بعد ذا عجباً وجهلاً سنرميه بداهية زبون
ونطحن أرضه طحناً عنيفاً ونقهر بالرجال وبالمعين
فلم ذا إن صدقتم في وعيد فررتم بالبنات وبالبنين
فيال مطرف مهلاً أفيقوا فسكر العجب ضرب من جنون
وإلا فاثبتوا لجلاد يوم فلستم عند أنفسكم بدون
وقولي ليس ينكره لبيب إذاً منكم إذا أنصفتموني

---

(١) في الأصل (ولم).

(٢) هكذا بياض في الأصل.

وللشريف الأَجَلّ سليمان بن حمزة السراجي الحسني أمر بها من مخلاف مقري قال:

جسم نحيل وهوى قاتل — حتى متى جسمي بكم ناحل
كم زفرة عالجها مذنب — ييبس منها غصنه الزابل
يشغله عاذله فيكم — وفي الهوى عن عذله شاغل
ولو رأى العاذل ريم الحمى — لطار شوقاً بالحمى العاذل
وأمطرت عيناه من دمعة — غيثاً ملثاً مزنه هامل
وفاض بحر الماء من جفنه — موج له وجنتيه ساحل
روت دموعي دار رعبوبة[1] — يخجل منها القمر الكامل
فحال حال الربع عن حاله — إحالة يعرفها العاقل
أنبت فيها اللّه سبحانه — رياض نبت نورها شامل
ولم يحلها الطبع إذ دين من — دان به عن ديننا مائل
ضل به قوم وأغواهم — شيخ حمار سِفلة جاهل
دان لفقه معجب [ ][2] — من كل دين للهدى خاذل
ناداهم داعي الهدى للهدى — محيي المعالي الملك العادل
مولى الورى الطهر الإمام الذي — دون نداه العارض الوابل
فبايعوه بعدما ناظروا — وشهد العالم والجاهل
وحضروا في ظل راياته — ومنهم الحاكم والعامل
واستهلكوا الأموال بل أتلفوا — الأرواح والكل لهم حامل
وشهدوا أن الذي كان من — أفعالهم في نصره باطل
وهذه ردتهم ردة — لا شك قد عاينها الآمل

(١) الرعبونو: البيضاء الناعمة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رعب.
(٢) مساحة بيضاء في الأصل.

فحارت القوم ولا يأمن الأنجاس فالكيد لهم حامل
على هلاك الدين فالقوم قد أغواهم المذهب والعاجل

وللقاضي سليمان بن عواض بن علي الحويت:

أبلغ إلى بني محمد العباسي الهاشمي الرأس وابن الراسي
وامخ أبا الفتح الشريف تحية تحكي بلونها فروع الآس
نشراً يفوح ورونقاً وغضارة[١] ما لا يكون لسائر الأجناس
أنشد بناديه وقل بحضوره بوضوح تبيين وحسن قياس
واعذله في أمر الإمام وقل له يتبدل الإيحاش بالإيناس
ألحجة خالفته أم للهوى والميل صرت لعهده متناسي
حاشاك أن تختار أشرار الورى أو [أن][٢] تبيع الناس بالنسناس
أو أن تحبّس بيعةً معقودة يعنو لها الجبل العظيم الراسي
بايعت عبد الله مختاراً له من بعد عقد السادة الأكياس
أولاد يحيى بن الحسين بصعدة وذوي الفضائل من سراة الناس
فوفوا بعهد ابن النبيِّ وجاهدوا حتى ألانوا كلَّ صعبٍ قاسي
وحمت بنو حسن مقام أبيهم وإمامهم عن سطوة الأنجاس
ولقد أنابت للجهاد وهاجرت في الله إخوتهم بنو العباس
لله أولاد القتيل بكربلا من كل أشوس صادق في الباس
ما منهم إلا السموح بنفسه يفدي الإمام بروحه ويواسي
فاحفظ وداد بني أبيك على الهدى فاللَّهُ طهّرهم عن الأدناس
هذا وإن تعدل بهم من دونهم تعدل حمير الدو بالأفراس

---

(١) الغضارة: النعمة والسعة في العيش.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: غضر.
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة.

البحر رهواً[1] لا يحار سبيله | أبداً بغير سفينةٍ ومراسي
وسفينة الإسلام آل محمد | من حاد عنها نال يوم عماسي[2]
هم معدن التقوى وأرباب الهدى | وهم الشهود على جميع الناس
فمتى رضيت بسبهم وهجائهم | مستحسناً لمقالة الأرجاس
فاعلم بأنك لا محالة هالك | عطب ومنقطع الرجا باالياس
لما هجرت منازلاً معمورة | مأهولة وسكنت في الأرماس
ومتى وفيت بعهد آل محمد | وقمعت رأس الناكث الخناس
ونهضت في نصر بن حمزة عاقداً | عزماً كعزم الضيغم الفراس
قولاً وفعلاً منك لا قولاً بلا | فعل كمن يبني بغير أساس
وحفظت شيعته وأهل وداده | وهجرت من عاداه هجر مواسي
فلقد نجوت بذاك من شرك الردى | وشربت من شرب الحميم العاسي

قصة خروج الإمام عليه السلام إلى البلاد الحميرية وما فتح الله تعالى على يديه من النصر على الغز والاستظهار على الفرقة المرتدّة الغويّة المنتسبة إلى المطرّفية:

لما عاد وردسار من مخرجه الذي توجه فيه جهة مأرب وبيحان إلى صنعاء، قدم إليه الشيخ الأجل عمران بن زيد بن عمرو البعيري[3] ثم الجنبي وهو يومئذٍ شيخ القبيلة ومقدمها. وكان قد صالح وردسار وخالطه وأنس إليه. فجاء كتابه من ذمرمر يحكي فيه قدومه إلى وردسار ليهنئه

---

(١) البحر رهواً، أي ساكناً.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رها.
(٢) يوم عماس: شديد مظلم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عمس.
(٣) هكذا في الأصل، وربما كان الصواب (البحيري).

بالقدوم من سفره. وكان قد أصابهم شـدة ونصب حتى كادوا يتلفون في مقطعه من الظمأ بين مأرب وبيحـان، فأخـرج إليه كتاباً وهـو جواب عن كتـاب أتى منه إلى الإمام عليه السلام يلتمس فيه تسيير المنتقى من الخيـل والجمال التي وقـع الصلح عليها. وكان في كتابه تهـدد وقساوة، فأغلظ له الإمام عليه السلام، وأخـر الخيل والجمال، ثم أراه كتاباً أتى به إليه من أهـل الجـوف ذكر أنه بخـط الإمام عليه السلام يحـذرهم فيه من الغز، ويحـكى فيه نبذهم للعهـود، وأن الأيمـان خـفيفة عندهم لا يحـفظونها، قال: وقد جعلنا هذا الكتاب حجة عليه، وقد كان لا شك يريد نقض الصلح فجـرى بينه وبين الشيخ عمران بن زيد كلام في ذلك وسأله المهلة حـتى يطالع الإمام عليه السلام، وربـط معه كلامـاً بزيادة فـرس على تمام الصلح والهدنة. وكـان شديد المحـبة راغباً في تغطية بلاد الإمام ودفع الشر عنهـا.

وأتى كتابه بـذلك، وسأل أن يلقـاه الأمير صفي الـدين محـمد بن إبراهيم إلى موضع يسمى التو من مشارق ذمرمر. وفي خـلال ذلك ورد بريد من وردسار إلى ظفار حـماه الله تعـالى بكتاب فيه بـذاء وجـفاء، وأمر بـرد الفرس التي أخذهـا بنو عامر، وهم قوم من بني صاع خُـراب، قُطّاع للسبل[1]. فكره الإمام عليه السلام إجابته، فأمر الأمير صفي الدين أن يجعل الجـواب منه، ويمزجه باللين والشدة التي لا عنف فيها. فسأله أن يكون من لفظه، إذ لا يقوم بـذلك غيره، فأملى الكتـاب بعد السلام كلاماً نسخـته:

وقف مملوكه على كتابه إلى مولانا عليه السلام، وما ذكره من الأحـوال معه غير مستقيمة، ومشى الأمير على طريقة وخيمة، ولم يعلم من

---

(١) في الأصل (السبل).

الإمام عليه السلام أمراً يوجب أن يكتب إليه فيه بمثل ذلك. بل قد جرت النصيحة على أحسن معانيها، وارتفعت إلى أعلى صياصيها، وتمحصت نهاية التمحص والإخلاص، وانقادت لحكم القصاص فلم يحل عقدة بعد إحكامها ولا حاول نقض تمامها، ولا تعرض للأمير في مكروه، ولا شاقة في وجه من الوجوه. بل سلك معه سبيل الإنصاف، ولم يقصد طرق الشقاق والخلاف، والتزاماً بحكم الأيمان، ومحاذرة من نقض الأيمان، والكل على ذلك لا يحول ولا يزول، ولا يميل بنجم المصافاة إلى الأفول. ولا يحسن من الأمير تواتر كتبه بمثل هذه الحال، ولا ينطق بما يرد في كتبه من الرفث والجدال. ويرعى حرمة أهل هذا البيت الشريف وإن لم يخف منه سطوة، ولم يخش من حسام عزم بنوه. فجميع ملوك الدنيا وإن عظمت ممالكهم، واتسعت مسالكهم ترعى حرمة هذا النصاب، وتعلم أن من انتقصه في عقله مصاب، إذ الراعي لحرمته راعي لحرمة محمد صلَّى الله عليه وآله. وإن عظم سلطانك وعلى شأنك فإنما تعظم نفسك وتشرف منصبك وجنسك، وتزداد بذلك قرباً إلى ربك، وغلباً في حربك. وقد صارت الكتب تأتي بخلاف المعتاد منك، فإما أن تكون أمرت فلا يحسن من مثلك الأمر بمثل ذلك، وإما أن يكون بغير أمرك فذلك لا يظن بمن اتصل بحبل من حبالك.

واعلم أن خلفاء بني العباس رضي الله عنه كانوا يكاتبون بعض من كان منا في سجونهم بما هو أكثر مناصفة من كتبك إلى مولانا عليه السلام. وأما ما ذكرت من عيال عامر وما فعلوه في مملوك أستاذ دارك، وأخذهم فرسه فما له في ذلك سر ولا جهر، ولا نهيٌ ولا أمر، والله بذلك من الشاهدين. وكيف يستجيز ذلك أو يستحسنه من له أدنى

مسكة من الدين، والله عَزّ من قائل يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[1]. وهؤلاء القوم الجناة ممن شعّث على الإمام في بلاده، فما منعه من السطوة عليهم والإيقاع بهم إلا لكونهم في جنبتك. ومن يوم أحدثوا الحادث ما وطئوا له بلاداً، ولا رضيهم - ولا هم بأهل أن يرضوا ولا يدنوا - لغدرهم ومكرهم. وقد أخذوا إليك بالجنات أغنامهم، وربط منهم من ربط فلم يخاطبك فيهم بكلمة واحدة لأنهم ليسوا من الإمام بسبيل. ولا تنقد في رد الجواب من الإمام، فأنت تعلم أنه لا يتكبر عن جواب خادم لك، ولكن الكتب قد صارت تأتي على وجه لا يحسن أن يجيب عنه لما ضمنت من الأذية والاستخفاف. والسلام.

وفي عرض ذلك أتى رجل ضعيف يستعدي على رجل من قوم يقال لهم الحنشات[2] حي من ذيبان أنه أخذ له دابّة، وشكاه إلى قاضي الإمام وهو يومئذٍ بظفار، فأمره إليه بحصاة ليحضر معه، ويبلغه ما يجب له بحكم الله تعالى، فوصل إليه بالحصاة، فرماها وامتنع من الحضور. فأنهى القاضي علمه إلى الإمام عليه السلام، فأمر خيلاً ورجالاً لإحضاره إذ هو في مَنَعَةٍ من قومه؛ فإن حضر وإلاّ أخذوا ما وجدوا له من مال، فامتنع عليهم، ونفر عنهم. فأحاطوا على ما كان له وأخذوا قدر مائتي رأس من الغنم وساقوها إلى ظفار.

---

(١) سورة المائدة، آية ١.

(٢) جاء في النصّ أنّ الحنشات حي من ذيبان أي من أرحب؛ بينما يذكر الحجري أن الحنشات من قبائل نهم. ثم تأتي كتب التعداد لتؤكد ذلك.
فالحنشات عزلة من ناحية نهم قضاء صنعاء.
انظر، الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٤ ص ٧٤٦؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

وكان مـراد الإمام عليه السلام ردّها على أهلهـا إذ أتوا بـذلك الرجـل، فأمر بإبرازها ناحـية من الحصن. وتبـع أصحـابها أثرها وقد كان فيهـا ثلاثة حـراس، فوثبوا عليهم فقتلوا رجـلاً منهم، وجرحوا آخـر، واستاقوا الغنم. وصرخ الصارخ إلى الحـصن، فأمر الإمام عليه السلام بالغارة من حـضر من الديوان، وحـضهم على لحـاق القوم. فما زالوا في أثرهم في الليل حـتى استرجعـوا الغنم، ولم يفت منهـا إلا اليسير أو ما واراه الليل.

وأظهـر المفسدون الخـلاف، فبعث الإمام عليه السلام للعسكر والخيل من كل ناحية، وعزم على حربهم وقصد الحنشات إلى بلادهم لقتلهـم ودمارهم. ولـم يشغله ما هو بـصدد من مقاساة الغز، وما يخـشاه من عـظم فسادهم عن المطالبة في إنصاف المظلوم، والشدة على من امتنع عن إجـابة شرع محمد صلى الله عليه وآله. فاجـتمع على المبادرة سبعمائة راجـل [ ][1] فارساً وانحـدروا إلى شوابة، ثم شرع العسكر للقتال، وطلعوا جـبال الحنشات. فلما أيقنوا بالحـرب، وأنهم هـالكون وقع الخـطاب على أيـدي جماعة منهـم، وطلبوا العافية، وسلموا ثمـاني رهـائن من أولادهم على الدخـول في الطاعـة، والخـروج عن غضب الإمام عليه السلام إلى رضاه، وعلى رد ما كانوا قد أخـذوه آنفاً للرجـل الصنعاني، وقد تقدم ذكره. وتغطت أمورهم

ونهـض الإمام عليه السلام بعد ذلك إلى حـوث لتجهـيز الأمير صفي الـدين بالخـيل والجـمال التي لوردسار وهي ثلاثة أفـراس، وثمانيـة جـمال في لقاء الشيخ عمـران بن زيد إلى جهـة المشرق، فجـمع الخـيل والجـمال.

(١) هكذا بياض في الأصل.

وأتى كتاب مع بريد قاصد من وردسار لثلاث وعشرين ليلة خلت من المحرم أول سنة ثلاث وستمائة، أفحش فيه لعنه الله، وبالغ في السب والأذى، واجتهد كتابه في المبالغة في ذلك وهو من الديار المصرية، ولا شك أنه باطني المذهب. تهدد فيه وتوعد، وأبرق وأرعد، ولم يدع ممكناً من الأذية، وختمه بالنقض فقال: وقد أصدرنا هذا الكتاب إليك، وأوفدنا هذا الخطاب عليك، ونحن منك طيبون، والزحف قتالك مقتربون. والله لننزلن على بلادك ونحتاط بها، ونقرب منها، ونضرب خيمنا بحيث ينالك سلاحنا بأطرافه، ويزاحمك منجنيقنا بأكتافه. ونرسل إليك رسل المنايا من النشاب، ونسلط عليك من يأتي البيوت في الحرب ولكن من غير الأبواب. ويشارفك عسكرنا في عدد وعدة، ومواد مدد ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾[1]. فكن من أمرنا على مرصاد، فإذا وقفت على كتابنا فاتل أول النحل وآخر صاد.

ولم أذكر من كتابه إلا نبذة يسيرة لأنه محشو بالسب والأذية الكثيرة.

فلما استوعبه الإمام عليه السلام قراءة - وكان بالجامع الشريف بحوث - نهض بعد صلاة العشاء الآخرة إلى منزله، وشرع في جوابه في الحال من غير انتحال[2]. فلما أصبح أمرني بنقله في صحيفة كبيرة، وأمر بها صحبة الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم. وأعطاه الخيل والجمال، وأمره بتسليمها إلى وردسار للوفاء بما انعقد عليه

---

(١) سورة الأنفال، آية ٣٧.

(٢) الانتحال بمعنى السباب.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: نحل.

الصلح من عهـدة ما يـلزم. وأوصـاه ألا يساعد الشيخ ابن زيد في زيادة الفرس الذي عقد به لوردسار، فلما اتفق به وجـرى بينهـما الكلام ورأى ما عنده من النصيحة، والرغبة في التغطية، وسد باب الشر لم ير بُداً من مساعدته. وسلم إليه فرساًكان لأخيه حسام الدين القاسم بن إبراهيم. فأجـاز له الإمام عليه السلام ما فعل، وتسكن الناس مدة على ذلك الصلح.

ونسخة الكتاب الذي أنشأه الإمام عليه السلام جواباً عن كتاب وردسار:

بسم الله الرحـمن الرحيم، وصلى اللهعلى محـمد وآله: ﴿ونريد أن نمن على الذين آستُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[١] أما بعد؛

فإنا وقفنا على كتابك وتأملناه فوجدناه على نوعين أحـدهما سب محض وأذية لا تـليق بأخيار البرية، ولا يجـمل بمثلنا أن يجـيب عنه إلا بما قيل في المثل السائر: كـل إناء يرشح بما فيه[٢]. فلو كان في وسعك أطيب مما وصل لما ذخـرته، فقدر الشهادة قدر الشهود. هـذا النوع الأول، وأما النوع الثـاني فالذي تعلق بالوعيد والتهديد فذلك مما يفعله الملوك، ولكن بالممكن دون المستحـيل والوجه الجميل.

ويحـك هـل بيدك أزمة المقادير فتمضيها كما تـريد، أم هـل لك

---

(١) سورة القصص، آية ٥، ٦.

(٢) يضرب هذا المثل في رجوع الفرع إلى أصله وعنصره.
الميداني، مجـمع الأمثال، جـ٣ ص٥٨؛ محـمد عبد الغني، من أمثال العرب، ص ١٧١.

سخـرت صروف الأيـام فتنقص وتزيد، أفلست في دار الغرور ودار الزوال التي كم واثق بها قد خـدعته، ومطمئن إليها قد صرعته، وذي تـاج فيها قد أكبته [لليدين][1] والفم. سلطانها دول، وصفوها كدر. تريك المغبوط مرحـوماً، والمرحـوم مغبوطاً. لا يـدوم نعيمها، ولا تندمل كلومها. فانظر فيها اليوم لنفسك نظراً يخـلصك عند الله غداً.

وأما ما ذكرت من أنا لا نـراعي العهود والأيمان، فهـذا كما قيل في المثل السائر: رمتني بـدائها وآنسلّت[2]. والله يعلم المفسد من المصلح. أفلست صاحب الذمة التي أكدتها بيمينك، وآثرت فيها دنياك على دينك، فأججت نيران الحـروب، وعصيت علام الغيوب. وآدّعيت الإحاطة بأقطار الدنيا علماً وقدرة، وأنك منجب الظفر والنصرة. فكان عاقبة الأمر ما علمت: ﴿وإنْ عُدْتُم عُدْنا وجعلْنا جهنّم للكافرين حصيراً﴾[3].

ثم كان في هذه السنة الماضية جرى ما جرى من الهدنة، ولم نكره حقن دماء هذه الأمة، والتأَنّي حتّى يأْتي اللّه بالفتح أو أمر من عنده. ففي خلال ذلك كتبك إلى أرباب الفساد ومكايدك مشهورة عند الحاضر والباد، فِعْلَ مَنْ لا يحمي للدين ذماراً، ولا يرجو لله وقاراً، فأضربنا عن مطالعتك في ذلك لعلمنا بدخيلة سرك، وحقيقة أمرك حتى يكون ما كان من عندك. فنستعين بالله على حربك، ونستكفيه ما يخشى من خوف شرك. ونعود إلى ما كنا نحن وأنت فيه من الحرب التي لا تنكرها ولا ننكرها. وهي لك

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.
انظر: مؤلف مجهـول، أخـبار الهجرة المنصورية، ورقة ٦.

(٢) يضرب هذاالمثل لمن يعير صاحـبه بعيب هو فيه.
ابن عـاصم، الفاخـر، ص ٦١ ـ ٦٢؛ البكـري، فصل المقـال، ص ٩٢؛ محمد عبد الغني، من أمثال العرب ١٠٣؛ الميداني، مجـمع الأمثال، جـ ٢ ص ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، آية ٨.

وعليك، ولم ندع فيها من كيدنا ممكناً، ولا ندخر طاقة. هذا وفي أثناء كتابك ذكر مراحمك وعواطفك، وأي أمر قدرت عليه فثنتك الرحمة أو عطفتك المروءة، أو ردتك من إتيانه الحمية. أفلست قدرت على الدور التي أظلّتك سقوفها، ونالك معروفها فهدمتها من أساسها، كفراً وعقوقاً؛ فهدم الله دارك وأزعج قرارك، آية لم تعقلها وعقلها سواك، وموعظة صم عنها صداك [١]. وقدرت على إبراهيم رحمه الله تعالى فمثلت به بعد قتله، ولم تحله محل مثله، فعدمك الله أخاك، وأراك فيه ما أراك. وما بقي يعظك إلا ما يقع في خاصة نفسك فما ذلك على الله بعزيز. فإن أحلت فعلك على جهلك فذلك ليس بعذر لمثلك، قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ [٢]. فلم يكن جهلهم عند الله سبحانه عذراً، ولا صار لهم من العذاب ستراً. فتيقظ لما يخرج من لسانك فقديماً بقينا على عداوتك، بل عداوة من هو أقوى منك عزيمة، وأشد شكيمة، وأعرق رئاسة، وأحسن سياسة. وأما نشابك وسهامك، وودقك وغمامك فإذا وقعت الحرب فلا مخبأ بعد بوس ولا عطر بعد عروس [٣]. وأما ما ذكرت من الخلافة وأسبابها، وعينت من أربابها، فذلك أمر ليس لك في ميدانه مجال، ولا في حره مصال. ولا تدري ما تقول، إنما نخاطب أهل

---

(١) الصَّدَى: موضع السمع من الرأس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: صدى.

(٢) سورة يونس، آية ٣٩.

(٣) يُروي هذا المثل على وجهين، الأول: لا عطر بعد عروس. والثاني: لا مخبأ لعطر بعد عروس.
ويضرب المثل في الزهد بعد فقد عزيز. وفيمن لا يدخر عنه نفيس. ابن عاصم، الفاخر، ص ٢١١ ـ ٢١٢؛ البكري، فصل المقال، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧؛ الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ١٥١؛ محمد عبد الغني، من أمثال العرب، ص ١٩٩.

المعارف والعقول شعراً [١]:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول [٢] عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلْتَني وعلمتُ أنك مائق [٣] فعذرْتُكا

وأي برهان على وجهك أعظم من قولك: إن دعواها لم يدعها أحد من الأئمة. أفلم تعلم أن أهل هذا النصاب الشريف من آبائنا عليهم السلام شجا كل ظالم، وشجا [٤] كل غاشم في الدولتين المتجانستين في الضلال، المتواترتين بالزور والمحال: الأموية والعباسية المحيطون بأمثالك من جهال البرية.

ويحك وهل أحد من فقهاء الأمة يجيز إمامة من لا تصح عدالته، ولا يظهر علمه، ولا تكمل خصال الإمامة فيه. أفليس مالك وأبو حنيفة والشافعي رحمهم الله أقوى من قوَّى من كان في عصرهم من آبائنا عليهم السلام وبايعوهم، فاعلم إن كنت تعلم، وهؤلاء فقهاء العامة. أفليس عقودهم - أعني بني العباس - انبرمت للأطفال على أئمّة الضلال. أفليس الخلائف المضلة الذين جعلتهم لك أئمة، وقطعت بولايتهم على الأمة يشربون الخمور، ويرتكبون الفجور، وعندهم صنوف ألحان الغناء، وصنوف أجناس اللهو. فإن أنكرت ذلك أنكرت الضرورة التي كالشمس مشهورة، وجحدت ما تعترف به الأمة.

وأكبر دليل على بطلان ما هم عليه - مع ما تحاسنه [٥] - أنك ممن

---

(١) الشعر للخليل بن أحمد.

انظر، ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، جـ ١ ص ٤٠.

(٢) في الأصل (تعلم ما أقول) والتصويب من جمهرة أشعار العرب، جـ ١ ص ٤٠.

(٣) في الأصل (جاهل) والتصويب من جمهرة أشعار العرب، جـ ١ ص ٤٠.

(٤) في الأصل (وشجاك).

(٥) الكلمة غير منقوطة، ويمكن قراءتها على وجوه كثيرة مثل تحاسنه، تحاشيه، تحاسبه وغير

يدعو إليهم، ويعتقد ولايتهم، وأنت مأمورهم، وهم أئمتك. وأنت على مثل ما هم عليه لا تفيق من الخمر، ولا تقلع عن الشر، ولا تدع من المنكر إلا ما لم تدعك إليه نفسك جرياً على منهاج أئمتك. فواعجبا، وما عشت عاينت العجب من خلافة أنت وأشباهك في المعاصي ولاة شرعها، وحماة سرحها مع ما أنتم عليه من معاصي الله سبحانه، وتعدّى حدوده، ونبذ فروضه، ورفض أحكامه. فارتع على ضلعك، وقس شبرك بفترك، وانظر في حقيقة أمرك.

وأما إنكارك النسبة إلى الكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فذلك أمر غير مستنكر إلّا لمن ألحد في النبوة، وجهل أسباب الأبوه، فاسأل[1] من يعرف نقل الصحاح ومسالكها الفساح. وأما ما ذكرت من فطم فاطمة لنا، فلعمري إنها فطمتنا من المعاصي والمنكرات، وشرب المسكرات. فبالله ما عرفنا الخمر إلا مشاهدة لما أهرقناه عند إظهار الله لنا عليكم، ولا المنكرات إلا علماً بخبر من أشبهكم. ولم لا أكون كذلك وفوق ذلك، ونشري بين التنزيل والتأويل، ودروجي بين التحريم والتحليل. وأبي رسول الملك، وجدي خدمه جبريل، فإن سببت فلك أشباه في السب، وإن كذبت فلك أضراب في الكذب. ولنا أسوة بآبائنا الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا:

وَيُشْتَمُوا فترى الألـوان مسفرةً لا صفحَ ذُلٍّ ولكن صفح أحلام[2]

= ذلك من الكلمات التي لا تعطي معنى مناسباً للنص.

(١) في الأصل (فاسئل).

(٢) ينسب البيت لإبراهيم بن العباس الصولي.

ابن يحيى الوطواط، غرر الخصائص، ص ٣٦٨.

انظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ ٢ ص ٢٧٩؛ الماوردي، نصيحة الملوك، ص ٧٨.

وما كان يعجزنا الكلام، وقد وعدنا بترك الجواب عن السب، وذكرنا بعض ما ارتكبت من الذنب، فإن كان سبّاً فعلى من الجرم؟ أعلى من فعله؟ أم على من نقله؟. ويحك أما تستحي مِنْ سَبِّ مَنْ أُمِرْتَ بالصلاة عليه في الصلاة، وتعبدت بطاعته في الأمر، وفرضت عليك ولايته، ولزمتك رعايته. أفليس بيعة الإسلام منعقدة على كل مسلم أن يحمي رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته من بعده مما تحمى منه نفوس المسلمين وذراريهم، فكانت نصرة أكثرهم خذلاناً، وحماية بعضهم سطوة. فما ضروا غير أنفسهم، وأغنى الله سبحانه منهم من نقله الله تعالى إلى جواره، ورضي له سكنى داره، وزالت الدنيا عمن أخلد إليها فزالت عنه لذّتها، وبقيت تبعتها، ولا يبعدن الله إلا من ظلم.

وأما ما ذكرت من النزال والنضال، وقود الرعال إلى الرعال فلسنا ممن يروع بالحرب، ولا ممن يفزع بالطعن والضرب. ولو تكافأت الأجناد بالعدة والعُدة لكنت أحب الفريقين للمباعدة، وأدناهما إلى السآمة [عن] (١) المصادمة والمجالدة، وإن لم يعترف بذلك لسانك عرفه قلبك. ولعل لطف الله تعالى يجمع بيننا وبينك في أبغض الأيام إليك، وأوثرها لك، يوم يسلمك الله سبحانه إلى عملك، ويكلك إلى نفسك فتندم ولات حين مندم، وتقدم شر مقدم، وترد مورد من خان، ويهبطك العشاء على سرحان (٢) فتلتبس عليك الموارد بالمصادر، وتحيطك صروف المقادر، فيضيق مجالك، ويسلمك رجالك، ولا يغني عنك مالك، ولا يحمد مالك، فيتمثل لك الموت بشراً سوياً وتقول ﴿ يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا وكنتُ

(١) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم المعنى.

(٢) يقول المثل: سقط العشاء به على سرحان. وأصله أن رجلاً خرج يلتمس العشاء، فوقع على ذئب فأكله. يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٢ ص ٩٧.

نسياً منسياً ﴾ [١]. فتجر ذيول الهزايم، وتنتقض منك العزائم بقوم يَجُرُّون الوشيج [٢] ويلوثون [٣] العمائم، وينتمون إلى عبد مناف وهاشم. لم تُلَوِّث أعراضهم المآثم، ولا تدنس ثيابهم الكبائر والعظائم. وقد قبلنا منك الرد وتبرأنا منك التزاماً بأمر رب العالمين ونبذنا إليك على سواء ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾ [٤].

فاجهد جهدك، واجمع حشدك، واجلب بخيلك، وحرض على عداوة عترة محمد صلى الله عليه وآله من كان من شكلك، وحذا نعله على نعلك. فبعين الله ما قلت وفعلت، وسوف يرد عليك ما رجوت وآملت. فكم قبلك من جبار قصمه الله، وكامل في الظلم قد وصمه، ومتمرد قد حطمه، فلا تغتر بالمهل، ولا تستبعد حلول الأجل، فقد فرحت بما أوتيت، وبطرت لما أوليت، وقد قال الله تعالى في أشباهك من أهل الاغترار ﴿وحتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقُطع دابر القوم الذين ظلمواوالحمد لله رب العالمين﴾ و [٥]. ﴿ فلا عُدْوان إلاّ على الظالمين ﴾ [٦].

وأما ما ذكرت من تلاوة أول النحل وآخر صاد، فلو سلكت معناها

---

(١) سورة مريم، آية ٢٣.

(٢) الوشيج: الرماح.

ابن منظور، لسان العرب، وشج.

(٣) لاث العمامة على رأسه أي عصبها.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: لوث.

(٤) سورة الأنفال، آية ٥٨.

ونص الآية ﴿وإمّا تخافَنَّ من قومٍ خيانةً فانبذ إليهم على سواء. إنّ الله لا يُحِبُّ الخائنين﴾.

(٥) سورة الأنعام، آية ٤٤ ، ٤٥.

(٦) سورة البقرة، آية ١٩٣.

لعلمت أنك أولى بمعناها، والله لك بالمرصاد، وسيذيقك غب الفساد، وعاقبة العناد، كما فعل في الأمم الماضية، والقرون الخالية الذين أخذهم أخذة رابية، فهل ترى لهم من باقية، فنزلت بهم القارعة، وصرعتهم الصارعة، فصاروا حصايد ذنوبهم، وعقائر [1] حوبهم [2]. فأصبحوا لا تُرى إلّا مساكنهم، لا يُنادى وليدهم [3]، ولا يؤمن شريدهم.

وأما كتابنا الذي عثرت عليه فهل فيه إلا صفة بعض أفعالك، تعريفاً لا سبّاً، لأنك تعلم عظم إقدامك على العهود، ونكثك للعقود مرة بعد أخرى شفعاً ووتراً. أول ذلك صلح الضلع وما كان فيه من الشروط التي نقضتها، والربوط التي رفضتها، وأغفلنا ذلك كأنه ما كان، ولم نذكره في كتاب قبل هذا الأوان. ثم بعد ذلك الذمة التي حلفت عليها الأيمان، وهي سنتان، فنقضتها قبل مضي ربع المدة، ولم تنحل منها بدون الفعل عقدة. وهذه الهدنة جعلتها عشر سنين، وحلفت عليها بأبلغ يمين، فحالفت أهل الجوف وقبضت رهائنهم قبل المبارأة، وإن كان لا براءة [1] عن ذمة مؤقتة في شرع رب العالمين إلا أن يدفع المحق سطوة المبطلين. فأمسكنا عن البلاد بعد ظهور ما ظهر خوفاً من رب العالمين مع علمنا بأنك لا تلتزم بحكم الوفاء، ولا تتمسك بالصفاء. ولو كنا ممن يقدم على ما أنت تقدم عليه لما رجعت من سفرك من مأرب إلا وقد قضينا المأرب، وعفينا ما

---

(١) العَقَر: أن تُسْلِمَ الرجل قوائمه إلى الخوف فلا يقدر أن يمشي من الفرق والدهش، فلا يستطيع أن يقاتل.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقر.

(٢) الجوب: الإثم العظيم. والحوب: الظلم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حوب.

(٣) يقول المثل: هم في أمر لا ينادى وليده. معناه أمر عظيم لا ينادى فيه الصغار، وإنما يدعى فيه الكهول والكبار.
الميداني، مجمع الأمثال، جـ ٣ ص ٤٧٤.

تجدد من أثرك، ولتركنا المنازل **طلولاً**، وجماعات من خلفك **فلولاً**، وخضنا البلاد عرضاً وطولاً .

ولسنا نأسف على نقض العهد وارتكاب حوبه فكل حافر يشرب من قليبه، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، والسلام على من اتبع الهدى.

وكانت مدة ما استقام وردسار على الصلح أربعة أشهر ويومين، ولم يحرك فيها حركة إلى جهة الإمام عليه السلام، وليس قصده بذلك وفاء بعهد ولا حفظاً ليمين ولا عقد، حتى قدم إليه السلطان أسعد بن محمد بن الحسين من جبل مسور[1] يريد قوده إلى مصانع حمير[2]. وقد جرت بينهم حروب وقتول وتكافؤ فيها، ووقف كل منهم على حده. فأراد الاستظهار بالغز على حمير فغنم وردسار الفرصة، يريد بذلك التدخل في بلاد الإمام عليه السلام من الجهة الحميرية، وقطع مواد المنافع إلى حصن بكر. فأجاب صاحب مسور إلى ما سأل بعد أن اشترط عليه تسليم مال. وعزم على الخروج، وصاحت صوائحه بالمخرج إلى مصانع حمير.

وجاء كتابه إلى الإمام عليه السلام يطلب الخيل والجمال للسنة المستقبلة ويستنجز ذلك في الحال بغلظة وقساوة. فأجابه إنا وافون لك بما عقدناه، وقد علمت حال البلاد الحميرية، وأنها من جملة بلادنا الداخلة في الصلح والحدود محيطة بها وهي داخلة فيها. فجاء جوابه يذكر أنها لم تذكر بأسمائها، ولا عينت جهاتها. وأقسم[3] في كتابه الأيمان المؤكدة

---

(١) سلسلة جبال مسور يحدها شرقاً جبال المصانع وغرباً بني قيس. وبجبال مسور الكثير من الأودية أهمها وادي لاعة.

الويسي، اليمن الكبرى، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) مصانع حمير: جبال مرتفعة من أعمال ثلا، وتسمى بلاد المصانع. الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ١ ص ١٦٦؛ المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٦٣٠.

(٣) في الأصل (فأقسم).

المشددة ما أريد إلا التمام للصلح، والوفاء بالهدنة إلى انقضائها، يريد التغفيل عن ذكر المصانع. فأجابه إنا على الوفاء بتسليم الخيل والجمال ما لم تقع منك الندابة (١). وأما ذكر البلاد بأسمائها فلم نعين في كتاب الصلح أسماء القرى والمنازل في جهتنا ولا جهتك، ولا صلح بيننا وبينك إلا على التأخر من المخرج إلى مصانع حمير. فإن أردت الخيل والجمال فخلص الرهينة، وكان قد اشترط في الصلح حلول حرمة من حريم الأشراف في بيت مساك، فحل الشريف قاسم بن إبراهيم بحرمة له هنالك، فلما جاءه الكتاب عاد جوابه بالنقض. قال في كتابه: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (٢). ونحن نُعلم الشريف أدام الله شرفه أن كتبه قد وردت إلينا بنون العظمة، ومخاطبة الكاف، ولنا عنده الجمال فيوصلها إلينا ويأخذ رهائنه. ونحن منك بعد هذا الكتاب طيبون ولقتالك زاحفون. وكن على ثقة من عزمنا ويقين من حربنا. ونحن نعلم حق الخلافة العباسية، فنريد أن نقيم منارها، ونؤجج نارها. وهذا الكتاب بالطيب منك والله المستعان. وكتب في حاشية الكتاب: وملعون من بغض العشرة البررة.

فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم. ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ (٣). أما بعد:

---

(١) ربما كان المعنى المقصود بالندابة: الدعوة إلى الحرب.
انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة ندب.

(٢) سورة الرعد، آية ١١.

(٣) سورة الإسراء، آية ١٦.

فقد جاء كتابك تنطق فيه بلسان الاغترار، وتملي عن قلب العُتُوّ والاستكبار. وذكرت أن كتابنا ورد إليك بنون العظمة، والعظمة لله سبحانه وله العزة ولرسوله وللمؤمنين. ونحن أولاد محمد الأمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الذين أوجب الله تعالى على الأمة تعظيمهم، ورد الأمور إليهم. وأنكرت الخطاب بالكاف وذلك مخاطبة الأشراف، وليس على المخاطب به منقود، ولا على المخاطب به غضاضة.

وأما قولك أنك تنصر الدولة العباسية فهي قمينة أن تكون ناصرها أنت وأشباهك ممن جحد حق ذرية الرسول الأمين، ووطد قواعد ملك الظالمين. ولعمري إن إمامة بني العباس أهون عليك مركباً، وأسهل لك مطلباً لأنها إمامة ميدانها رحيب، ولكل عاص فيها نصيب، وولاتها، وحماتها، وكفاتها شربة الخمور، وركبة الشرور، وولاة الظلم والفجور. مؤسسة على الغدر والعدوان والمنكر والطغيان. وأما تأجيجك لنارها، فإن على الله إخمادها كما قال تعالى: ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ (١).

وأما ما ذكرت من الخيل والجمال فما كان عندنا لك فما له ضبط ولا منا فيه لي(٢) إلا أن يكون بأمر يلزمك تأديته، ويعرف بأنك غدرت فيه فيكون منا الوفاء، ويتولى كل منا ومنك ما تولى. وقد قبلنا ردك وصمدنا صمدك مستعينين بالله تعالى على حربك، طالبين رضاه في جهادك وجهاد حربك ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة، آية ٦٤.

(٢) اللَّيُّ: المَطْل، واللَّيُّ: الجحود.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: لوى.

(٣) سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

وأما ما ذكرت من الصحابة رضي الله عنهم فنحن أعرف الناس بحقهم، وأولادهم بحفظهم لأنهم صحابة جدنا صلًى الله عليه وآله، فليس لك بيننا وبينهم مدخل. فاعرف موضع قدمك قبل المسير، وآعرف قول الناصح المشير والسلام.

وكان الإمام عليه السلام قد تجهز للنهوض إلى صعدة ثاني اليوم الذي وصل فيه كتاب النقض من وردسار، وهو يوم الجمعة الحادي والعشرون[1] من جمادى الأولى من سنة ثلاث وستمائة. ووافق ذلك وصول الأمير علم الدين سليمان بن موسى من الجوف في الجند الذين تحت يده مجتمعين بعد سكون أهل الجوف في تلك المدة، وإظهارهم الطاعة، ومعه نباتة بن الصعيب اليامي يريد منه القود إلى نجران. فاجتمع رأيهم على قصد الجهة الحميرية لجهاد عدو الله ودفع شره عنها. وبث الإمام عليه السلام الكتب إلى الجهات وإلى القبائل يأمرهم بالنفير والمبادرة إلى الجهاد في سبيل الله. ونهض في اليوم المذكور من حوث فأمسى بعيشان[2] من قرى ظاهر همدان، وهو موضع مولده. فلما أصبح نهض في العسكر حتى أتى إلى موضع يسمى الهجر، وجاشت إليه قبائل مرهبة من كل ناحية مجيبين دعوته، متوخين إرادته وقد نفرّهم الغز من بلادهم، ونفروهم من مراعيهم في البون وأوطانهم، وغزوهم وانتهبوا أموالهم، وأخذوا زروعهم. فاجتمع هنالك مع الإمام عليه السلام عسكر موفور، كثير العدد، قوي العدد، لم يجتمع معه مثله، خيله ورجله في قوة الآلة وكثرة السلاح. وكانت الخيل تزيد

---

(١) في الأصل (وعشرين).

(٢) عيشان: جبل وبلدة بالشمال الشرقي من شهارة، وعلى بعد ٣١ كم من مدينة حوث غرباً.

المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص ٤٨٣.

على مائـة وستين قليلاً أو ينقص قـليلاً أكثرها معدة، والرجـل بشر كثير لا ينحـصر بالعـد.

ونهـض العسكر إلى بركة الأشمور[1] من بـلد الطرف وأوطان بني شاور فضربت بهـا الخيـام، واستقرت المحـطة المنصورة عليها عشرة أيـام. وكـان مـراد الإمام عليه السلام المحـطة بثلا، وأن يـكون حـرب العـدو من هـنالك حـتى بلغه العلم بـقدوم الشيخ سليمان بن مفرح الضربوه عند إقـباله لدفع شر الغز من بـلادهم، فصـالح وردسار، ورهـن ولـده رهـينة، ولميـكن فضَّلهم عن الإمام عليه السلام. وأقبل الأمير عماد الـدين يحـيى بن حـمزة في خـيله ورجـاله بعد أن أخـذ ما حـول كوكبان من الأغنام والأبقار لما بلغه علم النقض من وردسار، وحـصروا الوالي به أشد الحـصار حـتى أتته الغارة من صنعـاء. وقد كـمن لهم في موضع يسمى الفجرين[2] جـماعة من بني صاع، وهم من عسكر الإمام عليه السلام قدر اثني عشر رجـلاً، فوثبوا عليهم في مضيق فأصابوا جـماعة

---

(١) جبل الأشمور بالغرب من مدينة عمـران بمسافة ٢٢ كم. والأشمور قرية وعزلة ناحـية عمران، على بعد ١٨ كم غربي عمـران، وتـقع ما بين:
٥٢″ ٤٠′ ١٥° شمالاً،
٣٢″ ٤٦′ ٤٣° شرقاً.
الويسي، اليمن الكبرى، ص ١٠٦؛ المقحـفي، معجـم البلدان والقبائل، ص ٣٧؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعـاء، جـ٢ ص ٣١٧-٣١٨؛ التعـداد السكاني التعاوني لمحـافظة صنعـاء، جـ٢ ص ٤٨١-٤٨٢؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠ صفحـة 1543 B 4.

(٢) واضح من النـص أن الفجرين موضع بالقرب من كوكـبان على الطريـق المؤدي إلى صنعـاء.
والفجـرين واد في شرق المغربة، وهو تجـمع واديي الكلابي ونشان.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحـة 1543 B 1.

منهم وانهزم باقيهم، وقتلوا رجلاً من العسكر واحتزوا رأسه، وأتوا به إلى المخيم المنصور ببركة الأشمور، فكان ذلك أول النصر وعنوان الظفر.

وكان من حمير قوم يقال لهم بني أبي العباس، وبينهم وبين أصحابهم بني وضاح وأصحابهم أهل مدع حروب ودخول، وهم يرون رأي المطرفية، ويذهبون مذهبهم. فتقدم منهم جماعة إلى وردسار، وأرادوا منه القود لدمار أصحابهم. فلما بلغهم وصول الإمام عليه السلام خافوا على أنفسهم، فأتوا إلى الأمير عماد الدين فسقطوا في يديه، وسألوه الشفاعة لهم، والأمان في بلدهم. وذكروا أن لهم حقوقاً عند أصحابهم، وسألوا المناصفة بينهم، وإبلاغ كل ذي حق إلى ما يجب له بحكم الله تعالى. فأجابهم الإمام عليه السلام إلى ما سألوه، وقبل شفاعة الأمير عماد الدين فيهم، وكتب لهم منشوراً، وصاح لهم الصائح في المحطة بالأمان، وأنهم قد صاروا بطاعتهم من جملته محاربين لمن حاربه، مناصبين لمن ناصبه، واشترط عليهم إحضار من كان في بلدهم من المطرفية للدخول في الإسلام والبراءة من مذهبهم أو نفيهم عن بلادهم. فأجابوه إلى ذلك، وامتثلوا أمره، وأتوا بمن كان عندهم منهم فبايعوا وخرجوا من دين المطرفية ولعنوهم.

وقدم إلى الإمام عليه السلام المشايخ الفضلاء بنو الضربوه، سبأ بن مفرح وسنان والضربوه، وعلوان[1] بنو علي بن منصور، والفيل[2] بن سليمان بن مفرح. وكان لهم إقبال إلى الله تعالى، ورغبة شديدة في ثوابه، وخوف عظيم من أليم عقابه. فسلكوا سبيل الصالحين، واجتهدوا في طاعة رب العالمين. وكانوا قد تعلقوا بمذهب

(١) في الأصل (وعنوان).

(٢) ربما كان الصواب (القيل).

المطرفية، وجاز عليهم تلبيسهم، وما شاهدوا من نسكهم كما جاز على غيرهم، فقلدوهم ومالوا إليهم، وباعدوا بينهم وبين الإمام عليه السلام. وكان شديد الحرص في هدايتهم، كثير الرغبة في صلاحهم لعلمه أن قصدهم السلامة، وأنهم لم يدخلوا في الدين إلا خوفاً من رب العالمين. فلم يزل سلام الله عليه يكاتبهم ويلاطفهم، ويذكرهم بما يجب عليهم حتى أثر ذلك عندهم. وكتب إليهم في آخر كتاب وقد مات أبوهم علي بن منصور رحمه الله كلاماً نسخته:

اعلموا - رحمكم الله - أنّ المصاب من أُصيبَ في دينه، والمرزو من كانت رزيته في فوات رحمة ربه. وقد بلغنا إقبالكم إلى الله سبحانه، وانقطاعكم عن الدنيا، فأقبلنا إليكم، ورغبنا في هدايتكم، وأعرضتم عنا ونفرتم. وأنا أدعوكم إلى الهدى وطاعة الملك الأعلى، ولستم بجهال ولا سفهاء، أحضروا إلينا وانظروا ما يحكى لكم عنا، واسمعوا كلامنا. فإن قضت عقولكم بصحة ما نحن عليه لم تهلكوا أنفسكم، وإن بان لكم خلاف ذلك كنتم على بصيرة من أمركم معذورين عند الله سبحانه في تأخركم. وأكبر مكيدة فعلها الكفار في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن نهوا الناس عن سماع ما جاء به فقالوا: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾[1]. وفي حديث الطفيل بن عمرو الدوسي[2]: «دخلت مكة فلقيني رجال من قريش فقالوا: لا تسمع محمداً فإنّه ساحر، فرق بين المرء وزوجه، والوالد وولده، والأخ وأخيه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى تركت في أذني كرسفاً[3] ودخلت المسجد قال: فرأيت النبي صلّى الله

---

(١) سورة فصلت الآية ٢٦.

(٢) في الأصل (أبي رويهر الروسي).

انظر، عبد الرحمن الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ص ١٠٥ - ١٠٨.

(٣) الكرسف: القطن.

عليه وآله في المسجد فقلت واثكل أماه أنا رجل عاقل أعرف الخطأ والصواب ما عَلَيّ أن أسمع محمداً فإن كان على حق اتبعته وإلا تركته. قال: فتركته إلى غفلة المشركين، ثم دخلت عليه منزله فقلت اعرض ما عندك، فعرض عليّ الإسلام وأسمعني القرآن، فهداني الله فآمنت على يديه. وقلت يا رسول الله ابعثني إلى قومي، فبعثني إليهم، وقلت: آية، فقال: الآية معك. قال فلما طلعت على قومي وقع بين عيني مثل القنديل، فقلت: يا رب لا في وجهي، يقول قومي إنها مثلة، فتحول إلى طرف سوطي. فلما وصلت جاءني أبي فقلت إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني. قال: ولم يا ابني؟ قلت: لأني آمنت بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله. قال: يا بني فديني دينك. قال: فجاءتني امرأتي فقال لها قوله أولاً قالت فديني دينك. قال: فقلت اغتسلي على حمادي الشرى ـ صنم كان لهم ـ قالت: أفتخَاف على الصبية؟ قال: لا! فاغتسلت، وأسلمت».

وأصل هذه القصة أنهم صدوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن وإياكم في مثل ذلك صلّوا وصلوا بزادكم إن لم تستحلوا زادنا. واسمعوا قولنا وحججنا، فإن أتيناكم بالحق فاقبلوه وإلا طابت نفوسكم. فالعاقل إذا خُوِّف خاف، وإن كان علماء المطرفية يريدون المناظرة وقد لبسوا على العوام والخوف حادث لما علمنا، فما المانع لهم من الوصول من قبل. ثم إن قالوا رفاقة، فالرفيق بين الناس جائز، والذمة بين المسلمين والكفار ثابتة. فإن أحبوا ذمة أذممنا وإن أحبوا رفاقة صحبنا ورفقنا. وهذا غلاط يعرفه أهل العقول وأنتم منهم، أفليس قد بايعوا على الإمامة في الابتداء، ولم يشكوا في صحتها، وصلوا

▪ ابن منظور، لسان العرب، مادة: كرسف.

الجمع. فإن كان نفاقاً فقد دخلوا في زمرة المنافقين، وإن كان حقاً دل على صحة اعتقادهم بأن الإمامة فرع على صحة الاعتقاد، فتدبروا هذا الكلام، وانظروا، وتدبروا الآيات التي انتزعناها من كتاب الله. فإنَّ مَنْ رَدَّ آيةً واحدةً من ظاهر كتاب الله كفر، فكيف بأربعمائة آية وسبع وثلاثين آية كُلُّها مُحْكَمَةٌ لا يجوزُ العدولُ بها عن ظاهرها. وعلي عليه السلام قتل الخوارج - وهم عباد الليل، وفرسان الخيل، ووعاة العلم - على الخلاف في ثلاث مسائل كلها في الجرم دون مسألة واحدة مما خالفت المطرفية.

وقد كنا نأمل وصول الشيخ رحمه الله رحمة واسعة إلينا، ونعول عليه في الاتفاق بيننا وبينكم، فغلب الله على أمره. فبادرنا بهذا الكتاب خشية أن نموت ولما نقم لله حجة على مَنْ يرمي صلاحه من خلقه، فإنّ الموت يُفْزِعُ القلوب. فنسأل الله تعالى بحقّه العظيم لنا ولكم حسن الخاتمة. والصلاةُ على محمَّدٍ وآله.

فلما جاءوا إلى الإمام عليه السلام، وحضروا مجالسه وسمعوا كلامه، وما أوضح لهم من الأدلة والبراهين الجلية مدوا أيديهم للبيعة، وانقادوا للطاعة، ولازموا مجالس الإمام عليه السلام. ونهضوا لنهوضه إلى حوث ووردوا المدرسة للتعليم في التوحيد، وصلحت أحوالهم، وعرفوا بطلان مذهب المطرفية.

رجع الحديث إلى تمام قصة وردسار والحرب التي نصر الله وليه وابن بنت نبيه فيها عليه:

وقد نهض من صنعاء عقيب كتابه الذي نقض فيه الصلح إلى البون، فتلقى آخر عسكره قوم من بني صاع فأصابوا جماعة منهم، وأخذوا جمالاً موقرةً من السلاح والآلات والعُدَّة والنُشّاب والدروع، فابتاعوا ذلك في عسكر الإمام عليه السلام، واستعانوا بأثمانها على حرب

العدو. وتقدم حتى حط في موضع يسمى ظبر الأحطوب[1] في أعلى وادي البون، فأمسى بها، فلما أصبح ركب في العسكر وقصد موضعاً يسمى ناهرة[2]. من أوطان بني صاع يريد خراب منازلها وقطع أعنابها. وصرخ الصارخ، وبلغ الصوت إلى المخيم المنصور ببركة الأشمور، فأغارت قطعة من العسكر من سرعانه، فوافوهم يريدون الخراب وقطع الأعناب. فوقع قتال سحيح بين الفريقين شغلهم عما كانوا يريدون من الخراب والقطع، ووقعت جراحات محتملة في سبعة رجال من أصحاب الإمام عليه السلام. وعاد وردسار إلى محطته وقد جرح من عسكره طائفة لم يعلم مقدار عدتهم، فلما أصبح بعث القاضي صبرة بن عمران بن علي اليامي - وهو من أصحاب الإمام وأوليائه، وكان قد تقدّم إليه في حاجة عرضت له إلى صنعاء - فأمره بالتماس الصلح، وأتبعه الشيخ سليمان بن مفرح الضربوه لمثل ذلك. وطلبا قدوم رجل من الأمراء إليه ليكون تمام الصلح على يديه، وأمروا إليه وإلى البون المسمى بسيف الدين رهينة إلى قرية تسمى قارن[3] في حكم الإمام عليه السلام ومن بلاده. ورأى الإمام المساعدة وأن الصلح خير وأبقى، فبعث إليه الأمير حسام الدين القاسم بن إبراهيم بن محمد

---

(١) الأحطوب: هم بنو حاطب الخارفي، ويسكنون ظبرة بني حاطب بالبون. وظبرة: بضم الظاء آخرها هاء وهو ما يسمى الظبر بحذفها.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٠، ح ٥ نفس الصفحة.

(٢) ناهرة: من قرى البون ذكرت ما بين الجنات وظبرة، ومن ثم فإنها تقع في عزلة عمران بناحية عمران، لأن الجنات والظبر بنفس العزلة.
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٥٨، ٢٢٠؛ التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ٢ ص ٣١٨.

(٣) قارن: قرية من عزلة عيال حاتم، ناحية عيال يزيد، قضاء عمران. على بعد ١٥ كم شمال غرب عمران، ٤ كم شمال هجرة قاعة. وتقع ما بين: =

الحمزي. فلما قدم إليه أكرمه وأحسن مثواه، وجرى الكلام بينهما في أمر الصلح، فاشترط التخلية فيما بينه وبين بني صاع وكانوا قد أجمعوا على حبالهم[1] في طاعة الإمام عليه السلام، وحلفوا له الأيمان المؤكدة على الصبر معه على خراب المنازل وأخذوا الأموال. ومراد وردسار بذلك فصلهم عن الإمام فكتب الأمير قاسم بن إبراهيم رقعة بما اشترطه وردسار من تخلية بني صاع من الصلح وإخراجهم منه، وأمر بها إلى الإمام. ونهض على إثرها لمشورته وأخذ رأيه، فكره الإمام عليه السلام ذلك وقال: لا سبيل لخروج بني صاع عن صلحنا. وكتب بذلك رقعة، فلما وقف عليها وردسار امتلأ غيظاً، واستشاط غضباً، وركب في الحال، ونادى مناديه في عسكره بالركوب للحرب، فأعدوا واستعدوا، وحملوا آلة الحرب من النشاب والغوامر والآلات القوية. وكانت خيله يومئذٍ زهاء أربعمائة فارس بالعدة القوية، والرجل بشر كثير.

.... [2] كأن قائلاً يقول له أتظن أنه هزمهم ثلاثة عشر فارساً، إنما هزمهم أربعمائة فارس منها مائة حمر، ومنها مائة قال شهب

= ٢٨" ٤٠' ١٥° شمالاً،
٣٩" ٤٨' ٤٣° شرقاً.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٤٧٧؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.
خريطة ج. ع. ي، ١ : ٠٠٠ ٥٠، صفحة 4 B 1543.

(١) الحبل: العهد والذمة والأمان وهو مثل الجوار.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حبل.

(٢) ساقط من النص تفاصيل الهزيمة التي حلت بوردسار، وكذلك بداية المنام. وقد نبه الناسخ في الهامش إلى ذلك. كما لم ترد إلا بعض الأخبار المقتضبة في بقية المصادر تشير إلى نقض الصلح بين وردسار والإمام وحدوث مشاجرات بينهما =

أو شقر نزلت من السماء. والشك من صاحب المنام.

فلما أصبح نقل الإمام عليه السلام المحطة إلى موضع يسمى قارن وهو بالقرب من محطة وردسار بحيث يرى النار، فعظم ذلك عنده واشتد عليه الأمر. وكان عنده فيما بلغ عمن هو في جهته أعظم من الكسيرة لمقابلة المحاط، ودنو بعضها من بعض. ولم يكن ذلك في ظنه ولا في حسابه. فحينئذ أمر الشريف الحسن بن طامي الحراني، وكان قد صدر مع الأمير قاسم بن إبراهيم إلى وردسار، وتأخر عنه عند عودته. وكان حاضراً مع وردسار عند الكسيرة، فحكى ما راحوا عليه من الذلة والانكسار. ولقي الإمام عليه السلام لتمام الصلح على الشروط المتقدمة في الصلح الأول والهدنة التي جعلها عشر سنين ، وعلى تسليم الخيل والجمال، فرأى الإمام عليه السلام إمضاء الصلح لما شاهد من فساد العرب وتهافتهم إلى الغز ورغبتهم فيهم، ومراد كل منهم هلاك صاحبه بأيدي الغز ولو هلك بعده.

وقد كان السلطان صعصعة بن محمد جمع عسكراً لأخذ البلاد الحميرية، وأخوه قد قاد وردسار لأخذها فصارت بين العسكرين، وأهل ثلا مصالحون وقد مال شر الغز عنهم في تلك الحال. فأنفذ الصلح، وأمر القاضي علي بن سليمان البكيلي مع الشريف الحسن بن طامي لاستحلاف وردسار على التمام والوفاء بشروط الصلح الأول، فحلف اليمين البالغة على ذلك. وأراد استثناء المطرفية وإدخالهم في صلحه، وقد أتى منهم

= وانتهى الأمر بتجديد الصلح.

انظر: ابن حاتم، السمط، ص ١٣٢؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١ ص ٣٨٩.

جماعة إليه من أهل قاعة بالقرى والضيفة. فأما أهل وقش فعادوا من هجرة هرمة[1] وما كان قد اجتمع منهم ومن أتباعهم قدر مائة وخمسين مادة لوردسار على حرب الإمام عليه السلام، فلما بلغهم ما فتح الله تعالى له من النصر انقلبوا خائبين، وانطلقوا متلاومين، وعلى ما بدا منهم من الخلاف نادمين. فلما أراد وردسار استثناءهم، ودخولهم في صلحه، بين له القاضي كفرهم وخبث اعتقادهم ألقاهم من[2] صلحه، واستخف بأمرهم، وحلف اليمين البالغة على الوفاء والتمام على ما تضمنه الكتاب في الصلح الأول. وكان بمجلسه السلطان مسعود بن علي بن حاتم، فلما جرى الكلام منه في أمر المطرفية، أعان في تغطية أمرهم وإدخالهم في الصلح رحمة منه لهم، ولم يقصد بذلك فيما بلغ عنه مضرة إلى جهة الإمام عليه السلام، فوقع عليه بعض العتب لكونه من جملة نصحائه وأهل مودته. فنقل عنه الكلام، فأتى كتابه إلى الإمام عليه السلام معتذراً، وأصحبه أبياتاً قال:

يا غادياً والصبح لم ينجلي	وعسكر الظلماء لم يفلل
وواقع النسرين يهوي كما	يهوي سنان الرمح للمقتل
وقد صغى العيوق في أفقه	للغرب يحكي مقلة الأحول
وفي سهيل[3] خفقان كما	ريع فؤاد النخب الأعزل

(١) لا يوجد في المنطقة موقع باسم هرمة. وربما تكون الهجرة منسوبة إلى قرية هرامة من عزلة الحدب، ناحية بني مطر.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٤٨؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ٦٩.

(٢) في الأصل (في).

(٣) سهيل: كوكب يمان، يرى بأرض الحجاز وفي جميع أرض العرب، ولا يرى بأرض أرمينية وخراسان.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سهل.

ترمي به البيداء بيدائه وتقطع الهوجل[1] بالهوجل
أوب وأدلج وتهجد ولا تربع على ربع ولا منزل
واطوي الفلا حتى توافي طوى واخلع به نعليك ثم ادخل
فنار موسى ناره والهدى وجه إمام الأمة الأفضل
وجانب الطور له منزل فحيث ما وافيته فانزل
والثم تراب الأرض في سوحه فإنه أزكى من المندل[2]
فكل فضل كان أو سؤدد مفصل في الغد أو مجمل
فهو لعبدالله مولى الورى نجل النبي المصطفى المرسل
بحر الندى والعلم بدر الهدى سم المعادي وثمال الولي
تاج بني الزهراء بل خير من يدعو أباه أحمداً أو علي
معطي البرايا رشدهم بعد أن كانوا من الحيرة في مجهل
إنّي على بيعته لم أحل عن ذلك العهد ولم أحلل
ألقى إلهي بولائي له وقد واتيت[3] الله نعم الولي
هدى أبيه المصطفى هديه فهل لنا عن ذاك من معدل
لكنني لم آله خدمة وصح لا وان ولا موتلي
أرجو ثواب الله لا غيره واطلب الزلفة عند العلى
فصار ذماً ذلك الحمد لي وعاد ذاك الشهد من حنظل
ورمت تجديد الذي بيننا فكان هذا سبباً أن بلي

(١) الهوجل: المفازة الذاهبة في سيرها. والهوجل: الأرض التي لا معالم بها، والهوجل: الطريق الذي لا علم به.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: هجل.
(٢) المندل والمندلي: عود الطيب، وهو أجوده.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ندل.
(٣) في الأصل (وتيت). وواتيت بمعنى طاوعت.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وتى.

فقل لمولانا إمام الهدى ووجه قول الحق قول جلي
ما بال من يمحضكم وده عن ودكم يصبح في معزل
قد كنت أرجو حمدها فعلة فكيف أكفي ذمها كيف لي.

ورأى أسعد بن علي الصعدي قبل وقعة وردسار وقد توجه الإمام لحربه قال: رأيت فيما يرى النائم كأن مولانا عليه السلام في مسجد متسع، وهو قاعد في المحراب وبجنبه الأمير صنوه عماد الدين وكان رجلاً سأل الفسح في إنشاد قصيدةٍ فأذن له الإمام عليه السلام بذلك وهو مسرور فرح قال فحفظت من القصيدة بيتاً وهو:

آن القيام فقم لله معتمداً فمثل دينك هذا الوقت قد فقدا

ولم يكن صاحب الرواية يقول الشعر ولا يحسنه. ولما انصرم صلح وردسار وأمر له الإمام عليه السلام بالخيل والجمال، فرح عسكره بذلك فرحاً شديداً، وركبوا في لقائها مظهرين المسرة، مستبشرين بالسلامة.

وشاع خبر كسيرة وردسار في الآفاق، وبلغ إلى زبيد كما حكى ذلك الأمير أحمد بن مكين بن عيسى بن أبي هاشم وهو من جملة الوافدين إلى الإمام من بني أبي هاشم قال: كنا بزبيد وأتى الخبر والسلطان سنقر في طائفة من الغز على شراب ولهو ولعب، فرفع الشراب عنهم، وقطع بهم ما كانوا عليه، وتكدر عليهم صفو لهوهم ولعبهم. وماج الناس في المدينة، وشاع خبر الكسيرة في أقطارها، ووقع اضطراب عظيم في أرجائها.

وكان السلطان قد قطع أرزاق قوم من الجند، فبعث منادياً فيهم، وفتح المخازن، وعرض عليهم المال. وجهز عسكراً يريد الإمداد به في الحال، فلم يكن إلا مدة يسيرة حتى جاء البشير بالصلح وتمامه فأخر المادة [١]، وفرحوا بالمسالمة.

---

(١) في الأصل (المدة).

والتفت وردسار بعد أمانه من ناحية الإمام عليه السلام بالصلح إلى حلفائه من العرب، فأمر بقبض الشيخ سليمان بن مفرح الضربوه، ومصادرته بمال قد [١] مبلغه أربعة آلاف دينار، وانفلت منه السلطان أسعد بن محمد بن الحسين صاحب مسور بخيله، وانهزم إلى مسور فسلم من شره.

وكان بعد مدة من مراحه، وبعد الكسيرة التي وقعت عليه ذبح ولدين صغيرين للسلطان عمران بن الذئب الشهابي، وهو حليف له ومصالح، وكانا رهينتين عنده في الطاعة فذبحهما، والعرب مع ذلك مقبلون إليه، ومتحننون عليه. وعاد إلى صنعاء، ورفع الإمام عليه السلام محطته من قارن إلى مصانع حمير، فحط بقرية مدع وقد خلا خاطره من جهة الغز. وأثقب النظر في أمور المطرفية لما يعلم من عظم مكيدتهم في الإسلام، وتلبيسهم على الخاص والعام بما يظهرونه من النسك وإكثار الصلاة والصيام. وسيأتي ذكر قصتهم وما آل إليه أمرهم عقيب هذه الأشعار التي في وقعة عقار، منها ما أنشأ الإمام عليه السلام في ذلك قال:

سلي يا ابنة الياميِّ عنّا وعنهُمُ ... عشية جالت في عقار الفوارس
فلم ير إلا زاعبياً [٢] محطماً ... وذا شطب قد ثلمته القوانس [٣]
ولم يـر إلا أعـوجيـاً مكلمـاً ... رقته العوالي إذ عرته الوساوس

---

(١) قد بمعنى قدر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قدد.

(٢) الزاعبية: الرماح. والزاعبي من الرماح الذي إذا هُزَّ تدافع كله كأن آخره يجري في مقدمه. وتنسب إلى رجل من الخزرج يقال له: راعب كان يعمل الأسنة.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: زعب.

(٣) القونس: مقدم الرأس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قنس.

وذا حنق ضمناه فانزاح شره وكـان قديمـاً تتقيه الشـوامس
ضربناهم عن منبر الدين عنوة كما ضربت دون الحياض الحوامس
وهم عسكر مجر ونحن كتيبة بها من بني المختار أسد عوابس
فلو أن خيلي أوعبت في قتالهم لحل بهم يوم أصم حلابس [1]
وكانت عليهم وقعة البون صيحة وشايعهم منها البسوس وداحس
ولكن حمى عنهم [2] قرار محقق وليل من النقع المراكم دامس
وكون ثقال الخيل تهوى إليهم فلم يشهد الهيجاء إلا المحالس [3]
فلو لبثـوا كـلا ولا لـزمتهم حماة إذا بيع الردى لا تماكس [4]
أبـوهم علي والنبي محمـد فلا غصنهم ذاو[5]ولا الضرع يابس
إذا قيل هذي حومة الموت أرقلوا إليها وإن كانت عوان وعانس
إذا ضاربوا ذاق الحمام ضريبهم وإن جالسوا نال الغناء المجالس
فلله عينـا من رآها وبـرقها السيوف وأصوات الكماة الرواجس [6]
ووالى جنود الظلم يدعو حماته [7] وقد طم ليل النقع واليوم شامس
وكانت له فيما مضى عنهجية الليوث فولى وهو عذراء آنس

---

(١) الحلبس: الحريص الملازم للشيء ، والحلبيس: الشجاع.
ابن منظور، لسان العرب: مادة حلبس.
(٢) في الأصل (منهم) والتصويب من الديوان.
(٣) رجل حلس: ملازم لا يبرح القتال. وفلان من أحلاس الخيل أي هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حلس.
(٤) المماكسة في البيع: انتقاص الثمن.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مكس.
(٥) في الأصل (ثاو) والتصويب من الديوان.
(٦) الارتجاس: صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش والسيل والرعد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: رجس.
(٧) في الديوان أ، ب (جنوده).

فيوم بيوم والليالي حوامل وأحداثها منها [1] جديد ودارس
ونحن هداة الناس بعد محمد ومن قبله نحن الحماة الأحامس
صميم قريش لا شماطيط جرهم ولم ينمهم كرد ولا الحر [2] فارس
هم يوم ذاك استوطأوا [3] كاهل الردى وسيل الدما منه صبيب وخامس
وعز ذمار الدين وازداد رفعة وذلت له من ذي الطغاة المعاطس
وراموا نفوذاً والسيوف كواره فكان لهم من حابس الفيل حابس
فلله عيناً من رآهم وبينهم قنا الخط قد أخنت عليه الدراهس [4]
ولا شافع إلا السيوف وإنما يحكمها من طبن منه المغارس
هم حرسوا دين الإله بشدة على الشمس منها ناصع اللون وارس [5]
فهل تبلغن لي ما أريد على النوى جياد المذاكي والقلاص العرامس
إلى منزل من دون رضوى تحوطه بناة المعالي والحماة الأشاوس
من كان بالصفراء منهم ومن حوت عراض الحجاز حرثها والبسابس
وجيران بيت الله في بطن مكة ولم أعن من تحوي زرود وراكس
وواليهم محض النجار الذي غدا ومن دون علياه النجوم الكوانس
بأنا حمينا الدار من ألف فارس بيض رقاق أخلصتها المداوس
وصم صلاب من رماح ردينية لها الفائز السهم المعلا ونافس

---

(١) في الديوان أ، ب (منه).
(٢) في الديوان أ، ب (الجد).
(٣) في الأصل (استوطنو). والتصويب من الديوان.
(٤) الدُراهس: الشديد من الرجال.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: درهس.
(٥) الوَرْس: نبت أصفر يكون باليمن. تقول منه: أورس المكان وأورس الرمث أي اصفر ورقه، فهو وارس.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: ورس.

ونصر من الرحمن لولاه لم يكن ... ليغني عن فرسانه [1] ما تمارس [2]

وللشيخ الحسن بن عزوى العصيفري في وقعة عقار وذكر فيه مسور وأهله بعد قدوم الإمام عليه السلام إلى هنالك قال:

سلا يوم لاقت ضمر الخيل ضمراً ... خليلي من دق الوشيج المكسرا

ولا تذكرا لي الفارس ابن مكدَّمٍ ... وعمرو بن معدي والشجاع عنترا

ولكن سليمان بن موسى وخيله ... معاً وصفي الدين حقاً وجعفرا

بني حسن أحسنتم الطعن في الوغى ... ففي من يباريكم بني حسن البرا

وكانت لكم بالقاع من أرض قاعة ... معارك ذكّرن النضير وخيبرا

كسوت [4] بها الجوزاء نقعاً وهكذا ... كسوناكم عنها القريض المحبرا

أبوكم أبو الشجعان أنماكُمُ لها ... يقيناً لقد طبتم فروعاً وعنصرا

وأبطال صاع نازلوا الخيل في الفضا ... والنبل ردوها دوامي حسرا

فما نفع البر قسطوان جيادها ... ولا أسلمت للدارعين سَنَوَّراً

بسعد أمير المؤمنين ونصره ... ظفرتم فلا زال السعيد المظفرا

إمام ترى نور الخلافة ساطع ... عليه وذاك الوجه أبلج أزهرا

وأروع يكسو الدهر نوراً إذا ندى ... ويكسو سراياه الكواكب عثيراً

عمرت أمير المؤمنين مسلماً ... فنول [5] المعالي والندى أن تعمرا

طلعت طلوع البدر في غسق الدجى ... فأشرق وجه الدين نوراً وأسفرا

وبشرنا طير من السعد سابح ... وفاح نسيم الريح مسكاً وعنبرا

نهضت بعون المسلمين ونصرهم ... فغير عجيب أن تعان وتنصرا

---

(١) في الأصل (فرساننا) والتصويب من الديوان.

(٢) في الديوان ج، د (من يمارس).

(٣) في الأصل (مميناً).

(٤) في الأصل (كسوتهم).

(٥) في الأصل (فتنول).

ونعم عماد الدين فيما يرومه شقيقك ما ترمي مراماً فقصرا
وما ساس ملكاً مثل يحيى بن حمزة فبورك يحيى سايساً ومدبرا
لقد ألبس الله الفضائل مسوراً ومن حله لما تقدمت مسوراً
وسررت بني عبد الحميد الذين هم أجل بني قحطان مجداً ومفخرا
وهم كأهل العليا وابنا شمر إذا ذكروا كانوا صياصيها الذرا
فأعط لواء النصر صعصعة الرضا زعيمهم الملك الأمير المؤمرا
وإن سليمان الأجل وأسعدا يداه إذا ما أورد الأمر أصدرا
وقد لزموا للدين منك بعروة وعروة أهل البيت من أوثق العرا
وما عذر من لا يرتضيك إمامه وقد شاهد الحق المبين وأبصرا
وأنت ابن من أسقى الحجيج بكفه وناشد في المحل السحاب فأمطرا
ولو أنصفتك العرب ألقت قيادها إليك ولم يحدث على العرب ماجرا
وما حملك الأعباء إلا مشقة لها قل من يسلو ولا يطعم الكرا
تجاهد في شرق البلاد وغربها وتنأى عن الأهلين عاماً وأعصرا
كسوت البلاد الحميرية أنعماً وألفت أبيات المصانع حميرا
ودافعت عنها راغباً في نجاتها وأصلحت من أسبابها ما تغيرا
لك الفضل في قوم عصوك وخالفوا ولم يبلغوا نيل الثريا من الثرا
فمن تاب منهم واستقال لعثرة أقلت عثاراً منهم من تعثرا
وأنت الذي يدعو أباه وجده أبا القاسم النور المنير وحيدرا
رعاك الذي استرعاك أمر عباده وألزم في الإيمان طاعتك الورا
ولا زلت للإسلام تحمي حريمه وللدين تحمي صفوه أن يكدرا

وللشيخ عمران بن الحسن بن ناصر بن يعقوب العذري:

لمن طلل أصبحت له العين تسجم[1] أبان أساً قد كان في القلب يكتم

(١) سجمت العين الدمع إذا سال، وانسجم الدمع أي انصب.

أريت به الأرواح حتى كأنها رسول أتاها للبلاء ميمم
فلم يبق إلا آلُ خَيم[1] ووسطه ثلاثاً كنقط الثاء إذ هي تعجم
وغير رماد هامد فكأنه وجوه من السودان لم يتبسموا
فدع عنك تذكار الديار وأهلها وما أنت والتسآل والذكر عنهم
وجد في مديح الصيد من آل هاشم إذا أسرجوا يوم الهياج وألجموا
عشية جاءهم وردسار بجمعه مدلاً بأقدام وعزم عليهم
أتى نحوهم يبغي لديهم مطامعاً فلم يلف إحجاماً وعزم عليهم
فقادوا إليهم عسكراً بعد عسكر يظللهم فيه الوشيج المقوم
فظلت سيوف الهند فيه كأنها به موج بحر للمنية يفعم
كأنّ القنا فيه نشاوى تماثلت بأعناقها شرب النشاوى به الدم
فأعطوهم لما أتوهم صدورها وعندهم ما ضم كف ومعصم
بطعن كرأس الرق أفلت ربطه فلم يتهالك وهو ملآن مفعم
كأن القيام الجون إذ لثم الضحى سماء بنت ثم الأسنة أنجم
فلا أدهم إلا من الدم أشقر ولا أشقر إلا من النقع أدهم
كأن الدروع السابرية فوقهم كعدان[2] ماء صب فيها قليدم[3]
كأن الجياد الجرد من فرط عجها سكارى حمياً الخمر قد دب فيهم
يريد سباق الخط فوق متونها فيسبقها منه سنان ولهذم

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: سجم.

(١) الخيم: أعوادَ تنصب لتبنى عليها الخيام. وقيل: هي ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: خيم.

(٢) العدان: موضع كل ساحل. وقيل عدان البحر، ساحله. وعدان النهر، ضفته.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عدن.

(٣) ماء قليدم: كثير.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلدم.

كأن سهام الماسخية[1] نحوهم نجوم بها من يسترق السمع يرجم
فذاقوا كما ذقنا ويوم بمثله غداة ثوى إبراهيم والنقع أقتم
لقد خاب قدحي إذ قعدت وإنهم كؤوس الردى ما بينهم يتقسم
فضيعت في الأخرى ثواباً مكملاً وقد فات في الدنيا عطا ومغنم
يجبنني حب الحياة فانثنى يشجعني خوف الإله فأعزم
ألا أبلغن لي وردسار وقل له أبن لي منى ساد الأعاريب أعجم
نصحتك فارجع عن قريب فإنما أمامك أرض ما بها متقدم
ألم نحز يوم القادسية ملككم وملت سيوف العرب مل القطع فيكم
سلبناكم ملكاً عظيماً مؤيداً وسارت نساكم حافيات تلطم
وفي يوم ذي قار فسائل معاشراً من العجم والأعراب منا ومنكم
غداة أتى كسرى بجيش كأنه لكثرته بحر والليل مظلم
فولوا سراعاً مدبرين فمنجد لهم ليس يرجى أن يئوب ومتهم
لقد كنت فيها قد فعلت كصائح بأسد الشرى والأسد في الجيش نوم
ففاجأته لم يستطع قط مهرباً فهل هو عند الناس إلا مذمم
نهيت بأقوام على الصبر أنشئوا بهم يصغر الخطب العظيم ويعظم
بني هاشم رهط النبي وأهله يصلي عليهم ربنا ويسلم
أفاعي فلاة لا نمل دبيبها إذا نام منها أرقم هب أرقم
يقودهم مولى الأنام ابن حمزة ينكب عنه الخطب وهو مصمم
نماه إلى العلياء حمزة والقنا سليمان وهو السيف لا يلثم
هو العز في يوم النوال سماحة هو الشيخ في يوم النزال وأجزم
تراه إذا لاقاه كرن[2] كأنه على أهله من بَعد بُعد يُسَلِّمُ

---

(١) الماسخيات: القسي.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: مسخ.
(٢) الكِرّان: العود وقيل الصنج، والكرينة: المغنية الضاربة بالعود. =

يروعك إن لاقاه قرن ليومه	يروقك إن لاقاه للجود معدم
حليم بلا ذل رحيم بلا هوى	عليم بلا دعوى عظيم معظم
ورهط حماة من بكيل وحاشد	أولئك قومي إن دعوت لهم هم
بهاليل كانوا قبل دين محمد	ملوكاً وسادوا قومهم حين أسلموا
متى ينش منهم في القبائل كلها	غلام غدا وهو الرئيس المقدم
لنا راية في يوم صفين نزل	نحامي حفاظاً دونها ونصمم
تحملها منا سعيد وخلفه	من أبناء همدان خميس عرمرم
يقولون قدم يا سعيد ولا تخف	فقدم في بحر الردى ثم قدموا
فأوردها بيضاء ثم انثنى بها	عليها طراز رقمه الدين معلم
وهل خطة في المجد إلا لنا بها	نصيب عظيم ليس للناس يقسم
منعنا نبيَّ اللّه قهراً وصحبه	وذُدْنا جميع الناس بالسيف عنهم
ومدته بالأرواح أبناء قيلة	فوارس لما أقدم الموت أقدموا
فعزوا به إذ جاء بالدين والهدى	وعز نبي اللّه إذ صار فيهم
إليكم قريضاً تاه لما مدحتكم	وصارت به كل الورى تترنم
لئن جهل الأقوام طرق مديحكم	فإن بها من سائر الناس أعلم
سأمدح لا لأن[1] المديح جزاؤكم	ولا إن قولي بالغ ما فعلتم

قصة المطرفية واستيلاء الإمام عليه السلام على هجرة قاعة وسائر هجرهم التي تفرعت منها في جهات المغرب:

لما عاد من وقعة عقار إلى قرية حلملم لبث بها ثلاثة أيام حتى نقل وردسار محطته راجعاً إلى صنعاء، ثم نهض إلى قرية مدع من مصانع حمير فحط بجانب البلد من شرقيها لثلاث خلت من جمادى الآخرة من

= ابن منظور، لسان العرب، مادة: كرن.

(١) في الأصل (إن).

سنة ثلاث وستمائة. وكانت أيام قُرٌّ[1] شديد، وبذلك الموضع يضرب المثل لشدة برده، وهو بالقرب من هجرة قاعة، فقدم إليه قوم من بني الطربي وكانوا على الخلاف - وحاربهم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة وغزاهم مراراً فتمردوا عن الحق - فلما بلغهم استقرار العسكر المنصور بمدع خافوا على أنفسهم، فبادروا بالدخول في الطاعة، والانقياد للأوامر الإمامية. ثم قدم جماعة من السلاطين بني أزد أهل مسور سائقين إلى طاعة الإمام عليه السلام، متقربين إليه بذلك، فأدناهم وأكرم مثواهم. ثم نهض لصلاة الجمعة، فلما قضيت الصلاة برز من المسجد إلى جانب من السوق، فانتال[2] الناس إليه من كل ناحية، وأحاطوا به من كل جهة. فتقدم في أوساطهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وذكر جملة نعمه عليهم وعليه، وما فتح الله تعالى للمسلمين على يديه، ووعظ الناس وأبلغ في وعظهم، وذكرهم بأيام ربهم ثم شرع في بيان أمور المطرفية واتضاح ردتهم وكفرهم بالبراهين الجليلة، وما جاء به الكتاب الكريم والسنة المطهرة المرضية. فارتاب الناس لذلك، وعظم الأمر عليهم، وكانوا يعظمون[3] أمر هذه الفرقة الضالة الغوية، ويعتقدون اعتقادهم، ويقلدونهم في دينهم.

وظهر من جماعة من أهل البلد تعصب في حق المطرفية، وسألوه بما استحقوا اسم الردة؟ فبين ذلك لهم بما ظهر لهم وضوحه، وألزمهم إحضار علماء أهل هجرة قاعة للمناظرة إن أرادوا ذلك، وإن كرهوا

---

(١) القُرُّ: البرد.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قرر.

(٢) انتال بمعنى تقدم، وبمعنى تسابق.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: نتل.

(٣) في الأصل (يعظموا).

المناظرة دخلوا في الإسلام ورجعوا إلى الحق. فإن أبوا أمضى فيهم حكم الله تعالى، فعظم عليهم الخطب وتنازعوا في رد الجواب. وسألوا المشايخ أهل ثلا الجواب عما عرض عليهم الإمام عليه السلام، وكانوا حضوراً في ذلك المقام. فأجابوهم بأنا قد صرنا من جملته وداخلون في دينه؛ والكلام متوجه إليكم. فلم يكن جوابهم إلا طلب النظرة للمطرفية إلى الصبح. فقال عليه السلام: ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾[1].

وانصرف الناس من ذلك الموقف، وتقدم من كبار أهل مدع ومشايخهم جماعة إلى هجرة قاعة، فعرفوا أهلها ما جرى من الكلام، وأنه لم يبق لأحد خروج عن طاعة الإمام عليه السلام، وسألوهم الحضور للمناظرة. وكان شيخهم الفضيلي قد هرب إلى مسور لما علم بإقبال الإمام عليه السلام إلى البلاد الحميرية، وبقي أبو وهان والحملاني وعلي بن يحيى فهؤلاء كبارهم، والمعدودون في أهل العلم منهم، فأبوا المناظرة لعلمهم أن حجتهم داحضة، وغرضهم التلبيس على العوام والاستقامة على ناموسهم. فبعثوا جماعة ممن هو حَالَ معهم من أهل مدع وممن لا يخشون عليه بزعمهم سطوة الإمام عليه السلام، وأمرهم بالمدافعة عنهم.

فلما حضروا عقد لهم الإمام مجلساً حضره مشايخ البلاد وكبار حمير، ومن ضمه العسكر من قبائل العرب. وانتظر من الواصلين الجواب عما أمرهم به بالأمس فجمعوا الكلام ولم يأتوا بزبدة، فعرف ما عندهم ففتح الكلام، وشرح شرحاً طويلاً، وعرف الناس أمور هذه الفرقة، ودعاهم للمناظرة في حصن ثلا أو مسور أو ذمرمر. فلما وصل

---

(١) سورة هود، آية ٨١.

إلى مكانهم طلبوا العلل والمعاذير، فعرف الناس دفاعهم وردهم لما عرض عليهم. ولانت قلوبهم، ودانوا إلى مراده، وأجمعوا بكلمة واحدة أنهم منه وإليه. وسألوه تسيير رجل عالم من جهته معهم إلى أهل هجرة قاعة لدخولهم في الإسلام، وخروجهم من مذهب المطرفية. فأجابهم إلى ما سألوه، وجعل لهم أجلاً لثلاثة أيام ،وكتب به مشروحاً، وشهد عليه من حضر، وشرط فيه إباحة دمائهم، وتغنم أموالهم بعد انقضاء هذا الأجل إن أبوا الدخول في الإسلام. وبعث إليهم القاضي الفاضل شرف الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسد القهمي في جماعة من الأشراف، وطائفة من المسلمين قدر خمسين رجلاً. فلما حضروا بمسجد قاعة، وحضر أهلها وعلماؤها أجمعوا معه في مسائل الخلاف كلها التي كان يعرفها ويناظرونه عليها، ولم يبق بينهم منازعة سوى في مسألة واحدة وهي قولهم: إن فعل العبد لا يعدوه، ولا يوجد في غيره، لظنهم أنهم لا يكفرون بالالتزام بهذه المسألة. وسلكوا في سائر المسائل سبيل الوفاق، وارتدوا بثوب النفاق، وبقي منهم جماعة متمردون، لا حضروا المناظرة ولا دخلوا في البيعة. فأمر الإمام عليه السلام صنوه عماد الدين في جماعة من مشايخ حمير بالهبوط إلى قاعة ليكونوا شهوداً على المطرفية، فهبطوا إليهم. فلما علموا بذلك، وشاهدوا المشعل في ظلمة الليل قاصداً إليهم، اضطربت أحوالهم، وخافوا على أنفسهم. فتبادروا في لقاء الأمير ليصرفوه عن دخول مكانهم فلم يساعدهم، ونزل وأمسى عندهم. واجتمع مشايخهم وكبارهم إلى منزل لهم، وذكروا ما نزل بهم، وبكوا بكاءً شديداً على مذهبهم.

حكى ذلك الثقة عنهم للإمام عليه السلام، فذكر أبياتاً قالها في حال الصغر وهو في الكتاب، لم يبلغ يومئذ الحلم؛ ورواها. فقلت: هذا

موضع ذكرها في السيرة الشريفة. فقال: إنها في حال الصغر وليست بالمهذبة فعلقتها منه وهي هذه. وهي موافقة لما وقع من البكاء والنحيب.

لست ابن حمزة إن تركت جماعة متجمعين بقاعة للمنكر
ولأتركنهم كمثل عجائز يبكين حول جنازة لم تقبر
ولأروين البيض من أعناقهم وسنابك الخيل الجياد الضمر

فلما أصبح جمعهم الأمير عماد الدين وقد هرب بعض مشايخهم، فعرض عليهم المناظرة، فاعترفوا بالعجز والتقصير. وأعادوا إجماعهم في مسائل الخلاف بحضرة القاضي إبراهيم بن أحمد، فعرض عليهم الإسلام، والخروج من الكفر، والبراءة من مذهب المطرفية ولعنهم، وذلك بحضور المشايخ الحميريين الذين كانوا يدافعون عنهم. فدخلوا في الإسلام باللفظ، وخرجوا من الشرك والكفر بعد الاعتراف به، ولعنوا كبار المطرفية، وتبرؤا إلى الله تعالى من دينهم، وعرف الحاضرون تلبيسهم عليهم فأعرضوا عنهم، وتبين لهم حال محالهم.

وأقام عليه السلام المدرسة بهجرة قاعة في التوحيد والعدل، ولم يبق لأهلها تصرف فيها إلا عن أمر القاضي. وقبضت الدور والأملاك التي للذين أجلوا عنها لبيت مال المسلمين، واستوهب الفقيه بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع مسجد الهجرة الجامع لأنه أسس على غير التقوى، وحكمه فيما رآه الإمام كحكم مسجد ضرار، فوهبه له وقبضه، وسبله، وجعله مسجداً لتقام فيه الجمعة. واستقامت المدرسة بقاعة وحصلت بها نفع عظيم وكلمة ظاهرة في الإسلام. وكان المدرس فيها الفقيه الفاضل أحمد بن محمد المحلى عن أمر الإمام عليه السلام. قال الشيخ الحسن بن عزوي في هذا المعنى أبياتاً.

أرأيت حسن روا هذي الهجرة من قاعة ولما بها من زهرة
أضحت بنور سنا الإسلام مضية والمسلمون بنعمه وببهجة
رضي المهيمن عنهم لما ارتضوا دين الإمام إمام هذي الأمة
وجنوا ثمار العلم من غصن نمى لزكائه من فرع دوح نبوة
طابت مجالس ذكرهم عند الذي رتعوا لديها في رياض الجنة
طلعت لهم شمس العلوم وأشرقت فيهم وكانوا في سواد دجنة
هذا الفقيه وهذه أخلاقه وعلوم أهل البيت أهل الملة
ما تنظرون وما الذي أنكرتم يا مسلمون من التقى والعفة
وعلى كتاب دأباً فأعرضوا ما جاءكم وعلى صريح السنة
تعس المخوف والمباعد بينكم فلقد أضلكم وجاء بزلة
في طاعة المولى وحسن قبولكم تلقون كل سعادة ومسرة
لبيوتكم [ ][1] بأشرف منزل ومزية في الدين خير مزية
وينشرون عليكم من فضله ثوب الصيانة ضافياً والعزة
لله معشر حمير من معشر أهل الرئاسة والعلا والرفعة
نصروا الإمام وبايعوه وأخلصوا وتمسكوا منه بأوثق عروة
والصيد من مدع بهم حسن الثنا وبهم صلاح لعور تلك الهجرة
وكبيرها الشيخ بن شوال الذي طابت بسيرته النفوس وقرت
فليهنكم نشر العلوم لديكم وصفا خواطركم بتلك الصفة
وبمسجد حفت به بركاته ولما أقيم به صلاة الجمعة
وعليكم أزكى سلام نشره كالمسك يبلغكم بأطيب نفحة

وله أيضاً ذكر فيه هروب المطرفية من هجرة قاعة عند إقبال الإمام عليه السلام إلى البلاد الحميرية قال:

---

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل.

العز في الذابلات والقضب وتحت ظل البنود والعذب
وفي مغار الجياد سارية فرسانها يهتدون بالشهب
خيل الإمام التي بوادرها تقتنص الظالمين في خبب
يا حسنها بالنجاح قافلة مقبلة بالسرور والطرب
ترى محيا الإمام مبتسماً يجلو سواد الخطوب والنوب
رؤيته والهلال واحدة ولو يغيب الهلال لم يغب
إن يحتجب في صوارم وقنا فليس عمن دنى بمحتجب
إمام صدق بدت فضائله منزه العرض طاهر الحسب
أنمله بالكتاب قد شغلت عن لمسها للجين والذهب
أنت الإمام الذي بدولته ينقذ الله صالح العرب
ما بال أرباب قاعة نفروا وأمعنوا في الفرار والهرب
لما رأوا راية الإمام بدت على الكثيب اليفاع من كثب
وأنت كالغيث ما أتى بلداً إلا اكتسى بالنبات والعشب
وكان فرض الوصول يلزمهم لو كنت في الساحلين أو حلب
ما خوف قوم على ضلالتهم يدعون عن رغبة وعن رهب
ترعى سوامر النجوم أعينهم للفجر من طالع ومغرب
يفر ذو فرية وفاحشة وكافر جاحد لكل نبي
عيت علينا الظنون والتبست ما بال هذا الفرار والغضب
أنت ابن سبط النبي وارثه هل وارث منهم لغير أب
يا أيها الناس ليس ذا عجبا بلى وربي وأيما عجب
اصبر كآبائك الأولى صبروا فأيما راحة بلا تعب
ليس عَلِيّ عَلَى إمامته نص النبي الأمين في الخطب
وأنكرت فرقة إمامته فلم تصب رأيها ولم يصب

وفي جمادي لك الفتوح بدت فظل[1] جمادى بها إلى رجب
واستقبل المغربين مفتتحا بجحفل ذي بوارق لجب
فمسوراً حد إلى يراع إلى حراز[2] إلى ربا خُلَب

ولما استقرت الأمور الإمامية بهجرة قاعة، وأقبلت الهجر التي حولها بالطاعة والدخول فيما دخل فيه أهلها من مبايعة الإمام عليه السلام، والخروج من الكفر إلى الإسلام، والبراءة من دين المطرفية، وبايعوه على ذلك، وأعطوا الله تعالى صفقة إيمانهم على الوفاء ببيعتهم؛ نهض عليه السلام في لقاء السلاطين أهل مسور إلى موضع يسمى بيت علمان. فاجتمع هنالك بشر كثير فتكلم معهم في أمر المطرفية وعندهم منهم عدة وافرة، وهم ينتحلون نحلتهم، ويرون رأيهم. فذكر لهم الإمام عليه السلام كفرهم وردتهم وأحكامهم. فكبر ذلك وعظم عندهم ما نسبه إليهم. فتحدث السلطان إسماعيل بن الأمير وهو كبيرهم في السن ومقدمهم في المذهب، وقال في أثناء حديثه وذِكر المطرفية: يا مولانا إنهم شيعتك وشيعة آبائك، فقطع الإمام عليه السلام كلامه عند ذلك وقال: لا تغلط يا سلطان فليسوا بشيعتي ولا شيعة آبائي، وأنا بريء منهم وهم براء مني. وكيف تنسبهم إلينا وهم كفار مرتدون في دار الإسلام، وبين لهم ردتهم وكفرهم. وسأله عن اعتقادهم فاعترف به وأوضح له فساده فالتزمه. وسأل حينئذ الأمان لشيخهم الفضيلي - وكان عنده في هجرته بمسور - وإيصاله للمناظرة، فمن كان معه الحق رجع الكل إليه. فعقد له الإمام عليه السلام الأمان مدة يومين فإن لم يصل فيهما فلا أمان له، فلم يصل.

وكان بين أهل مسور وحمير حروب ودخول فأصلح بينهم، وسأله

(١) في الأصل (فضل).
(٢) في الأصل (حراراً).

السلطان صعصعة بن محمد بن الحسين القدوم إلى مسور، واجتهد في ذلك أشد الاجتهاد. وكان الإمام يريد طيافة حصن بكر حماه الله تعالى لأنه لم يكن دخله قبل ذلك. وكان للأمير عماد الدين عناية شديدة في وصول الإمام عليه السلام إليه، وطيافته البلاد؛ ومكاتبات كثيرة. فآثر القدوم إلى بكر، ووعد السلاطين بالوصول عقيب ذلك.

قدوم الإمام عليه السلام بكر حماه الله تعالى:

كان قدومه إليه في يوم الأربعاء لتسع خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة، ولبث فيه أربع عشرة ليلة، ولم يكن مراده الإقامة طول هذه المدة. فلما قدم إليه أقبلت أهل المغارب للسلام عليه، وقد طال عهدهم به من أيام كوكبان وفتح صنعاء. فلم ير بداً من الوقوف لتفقد البلاد وأهلها، والنظر في إصلاح أمورها وقطع شرورها.

وكان بين أهلها حروب وقتول، والشر بينهم قائم، وفي تلك النواحي من المطرفية خلق كثير. فأمر الأمير عماد الدين بالنزول إلى جهة المغرب، وبعث معه قطعة من العسكر الرجالة، فطاف البلاد وأصلح بين أهلها، وساقهم إلى الإمام عليه السلام إلى حصن بكر، فغطى أحوالهم، وأصلح بينهم، وقبض بيعتهم.

واضطربت أحوال المطرفية في تلك النواحي، وكان لهم شيخ أعمى يطوف المشارق والمغارب، ويغرس مذهب الكفر في الأباعد والأقارب، ويعلم النساء والصبيان، ولا يفتر عن طيافة البلدان لإظهار مذهب المطرفية ونشره بقوة عزيمة وصدق نية. وكان في هجرة من هجر المغرب وهو يظن أنها تمنعه، فلم يتحول منها إلى غيرها على ما جرت به عادة المطرفية؛ فإن الإمام عليه السلام كان إذا أقبل إلى جهة، أجلوا عنها مع الفواسد

المتوقفات. وأتى إليه قوم يطلبون لهذا الأعمى الأمان فلم يؤمنه، وأمر في الحال جماعة من الديوان لقبضه، فأحاطوا به في المنزل الذي هو فيه وقد ووری عنهم في جر[1] مظلم. ولم يرد أحد من أهل تلك الهجرة[2] [أن][3] يطلعهم عليه، واجتهدوا في ستره وكتمان أمره. فطلبه الديوان، واستقصوا في طلبه، فأوقعهم الله عليه بعد اليأس منه. فقادوه كما تقاد الضبع من وجارها[4] حتى أتوا به إلى موضع تحت بكر في الشعب الذي يسلك فيه إلى قرية العدو[5]، واستوردوا أمر الإمام فيه فأمر عبداً من مماليكه فضرب عنقه، ودفن في موضعه، وجعل عليه رزم من حجارة لا رحمه الله.

ولما قتل أقبلت المطرفية من هجرها في جهة المغرب أفراداً وأزواجاً، ودخلوا في دين الله أفواجاً. وجاء كتاب أهل وقش يذكرون فيه اعتقادهم، وهو نفس مذهب أهل الحق واعتقاد المخترعة العدلية، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، بل هو إلى التصريح بالحق أميل. وقالوا هذا مذهبنا واعتقادنا، فمن نسب إلينا غيره أو روى عناخلافه فالله تعالى ينصفنا منه، ولا نجعله في حل. ﴿ يقولون بأفواهم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾[6]. وهذه سيرتهم إذا اشتد الأمر عليهم جحدوا اعتقادهم،

(١) الجر: الوهدة من الأرض. والجر أيضاً جحر الضبع والثعلب وغير ذلك.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: جرر.

(٢) في الأصل (الهجر).

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٤) الوجار: جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك، والجمع أو جره ووجر.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: وجر.

(٥) العدو: قرية على مسافة كيلو متر واحد غربي حصن بكر. وتقع ما بين ٢٠" ٣٢' ١٥° شمالاً، ٤٣" ٤٧' ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ى، ١ : ٥٠٠٠٠، صفحة 1543B4

(٦) سورة آل عمران، آية ١٦٧.

وأظهروا للعامة خلاف مذهبهم خشية فضوح الدنيا.

وأتى شعر من ابن النساخ وهو شاعرهم وأشدهم بغضة، وأكثرهم أذية في الهجو. وقد تقدم ذكر تصريحه بمذهبهم الذي في مقصورته التي أفحش فيها، وطلب في شعره هذا عطف الإمام عليه السلام وعفوه عما سلف من الإساءة قال:

نصابك أهل العدل والعفو والحلم ... فمن يعف إن لم تعف أنت عن الجرم
وأنت نجيب العترة الطاهر الذي ... غذيت التقى والعلم قبل مدى الحُلم
وأنت ابن قدموس[1] الهدى ووصيه ... وأنت الذي تعزى إلى الحلم والعلم
وشيعتكم لم يكفروا بشريعة ... ولا كان منهم ما يقولون من إثم
ولم يهتدوا إلا بكم وبهديكم ... تحاشيك أن يرضى لهم منك بالهضم
ولم يكثروا حتى تقل عديدهم ... وتقطع عضواً منك للجرح ما يدمي
إذا لم يكن إلا القصاص فجرح ما ... جرحت جبار بعدما كان كلم
وقد نقلت عني الوشاة مساوئاً ... وكانت وبيت الله مني على رغم
تكلفتها لما رميت بمعضل ... ولم يخف عنكم ما تقدم من ظلمي
ولولاه ما فاهت لساني بمرة ... ولا كان إلا للمعادي لكم يرمي
يقولون أنا لا نقول بفضلكم ... يحيل ظن لا يحقق بالوهم
لقد قل من يعزى إلى الحق بعدما ... رمى ثغره من الرمية ما يصمي
رغبت إلى العفو الذي أنت أهله ... إذا كان للجانين عن جهلهم يحمي
ومن يعتذر تمحو المعاذير ذنبه ... لدى العرب العرباء والفرس والعجم
وقِدْماً عفا المختار جدُّكَ أحمدُ ... عن[2] ابن الزِّبَعْرَى[3] في العظيم من الجرم

---

(١) القدموس: الملك الضخم، وقيل هو السيد. والقدموس بمعنى العظيم، والشديد، والمتقدم، والقديم.

ابن منظور، لسان العرب، مادة: قدمس.

(٢) في الأصل (على).

كفـاني بـأني مستقيـد إليكم أريد اغتفاراً للمسـاءة بالحلم
كأني بذي زعم يقـول بأنني أخاف الذي خوّفتموه من الحتم
ولا غرو أني خفتُ سطوة قادر ولا عيب للإنسان في الأخذ بالحزم

وللقاضي عمرو بن علي العنسي ذكر فيه وقعة عقار ورجوع المطرفية، وأنشد بحصن بكر قال:

حَنّتْ ظفار وأبدت عَبْرةً وشجى لمّا حوى شخصك المُحْيي الورى بكر
شخصاً أقام قناة الدين واعتدلت فالكفر مضطهد والعدل منتشر
ولو مشت قبُل أرض نحو ثانية جاءت إليك حصون الأرض تبتدر
وغارت الشم همدان وخالطها إذ يبت وجد عظيم الشان مستعر
وفاز حمير لما زرت أرضهم وعـاينوا بشـراً مـا مثله بشـر
أزلت عن أرضهم حبلين جهلهما بادٍ ودينهما الإلحـاد والقـدر
كسرت بالسمرجمع الدارعين كما كسرت بالعلم أديان الأولى كفروا
فللرماح انحطام في ظهور أولى وللبراهين إيناس الأولى نفروا
وتاب قوم ففازوا بعد كفرهم وأظهروا لذي الألباب ما ستروا
وَفَرَّ عنك أناس لاخلاق لهم كما تفر عن الضرغامة الحُمُرُ
أقمت في الأرض عدلاً لم يقمه على طول العناء أبو بكر ولا عمر
أغاب عنهم معالٍ منك واضحة فكيف والشمس لا تخفى ولا القمر

= (٣) في الأصل (الربعي).

ابن الزبعرى بن قيس بن عدي أحد شعراء قريش المعدودين. وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش. ثم أسلم بعد ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم إسلامه وأمنه يوم الفتح.

انظر، الأصبهاني، الأغاني، جـ ١٤ ص ١١؛ ابن حجر، الإصابة، جـ ٢ ق ١ ص ٣٠٨.

الجمحي، طبقات فحول الشعراء، جـ ١ ص ٢٣٥ ـ ٢٤٢.

كم موقف لك في الإسلام كنت به ... في الجيش جيشاً وليل النقع منعكر
وكم جلبت جياد الخيل حاملة ... قـوماً مقـاديم لا يثنيهم ذهر
وكم أعدت جنود الظلم ناكصة ... والنقع يصعد والهامات تنحدر
وكم لهيف ومظلوم ومضطهـد ... أمسى بـدولتك الغـراء منتصر
ورب ركب أناخوا في دارك ... عنهم محياك ما عانهم السفر
وكم يجلى بك المعنى اللطيف وكم ... أدى بديهك ما عيت به الفكر
عاد الأعادي بسلم بعد أن علموا ... أن الأمور التي يرجونها خطر
وعاينوا في عقار ما أبان لهم ... بأن بيضك لا تبقي ولا تذر
راموا خداعك والأيام ضـامنة ... بأن جندك غلاب ومَنتصر[1]
ورب قـارع سن بعـد زلتــه ... ورب ذي حذر لم ينجه الحذر
سيجتني الغارسون الخير غرسهم ... وغارس الشر لا ينجيهم وزر
اسلم بقيت أمير المؤمنين على ... رغم الحسود فداك البدو والحضر

وله يهنىء الإمام عليه السلام بشهر رجب ويذكر فيه مسور[2]:

كـل شهـر وكـل عـام يُهنَّى ... بك يا من كسا الزمان جمالا
رجب جاء وهو يقضي بنصر ... يترك الأسد الضاربات رجـالا
لك فيه الدعاء جند مع الجنـ ... ـد يـذيق المعـانـدين وبـالا
لم دائمـاً لـك النسـك فيـه ... فلو استـطاع أن يقول لقـالا
لا أرى كابن حمزة القائم المنـ ... ـصور أزكى الورى جميعاً فعالا
حافظ الدين والمكارم والفضـ ... ـل ومفنى الأعـداء والأمـوالا
فاز قوم أصبحت فيهم فوالو ... ك ولم يـظهروا ريـاً ومحالا
وشقى آخرون قد عاينوا الرشـ ... ـد فحادوا عنه وأموا الضلالا

---

(١) في الأصل (مضطهر).
(٢) في الأصل (سورة).

وتسلمت مسوراً فكساه اللـ ـه نوراً لا ينقضي وجلالا
حل فيه الضرغام في صورة اليد ر فأمست له النجوم نعالا
كل أرض لها إليك اهتياج واشتياق حنينه يتوالا
فاقسم الود إن شيمتك العدل وأبلغ مودك الآمالا
واصرف الخيل للسهول سريعاً فهي أضحت تشكوا إليك الجبالا
أنت عودتها الطراد فأمست تقتضيه ولم تشك الكلالا
هي أحيت دين الإله وكانت لمعادي الإله داءً عضالا
وأعاد القليل منها جنود الظا لمين الكثيرة العذالا
ولكم هارب من الحق أدبته ولم يلحق ملجأً ومجالا
يفعل الرأي منك والسعد فعلاً تعجز البيض والقنا العسالا

قدوم الإمام عليه السلام إلى مسور[1]:

لما قضى الأشغال بحصن بكر حماه الله تعالى، وأصلح عمارته [2]، نهض في العسكر فأمسى في قرية يقال لها بيت الأبذر من أوطان حمير، فلما أصبح قدم إليه المشايخ أهل ثلا في جماعة من المطرفية الذين هم بهجرة العين [3]. وكان من قرابة المشايخ أنفار قد اعتزلوا إليها، وسلكوا منهاج المطرفية في الاعتقاد، ومالوا عن طريقة الرشاد فحاربهم، ومنهم شيخ المطرفية وعالمهم وعابدهم أبو وهان لمناظرة الإمام عليه السلام،

(١) الأحداث المتعلقة بقدوم الإمام إلى مسور مكتوبة في هامش المخطوطة بخط غير واضح.

(٢) في الأصل (معارته).

(٣) العين: قرية من عزلة الخميس، ناحية ثلا. وتقع في وادي ضيان على بعد ٢٥٠٠ متراً شمال مدينة ثلا.
التعداد السكاني التعاوني لمدينة صنعاء، جـ ١ ص ٢٠٤؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543B4.

فقصدوه إلى خيمته. وأقبل الناس عند وصولهم من كل ناحية حتى غص المكان بالزحام، وتطاولت الأعناق إلى أبي وهان، وأشارت إليه بالبنان [1]. فأورد مسائل الخلاف التي بين المخترعة والمطرفية، ولم ينسبها إليهم، ولا أظهر أنه يقول بها ولا يعتقدها. والإمام عليه السلام ينقلها مسألة مسألة بالأدلة الواضحة التي يعرفها الخاص والعام، فيظهر قبول الحجة، ويعرف ذلك في محضر الناس بأنه [2] الحق حتى أوهم الحاضرين أنه قد خرج من مذهبه لما رأوا عنده من اللطف والانقياد والمساعدة.

فلما انقضى ذلك المجلس دعاهم الإمام عليه السلام إلى البيعة، فاعتذر بأنه يريد التبصر والنظر، وبايع من أصحابه من حضر على طاعة الله تعالى وطاعته، والأمر بالمعروف والنهْي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وموالاة وليه، ومعاداة عدوه، ولعن المطرفية والبراءة منهم، والخروج من مذهب الكفر إلى دين الإسلام، والدخول في مذهب الإمام ومذهب آبائه عليهم السلام. فبايعوا على ذلك، وأخذ كل منهم أماناً في رقعة بهذا اللفظ تكون معه أينما توجه خوف القتل والأخذ لما ظهر في الأقطار من إباحة سفك دمائهم، وأخذ أموالهم، فاضطروا إلى أخذ الرقاع في كل ناحية بهذا اللفظ المتقدم.

ونهض الإمام عليه السلام إلى مسور، وسار أبو وهان، وعرض العسكر يريد نصرة أصحابه من المطرفية الهاربين من هجرة قاعة إلى جبل مسور، ولم يكن لهم مفزع من البلاد إلا إليه، ولا أمان قبل أمانهم فيه. وكبار أهله يتعصبون في حقهم مقلدون لهم في اعتقادهم، منهم السلطان

---

(١) في الأصل (البنان).

(٢) في الأصل (أنه).

زريع بن حسين، وإسماعيل بن منصور في طائفة من أصحابهما. فلما هبط الإمام عليه السلام نقيل المجرد تلقاه السلاطين أهل مسور بجمع كثير إلى أسفل النقيل، وساروا بالخدمة بين يديه. وسار حتى أتى منازل بني أزد [١] وهي أقربها، وأهلها أقرب إلى الطاعة والمحبة، فأمسى ليلته عندهم على أبلغ بر وأوفى كرامة. فلما أصبح نهض إلى منازل بني عبد الحميد فنزل بدار السلطان صعصعة بن محمد بن الحسين بجدم الدحجل [٢]، ولبث بها خمسة أيام بعد أن استدعاه السلاطين بنو مالك إلى منازلهم بعبقان [٣]، وكل منهم يلتمس بركة قدومه إلى وطنه وضيافة عسكره. ثم رجع إلى الدار بجدم الدحجل فقعد في ساحتها، وأقبل السلاطين أهل الجبل، زيع بن حسين، وإسماعيل بن منصور في جمع كثير، ومعهم أحمد بن سعد الفضيل شيخ المطرفية وكبيرها، وكان الإمام عليه السلام قد أعطاهم له الأمان.

وحكى لي حمود بن أبي الفضل وهو ثقة فيما رواه أن الفضيل أراد النصر من جبل مسور فلما [٤] بلغه العلم بقدوم الإمام عليه السلام، أراد [٥] المغادرة [٦] هرباً من الحضور للمناظرة، ودفاعاً عن الانقياد

---

(١) بنو أزد من بني عبد الحميد، وهم أهل عبقان من عمل مسور. مسلم اللحجي، أخبار الأئمة، جـ ٤ ص ٢٨٠.

(٢) الجدم: عزلة بنا حية مسور.
التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ١ ص ١٤٨ - ١٤٩؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥. والجدم موقع بعزلة الكريبي، شرقي وادي عيال علي. ويقع ما بين: ٥٨" ٣٣' ١٥° شمالاً، ٤٨" ٤٢' ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543B3.

(٣) عبقان: قرية من عزلة جستمر، ناحية مسور.
التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥؛ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦.

(٤) في الأصل (لما).

(٥) في الأصل (يريد).

=

للحق، ولما يخشاه من سقوط المنزلة. فمنعه السلاطين من ذلك، وقالوا: لا عذر لك من الوصول للمناظرة. ثم غلب على أمره [1] فاعتذر بالخوف، فلم يعذروه حتى جاءوا به وقد قعد الإمام عليه السلام في خيمة قد ضربت قدام الدار، واحتشد الناس إليه من كل ناحية يريدون الإطلال على ما ينقضي عليه الأمر. وارتفعت أصواتهم وكثرت حركاتهم، فأمرهم الإمام عليه السلام بالسكون وغض الأصوات.

فلما سكنت الرعاع، وكف المنازع فتح الكلام بحمد الله والثناء عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه. ثم ذكر طرفاً من أمور المطرفية، وعقيدتهم الرديئة وردتهم بحسب ما تحمله الوقت لكثرة ازدحام الناس. فقام الفضيل متكلماً جاحداً مذهبهم، منكراً لاعتقادهم. ونطق في ذلك الجمع بما مقته الله تعالى عليه ومن عرف اعتقادهم ممن حضر ذلك المقام من المطرفية وعلماء الإسلام.

قصة قدوم الإمام عليه السلام حصن حقل حماه الله تعالى وأسباب ملكه له:

ولم يكن دخله قبل ذلك، ولما [2] أصلح أحوال بلاد الطرف وقرر أمور أهلها نهض منها بعد انصراف الأميرين صفي الدين محمد بن إبراهيم، وعلم الدين سليمان بن موسى بعسكرهما وخيلهما كل إلى جهته لتفقدها وإصلاحها، وقبض الواجبات فيها. فأمسى عليه السلام بقرية السود [3] من بلد بني شاور. وقدم إلى حقل حماه الله تعالى يوم الجمعة

= (٦) كلمة غير مقروءة في الأصل.

(١) كلمة غير مقروءة في الأصل.

(٢) في الأصل (لما).

(٣) السود: قرية من عزلة بني هنان، ناحية السود، قضاء عمران. التوزيع السكاني في =

لتسع خلت من رجب من سنة ثلاث وستمائة، وأقام أربعة وعشرين يوماً. وكان للأمير صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة عناية عظيمة متقدمة، ومكاتبات كثيرة يعول فيها على الإمام عليه السلام في طيافة هذا الحصن، وتفقد البلاد حوله، والشدة على المفسدين فيها، فلم ير بداً من مساعدته.

وكان الوالي به القاضي ركن الدين يحيى بن جعفر بن أحمد بن أبي يحيى، وكانت له عناية في أخذه، واجتهاد في تقوية الحق بملكه، ودخل الحقالية وهي قلعة متصلة بالحصن حاكمة عليه يوم الثلاثاء لإحدى وعشرين ليلة خلت من المحرم أول سنة اثنتين وستمائة. وكانا جميعاً بأيدي قوم من جنب، وهما مما أثار علي بن محمد الصليحي عمارتهما وأسسهما، وهما من الحصون المشهورة في الجاهلية. وذكر في كتاب همدان أنه الذي انحازت إليه همدان من الحبشي لما ملك اليمن، وهما من الحصون المتناهية المعدودة في حصون اليمن.

وكتب لي القاضي قصة أخذهما في قرطاس قال: لم يزل مجتهداً حتّى أدنى جماعة من جنب وأصلح شأنهم، منهم صبره بن عواض، وجحفل بن جابر، وأمرهم بلزم الحقالية، وبذل لهم المنافع. وتوجه إلى جهة الإمام عليه السلام، وعاد فأمسى بقرية السود. وأتاه الخبر باستيلاء الجماعة على الحقالية وإجماع العشائر عليهم لحربهم، فأزعجوه للقدوم إليهم والمادة لهم. فبعث القاضي أبو الفتوح بن عبد الحميد في جماعة ممن حضره فدخلوا المكان. وكتب إلى الأمير عماد الدين فأمدّه برجال، ونهض بعد ثلاثة أيام من قدوم القاضي أبي الفتوح في مائة وخمسين رجلاً، فقطع القلعة واستولى عليها، واستحكم أمره فيها. وكان لرجل من

= محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٨٩؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٤٩٩؛ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥.

الأقهوم يسمى حنابر بن مسلم اجتهاد شديد، وتأنيب للعشائر، وقيام في الحرب، [وتأييد] (١) للغز (٢). وبذل لأهل الحقالية ثلاثة آلاف دينار في إزالة يد الحق عنها، فلم يتمكن من مراده. وطال عليه الأمد فانقطعت مادة فساده.

وأقبل الأمير عماد الدين في عسكر ودخل حصن حقل، ونفر أهل الفساد عند قدومه وانحازوا إلى حصن العادي من تحت الليل. فجهز الأمير في إثرهم مائة رجل من جياد عسكره فوقعوا على خمسة رجال من خيارهم، فقبضوا عليهم وأحاطوا بالحصن، وقطعوا موادهم من العشائر حولهم. ثم أتى إلى الأمير من كبارهم رجل يقال لهم عواض بن قب، وهم على الخلاف والحرب بغير ذمة ولا أمان. فأمسكهم ونهض في العسكر الذين معه، واستنفر الناس من كل ناحية فأحاط بحصن العادي، وحارب أهله حرباً شديداً حتى أيقنوا بالهلاك، فنزلوا على حكمه. فمن عليهم بسلامة أرواحهم، وفك أسراهم. وهدم موضعاً يسمى درب الكراث كان يأوي إليه المفسدون، واستحكم الأمر، وخمدت نار المعاندين.

ولما استقر الإمام عليه السلام بحقل والحقالية، وظهر علم قدومه إليهما في المغارب أقبلوا إليه من كل ناحية، رغبة ورهبة. الظالم خشية سطوته، والمظلوم يريد استيفاء مظلمته. وكان الفساد قد شمل، والعدوان قد اتصل. وكان أكثر تلك الناحية فساداً، وأكثرهم عناداً حنابر بن مسلم الأقهومي، قطع السبل، وأخرب البلاد، ونفى أهلها عن مساكنهم، والتأم إليه كل مفسد. وحاربه القاضي يحيى بن جعفر لما أظهر الخلاف على الإمام عليه السلام حتى ضاقت عليه الأرض فالتجأ إلى الصلح. وأتى إلى

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة.

(٢) في الأصل (والغز).

الإمام عليه السلام إلى حصن ظفار مستسلماً منقاداً نازعاً يده من معصيته، فألزمه دية قوم كان قد قتلهم في بلد الأقهوم يقال لهم بنو الحملاني وأخرجهم من منازلهم بموضع يسمى قرن اليهودي [1] فالتزم ذلك، وألزم الطاعة والنصيحة. واستحلفه الإمام عليه السلام على ذلك. وكان من أول من قدم إليه إلى حقل، وحضر وخصماؤه بنو الحملاني مع مشايخ شظب، الحرمي ويوسف ابني النفيل الهملي، والقاضيين الصلى بن يعقوب، وأحمد بن عبدالله الهارونيين، ووهان بن الشظبي الشهري. وكانوا عندهم طرائد [2] في قدر سبعين نفساً ما بين صغير وكبير وذكر وأنثى، شردهم من منازلهم، واستولى على أموالهم، وتركهم عيالاً. فطالبه الإمام عليه السلام بردهم إلى أماكنهم، ودية القتلى، وتسليم حصن مدرج [3] وبلاد الأقهوم، وتلقاه أهلها بالطاعة. وكان غرضه جمع العساكر لميعاد أهل شظب فعاق عن ذلك القحط الشديد وعدم الماء، فخشي على الناس التلف من الظمأ. فضرب لأهل شظب ملقى حضره مشايخ بني حجاج [4] وأهل الجبل وكانوا قد خالفوه إلى الإمام عليه السلام بعد مراح أصحابهم إلى شظب

---

(١) قرن اليهودي: قرية على بعد ٦ كم جنوب شرق مدينة السودة، وتقع ما بين:
٢٥″ ٥٥′ ١٥° شمالاً، ٤٣″ ٥٩′ ٤٣° شرقاً.
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، قطعة 1543B2.

(٢) في الأصل (طرداً).

(٣) بيت مدرج: محلة من قرية الأكهوم الأسفل، عزلة الأكهوم، ناحية جبل عيال يزيد، قضاء عمران.
التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٣٠٣.

(٤) بنو حجاج بن قدم بن قادم من قبائل حاشد. سُمّي بحجّاج بلد من أعمال السودة يسكنه بنو حجاج في جبل شظب. وقرية بني حجاج من عزلة ناشر، ناحية السودة.
الحجري، مجموع بلدان اليمن، جـ ٢ ص ٢٢٩؛ التعداد السكاني التعاوني لمحافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٥٠٩؛
خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543B2.

منهم عمران بن يوسف الأزرق، وحجاج بن عبد الخالق، فسلموا الأمر ودخلوا في الطاعة وبايعوا عليها.

وتكلم معهم الإمام عليه السلام في أمر المطرفية، وهم عندهم في جبلهم في هجرة الظهراوين، وبين لهم فساد اعتقادهم وكفرهم وردتهم، فعرفوا ذلك. فأما سائر أهل شظب فكانوا قد نفوهم وأخافوهم في بلادهم، وقطعوهم [(١)] من أسواقهم، ولم يبق لهم مفزع إلا [(٢)] هذا الموضع. فوعدوا من أنفسهم بنفيهم.

فلما حضروا ملقى الأمير عماد الدين، ورأى أن تغطية البلاد ـ لضيق الوقت وعدم الماء ـ أولى، فَجَدَّدَ عليهم الأيمان، وأكّد العهود على طاعة الإمام عليه السلام، والانقياد لأمره، ونفْي المطرّفيّة والفواسد من مخاليف شظب، فبايعوه على ذلك، وأعطوا العهد على الوفاء به.

وانصرف عنهم راجعاً إلى حقل حماه الله تعالى. وجاءت البشارة من الشيخين الحرمي ويوسف ابني النفيل بالاستيلاء على حصن النعل [(٣)] وأخذه للإمام [(٤)] عليه السلام، وقيام أهل شظب لحربهما، وإجماعهم عليهما. وطلبوا المادة بمال ورجال لحفظ المكان، فأمر جماعة قدر [ ] [(٥)] رجلاً بقوامهم صدروا من تحت الليل فأصبحوا في الحصن

---

(١) في الأصل (وقطعهم).

(٢) في الأصل (إلى).

(٣) لا يوجد تحديد دقيق لموقع هذا الحصن إلا ما ذكره المؤلف بأنه يسيطر على جبل شظب، كذلك ذكر في مصدر آخر بأنه بالقرب من شظب. مسلم اللحجي، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية، ص ٥٣ أ.

وركن البعل: محلة من قرية بيت شملان عزلة الرحبيني ناحية السود. التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢، ص ٢٨٤.

(٤) في الأصل (الإمام).

(٥) بياض في الأصل، ولم يذكر عدد الرجال.

وهو باب شظب ومفتاحه، وكان يأمر بإمدادهم من جهة غربان بما يحتاجون إليه.

قصة الحرب على حصن سيد[1] وفتحه:

وَلّى الأمير عماد الدين فيه رجلاً من بني خبيش [2] يقال له فليتة بن أحمد الطريد، وأعطاه من البلاد ما يقوم به، فطمع في الحصن، وخالف وآوى المفسدين إليه، وقطع السبل ونهب البلاد حوله والأودية وأقفرها، وعظم فساده. فأمر الإمام عليه السلام بديوان، وأنفق عليهم لحربه ودفع بعض شره، وحفظ ما أمكن من البلاد. فلبثوا مرابطين على ذلك قدر ستة أشهر حتى ضيقوا عليه وأتعبوه. وتجهز الأمير عماد الدين لحربه والمحطة عليه لينال غرضاً، أو يأخذ موضعاً بالقرب من الحصن يسمى الشتا، فتكون الرتبة فيه لمضايقتهم وقطع موادهم. فجمع عسكراً موفوراً مؤيداً منصوراً، ونهض مستعيناً بالله على حرب أعداء الله وقطع فسادهم. وكان عند إقبال العسكر أقبل إليهم أعوانهم من المفسدين، فلزموا موضعين تحت قلة [3] الحصن لم يكن أحد يطمع بالوصول إليهما، وفيهما أمتعتهم وحبوبهم أحدهما هذا الموضع المسمى بالشتا، والآخر يسمي بنو الجهمي، وهما في موضع وعر المرتقى صعب المسالك. فلما دنى العسكر منهم واستعدوا لقتالهم، وشرعوا لصعود الجبل نحوهم، قذف الله تعالى في قلوب أعدائه

---

(١) سيد: قرية وجبل من عزلة بني منصور، ناحية السودة، على مسافة ٤ كم جنوب السودة. التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٩٦؛ خريطة ج. ع. ي، ١: ٥٠٠٠٠، صفحة 1543B2.

(٢) ربما كان المقصود بني جيش، وهي قرية من عزلة بني ناشر، ناحية السودة. التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، جـ ٢ ص ٢٩٩.

(٣) القلة: أعلى الجبل. وقلة كل شيء رأسه.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلل.

الرعب، فركضوا من الشتا منهزمين إلى الحصن ولاحمهم جند الحق فقتلوا منهم رجلاً وحازوه، وجرحوا آخرين. واشتغل الناس بأخذ الآلات وحمل الحبوب، فهبطوا عليهم فأزاحوهم عن القرية، ووقعت عركة في العسكر، فعطفت عصبة من الديوان ورجال بني خبيش يرمون بالنشاب، فوقع قتال سحيح [1] في مساقط الحصن. وشمروا أعداء الله من القرية حتى صارت خلفهم، وأتموا عليهم بالنبل العربية والنشاب. فصاروا يجتمعون على الصخر الكبار فيحدرونها على العسكر كأمثال الجبال من أعلى الجبل، وهم في موضع صعب لا يحسنون الاتقاء فيه ولا الانحراف عنه، فتتفرق عنهم تلك الصخور الكبار يمنة ويسرة، وما أصابهم منها بأس بفضل الله تعالى ودفاعه.

ولقد حكى بعض من حضر أن رجلاً من بني خبيش أُصيب بحجرٍ في رأسه، فعثر منها، فرمى به الحيد [2] مراراً حتى مر برجل فصرعه. بدروه [3] واعتماده [4] - ثم انحدر في الجبل والناس ينظرون كيف ينفصل آراباً [5]. فلما انتهى إلى أسفل الجبل بحيث يستقر على جنبه، نهض بقدرة الله تعالى حياً سوياً. فعجب الناس من أمره. وملكوا بعد القتال

---

(١) السحيح: الشديد الذي يسح البلاء.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: سحح.

(٢) الحيد: ما شخص من الجبل واعوج.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: حيد.

(٣) دره على القوم: هجم من حيث لم يحتسبوا.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: دره، مادة: درأ.

(٤) اعتمد على الشيء: توكأ.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: عمد.

(٥) الآراب: قطع اللحم.
ابن منظور، لسان العرب، مادة: أرب.

القريتين، وتغنموا ما كان فيهما، واستقرت المحطة عليهم خمسة أيام ولياليها والحرب قائمة.

وكان لأهل الحصن ماء يشربون منه في موضع صعب، فأمر الأمير جماعة فمنعوهم من وروده فكادوا يهلكون عطشاً، فسعوا في الخطاب. فأذن الأمير لعمرو بن مالك الحارثي في القدوم إليهم والتماس ما هم عليه، وهبط للخطاب عليهم. فرأى الأمير تغفيل الكلام في الخطاب في ذلك اليوم، وشدد في الحراسة على الماء ومنعهم منه في تلك الليلة.

فلما أصبح وصل منصور بن محمد المغثور في عسكر كبير من بني شاور، واجتمع به مشايخ بني شاور منهم عامر بن الدحامس، وعمر بن مالك، وحنابر بن مسلم. وأجمع رأيهم على السقوط في يدي الأمير، وطلب الفسح لهم في الخطاب، وقد أصاب أهل الحصن ضر شديد من مداومة القتال وقلة الماء. فأذن لهم فطلع منهم جماعة إلى الحصن، فأمسوا ليلتهم. فلما أصبح سألوا الكف عن القتال، وانحدروا ومعهم صاحب الحصن فليتة بن أحمد بن الطريد وقد ربط رداءه في عنقه، وقاد نفسه بيده حتى أتى الأمير إلى مجلسه، فألقى نفسه بين يديه، وقبل أرجله وسأله الصفح، وتشفع بالحاضرين في العفو عنه. فقبل الأمير شفاعتهم وعفا عنه، وسأله تسليم رهينتين فسلمهما، وسمع وأطاع، وأقره الأمير في الحصن لحفظ روحه فيه من أهل البلاد التي حوله، وقد كان أساء إليهم.

ورفعت المحطة عن الحصن بعد خراب القرى والمعازيب التي حوله، وأخذ المدافن والآلات والحبوب التي كانت فيها. وانقطع الفساد والشر من ذلك الموضع، وأمن أهل الأودية من شره، وعاد كل منهم إلى محله.

وجاء كتاب من القاضي عمرو بن علي العنسي وأبيات يذكر فيها

طول الإقامة بحقل، ويحض المبادرة لفسادٍ حدث من أهل الجوف قال:

يا من غدا بعد الإله ذخيرة	للخلق في طلب وفي مأمول
حسنت بك الأيام فهي نضيرة	يزري بزهر حديقة مطلول
أعززت فيها الأتقياء وحطهم	وأهنت أهل الفسق والتعطيل
ورأى الأنام فضائلاً لك لم يكن	أحد يعاينها لغير رسول
فبكل قلب لوعة وتشوق	والصبر عن لقياك غير جميل
كل البلاد لها إليك تشوق	لا ينقضي في بكرة وأصيل
لو تستطيع شكت إليك ولوعها[1]	وأتت مبادرةً بدار عجول
وأراك في حقل حليف إقامة	والليث لا يرضى لزوم الغيل
طال افتقادك للبلاد وسكنها	فاثن الجياد إلى افتقاد سهول
قدها إلى جوف المحورة[2] شزباً	تهدي الحمام لناكث مخذول
جحدوا صنيعك يا ابن بنت محمد	فأجب[3] إليهم عاجل التنكيل
واجعلهم جزر السباع كغيرهم	واتركهم أدباً لكل قبيل
واسلم فداك من الورى من لم يزل	صبًّا إلى المشروب والمأكول
لم يعرف المعنى الدقيق ولا نبا	يوماً رعيلاً عن لقاء رعيل
أعجبته ورأى اليقين فَصَدَّ لا	يروي وعاد بفاسد التأويل

غزوة صور وفتحها وهي بلد في شِق بلاد الأهنوم ومساقط شهارة:

جاءت البشارة إلى الإمام عليه السلام إلى قلعة الحقالية بالاستظهار

---

(١) في الأصل (ولولها).

(٢) جوف المحورة اسم يطلق على جوف مراد.
الهمداني، الإكليل، جـ ١٠ ص ٨١.

(٣) في الأصل (فأجبت).

عليها وتغنُّم أموالها من الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، وذلك بعد انصرافه من حلملم عقيب وقعة عقار. وكانت هذه البلد عاتية متجبرة، لم يغزها أحد من الملوك فينتصر على ما حكاه كبار أهلها، كما حكى ذلك الأمير صفي الدين في كتابه. وكان الفساد فيها ظاهراً، وأهلها عاكفون عليه يشربون الخمور ويرتكبون الفجور، ولا يقومون للّه تعالى بواجب. وهم ممتنعون في بلدهم لا يخطر أحد منهم بباله أن أحداً يصل إليهم ولا يسطو عليهم.

ولما وصل الأمير إلى حوث ضم خيله وهي تداني الأربعين، ورجاله ومن انضاف إليهم من وادعة وبني صريم وعذر وبني حبتر. واجتمع معه زهاء خمسمائة راجل. ونهض يوم الأربعاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من رجب من سنة ثلاث وستمائة، وانحدر نقيل السوط قاصداً سهل ظليمة. قال فأردنا المحطة على موضع يسمى درب الحاكم فدخل صاحبه في الطاعة، وسلم ولده رهينة فيما يرسم الأمير. وبعث إلى أهل صور يلتمس منهم ضيفة للعسكر أو معونة فتمردوا وامتنعوا، وازدادوا في إظهار المنكرات، مراغمة واستخفافاً بالحق وأهله. فجمع الأمير عسكره، وأبلغ في وعظهم وتذكيرهم بالله تعالى، وحضهم على السكينة والوقار، والعمل بالبصيرة في الإيراد والإصدار، واتّباع أمره في الحرب أو الإمساك، وحَرّضهم على الجهاد، والصبر على الجِلاد فامتثلوا أمره، وانقادوا لحكمه[1].

---

(١) إلى هنا انتهى ما وجد من الجزء الثالث من السيرة المنصورية.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم عبد الرحمن
  شعر عبيد الله بن قيس الرقيات، القاهرة ١٩٧٧.
- إبراهيم بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد الحسيني اليمني الشهاري.
  طبقات الزيدية. مخطوط رقم ٢٢٦ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير، صنعاء.
- أحمد أمين وعبد السلام هارون.
  شرح ديوان الحماسة، القاهرة ١٩٦٨.
- أحمد بن يحيى بن أحمد بن علي ساري.
  الدر المنثور في أنساب السادة والشيعة بحوث. مخطوط رقم ٩٧ تاريخ وتراجم. المكتبة الغربية بالجامع الكبير.
- إسماعيل بن علي الأكوع.
  أ ـ «أفعول» الإكليل، العدد ٢، ١٩٨٠، ص ٩ ـ ٣٠.
  ب ـ البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، الكويت ١٩٨٥.
- الألوسي: محمود شكري.
  بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، القاهرة ١٣٤٢ هـ.
- إليا الحاوي.
  شرح ديوان الفرزدق، بيروت ١٩٨٣.

- بطرس البستاني.
قطر المحيط، بيروت عن طبعة ١٨٦٩ م.

- البكري: أبي عبيد الله بن عبد العزيز.
أ- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.
تحقيق مصطفى السقا، ١٩٨٣ م.
ب- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال.
تحقيق إحسان عباس، عبد المجيد عابدين، بيروت ١٩٨١ م.

- البلادي: عاتق بن غيث.
بين مكة وحضرموت، مكة المكرمة ١٩٨٢ م.

- أبو تمام.
الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي.
تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٩٨١ م.

- الجرموزي: المطهر بن محمد.
النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، مخطوط مصور، مكتبة اليمن الكبرى.

- الجمحي: محمد بن سلام.
طبقات فحول الشعراء.
قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٧٤.

- الجنداري: أحمد بن عبد الله.
الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز. مخطوط رقم ٢٥٢٤ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.

- الجندي: أبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب.
السلوك في طبقات العلماء والملوك.
تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع، وزارة الثقافة والأعلام ١٩٨٣، ١٩٨٩ م..

- الجمهورية العربية اليمنية.
أ- خريطة ١ : ٥٠٠٠٠٠، صنعاء، مصلحة المساحة ١٩٨٥.

ب ـ خريطة ١ : ٠٠٠ ٥٠ ، المملكة المتحدة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٨ .

ـ الجهاز المركزي للتخطيط:
أ ـ التوزيع السكاني، صنعاء ١٩٧٨ .
ب ـ النتائج النهائية للتعداد السكاني التعاوني، صنعاء ١٩٨١ .
جـ ـ التقسيمات الإدارية لعام ١٩٨٥ .
د ـ النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦ .

ـ ابن حاتم: بدر الدين محمد.
السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن.
تحقيق ركس سمث، لندن ١٩٧٤ .

ـ ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي.
الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت نسخة مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ.

ـ الحجري: محمد بن أحمد.
مجموع بلدان اليمن وقبائلها.
تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع. منشورات وزارة الإعلام والثقافة ١٩٨٤ م.

ـ ابن حزم: أبي محمد علي بن أحمد.
أ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل.
تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، بيروت ١٩٨٥ .
ب ـ جمهرة أنساب العرب.
تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٧١ .

ـ حسين فضل الله الهمداني، حسن سليمان محمود.
الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن. منشورات وزارة الإعلام والثقافة.

ـ الحطيئة: جرول بن أوس.
ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكري، بيروت ١٩٦٧ م.

ـ حميد بن أحمد المحلي:
الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية.
مخطوط مصور، صنعاء ١٩٨٢ .

- الخزرجي: أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن.
أ- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك.
مخطوط مصور، دمشق ١٩٨١.
ب- طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن.
مخطوط رقم ٢٥٨٦ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.
جـ- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن. مخطوط رقم ٢٥٨٧ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.
د- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية.
تصحيح محمد بسيوني عسل، بيروت ١٩٨٣.

- ابن أبي الخطاب القرشي: أبي زيد محمد.
جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام.
حققه وضبطه علي محمد البجاوي، القاهرة، الطبعة الأولى.

- ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت ١٩٦٩.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي.
كتاب العين، جـ٦.
تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٨٦.

- خليل حاوي وآخرون.
موسوعة الشعر العربي، بيروت ١٩٧٤.

- ابن الديبع: أبي الضياء عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي.
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون.
تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الحوالي، القاهرة ١٣٧٤، ١٣٩٧ هـ.

- ابن أبي الرجال: أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن صالح أبي الرجال.
مطلع البدور ومجمع البحور، نسخة مصورة بمكتبة الدكتور عبد الرحمن الشجاع عن النسخة الموجودة بمكتبة القاضي إسماعيل الأكوع.

- ابن رسول: عمر بن يوسف.
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب.
تحقيق: ك. و. سترستين، بيروت ١٩٨٥.

- زبارة: محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني.
أئمة اليمن، جـ ١ تعز ١٩٥٢.
مختصر أنباء اليمن ونبلائه بالإسلام، وبه مباحث دينية وأدبية وتاريخية، القاهرة.

- الزبيدي: السيد محمد مرتضى الزبيدي.
تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت.

- الزركلي: خير الدين.
الأعلام.

- الزوزني: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين.
شرح المعلقات العشر، بيروت ١٩٧٩.

- سعاد ماهر.
البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة ١٩٦٧.

- السلمي: عرام بن الأصبغ.
كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، وما فيها من القرى، وما ينبت عليها من الأشجار، وما فيها من المياه.
رواية السيرافي بإسناده إلى عرام بن الأصبغ السلمي.
تحقيق عبد السلام هارون. نوادر المخطوطات، المجموعة الثامنة، ص ٣٧٣ - ٥٠٦. القاهرة ١٩٥٦.

- السياغي: حسين أحمد.
معالم الآثار اليمنية، صنعاء ١٩٨٠.

- الشامي: أحمد بن محمد.
تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، بيروت ١٩٨٧.

- شاهر جمال آغا.
جغرافية اليمن الطبيعية (للشطر الشمالي)، دمشق ١٩٨٣.

- الشرفي: أحمد بن محمد بن صلاح.
اللآلىء المضية في أخبار أئمة الزيدية. نسخة مصورة بمكتبة الأستاذ عبد الوهاب عسلان عن النسخة الموجودة بمكتبة بيت المؤيد.

- الشيباني: أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد.
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة ١٩٤٤.

- الأصبهاني: أبي الفرج.
الأغاني، بيروت ١٩٧٠ عن طبعة بولاق.

- الأصفهاني: الحسن بن عبد الله.
بلاد العرب.
تحقيق حمد الجاسر، صالح العلي، الرياض ١٩٦٨.

- طَرَفة بن العبد.
ديوان طرفة بن العبد، بيروت.

- طه حسين وآخرون.
شروح سقط الزند، القاهرة ١٩٦٤.

- ابن عاصم: أبي طالب المفضل بن سلمة.
الفاخر.
تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٩٦٠.

- العامري: يحيى بن أبي بكر.
غربال الزمان في وفيات الأعيان.
تحقيق محمد ناجي زعبي العمر، دمشق ١٩٨٥.

- العباسي: علي بن محمد بن عبد الله.
سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.
تحقيق سهيل زكار، بيروت ١٩٧٢.

- عبد الرحمن البرقوقي.
شرح ديوان المتنبي، بيروت.

- عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع.
اليمن في صدر الإسلام، دمشق ١٩٨٧.

- عبد الغني محمود عبد العاطي.
أ - من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، القاهرة ١٩٨٦.

ب ـ «أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية» مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء، العدد ١٠، ١٩٨٩، ص ٢٢٤ ـ ٢٦٣.

ـ عبد الله بن حمزة بن سليمان.

أ ـ كتاب الشافي، بيروت ١٩٨٦.
ب ـ تاريخ الخيول العربية.
شرح: أحمد بن عبد الله بن حمزة، صنعاء ١٩٧٩.
جـ ـ ديوان الإمام عبد الله بن حمزة (أ) رقم ٢٢١٦ أدب، المكتبة الغربية، الجامع الكبير.
د ـ ديوان الإمام عبد الله بن حمزة (ب) رقم ٢٢١٧ أدب، المكتبة الغربية، الجامع الكبير.
هـ ـ ديوان الإمام عبد الله بن حمزة (جـ) مخطوط مصور بمكتبة السيد/محمد الفران عن نسخة مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير.
و ـ ديوان الإمام عبد الله بن حمزة (د) ميكروفيلم بمكتبة الدكتور حسين العمري عن نسخة المتحف البريطاني رقم Or 3815.
ز ـ الرسالة الناصحة. فيكروفيلم بمكتبة الدكتور حسين العمري ضمن مجموع رقم or. 3828 بمكتبة المتحف البريطاني.
ح ـ دعوة إلى سيف الدين سنقر.
مجموع ٤٥ بالمكتبة العربية بالجامع الكبير، ورقة ١٨ ـ ٢٠.
ط ـ أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية وأحكامهم. ميكروفيلم بمكتبة الدكتور حسين العمري ضمن مجموع رقم or. 3976 بمكتبة المتحف البريطاني.
ي ـ رسالتان إلى الأمير شهاب الجزري.
مجموع ٤٥ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير، ورقة ٢٠ ـ ٢٢.
ك ـ رسالة إلى النساء بذمرمر.
مجموع ٤٥ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير، ورقة ٢٢ ـ ٢٣.

ـ عبد الله بن زيد العنسي.

التميز بين الإسلام والمطرفية الطغام.
مخطوط مصور بمكتبة الدكتور رضوان السيد عن النسخة الموجودة بمكتبة محمد ساري.

- عبد الله بن معاوية.
شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
جمعه عبد الحميد الراضي، بيروت ١٩٧٦.
- ابن عبد ربه: محمد بن أحمد.
العقد الفريد.
تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٥٣.
- عروة بن الورد والسموأل.
ديوانا عروة بن الورد والسموأل، بيروت ١٩٦٤.
- عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي.
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام.
تحقيق فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- عز الدين محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين.
التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية.
مخطوط رقم ٢٥٢٨ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.
- علي بن أبي طالب.
ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب.
جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ١٩٨٨.
- عمارة بن علي اليمني.
تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد.
تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء ١٩٨٥.
- عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن فهد.
إتحاف الورى بأخبار أم القرى.
تحقيق فهيم محمد شلتوت. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- عمرو بن معد يكرب الزبيدي.
أ - ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي.
صنعه هاشم الطحان، الكويت.
ب - شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي.
جمعه وحققه مطاع الطرابيشي، دمشق ١٩٧٤.

- الفاسي: أبو الطيب تقي الدين محمد.
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، بيروت.

- الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة.
ديوان الفرزدق.
تحقيق كرم البستاني، بيروت ١٩٦٦.

- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب.
القاموس المحيط، القاهرة ١٩٥٢.

- الكبسي: محمد بن إسماعيل.
اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية. القاهرة ١٩٨٣.

- كحالة: عمر رضا.
قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت ١٩٧٨/١٩٧٩ م.

- لويس معلوف وآخرون.
المنجد في اللغة والأعلام، بيروت ١٩٨١.

- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد.
نصيحة الملوك.
تحقيق ودراسة رضوان السيد، بيروت ١٩٩٠.

- ابن المجاور: جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي.
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر لابن المجاور.
اعتنى بتصحيحها، أوسكر لوففرين، بيروت ١٩٨٦.

- مجهول: مؤلف مجهول.
أ - الحدائق في أخبار ذوي السوابق.
مخطوط رقم ٢٥١٠ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.
ب - أخبار الهجرة المنصورية، ظفار وحصونها الأربعة. مخطوط رقم ١٤٧٠، دار الكتب المصرية.

- محمد أحمد جاد المولى وآخرون.

أيام العرب في الجاهلية، بيروت ١٩٤٢.

- محمد عبد الغني حسن، عبد السلام العشري.
من أمثال العرب، القاهرة ١٩٥٨.

- محمد بن علي الأكوع.
اليمن الخضراء مهد الحضارة، القاهرة ١٩٧١.

- محمد فؤاد عبد الباقي.
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة، دار الشعب.

- أبي مخرمة: أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد.
تاريخ ثغر عدن.
تحقيق أوسكر لوففرين، ليدن ١٩٣٦.

- مسلم اللحجي: مسلم بن جعفر اللحجي.
أ - أخبار الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم باليمن. الجزء الرابع.
مخطوط مصور بمكتبة الدكتور عبد الرحمن الشجاع عن نسخة مكتبة باريس رقم 5982.
ب - كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية باليمن من الأفاضل من آل الرسول وشيعتهم من بعد الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. مخطوط مصور بمكتبة الدكتور عبد الرحمن الشجاع عن نسخة مكتبة برلين رقم (70 - 38 B) 9664.2.

- المسوري: أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد.
تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب، بيروت.

- مصطفى السقا ومحمد سيد كيلاني.
مختار الشعر الجاهلي، القاهرة ١٩٦٩.

- ابن مظفر: محمد بن حمزة.
الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان.
مخطوط رقم ٢٤٨٤ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.

- ابن المعتز: أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله.
ديوان ابن المعتز.

شرح وتقديم ميشيل نعمان، بيروت ١٩٦٩.

- المقحفي: إبراهيم أحمد.
معجم البلدان والقبائل اليمنية. صنعاء ١٩٨٥.

- مكتب أراضي وعقارات الدولة بمحافظة الجوف.

- ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم.
لسان العرب. دار المعارف بالقاهرة.

- مؤرج السدوسي: أبي فيد مؤرخ بن عمرو.
كتاب الأمثال.
تحقيق أحمد محمد الضبيب، الرياض ١٩٧٠.

- النابغة الذبياني.
ديوان النابغة الذبياني.
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٨٥.

- نشوان بن سعيد الحميري.
أ ـ منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم.
نشر عظيم الدين أحمد، ليدن ١٩١٦.
ب ـ الحور العين.
تحقيق كمال مصطفى، بيروت ١٩٨٥.

- الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير.
تاريخ بني الوزير. مخطوط رقم ٢٤٩٤ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.

- ابن هشام: أبي محمد عبد الملك.
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٨١.

- الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب.
أ ـ صفة جزيرة العرب.
تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣.

ب ـ كتابالإكليل، جـ ٢، جـ ٨.
تحقيق محمد بن علي الأكوع، بيروت ١٩٨٦، دمشق ١٩٧٩؛ جـ ١٠
تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٦٨ هـ.

ـ الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين.
كنز العمال في سنن الأفعال، حلب ١٩٧٧.

ـ الوطواط: برهان الدين إبراهيم بن يحيى.
غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، القاهرة ١٢٨٤ هـ.

ـ الويسي: حسين بن علي.
اليمن الكبرى، القاهرة ٩٦٢.

ـ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي.
معجم البلدان، بيروت ١٩٥٧.

ـ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد.
أ ـ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني.
تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٦٨.
ب ـ أنباء الزمن في تاريخ اليمن. مخطوط رقم ٢١٤٦ بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير.
جـ ـ الطبقات في ذكر فضل العلماء.
نسخة مصورة بمكتبة الدكتور عبد الرحمن الشجاع عن النسخة المصورة الموجودة بمكتبة جامعة صنعاء.
د ـ المستطاب في تاريخ علماء الزيدية الأطياب.
مخطوط رقم ٢٦٢١ تاريخ وتراجم، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.

ـ يوسف بن يحيى بن الحسن بن المؤيد بالله محمد الحسيني الصنعاني.
نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر، مخطوط رقم ٢٦٣٤، المكتبة الغربية بالجامع الكبير.

المصادر الأجنبية

— A.F.L. Beeston.
«Notes on old South Arabian Lexicography». Le Museon, 67, pp. 311 - 322.

— Ricks David.
Lexicon of the Epigrafic qatabanian (1982).

— S.D.F. Goitein.
JEMENICA: Sprichworter und Redensarten aus Zentral - Jemen, Leiden (1940).

— G. R. Smith.
The Ayyubids And Early Rasulids In the Yemen. (567 - 694/ 1173 - 1295) Volume 2. A study of Ibn Hatim's Kitab al - simt.. London (1978).

— The Yemen Arab Republic and Neighbouring Areas, 1: 250 000, London, (1974).

كشافات الكتاب

أولا : كشاف الأعلام

(ن)

(ي)

ثانياً: كشاف الأماكن والبلدان

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

ثالثاً ـ كشاف الأمم والشعوب والفرق والقبائل

بنو حيان ٤٨٢، ٦٣٩، ٦٤١

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ي)